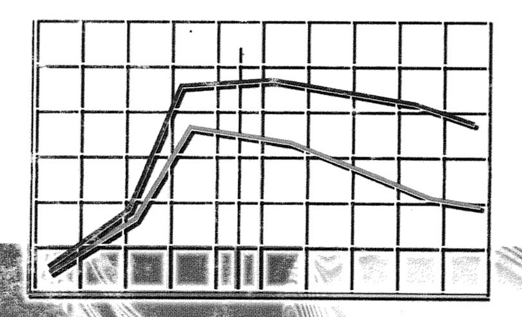
علم اللغة الاجتماعي للمجتمع

تأليف

رالف فاسولد



ترجمة

الدكتور إبراهيم بن صالح محمد الفلاي

جامعة الملك سعود

النشر العلمي و المطابع



علم اللغة الاجتماعي للمجتمع

تأليف

رالف فاسولد

أستاذ اللغويات

قسم اللغويات – جامعة جورج تاون – واشنطن دي سي – الولايات المتحدة الأمريكية

ترجمة

الدكتور إبراهيم بن صالح بن محمد الفلاي

أستاذ مشارك

قسم اللغة الإنجليزية – كلية الآداب – جامعة الملك سعود



النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ - المملكة العربية السعودية

هذه الترجمة عربية مصرح بها لكتاب:

The Sociolinguistics of Society
By: Ralph W. Fasold
Published by: Blackwell Publisher Ltd. Oxford OX4 1JF. UK. 1st.ed. 1984, Reprented 1996.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فاسولد، رالف
علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ترجمة إبراهيم صالح محمد الفلاي – الرياض.

٦١٧ ص ؛ ١٧سم X ٢٤ سم
ردمك: ٣-١٧٤-٣٧-٩٩٦٠

١- علم الاجتماع اللغوي أ- الفلاي، إبراهيم صالح محمد (مترجم)
ب- العنوان

ديوي ١٩، ٤٠٠ ٢١/٣٠٥٥

رقم الإيداع: ٢١/٣٠٥٥

حَكّمت هذا الكتاب لجنة متخصصة شكلها المجلس العلمي بالجامعة، وقد وافق على نشره بعد اطلاعه على تقارير المحكمين في اجتماعه الرابع عشر للعام الدراسي ١٤٢٠/١٤٢١هـ المعقود في ١١/٧/١٤٢٠هـ الموافق ١٣/٢/٢٠٠٠م.

النشر العلمي والمطابع ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

إهداء

إلى روح والدتي الطاهرة ...

أدعو الله أن يتغمدها بواسع رحمته

وأرجو ممن يقرأ هذا المؤلف

أن يدعو لها بالرحمة والمغفرة

المترجم

مقدمة المترجم

يهتم علم اللغة الاجتماعي، وهو أحد الفروع الحديثة نسبياً لعلم اللغة، بدراسة الظواهر اللغوية المختلفة من وجهة نظر اجتماعية، وقد عاصر هذا العلم الكثير من التطور والتفسير منذ نشأته في بداية الثلاثينات من هذا القرن ، فتحول من علم وصفي يعتمد بشكل مطلق على ما يسجله الباحث من ملاحظات إلى علم تجريبي، شأنه في ذلك شأن باقي معظم فروع علم اللغة. وعندما يرد مصطلح علم اللغة الاجتماعي، فإن أول ما يتبادر إلى الأذهان أسماء المتخصصين والمهتمين الذين ساهموا في نشأة هذا العلم وتطوره من أمثال جوشوا فيشمن، ولابف، وبيتر ترِدجل، ومؤلف الكتاب الذي نحن بصدد قراءة ترجمته رالف فاسولد.

ومما يميز الكتاب الذي نحن بصدد قراءة ترجمته أنه كتب بأسلوب سهل بعيد عن التعقيد ، وأنه من تأليف متخصص في هذا الحقل، كما ورد في مقدمة المحرر. ولا يخفى على المتخصص في علم اللغة ما يعانيه كلٌ من الباحث والمؤلف والمترجم من تباين كبير في ترجمة المصطلح، ولذا فقد اطلعتُ على مجموعة من المعاجم ثنائية اللغة المتخصصة في علم اللغة الاجتماعي . واستقر الرأي في النهاية على استخدام معجم المصطلحات اللغوية الذي قام بوصفه الدكتور رمزي منير بعلبكي. وكان الدافع من وراء هذا الاختيار ثراء المعجم واحتواؤه على عدد كبير من المصطلحات المستخدمة في علم اللغة، وكذلك حداثة سنة طبعه.

وينقسم الكتاب الذي بين أيدينا إلى أحد عشر فصلاً . يناقش الفصل الأول التعددية اللغوية ، وحتى يتمكن المؤلف من الاستشهاد بأمثلة واقعية، فقد استخدم

حالتي التعددية اللغوية في الهند وبرا غوي . وفي الفصل الثاني يناقش المؤلف الازدواجية اللغوية ، ويطرح في نهاية الفصل تصوراً جديداً لما يجب أن تكون عليه تلك الازدواجية. أما الفصول الثالث والرابع والخامس فهي مقدمة جيدة للبحث التجريبي في علم اللغة الاجتماعي. ويتطرق الفصلان الثالث والخامس للتحليلين النوعي والكمي ، بينما أفرد الفصل الرابع لإطلاع القارئ على بعض المفاهيم الأساسية في الإحصاء. أما الفصول الستة الباقية فهي تطبيق ، لما نوقش في الفصول الخمسة الأولى ، على الظواهر اللغوية في المجتمع. فالفصل السادس مثلاً يتطرق إلى المواقف اللغوية في المجتمع ، بينما يناقش الفصل السابع الخيار اللغوي ، متدرجاً من اختيار بين اللغات المختلفة إلى الخيار اللغوي بين أساليب اللهجة الواحدة. وأفرد الفصل الثامن لمناقشة الإبقاء والتحول اللغوي ، وهنا يستخدم فاسولد بيانات جمعها عن أحد المجتمعات كمثال على كيفية استخدام الأساليب التجريبية في البحث اللغوي. أما الفصل التاسع فقد ناقش بإسهاب التخطيط اللغوي والتقييس ، وأفرد الفصل العاشر لتطبيق المفاهيم النظرية التي وردت في الفصل التاسع. ولم يغفل فاسولد التعليم ، فقد ناقش في فصله الأخير التعليم باستخدام اللغة العامية .

وفي الختام أتمنى أن يجد القارئ هذا الكتاب ممتعاً وشيقاً ، وأن يكون في ترجمة هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة العربية وسد للنقص الشديد في الكتب المؤلفة بالعربية المفردة لمناقشة مواضيع علم اللغة الاجتماعي.

إبراهيم صالح الفلاي

مقدمة المحرر

علم اللغة الاجتماعي، وكما يدل عليه اسمه، هو فرع من العلوم قادر على دمج الاهتمامات اللغوية والاجتماعية بدرجات متفاوتة. ويتعامل رالف فاسولد في هذا الكتاب مع اهتمامات تتجه نحو الطرف الاجتماعي لنطاق اللغة والمجتمع. ونتيجة لذلك، فإن معظم الفصول هي قراءات مناسبة لعلماء الاجتماع، وعلماء علم الإنسان، وعلماء علم النفس الاجتماعي. وفي جزء لاحق من سلسلة بلاكول "اللغة في المجتمع" سيتعامل فاسولد مع الطرف الآخر لهذا النطاق وسيتفحص مضامين البحث الاجتماعي للدراسة اللغة والنظرية اللغوية. ويقدم الكتابان معا تغطية مكتوبة ومتعمقة وواضحة لحقل علم اللغة الاجتماعي بأكمله. ولذا فإنهما يشكلان مدخلاً ممتازاً لهذا الحقل من المعرفة بالنسبة للقراء الذين لا يملكون إلا خلفية قليلة نسبيّاً عن الموضوع. ومع ذلك فإن هذين الكتابين أكثر من مجرد كتب منهجية ابتدائية لعلم اللغة الاجتماعي. وعلى العكس من مؤلفي عدد من كتب علم اللغة الاجتماعي فإن فاسولد نفسه ممارس لعلم اللغة الاجتماعي. فقد قام بأبحاث تجريبية في عدد من حقول علم اللغة الاجتماعي، وكان حريصاً على تطبيق نتائج أبحاثه لحل المشاكل التربوية وغيرها . ولذا فهو يكتب من خبرة غنية وبصيرة عظيمة . ويزخر كتاب "علم اللغة الاجتماعي للمجتمع" هذا في معظمه بتقييم وتفسيرات أصيلة وبمساهمات نظرية، وفي النتيجة تصبح هذه الكتب قراءات مهمة لعلماء اللغة الاجتماعي الأكاديميين وللمهتمين بالبحث في هذا المجال. والكتاب أيضاً معاصر جداً في اهتماماته، وهو متنوّع جداً وواسع الأفق في اللغات والحالات اللغوية الاجتماعية التي يغطيها.

بيتر تردجل

مقدمة المؤلف

يعتبر هذا الكتاب الجزء الأول من مجموع كتابين منهجيين تمهيديين في مجال علم اللغة الاجتماعي. ورغم أن المادة العلمية في هذا المجال تتطلب وجود جزء ثانٍ، إلا أن تقسيم الموضوع في كتابين مفيد أيضا لأنه يعكس وجود فرعين كبيرين في هذا الحقل. ويعتبر الفرع الأول المجتمع نقطة بداية واللغة مسألة ووسيلة اجتماعية. وتدخل مواضيع هذا الكتاب ضمن هذا الفرع. بينما يبدأ الفرع الرئيس الآخر باللغة، وينظر للقوى الاجتماعية على أنها تؤثر في اللغة وتساهم في فهم طبيعتها. وسيكون الكتاب الثاني حول هذا النوع من علم اللغة الاجتماعي. ويمكن النظر إلى تقسيم هذين الفرعين على أن هذا الكتاب يختص بنوع معين من علم الاجتماع، بينما يدور الكتاب الثاني حول علم اللغة من وجهة نظر معينة.

ومن وجهة نظري، فإن جوهر علم اللغة الاجتماعي يعتمد على حقيقتين تتعلقان باللغة وغالبا ما تجوهلتا في حقل علم اللغة. وأولى هذه الحقائق هي أن اللغة تتنوع، فالمتحدثون قادرون على التعبير عن شيء واحد تقريبا بأكثر من طريقة. وفي هذا السياق، فإني أضمن في هذا التنوع المدى الكلي للتنويع اللغوي بدءاً من الفروق الدقيقة في نطق الصوائت الفردية كتلك التي ورد وصفها في لابوف Labov (١٩٦٦م) وتردجل Trudgill (١٩٧٤م) وانتهاءً بالخيارات بين اللغات التي يقوم بها متحدثون ذوو ثنائية أو تعددية لغوية. أما الحقيقة الثانية فتتجلى في وجود هدف ملح ومساو في أهميته هدفَ اللغة الواضح وهو أن تقوم اللغة بخدمة مستخدميها. ومن الواضح أنه من

المفترض أن تستخدم اللغة لنقل المعلومات والأفكار من شخص إلى آخر، ومع ذلك يقوم المتحدث في الوقت ذاته باستخدام اللغة للكشف عن هويته (للتعريف بنفسه)، وإلى أي جماعة يقدم ولاءه، وكيف ينظر إلى العلاقة بينه وبين المستمع، وأي نوع من الحدث الكلامي يعتبر نفسه مشتركاً فيه. ومن الممكن القيام بكلتا المهمتين (إيصال المعلومات وتعريف الوضع الاجتماعي) في وقت واحد، وبدقة؛ لأن اللغة تتنوع، حيث يستطيع المتحدثون انتقاء وسائل لغوية بديلة يقود استخدام أي منها إلى توصيل المعلومات الإخبارية بشكل مرض. فالاختيار من بين هذه البدائل هو الذي يعرف الوضع الاجتماعي. ودراسة التفاعل بين هاتين الحقيقتين عن اللغة هو بالضبط ما ينطوي عليه علم اللغة الاجتماعي.

وكمختص بعلم اللغة، فإنني أنظر إلى النظرية اللغوية نظرة جدية، ولا يجب على عالم اللغة والمهتم بعلم اللغة الاجتماعي الاكتفاء بوصف الظواهر الممتعة فحسب، وإنما يتوجب عليه دائما أن يدرس باستمرار كيفية ربط الوظيفة الاجتماعية للغة بأي نظرية صحيحة لها. (وحتى الآن، فإنني لا أجد أسبابا مقنعة لاتخاذ موقف يتعلق فيما إذا كان من الواجب على نظرية اللغة أن تقدم تفسيرا مباشرا للوظيفة الاجتماعية للغة، أو ما إذا كانت نظرية اللغة في حد ذاتها لا تقدم أي إشارة للوظيفة الاجتماعية، ولكنها تتفاعل مع نظرية أعم للتواصل. ومن منظور عاطفي، فإنني أميل للنهج الأخير).

وسيتضح في هذا الكتاب أنني أعتبر علم اللغة الإنساني (anthropological linguistics) وفرعا آخر من علم الإنسان (anthropology)، وهو علم الاتصال العرقي أو فنه (ethnography of communication)، جزأين من علم اللغة الاجتماعي. وكما سيتضح في الكتاب الثاني فإنني أعتبر النهج النظرية الفلسفية والنحوية إلى الأحداث

الكلامية والبراغماتية جزأين أيضا من علم اللغة الاجتماعي. وبما أنه لا يمكن دراسة اللغات المزيج والخليط دون الرجوع إلى البيئات الاجتماعية التي تطورت فيها هذه النظم اللغوية، فقد أفردت فصلا كاملا في الكتاب الثاني للغات المزيج والخليط.

وقد يتساءل بعض القراء عن سبب التركيز في الفصلين الثالث والخامس من هذا الكتاب على الطرق النوعية والكمية لتحليل التعددية اللغوية للمجتمع، وخاصة الصيغ والتصنيفات النوعية التي حظيت باهتمام كبير في الماضي، ولكنها لم تعد دارجة على ما يبدو في السنوات الأخيرة. ولكن سيتضح في الفصل الثالث أنني أجد أسلوب الصيغ النوعية نقطة انطلاق مفيدة للنهج الطبيعي في علم اجتماع اللغة. فهو يقدم إطار للتفكير بنوعية الوظائف الاجتماعية للغات الموجودة على مستوى التنظيم السياسي الاجتماعي، وما هي الخصائص التي تحتاجها اللغة لإنجاز واحدة من هذه الوظائف. ويقدم الفصل الخامس حول التحليل الكمي أدوات لتحليل التعددية اللغوية للمجتمع بلغة الأرقام. وعلى الرغم من أنه لم يستخدم أيٌ من المنهجين، سواء النوعي أو الكمي، بشكلٍ واسعٍ في دراسة علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، يبدو لي أنه من الواجب تعريف طلاب علم اللغة الاجتماعي بهذه الأدوات المساعدة على التفكير المنهجي. وهناك فصل آخر (الفصل الرابع) عن الإحصاء، والذي جاء ترتيبه بهذا الشكل لحاجتي للرجوع إلى بعض المفاهيم الإحصائية الأساسية في الفصل الخامس، وقد يحتاج القارئ للإلمام البسيط بالإجراءات الإحصائية حتى يتمكن من فهم ما يرد في الفصول اللاحقة في هذا الكتاب.

وبغض النظر عن هذه المسائل، فإن كافة المواضيع التي سيتناولها الكتابان تندرج دون استثناء في إطار علم اللغة الاجتماعي. فالتعددية اللغوية للمجتمع، وازدواجية اللغة، والمواقف اللغوية، والخيار اللغوي، والإبقاء والتحول اللغويان، والتقييس والتخطيط اللغويان، واستخدام اللغة في التعليم هي في واقعها من ضمن

المفاهيم السائدة لدى أي فرد عن ماهية علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. فجميعها تهتم بالمعنى الاجتماعي للخيارات من بين أشكال التنوع اللغوي، كما أنها متفقة مع مفهوم علم اللغة الاجتماعي، والذي أشرت إليه آنفا.

أعتقد أن من المفيد لقارئ هذا الكتاب معرفة المبادئ التي حاولت اتباعها. أبتدأ القول بأنني قد حاولت أن أقدم عملا أكثر شمولية بدلا من النقاش غير المتعمق لعلم اللغة الاجتماعي. كما أنني توخيت الدقة البالغة في رسم الفرق بين ما قد يسمى بـ "المعرفة النموذجية" وبين تفكيري الشخصي الأصيل في ما يخص المواضيع التي كتبت عنها. ومن الضروري إطلاع الطالب المبتدىء في أي فرع من فروع المعرفة على القاعدة المعرفية التي يفترضها مسبقا العلماء المتمرسون. والغاية من أي مقرر تعليمي أو كتاب منهجي تمهيدي هو تقديم طريقة فعالة للطالب الجديد في أي حقل للحاق بآخر ما استجد في ذلك الحقل. ويجب أن نجعل المبتدئ في دراسة علم ما يلم بالمفاهيم الأساسية لذلك العلم ويتعرف على المتخصصين البارزين فيه، والذين سوف يجد أعمالهم مذكورة في الكتب والمقالات التي سيقرؤها لاحقا. ويقع على عاتق مؤلف الكتاب التمهيدي وعلى مدرس المقرر التعليمي التمهيدي تقديم هذا الأساس، حتى وإن اختلف مع بعض ما ورد فيه، أو اعتقد أن بعض أجزائه قد بالغ الكاتب في تأكيدها.

ومن جهة أخرى، فمن غير المعقول أن نتوقع أن لا يفكر المؤلف أو المدرس بطريقة إبداعية في المسائل اللاتي يتعامل معها، أو الامتناع عن تقديم فكرهما الشخصي الأصيل فيما يخص هذه المسائل. ولا يمكن للمؤلف أو المدرس، إذا كان لديه أي مقدار من المهارة، الاكتفاء بلعب دور الجامع أو الناقل لأفكار الناس الآخرين. والخطر في كل هذا هو أن لا يستطيع الطالب التمييز بين هذين النوعين من المواد. وما لم يكن المدرس والمؤلف مدركين لمسئولياتهما، فقد ينظر الطلاب إلى فكرة خاصة جدًا

بمؤلف المقرر أو مدرسه إلى أنها معلومة مقبولة بوجه عام في الحقل. وحاولت عند تأليف هذا الكتاب أن أكون مدركاً لهذه المسئولية. فقد بذلت جهدا في تضمين المعلومات التي يفترض في المشتغلين بعلم اللغة الاجتماعي معرفتها، بغض النظر عن رأيي الشخصي في قيمة تلك المعلومات. وقد حاولت في المواضيع التي ضمنت فيها فكري الشخصي الأصيل أن أوضح ذلك. وأتمنى بكل صدق أن لا يخلط أي مستخدم لهذا الكتاب بين رأيي الشخصي، والذي لا يمكن اعتباره مقبولا عموما كأمر ملزم أو مهم، وبين الأمر الذي يعتبر من المعرفة النموذجية. وأرجو من المدرسين الذين قد يستخدمون هذا الكتاب كمقرر تعليمي تأكيد هذا الفرق.

وقد بذلت قصارى جهدي في أن أكتب هذا الكتاب بأسلوب غير رسمي شبيه بأسلوب المحادثة، فالكثير من مفاهيم علم اجتماع اللغة معقدة، ويبدو لي أن استخدام الأسلوب التقليدي المتبع في كتابة الكتب الدراسية أو الأسلوب المتحفظ قد يجعل فهمها أكثر صعوبة من استخدام أسلوب أقل رسمية. وكنتيجة لذلك الجهد فقد تعمدت إغفال بعض القواعد التقنينية المعتادة في استعمال اللغة الإنجليزية. فمثلا سيجد القارئ عددا من الجمل المنتهية بحرف جر. وأدرك أن هناك العديد من القراء لن يستسيغوا هذا التطبيق ولكنني أظن أن غالبية الطلبة سيجدون الأسلوب الأقل رسمية مساعدا أكثر منه عائقا. وهذا بالطبع يعني أنه يجب ألا يلام المصححون اللغويون لهذا الكتاب على الهفوات المقصودة التي ارتكبتها في أسلوب كتابته.

وسمة أخرى لهذا الكتاب هي وجود عدد كبير من الدراسات الفردية، وحيثما استطعت الحصول على معلومات مفصلة من بعض الأماكن في العالم والمستخدمة للتمثيل على مبدأ من مبادئ علم اللغة الاجتماعي فإنني قدمت هذه المعلومات على أنها دراسة فردية. وكان توفر المعلومات المعيار الرئيس لاختيار مجتمع ما لتقديمه كدراسة فردية. وكانت النتيجة في بعض الحالات تأكيد مجتمع ما في بقعة صغيرة من

العالم. فمثلا ، نظرا للدراسة الجيدة التي قامت بها سوزان قال Susan Gal (١٩٧٩م) عن الاختيار اللغوي والإبقاء والتحول اللغويين في المجتمع الهنغاري لأوبروارت في النمسا ، فقد استُخدمت تلك القرية الصغيرة كدراسة فردية رئيسة في الفصلين السابع والثامن. وبالمثل ، فقد استخدمتُ دراستي الخاصة المبنية على بيانات جمعتها عن مجتمع هنود التيوا (Tiwa) ، وهي جماعة صغيرة من الهنود الأمريكيين في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة كمثال آخر للإبقاء والتحول اللغويين. وأشعر بالرضا إلى حد كبير من أن كل واحدة من هذه الدراسات الفردية التي انتقيتها تعتبر مثالا نموذجيًا للمبادئ التي وظِّفت لتوضيحها ، بالرغم من كونها غير معروفة بشكلٍ عام. ويستثنى من ذلك استخدام دولة الأمريكيين الجنوبيين في البراغوي كمثال على التعددية اللغوية في المجتمع. والبراغوي باعتبارها مثالا نموذجيا للدول ذات التعددية اللغوية بشتى الطرق ، إلا أنها تنفرد عن باقي الدول في القارة الأمريكية الجنوبية بسبب شهرة إحدى لغاتها الأصلية ، وهي لغة قوارني ، نسبة إلى لغة المستعمر فيها ، وهي اللغة الأسبانية. ولهذا السبب وجدت سحرا خاصا في البراغوي وأطلقت العنان لرغبتي في استخدامها كدراسة فردية للتعددية اللغوية إلى جانب دراسة الهند في الفصل الأول. والخطر في استخدام الدراسات الفردية بهذا الشكل هو الاضطرار إلى الاعتماد بشكل كبير على مصادر ثانوية. وقادني هذا ، دون شك ، إلى ارتكاب أخطاء ، وإن لم تكن أخطاء فادحة ، وذلك بتأكيد بعض الحالات التي كتبت عنها. وقد أوضح لي بعضٌ ممن قرأ مسودات سابقة من الكتاب قبل طبعه بعض الأمثلة لهذا النوع ، ولكنني سوف أستغرب إذا لم توجد أخطاءٌ مشابهة ، وإن كنت أتمنى أن تكون أخطاء صغيرة. وإنني مستعد لمواجهة هذا الخطر ؛ لاقتناعي بأن استخدام مثال ما أفضل بكثير من مجرد محاولة شرح المبدأ بطريقة نظرية.

وقد ضمنت خرائط وأشكالاً وجداول كمعينات للشرح في المواضع التي

اعتقدت أن في ذلك التضمين فائدة. كما ضمّنت في نهاية كل فصل مجموعة من هوامش المراجع علّقت عليها باختصار ؛ ليرجع إليها القارئ الراغب في قراءات إضافية عن الموضوع، والتي لم أستطع الاستشهاد بالكثير منها مباشرة في الفصل. وأتوقع أن يكون من ضمن استخدامات هوامش المراجع مساعدتها للطلاب الذين سيكتبون أبحاثا تتعلق بمادة الموضوع في الفصول المختلفة، وبالطبع فهذه الهوامش ستصبح قديمة سريعا، وسيضطر الطلاب الباحثون إلى البحث عن مراجع أكثر حداثة. ويلي الهوامش في كل فصل قائمة بالأهداف. وهي في الواقع أسئلة للنقاش تبين للقراء المعلومات التي أعتبرها مهمة بشكلٍ خاص. وأقصد من وراء هذه الأهداف أن تكون أداة يمكن استخدامها أو إهمالها. فقد يرغب بعض المدرسين في أن يتعلم طلابهم المعلومات التي أبرزتها الأهداف، بينما قد يختار بعضهم تجاهلها. ولا أعتقد أن فائدة هذا الكتاب تعتمد اعتمادا كبيرا على هذه الأهداف.

وفي الواقع فالأهداف جزء من أسلوب للتعليم طوره فريديريك كيلر وآخرون Fredrcick Keller & others (١٩٦٨م). وتمكن هذه الطريقة المسماة بالنظام الشخصي للتعليم الطلاب من التقدم في المادة التعليمية بما يتوافق وقدراتهم، وإن كان ذلك يخضع لقيود. ويختلف النشاط في قاعة الدرس بشكلٍ كبير عما قد يوجد في المحاضرة أو في القراءات.

وتنقسم المواد في تصميم النظام الشخصي للتعليم إلى "وحدات"، لكل منها مجموعة قراءات خاصة بها، ويتعين على الطلاب القيام بالقراءات المطلوبة والإلمام بمجموعة الأهداف المشابهة لتلك الموجودة في نهاية فصول هذا الكتاب. ويفترض أن تكون الأهداف واضحة وتغطي بدقة ما تجب على الطلاب معرفته من القراءات، وهذا يعني أنهم ليسوا مسئولين عن أي شيء آخر. وإذا كان طالب ما غير متأكد من إلمامه بواحد أو أكثر من الأهداف، أو إذا لم يفهم بوضوح شيئا ما مما ورد في القراءات، فإنه

سيأتي للحصة التالية ولديه بعض الأسئلة. يُتعامل مع الطلاب بشكلٍ فردي. فإذا اعتقد طالب بأنه قد استوعب تماما قراءات الوحدة، فإنه يخضع لاختبار لسبر معلوماته ودرجة إتقانه لها. ويتضمن هذا الاختبار سؤالا واحداً فقط مصمماً لاختبار مدى تمكن الطالب من معرفة كلٍّ من هذه الأهداف. ولذلك وفي أجزاء كثيرة يمكن استخدام أسئلة ذات إجابات قصيرة، مثل طريقة الاختيار من عدة أجوبة وأسئلة مقالية قصيرة.

وقد وصفت بشكلٍ مقتضب النظام الشخصي للتعليم في حالة ما إذا رغب معلم باستخدام هذا الكتاب متبعا ذلك الأسلوب. ويحتوي هذا الكتاب، كما في الكتاب الآخر، على القراءات والأهداف، ولكن الفائدة من وراء اختبارات قياس درجة الإتقان سوف تضيع إذا ما أدرجناها في هذا الكتاب. ويستطيع المعلم تحضير اختبارات قياس للدرجة الإتقان الخاصة به معتمدا على الأهداف. سيسرني إبداء النصيحة لأي شخص عن كيفية إنشاء اختبار قياس درجة الإتقان. وبالطبع يمكن استخدام الكتاب بطريقة النظام الشخصي للتعليم، ولكن هذا لا يعني بأية حال أنه معتمد عليها. ويمكن استخدامه ككتاب منهجي عام، أو ككتاب مساعد في تصميم مقرر تعليمي نموذجي، ويمكن اعتبار إتقان الأهداف جزءاً من متطلبات المقرر التعليمي، و استخدامها كأساس للنقاش بهدف المراجعة في الصف الدراسي، كما يمكن تجاهلها كليّا. وقد حاولت استعراض علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، كما حاولت أيضا أن أجعل استخدام الكتاب بمنهجية تدريس أخرى ممكنا. ويمكن استخدام الاستعراض بتلك المنهجية أو بدونها.

وأنا ممتن كثيرا لعدد من الأشخاص الذين قرأوا أجزاء من الكتاب قبل طبعه. وقد ساعد كل واحد منهم دون استثناء في تحسين ما ورد في الجزء الذي قرأه. ولو تجرأت وفرضت عليهم أكثر مما فرضت فإنني متأكد من أن الكتاب سيكون أفضل مما

هو عليه. ولكنني أقبل بتحمل المسئولية كاملة عن القصور في الكتاب بشكله الحالي. وأرغب في أن أنوه بالعون الذي قدمه لي بيتر تردجل Peter Trudgill وهو مؤلف مقرر دراسي تمهيدي جيد في علم اللغة الاجتماعي، وكذلك دبرا تانن Deborah Tannen وشاليقرام شوكلا Shaligram Shukla وروجر شوي Roger Shuy ومالكه يقر درور Malcah Yeager-Dror ووالت ولفرام Walt Wolfram وعلا كونور Ulla Connor . كما أنني ممتن لمختصين لا أعرفهم راجعوا الكتاب قبل طبعه للناشر. وقد استخدمت نسخة قبل النشر من هذا الكتاب في تدريس مجموعتين مختلفتين من الطلاب في جامعة جورج تاون، وأنني ممتن للعديد من الطلاب الذين نبهوني لأخطاء متنوعة في هذه النسخة. وأخص بالشكر اليزابيث أشيم Elizabeth Aasheim وماريا كلارا داسيلفا Maria Clara DaSilva وجينا دوغيت Gina Doggett ودونا كيم Donna Kim واليزابيت لانزا Elizabeth Lanza وماريا كارميليا ماخادو Maria Carmelia Machado وكاثرين نيل Catherine Neill وماريان فيني -لاياباز Marianne Phinney-Liapis وثيودورا بريداريس Theodora Predaris.

وأخيرا فإنني ممتن لجون دافي John Davey من دار باسل بلاكويل للنشر Basil Blackwell للطفه وتعاونه وصبره اللامحدود بينما كنت أنهي هذا المشروع.

رالف فاسولد

المحتويات

الموضوع — صفحة

الفصل الأول

التعددية اللغوية في المجتمع

الأمم واللغات

يدور علم اللغة الاجتماعي حول الأهمية الاجتماعية للغة بالنسبة لمجموعات من الناس تتراوح بين مجموعات اجتماعية ثقافية صغيرة تتكون من بضع مئات من الناس وبين أمم بأكملها. وإذا تحدث كل فرد في الجماعة بالطريقة نفسها التي يتحدث بها الأفراد الآخرون في الجماعة، فلن يكون هناك ما يدعى بعلم اللغة الاجتماعي للمجتمع. ولا يستخدم الناس اللغة فقط لتبادل الأفكار وللتعبير عن المشاعر فيما بينهم، ولكنهم يستغلون الجوانب الدقيقة وغير الدقيقة من اللغة؛ ليبوحوا ويعرفوا علاقاتهم الاجتماعية بالناس الذين يتحدثون إليهم وبالناس الذين قد يسمعونهم عرضا، وحتى بالناس غير الموجودين حولهم.

وفي بلدان عديدة من العالم، يمكن إنجاز العديد من هذا النوع من عمل الهوية الاجتماعية ببساطة من خلال اختيار إحدى اللغتين أو اللغات التي يعرفها المتحدث. وهناك بلدان عديدة متنوعة لغويا لدرجة أنه من الشائع حتى لدى الأطفال أن يكونوا ذوي ثنائية أو تعددية لغوية. ويوجد لدى العديد من البلدان في أفريقيا وآسيا (مثل نيجيريا وتنزانيا والهند وإندونيسيا والفلبين) فعليا مئات اللغات داخل حدودها. واقع الأمر أنه لا توجد في تلك البلدان لغة واحدة يتحدثها كل شخص تقريبا، بينما تخص بقية اللغات قبائل صغيرة معزولة. وبالطبع فهناك لغات لمجموعات صغيرة وأخرى يستخدمها عدد كبير من السكان. فمثلا، يعترف الدستور في الهند بوجود أربع عشرة

لغة رسمية، وجميعها باستثناء لغة واحدة يتحدثها ما لا يقل عن مليونين من الناس (الاستثناء هي لغة السنسكريت، وهي لغة تقليدية قديمة). ويوجد في الفلبين ست لغات إقليمية رئيسة، كما يوجد في نيجيريا ثلاث لغات. ويوجد في نيجيريا على الأقل نسق آخر من اللغات المهمة داخل نطاق كل إقليم. وقد أعدّ لويس Lewis (أ ١٩٧٢) قائمة تبين وجود ٨٥ قومية داخل الاتحاد السوفيتي، والتي يمتلك معظمها لغات خاصة بها. ويوجد داخل حدود كندا، بالإضافة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، لغات عديدة للهنود والإسكيمو، بالإضافة إلى مجموعات كبيرة من المهاجرين الذين حافظوا على لغاتهم الخاصة بدرجات متفاوتة. وليست الولايات المتحدة دولة ذات أحادية لغوية كما يعتقد أحيانا، فهناك ثلاث مجموعات سكانية رئيسة ممن تتحدث الإسبانية، وهي: البورتوريكن والمهاجرون الكوبيون والتشيكانو. وهناك أيضا متحدثون للغات أمريكية أصلية ولغات أوروبية وآسيوية، وذلك بسبب الهجرة القديمة والحديثة.

مفاهيم

حتى نفهم ماذا تعني التعددية اللغوية للمجتمع، فمن المفيد التذكير ببعض المفاهيم. والمفاهيم التي سوف نستخدمها هي تلك التي طورها جوشوا فيشمن Joshua Fishman (ب ١٩٦٨ م و ج ١٩٧٢ م). والفرق بين القومية والأمة أساسي لفكر فيشمن. فالقوميات هي وحدات اجتماعية ثقافية تطورت إلى ما وراء المفاهيم والاهتمامات الذاتية الأساسية والروابط المتكاملة (فيشمن، ج ١٩٧٢م ص ٣). وبمعنى آخر فالقومية هي جماعة من الناس يعتقدون أنهم وحدة اجتماعية مختلفة عن المجموعات الأخرى، ولكن ليس على مقياس محلي خالص. وهناك نقطتان مهمتان يجب تذكرهما فيما يتعلق بمفهوم "القومية". أولا، يجب تمييزها عن مفهوم آخر مشابه جدا، وهو الجماعة العرقية، والتي تشبه القومية إلا أنها تشكل مستوى للتنظيم

الاجتماعي الثقافي "أبسط وأصغر وأكثر خصوصية ومحلية" (فيشمن، ج ١٩٧٢، ص٣). وكما هي العادة في علم اللغة الاجتماعي تعتبر "القومية" و"الجماعة العرقية" نقطتين على متّصل واحد أكثر من كونهما تميزين غير مترابطين. وبمعنى آخر فسنجد من الصعوبة في بعض الأحيان تحديد ما إذا كانت الوحدة الاجتماعية الثقافية قومية أو جماعة عرقية. ورغم ذلك فإن موقع جماعة ما على المتصل مهم أحيانا.

والنقطة الثانية المهمة المتعلقة بمفهوم القومية هي أنه ليس من الضروري أن يكون لكل قومية إقليم مستقل وذو سيادة. وباستخدام كلمات فيشمن، فالمصطلح "قومية" يعتبر حياديا بالنسبة إلى وجود أو عدم وجود وحدة سياسية مقابلة أو حكومة مستقلة (فيشمن، ج ١٩٧٢م، ص ٤). ولهذا يمكن اعتبار الحروب الأهلية كفاحا مسلحا تقوم به القوميات المسيطرة على الأقاليم الخاصة بها.

وبتعريف فيشمن فالأمة هي "أي وحدة سياسية إقليمية تخضع بأكملها أو بمعظمها لحكم قومية معينة" (فيشمن، ج ١٩٧٢، ص ٥). وهناك شيء من الغموض في تعريف فيشمن، فقد يتساءل المرء عن مدى السيطرة التي يجب أن تتمتع بها قومية معينة على أراضيها قبل أن تستحق تلك الوحدة مسمى أمة. والأمة مختلفة عن الدولة أو الحكومة أو البلد في أن الأخيرات قد لا يكن مستقلات عن السيطرة الخارجية، بينما الأمة مستقلة عن ذلك. وإضافة إلى هذه النقطة بالذات، فإن الدولة على عكس الأمة لا يوجد فيها دائما قومية واحدة مسيطرة (فيشمن، ج ١٩٧٢، ص ٥). ونتيجة لذلك، يمكن استخدام مصطلح فيشمن للتحدث عن دول ذات قوميات متعددة، وليس عن أمم ذات قوميات متعددة، إلا أن الأمة يمكن أن تتكون من مجموعات عرقية متنوعة. وبالجمع بين تميز فيشمن بين "القومية" و"الجماعة العرقية" وتمييزه بين "الأمة" و "الدولة" فإننا نحصل على متّصل جديد، نجد في أحد طرفيه دولا ذات قوميات متعددة وفي الطرف الآخر أمما ذات جماعات عرقية متعددة. ومن منظور

سياسي فالدول ذات القوميات المتعددة أقل استقرارا من الأمم ذات الجماعات العرقية المتعددة. وحيث تكون في بلد ما جماعات اجتماعية ثقافية تشعر بأنها تنتمي إلى قومية مختلفة، ولكنها مضطرة للعيش تحت سيطرة حكم أناس آخرين، تعتبر الدولة متعددة القوميات ومن الممكن أن تكون غير مستقرة أيضا. أما إذا شعر أفراد جماعة اجتماعية ثقافية في بلد ما أنهم، وفي نفس الوقت، مواطنون تابعون للأمة التي يعيشون فيها وأيضا أفراد في جماعتهم الخاصة، فإن البلد يقترب من كونه أمة ذات جماعات عرقية متعددة تقع في نهاية المتصل. والاحتمال الثالث، وهو غير شائع الحدوث بين الجماعات الاجتماعية الثقافية الصغيرة المعزولة جغرافيا، هو أنه ليس للجماعات العرقية أي اهتمام بالبلد الذي تعيش فيه، لا كمواطنيه المخلصين ولا كمعارضين تجب مقاومتهم. وإذا كانت جميع الجماعات في بلد ما، باستثناء القومية الحاكمة، من هذا النوع، فإن البلد ستكون أمة ذات جماعات عرقية متعددة.

دور اللغة في القومية وتسيير أمور الدولة

ويقودنا هذا إلى التمييز بين القومية، وهي شعور ينشأ من القوميات ويدعمها، وبين تسيير أمور الدولة أو المشاكل العملية الأخرى للحكم. وكما سنرى، فقد تتعارض متطلبات القومية وأمور الدولة فيما يخص اللغة.

ودور اللغة في تسيير أمور الدولة واضح المعالم إلى حد ما (فيشمن، ب ١٩٦٨م، ص ٧ وص ٩). فهناك مضماران رئيسان تصبح فيهما اللغة مشكلة لتسيير أمور الدولة: الإدارة العامة للحكومة والتعليم. وتتطلب عملية الحكم تواصلا بين المؤسسات الحاكمة وبين الحكومة والناس. وهذا يعني أنه يجب اختيار اللغة أو اللغات للاستخدام في الحكم. وفيما يخص تسيير أمور الدولة فإن أي لغة تقوم بالدور الأفضل تعتبر الاختيار الأمثل. ويتطلب التعليم وسيلة تعليمية (أو عدة وسائل) تقوم بنقل

المعرفة بكفاءة إلى أطفال المدارس، ومرة أخرى، وفيما يخص تسيير أمور الدولة، فإن اللغات التي تؤدي الدور بشكلٍ جيد وبأقل التكاليف هي التي سوف تُختار.(١)

ودور اللغة في القومية أكثر دقة. فاللغة، بالإضافة إلى الثقافة والدين والتاريخ، تعتبر إحدى المقومات الرئيسة للقومية. فاللغة كما أوضح فيشمن (ج ١٩٧٢م ، ص ص ٤٤ - ٥٥) تخدم كرابط بين "الماضي المجيد" والأصالة. هذه مفاهيم مجردة وعاطفية جدا، ولكن لها قوة عظيمة. فاللغة ليست فقط وسيلة نقل لتاريخ القومية، ولكنها جزء من التاريخ نفسه. أما الأصالة فإنها ميزة كبيرة للقومية إذا استطاعت أن يكون لها لغة خاصة بها. وباستخدام كلمات فيشمن "فاللغة الأم هي جانب من جوانب الروح أو جوهر القومية" (فيشمن، ج١٩٧٢، ص ٤٦).

ودور آخر تلعبه اللغة في القومية هو ما أسماه فيشمن (ج ١٩٧٢، ص ٥٢) "الهوية المتباينة" أو ما أسماه قارفن وماثيوت Garvin & Mathiot (١٩٥٦م) "بوظائف التوحيد والفصل".(٢) فببساطة تشير هذه المصطلحات إلى شعور أفراد قومية ما بأنهم يتحدون ويتماثلون مع الآخرين الذين يتحدثون نفس لغتهم، ويتباينون وينفصلون عن أولئك الذين لا يتحدثون لغتهم. وفكرتا الاتحاد والانفصال أعمق من مجرد الحقيقة الواضحة وهي أن من الصعب عليهم الاتصال بالأشخاص الذين يتحدثون لغات مختلفة. فقد يكون الفرد ذو ثنائية لغوية ويجيد اللغة الثانية، ولكنه مع ذلك يشعر بأنه "متحد" مع من يتحدثون لغته الأولى و"منفصل" عمن يتحدثون لغته الثانية.

وإذا أخذنا الأهمية الرمزية العظمى للغة بالنسبة للقومية بعين الاعتبار فمن الممكن أن يكون لدينا مؤشر نستطيع استخدامه لتقرير ما إذا كانت جماعة اجتماعية ثقافية أقرب للقومية أو للجماعة العرقية. وقد كتب فيشمن (ج١٩٧٢م، ص ٦٢)

"تعمد القوميات وبملء إرادتها إلى تقديم لغات نموذجية وأصيلة معاصرة بذاتها؛ لكي تستخدم بشكل متعمد وتعتنق بإخلاص في المكان الذي كانت تتواجد فيه فقط أنواع اجتماعية وإقليمية تستخدم لا شعوريا ويُتخلى عنها دون أدنى شعور بالأسف". وتحدث فيشمن في مقال سابق (١٩٦٨م، ص ٦) عن اللغة على أنها "رمز للهوية الثقافية – العرقية المضادة للقومية عند المجموعات الصغيرة التي تقاوم الاندماج في قومية أكبر، وتظهر وعيا قوميا محليا خاصا بها". ولذا فهناك مؤشر مفيد للتمييز بين القومية والعرقية، وهو إلى أي درجة تحافظ جماعة ما على لغتها وتدعم استخدامها، وفي مقابل ذلك إلى أي درجة هي مستعدة للتخلي عنها. وسوف نختبر هذا المؤشر عند التطرق إلى الدراسات الفردية عن البراغوي والهند.

التعددية اللغوية كمشكلة ووسيلة

المشاكل التي تواجه القومية

من الواضح أن لدى الدول ذات التعددية اللغوية مشاكل قد لا تعرفها الدول التي تقترب من الأحادية اللغوية. وعلى المستوى العملي الصرف، فالصعوبات في التواصل داخل البلد قد تقف عائقا أمام التجارة والصناعة وقد تكون ممزقة اجتماعيا. ولكن الأكثر خطرا من ذلك هو أن التعددية اللغوية تعمل ضد القومية. وبما أن الدول ذات القوميات الواحدة يحتمل أن تكون أكثر استقرارا من الدول ذات القوميات المتعددة ونظرا لأهمية اللغة بالنسبة للقومية، فإن تطوير الإحساس بالأمة أكثر صعوبة في دولة ذات تعددية لغوية منه في دولة أحادية اللغة. وتستطيع الدول ذات التعددية اللغوية التعامل مع المشكلة بأحد أمرين: إما محاولة إظهار لغة قومية وإما محاولة

إظهار قومية على أساس آخر غير اللغة.[٣] وقد سلكت معظم البلدان تاريخيا الطريق الأول. وهذا يقود مباشرة إلى مشكلة اختيار اللغة القومية وتشجيع قبولها ممن ليست هي لغتهم الأم، وغالبا تطوير اللغة نفسها حتى يتسنى لها خدمة احتياجات الدولة الحديثة. وليست كل هذه المشاكل تافهة.

المشاكل التي تواجه تسيير أمور الدولة

طالما أن المشاكل التي تحدثها اللغة لتسيير أمور الدولة عملية أكثر منها رمزية، فإن حل مشكلة تسيير أمور الدولة غالبا ما يخلق مشكلة للقومية. فعلى سبيل المثال، ومن منطلق عملي، فإن أحسن اختيار مباشر للغة الحكومة في مستعمرة حديثة الاستقلال هي اللغة القديمة للمستعمر. فالمؤسسات والسجلات الحكومية أيام المستعمر لا زالت موجودة في لغة المستعمر، كما أن هناك مواطنين لديهم خبرة كبيرة بأعمال الحكومة يعرفون تلك اللغة. ولكن لغة المستعمر القديمة هي اختيار سيئ على أساس قومي. وبالنسبة لقومية استعادت لتوها إقليمها الجغرافي الخاص بها، فإن آخر لغة تريدها كرمز وطني هي لغة الدولة التي حرمتها من حق السيطرة على أراضيها. وتبقى مع ذلك المشاكل الحالية لتسيير أمور الدولة ملحة جدا، مما يدعو عادة إلى تأجيل المتطلبات القومية في الدول الحديثة فيما يتعلق بلغة الحكومة. وأحد الحلول الذي تبنته ايرلندا هو إعلان كل من اللغة القومية ولغة السلطة المخلوعة لغاتٍ رسمية (الايرلندية والإنجليزية، على التوالي، في حالة ايرلندا)، واستخدام لغة المستعمر لأغراض تسيير أمور الدولة الحالية، بينما يجري العمل على تشجيع استخدام اللغة القومية وتطويرها.[٤] والحل الذي تبنته الهند كان مشابها لذلك، فقد أعلنت اللغة القومية المختارة (اللغة الهندية) لغةً رسمية، بينما سمحت في الواقع بإبقاء اللغة الإنجليزية لغةً ثانية في الحكومة، دون أن تمنحها اعترافا دستوريا. وقد وضع موعد

نهائي للإحلال الكامل للغة الهندية بدلا من الإنجليزية، والذي اتضح فيما بعد أنه لا يمكن الالتزام به. وبلدان أخرى، على سبيل المثال، مالي، التي لم تتخذ أي اختيار رسمي واستمرت باستخدام لغة المستعمر لشئون الحكومة، بينما يجري البحث عن حل لمشكلة اللغة القومية.

والخلاف في التعليم بين القومية وتسيير أمور الدولة هو من نوع مختلف، فمن ناحية، فإن أفضل استراتيجية للغة في التعليم هي استخدام لغات المجموعات العرقية المختلفة. وفي نهاية الأمر، فهي اللغات التي يتحدثها الأطفال الآن، وعليه يمكن البدء فورا في تعليم المواد الدراسية دون الانتظار حتى يتعلم الأطفال اللغة القومية. ولكن هناك وجهة نظر مفادها أن هذه الاستراتيجية قد تكون خطيرة على مسألة تنمية القومية. فإذا تلقى الأطفال تعليمهم بلغاتهم العرقية، فإنها قد تزيد في الأهمية وتصبح رموزا مضادة للقومية. وسنناقش الصراعات بين تسيير أمور الدولة والقومية في التعليم بتفصيل أكثر في الفصل الحادي عشر.

التأثيرات الممكن قياسها للتعددية اللغوية للمجتمع

إذا كان صحيحا أن لدى الأمم ذات التعددية اللغوية مشاكل غير موجودة في تلك ذات الأحادية اللغوية، فمن الممكن إيضاح أن البلدان ذات التعددية اللغوية غير محظوظة مقارنة بتلك ذات الأحادية اللغوية بأمور يمكن قياسها. مثلا، هل يمكن إثبات أن البلدان ذات الأحادية اللغوية أغنى اقتصاديا من البلدان ذات التعددية اللغوية؟ ولإيضاح ذلك فلا بد من وجود قياس للرخاء الاقتصادي، كما سنحتاج أيضا لقياس درجة التنوع اللغوي بطريقة ما، طالما أن هناك أمما قليلة جدا ذات أحادية لغوية كاملة ودرجات عديدة للتعددية اللغوية. بعد ذلك، فإذا كانت الأمم ذات المستوى العالي بمقياس التعددية اللغوية هي أيضا على مستوى متدن من الرخاء الاقتصادي،

فإن ذلك دليل على أثر ضار للتعددية اللغوية يمكن قياسه.

ولقد حاول العالمان فيشمن (أ ١٩٦٨م) وبول Pool (١٩٧٢م) أن يتقصيا هذا الأمر. ولقد بين كل منهما أن القيام ببحث من هذا النوع لا يتم بهذه الطريقة الواضحة تقريبا كما وصفتها. ولقد ذكر بول (١٩٧٢م، ص ٢١٥ - ٢١٨) ثلاث صعوبات، هي، أولا، ماذا نقيس وكيف نقيس؟، ثانيا، عدم ثبات المصادر الإحصائية للمعلومات، وثالثا، الاستنتاجات السببية. وقد يفكر المرء بعدد غير محدد من الطرق لقياس الرخاء الاقتصادي أو التنوع اللغوي.[٥] وأي مقياس يتم انتقاؤه سيكون تقريبيا على أحسن تقدير. ويجب أن تؤخذ الإحصائيات المتوفرة عن مختلف المقاييس المختارة من الإحصائيات الرسمية للسكان وتقارير المسح الأخرى. وغالبا ما تكون هذه المصادر مضللة ولا يمكن الاعتماد عليها، كما سنرى في هذا الفصل وفي الفصل الخامس، والأكثر خطورة هو الإدلاء باستنتاجات سببية خاطئة. فمثلا، لنفترض أنه تبين أن معظم الأشخاص الذين يفضلون رياضة البولنج كنشاط ترفيهي أكثر من التنس، يفضلون أيضا نوعا معينا من المشروبات دون آخر، فقد يحاول المرء بناء على هذه المعطيات أن يبرهن أن لعبة البولنج تسبب رغبة في المشروب الأول، بينما تسبب لعبة التنس رغبة مماثلة في تناول المشروب الثاني. أو ربما أمكن برهان أن تناول المشروب الأول يجعل الناس يشعرون بالرغبة في ممارسة لعبة البولنج، وأن أحد نتائج تناول المشروب الثاني هو الرغبة الملحة في لعب التنس! وإذا أمكن إثبات الصلة بين نوع المشروب والرياضة، والتي أعتقد أنها لا توجد على حد علمي، فإن الاحتمال الأكبر أن هناك بعض المسببات المشتركة، قل مثلا مجموعة من القيم المرتبطة بنوع معين من نمط المعيشة، هي المسئولة عن هذين النوعين من التفضيل. ويجب على المرء الحذر عند القيام باستنتاجات سببية من معطيات تلازمية، فإذا كان هناك ارتباط بين (أ) و (ب)، فمن الممكن أن (أ) سبب (ب)، أو أن (ب) سبب (أ)، أو أن هناك

عاملا ثالثا (ج) هو المسبب لكل من (أ) و (ب). حتى وإن كان (أ) سبب (ب) في النهاية فقد يكون ذلك بطريقة غير مباشرة، فـ (أ) سبب (س) الذي سبب (ص)، والذي بدوره سبب(ب).

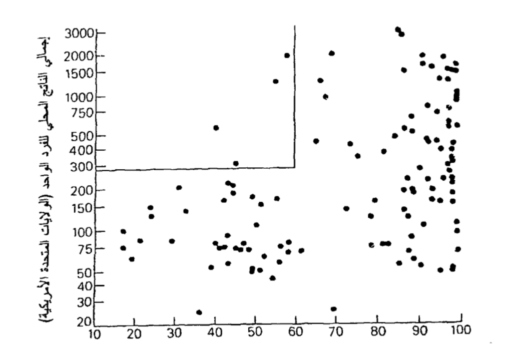
وبأخذ هذه التحذيرات في الحسبان، فمن النافع استعراض النتائج التي توصل إليها بول. اختار بول إجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد والذي يقيس قيمة الناتج الاقتصادي لبلد ما في سنة معينة مقسوما على عدد السكان في تلك البلد. واختار بول سنة ١٩٦٢م أو أقرب سنة لها استطاع الحصول على معلومات عنها. واختار عدد أفراد أكبر مجتمع للغة أو مقارنة بعدد السكان الكلي كمقياس للتعددية اللغوية للمجتمع. وبقليل من التفكير نرى بسهولة صلاحية عمل مقياس التعددية اللغوية. فلو افترضنا أن أكبر جماعة لغوية تكّون ٢٥٪ من مجموع سكان بلد ما، فإن هذا يعني أن النسبة المتبقية وهي ٧٥٪ من السكان موزعة على مجموعات ذات لغات مختلفة أكبرها أقل من ٢٥٪ من العدد الكلي. ومن جهة أخرى، إذا كانت الجماعة الكبرى تشكل ٩٠٪ من عدد السكان، فإن هذا يترك ١٠٪ فقط لجميع المجموعات اللغوية الأخرى.

واستطاع بول، بعد بحث مضنٍ وباستخدام مصادر عديدة، قياس هاتين القيمتين لـ١٣٣ بلد. ووضعت هذه القيم في شكل بياني، حيث تم وضع قيم إجمالي الناتج المحلي على المحور العمودي؛ ونسبة أكبر جماعة لغوية إلى العدد الكلي للسكان على المحور الأفقي؛ ويوضح الشكل (١, ١) هذه النتيجة.[٦] وقد عُلمّ المربع العلوي الأيسر في الشكل (١, ١) حتى يؤكد حقيقة أنه خالٍ تقريبا، مقارنة ببقية الشكل. ويبدو أن هذه التعميمات، والتي سنذكرها هنا مستخدمين كلمات بول (بول، ١٩٧٢م ، ص٢٢٢) هي حقيقية جدا تقريبا:

فقد يكون للبلد درجات متفاوتة من الوحدة أو الاختلاف اللغويين، ومع ذلك يبقى بلدا متخلفا، وقد يتراوح مستوى البلد الذي يتحدث جميع سكانه اللغة نفسها

تقريبا بين الغني جدا إلى الفقير جدا. ولكن البلد غير المتجانس لغويا بشكلٍ كبير هو دائما بلد متخلف أو شبه نام، أما البلد النامي جدا فيتحلى دوما بدرجة كبيرة من الوحدة اللغوية.

ولدى فيشمن (أ ١٩٦٨م، ص ٦٠) اعتقاد جازم بأن "الكيانات المتجانسة لغويا عادة ما تكون أكثر تطورا اقتصاديا". وعلى ضوء نقاشنا السابق، فمن المهم عدم التسرع باستنتاج أن الدرجة الكبيرة من التعددية اللغوية تعرقل النمو الاقتصادي.



الشكل رقم (١, ١). إجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد وحجم أكبر مجتمع للغة الأم لسنة ١٩٦٢م، تمثل كل نقطة أمة واحدة.

المصدر: مقتبس من بول (١٩٧٢م ص ٢٢١).

قد يكون الأمر أن الرخاء الاقتصادي يشجع على تقليل التباين اللغوي. أو أن التوحد والرخاء الاقتصادي يعزز كل منهما الآخر. كما يجب أن نتقبل احتمالية أن

يكون هناك سبب واحد لحقيقة وجود بلد واحد تجتمع فيه غالبا نسبة تعددية لغوية عالية ويكون في الوقت نفسه متخلفا اقتصاديا. فمثلا ، من الممكن الجدل بأن كلا من التباين اللغوي والتخلف الاقتصادي من مخلفات الاستعمار. بالإضافة إلى ذلك ، فمن الممكن جدا أن تكون البيانات المتوفرة رديئة النوعية ولا يمكن وضع الثقة في أي أنماط قد تنتج عنها. وسنعود لموضوع التعددية اللغوية وارتباطها بالنمو الاقتصادي مرة أخرى في الفصل الخامس كمثال على استخدام الطرق الإحصائية. ولكن ما تزال هناك علاقة أكيدة بين التوحد اللغوي والنمو الاقتصادي ، وإن لم تكن علاقة سببية.

التعددية اللغوية للمجتمع كوسيلة

سنكون مجحفين حقا لو نظرنا إلى التعددية اللغوية للمجتمع كمشكلة فقط ، ويمكن اعتبار التعددية اللغوية وسيلةً بطرق عديدة. أولا ، قد تكون التعددية اللغوية حلا مؤقتا على الأقل للصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة في السياسة اللغوية. فقد يكون استخدام كل من لغة المستعمر (لأسباب تسيير أمور الدولة) واللغة القومية (لأسباب قومية) كلغات رسمية للحكومة أحد الحلول للصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة في هذا المستوى. وفي التعليم ، قد يحل الصراع أحيانا بين استخدام لغات المجموعات العرقية كوسائل للتعليم لأسباب تسيير أمور الدولة بكفاءة ، وبين استخدام اللغة القومية بدواعي الوحدة القومية عن طريق استخدام اللغات العرقية للتعليم الأولي ويتم التحول لاحقا في المراحل المتقدمة إلى التعليم باللغة القومية. وهذه ، كما سنرى لاحقا في هذا الفصل ، السياسة الرسمية في الهند. وقد تساهم هذه السياسة في الإبقاء على لغة الجماعة العرقية بالإضافة إلى اللغة القومية. وبذلك يستمر التباين ، ولكن هذه النتيجة جزء من الحل.[٧]

وعلى المستوى الفردي ، تخدم التعددية اللغوية كوسيلة للتفاعل بالنسبة

للمتحدث ذي التعددية اللغوية. وتميل نموذجيا المجتمعات متعددة اللغات إلى إعطاء مهام مختلفة للغات المختلفة أو الأشكال المختلفة من اللغة. فمثلا، قد تستخدم عادة لغة ما كلغة المنزل مع الأصدقاء الحميمين، بينما تستخدم لغة أخرى للتعامل مع المؤسسات الحكومية. ولنأخذ مثالا أبسط، تخيل وجود صديقين يتمتعان بثنائية لغوية بنفس لغتي المنزل والحكومة، وافترض أن أحدهما أيضا موظف حكومي محلي وأن لدى صديقه عملا رسميا معه. افترض أيضا أن لدى الموظف الحكومي نصيحتين يريد تقديمهما إلى صاحبه: الأولى مبنية على وضعه الرسمي كممثل للحكومة، والأخرى مبنية على صداقتهما المتبادلة. فإذا قدم موظف الحكومة النصيحة الرسمية مستخدما لغة الحكومة، والنصيحة الأخوية باستخدام لغة المنزل، فإن هناك فرصة ضعيفة للخلط بين النصيحتين، ولن يأخذ الصديق بالنصيحة المقدمة بلغة المنزل. ولكن لو تم ذلك في وضع مماثل أحادي اللغة، فإنه من السهل فهم النصيحة الأخوية خطأً على أنها النصيحة الرسمية.

ويعطي عبد العزيز مخيلفي Abdulaziz Mkilifi (١٩٧٨) مثالا أكثر دقة عن الاستخدام اللغوي أثناء نقاش يدور بين زوجين ذوي ثنائية لغوية يتحدثان اللغتين السواحيلية والإنجليزية في تنزانيا. فالزوج يستخدم السواحيلية، بينما تجادل زوجته باللغة الإنجليزية. والتفسير الذي يعتقده عبد العزيز مخيلفي هو أن السواحيلية رمز للعلاقة التقليدية والأكثر وضوحا بين الأزواج والزوجات، بينما ترتبط الإنجليزية بأدوار أقل تقليدية وأكثر تقاربية. فالزوج باستخدامه السواحيلية، يعكس دوره التقليدي دون أن يقول كلمة واحدة بهذا الخصوص، وفي الوقت نفسه تعكس الزوجة دورها الذي يظهر خضوعا أقل فقط بمجرد اختيارها الإنجليزية.

وانظر إلى هذه الأمثلة على أنها تعني ما يقوله سوثورث Southworth (١٩٧٧م، ص ٢٢٤) المذكور في ابت Apte (١٩٧٦م ، ص ٩٢٧) حين قال: "إن

الأفراد ذوي ثنائية لغوية يظهرون وظائف لعدم التجانس اللغوي، والتي من المحتمل على الأقل أن تتجاوز الإمكانيات التعبيرية المتاحة لأصحاب اللغة الواحدة."

وبالإضافة إلى كون التعددية اللغوية حلا للصراعات حول سياسة تسيير أمور الدولة- القومية ووسيلة للتفاعل الفردي. فإنها تساهم في خلق مجتمع أكثر ديناميكية. فيمكن البرهان على أن المجتمع ذا التعددية العرقية والتعددية اللغوية المصاحبة المحتملة هو مجتمع أغنى من الأمة التي تحكمها جماعة عرقية واحدة. فتعدد أنماط الحياة والنظرات المختلفة للعالم قد تجعل من تلك الأمة مكانا أكثر إثارة وتشويقا للعيش. فالوضع الأمثل من هذا المنظور هي الأمة ذات التعددية العرقية والتي تكون فيها المجتمعات الاجتماعية الثقافية مدركة هويتها الثقافية واللغوية على المستوى المحلي، ولكنها في الوقت ذاته تعتبر نفسها جزءا من الأمة ككل. وباختصار فالأمة أقرب إلى موقع الأمة ذات التعددية العرقية في المتصل أكثر من موقع الدولة ذات القوميات المتعددة.

كيف تنشأ الأمم ذات التعددية اللغوية

من المستحيل فهم التعددية اللغوية للمجتمع بشكلٍ كامل دون فهم شيء من النماذج التاريخية التي أدت إلى وجودها. ويمكن تمييز أربعة من هذه النماذج بالرغم من أنها ليست خاصة بنمط واحد دون الآخر. فالحالات التي سوف أذكرها كأمثلة على أحد النماذج قد تؤخذ أيضا وبشكلٍ مبرر على أنها أمثلة لنموذج آخر. وبالإضافة إلى ذلك فإن أي مجتمع لا على التعيين ذي تعددية لغوية محل النقاش يكون في العادة مثالا لأكثر من نموذج من هذه النماذج التاريخية في الوقت نفسه. وهذه النماذج هي (١) الهجرة، (٢) "الإمبريالية"، (٣) الائتلاف، (٤) التعددية اللغوية في مناطق الحدود.

الهجرة

يمكن تقسيم الهجرة إلى نوعين رئيسين، ففي النوع الأول توسع جماعة كبيرة إقليمها بالتحرك إلى مناطق مجاورة مسيطرة في الوقت نفسه على مجموعات اجتماعية ثقافية أصغر كانت موجودة من قبل. وفي آخر المطاف ستعتنق بعض الشعوب الأصلية قومية الجماعة الكبيرة وتتمثلها لغويا وثقافيا بدرجات متفاوتة. بينما يحافظ الآخرون على قوميتهم الأصلية، ويشكلون بذلك عقبة في وجه الأمة المحكومة بالقومية الغالبة. فالكتلونيون في إسبانيا والبريتونز في فرنسا مثالان على القوميات غير المتماثلة كليًا. وفي الولايات المتحدة الأمريكية يمكن النظر إلى الهجرة الغربية لسلالات المستعمرين البريطانيين بعد الاستقلال على أنها مثال لهذا النوع من الهجرة، والتي ابتلعت في طريقها مختلف الثقافات الأمريكية الأصلية. وقد اندمجت بعض المجموعات الأمريكية الأصلية لغويا، إن لم يكن ثقافيا، بينما لم يندمج بعضها الآخر، وهذا مبعثه فقط أن تلك الجماعات كانت صغيرة لدرجة أن طموحاتها القومية لم تعد ملحوظة.

ويحدث النوع الآخر للهجرة عندما ينتقل عدد قليل من الأفراد من جماعة عرقية ما إلى إقليم تسيطر عليه قومية أخرى. وبالطبع يصل المهاجرون وهم يتحدثون لغاتهم الأصلية، وهذا يضيف للتعددية اللغوية للأمة المضيفة. وأفضل مثال لهذا النوع من الهجرة هي الولايات المتحدة الأمريكية التي هاجر إليها صينيون وأوروبيون في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والهجرة الأحدث من بلدان الصين الهندية، وكوريا، وكوبا، وهيتي.(٨) أمثلة أخرى تشمل الهجرة إلى بريطانيا من أمم الكومنولث، وهجرة "الضيوف العمال" إلى ألمانيا وسويسرا. وقد لاحظ لبرسون وآخرون Lieberson et al (١٩٧٥م) أن تجربة الولايات المتحدة بمجملها قد اشتملت على تماثل لغوي سريع نسبيا للمجموعات المهاجرة، بينما حافظت المجموعات الاجتماعية الثقافية التي كانت تحكمها أغلبية ساحقة من المجموعات المهاجرة، مثل

التشيكانوز، والأكاديين الفرنسيين ، وبعض مجموعات الأمريكيين الأصليين، على لغاتها لفترة أطول. ولكن هناك استثناءات لكل من هذين الاتجاهين، ومن الخطر التعميم.

الإمبريالية

الإمبريالية كلمة تحمل الكثير، وكنت أُفضّل استخدام مصطلح حيادي لما أريد التحدث عنه. ولكنني لم أستطع العثور عليه. والأنواع الفرعية التي تندرج تحت الإمبريالية هي: الاستعمار، والضم، والإمبريالية الاقتصادية. وتختلف الإمبريالية عن هجرة الجماعة الكبيرة في أمور نسبية فقط. ففي هجرة الجماعة الكبيرة تنتقل أعداد كبيرة نسبيا من الناس من قومية معينة إلى أراضٍ جغرافية مجاورة وتسيطر عليها. أما في العمليات الامبرالية فالسيطرة تتم بواسطة قلة من الناس ممن ينتمون إلى القومية المسيطرة ، والتي تأخذ مكان إقامتها فعليا في المنطقة الجديدة. فالاستعمار والضم نوعان للإمبريالية يختلفان فيما يبدو لي في ما إذا كان على الناس عبور محيط للقيام بهذه المهمة.(٩) ولقد أصبح هذان النوعان من الإمبريالية أقل شيوعا بمرور الوقت. ومثال حديث للضم هو ابتلاع الاتحاد السوفيتي لجمهوريات البلطيق (لثيوينيا، ولاتيفيا، واستونيا) بعد الحرب العالمية الثانية. ونود القول في حالة لاتيفا واستونيا إنهما حالة هجرة جماعة كبيرة ، فقد ذكر لويس (١٩٧٢ أ م) أن ٢٦٪ و ٢٠٪ بالترتيب من السكان كانوا من الروس في عام ١٩٥٩.(١٠) أما في لثيوينيا فإن نسبة الروس كانت ٨٪ فقط من مجموع السكان في عام ١٩٥٩م (لويس أ ١٩٧٢م، ص٣٣٠) وبالطبع فالاستعمار قد يمثل بأي عدد من المستعمرات السابقة لبريطانيا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وهولندا في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، والتي نالت معظمها استقلالها في هذا القرن.

وفي الإمبريالية الاقتصادية تأخذ لغة أجنبية طريقها إلى بلد ما دون أن تكون للقومية المصاحبة أي سيطرة سياسية، وجزء من سبب ذلك هي الميزة الاقتصادية المصاحبة لها (فيشمن وآخرون ، ١٩٧٧م). ومثال جيد على ذلك هو استخدام الإنجليزية في تايلاند، وهي البلد التي لم تكن مستعمرة لأي بلد يتحدث الإنجليزية، ولكنها حاولت رغم ذلك تدريس الإنجليزية لشريحة كبيرة من سكانها (أكسورنكول Aksornkool ، ١٩٨٠م).

ولجميع هذه الأشكال الثلاثة التي أسميتها الإمبريالية أثر في تقديم لغة البلدان المستعمرة للمجتمعات الأخرى. وبالرغم من حقيقة الأمر أن أناسا قليلين نسبيا من الأمة المستعمرة تختار مكان إقامتها في الأراضي المُخْضَعة، إلا أن لغتهم تصبح في نهاية المطاف ذات أهمية كبرى. وفي الضم والاستعمار، فمن المرجح أن تستخدم لغة المستعمر في الحكومة والتعليم. أما في الإمبريالية الاقتصادية، فتصبح لغة المستعمر ضرورية للتجارة والدبلوماسية الدوليين. وللضم وخاصة الاستعمار أثر إضافي على التعددية اللغوية وهو الائتلاف الإجباري.

الائتلاف

الائتلاف هو النموذج التاريخي الثالث المساهم في نشأة التعددية اللغوية. وأقصد بالائتلاف اتحاد مجموعات عرقية مختلفة، أو قوميات تحت سيطرة سياسية لدولة واحدة. وقد يكون الائتلاف إجباريا أو طوعيا. وحالات الائتلاف الاختياري نادرة، وأفضل مثال له هي سويسرا، والتي يوجد فيها اتحاد من الدول تسمى الكانتونات، والتي دخلت في الائتلاف طوعيا. وتوجد في سويسرا أربع لغات لها مكانة رسمية، هي: الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والرمانش، بالرغم من عدم وجود متحدثين عدة للرومانش. ويمكن اعتبار بلجيكا مثالا آخر على ذلك. فبلجيكا بلد تتكون من

مجموعتين لغويتين رئيستين، هما: متحدثو الفرنسية، الوالونز في الجزء الجنوبي من البلاد، والفليمش في الشمال. ويتحدث الفليمشون لغة تحمل نفس اسمهم، وهي شبيهة باللغة الهولندية. وعندما استقلت بلجيكا في عام ١٨٣٠م ، فقد كان الصفوة من الفليمش يتحدثون الفرنسية، ولم تكن في ذلك الوقت القومية الفلميشية أو لغتها الرمزية قد نشأت بعد. وفي هذا القرن زاد الشعور بالقومية الفليمشية بشكلٍ كبير مسببا قلقا كبيرا في بلجيكا (لاروين Lorwin ١٩٧٢م). وهكذا فقد مرت بلجيكا بالضغوط نفسها التي تمر بها بلدان الائتلاف الاجباري، بالرغم من أن ائتلافها تاريخيا كان غير إجباري.

الكاميرون مثال آخر للائتلاف التطوعي، ولكن فقط من حيث إنها ائتلاف بين مستعمرتين، فرنسية وبريطانية، سابقتين. وحقيقة استخدام كل من الفرنسية والإنجليزية في الكاميرون هي ناتج عن ذلك الائتلاف. وفيما يخص اللغات الأصلية في الكاميرون، فإن تعدديتها اللغوية كما هو الحال في المستعمرات السابقة ناتج عن الائتلاف الإجباري.

وأقصد بالائتلاف الإجباري قبل كل شيء أثر الاستعمار الأوروبي في أفريقيا وآسيا وإلى درجة أقل في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية . وكثير من الدول ذات التعددية اللغوية التي ائتلفت بالقوة نشأت وسقطت في أوروبا خلال التاريخ وما زالت آثار اللغوية الاجتماعية لبعضها قائمة حتى اليوم، ولكننا سنركز اهتمامنا على الحالات الأكثر حداثة للاستعمار. فقد رسمت الحدود بين المستعمرات الأوروبية بشكلٍ كبير على أسس لا علاقة لها بالروابط العرقية للشعوب المستعمرة . ونتيجة لذلك، فإن الكثير من المستعمرات قد دمجت جماعات اجتماعية ثقافية ولغوية تحت لواء إدارة واحدة ، والتي لم يكن لها حكومة واحدة قبل ذلك، والتي إن تركت بمفردها لما أصبحت جزءا من أمة واحدة مطلقا. والنتيجة الواقعية هي ائتلاف

مجموعات اجتماعية ثقافية عديدة ليس لها رأي في هذه المسألة. وعندما تنال المستعمرة السابقة استقلالها فإن الدولة الجديدة تبقى دولة ائتلافية. وأحيانا قد تحاول القومية الموحدة إجباريا الانسحاب من هذا الائتلاف، كما حاولت بيفرا الانفصال عن نيجيريا، وكتنقا عن زائير، وبنجلاديش عن باكستان، ولم تنجح في الانفصال إلا بنجلاديش. ولذا تصبح مهمة الأمة الجديدة تطوير المجتمع الذي يعد أمة ذات تعددية عرقية أكثر من كونه دولة ذات تعددية قومية. وتنعكس هذه الضرورة في السياسة اللغوية. ولذا فمعظم المستعمرات الأوروبية السابقة هي أمثلة للإمبريالية والائتلاف الإجباري.

المناطق الحدودية

ويتعلق المنشأ التاريخي الرابع للتعددية اللغوية بالمناطق الحدودية. ولا بد لكل دولة أن يكون لها حدود جغرافية محددة بشكلٍ منطقي حتى تتمكن مثلا من معرفة ممّن تستطيع جباية الضرائب، وما هي المناطق الملتزمة بالدفاع عنها عسكريا، وأين يكون من واجبها تقديم الخدمات الحكومية. ولكن لا تختار دائما المجموعات الاجتماعية الثقافية أماكن إقامتها من أجل تسهيل عملية رسم الحدود السياسية. ونتيجة لذلك نجد في مناطق عديدة قريبة من الحدود بين البلدان مواطنين للدولة الأولى، ولكنهم أفراد لجماعة اجتماعية ثقافية موجودة في الدولة الأخرى. ومثال من بين العديد من الأمثلة لهذه الظاهرة، هو وجود متحدثين للفرنسية في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية الذين يعيشون في الولايات المتحدة، ولكنهم أقرب عرقيا للمواطنين الكنديين في مقاطعة كويبك.

وترتبط إحدى التعقيدات المتعلقة بالمناطق الحدودية بغنائم الحرب. فالأمة التي تخسر الحرب غالبا ما تجبر على التخلي عن أراضٍ للبلدان المجاورة المنتصرة. وتكون

هذه المناطق أحيانا لجماعات عرقية متعددة أو قوميات متعددة، والتي تتنازع عليها البلدان المجاورة لزمن طويل، قبل أن ينتهي بها المطاف لتكون جزءا من أي بلد كان فائزاً في أحدث حرب. ومثال على ذلك الألزاس واللورين. فهاتان المنطقتان يسكنهما متحدثون لأشكال من الألمانية والفرنسية، حيث كانت هاتان المنطقتان جزأين من ألمانيا وفرنسا خلال تاريخهما. والآن فإن الألزاس واللورين جزء من فرنسا، إلا أن السكان الذين يتكلمون الألمانية يساهمون في خلق التعددية اللغوية في ذلك البلد.

وهناك حالة أمريكية من الممكن النظر إليها من خلال منظور أي من النماذج الأربعة، وهذه الحالة هي حيازة الولايات المتحدة أراضيَ شاسعة في الجنوب الغربي منها عن طريق تنازل المكسيك عنها في أعقاب الحرب المكسيكية الأمريكية في عام ١٨٤٨م. ويمكن أخذ هذا مثالا على تحويل منطقة حدودية ذات تعددية عرقية كنتيجة للحرب. أو أنه من السهل البرهان على أنها في الواقع حالة من نموذج الضم الإمبريالي من جانب الولايات المتحدة. كما يمكن اعتبارها حالة هجرة جماعة كبيرة إذا ما نظرنا إلى أن المصالح الأمريكية في المنطقة جاءت نتيجة لانتقال الأمريكيين للعيش فيها. أما فيما يخص المجموعات المختلفة من الأمريكيين الأصليين في الجنوب الغربي فإنها حالة ائتلاف إجباري. وأوضح هنا هذا الغموض لتأكيد حقيقة الأمر، وهي أنه لا يجب النظر إلى النماذج التاريخية الأربعة على أنها فئات صارمة، بحيث يصبح كل مجتمع متعدد اللغات مثالا على نموذج واحد فقط دون غيره من بقية النماذج. ولكنها في المقابل خيوط متشابكة تاريخيا يصعب التمييز فيما بينها، كما هو الحال في نموذجي الضم والهجرة الجماعية الكبيرة. بالإضافة إلى ما سبق، فإن اثنين أو أكثر من هذه الخيوط المتشابكة عادة ما تتقارب في تاريخ بعض المجتمعات الخاصة أو البلدان المعينة.

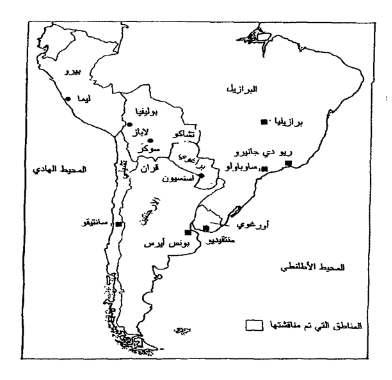
وبعد تقديم ما سبق من نقاش كخلفية للموضوع، فإننا سننظر الآن إلى براغوي والهند كمثالين على الكيانات ذات التعددية اللغوية.

براغوي

لمحة خلفية

براغوي بلد لا يطل على بحار، يقع في وسط أمريكا الجنوبية (انظر الخريطة رقم ١و١). ولبراغوي تاريخ ذو صبغات مختلفة، يشمل الاستعمار الأوروبي ودرجات متفاوتة من الاستقلال عن إسبانيا وبلدان أمريكا الجنوبية المجاورة، وحروب مدمرة مع جيرانها. ومثل جميع البلدان الواقعة في النصف الغربي من الكرة الأرضية، فإن جزءا من التعددية اللغوية في براغوي مرجعه إلى الاستعمار، والائتلاف الإجباري للسكان الأصليين. ولكن هناك فرقا في حالة براغوي يجعلها متميزة عن باقي البلدان في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وربما عن بقية بلدان العالم. فقد بدأ المستعمرون الإسبان وسلالاتهم في بداية القرن السادس عشر الميلادي بتبني إحدى لغات الأمريكيين الأصليين واستخدامها، وهي قوارني. وكانت النتيجة أنه في عام ١٩٥٠ م كانت نسبة سكان براغوي ممن يتحدثون قوارني نحو ٩٥٪ ، وهذه النسبة أكبر بكثير ممن ادعوا أنهم يعرفون الإسبانية (رونا Rona ، ١٩٦٦م، روبين Rubin، ١٩٧٨م). ولا يوجد في أي بلد من العالم الجديد أن تبنت لغة أصلية بهذا الشكل.

إذا فأهم أمر لغوي في براغوي يشمل العلاقة بين قوارني والإسبانية، ولكن هناك مصدرين آخرين ثانويين للتباين اللغوي في براغوي، أولهما هجرة الجماعة الصغيرة، وهذا في الأغلب يقصد به المينونايتز الذين أسسوا مستعمرات تتمتع بحكم شبه ذاتي في النصف الغربي من البلاد، بالإضافة إلى مهاجرين آخرين من الألمان والسلافيكيين واليابانيين. أما المصدر الآخر فهو نتيجة للائتلاف الإجباري لمجموعات اجتماعية ثقافية غير مندمجة من السكان الأصليين والذين مثل المنيونايتز، يعيشون بشكلٍ كبير في منطقة تشاكو الغربية (كلين وستارك Klein & Stark، ١٩٧٧م). وسنقول المزيد عن لغات الهنود في تشاكو فيما بعد.



الخريطة رقم (١, ١). براغوي، وتظهر منطقة هنود تشاكو.

أنماط الثنائية اللغوية

تستخدم الإسبانية في براغوي لغة للحكومة. وحتى عهد قريب جدا كانت هي اللغة الوحيدة المستخدمة في التعليم في مدارس الدولة. ويدعي أغلبية السكان في المناطق الحضرية أنهم يعرفون الإسبانية أساسا كلغة ثانية. وطبقا لبيانات الإحصاء السكاني في عام ١٩٥٠م والذي أورده رونا Rona (١٩٦٦م ، ص ٢٨٤)، فإن ٨٩,١٪ من سكان العاصمة اسانسيون يعرفون الإسبانية. وكان جزء كبير منهم (٧٦,١٪ من سكان المدينة) ذا ثنائية لغوية، هي: الإسبانية وقوارني.[١١] وتختلف الصورة تماما في المناطق الريفية. فقد أشارت بيانات الإحصاء السكاني خارج العاصمة أن ٤٥,٨٪ قد ذكروا أنهم لا يعرفون إلا لغة قوارني، بينما بين ٤٩,٥٪ أنهم ذوو ثنائية لغوية.[١٢] لكن رونا يعتقد أن نسبة أحادي اللغة مبالغ فيها حتى بتلك النسبة المذكورة. فقد ذكر أن وسائل النقل والاتصال في براغوي في عام ١٩٥٠م كانت رديئة جدا، والنتيجة الحتمية لذلك هي أن بعض المناطق المعزولة لم يتم الوصول إليها،

وهذه هي المناطق التي يتحدث فيها السكان قوارني فقط. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن معظم سكان المناطق الريفية الذين أخبروا موظفي الإحصاء السكاني أنهم يعرفون الإسبانية هم في الواقع لا يعرفون أكثر من بضع كلمات منها.

وبأخذ هذين العاملين في الحسبان، فقد قدر رونا أن أقل من نصف مجموع السكان في براغوي يعرفون الإسبانية حقا، وأن أقل من ٤٠٪ هم بالفعل ذوو ثنائية لغوية. وفي المناطق الريفية فإن معرفة الإسبانية وثنائية اللغة ستكون أقل من ذلك بكثير. وباستثناء اسانسيون فإن بيانات الإحصاء السكاني في براغوي تعطى فقط بالمقاطعة (تقابل تقريبا الولايات في أمريكا). وتشمل المقاطعات كلا من المناطق الريفية والحضرية، وكما هو معلوم فإن معرفة الإسبانية شائعة في الحضر أكثر منها في الريف. وباستخدام بيانات من مقاطعة كاقوزو، والتي تشتمل على بلدتين رئيستين، فقد قدر رونا (١٩٦٦م، ص ٢٨٥) أنه إذا كان ٦٠٪ من البلدتين يتحدثون الإسبانية (مقارنة بما يزيد على ٨٩٪ في اسانسيون) فلن يكون هناك أحد يتحدث الإسبانية في المناطق الريفية في تلك المقاطعة. ويبدو أن تقدير رونا صحيح. فقد أورد روبن (١٩٧٨، ص ١٨٩) أن نسبة أحادية اللغة بلغة قوارني الموردة خارج اسانسيون قد ارتفعت من ٤٥,٨٪ في الإحصاء السكاني عام ١٩٥٩م إلى ما يزيد على ٥٢٪ في إحصاء عام ١٩٦٢م. وهذا يفترض أن مناطق معزولة أكثر قد شملها إحصاء عام ١٩٦٢م.[١٣] والصورة اللغوية التي نحصل عليها لبراغوي هي أنها أمة يوجد فيها القليل ممن يتحدثون الإسبانية فقط، ومعرفة شبه عامة بلغة قوارني، وثنائية لغة بين اللغتين كبيرة في المناطق الحضرية وخاصة العاصمة، وأحادية لغة بلغة قوارني في المناطق الريفية.

المواقف اللغوية

شعور الناس تجاه اللغتين الرئيستين عامل مهم في براغوي. ولكن اتضح أن

الشعور متناقض. فمن جهة تقوم لغة قوارني بوظائف التوحيد والفصل التي ذكرها قارفن وماثيوت (وهي وظائف "الهوية المتباينة" نفسها عند فيشمن)، وفي الواقع فقد كانت قوارني هي اللغة التي استخدماها لشرح هاتين الوظيفتين (قارفن وماثيوت، ١٩٥٦م، وروبنا ١٩٦٦ : ص ٢٨٦). ويبدو أن الشعور السائد هو أن من لا يعرف قوارني ليس من مواطني براغوي الحقيقيين (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٢). وهذا يعني إبعاد مهاجري المجموعات الصغيرة ، ومن لم يندمج مع المجتمع من الهنود، ومن يتحدثون الإسبانية فقط. ويعتقد البراغويون أن قوارني قادرة بشكل خاص على التعبير عن الأفكار المجردة وأنها لغة عظيمة (رونا ، ١٩٦٦م، ص٢٨٧-٨). ومن جهة أخرى، يعتقد البراغويون ممن يعيشون في المناطق الحضرية أن براغوي لن تتقدم حتى تصبح المعرفة بالإسبانية أكثر شيوعا. ويترفع الأفراد ذوو الثنائية اللغوية على من لا يعرفون إلا لغة قوارني الذين يرون أنفسهم أغبياء؛ لأنهم لا يتحدثون الإسبانية (روبين، ١٩٧٨م، ص ٤٧٩). ولدى غالبية البراغويين شعور مزعج بأن اللغة القورانية غير جديرة بالاحترام تماما لمجرد كونها لغة هندية. ولدى معظم البراغويين إحساس عميق بالحب للغتهم، لأنهم يريدون أن يكونوا فخورين بها ، وهم في الواقع كذلك. ولكن هناك شعور خفي بالقلق من ذلك وإحساس بأن الإسبانية هي حقا لغة أفضل وأكثر روعة.

وفيما يخص المنزلة الاجتماعية للغتين، فإن هذه الأحاسيس تجاههما تتفاعل بطريقة معقدة. وببساطة فقوارني مطلب سابق لأن يكون المرء براغويا أصيلا ، ولكنها لا تحمل أي منزلة خاصة داخل الأمة. وتستخدم الإسبانية للوظائف العليا في المجتمع ، ولذا فهي تعطي منزلة اجتماعية راقية لمن يتحدثها بالإضافة إلى لغة قوارني. "أما من يتحدثون الإسبانية فقط، فليس لهم أي مرتبة اجتماعية على الإطلاق" (رونا، ١٩٦٦م ، ص ٢٨٦).

الصراعات بين القومية وتسيير أمور الدولة في الحكومة والتعليم

لم يكن هناك اعتراف رسمي بأي لغة إلا الإسبانية حتى عام ١٩٦٧م. وفي عام ١٩٦٧م عُدِّل الدستور لُيعترف بكلٍ من الإسبانية وقوارني كلغات قومية، والإسبانية فقط كلغة رسمية (روبن، ١٩٧٨ م، ص ١٩١). ويبدو أن الغلبة في اختيار لغة الحكومة كانت للاهتمامات بتسيير أمور الدولة. وقد بقيت لغة المستعمر في مكانها فيما يخص هذه الوظيفة. ومن الواضح أنه لا يمكن استخدام قوارني، وهي الرمز اللغوي للقومية، كلغة رسمية للحكومة بسبب النقص في تطور مفرداتها التقنية (أعطى رونا ١٩٦٦ أدلة على ذلك). ومهما يكن فقد استقلت براغوي عن إسبانيا منذ ما يقارب المائة وخمسين عاما، ولا ينظر لاستخدام الإسبانية على أنه تهديد للقومية، ولا تبدو هناك أي رغبة ملحّة لتبني قوارني كلغة رسمية للحكومة. ويبدو أن براغوي مثال تقليدي لقيمة حل التعددية اللغوية للصراعات بين القومية وتسيير أمور الدولة، فقوارني يمكن أن تفيد كلغة قومية (طبقا لمفهوم فيشمن) بينما سمح للإسبانية بخدمة أهداف الدولة.

ومن غير الواضح بشكلٍ مباشر سبب وجود صراع بين القومية و تسيير أمور الدولة فيما يخص حقل التعليم. ومن الوهلة الأولى يبدو أن قوارني هي الخيار الأمثل كلغة تعليم في كلا الصعيدين. فاستخدام قوارني كلغة تعليم سيقوي القيمة الرمزية للغة القومية، وبذا يخدم أهداف القومية. وبما أن نحو ٩٥٪ من السكان يتحدثون قوارني بينما يتحدث أقل من نصفهم الإسبانية، فيبدو أن مهمة تعليم الأطفال ستسير بشكلٍ أفضل لو استخدمت قوارني كلغة للتعليم. أما واقع الأمر فإن الإسبانية كانت دائما اللغة الوحيدة للتعليم في براغوي، ولم يكن من المسموح إطلاقا استخدام قوارني في الصفوف الدراسية حتى عام ١٩٧٣م (روبن ١٩٧٨، ص ١٩١). فقد كان الأطفال يجبرون على عدم استخدام قوارني، ليس فقط في الصفوف الدراسية ولكن

أيضا في الملاعب، وأحيانا يكون الجلد هو العقاب لمن يخالف ذلك (روبن أ ١٩٦٨م، ص ٤٨٠، ١٩٧٨، ص ص ١٩٠-١٩١). وقد رسم روبن صورة متجهمة لأثر هذه السياسة وخاصة في المناطق الريفية، تمثل بعض منها في اكتساب بطئ وغير جيد للإسبانية، ومعدل كبير لعدم إكمال التعليم، وعدد مذهل من الطلاب ممن يرسبون ويعيدون السنة الدراسية.(١٤)

وإذا كانت الاعتبارات القومية تفرض استخدام قوارني والاهتمامات العملية لتسيير أمور الدولة لم تُحقَّق باستخدام الإسبانية كلغة للتعليم، فلماذا استمرت سياسية التعليم باللغة الإسبانية فقط؟ وحقا فلماذا استخدمت منذ البداية؟ وحتى نجيب على هذه التساؤلات دعنا نأخذ الاعتبارات القومية والمتعلقة بأمور الدولة كلا على حدة. فيما يتعلق بالاهتمامات القومية، فقوراني لم تكن ولن تكون بحاجة إلى دعم من النظام التعليمي كلغة قومية، فقد أسِّست بشكلٍ راسخ كلغة قومية فريدة حتى قبل الاستقلال. ومسألة استخدام نظام التعليم لتعليم الناس لغتهم القومية لم تكن ببساطة موضع نقاش. وعلى صعيد تسيير أمور الدولة، وعلى الرغم من أنه يبدو أن الأطفال سيتعلمون بشكلٍ أفضل إذا استخدم المدرسون لغة يستطيعون فهمها، وعلى الرغم من أن تجربة براغوي بينت أن استخدام الإسبانية كلغة تعليمية لم يكن عمليا، فإن الأمر لم يؤخذ بهذا الشكل. فقوارني ببساطة لم ينظر إليها ولا ينظر إليها الآن بدرجة كبيرة على أنها لغة مناسبة للمهمة النبيلة المتمثلة بتعليم أطفال الأمة. وعلى المستوى العملي ، فهناك نقص في المادة التعليمية المكتوبة بالقوارني، وفي المدرسين القادرين على استخدامها.

ونخلص إلى أن قوارني لم تستخدم كلغة تعليم في براغوي؛ لأنها لم تكن محتاجة لدعم نظام التعليم في وظيفتها القومية، ولم ينظر إليها كلغة مناسبة لهدف تسيير أمور الدولة المتمثل بتعليم فعال. ومن هذا المنظور، وهو على العكس تماما مما

ورد في مناقشتنا السابقة ، فإن الإسبانية هي الاختيار الواضح كلغة تعليم.

وهذه ليست كل الحكاية، فمن الممكن القول بأن قوارني لم تطور بشكلٍ كاف للتعليم العالي أو حتى الثانوي (وإذا كانت أم لم تكن ، فمن المستبعد أن البراغويين يعتقدون أنها كذلك). ولكن ربما من الممكن إقناع البراغويين أن من الأفضل استخدام قوارني للتعليم الابتدائي، وفي نفس الوقت تعليم الإسبانية كلغة ثانية، وبعد ذلك يُتَحول إلى الإسبانية كلغة تعليم. وقد اتخذت الحكومة بعض الإجراءات في هذا الاتجاه. ففي عام ١٩٧٣م بدأت وزارة التربية باستخدام منهج جديد يسمح باستخدام قوارني، ويشجع على استخدامها في التعليم الابتدائي، طريقة لتسهيل الانتقال لاستخدام الإسبانية (روبن، ١٩٧٨م، ص ١٩١-٢). ولقد اتخذت بعض الخطوات الملموسة في سبيل تنفيذ نهج التعليم ثنائي اللغة، ولقد أوضح روبن بعض الأمور الواجب نقاشها إذا ما أريد للبرنامج النجاح، ولكن الاستخدام الأولي لقوارني لا يضر بالأهداف القومية. وإذا ثبت أن استخدامها عملي من وجهة نظر تسيير أمور الدولة، فإن الوضع في براغوي سيسير إلى الأفضل.

هنود تشاكو[١٥]

سيكون من الممتع والمفيد، النظر عن كثب إلى التعددية اللغوية الثانوية في براغوي، والتي كانت نتيجة الائتلاف الإجباري. ومن الممكن النظر إلى براغوي على أنها تتكون من جزأين رئيسين، هما: الجزء الشرقي ويعرف بالشرق؛ والجزء الغربي ويعرف بالتشاكو (انظر خريطة١,١). فالتشاكو منطقة غير كثيفة السكان، فهي تشغل ٦٠٪ من المساحة الجغرافية للأمة، ولكن يسكنها نحو ٣٪ من سكان براغوي (كلين وستارك، ١٩٧٧م). والتشاكو موطن معظم الجماعات العرقية من الهنود البراغويين غير المندمجين. ولاحظ كلين وستارك وجود ١٣ لغة في خمس مجموعات لغوية

يتحدثها نحو ٢٤,٠٠٠ نسمة. وهذا يعني أن عددا كبيرا من اللغات يتحدثها قليل من الناس، وصحيح أن هناك درجة كبيرة من التباين اللغوي بين هنود التشاكو. ومن جهة أخرى، فبعض هذه اللغات مرتبطة ببعضها بشكلٍ كبير، ومن الممكن لمتحدثي اللغات الأخرى فهمها بدرجات متفاوتة. واللغات الخمس من عائلة ماسكوي يفهمها متحدثو هذه اللغات فيما بينهم إلى حد ما، وجميعها يسميها متحدثوها بالإنلهت أو الإننلهت.

وعموما فقد أجبر الهنود على التخلي عن اقتصادهم التقليدي، والمعتمد على صيد الأسماك، والصيد، وقطف الثمار، ومحاولة العثور على أماكن لهم في الاقتصاد الوطني لبراغوي. وقد كان بعضهم قادرا على المساهمة في كلا النظامين، وذلك بصيد الحيوانات البرية وبيع جلدها، ولكن هذا العمل تلاشى بسبب النمو الزراعي في تشاكو والقوانين الجديدة التي تحظر بيع جلود الحيوانات البرية. أما بعضهم الآخر، فقد عمل لأجيال في مصانع تصنيع المواد الكيماوية لمعالجة الجلود، ولكن هذه الصناعة قد تلاشت أيضا نتيجة للسبب نفسه. وأما الفرص المتبقية للعمل فتشمل في معظمها الاستخدام في المزارع كعمال زراعيين، وفي الأعمال الزراعية، وخاصة في مستعمرات ميونايتز شبه المستقلة ذاتيا في وسط تشاكو (شيء غريب أن نسبة كبيرة من الهنود يعملون عند الميونايتز)، وفي القواعد العسكرية. ويعيش بعض الهنود في مناطق تديرها جماعات تبشيرية نصرانية مختلفة، يقوم بعضهم بتعليم الهنود الأساليب الزراعية آملين أن يتمكنوا من تحقيق الاكتفاء الذاتي.

وتختلف الممارسة اللغوية بين هذه المجموعات الاجتماعية الثقافية بشكلٍ كبير، فمنهم من أبقى بنسبة١٠٠٪ على لغة قبيلته، وتحول آخرون عنها تماما. ويعتمد مصير أي من هذه اللغات بشكل كبير على تاريخ متحدثيها الحديث وعلى قيمهم الثقافية. ومناقشة مقتضبة لمجموعتين من الهنود، هما الأنجاتي والتشولوبي، ستوضح هذه

النقطة.

يتحدث الأنجاتي واحدة من أشكال الماسكوي ، وقد عمل بعضهم ولأجيال في مصانع الكيماويات والتي وظفت أيضا هنودا آخرين يتحدثون أشكالا أخرى من الماسكوي. ونتيجة لذلك فقد حدث العديد من التزاوج بين هذه المجموعات . وبالرغم من أن هذه اللغات المختلفة مفهومة نوعا ما لهم، إلا أن الأزواج والزوجات ممن يتحدثون لغات مختلفة يستخدم قوارني فيما بينهم ومع أطفالهم. ويعمل البعض الآخر من الأنجاتي في مرابي الماشية أو في مزارع الميونايتز، ومثل عمال المصانع فإنهم يعتبرون قوارني لغة ذات منزلة رفيعة، ولذا فهم إما أن يتحدثوها مع أطفالهم وإما أن يشجعوهم على تعلمها من البراغويين الآخرين. ولم يحافظ على الأنجاتي كلغة تستخدم في المنزل إلا جماعة تكونت من ٢٥٠ فردا كانت تعيش في موقع إحدى الجماعات التبشيرية حيث كانوا يتعلمون الأساليب الزراعية، وباستثناء هذه الجماعة، فإنه يبدو أن الأنجاتي سوف يتحولون من استخدام لغتهم إلى استخدام قوارني بشكلٍ تام في غضون جيلين.

ويتحدث التشولوبي إحدى لغات مجموعة الماتاقويو، ويعتبرون أكثر جماعة عرقية تعتز بلغتها وثقافتها في تشاكو. وبالرغم من أن بعضهم قد أجبر على تعلم الإسبانية أو قوارني لأسباب التوظيف، إلا أنهم لا يتعلمونها بشكلٍ جيد ولا يخلطونها بلغتهم القبلية. وعلى العكس من الأنجاتي، فإن اللغة المستخدمة في المنزل هي دائما التشولوبي. وبمقارنتهم مع الأنجاتي، فإن هنود التشولوبي يبذلون جهدا كبيرا في فهم متحدث من إحدى لغات الماتاقويو الأخرى، دون أن يلجأوا لاستخدام قوارني كلغة اتصال. وهذا هو الواقع بالرغم من أن لغات الماتاقويو أقل شبها فيما بينها من لغات الماسكو. وفي مناطق عديدة، حيث يعيش التشولوبي، هناك برامج تعليمية ثنائية اللغة بالتشولوبي والإسبانية، وفي بعضها تستخدم مواد تعليمية طورها

الهنود أنفسهم. وفي فيلادلفيا، وهي إحدى البلدات الموجودة في المينونايت، يقوم الميونايتز بإدارة محطة إذاعية تبث بعض البرامج باللغات الهندية. وقد طلب التشولوبي إزالة جميع الكلمات المقترضة من الإسبانية من النشرات الإجبارية المذاعة بالتشولوبي، بحيث لا تسمع إلا لغة تشولوبية خالصة. ومن السهل تخمين أن التشولوبي سيبقون على لغتهم في المستقبل القريب.

ذكرت سابقا إمكانية استخدام عبارات فيمشن عن الإبقاء والتحول اللغويين أو المناصرة كمؤشر على ما إذا كانت الجماعة الاجتماعية الثقافية عرقية أكثر منها قومية. تذكر أن فيمشن ذكر أن القوميات تهتم شعوريا باستخدام ودعم وأصالة لغاتها. وهذا النمط يقابل الاستخدام اللاشعوري للغات والتخلي عنها دون اكتراث من قبل مجموعات عرقية ليست قوميات لمجموعات صغيرة. والنمط الأول ينطبق على التشولوبي. فهم يستخدمون بشكلٍ شعوري لغتهم الأصلية كلما أمكن ذلك، ويعلمونها أطفالهم في المنزل، ويدعمونها من خلال مشاركتهم النشطة في برامج التعليم ثنائي اللغة، كما أنهم يصونون أصالتها برفض استخدام كلمات مقترضة من الإسبانية أو قوارني. وعلى هذه المحّكات فهم مؤهلون ليكونوا قومية فرعية.

ومن جانب آخر، يبدو أن الأنجاتي ينظرون إلى لغاتهم على أنها ليست أكثر من أداة اتصال، وبمجرد أن يجدوا أن الأداة غير فعالة، حتى وإن كان المتحدث إليه يتحدث اللغة نفسها، فسيتخلى عنها دون اكتراث لصالح أداة أفضل، وهي لغة قوارني. فالأنجاتي على محك اللغة كرمز تعتبر جماعة عرقية وليست قومية.

وأخيرا، يجب علينا أن نذكر ولو باختصار عائلة التوبي-قوارني. فقد ميز كلين وستارك (١٩٧٧م) بين اثنتين منها، ويسميها متحدثوها قوارنيتي. وكلتاهما مرتبطة باللغة القومية، القوارني، وتسمى إحداهما أحيانا "بالقوارني القبلية"، وتختلف عن "قوارني البراغويية"، وهي اللغة القومية. واللغات القبلية شبيهة جدا لغويا باللغة

القومية، وقد تكون أشكالا أكثر محافظة من اللغة الأم. وبسبب التشابه اللغوي، فإن كل متحدثي التوبي – قوارني يتحولون سريعا للغة القومية. وإن كان مرجع ذلك التحول بشكلٍ كبير إلى القيم الثقافية.

هل براغوي أمة ذات تعددية عرقية، أو دولة ذات تعددية قومية؟

من الواضح أن براغوي تميل أكثر لأن تكون أمة ذات تعددية عرقية. فلها لغة قومية تتحدثها الغالبية العظمى من مواطنيها. وتؤدي قوارني الوظائف الرمزية للغة القومية، وخصوصا وظيفتي التوحيد والفصل. أما الإسبانية فتقوم بوظائف تسيير أمور الدولة، دون أن يكون لها خطر يهدد القومية. ومن الممكن أن تقوم قوارني جزئيا بإحدى وظائف تسيير أمور الدولة، وهي لغة التعليم، وهذا يضيف مزيدا من القوة للغة القومية. وقد تحسن علاوة على ذلك التعليم الأساسي. ولا تعتبر المجموعات المهاجرة مواطنين حقيقيين لبراغوي، ولا ينظر إليهم على أنهم خطر يهدد وحدة الأمة. ويتكون السكان الأصليون من كل من الجماعات العرقية كالإنمائي والقوميات الفرعية مثل التشولوبي. ولكن حتى الجماعات ذات الحس القومي الناشئ صغيرة جدا للدرجة أنها لا تشكل خطرا حقيقيا على الوحدة (مثلا، هناك فقط ٥٠٠٠ فرد من التشولوبي). وليس هناك أي شك في أن براغوي من بين الدول القومية الأصلية في العالم.

الهند

لمحة خلفية

الهند، أو عملاق علم اللغة الاجتماعي، واحدة من أكثر بلدان العالم في التعددية

اللغوية.[١٦] فلا أحد يعلم على وجه التحديد كم لغة تتحدث داخل حدودها، ولكن عددها يبلغ بضع مئات. فقد ذكر خوبتشانداني Khubchandani أن هناك "نحو ٢٠٠ لغة مصنفة" (١٩٧٨م، ص٥٥٣). أما قرايمز Grimes فقد أدرج ٣١٢ لغة في الهند (١٩٧٨م، ص ٢٦٦). وقد ذكر لي بيج Le Page ما مجموعه ٨٤٤ لغة، من بينها ٦٣ لغة "غير هندية". وقد ورد في الإحصاء السكاني الذي تم في عام ١٩٦١م ما مجموعه ١٦٥٢ "لغة ولهجة" (أبت Apte، ١٩٧٦م، ص ١٤١). ولكن هذا الرقم كبير جدا بشكلٍ غير معقول، ويعود السبب الرئيس لذلك إلى أنه شمل مئات من اللغات الأصلية التي يتحدثها أفراد قليلون جدا (كان هناك ٢١٠ لغة يتحدثها فرد واحد أو فردان فقط)، والسبب أيضا أن بعض اللغات قد أُدرجت أكثر من مرة تحت أسماء مختلفة قليلا(أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٢). ولكن العدد الحقيقي بكل تأكيد كبير جدا.

وكمستعمرة بريطانية نالت استقلالها عام ١٩٤٧م، فنمط التعددية اللغوية في الهند اليوم مبعثه بشكلٍ رئيس إلى الآثار المعتادة للاستعمار والائتلاف الإجباري. وبالطبع فقد كان هناك تاريخ طويل من التعددية اللغوية في الهند حتى قبل أن تكون مستعمرة بريطانية.[١٧] ومهما تكن التنظيمات السياسية التي قد تنشأ، لو لم يكن هناك تدخل أوروبي، فليس هناك شك أنه سوف تنشأ قوميات وجماعات عرقية يحكمها آخرون. وقد يكون صحيحا أن من الممكن تجنب العديد من الصراعات الاجتماعية والسياسية التي واجهتها الهند بما فيها الصراع اللغوي، لو لم تكن مستعمرة.

وبالطبع فليس لمئات اللغات في الهند المنزلة نفسها. فقد اختيرت لغة الهندي، كما سنرى، كلغة قومية، وقد نص الدستور على ذلك. أما الإنجليزية فلم يرد ذكرها في الدستور، ولكنها في الواقع تستخدم كلغة حكومة على المستوى الاتحادي (الفيدرالي) وفي بعض الولايات. ولقد ورد في الملحق الثامن، وهو فقرة في الدستور

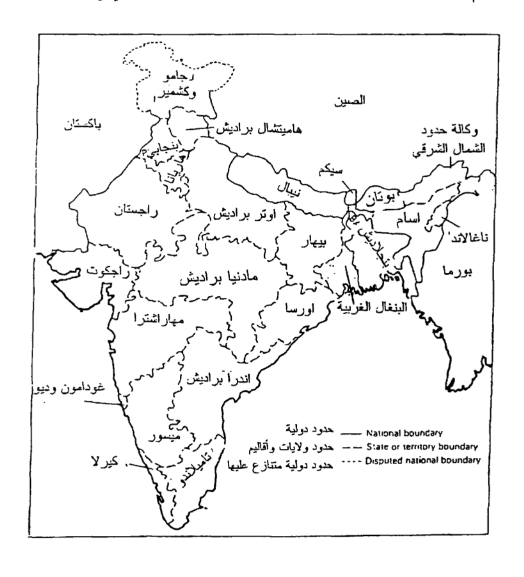
الهندي، أن لغات الهند هي ١٤ لغة (لي بيج، ١٩٦٤م ، ص ٥٣). وتنقسم الهند لغويا إلى عائلتين لغويتين رئيستين، هما: اللغات الهندية الآرية في الشمال، واللغات الدرافيدية في الجنوب؛ بالرغم من وجود بعض اللغات تنتمي إلى أي من هاتين العائلتين اللغويتين. ومن اللغات المدرجة في الملحق الثامن عشر لغات هندو - آرية (هي: أسامس، وبنغالي، وجوجرتي، وهندي، وكشميري، وماراثي، وأوريا، وبنجابي، وسنسكريت، والأردو). أما اللغات الأربع الباقية فهي لغات درافيدية (هي كانادا، ومالايام، وتاميل، وتلغو). واللغات المدرجة في الملحق الثامن تغطي ما يقارب ٩٠٪ من سكان الهند. وفي الإحصاء السكاني لعام ١٩٧١م، تبين أن كل لغة من اللغات الأربعة عشرة يتحدثها عشرة ملايين نسمة أو أكثر باستثناء أسامس (٨.٩٥ مليون نسمة)، كشميري (٢.٤٢ مليون نسمة)، وسنسكريت (أبت ، ١٩٧٦م ، ص ١٥٩). والسنسكريتية لغة قديمة علاقتها باللغات الهندية –الآرية تشبه العلاقة بين اللغة اللاتينية واللغات الرومانسية. وبالرغم من أنها غالبا ما تعتبر لغة ميتة ، إلا أن ٢٥٤٤ فردا ذكروا أنها لغتهم الأم في إحصاء عام ١٩٧١م.[١٨] وعلى أية حال، فهي مضمنة في الملحق الثامن بسبب أهميتها الدينية والثقافية لغالبية سكان الهند وليس بسبب عدد متحدثيها.

وبالإضافة إلى لغات الملحق الثامن ، فهناك ١٩ لغة يتحدثها مليون فرد أو أكثر، كما أن هناك ٤٩ لغة أخرى بعدد متحدثين لا يقل عن ١٠٠،٠٠٠نسمة (أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٢). واللغات المتبقية لغات جماعات صغيرة ، ويمكن مقارنتها نوعا ما بلغات التشاكو الأصلية في براغوي.

أنماط ثنائية اللغة

بدرجة التباين اللغوي الموجود في الهند، فإننا نتوقع وجود ثنائية لغوية وتعددية

لغوية فردية كبيرة. وتشير أرقام الإحصاء السكاني لعام ١٩٦١م إلى أن ٩,٧٪ من السكان في الهند ثنائيو اللغة (خوبتشانداني، ١٩٧٨م، ص ٥٥٩)، وهذا رقم صغير غير متوقع. ولكن هناك أسباباً تدعو للاعتقاد بأن أرقام الإحصاء فيما يخص الثنائية اللغوية غير صحيحة، وخاصة في الجزء الشمالي الأوسط من البلاد (خوبتشانداني، ١٩٧٨م). والتحقق من هذه سيعطينا رؤى جديدة عن التباين اللغوي في الهند.



الخريطة رقم (١,٢). القطاعات السياسية للهند، ١٩٦٦.

وكنقطة بداية، فقد ثبت أن تصنيف اللغات وتسميتها في الهند مصدر خلاف. وجزء من سبب هذا، وخاصة بين اللغات الهندية -الآرية، هو أن لغة ما تميل لأن تضمحل في لغة قريبة لها دون وجود فاصل واضح بينها. ومثال مهم على هذا، بالرغم من أنه ليس نموذجيا، العلاقة بين لغة الهندية والأردو، فالهندي والأردو يشتركان فعليا في نفس النظام القواعدي والصوتي، ولكنهما يكتبان بنظامي كتابة مختلفين، كما تختلف مكانتهما التاريخية والثقافية، وفي أسلوب النثر المكتوب، تختلف مفرداتهما جزئيا. ويستخدم أفراد المجتمع الهندوسي لغة الهندية منذ زمن بعيد، وهي تكتب بخط يسمى ديفناجاري، وهو الخط نفسه الذي تكتب به اللغة السنسكريتية. وعلى العكس من متحدثي الأردو، فإن متحدثي الهندية يستخدمون مفردات مشتقة أو مقترضة من السنسكريتية. أما الأردو فهي لغة المسلمين وتكتب بخط عربي فارسي، كما أن مفرداتها مقترضة من الفارسية والعربية، وليس من السنسكريتية. ومن الواضح أن أي شخص يستطيع على الفور تمييز النص المكتوب بأنه مكتوب بالهندي أو الأردو، بسبب الفرق الشاسع بين الخطين. وفي الأسلوب الكتابي فإن هناك مفردات معجمية قد تخص لغة الهندية أو الأردو، ولكن في أسلوب المحادثة، والذي تستخدم فيه الهندية -الأردو كلغة وصل لتحقيق مهام الاتصال اليومي، فإن اللغتين تتداخلان. وقد دأب العديد من الكتاب الذين بحثوا في علم اللغة الاجتماعي في الهند على تأكيد التشابه بين الهندية والأردو، ويسمونهما بالهندي-أردو (مثلا كاتشرو وبهاتيا Kachru & Bhatia، ١٩٧٨م، خوبتشانداني، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م)(١٩). وبالرغم من أن ارتباط بنجابي بالهندي أو الأردو أقل من ارتباطهما ببعضهما، إلا أنها في أوقات ماضية كانت تعتبر جزءا من تلك المجموعة اللغوية، حتى من قبل متحدثيها (كاتشرو وبهاتيا ١٩٧٨م، ص ٥٣٢). ولقد اعتبر الإحصاء السكاني لعام ١٩٥١م هذه اللغات الثلاث لغة واحدة، ولكنها اعتبرت لغات منفصلة في

الإحصاءات اللاحقة.

ووجه آخر للمشكلة هو صعوبة تصنيف بعض الضروب الكلامية. وهذه تنطبق على مالثالي. فلقد ذكر أكثر من ٦ مليون نسمة في إحصاء عام ١٩٧١م أنها لغتهم الأم (ابت ، ١٩٧٦م، ص ١٦٠)، كما أن لها خطا خاصا بها في الكتابة وتراثها الأدبي. ويشبه تركيبها لغة البنغالي، وبدون شك، فهي تعتبر من منظور لغوي تقني ضربا من ضروب تلك اللغة. ولكنها تحتوي على عدد كبير من المفردات المقترضة من الهندية. وإذا كان وضع مالثالي سيقرر بناء على معايير لغوية فقط، فالمشكلة ستكون صغيرة، وذلك لأن اقتراض المفردات لا يعتبر معيارا لتحديد العلاقات بين اللغات. ولكن مالثالي تعتبر رسميا لهجة من الهندي، ويرى كاتشر وبهاتيا (١٩٧٨م ، ص٥١) هذه الحالة مؤسفة. فهم يفضلون احتمالا ثالثا، وهي أن تعتبر المالثالي لغة منفصلة عن كل من الهندية والبنغالية. ومن الواضح فإن قرار تحديد مكانة ضرب كلامي كالمالثالي يوضع استنادا إلى أرضية سياسية أكثر منها لغوية.

وكل هذا يعني أنه عندما يأتي موظف الإحصاء السكاني ليسأل مواطنا هنديا عن لغته الأم، وما هي اللغات الأخرى التي يتحدثها، فإن الإجابة ليست سهلة. فقد تكون هذه هي المرة الأولى لبعض الناس التي يحتاجون فيها للتفكير في اللغة التي يتحدثونها. وعادة ما تكون الإجابة مبنية أكثر على الرغبة في الارتباط بلغة ذات منزلة عالية، أو حتى يبدو محبا لوطنه، أو حتى يدعي التحالف مع جماعة عرقية محلية. فمثلا تصور أن متحدثا يستخدم ضربا كلاميا من اللغات الهندية الآرية في المنزل والذي لا يملك له أي اسم، ومن المحتمل أن يعتقد أنها ليست لغة حقيقية على الإطلاق، وقد يستطيع فهم لغة الهندية إلى حد ما، وأن يستخدم الهندية العامية للتعامل مع المجموعات العرقية المختلفة. والهندي هي اللغة القومية، ولها قدر ومنزلة رفيعة. ولذا فهو يخبر موظف الإحصاء أنه يتحدث الهندي. ومتحدث آخر يتحدث

شكلا من اللغات الهندية الآرية تسمى راجستاني. هل يستطيع القول إن لغته هي راجستاني؟ فهي ليست من بين اللغات التي ورد ذكرها في الملحق الثامن، وهي تشبه لغة الهندية بشكلٍ واضح، والهندي هي اللغة القومية. ولأنه يريد أن يبدو محبا لوطنه، فيدعي أن لغته هي لغة الهندي. وطبقا لكاتشر وبهاتيا (١٩٧٨م ، ص ٥٣-٤)، فإن هذا هو الدافع لإجابة معظم الناس في إحصاء عام ١٩٥١م، مباشرة بعد الاستقلال. أما في إحصائيات عامي ١٩٦١م ، و ١٩٧١م، فقد انخفض عدد من ادعوا تحدث الهندية بدلا من إحدى لهجاتها.

ومن جهة أخرى فلدى بعض الناس مفاهيم محلية خاصة بهم، فبما أنهم لا يعرفون أسماء لغاتهم، ولا يرغبون لسبب أو لآخر أن يدعوا أن لغتهم من اللغات الرئيسة، لذا فهم يطلقون على لغتهم اسما وفقا لطائفتهم الاجتماعية، أو وفقا للمكان الذي يعيشون فيه، أو حتى أسماء حرفتهم (أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٢). وهنا فإن الأمر يعود إلى موظف الإحصاء في كيفية اعتبار تلك الإجابة.

ويؤدي عدم وجود خطوط واضحة للفصل بين بعض اللغات الهندية الآرية إلى وضع أسماه خوبتشانداني بالسيولة (مثلا، ١٩٧٧م، ص ٤٠، قارنه بما ورد في قمبرز ونعيم Gumparz & Naim، ١٩٦٠م). فقد يملك المتحدث أشكالا لغوية لفظية تجعله متحدثا أصليا لعدد من الضروب الكلامية المسماة بأكثر من اسم لهجة واحدة. ومعظم ما يسمى "بثنائية اللغة" في الهند هو تباين داخلي أكثر منه تحولا من لغة إلى أخرى. وما يدعو لعدم وضوح الرؤية هو أن أجزاء مختلفة من ذلك التباين تسمى بأسماء مختلفة. وإذا استطعنا تصور أن محاميا أمريكيا يتحدث في مكتبه "الإنجليزية" ، ويتحدث في المنزل "الأمريكية"، وأنهما تعتبران لغتين منفصلتين ، فإننا نستطيع حينئذ إدراك ما يقصد بالسيولة. وبالطبع، فإن الضروب اللغوية في الهند تختلف عن بعضها أكثر من الاختلاف بين الضروب الخيالية للغة الإنجليزية.

وبعد معرفة كل هذا، فلا يزال من غير الواضح تماما ما إذا كان علينا القول بأن هناك ثنائية لغوية في شمال وسط الهند أكثر مما ذكرت أرقام الإحصاء. وقد يكون الوضع هو أن الناس قادرون على فهم بعضهم أكثر مما تقودنا أرقام الإحصاء إلى اعتقاده. وستمكننا الأدوات الإحصائية التي ستناقش في الفصل الخامس من إلقاء مزيد من الضوء على مدى الثنائية اللغوية في الهند.

لغة الحكومة

الحكومة الاتحادية.

مثل معظم الدول المستقلة حديثا، فقد تركت لغة المستعمر، وهي الإنجليزية، كلغة حكومة في الهند. وفي ذلك الوقت، فلقد فرضت حاجة الدولة للقيام بمهامها الحكومية فورا الاستمرار في الاعتماد على استخدام اللغة الإنجليزية. ومن جهة أخرى، فقد فرضت الدوافع القومية أن تُتبنى لغة هندية أصلية كلغة قومية. وبدت الهندية كأفضل لغة مؤهلة لذلك الدور. فهي اللغة ذات العدد الأكبر من المتحدثين الأصليين لها، كما كانت شائعة الاستخدام كوسيلة للاتصال بين الجماعات العرقية.

ولكن كان هناك ثلاث مشاكل باختيار الهندية. أولا، بالرغم من أنها معروفة للكثيرين وأنها لغة شائعة الاستخدام، إلا أن توزيع متحدثيها غير متساو في جميع أرجاء الدولة. فمن جهة، أشارت أرقام الإحصاء لعام ١٩٦١م في ولاية أوتر براديش الشمالية (منطقة لغات هندية آرية) التي قدمها خوبتشانداني (١٩٧٨) إلى أن ٩٦,٧٪ من السكان ادعوا أن الهندية أو الأردو هي لغتهم الأولى أو الثانية. وعلى النقيض من هذا، ذكر أقل من ٠,٠٠٠٢٪ من السكان في تاميلنادو، وهي منطقة في الجنوب يتحدث أفرادها اللغات الدرافيدية، أنهم يعرفون إما لغة الهندية أو الأردو. ثانيا، لقد أساء اختيارها إلى مشاعر القوميات الفعلية ممن يتحدثون لغات أخرى.

فلبعض اللغات الهندية الأخرى (مثلا التاميل والبنغالي) تراث أدبي غني مثل تراث اللغة الهندية، ومن وجهة نظر متحدثيها فإن لها حقّا يساوي حق لغة الهندية في أن تصبح لغة قومية. ثالثا، وبمقارنتها بالإنجليزية، فيبدو أن الهندية بحاجة إلى تطوير مفرداتها قبل أن تستخدم بشكلٍ فعال كلغة حكومة. ولكن، اعتبرت هذه المسائل ممكنة الحل، وسميت لغة الهندية كلغة قومية في الدستور. وبدأت مهمة تطوير اللغة ووضع موعد نهائي لذلك بعد خمس عشرة سنة للإحلال الكامل للهندي مكان الإنجليزية. وقد انقضى ذلك الموعد في عام ١٩٦٥م . وبسبب المعارضة المستمرة للهندي في الجنوب، فلم يكن من الممكن سياسيا عمل ذلك الإحلال. وقد أقر قانون في عام ١٩٦٧م يسمح باستخدام كل من الهندية والإنجليزية لجميع الأغراض الرسمية، وما زال ذلك الوضع مستمرا.

والصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة فيما يخص لغة الحكومة معقد في الهند أكثر منه في براغوي . وفي مصلحة لغة الهندي، كان الشعور بأن اللغة غير جديرة بالاستخدام الرسمي في الهند تجاه الهندية أقل منه عن الشعور في براغوي تجاه قوارني. ومن جهة أخرى، فعند استقلال براغوي، كانت قوارني هي اللغة القومية بالفعل، ولم يكن هناك ضرورة لجعلها كذلك. وهذا بالطبع لم يكن صحيحا في حالة لغة الهندي، والأهم من كل ذلك هو أنه لم يكن هناك منافس لقوارني من بقية اللغات الأصلية الأخرى، ولم يكن هناك لغة أخرى تخدم كرموز لقوميات الجماعات الكبيرة. والهند ليست محظوظة في هذا السياق. ولم يكن الحل عن طريق الثنائية اللغوية على المستوى الرسمي للحكومة الاتحادية في الهند حلا بدرجة كبيرة للصراعات بين القومية وتسيير أمور الدولة بقدر كونه حلا للمتطلبات القومية في البلد ككل مقابل مشاعر القومية للجماعات المكونة لها.

والسؤال عن ما إذا كانت لغة الهندية مرشحا قويا لتكون لغة قومية أم لا، من

جهة احتمال استخدامها من قبل أعداد كبيرة من السكان في كل البلد، هي مسألة موضع جدل كبير. وباستخدام الأرقام الواردة في إحصاء عام ١٩٦١م حلل خوبتشانداني (١٩٧٨م) منزلة لغة الهندية -الأردو واللغات الهندية الأخرى كلغات اتصال. وهذه واحدة من نتائجه:

"*وخليط الهندية -الاردو*"، بسبب كونه أكثر اللغات انتشارا في أكبر منطقة، تأثير كبير على الاتصال فيما بين الجماعات في عموم البلد (وبالطبع فهذا بدرجات متفاوتة من شدة الاستخدام في مناطق مختلفة). وقد اكتسبت في الواقع مكانة *اللغة المشتركة* للأغراض التجارية، والترفيهية، والاتصال غير الرسمي في مواضع متباينة (وبشكلٍ رئيس في أماكن الاستيطان الحضرية، والصناعية، والعسكرية) *على مستوى البلد، بفترة طويلة حتى قبل بدء المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية بالتدخل المحموم في دعم الهندي.*" (خوبتشانداني، ١٩٧٨م، ص ٥٦٣).

أما كيلي Kelley (١٩٦٦، ص ٣٠٤)، والذي استخدم أرقام إحصاء عام ١٩٥١م، فقد توصل إلى نتيجة معاكسة:

"تقدم أرقام الإحصاء دليلا ضعيفا على التأكيد بأن الهندية معروفة الآن (أو على الأقل أنها تستخدم لأمور الحياة اليومية) في عموم البلد. ومن بين جميع المدن الرئيسية التي تقع خارج قلب مناطق الهندي، فإن بومبي وحدها تقدم دليلا يدعم الادعاء بأن الهندية تعمل كلغة مشتركة."

ويستطيع من يقرأ هذين المقالين أن يرى أن اختلاف النتائج يعكس وجهات نظر المؤلفين المختلفة، وليس الاختلاف بين الإحصائيتين. وفي الواقع، فإن القراءة المتأنية لكل من الاقتباسين السابقين تبين أنهما قد يكونان صحيحين فعليا.

وأرى أن أكثر الخلاصات منطقية فيما يخص هذا الموضوع هي ملاحظات فرجسون ردا على بحث كيلي (برايت Bright، ١٩٦٦م، ص ٣٠٧): "إذا نظرت إلى

البلد بأكمله وقمت بقياس اللغة الثانية في كل مكان، فأي لغة ستستخدم بشكل واسع كلغة ثانية أكثر من غيرها ؟ وأنا متأكد من أن الإحصائيات ستدعم الهندية كلغة تحقق هذا المعيار."

حكومات الولايات.

تنقسم الهند إلى نوعين من الوحدات السياسية. فهناك الولايات و"الأراضي الاتحادية" التي تدار بشكلٍ مركزي. وقد أنشئت الولايات على أسس لغوية. وكنتيجة لذلك، فإن غالبية السكان في معظم الولايات يتحدثون نفس اللغة، باستثناء ولايتين. والولايتان اللتان لا يوجد بهما أغلبية لغوية، هما: هيماتشال و براديش، ونقالاند. وتتراوح الأغلبية اللغوية ما بين أقل بقليل من ٥٥٪ في بيهار (لغة أغلبية هي الهندي-الأردو) وولاية جامو وكشمير (لغة الأغلبية هي كشميري) وأكثر من ٩٥٪ في ولاية أوتر براديش (الهندي -الأردو) وكيرلا (لغة مالاليام) (أبت ١٩٧٦م، ص ص ١٦١-٣). ولا يوجد في جميع الولايات الاتحادية ولاية ذات أحادية لغوية كاملة. وقد ترك للولايات والأراضي الاتحادية حرية اختيار اللغات الرسمية الحكومية الخاصة بها في ذلك المستوى. وقد اختارت معظم الولايات لغة أغلبيتها اللغوية، ولكن بعضا منها اختارت الإنجليزية، فقد اختارت نقالاند، وهي إحدى ولايتين بدون أغلبية لغوية، الإنجليزية، أما الولاية الأخرى، وهي هيماتشال براديش، فقد اختارت الهندي. أما ولاية جامو وكشمير فقد تركت لغة الأغلبية فيها، وهي كشميري، واختارت الأردو لغة رسمية لها. وقد بذلت الولايات جهدا كبيرا في تطوير مفردات خاصة، ونظم اختزال، والآلات الكاتبة، ومواد تعليمية بلغات ولاياتها الرسمية. وقد وفّرت ترجمات للقوانين والنظم والتعليمات الاتحادية وتلك الخاصة بالولايات باللغات الإقليمية لكل ولاية، وكذلك بالنسبة للنماذج الرسمية على اختلاف

أنواعها.

ولا يخلو ترك الحرية للولايات لاستخدام لغتها وتطويرها من شيء من المغامرة المحسوبة. فمن جهة طالما أن اللغة قد تكون رمزا لقومية القوميات الفرعية، فالسماح بمثل هذه الحرية قد يشجع على تقسيم الشعور القومي على مستوى الولاية. ومن جهة أخرى، فإن محاولة قمع اللغات الإقليمية سيسبب نقمة كبيرة. وقد تكون الاستحالة السياسية لعدم جعل الهندية اللغة الرسمية الوحيدة على المستوى الاتحادي مؤشرا على أن الهند قد سلكت الطريق الأقل خطورة. وفي الواقع هناك سبب يدعو للاعتقاد بأن التباين اللغوي في الهند أقل تهديدا سياسيا منه لو كان ذلك في أوروبا. وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

الأقليات اللغوية.

امتد النهج التعددي الذي اتبعته الحكومة الاتحادية تجاه اللغات الإقليمية الرئيسية إلى لغات الأقليات في السياسة الرسمية. فلمتحدثي لغات الأقليات حقوق معينة مضمونة قانونيا. وهناك مسئول، وهو مفوض الأقليات اللغوية، وظيفته التعامل مع شكاوي تلك الأقليات. ولكن من المعلوم جيدا أن حكومات الولايات قد أهملت بشكلٍ محزن لغات الأقليات مقارنة باللغات الرسمية للولايات. ولمفوض الأقليات اللغوية سلطة استشارية فقط، ولا يستطيع إجبار حكومات الولايات على اتباع توصياته. وتتبع حكومات الولايات عادة سياسات لا تشجع على الإبقاء على لغات الأقليات، بل تشجع على اكتساب لغة الولاية واستخدامها. وبعد حصول حكومات الولايات على استقلالها اللغوي على مستوى الولاية، فإنها مترددة في منح ذلك الاستقلال داخل ولاياتها. وفيما يتعلق بحكومات الولايات، فالأقليات اللغوية أقل عددا وأضعف بشكلٍ كبير مما هي عليه لغات الولايات بالنسبة للحكومة

الاتحادية. ونتيجة لذلك، فالولايات أكثر نجاحا في استخدام اللغة لتشجيع قومية القوميات الفرعية من الحكومة الاتحادية في استخدامها للهندي لمساندة القومية في البلد ككل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن جماعة لغوية واحدة تقودها جماعات السيخ التي تتحدث البنجابية كانت قادرة على السيطرة على ولايتها، وذلك بإرجاع التجزئة القديمة لولاية البنجاب. وقد احتفظت إحدى هاتين الولايتين الجديدتين ، والتي أبقت على اسم البنجاب، بلغة البنجابي كلغتها الرسمية، بينما أبقت الولاية الأخرى والتي تدعى هاريانا على لغة الهندي. ولكن هذا الحدث يعتبر استثناءا إلى حد ما.

والآن نحن بموقع أفضل لرؤية أن اعتبار ضرب لغوي مثل المثيلي لغة أو لهجة هو أمر سياسي. فلو اعتبرناها ببساطة لهجة من الهندي، فسوف يكون من المفترض تُلبى احتياجاتها من خلال الجهود المبذولة لتطوير الهندي. أما إذا أعلنت كلغة منفصلة، فإن لها بعض الحقوق القانونية لتلقى الدعم الرسمي الخاص بها.

اللغة في التعليم

ستكون السياسات والممارسات التعليمية في الهند أوضح لو أخذنا بالاعتبار، أولا، الهيكل التنظيمي الهرمي للغات في الهند (أبت، ١٩٧٦، ص١٥٥-٦). ففي أعلى الهيكل تقع لغتان رسميتان للحكومة على المستوى الاتحادي، هما: الهندية والإنجليزية. بعد ذلك، تأتي اللغات الرسمية للولايات. وفي المستوى الثالث، نستطيع وضع اللغات التي ليس لها وظيفة حكومية رئيسة على المستوى الاتحادي أو الولاية، ولكن يتحدثها أكثر من مليون نسمة (المثالان على ذلك هما: لغتا بهجبوري وماقاهي).[٢٠] وأخيرا هناك لغات الجماعات الصغيرة واللغات القبلية، والتي يعترف فيها فقط على أي مستوى من المستويات الحكومية، ولكن أملها ضعيف في الحصول على أي شيء، إن لم يكن الإهمال أو العدوانية من المصادر الرسمية.

وكانت السياسة البريطانية تنص على استخدام الإنجليزية كلغة تعليم. وقد لخصت فلسفة الإدارة الاستعمارية بشكلٍ موجز بخطاب قصير ألقاه عضو المجلس الأعلى للهند توماس بابنجتون ماكيولي Thomas Babington Macaulay في عام ١٨٣٥م. ففي خطابه الشهير ، المعروف باسم "محضر ماكيولي" ، عبر عن يأسه من استطاعة الحكومة تعليم جميع المواطنين الهنود . ولكن قال: إن الهدف يجب أن يكون إنشاء "طبقة تعمل كمترجمين بيننا وبين الملايين الذين نحكمهم طبقة هندية الدم واللون، ولكنها إنجليزية الذوق، والرأي، والأخلاقيات، والفكر" (مقتبس من خوبتشانداندي، ١٩٧٧م، ص ٣٥). وكانت الإنجليزية بالطبع أنسب لغة تعليمية. وبالرغم من أن السياسة قد عدلت فيما بعد لتجعل التعليم ممكناً لجميع الناس، وكما أوصت السياسة الرسمية باستخدام اللغات الأصلية للتعليم في المراحل التعليمية الدنيا في بعض المواضيع، ولكن عمليا كانت الإنجليزية في الغالب دوما هي لغة التعليم. وطبقا لمنظور ماكيولي ، فإن هذا لوحده دأب على جعل التعليم الرسمي أساسا تدريبيا للصفوة من الناس بغض النظر عن السياسة الرسمية. وحتى اليوم، فالإنجليزية هي لغة الطبقة المثقفة جدا في الهند.

وبعد الاستقلال، اتخذت الحكومة الاتحادية للهند موقفا تعدديا جدا فيما يخص اللغات المفترض استخدامها في التعليم، كما فعلت فيما يخص الحقوق اللغوية للولايات والأقليات اللغوية. وتنطبق السياسة الرسمية مع ما يسمى "بصيغة اللغات الثلاث" (أبت ، ١٩٧٦م ، ص ١٤٩). وطبقا لهذه الصيغة، فيجب تعليم ثلاث لغات على المستوى الثانوي، هي اللغة الإقليمية، والهندي، والإنجليزية. وفي الأماكن التي تكون فيها الهندية هي اللغة الإقليمية ، فتبدل بلغة هندية أخرى. وفي نظر الولايات الأخرى، فإن بعض الولايات التي كانت فيها الهندية اللغة الإقليمية قد خالفت نص صيغة اللغات الثلاث عندما أحلت السنسكريتية مكان الهندي. وهذا

الموقف يشبه ما سيكون عليه موقف متحدثي الإسبانية في الولايات المتحدة لو كان هناك قانون يقول: إنه يجب على المدارس تعليم الإسبانية، إذا كانت هي اللغة الأم لمعظم الأطفال في المدارس المحلية، بالإضافة إلى الإنجليزية. تصور أيضا أن القانون ينص على أنه إذا كانت الإنجليزية اللغة الأم للأطفال، فيمكن استخدام أي لغة أخرى كلغة ثانية. وبدون شك فسيتوقع متحدثو الإسبانية أن اللغة الإسبانية هي التي ستنتقى في عدد كبير من المدارس التي تكون فيها الإنجليزية اللغة الأم للأطفال، وسيستاؤون لو اختيرت إنجليزية تشوسر بدلا منها.

وتؤيد الحكومة أيضا فكرة تلقي الأطفال تعليمهم الأولي بلغاتهم الأم، مهما كانت تلك اللغات. وإذا طبق هذا، فإن صيغة اللغات الثلاث تترجم إلى صيغة اللغات الأربع لمتحدثي اللغات التي تكون في الطبقتين السفليتين من الهيكل التنظيمي الهرمي الهندي. فسيتلقى هؤلاء الصغار تعليمهم الابتدائي بلغاتهم الأولى، ويبدأون بدراسة اللغة الإقليمية للإقليم الذي يعيشون فيه، في الوقت الذي يصلون فيه للمدارس الثانوية، ومن ثمّ يدرسون كلا من الهندية والإنجليزية. وفي ولاية نقالاند ذات التعددية اللغوية الكبيرة، ينتهي المطاف بالناس بتعلم خمس لغات أو على الأقل دراستها. فبالإضافة إلى اللغات الأربع التي يتعلمها أطفال الأقليات اللغوية الأخرى، فإن العديد من مواطني نقالاند يتعلمون أيضا لغة هجينة تسمى نقاسامسي، وهي لغة مزيج مبنية على لغة أساميس. وليس لنقاسامسي أية مكانة رسمية ، ولكنها أداة مهمة للاتصال العادي بين الجماعات في نقالاند (سريدهار، Sreedhar، ١٩٧٩م).

وفكرة توفير التعليم من خلال استخدام "اللغات الأم" معقدة أكثر مما يبدو. فبغض النظر عن مشكلتي تطوير وسائل التعليم وتدريب المدرسين، فإن مسألة تحديد ما هي "اللغة الأم" فقط هي مسألة غاية في الصعوبة. فتاريخيا، هناك تعريفان للغة الأم

مستخدمان في الهند. وهما التعريف العام والتعريف الضيق. وطبقا للتعريف العام، فإن أي لغة ليس لها تراث مكتوب تعتبر وبشكلٍ تلقائي لهجة من لهجات اللغة الإقليمية. وهكذا، فقد ينتهي المطاف بطفل يتكلم لغة جماعة صغيرة غير مكتوبة أن تعين له لغة أم لا يكاد يفهمها. أما التعريف الضيق فيعتبر لغة المنزل للطفل هي اللغة الأم، بغض النظر عن مستوى تطورها. وطبقا لخوبتشانداني (١٩٧٧م، ص٤٤) فقد قررت السياسة الرسمية لصالح التعريف الضيق، ولكن التنفيذ الفعلي بطئ. وفي بعض الحالات، فيبدو أن حكومات الولايات تتمنى أن تموت لغات الأقليات قبل أن يضطروا إلى استخدامها في التعليم.

وحتى تحت التعريف الضيق، فقد ينشأ وجه آخر لمشكلة اللغة الأم، هو: صيغة اللغة الأم التي ستستخدم في المدرسة. وكما رأينا سابقا، فإن السيولة اللغوية الشائعة في الهند تعني أن تعيين فرد على أنه "متحدث للهندي" قد يعود إلى مجموعة كبيرة من الضروب اللغوية. ومن المرجح أن تكون صيغة الهندية المنتقاة كلغة في المدرسة نموذجا حضريا رفيع المستوى. وقد تكون هذه الصيغة النموذجية مفهومة على الأقل بالنسبة لشخص بالغ من قرية صغيرة، وقد يستخدمها أحيانا في الظروف الرسمية، ولكن أطفاله قد يعرفون فقط نوعا عاميا مختلفا جدا من الهندي. ونتيجة لذلك، فإن لغة الهندية التي يتعامل معها الطفل في المدرسة قد لا تتطابق مع لغة المنزل بشكلٍ جيد إطلاقا. ومن جهة أخرى، قد تعني ظاهرة السيولة نفسها في بعض الأحيان أن الذي يقول: إن لغة أقلية هي لغته الأم، قد يكون ملما بدرجة كبيرة بلغة الإقليم.

وتبرر عادة السياسة التعددية بشكلٍ علني، على أسس عملية خاصة بالدولة، بأنها أكفأ تعليميا. ولكن يبدو من الواضح، وعلى النقيض مما في براغوي، أن مناصرة التعليم باستخدام اللغة الأم في الهند هو قرار قومي أكثر منه قرارا يتعلق

بتسيير أمور الدولة. وأكثر مما في اختيار لغة الحكومة، فإن الخطر الحقيقي للقومية في التعليم لا يأتي من الأعداد الكبيرة من اللغات الهندية الأصلية، ولكن من الإنجليزية. وينم استخدام الإنجليزية عن الاستغلال الاستعماري لنظم التعليم بما يتفق مع محضر ماكيولي. فإذاً، ومن منظور قومي، فإن تقليل الاعتماد على الإنجليزية أهم من تشجيع استخدام الهندي. طالما أنه من غير الممكن استخدام الهندية كلغة تعليم في كل مكان، فإن الالتفات إلى اللغات الهندية الأصلية المختلفة أفضل من الاستمرار باستخدام الإنجليزية . ولربما كان استخدام اللغات الأم هو القرار الأفضل على أسس خاصة بمصلحة الدولة أيضا، على الأقل في المستويات الأولى من التعليم. ومن وجهة نظر عملية، فالسؤال عما إذا كان من الأفضل للهند الإبقاء على الإنجليزية في التعليم العالي بدلا من تحويل التعليم الجامعي إلى استخدام لغات هندية موضوع مفتوح للنقاش (قارن أبت، ١٩٧٦م، ص١٥٢).

الهند – أمة ذات تعددية عرقية أو دولة ذات تعددية قومية؟

وباستخدام ملاحظات فيشمن عن المحافظة أو التخلي عن اللغات كمقياس للشعور القومي، فإن من الغالب أنك ستخلص إلى أن معظم اللغات الواردة في الملحق الثامن تعمل كرمز لقومية من القوميات الفرعية، وأن معظم اللغات الهندية المتبقية تمثل جماعات عرقية. وهذا سيضع الهند في موقع على المتصل أقرب إلى نهاية الدولة ذات التعددية القومية. وكدولة ذات تعددية قومية، فستتألف من مجموعة من قوميات متعددة الأعراق، تقريبا الولايات اللغوية. ومن هذا المنظار، فسيكون هناك أسس لقلق جدي على الاستقرار السياسي للهند، كما هي العادة في الدول ذات التعددية القومية. وقد يكون هذا المنظور في الواقع صحيحا. وهذه تبدو وجهة النظر التي أخذها كيلي (١٩٦٦م، ص ٢٩٩)، الذي اعتبر الهند "تجربة" تحمل "المقارنة مع

وضع لولايات متحدة أوروبية. وفي هذا المنظور، فإن التجربة مهددة "بالأعداد الكبيرة من اللغات الإقليمية، والتي تخدم كمصدر للولاء الثقافي والسياسي تحت المستوى القومي".

ومن جهة أخرى، فهناك شعور عام بين المفكرين الهنود بأن مثل هذه المقارنات مع أوروبا مضللة بشكلٍ خطير. ففي رأيهم، أن القومية، بمعنى أنها لغة واحدة يعرفها ويستخدمها في الواقع تقريبا كل المواطنين، ليست أساسية للقومية الهندية. وقد عبر بانديت Pandit (١٩٧٥م، ص٨١) عن وجهة النظر هذه بقوله:

"لا يضطر الفرد الهندية للتخلي عن لغته كي يستقر بين متحدثين من لغات مختلفة. فهو يجد الترحيب، بغض النظر عن لغته المختلفة، فتحدث لغة مختلفة لا يجعله غريبا. والقبول الضمني لأي هندي في أي وضع ثقافي هندي يدل على الهوية الثقافية والتجانس في مستوى أعمق."

وأعطى لي بيج (١٩٦٤م، ص٦٠) الاقتباسات التالية من تقرير لجنة التكامل العاطفي لعام ١٩٦٢م. "كان للهند على مر العصور إدراك فاق كل الفوارق بالمقاطعات، والطبقات الاجتماعية، واللغات ، والعقائد." وهذه الآراء لا تشكل وجهات نظر معزولة. فقد ذكر أبت Apte (١٩٧٩م) أن هذا الرأي كان أمرا متداولا خلال ندوة عن الثنائية اللغوية الهندية، عقدت في عام ١٩٧٦م. ويبدو أن السياسات التعددية للحكومة الهندية مبنية على فكرة أن القومية الهندية لا تعتمد بشكلٍ ضروري على لغة واحدة معروفة عالميا.

وإذا كانت هذه النظرة البديلة دقيقة ، فإن الهند تبدو أقرب للأمة ذات التعددية العرقية مما كانت عليه من قبل. وإذا كان الأمر كذلك، فاختبار القومية المبني على الاحتفاظ أو التخلي لا ينطبق بشكل جيد على حالة الهند. وعلى الأقل، فيجب أن نحذر من إطلاق التعميمات اللسانية الاجتماعية على أساس تجارب أوروبا

وأمريكا الشمالية ، أو حتى على التفسير الغربي للترتيب الاجتماعي غير الغربي. ويجب أخذ الطريقة التي يرى فيها أفراد المجتمع وضعهم الخاص في الاعتبار قبل أن نقرر فيما إذا كانوا مثالا لمفهوم أو لآخر.

خلاصة

العديد من بلدان العالم ، إن لم يكن معظمها ، هي بالتأكيد ذات تعددية لغوية. وفهم ماذا تعني التعددية اللغوية للمجتمع هو صميم علم اللغة الاجتماعي في المجتمع. وتقدم مفاهيم فيشمن للقومية (على نقيض الجماعة العرقية) والأمة (على نقيض البلد أو الدولة) إطارا مفيدا لدراسة التعددية اللغوية. وتُحرك القومية ومسألة تسيير أمور الدولة السياسات اللغوية بأشكالٍ مختلفة ، وقد تكون متضاربة. وتكون التعددية اللغوية في بعض المواضيع مشكلة للبلد ، وقد تعوق الأهداف القومية وأهداف تسيير أمور الدولة. وهناك أدلة بأنها قد ترتبط بالتخلف الاقتصادي . ومن جهة أخرى ، فهناك مواضيع تكون فيها التعددية اللغوية وسيلة. وبالرغم من أنها أحيانا تسبب مشاكل للقومية ولمصلحة الأمة ، فقد يكون من السخرية أن تكون سياسيات التعددية اللغوية الرسمية أفضل حل للصراع بين القومية ومسألة تسيير أمور الدولة كذلك. وبالإضافة إلى ذلك ، تمد التعددية اللغوية الأفراد بوسائل التفاعل ، وتمد المجتمعات بالغنى الاجتماعي والثقافي.

وتاريخيا ، هناك أربعة عوامل متميزة كانت سببا في نشأة الدول ذات التعددية اللغوية ، وهي : الهجرة ، والإمبريالية ، والائتلاف ، وظواهر المناطق الحدودية. وقد تصبح دولة ما متعددة اللغات بسبب تأثير أكثر من عامل ، وليس من السهولة دائما تحديد أي عامل ينطبق على حالة معينة.

وقد نوقشت براغوي والهند بشيء من التفصيل كحالتين للدول ذات التعددية

اللغوية، وقد كان العديد من المفاهيم الأولية مفيدا في شرح هذه الحالات. ولكن بالرغم من أن استخدام التخلي عن اللغة أو المحافظة عليها مؤشرا على القومية مقابل العرقية قد انطبق على الوضع في براغوي، إلا أنه كان موضع جدل في حالة الهند. وقد بدت براغوي كثيرا كأمة، والتي تبدو قليلا كأنها ذات تعددية عرقية. وتبدو الهند قريبة من وضع دولة ذات قوميات متعددة أو أنها بالأحرى أمة ذات تعددية عرقية، وذلك يعتمد على أي منظور نأخذه عن أهمية اللغة كأحد مقومات القومية.

هوامش لمراجع إضافية

لم يُستشهد بالعديد من الدراسات المهمة التي ناقشت التعددية اللغوية في براغوي والهند. وقد أدت النزعة الموسومة للغات الهند بتأثيرها على بعضها بالصيغة اللغوية إلى دراسة الهند كـ"منطقة لغوية"، وتعتبر دراسة إيمانوي Emmeneau (١٩٥٦م) عملا ممتازا في هذا المضمار. وتوجد دراسات مهمة سابقة عن أهمية علم اللغة الاجتماعي للتعددية اللغوية في الهند مثل برايت (١٩٧٦م) وقمبرز (١٩٧١م)، وفرجسون وقمبرز (١٩٦٠م). وتعتبر دراسة روبن (ج ١٩٦٨م) من أكثر الدراسات مصداقية عن التعددية اللغوية في براغوي.

هوامش

(١) حتى وإن لم توجد صراعات مع متطلبات القومية، فليس من السهولة بجميع المعايير تقرير أي اللغات تقوم بأفضل عمل وبأقل تكلفة في التعليم.

(٢) تحدث قارفن وماثيوت عن هذه كوظائف للغة النموذجية، ولكن يبدو أنه لا يجب أن تكون اللغة نموذجية حتى تقوم بهذه الوظائف. وقد ناقشا أيضا

وظيفتين إضافيتين، هما: وظيفتا المنزلة والإطار المرجعي. فالوظيفة الثانية تتطلب على الأقل لغة نموذجية.

(٣) هناك ثلاث حركات قومية في التاريخ الأمريكي، والتي لم يكن فيها لجوء للغة كرمز للقومية، أو كان فيها لجوء قليل. الأولى هي الثورة الأمريكية، والتي حلت فيها القومية الأمريكية محل القومية البريطانية. والثانية كانت القومية التي أدت إلى تأسيس الاتحاد الأمريكي للولايات والحرب الأهلية. والثالثة كانت الحركة القومية للسود الأمريكيين التي وصلت ذروتها في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من هذا القرن. والتي استشهد بها فيشمن (١٩٧٢، ص ٨) كواحدة من ثلاث حركات قومية شاهدها، والتي دفعته بشكلٍ جزئي للدراسة اللغة والقومية.

(٤) الوظيفة الأخيرة لم تُحقّق في أيرلندا.

(٥) سيناقش مقياس أكثر تطورا للتباين اللغوي بالتفصيل في الفصل الخامس.

(٦) شرح بول عدم تساوي المسافات على المحور الأفقي بهذه العبارة: قُيِّس التباين تقريبيا في هذا الشكل، وذلك بإخضاع المتغير الاقتصادي إلى تحويل لوغارثمي، حتى تمثل كل وحدة من المسافات الأفقية نسبة متساوية عوضا عن تغير مطلق (بول، ١٩٧٢م، ص ٢٢٢، هامش ٥١).

(٧) كما أوضح بول Bull (١٩٥٥ م) فإن استخدام لغات العرقيات أو العامية كلغات تعليم قد يسارع في انقراضها.

(٨) لا يعتبر، تقنيا، زحف البورتوريكيون من بورتوريكو إلى قارة الولايات المتحدة حالة هجرة، لأن بورتوريكو جزء من الولايات المتحدة. ولكن في مفهوم فيشمن طالما أن لبورتوريكو قومية أخرى فإن وضعهم يعتبر مثالا على الهجرة من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية.

(٩) وفرق آخر ينطبق على الضم وليس الاستعمار، هو أن من المفترض أن يصبح السكان المُخْضَعين جزءا من "البلد الأم"، وهذا ما حاولت البلاد المستعمرة عمله أحيانا، فقبل استقلال أنجولا وموزمبيق عن البرتغال، ادعت البرتغال أن مواطني مستعمرتيها في أفريقيا هي "البرتغال لما وراء البحار". واندماج السكان المُخْضَعين أسهل بكثير إذا كانوا في دول متلاصقة جغرافيا.

(١٠) لروسيا تاريخ طويل في التوسع الحدودي عن طريق الضم.

(١١) هذه الأرقام قديمة الآن، ولكن روبن (١٩٧٨م) ذكر أن أرقام ثنائية اللغة في أسنسون كانت تقريبا متقاربة في إحصاء عام ١٩٦٢ م.

(١٢) كان ضروريا إجراء بعض التصحيح البسيط في النسب المئوية التي ذكرها رونا فيما يخص السكان خارج العاصمة؛ لأن الأخطاء الحسابية كانت موجودة في الأصل.

(١٣) قد يكون الرقم ٥٢٪ أكبر من الصحيح بسبب اختلاف صيغة السؤال عن اللغة في إحصاء عام ١٩٦٢ م (روبن أ ١٩٦٨ م، ص ٤٨٦، هامش ١). وسنناقش هذه المشكلة المتعلقة ببيانات الإحصاء السكاني بتفصيل أكثر في الفصل الخامس.

(١٤) في إحدى المدارس الريفية، كان ٤٠ - ٦٠ ٪ من صفوف السنوات الثلاث الأولى راسبين معيدين للصف (روبن أ ١٩٦٨ م ، ص ٤٨٥). ويستغرق الطالب البراغويي ٣ - ٧ سنوات حتى ينهي الصف الرابع (روبن، ١٩٧٨ م، ص ١٩٠).

(١٥) يعتمد النقاش في هذا الجزء على معلومات كلين وستارك (١٩٧٧م).

(١٦) أنا ممتن لزميلي شالنقرام شوكلا Shaligram Shukla لاقتراحاته العديدة على مسودة سابقة تتعلق بالجزء الخاص بالهند. وهو بالطبع غير مسئول عن أي

أخطاء متبقية.

(١٧) لدراسة التباين في اللهجات والاختلاف في التراكيب الصوتية في الهندية - الآرية المتوسطة ارجع إلى شوكلا ١٩٧٤م.

(١٨) هناك جامعة سنسكريتية في بناريس حيث يتجمع فيها المتخصصون بالسنسكريتية من كل أنحاء البلد. وبما أنه لا توجد لغة مشتركة بينهم، فإنهم يستخدمون السنسكريتية كلغة تعليم (شالنقرام شوكلا، كلام شخصي).

(١٩) العلاقة بين الهندية والأردو هي على العكس تماما مما قد نجده أحيانا . وعادة يكون التماثل في الأسلوب الكتابي والأسلوب التحدثي الرسمي جدا، بينما تتباين في الأسلوب العامي غير الرسمي (قارن تردجل، ١٩٧٤م، ص٤٠-٣ لمزيد من النقاش حول العلاقة بين التلفظ النموذجي واللهجات الإقليمية الإنجليزية في هذا الخصوص). وحالة الهندي -الأردو متباينة جدا في القمة" ومتماثلة في "الأسفل"، ولا مجال لنا هنا لاستكشاف أسباب عدم توافق الهندي -الأردو مع هذا التعميم اللغوي -الاجتماعي.

(٢٠) تعتبر بعض هذه اللغات لهجات للغات الملحق الثامن لأسباب معينة.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على ملاحظة الفروق بين القومية والأمة والجماعة العرقية.

٢- أن يكون قادرا على ملاحظة الفرق الذي أشار إليه فيشمن بين الأمم والبلدان (الدول والكيانات).

٣- أن يتمكن من التمييز بين القومية وتسيير أمور الدولة.

٤- أن يكون قادرا على تعريف (ليس بالضرورة التعريف الحرفي) " للهوية

المتباينة" و"وظائف التوحيد والفصل" (مجموعتا المصطلحين تعنيان الشيء نفسه).

٥- أن يكون قادرا على ذكر طريقة يمكن بواسطتها معرفة تعامل جماعة مع لغتها كمؤشر على إذا ما كانت أقرب إلى كونها قومية منها إلى جماعة عرقية.

٦- يفترض أن الدول ذات التعددية اللغوية تواجه مشكلة ما ، فإنه يكون قادرا على تحديد ما إذا كانت مشكلة لتسيير أمور الدولة أو مشكلة للقومية.

٧- أن يكون قادرا على ذكر العلاقة التي بدا أن بول وجدها بين التباين اللغوي والرخاء الاقتصادي.

٨- أن يكون قادرا على التعرف على الطرق التي تكون فيها التعددية اللغوية وسيلة على المستويين القومي والفردي.

٩- أن يكون قادرا على تمييز تعاريف الطرق الأربع التي تصبح فيها البلدان متعددة اللغات ذات تعددية لغوية.

١٠- أن يكون قادرا على تمييز نماذج التوزيع الجغرافي العامة للغتين الرئيستين في براغوي.

١١- أن يكون قادرا على التعرف على المساهمة في المنزلة الاجتماعية التي تأتي من معرفة اللغة الإسبانية ومعرفة لغة قوارني.

١٢- أن يكون قادرا على التعرف على الأسباب الداعية لاختيار لغة قوارني كلغة تعليم ، والأسباب الداعية لاختيار اللغة الإسبانية.

١٣- أن يكون قادرا على إعطاء السبب لماذا يبدو التباين اللغوي في تشاكو أقل مما هو عليه للوهلة الأولى.

١٤- بعد إعطاء تقديرات تقريبية لعدد اللغات التي يتكلم بها الناس في الهند ،

يكون قادرا على تحديد أكثر هذه التقديرات دقة.

١٥- أن يكون قادرا على ذكر عدد اللغات المدرجة في الملحق الثامن من الدستور الهندية ، والنسبة الكلية للسكان المتحدثين لكل لغة.

١٦- أن يكون قادرا على معرفة تعريف خوبتشانداني لمصطلح "السيولة".

١٧- أن يكون قادرا على معرفة خصائص الهندية وقوارني المتعلقة باختيارهما كلغتين قوميتين.

١٨- أن يكون قادرا على ذكر عدد الولايات الهندية ذات الأحادية اللغوية ، وعدد الولايات التي لا يوجد فيها لغة واحدة تتكلمها أغلبية سكانها.

١٩- أن يكون قادرا على ذكر موقف الحكومة الهندية الاتحادية تجاه اللغات الإقليمية الرئيسة ، وموقف حكومات الولايات تجاه لغات الأقليات داخل الولايات.

٢٠- أن يكون قادرا على التعرف على وضع الأنواع الأربعة من اللغات في الهند طبقا للتسلسل الهرمي من حيث الأهمية السياسية.

٢١- أن يكون قادرا على التعرف على الموقف تجاه التعليم الهندية الذي قدمه "محضر ماكويلي".

٢٢- أن يكون قادرا على بيان السياسة المسماة "صيغة اللغات الثلاث" ، وعدد اللغات التي سيتعلمها الأطفال أو يدرسونها في الواقع لو طُبقت.

٢٣- أن يكون قادرا على بيان التعاريف "العامة" و "الضيقة" "للغة الأم" التي نوقشت ، وتسمية التعريف الذي تم تبنيه رسميا.

٢٤- أن يكون قادرا على التعرف على اختلاف الدوافع المؤيدة للتعليم باستخدام اللغة الأم في الهند عن الدوافع في براغوي.

٢٥- أن يكون قادرا على بيان أي من الأمتين المختارتين كدراسات فردية في هذا الفصل هي المثال الأفضل للأمة ذات التعددية العرقية أكثر من كونها ذات تعددية قومية.

٢٦- أن يكون قادرا على أن يتعرف رأي بعض المفكرين الهنود فيما يتعلق بالتعددية اللغوية في المجتمع الهندي على أنها تشكل خطرا على الوحدة.

الفصل الثاني

ازدواجية اللغة

عند مناقشة التعددية اللغوية كوسيلة تفاعلية في الفصل الأول، ذكرت أن اللغات المختلفة تعطي عادة مهام مختلفة في المجتمعات ذات التعددية اللغوية. وقد درست هذه العلاقة بين الشكل اللغوي والوظيفة الاجتماعية من منظور ظاهرة ازدواجية اللغة Diglossia . وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة في الإنجليزية عن طريق شارلز فرجسون Charles Ferguson في عام ١٩٥٩م (الكلمة الفرنسية Diglossie والتي ألهمت نحت فرجسون للكلمة استخدمها قبل ذلك اللغوي الفرنسي ماركيز Marcais). ويعتبر الآن مقال فرجسون المرجع التقليدي لازدواجية اللغة. وقد أجرى فيشمن Fishman (١٩٦٧م) تعديلا مهما على المصطلح. وحتى نأخذ فكرة عن ماهية ازدواجية اللغة، سنراجع بالتفصيل ما قاله هذان العالمان عن الموضوع.

وصف فرجسون لازدواجية اللغة

لقد انصب اهتمام فرجسون على الحقيقة العامة، وهي أن المتحدثين عادة ما يستخدمون أكثر من شكل لغوي في حالة ما وشكلا لغويا آخر في حالة أخرى. وقد لاحظ أيضا أن هناك حالة خاصة لذلك، حيث يوجد شكلان لغويان للغة واحدة يستخدمها المجتمع بشكل متساو، ولكن لكل شكل دورا محددا يقوم به (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٣٢).[1] "ويجب أن نميز هذه الحالة الخاصة التي أسماها "ازدواجية

اللغة" عن الاستخدام المتبادل بين اللغة القياسية واللهجة الإقليمية، كما يجب تمييزها عن وضع يكون فيه استخدام لغتين منفصلتين... في مجتمع كلامي ما، والتي يكون لكل منها دور واضح محدد" (فرجسون، ١٩٧٢م، ص٢٣٣). في الوقت المناسب سأشرح أهمية هذه الاختلافات، أما في الوقت الحاضر فيكفي القول إن علينا في النهاية أن نقرر ما إذا كانت الحالتان اللتان يستبعدهما فرجسون مختلفتين حقا عن ازدواجية اللغة. ومضى فرجسون مستخدما أربعة مجتمعات كلامية ولغاتها، وهي العربية واليونانية الحديثة والألمانية المتحدثة في سويسرا، ولغة هيتي المزيج، في شرح ازدواجية اللغة تحت عناوين تسعة، وهي :الوظيفة، والمقام، والتراث الأدبي، والاكتساب، والتقييس، والثبات، والقواعد، والمعجم، والفونولوجيا.

الوظيفة

الوظيفة أهم معيار لازدواجية اللغة. وفي مفهوم فرجسون، فهناك شكلان لغويان مختلفان نوعا ما لنفس اللغة، والتي يسمى أحدهما باللهجة العليا، ويسمى الآخر باللهجة الدنيا. ففي العربية، العربية الفصحى، لغة القرآن، هي العليا، بينما تعود اللهجة الدنيا إلى الأشكال العامية المختلفة من اللغة، والتي تختلف من بلد عربي لآخر. وفي اليونانية، فاللهجة العليا تدعى كاثاريفوسا (وتعني، النقية)، أما اللهجة الدنيا فتدعى ديموطيقية، والديموطيقية اليونانية هي اللغة المحكية، بينما كاثاريفوسا هي نوع نقي من اليونانية محتفظة ببعض السمات اللغوية من اليونانية القديمة. وفي سويسرا المتحدثة للألمانية، فإن اللهجة العليا هي الألمانية القياسية، بينما تشكل اللهجات الألمانية المختلفة المتحدثة في سويسرا اللهجة الدنيا. واللغة الفرنسية في هيتي هي العليا، بينما الدنيا هي لغة هيتي المزيج المشتقة من الفرنسية. ويعني التوزيع الوظيفي لكل من اللهجات العليا والدنيا أن هناك حالات لا يمكن أن يستخدم فيها إلا اللغة العليا، أما

في حالات أخرى فلا يمكن استخدام سوى اللغة الدنيا، ولا تتدخل هـذه الحالات إلا نادرا. والوظـائف التي تستدعي استخدام العليا هي تلـك الرسمية والمتكلفة، بينما تكون الدنيا للاستخدام غير الرسمي، والمنزلي، وذلك غير متكلف. ويوضح الجدول (٢.١) قائمة فرجسون التي يلرج فيها الحالات النموذجية التي تميز بين الشكلين.

الجدول رقم (٢.١). الحالات النموذجية والاختيارات للهجات العليا والدنيا في ازدواجية اللغة

الحالة	اللهجة العليا	اللهجة الدنيا
الاحتفالات الدينية والخطب والمواعظ في المساجد والكنائس	x	
التعليمات للخدم والنادلين والعمال والباعة		x
الرسائل الشخصية	x	
الخطب في البرلمان والخطب السياسية	x	
المحاضرات الجامعية	x	
المحادثة مع العائلة والأصدقاء والزملاء		x
الأخبار المذاعة	x	
المسلسلات الإذاعية الشعبية		x
افتتاحيات الصحف، القصص الأخبارية، تعليقات الصور	x	
التعليقات على الرسوم الكاريكاتيرية السياسية		x
الشعر	x	
الأدب الشعبي		x

المصدر: فرجسون (١٩٧٢م، ص ٢٣٦).

ويعتبر استخدام الشكل اللغوي في حالة غير مناسبة غلطة اجتماعية كبيرة. فلو ألقى أستاذ جامعي محاضرته باستخدام اللهجة الدنيا، فسيعتبر إما مغفلا وإما متطرفا سياسيا. أما المتحدث الذي يستخدم اللهجة العليا في محادثة غير رسمية فهو إما أن

يكون عرضة للسخرية وإما أنه لن يرضى أحد مصاحبته؛ لأنه مغرور لا يمكن احتماله.

أما فيما يتعلق بالشعر والأدب الشعبي، فإن وجود شعر باللهجة الدنيا أمر شائع، ولكن في معظم المجتمعات، يعتقد أن الشعر المكتوب باللهجة العليا فقط هو الحقيقي.[٢] واللهجة العليا هي اللغة الرسمية في التعليم الرسمي، ولكن هناك اضطرارا لاستخدام الكثير من اللهجة الدنيا في المدارس.[٣] وسبب ذلك أن البراعة في اللهجة العليا محصورة في القليل من الصفوة، بينما يتحدث كل فرد في المجتمع اللهجة الدنيا. وعليه، فإن المدرسين يقضون بعض الوقت في شرح المواد المكتوبة باللهجة العليا، والتي قدمت في المحاضرة أو الكتاب المقرر مستخدمين اللهجة الدنيا.

المقام

يعتبر المتحدثون في المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية اللهجة العليا أرفع مقاما وأكثر أناقة ومنطقية، بينما يعتقد أن اللهجة الدنيا أقل مستوى منها لدرجة أن بعضهم لا يعترف بوجودها. وقد ذكر فرجسون (١٩٧٢م، ص ٢٣٧) أن العديد من المثقفين العرب والهيتيين يصرون على أنهم لا يستخدمون اللهجة الدنيا اطلاقا، بينما من الواضح تماما أنهم يستخدمونها في المحادثة اليومية. وهذا الإصرار ليس كذبا متعمدا، ولكنه بالأحرى نوع من خداع النفس. وحتى الناس الذين لا يفهمون اللهجة العليا سيصرون على استخدامها في المناسبات الرسمية كالخطابات السياسية وإلقاء الشعر. ويتقدم الاحترام الشديد للهجة العليا ومناسبتها للأغراض العليا على مدى فهمها كمعيار لاختيار اللهجة في هذه الحالات.

التراث الأدبي

هناك تراث أدبي كبير باللهجة العليا في ثلاثة من أمثلة فرجسون الأربعة والذي يحظى بإعجاب المجتمع الكلامي (الاستثناء في هذا السياق هي حالة اللغة اليونانية، كما سنرى). وتعتبر الأعمال الأدبية المعاصرة باللهجة العليا امتدادا لهذا التراث العظيم. ويبتعد التراث الأدبي في اللهجة العليا، على الأقل في الحالات الأربع، عن المجتمع المعاصر بطريقة من طريقتين. فللأدب جذوره إما في الماضي البعيد (كما في البلدان العربية ونوعا ما في المجتمع اليوناني) وإما في مجتمع كلامي آخر (في فرنسا وألمانيا على التوالي، لهيتي وسويسرا المتحدثة للألمانية).

الاكتساب

والأنماط المختلفة لاكتساب اللغة المرتبطة باللهجتين العليا والدنيا وجه مهم جدا لازدواجية اللغة. فاللهجة الدنيا هي المستخدمة عند التحدث إلى الأطفال، وهي التي يتكلم بها الأطفال فيما بينهم؛ ولذا فإن اكتساب اللهجة الدنيا يتم بطريقة طبيعية لاشعورية. أما اللهجة العليا فهي عادة ما تكون لغة مضافة، تُتعلَّم بعد أن تُكتسب اللهجة الدنيا بشكل كبير، وهي تكتسب عادة من خلال التعليم الرسمي في المدرسة. ولهذا النمط من الاكتساب أثران نموذجيان: أولا، أن من يترك المدرسة في الصفوف الدنيا، وهذه ظاهرة شائعة في أجزاء عديدة من العالم، قد لا يتعلمون اللهجة العليا على الإطلاق. ثانيا، أن من يتعلم اللهجة العليا فلن يصبح متمكنا منها كتمكنه من اللهجة الدنيا. والسبب وراء ذلك يكمن في أن اللهجة الدنيا تستخدم بانتظام في الاتصال اليومي، بينما تتعلم اللهجة العليا عن طريق حفظ قواعد النحو. وهذا يشبه الطريقة التي تُدرس بها اللغات الأجنبية في المدارس. ويستطيع المتعلمون تعليما متوسطا في تلك المجتمعات الكلامية ذات الازدواجية اللغوية استظهار قواعد النحو

للهجة العليا، ولكن لا يستطيعون ذلك بالنسبة لقواعد اللهجة الدنيا. ومن جهة أخرى، فهم، وبشكل لا شعوري، يطبقون القواعد النحوية للهجة الدنيا في حديثهم العادي بشكل يقترب من الكمال، بينما تكون القدرة المماثلة باللهجة العليا محدودة. وفي العديد من المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية، لو سُئل المتحدثون لأجابوا بأن اللهجة الدنيا لا تمتلك أي قواعد، وأن الحديث باللهجة الدنيا هو نتيجة الفشل في اتباع قواعد اللهجة العليا.

التقييس

ليس من المستغرب أن الشكل الأعلى من اللغة هو القياس بالوسائل المعتادة للتقعيد الرسمي. فهناك كتب المعاجم والنحو، ومرشدات النطق، وكتب القواعد للاستخدام الصحيح للهجة العليا، كما أن حروف الأبجدية وقواعد التهجية راسخة للهجة العليا، ولا تختلف كثيرا. وبالمقابل فمن النادر وجود أي من تلك الدراسات على اللهجة الدنيا (وهذا متوقع طالما اعتقد بعدم وجود اللهجة الدنيا، أو أنها شكل محرف للهجة العليا). أما تلك الدراسات الموجودة للهجة الدنيا فمن المرجح أن يكون علماء من مجتمعات كلامية أخرى قد قاموا بها، وغالبا ما تكتب بلغات أخرى. ويصعب كتابة اللهجة الدنيا بسبب افتقارها لقواعد تهجية راسخة، ولكن في معظم الحالات لا يرغب أحد في الكتابة باللهجة الدنيا.

الثبات

ازدواجية اللغة ظاهرة ثابتة جدا، وهناك حالات كثيرة استمرت لعدة قرون. ومن الممكن القول بأن ازدواجية اللغة مطلوبة حتى يُحافَظ على أكثر من شكل للغة في المجتمع الواحد. وفي الواقع يعتمد هذا على حجم رغبتنا في تعريف ازدواجية اللغة.

ويُحل التوتر بين اللهجتين العليا والدنيا في ازدواجية اللغة بتطوير خليط أشكال متوسطة من اللغة، والتي تشترك مع اللهجتين العليا والدنيا في بعض الخصائص. واقتراض مفردات اللهجة العليا حال استخدام اللهجة الدنيا أمر معتاد، ولكن استخدام مفردات اللهجة الدنيا في حال اللهجة العليا أقل شيوعا، ولكنه يحدث.

القواعد

بالرغم من أن منظور فرجسون لازدواجية اللغة يتطلب أن تكون للهجتين العليا والدنيا أشكال من نفس اللغة نفسها، إلا أن هناك اختلافا كبيرا نوعا ما في القواعد النحوية للهجتين العليا والدنيا. فمثلا، يوجد في الألمانية النموذجية أربع حالات للاسم وزمنان بسيطان للصيغ الإخبارية، يقابله في الألمانية المتحدثة في سويسرا ثلاث حالات للاسم وزمن بسيط واحد. ويظهر الاسم في الفرنسية المطابقة بالعدد والجنس ، بينما لا يظهر أي من الأسماء في اللغة المزيج لهيتي. وفي النحو، فوجود جمل معقدة ذات تراكيب تابعة كثيرة أمر مناسب في اللهجة العليا، ولكن هذا يبدو متكلفا واصطناعيا إذا حاول أحدهم استخدامها في بعض الحالات في اللهجة الدنيا. وباختصار، واعتمادا على فكرة "البساطة" البديهية في القواعد، فإن قواعد اللهجة الدنيا أبسط من القواعد النحوية للهجة العليا.(٤)

المعجم

بوجه عام، هناك اشتراك بين اللهجتين العليا والدنيا في المفردات، وكما قد يتوقع، فالكلمات الفصيحة والمصطلحات التقنية كـ "الانشطار النووي" لا توجد إلا في اللهجة العليا فقط. وفي نفس الوقت، هناك كلمات باللهجة الدنيا للأشياء المنزلية، مثل أدوات المزرعة وبعض آنية الطبخ، والتي لا يوجد لها مقابل في اللهجة العليا.

ولكن أكثر الخصائص المذهلة لازدواجية اللغة، فيما يتعلق بالمعجم، هي وجود أزواج من المفردات، واحد باللهجة العليا والآخر باللهجة الدنيا، لمفاهيم تذكر غالبا. وقد أعطى فرجسون مثالا على ذلك من اليونانية، حيث زوج الكلمات للنبيذ (للشكل الأعلى كلمة inos، وللشكل الأدنى كلمة krasi). ويكتب في قائمة الطعام في المطعم كلمة للشكل الأعلى، بينما يطلب الزبون من العامل ذلك الشيء مستخدما كلمة الشكل الأدنى (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٤٢-٣). ويقترح فرجسون المثال الموازي لهذا في الإنجليزية الأمريكية، وهو زوج الكلمات الرسمي children ويقابلها الكلمة الأكثر عامية kids (كلتاهما يعني أطفالا). ولكن هذا المثال الموازي لا ينطبق تماما، فمن المقبول جدا استخدام أي من الكلمتين في المحادثة اليومية وفي الكتابة. وفي مجتمعات ازدواجية اللغة يكتب عادة فقط الشكل التابع للهجة العليا، بينما يتوقع شكل اللهجة الدنيا في المحادثة اليومية (فرجسون، ١٩٧٢م ص ٢٤٣).

الفونولوجيا

هناك مجال كبير من الاختلافات في فونولوجيا اللهجتين العليا والدنيا، تتراوح بين اختلافات طفيفة في حالة اليونانية واختلافات أكبر في حالة الألمانية السويسرية. وبرغم ذلك، ففرجسون الذي يفكر بالنظرية الصوتية للفونولوجيا التي كانت سائدة في عام ١٩٥٩م يقول: إنه يصح التعميم "بأن نظامي الصوت للهجتين العليا والدنيا يؤلفان تركيبا فونولوجيا واحدا، تكون فيه فونولوجيا اللهجة الدنيا هي الأساس، أما الخصائص المختلفة بالتركيب الصوتي للهجة العليا فهي إما جزء من النظام وإما نظام محاذ" (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٤٤). واقترح كازازيس Kazazis (١٩٦٨م) وفي ضوء نظرية الفونولوجيا التحويلية أنه كقاعدة فإن فونولوجيا اللهجة العليا أقرب للصيغ التحتية الشائعة في كل اللغة (طبقت قواعد أقل في الاشتقاقات الفونولوجية

لأشكال اللهجة العليا) وأن فونولوجيا اللهجة الدنيا أبعد عن الصيغ التحتية (نسبيا تطبق قواعد أكثر في اشتقاق أشكال اللهجة الدنيا). ويتفق هذا التفسير مع تفكير فرجسون الأصلي، طالما أن الاشتقاقات الفونولوجية في كلا اللهجتين تبدأ تقريبا بالتركيب التحتي الفونولوجي نفسه. وقد يكون لأحد الأشكال قليل من المقابلات التحتية وطرق ضم الأصوات، والتي لا توجد في الشكل الثاني، ولكن هذا ليس كافيا للقول بأن هناك تركيبين مختلفين.

تعريف فرجسون الكامل

وبعد أن ناقش فرجسون السمات التسع لازدواجية اللغة أعطى تعريفا كاملا لازدواجية اللغة، غالبا ما يستشهد به (فرجسون ١٩٧٢، ص ٢٤٥):

ازدواجية اللغة هي حالة لغوية ثابتة نسبيا يكون فيها - بالإضافة إلى لهجات اللغة الأساسية (والتي قد تشمل لهجة نموذجية أو لهجات نموذجية إقليمية) - نوع من اللهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع ومقّعد للغاية. (وعادة ما يكون هذا النوع أكثر تعقيدا من الناحية القواعدية)، وعادة ما يكون أعلى من غيره. ويكون هذا النوع عادة لغة لأدب مكتوب يحظى باحترام أفراد المجتمع، ويكون مصدر هذا الأدب إما من عصور سابقة وإما من مجتمع كلامي آخر غير المجتمع الذي توجد فيه ازدواجية اللغة. وهذا النوع من اللغة يُتعلم عن طريق التعليم الرسمي، ويستخدم للعديد من أغراض الكتابة والتحدث الرسمية، ولكن هذا النوع من اللهجة لا يستخدمه أي قطاع من قطاعات المجتمع لغرض المحادثة العادية.

بالإضافة إلى النقاط التي أوضحها هذا التعريف والتي ناقشناها سابقا، لاحظ أنه يجب أن تكون اللهجتان العليا والدنيا شكلين للغة نفسها (أي ليستا بعيدتي

الارتباط، كما لا يمكن أن يكونا لغتين منفصلتين). وفي الوقت نفسه وعند مقارنتها باللهجة الدنيا، فإن اللهجة العليا "متباينة كثيرا" (أي أنه لا يمكن أن تكون اللهجتان العليا والدنيا متشابهتين كثيرا من الناحية اللغوية، كما لا يمكن أن تكونا أساليب مختلفة تماما أو لهجات خاصة) لاحظ أن زوج الازدواجية اللغوية يكون "إضافة إلى اللهجات الأساسية للغة" وأن اللهجة العليا لا تستخدم للمحادثة من قبل "أي قطاع من المجتمع". وهذه النقطة الأخيرة، كما سيتضح فيما بعد، أساسية لتمييز ازدواجية اللغة عن اللهجة النموذجية ذات اللهجات الإقليمية. وستكون هناك مناسبة للعودة إلى هذه النقطة لاحقا.

نتائج ازدواجية اللغة

إحدى النتائج الثلاث لازدواجية اللغة التي ذكرها فرجسون (١٩٧٢/، ص ٢٤٨) هي بالطبع أنها قد تبقى ثابتة لزمن طويل جدا. وتحت ظروف معينة، فقد يؤدي ظهور ضغوط ما إلى زوالها. وقد ذكر فرجسون أن شيوع التعليم واتساع الاتصال في عموم البلد هما صورتان لتلك الضغوط. ومن المحتمل أن يسبب انتشار الإلمام باللهجة العليا وزيادة استخدام اللغة المكتوبة إلى عدم وضوح الفوارق اللغوية بين اللهجتين العليا والدنيا. والعامل الثالث هو نشأة القومية والرغبة في لغة قومية كرمز لها، وهذه ظاهرة تعرفنا عليها في الفصل الأول. وفي هذه الحالة، سيكون هناك الكثير من الجدل الساخن بين مؤيدي اللهجة العليا ومؤيدي اللهجة الدنيا حول أيهما أنسب كلغة قومية، ولكن عادة فوز أحد الأشكال اللغوية لا يأتي كنتيجة لذلك الجدل ولا حتى نتيجة لتشريع في أمر اللغة. وأفضل تخمين بما سيكون عليه الوضع هو أن اللهجة الدنيا المتحدثة في مركز التواصل للمجتمع الكلامي ستصبح الأساس للغة القومية النموذجية، ولكن من المحتمل وجود خليط بين اللهجتين العليا والدنيا. والنتيجة الثالثة

المحتملة هي أن تصبح اللهجة العليا الشكل النموذجي النهائي. ولكن فرجسون يعتقد، وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحا، أن هذا قد يحدث في ظل ظرفين فقط، فقد تصبح اللهجة العليا هي النموذجية: (١) إذا كانت اللهجة العليا هي اللغة النموذجية في بعض المجتمعات الأخرى، و(٢) إذا اندمج مجتمع ازدواجية اللغة مع ذلك المجتمع الآخر. وإذا كان فرجسون محقا، فلن يكون هناك أمل في أن تصبح العربية الفصحى اللغة القومية لأي بلد عربي، (بالرغم من أنها قد تسمى باللغة القومية أو الرسمية)، ولا أن تلعب كاثاريفوسا وظيفة اللغة القومية في اليونان. وقد تصبح الألمانية النموذجية أو الفرنسية اللغة القومية لمتحدثي الألمانية في سويسرا أو هيتي، على التوالي، فقط إذا اندمجت مع ألمانيا وفرنسا. ولا داعي للقول هنا بأن احتمال وقوع ذلك في أي من الحالتين بعيد جدا.

وصف فيشمن لازدواجية اللغة

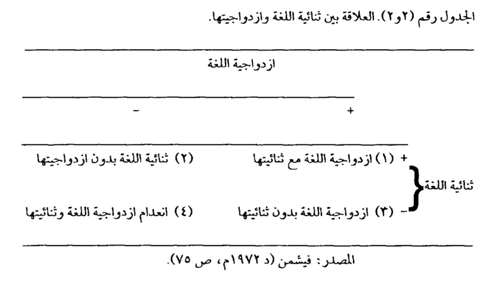
نشر جوشوا فيشمن مقالا في عام ١٩٦٧ عدّل فيه مفهوم ازدواجية اللغة وتوسع فيها.(٥) يعتقد فيشمن أن من الواجب تمييز ازدواجية اللغة عن ثنائيتها. وفي هذا السياق، فإن ثنائية اللغة موضوع لعلماء النفس، وعلماء علم اللغة النفسي، فهي ترجع إلى القدرة الفردية على استخدام أكثر من ضرب واحد من اللغة. أما ازدواجية اللغة فهي موضوع يدرسه علماء الاجتماع وعلماء علم اللغة الاجتماعي، كما ترجع إلى توزيع أكثر من ضرب لغوي لخدمة غايات التواصل المختلفة في المجتمع. وقد عدل فيشمن اقتراح فرجسون المبدئي بطريقتين مهمتين: أولا، قلّل فيشمن من أهمية الحالات المقتصرة على وجود شكلين للغة نفسها. فقد سمح بوجود "عدة رموز منفصلة"، بالرغم من أن هذا الفصل يجب أن يكون "غالبا بوجود لغة عليا من جهة، ولغة دنيا من جهة أخرى -نقل النص دون تعديل) لفيشمن ١٩٧٢: ص٩٢].(٦) ثانيا،

بينما يحصر فرجسون مصطلح ازدواجية اللغة في الحالات التي تقع في المدى المتوسط من الترابط اللغوي (فروق أكثر مما يوجد بين الأساليب وأقل مما يوجد بين اللغات المنفصلة)، يقوم فيشمن بتخفيف هذا الحصر فهو يصادق على الفكرة التي يعزوها إلى جون قمبرز بأنه "لا يقتصر وجود ازدواجية اللغة على مجتمعات تعددية اللغة، والتي يُعترف فيها بشكل رسمي بوجود لغات متعددة، كما لا يقتصر على المجتمعات التي تستخدم أشكالا عامية وفصحى، ولكنها توجد أيضا في المجتمعات التي تستخدم لهجات منفصلة، أو لغات خاصة، *أو ضروبا لغوية مختلفة وظيفيا مهما كان نوعها* (فيشمن، د ١٩٧٢م، ص٩٢، الخط المائل موجود في الأصل). ويمكن أن يشير استخدام فيشمن لمصطلح ازدواجية اللغة إلى أي درجة من الاختلاف اللغوي، والذي يتراوح بين استخدام أكثر الاختلافات الأسلوبية دقة في اللغة الواحدة واستخدام لغتين غير مترابطتين تماما، وهذا بالطبع يشمل الأشكال اللغوية التي أوردها فرجسون. والاختبار المهم هو أنه يجب تمييز الاختلافات اللغوية وظيفيا داخل المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، وجد فيشمن أن درجة ثنائية اللغة الفردية الموجودة في المجتمع تعتبر معيارا تصنيفيا مهما. ويشرح عرضه، الموجود في جدول رقم (٢،٢) التفاعل بين ثنائية اللغة وازدواجيتها. ويجب فهم مصطلح ثنائية اللغة في جدول رقم (٢،٢) بشكل خاص نوعا ما؛ ليعني شيئا يقارب "إتقان كل من اللغتين العليا والدنيا موجود في عموم المجتمع". أما ازدواجية اللغة فتشير إلى التوزيع الوظيفي للغتين العليا والدنيا.

وحتى يمكن وصف مجتمع كلامي بأنه ذو ثنائية وازدواجية لغوية يجب على كل فرد تقريبا أن يعرف كلا من الشكلين الأعلى والأدنى، وأن يكون الشكلان موزعين بشكل نموذجي لازدواجية اللغة. وقد استشهد فيشمن ببلد نعرفه الآن كمثال على الأمة التي تقارب هذه الحالة، وهي براغوي. من الواضح تماما أن قوارني تخدم كلغة دنيا، وأن الإسبانية هي اللغة العليا. وتبين إشارة فيشمن هذه إلى البراغوي كيف أنه

يمكن للغتين متباعدتين تماما من الناحية اللغوية أن تكونا وتستمرا بعلاقة وازدواجية اللغة كما يراها فيشمن. فالإسبانية لغة هندية-أوروبية، بينما قوارني لغة أمريكية أصلية، وهناك اختلافات كبيرة في التركيب بينهما.(٧) وعند النظر إلى كل مقاطعة في سويسرا المتحدثة للألمانية كمجتمع كلامي مستقل ذي قومية فرعية، فإننا نحصل على أمثلة أخرى للمجتمعات الكلامية ذات الثنائية والازدواجية اللغوية. وبسبب نظام التعليم الفعال جدا، فإن معظم السويسريين ممن هم في عمر المدارس أو أكبر يبدلون بين استخدام الألمانية السويسرية والألمانية النموذجية، ويوزعون استخدامهما بشكل نموذجي لازدواجية اللغة.

الجدول رقم (٢و٢). العلاقة بين ثنائية اللغة وازدواجيتها.



		ازدواجية اللغة	
		+	−
ثنائية اللغة	+	(١) ازدواجية اللغة مع ثنائيتها	(٢) ثنائية اللغة بدون ازدواجيتها
	−	(٣) ازدواجية اللغة بدون ثنائيتها	(٤) انعدام ازدواجية اللغة وثنائيتها

المصدر: فيشمن (د ١٩٧٢م، ص ٧٥).

ولكي يكون لدينا ازدواجية لغة دون ثنائيتها نحتاج إلى وجود جماعتين منفصلتين تعيشان داخل كينونة سياسية أو دينية أو اقتصادية واحدة. وإحدى هاتين الجماعتين هي الجماعة الحاكمة والتي تتحدث فقط اللغة العليا. أما الأخرى، وعادة ما تكون جماعة أكبر، فليس لها أي سلطة في المجتمع وتتحدث حصرا اللغة الدنيا. فمثلا

لم تكن مثل هذه الحالات نادرة قبل الحرب العالمية الأولى في أوروبا، ولكن يصعب وجودها في الوقت الراهن. ومثال على ذلك قد تكون إحدى الفترات في تاريخ روسيا القيصرية، فخلال تلك الفترة كان النمط السائد أن يتحدث النبلاء الفرنسية فقط، بينما يتكلم عامة الروس اللغة الروسية فقط. وأمثلة أخرى هي المستعمرات الآسيوية والإفريقية للبلدان الأوروبية بالرغم من أنه قد يكون هناك بالطبع عدة لغات دنيا، وليس لغة واحدة فقط. والمجتمعات ذات الازدواجية اللغوية دون ثنائية اللغة ليست مجتمعات كلامية؛ لأن الجماعتين لا تتفاعلان إلا بشكل قليل ومن خلال المترجمين أو باستخدام لغة خليط.

وثنائية اللغة بدون ازدواجيتها هو الوصف الذي أعطاه فيشمن للمجتمعات التي يكون فيها عدد كبير جدا من ذوي ثنائية اللغة، ولكنهم لا يقتصرون على استخدام إحدى اللغتين في مجموعة من الظروف واللغة الأخرى في مجموعة أخرى. فيمكن استخدام أي من اللغتين لأي غرض. وتنشأ مثل هذه المجتمعات من خلال التغيرات الرئيسة في علاقات ازدواجية اللغة، وهي غير مستقرة إلى أبعد حد، أو انتقالية (فيشمن، د ١٩٧٢م، ص١٠٥). وثنائية اللغة دون ازدواجيتها هي نتيجة "تسرب" ازدواجية اللغة. وتشير ازدواجية اللغة المتسربة إلى الحالات التي يتسرب فيها استخدام أحد الضروب اللغوية إلي وظائف كانت سابقا محفوظة للشكل الآخر. ومحصلة ثنائية اللغة دون ازدواجيتها فيما يخص الضروب اللغوية ذاتها ستكون إما ضربا جديدا، وهو مزيج من ضروب اللغتين العليا والدنيا القديمتين (خاصة إذا كانت اللغتان العليا والدنيا متشابهتين تركيبيا)، وإما إحلال أحدهما مكان الآخر (خاصة إذا كانت اللغتان العليا والدنيا مختلفتين تركيبيا). ومثال على ثنائية اللغة دون ازدواجيتها، والذي تتقهقر فيه اللغة الدنيا أمام اللغة العليا، هي المنطقة التي يتحدث أهلها الألمانية في بلجيكا، كما أورد ذلك فيردوت Verdoodt (١٩٧٢، ص ٣٨٢ -٥). وهناك

يسبق التحول من الألمانية إلى الفرنسية انتشار ثنائية اللغة التي يمكن من خلالها استخدام أي من اللغتين للقيام بأي غرض تقريبا.

والنمط الأخير الممكن منطقيا هو انعدام كل من ثنائية اللغة وازدواجيتها، ولأن فيشمن يرغب في أن يعترف حتى بالاختلافات اللغوية على مستوى الأسلوب على أنها من ضمن مفهوم ازدواجية اللغة، فمن الصعب جدا إيجاد أمثلة على هذا المربع من الشكل رقم (٢,٢)، ووجود مثل هذه الحالة يتطلب وجود مجتمع كلامي صغير جدا ومعزول وتكون فيه مساواة بين الأفراد. ويجب أن يكون هناك ضرب لغوي واحد، دون تمييز بالأدوار الذي يستدعي حتى الاختلافات الأسلوبية في الحديث، أو على الأقل اختلافات أسلوبية قد ينجم عنها وجود أسلوب أعلى وأسلوب أدنى. وطبقا لفيشمن فإن مجتمعات المربع مزدوج النفي في الجدول رقم (٢,٢) تصفي نفسها (فيشمن، ١٩٧٢، ص ١٠٦).

ومن بين أنواع المجتمعات الأربعة ، هناك فقط نوعان من أمثلة ازدواجية اللغة (ازدواجية اللغة مع ثنائيتها أو دونها). وهذه فقط هي الأنواع الثابتة. ومن المفيد النظر عن كثب إلى الاختلاف الدقيق بين هذين النوعين. فكلاهما يوصف بازدواجية اللغة ؛ لذا لا بد أن يكون الاختلاف في ثنائية اللغة، حيث يقال عن أحدهما: إنه مجتمع "ذو ثنائية لغوية"، أما الآخر فهو مجتمع "بدون ثنائية لغوية". وهذا يعني أن ثنائية اللغة باللغة العليا أو الدنيا إما عامة تقريبا وإما غير موجودة على الإطلاق. وكما بين فرجسون فإن الوضع النموذجي لازدواجية اللغة هو أن تكون هناك ثنائية لغوية جزئية. وطالما أن اللغة الدنيا معروفة من قبل الجميع تُتعلم اللغة العليا من قبل الأفراد ذوي التعليم العالي، فإن ثنائية اللغة بالشكلين الأعلى والأدنى محصورة بأولئك الذين حصلوا على المقدار والنوع المطلوب من التعليم. ويشكل الأفراد ذوو الثنائية اللغوية تقريبا طبقة الصفوة، والتي يتراوح تكوينها بين جزء صغير جدا من المجتمع – ليس أكثر

من ١٢٪ في هيتي (ستيوارت **Stewart**، ١٩٦٣م، ص ١٥١) أو ١٥٪ في ازدواجية اللغة السواحيلية -الإنجليزية في تنزانيا (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ص١٣٧) وجزء آخر يشكل نحو ٤٠٪ من مجموع السكان في براغوي (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٥) إلى أن يصل تقريبا إلى كافة أفراد المجتمع في الكانتونات السويسرية (وينراخ Weinreich، ١٩٦٨م، ص ٨٩؛ فيشمن، د ١٩٧٢م، ص٩٥). (وبالطبع فكلمة "الصفوة" لا تعني الكثير في الحالة السويسرية). وفي الماضي، فإن طبقة الصفوة قد لا تكون ذات ثنائية لغوية، ولكن أحادية لغوية باللغة العليا، ولكن هذا النمط اختفى نهائيا ولا يعتبر صفة للمجتمع الكلامي في أي حالة من الأحوال. ومن بين المربعات الأربعة في جدول رقم (٢و٢)، فإن ما تبقى كازدواجية لغوية حقيقية هو ازدواجية اللغة مع ثنائيتها (بدرجات مختلفة ومتغيرة) (قارن جونسون، ١٩٧٥م).

مقارنة بين مفهومي فرجسون وفيشمن لازدواجية اللغة

لقد أثارت دراستا ازدواجية اللغة عدة قضايا مهمة في تعريف الظاهرة ومفهومها. تذكر أن فرجسون أراد تمييز ازدواجية اللغة عن العلاقة بين اللغات النموذجية واللهجات الإقليمية، وأيضا عن التوزيع المشابه لذلك الموجود في ازدواجية اللغة للغات المرتبطة بشكل غير وثيق واللغات غير المرتبطة على الإطلاق. ولم يقل فيشمن شيئا عن اللهجات الإقليمية، ولكن من الواضح أن مفهومه الازدواجية اللغة يشمل ازدواجية اللغة للغة في جميع مستوياتها. وقد ذكر فيشمن احتمالية أن يكون هناك أكثر من ضربين لغوين يخصصان لوظائف محددة في المجتمع، بالرغم من أنه لم يناقش مثل هذه الحالات على أنها ازدواجية لغوية. ويقتصر منظور فيشمن لازدواجية اللغة على ضربين لغويين فقط. ويتفق العالمان إلى درجة كبيرة في موضوع التوزيع الوظيفي في المجتمع، فلدى كليهما المفهوم الأساسي نفسه، وهو أن الضروب العليا

للغة تستخدم للأغراض الرسمية أما الضروب الدنيا فتخصص لاستخدامات أقل رسمية ولها طابع شخصي أكثر. وهذا يضعنا أمام أربعة أسئلة تحتاج إلى نقاش أكبر. يتعلق السؤال الأول بموضوع اللغة النموذجية واللهجات، فهل يجب تمييز ازدواجية اللغة عن اللغات النموذجية ولهجاتها؟ أما السؤال الثاني فيتعلق بمسألة الثنائية: فهل يجب حصر الظاهرة المعروفة بازدواجية اللغة بالتوزيع الوظيفي لضربين فقط من ضروب اللغة. والسؤال الثالث يتعلق بمسألة القرابة: فهل من الواجب فهم ازدواجية اللغة على أنها تنطبق فقط على الدرجة المتوسطة من القرابة اللغوية التي حددها فرجسون؟ أم أنها تنطبق على أي درجة من القرابة مهما كانت؟ أما السؤال الرابع والأخير فيتعلق بمسألة الوظيفة: ما هي الطبيعة الدقيقة للوظائف الاجتماعية التي تقترن بها ضروب اللغتين العليا والدنيا؟

مسألة اللغة النموذجية ولهجاتها

كما أشار فرجسون نفسه (١٩٧٢م، ص ٢٣٢)، فمرارا ما يستخدم متحدثو اللهجات الإقليمية لبعض اللغات لهجاتهم المحلية واللغة النموذجية بطرق توازي التوزيع الموجود في ازدواجية اللغة. فتستخدم اللهجة المحلية في البيت وبين الأصدقاء المحليين . بينما تنتقى اللغة النموذجية للاتصال مع متحدثي اللهجات الأخرى أو في الأمور العامة. ومضى فرجسون قدما ليقترح "أن بعض الأمثلة لهذه العلاقة قد تكون قريبة لازدواجية اللغة أو ربما من الأفضل اعتبارها ازدواجية لغوية" (فرجسون ١٩٧٢ ، ص ٢٤٥). ولكن ما يهم فرجسون هو أن لا تستخدم أي فئة من فئات المجتمع اللغة العليا لأغراض الحديث اليومي. وهذا بالتأكيد يبدو صحيحا لحالات ازدواجية اللغة التي رأيناها. أما في حالة اللغة النموذجية واللهجات، "فإن اللغة النموذجية عادة ما تشبه الضرب اللغوي الموجود في إقليم معين أو التابع لجماعة

اجتماعية ما (مثلا اللغة الفارسية في طهران، أو البنغالية في كلكتا)، والتي تستخدم تقريبا بشكل طبيعي لأغراض التحدث اليومي من قبل أعضاء الجماعة، وتستخدم كضرب فوقي من قبل الآخرين" (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٤٥). وبمعنى آخر، طالما أنه من الممكن أن نجد بعض الجماعات في المجتمع الكلامي تستخدم الشكل الأعلى المفترض في الحديث اليومي، حتى ولو كان هناك جماعات أخرى لا تستخدم تلك الوظيفة، فإننا لسنا أمام لحالة لازدواجية اللغة، ولكن عوضا عن ذلك فهي حالة لغة نموذجية ولهجات. ولكن هذا المعيار يعتمد بشكل كبير على معنى مصطلح "المجتمع الكلامي". فهناك بالتأكيد من يستخدم اللغة العليا لهيتي (الفرنسية) في المحادثة اليومية، ولكنهم يعيشون في فرنسا، وليس في هيتي. وبالطريقة نفسها، تستخدم الألمانية السويسرية العليا للتفاعل العادي، ولكن في ألمانيا وليس في سويسرا. ولا يعرف فرجسون "المجتمع الكلامي"، ولكن مناقشته تشير إلى أن فكرته الضمنية عن المجتمع الكلامي هي تقريبا "جميع من يعيشون داخل حدود بلد ما ويتحدثون اللغة" نفسها. وقد نوقش مصطلح "المجتمع الكلامي" كثيرا في اللسانيات الاجتماعية (على سبيل المثال، لابوف Labov، ١٩٦٦، ص١٢٥؛ هايمز، ١٩٧٤، ص٥١؛ بايلي Bailey، ١٩٧٣، ص٦٥؛ فمبرز، ١٩٦٢، ص٣١؛ ميلوري Milroy ١٩٨٠م، سافيل - ترويك Saville- Troike ، ١٩٨٢م)، ومن الصعب أن نجد إجماعا تاما على معنى "المجتمع الكلامي"، ولكن ليس هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن لذلك صلة مهمة بالحدود السياسية.

وعموما لن أحاول تعريف "المجتمع الكلامي" ولكني أقترح تعريف *المجتمع ذي الازدواجية اللغوية* بأنه وحدة اجتماعية تشترك في الضروب اللغوية العليا والدنيا نفسها.[٨] وعلى كل مجتمع كلامي أن يشترك ليس فقط في اللغة العليا نفسها، ولكن أيضا في اللغة الدنيا. وهذا يعني أن سويسرا المتحدثة بالألمانية ليست مجتمعا كلاميا

واحدا فيما يتعلق بازدواجية اللغة، لكن هناك مجتمعا كلاميا واحد لكل لهجة مميزة من اللهجات الألمانية في سويسرا. وأقصد بكلمة "مميزة" أنها مميزة من قبل الناس الذين يستخدمون هذه اللهجات، ولا أقصد مميزة بالمعايير اللغوية التقنية. ونموذجيا، فإن مجتمعات عديدة لازدواجية اللغة طبقا لهذا التعريف تشترك في اللغة العليا نفسها، ولكنها تتميز بضروبها اللغوية الدنيا.[٩] ويشرح الشكل رقم (٢.١) هذه الحالة. وينطبق الشكل رقم (٢.١) على المجتمعات السويسرية متحدثة الألمانية، كما ينطبق أيضا على اللهجات الإقليمية المختلفة التي تشترك في اللغة النموذجية نفسها لبلد واحد فقط. ولهذا، فكل لهجة إقليمية تميز مجتمعا مختلفا لازدواجية اللغة، وفي كل واحد منها لا يستخدم أحد اللغة النموذجية لأغراض المحادثة العادية. وإذا كان هناك جماعة داخل البلد نفسه تستخدم اللغة النموذجية أو شكلا مقاربا لها لجميع الوظائف، فإن هذه الجماعة لا تشكل قطاعا من أي من هذه المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية، ولكنها تشكل مجتمعا منفصلا (ليس بالضرورة مجتمع ازدواجية لغوية، على الأقل بالمعنى نفسه)، لأنها لا تشترك مع أي منها بضرب لغوي أدنى. وإذا قُبل هذا التعريف للمجتمع الكلامي ذي الازدواجية اللغوية، فعلينا عندها التخلي عن التمييز بين اللغة ومعظم أمثلة اللغة النموذجية ولهجاتها.

شكل لغوي أعلى			
شكل لغوي أدنى ١	شكل لغوي أدنى ٢	شكل لغوي أدنى ٣	شكل لغوي أدنى ٤

الشكل رقم (٢.١). مجتمعات كلامية تشترك في الشكل اللغوي الأعلى نفسه، ولكنها تتميز بأشكال لغوية دنيا مختلفة. تمثل المربعات مجتمعات ازدواجية لغوية منفصلة.

مسألة الثنائية

هل من المفيد التمييز بين الاختلاف الوظيفي للغتين عن الاختلاف المماثل لأكثر من لغتين؟ وللإجابة على هذا السؤال، سنضطر للنظر إلى أمثلة للاختلاف الوظيفي للغات متعددة. وهناك ثلاثة أنواع مدهشة "للتعددية اللغوية" المشتملة على لغات متعددة أوردتها الدراسات السابقة: (١) ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة (في تنزانيا) (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م)؛ (٢) ازدواجية اللغة ثنائية التداخل (في خالبور في الهند) (قمبرز، ١٩٦٤م)؛ و (٣) تعددية اللغة الخطية (سنغافورا وماليزيا) (بلات Platt، ١٩٧٧م).

ازدواجية اللغة المضعّفة المتداخلة

وصف عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨) الحالة في تنزانيا على أنها ثلاثية اللغة، وبتعمق أكثر وصفها على أنها "حالة تقاطع بين حالتي ازدواجية لغوية في طور النمو، تشمل الأولى السواحيلية وبعض العاميات، بينما تشمل الأخرى السواحيلية والإنجليزية" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ص ١٣٤). وهذا التقاطع بين حالات ازدواجية اللغة هو ما أسميه ازدواجية اللغة المُضعفة المتداخلة. وتنزانيا مستعمرة سابقة لبريطانيا كانت تدعى تانقانيكا، وبعد ذلك ائتلفت مع زنجبار. وكما قد يتوقع الشخص من مستعمرة سابقة، فهي، كما ورد في الفصل الأول، ائتلاف إجباري لجماعات اجتماعية ثقافية متعددة، يضاف إليها لغة المستعمر. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك انتشار شاسع للغة مشتركة هي السواحيلية، والتي تطورت حاليا كلغة قومية. وفي هذا الوقت، فالسواحيلية تتعلق بنظامين لازدواجية اللغة: كلغة عليا مع اللغات المحلية التنزانية المختلفة كلغات دنيا، وكلغة دنيا مع الإنجليزية كلغة عليا. ويمكن شرح هذا الوضع بالشكل رقم (٢, ٢).

عليا	اللغة الإنجليزية	
دنيا	اللغة السواحيلية	عليا
	اللغة المحلية	دنيا

الشكل رقم (٢،٢). ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة.

وشرح عبد العزيز مخيلفي بتفصيل مدهش كيف يحدث كل هذا. وقد بني نقاشه على بيانات جمعها من ١٥ تنزانيا ثنائي اللغة بالسواحيلية والإنجليزية، ويتحدث جميعهم، باستثناء فردين فقط، إحدى اللغات المحلية أيضا. وبالرغم من قلة عدد أفراد العينة، فإن تقاريرهم لا تعكس صورة شاذة بأية حال من الأحوال. وقد تعلم جميع الأفراد ممن كانت السواحيلية لغتهم الأم، باستثناء فردين، اللغات المحلية أولا في المنزل قبل أن يدخلوا المدرسة، علما بأن معظمهم تعلم بعض السواحيلية أيضا. وهذا بالطبع هو النمط النموذجي لاكتساب ضروب اللغة الدنيا المختلفة. وقد قال الأفراد الذين عرفوا السواحيلية إلى جانب لغاتهم المحلية: إنهم لم يدركوا أنهم كانوا يتحدثون (أو يخلطون) لغات مختلفة حتى بدأوا بالتعلم في المدرسة. وقد أدى هذا الوضع جزئيا إلى حقيقية أن جميع اللغات المحلية والسواحيلية نفسها تنتمي إلى لغات البانتو ولها تراكيب لغوية متشابهة ورصيد أساسي من المفردات. وهذا يذكرنا بالسيولة اللغوية الموجودة في شمال الهند وباللغات المترابطة جدا في تشاكو في براغوي. وفي المدرسة الابتدائية كانت السواحيلية لغة التعليم، في البداية أو بعد أن تكون اللغة المحلية قد استخدمت في المرحلتين الأوليين من الدراسة. وهذا التقديم لضرب لغوي جديد في المدرسة يعتبر نموذجا لاكتساب ضرب اللغة العليا. وبما أن المدارس الابتدائية كانت موجودة بالمنطقة التي تتحدث فيها اللغات المحلية، كان من الممكن استخدام اللغات المحلية في جميع أغراض المحادثة مع أفراد العائلة والناس المحليين، أما السواحيلية فكانت لغة المدرسة

فقط. وبهذه الطريقة نشأ نمط لازدواجية اللغة بين اللغات المحلية والسواحلية.

تغيرت الأمور عند ابتداء المرحلة الثانوية من الدراسة. وفي الوقت الذي دخل فيه أفراد عينة الرواة عند عبد العزيز مخيلفي في المدرسة الثانوية، كان هناك عدد قليل من المدارس الثانوية في البلد بأكمله مما اضطر الطلاب إلى مغادرة مواطنهم الأصلية للالتحاق بالمدارس الثانوية. وبسبب عدم قدرتهم على استخدام لغاتهم المحلية للمحادثة مع الأصدقاء؛ لأن معظمهم يتحدثون لغات محلية مختلفة، بدأوا باستخدام السواحلية لهذه الوظائف النموذجية "للغة الدنيا".(١٠) وفي الوقت نفسه، كانت الإنجليزية تُدرس كمادة دراسية، وكلغة تعليم، ويتعلمها الشباب بحماسة. شُدِّد على الإنجليزية كمطلب للنجاح، وكان من المطلوب استخدامها كلغة وحيدة داخل المدرسة خشية العقاب. وهذا يشبه تأكيد استخدام الإسبانية في مدارس براغوي. وبهذه الطريقة، فالإنجليزية أخذت الوظائف النموذجية للغة العليا، بينما أخذت السواحلية وظائف اللغة الدنيا. إذاً ففي الأمة ككل، كانت اللغات المحلية تستخدم في الحالات المحلية جدا. ويستخدم المتحدثون المثقفون اللغة المحلية الصرفة فقط مع قلة من التنزانيين لا يتحدثون السواحلية، بالرغم من شيوع خلط السواحلية بالمحلية للتعبير عن التضامن المحلي عندما يتحدث شخص إلى شخص آخر يتكلم اللغة بالمحلية نفسها. فالسواحلية هي "لغة الثقافة والاتصال على المستوى القومي" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨، ص١٣٦). وبهذا فهي اللغة العليا مقارنة باللغات المحلية، ولغة دنيا مقارنة بالإنجليزية. وتستخدم الإنجليزية للأعمال الحكومية الرسمية، وفي التعامل القانوني والتجاري، وفي التعليم العالي. وهي أيضا الوسيلة للاطلاع على أدب العالم والمعلومات التقنية. أما فيما يخص الكتابة فقد قال معظم أفراد عينة الرواة: إنهم يقرؤون ويكتبون باللغة الإنجليزية معظم الأوقات، علما بأن بعضهم يقرأ ويكتب في كلتا اللغتين. ومن النادر استخدام اللغات المحلية للكتابة، وتكتب الرسائل لمتحدثي

اللغة المحلية بالسواحيلية، إذا كان متلقي الرسالة لا يتكلم الإنجليزية. وكل هذا يؤيد الانطباع بالحالة المزدوجة للسواحيلية، فيما يتعلق بازدواجية اللغة.[١١]

ازدواجية اللغة ثنائية التداخل.

من الممكن تسمية الحالة في خالبور، وهي قرية هندية تقع شمال نيودلهي، بازدواجية اللغة ثنائية التداخل حسب وصف اللغوي قمبرز (١٩٦٤م). وبالرغم من أن قمبرز لم يستخدم تلك التسمية ، ولكن الشرح الذي أعطاه يعكس جميع العلامات المميزة لازدواجية اللغة.[١٢] واللغة العليا هي لغة الهندي. أما الدنيا فهي اللهجة المحلية، والتي ببساطة سماها قمبرز "خالبور". وخالبور هي ضرب غير مسمى من ضروب الهندي، وتمثل السيولة اللغوية في شمال الهند، ويقدم القرويون أنفسهم على أنهم متحدثون للهندي لأغراض الإحصاء السكاني (قمبرز ١٩٦٤، ص١٤٣). وفي التراكيب اللغوية، فإن الاختلافات الفونولوجية والقواعدية والمعجمية للغتين تشبه النوع الذي وجده فرجسون كخاصية لازدواجية اللغة. ففي الفونولوجيا، يوجد في خالبور فرقان أو ثلاثة لحروف صامتة خاصة غير موجودة في الهندي، وتفتقر إلى فرق واحد يوجد في الهندي. ويوجد في خالبور ثلاثة صوائت ثنائية غير موجودة في الهندي، وتسمح خالبور بوجود صوامت مضعفة في وسط الكلمة، ولكن هذا غير مسموح به في الهندي. فيما عدا ذلك، فالشكلان اللغويان متطابقان فونولوجيا. أما فيما يخص القواعد، فتفتقر خالبور إلى لاحقة لجمع المؤنث موجودة في الهندي، وهناك أيضا فروق ثانوية عديدة في الصرف والنحو الخاصين بالفعل. أما فيما يتعلق بالمفردات، فهناك قائمة بأزواج المفردات، الأول بالهندي والآخر بخالبور، وقد قدم قمبرز هذه القائمة (١٩٦٤م ، ص ١٤٤). وكما نعلم فإن هذا النوع من ترتيب الكلمات الدارجة في الاستعمال هو أحد الخصائص المميزة لازدواجية اللغة.

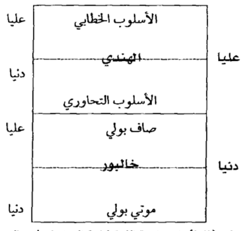
يتكلم الجميع لغة خالبور في القرية، كما أنها تستخدم دوما في العلاقات المحلية. والهندي لغة فوقية بشكل نموذجي لازدواجية اللغة، بتعلمها بالمدرسة، أو من خلال السكن في المدن، أو من خلال الاتصال الخارجي. أما الهندي فيتحدثها القرويون ذوو التعليم الأفضل والبارزون اجتماعيا للتعامل مع أمور كالسياسة والتجارة، والتي تتعدى اهتمامات القرية. والهندي أيضا هي اللغة المستخدمة في الصفوف الدراسية والمحاضرات الرسمية. ويحاول القرويون الذين لا يتحدثون لغة الهندي رغم ذلك تحوير حديثهم في اتجاهها كلما سنحت الفرصة بذلك. وباختصار، فمجتمع خالبور هو مثال لشكل من الأشكال العديدة لمجتمع ازدواجية اللغة.

والحقيقة الثانية اللافتة للنظر حول خالبور هي المستوى الثاني للعلاقات ذات الازدواجية اللغوية، والتي تظهر داخل كل من ضربي اللغة الرئيسيين؛ الأعلى والأدنى. فداخل لهجة خالبور، هناك شكلان فرعيان لهما أسماء محلية هي: موتي بولي moti boli (وصاف بولي saf boli، وتستخدم الموتي بولي (والتي تعني حرفيا الكلام العادي) في العلاقات غير الرسمية كالتعامل مع أفراد العائلة، والأقارب المقربين، والأولاد، والحيوانات، والخدم. ولغويا فيها بعض الخصائص الثانوية، والتي ليست من خصائص لهجة خالبور ككل، وأكثر الخصائص المميزة للعامية المحلية شائعة جدا. وتستخدم صاف بولي (والتي تعني حرفيا الكلام النظيف) مع المعارف البعيدين نوعا ما ولإظهار الاحترام لكبار السن. ومن منظور لغوي، فإن صاف بولي تبتعد عن الخصائص المميزة لموتي بولي وتميل باتجاه الهندي فيما يتعلق بالاختلافات الأخرى بين خالبور والهندي.

وهناك أيضا شكلان فرعيان في الهندي المحكية في القرية. وقد سماها قمبرز بالأسلوب التحاوري والأسلوب الخطابي. والأسلوب التحاوري هو نموذج للهندي المحكية في تلك المنطقة، ولكن الأسلوب الخطابي متميز باستخدامه الكثيف لكلمات

مقترضة من السنسكريتية، بالإضافة إلى استخدام عناقيد صوامت خاصة. وكما هو متوقع يستخدم الأسلوب الخطابي في المحاضرات الرسمية. وطالما أنه مختلف تماما عن اللهجة الدنيا المحلية، فقد تكون المحاضرة الملقاة بأسلوب الهندي الخطابي صعبة الفهم على الجمهور. والمحاضر هنا مضطر لشرح أجزاء من المحاضرة بأسلوب الهندي التحاوري أو بخالبور.

والصورة التي نحصل عليها من مجتمع ازدواجية لغة في خالبور هي متصل من الشكل الأعلى جدا للأسلوب الخطابي الهندي المستخدم في القرية إلى الشكل الأدنى جدا، وهو شكل موتي بولي للغة المحلية لخالبور. وفي الإمكان داخل ضربي اللغة الأعلى والأدنى تمييز نوع لغة دنيا ذات مستوى أعلى وأدنى ونوع لغة عليا ذات مستوى أعلى وأدنى، وهذا يبدو في الصيغة والوظيفة صورة مصغرة عن التباين الأكبر في ازدواجية اللغة. ويمكن توضيح هذه الحالة التي تحتوي ازدواجية لغوية صغيرة "ضمن" ازدواجية لغوية كبيرة في الشكل رقم (٢،٣).



الشكل رقم (٢،٣). ازدواجية اللغة ثنائية التداخل في خالبور بالهند.

ولا تحتاج أي من ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة أو ثنائية التداخل أكثر من

تحسين مفهوم الثنائية. ففي إحدى الحالات توجد هناك مجموعتان تتكونان من عضوين ويكون العضو الأدنى من إحدى المجموعتين مطابقا تماما للعضو الأعلى في المجموعة الأخرى. أما في الحالة الأخرى، فهناك زوجان كبيران من ازدواجية اللغة، وداخل كل زوج منهما توزيع مصغّر ومصقول لازدواجية اللغة. ولكن جميع العلاقات تشمل ترتيبات لمجموعات ثنائية.

تعددية اللغة الخطية.

ما سبق ليس هو وضع أفراد المجتمعات الصينية الذين يتلقون تعليمهم باللغة الإنجليزية في سنغافورا وماليزيا، والتي وصفها بلات (١٩٧٧). وتتألف الذخيرة اللفظية لكل من المجتمعين من لغات صينية مختلفة، التي من المرجح أن تغلب عليها لغة واحدة في الإقليم، ونوعين من الإنجليزية رسمي وعامي، وشكلين من الملاي النموذجي والبازاري (السوقي). وحتى الآن يبدو من الممكن ترتيب هذه الأشكال اللغوية في سلسلة من أزواج ازدواجية لغوية كاللغات الصينية المهيمنة مقابل غير المهيمنة، واللغة الإنجليزية الرسمية مقابل العامية، والملاي البازارية مقابل الملاي النموذجية، وهذا بالتالي يعطي ازدواجية ثلاثية التداخل مشابهة لازدواجية اللغة ثنائية التداخل في خالبور. ويتطلب هذا الترتيب أن يكون الشكل الأدنى في أي لغة أعلى من الشكل الأعلى للغة التالية في السلسلة، كما كان الشكل الأدنى من الهندي، وهو الأسلوب الهندي التحاوري، أعلى من الشكل الأعلى لخالبور، وهو صاف بولي. ولكن اتضح أن هذا ليس هو وضع الماليزيين الذين يتلقون تعليمهم بالإنجليزية. فالشكل الأعلى من الملاي، وهو باهاسا ماليزيا، هو ثاني أعلى شكل لغوي يستخدم في المجتمع، كما أن منزلته بازدياد، ولكن الشكل الأدنى، وهو بازار ملاي، بعيد عن كونه الشكل الأعلى التالي للباهاسا، ولكنه أدنى شكل لغوي على الإطلاق، فهو

مسبوق بشكلي اللغة الإنجليزية وجميع ضروب اللغات الصينية. بالإضافة إلى هذا، هناك منزلة خاصة للغة المندارين الصينية، والواجب تضمينها مع اللغات الأخرى. وقد يدعى الترتيب الحقيقي بتعددية اللغة الخطية.(١٣)

وتشمل الذخيرة اللفظية للفرد الصيني النموذجي الذي تلقى تعليمه بالإنجليزية في ماليزيا ما يلي: (١) لغته الأم، وهي إحدى اللغات الصينية المحكية في ماليزيا؛ (٢)واحدة أو أكثر من اللغات الصينية الجنوبية، من المحتمل أن تشمل اللغة السائدة في الإقليم إذا لم تكن هي لغته الأم؛ (٣) بعضا من الإنجليزية الماليزية الرسمية؛ (٤)بعضا من الإنجليزية الماليزية العامية؛ (٥) مقدارا معينا من باهاسا ماليزيا (وهي اللغة القومية النموذجية حديثا)؛ (٦) بازار ملاي، وهي لغة مشتركة ذات منزلة دنيا. وفي نظر بلات (١٩٧٧، ص ٣٦٦-٧) فإن هذه الأشكال اللغوية تدخل في نموذج لغوي معقد، والذي يشمل شكلا لغويا واحدا أو أكثر من الضروب اللغوية العليا، وشكلا لغويا واحدا أو أكثر من الضروب المتوسطة، وشكلا لغويا واحدا أو أكثر من الضروب الدنيا. بالإضافة الى هذا، فإن نموذج بلات يسمح بوجود شكل ما تحت الأدنى حتى يلائم دور اللغة المشتركة كبازار ملاي، والذي يستخدم فقط للمعاملات التجارية على المستوى المحلي، كما يلائم "شكلا لغويا عاليا وهميا". والمعياران اللذان استخدمهما بلات لتصنيف اللغات في هذه الفئات هما معيارا المجال، وهو مفهوم أتى به فيشمن (١٩٧١م، ١٩٧٢م)، ويعتبر أساسا امتدادا لما دأبنا على تسميته بالوظيفة، ومواقف المتكلم. وقد وجد بلات أن من المقبول ترتيب المجالات أو الوظائف على مقياس خطي يعرف بالتفاعل العام مقابل التفاعل الخاص ودرجات الرسمية. وفي هذا، فهو داخل حدود دراسات ازدواجية اللغة التي رأيناها. بالإضافة إلى ذلك، فإن بلات يأخذ في الحسبان مدى تقييم أفراد المجتمع للأشكال اللغوية في ذخيرتهم اللفظية، أي مواقف المتكلم. تذكر أن فرجسون قال: إن اللهجات العليا لها مقام أكبر من

اللهجات الدنيا، ويستخدم بلات بيانات الموقف للمساعدة في ترتيب مقياس التعددية اللغوية كهذه.

وقد قاد اهتمام بلات بالموقف إلى فكرة اللغة العليا الوهمية. وتشير هذه بتعريف بلات إلى "ضروب كلامية يلـم بـها بعـض أفـراد المجتمـع بدرجـة معينـة، ويصفـها متحدثوها في مقام عال، ولكنها لا تستخدم في الواقع بشكل مكثـف في أي مجـال" (بلات، ١٩٧٧م، ص٣٧٣-٤) (الخط المائل لي). وترجع أهمية اللغة العليا الوهمية في المجتمع وبشكل مطلق تقريبا إلى الاحترام الشديد الذي يكنه النـاس إليـها، ولا تستخدم لأي غرض اتصال حقيقي. والماندارين، وهي لغـة رئيسة في شمال الصين، هي لغة عليا وهمية للصينيين المتعلمين بالإنجليزية في ماليزيا. ولا تستخدم الماندراين في ذلك المجتمع لأي غرض، ولا يُلـم بـها إلا قلـة مـن النـاس، ولكنـها ذات منزلـة كبيرة لديهم. ومثال مشابه لم يعطه بـلات هـو السنسـكريتية في الهند. وكمـا رأينـا في الفصـل الأول، فهي من ضمن اللغات الأربع عشرة الدستورية، وذلك فقط لقيمتـها للغالبيـة الهندوسية من السكان. ولكـن السنسـكريتية ليسـت بـالضبط لغـة عليـا وهمية، لأنـها تستخدم كلغة دين وفي دراسة الأدب، ولكن هذه الوظائف بالمقارنة وظائف محدودة. وسنقابل وضعا آخر يجب علينا فيه الأخذ في الاعتبار قيمة الرمزية للغة في المجتمع بعيدا عـن وظيفتـها الاتصاليـة عندمـا نـدرس التخطيط اللغـوي للغــة الأيرلنديـة في الفصـل العاشر.

ولن أعطي تفصيلا لطرق بلات، ولكن الشكل رقم (٢،٤) يبين تحليله النـهائي وضع الصينيين المتلقين تعليمهم بالإنجليزية في ماليزيا. ولا يوجـد هنـاك طريقـة منطقيـة لتقسيم هذا الشكل إلى مجموعتين. وإذا كانت حالـة التعدديـة اللغويـة الماليزيـة سـتدرج تحت العنوان العام نفسه مثل الحالات الأخرى التي رأيناها، فيجـب اسـتبعاد متطلـب الثنائية.

اللغة العليا١	الإنجليزية الماليزية الرسمية ↑
اللغة العليا٢	باهاسا ماليزيا ↓
اللغة العليا الوهمية	لغة الماندارية
اللغة الوسطى١	الإنجليزية الماليزية العامية
اللغة الوسطى٢	اللغة الصينية المسيطرة
اللغة الدنيا١	اللغة الصينية الأصلية
اللغة الدنيا٢-ن	لغات صينية أخرى
اللغة ما دون الدنيا	بازار ملاي

الشكل رقم (٢.٤). التعددية اللغوية الخطية للصينيين المتعلمين بالإنجليزية في ماليزيا. وتبين الأسهم الرأسية بين الشكلين اللغويين العلويين أن المقصود هو الإشارة إلى أن باهاسا ماليزيا تكتسب المزيد على حساب الإنجليزية كالشكل العلوي الأعلى (بلات، ١٩٧٧، ص٣٧٤).

المصدر: (بلات، ١٩٧٧، ص ٣٧٥، الجدول ٥)

مسألة القرابة

تطلب تعريف فرجسون الأصلي لازدواجية اللغة مستوى متوسطا من القرابة اللغوية بين اللغات المنفصلة بشكل واضح وبين مجرد التحول الأسلوبي. وتبين الحالة في ماليزيا، بالإضافة إلى حالة تنزانيا وما نعرفه عن براغوي من الفصل السابق، أن بعض علماء اللسانيات الاجتماعية يرون أن من المعقول تطبيق المصطلح على حالات يكون فيها الشكلان الأعلى والأدنى لغات منفصلة، وأنا أؤيد هذا النهج. ولكن لم نقل إلا القليل حول ما إذا كان من الواجب أن نسمح لازدواجية اللغة أن تشمل الحالات التي

يكون فيها أكثر من مستوى للقرابة الذي سمح به فرجسون.

وقد نوه عدد من اللغويين إلى حقائق قادتهم إلى الخلاصة، وهي أن الاختلاف بين اللهجات الفرعية يعمل بنفس الطريقة كازدواجية لغة. وقد ذهل ستيوارت (١٩٦٣م) في مناقشة سابقة ومفيدة لازدواجية اللغة في هيتي من حقيقة أن الهايتيين قد بدوا وكأنهم يتحولون إلى الفرنسية من لغتهم المزيج بالشكل نفسه تقريبا الذي يتحول فيه الأمريكي من أسلوب غير رسمي إلى رسمي في الكلام. وفي المثال التالي، الذي سمعه ستيوارت عرضا، يتحول رجل أعمال من هيتي من الفرنسية إلى اللغة المزيج في منتصف الجملة (يقع جزء اللغة المزيج من العبارة بين أقواس التهجية الصوتية) (ستيوارت، ١٩٦٣، ص ١٥٨):

Je comprende tres bien pourquoi vous demandez l'argent d'avance, /wap proteze tet u/

وبدا لستيورات أن أثر التحول من الفرنسية إلى اللغة المزيج يمكن إدراكه، إلى حد ما، من خلال ترجمته إلى الإنجليزية الأمريكية بالشكل التالي:(١٤)

I certainly understand why you're asking for the money in advance - ya gotta look out fur yaself, I guess.

ويوسم الجزء الرسمي من الجملة المكتوب "باللهجة العليا" بنطق أكثر تأنيا نوعا ما، وباستخدام مفردات معينة، مثل certainly و "you're asking for" (بدلا من "you want") و "in advance" (بدلا من "up front"). ويوسم الجزء غير الرسمي من اللهجة الدنيا بنطق أكثر عفوية، وباستخدام كلمات مختارة مثل: I guess، و "gotta" (بدلا من "have to") و "look out fur yaself" (بدلا من "look out for your own interests"). ولذا يبدو بإمكان متحدثي الإنجليزية الأمريكية إنجاز مهام تفاعلية من هذا النوع باستخدام التباين الأسلوبي في لغتهم، بالشكل الذي يستطيع فيه أفراد مجتمع ازدواجية اللغة استخدام ضربي اللغة العليا والدنيا لديهم.

وقد لاحظ ستيوارت حقيقة أخرى لافتة للنظر، وهي أن الأجانب الذين

يعرفون الفرنسية غالبا ما يجدون أن الفرنسية الهيتية تبدو رسمية وكتابية بالمقارنة بالفرنسية المستخدمة في فرنسا. ويقول الهيتيون أنفسهم: إن لغتهم الفرنسية "أكثر نقاء" من الفرنسية في فرنسا. وتفسير مقبول لهذا هو أن الهيتيين لم يضطروا إطلاقا إلى استخدام نوع غير رسمي من الفرنسية، وفي أي وضع يتطلب فيه الحديث باللغة غير الرسمية، فإنهم يتحولون إلى اللغة المزيج. وبالمقابل، وكما هي الحال بالنسبة لمتحدثي اللغة الإنجليزية الأمريكية، فإن متحدثي الفرنسية من فرنسا لا يمتلكون لغة دنيا مميزة يستطيعون التحول إليها، مما يتطلب تطوير أساليب دنيا للفرنسية.

وعند دراسته ظواهر شبيهة بازدواجية اللغة في اللغة الروسية، وجد كرسين Krysin (١٩٧٩م) مؤخرا أن المفهوم ينطبق على ما أسماه بالأشكال المعقدة والأشكال العامية للغة الروسية النموذجية، بالإضافة إلى علاقة ازدواجية لغوية بين الأشكال الرسمية وأشكال اللهجات. ويبدو أن هناك علاقة ازدواجية لغة كبيرة بين الروسية النموذجية واللهجات الروسية غير النموذجية، وازدواجية لغة على مستوى أصغر بين شكلي اللغة النموذجية. وهذا بالطبع يذكرنا بازدواجية اللغة ثنائية التداخل في خالبور. وبأخذ منظور مختلف لحالة خالبور، يبدو أن من الممكن النظر إليها على أنها مزيج متصل من الأساليب يمتد من أسلوب الهندي الخطابي السنسكريتي الرسمي إلى أسلوب موتي بولي غير الرسمي العامي، ويوجد أربع نقاط على المتصل ذات أسماء معينة. وفي ازدواجية اللغة اليونانية، هناك آراء مختلفة عما إذا كانت الأشكال اليونانية كاثاريفوسا والديموطيقية أشكالا متميزة من الممكن خلطها (هاوسهولدر Householder ، ١٩٦٣، ص ١٢١؛ سوتيروبولوس Sotiropoulos، ١٩٧٧، ص٩). أو أنها نقاط على متصل لغوي (كازازيس، ١٩٧٦م، ص ٣٧٠). ويوجد مثال آخر لمتصل محتمل من الأشكال العليا إلى الأشكال الدنيا في جزيرة نورفوك التابعة لأستراليا في المحيط الهادي الجنوبي (فلنت Flint، ١٩٧٩م).

ويبدو أن لدى الناس ميولاً عامة لعكس إدراكهم لرسمية الموقف أو للعلاقة الحميمة في كلامهم. وهذا يمكن تحقيقه عن طريق التحول بين الأساليب المختلفة في اللغة الواحدة، أو بالانتقال بين لهجتين مختلفتين نوعا ما، أو عن طريق اختيار لغات مختلفة كليا.(١٥) والظاهرة الاجتماعية هي نفسها، بغض النظر عن طبيعة الوسائل اللغوية المستخدمة لتحقيق ذلك.(١٦)

وإذا كان من الواجب التوسع في فكرة ازدواجية اللغة لتشمل ليس فقط اللغات المنفصلة ولكن أيضا التحول الأسلوبي، إذاً فهناك سبب آخر للتوسع بشرط الثنائية. وطالما أن التحول الأسلوبي مزيج متصل من بدائل لغوية مختلفة تمتد من الأسلوب العامي جدا إلى الأسلوب الرسمي جدا، فمن المستحيل تقسيم الأساليب إلى قسمين على أي أرضية منهجية.

مسألة الوظيفة

إذا كان هناك اتفاق على أي وجه من وجوه ازدواجية اللغة، فإنه الاتفاق على مجال الوظيفة. فكل فرد يوافق على أن الحديث بالشكل الأعلى مستخدم بالمناسبات العامة الرسمية. وأن الأدنى هو للمناسبات الخاصة غير الرسمية. وكما رأينا في الجدول رقم (٢،١)، فإن فرجسون قد أعطانا بعض الأمثلة المحددة للحالات التي سينتقي فيها الشكل الأعلى أو الأدنى في اللغات الأربع المعرفة. واستعراض خاطف للمناقشات العامة لازدواجية اللغة التي قام بها فرجسون (أ ١٩٥٩م، ١٩٧٢م)، وفيشمن (١٩٦٧م، د ١٩٧٢م)، والدراسات على ازدواجية اللغة في تنزانيا (عبدالعزيز مخيلفي، ١٩٧٨م)، وخالبور(قمبرز، ١٩٦٤م)، وماليزيا (بلات، ١٩٧٧)، واليونان (هاوسهولدر، ١٩٦٣م)، تبين أن بعض الوظائف المحددة المعينة تتكرر فيما يتعلق بالشكلين الأعلى والأدنى.

يقال: إن ضروب اللغة العليا تستخدم في المواعظ الدينية (فرجسون، فيشمن وهاوسهولدرز)، وفي أعمال الحكومة الرسمية (عبد العزيز مخيلفي، بلات وهاوسهولدر)، وفي التعليم (واحتمال هذا الاستخدام يزداد بازدياد مستوى التعليم) (فرجسون، فيشمن، عبدالعزيز مخيلفي، قمبرز، بلات، هاوسهولدر)، وفي التجارة الحديثة (عبدالعزيز مخيلفي، قمبرز، بلات) وهذه الأشكال مرتبطة بالحياة الحضرية أكثر من ارتباطها بالحياة الريفية (عبد العزيز مخيلفي، قمبرز). وتستخدم الضروب العليا نموذجاً لأغراض الكتابة، وخاصة الجادة منها (الاستثناء هي حالة اليونانية).

وتستخدم ضروب اللغة الدنيا في الحديث مع العائلة والأصدقاء (فرجسون، فيشمن، عبد العزيز مخيلفي، قمبرز، بلات، هاوسهولدرز) وبالتحدث إلى الخدم والعمال ذوى المنزلة الأدنى (فرجسون، فيشمن، قمبرز). وترتبط ضروب اللغة الدنيا بالهوية الثقافية المحلية أو الريفية (عبد العزيز مخيلفي، قمبرز).

ويقول فرجسون (١٩٧٢: ٢٣٥-٦): إن هذين النوعين من المواضع يتداخلان فقط بشكل ضئيل، وهذا يبدو صحيحا في أغلب الحالات. ولكن هناك مواضع قلة يكون فيها التداخل معتادا، فمثلا بالرغم من أن كل فرد يتفق على أن اللغة العليا هي لغة التعليم، إلا أن اللغة الدنيا قد تستخدم في بعض المجتمعات للتعليم الأولي، وشرح مواد قدمت بالشكل الأعلى باستخدام الشكل الأدنى أمر ليس شائعا في هذا المستوى. ولكن، إذا كان هناك تسرب كبير في الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى بدا في استخدام أحدهما في وظائف الشكل الآخر، وبالعكس، فإن هذه علامة معتادة للتفكك الأوّلي للعلاقة ذات الازدواجية اللغوية.

تعريف – ازدواجية اللغة الموسعة

عرّف فرجسون (أ ١٩٦٩، ١٩٧٢م) ازدواجية اللغة بشكل محدد يستبعد التوزيع الوظيفي للغات المنفصلة واللهجات المعيارية مقابل الإقليمية. فكان واضحا أن ما قصده ضمنيا هو أن ازدواجية اللغة تعود فقط على المواضع التي يكون فيها شكلان لغويان، وأن يكون الشكلان مختلفين نوعا ما. وقد توسع فيشمن (١٩٦٧م، د ١٩٧٢م) بشكل جلي في هذه الفكرة لتشمل حالات جميع درجات الترابط اللغوي القريب والبعيد، وأشار إلى أن نوع التوزيع الوظيفي للغات الموجودة في ازدواجية اللغة يجب ألا يقتصر على لغتين فقط. وقد ناقشتُ هذا التحديد في التعريف كأسئلة عن المعيارية ذات اللهجات والثنائية، والترابط، واقترحت تخفيف حصر فرجسون السابق في كل حالة. اعتمد فرجسون على حقيقة أن الشكل الأعلى لا يستخدم كأداة للمحادثة اليومية العادية من قبل أي فرد في المجتمع الكلامي، حتى يستبعد حالات المعيارية ذات اللهجات، ولكن هذا المعيار لا ينطبق إذا أعيد تعريف "مجتمع ازدواجية اللغة" بطريقة تجعله أقل ارتباطا بالحدود السياسية. وقد تبين أن الثنائية أكثر تعقيدا مما بدا في مقالة فرجسون السابقة. فهناك حالات ثنائية معقدة سميتها بازدواجية اللغة المزدوجة المتراكبة وازدواجية اللغة المزدوجة المتداخلة. وقد بين بلات (١٩٧٧م) أنه لا يجب حصر التوزيع الوظيفي للغات المشابه لأسلوب ازدواجية اللغة بالمجموعات الثنائية على الإطلاق. أما فيما يتعلق بالترابط، فمن الممكن القول بأن العلاقة بين شكل اللغة والمواضع المعرفة على أساس متصل من الرسمية إلى غير الرسمية قد توجد سواء كانت أشكال اللغة لغات منفصلة أو أنظمة فرعية رئيسة للغة نفسها، أو التبديل الأسلوبي البسيط. وتبقى الوظيفة كخاصية لا تقبل التعديل، فهي قلب مفهوم ازدواجية اللغة وروحه.

وبالرغم من أن عددا غير قليل من الناس قد لا يتفق مع ما توصلت إليه فيما

يتعلق بهذا الشان ، فإنني أقترح التعريف التالي لازدواجية اللغة الموسعة :

ازدواجية اللغة الموسعة هي قصر استخدام الأجزاء اللغوية العليا في المجتمع (والتي لا يتعلمها الفرد أولا ، ولكنه يتعلمها لاحقا وبطريقة شعورية ، ويتم هذا التعليم عن طريق التعليم الرسمي) لأوضاع يدركها الفرد على أنها أكثر رسمية وتحفظا ، وقصر استخدام الأجزاء الدنيا (والتي يتعلمها الفرد أولا وبطريقة لا شعورية) ، مهما كانت درجة الترابط بين هذه الأجزاء العليا والأجزاء الدنيا ، بدءا من الاختلاف في الأسلوب ونهاية بالاختلاف التام كما في اللغات المنفصلة ، على الأوضاع التي يعتبرها الفرد أقل رسمية وأكثر ألفة.(١٧)

وطالما لا يشترط التعريف السابق وجود شكلين لغويين فقط ، فإن من الواضح أن مصطلح "ازدواجية اللغة" غير مناسب. ولكن ازدواجية اللغة مصطلح ذو تاريخ طويل واحترام كبير ، ومن المخجل الاستغناء عنه. ويمكن الاستمرار باستخدام المصطلح إذا فهمنا أن السابقة تعود بشكل عام على نقطتي المتصل ، وهما العلاقتان الرسمية والحميمة ، بدلا من كونها تعود على الشكلين اللغويين. وإذا كان هذا التبرير مقبولا ، فإن من الممكن ببساطة الاحتفاظ بالمصطلح "co-ed" ، وهذا المصطلح اختصار لكلمة "co-educational" (التعليم المختلط) ، وهو لفظ عامي يستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية ليعني الطالبات فقط. وإذا طبقت الأجزاء المكونة لهذه الكلمة وعنت جميع الطلاب ، فمن الواجب أن تعني طالبا من أي من الجنسين يدرس في معهد مختلط. ولكننا لا نعتمد على الأجزاء المكونة للكلمة ، ولذا فأقترح الإبقاء على مصطلح "ازدواجية اللغة" على هذا الأساس ، إن لم يكن على أساس آخر.

وفي الوقت نفسه ، يجب أن لا نستغني عن مفهوم فرجسون الأصلي كلية. وعندما نقرر أننا أمام حالة من حالات ازدواجية اللغة الموسعة ، فمن الأجدر التوقف برهة لفحص درجة الترابط بين الشكلين الأعلى والأدنى. وفي هذه المرحلة ، فنحن

تحتاج فكرة ازدواجية اللغة التقليدية، ولا أعتقد أن تعريف فرجسون لعام ١٩٥٩م بحاجة إلى أي تعديل، باستثناء إزالة عبارة بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة (والذي قد يشمل شكلا معياريا أو أشكالا معيارية إقليمية) (فرجسون، ١٩٧٢، ص ٢٤٥)، حتى يتسنى تضمين الأشكال المعيارية واللهجات الإقليمية الموزعة وظيفيا. وتعطينا ازدواجية اللغة التقليدية بوضوح نقطة الوسط في المدى الممكن من الترابط الذي قد يوجد في ازدواجية اللغة الموسعة. وعندما يكون الشكلان اللغويان الأعلى والأدنى أقل ارتباطا، فإننا أمام ثنائية لغوية فوقية. وعندما يكون الترابط بين الشكلين أكثر، فإننا نتحدث عن التبديل الأسلوبي. ويشرح الجدول رقم (٢,٣) هذه العلاقات بين هذه المصطلحات. والفروق بين هذه الأنواع الثلاثة الفرعية نسبية.

الجدول رقم (٢,٣). الأنواع الفرعية لازدواجية اللغة الموسعة.

الترابط اللغوي	النوع الفرعي لازدواجية اللغة الموسعة
لغات منفصلة	ثنائية اللغة التقليدية
لهجات مختلفة	ازدواجية اللغة التقليدية
الاختلاف الأسلوبي	التبديل الأسلوبي

ويؤكد فرجسون أن ازدواجية اللغة قد تبقي ثابتة لقرون، وهي بالفعل كذلك. ولكن، تختلف العلاقات في ازدواجية اللغة. وعندما تختلف فإنها تعطي علامات دالة على ذلك. والخاصيتان اللتان تعكسان التغيير في ازدواجية اللغة، هما: (١) التسرب في الوظيفة، و (٢) الخلط بين الأشكال. ويبدو أن هاتين الخاصيتين توجدان في إحدى حالات ازدواجية اللغة التقليدية (اليونان). وفي إحدى حالات ثنائية اللغة الفوقية (تنزانيا).

علامات التغيير

اليونان

يبدو أن علاقة ازدواجية اللغة التقليدية بين يونانية كاثاريفوسا وديموطيقيته قد اقتربت من نهايتها. وقد تنبأ فرجسون (١٩٧٢م، ص ٢٤٩) أن اليونان قد طور لغة قومية وحيدة مبنية على الشكل اليوناني للديموطيقية المستخدمة في أثينا، مع خليط كبير نوعا ما من مفردات كاثاريفوسا. يوافق كازازيس (١٩٧٦م، ص ٣٦٩) على أن اليونانية الحديثة في طريقها لتصبح أحادية اللغة". وأن بعض العناصر من كاثاريفوسا ستستمر في البقاء. ويقول براوننغ Browning (١٩٨٢م، ص ٦٦): إن الصراع اللغوي الأساسي بين كاثاريفوسا وديموطيقية قد حل بشكل واضح لصالح ديموطيق، بالرغم من أنه لم يقرر بعد أي الصفات بالتحديد من الشكل اللغوي الأدنى القديم سيكون جزءا من اللغة القومية السائدة.

وبدأت ازدواجية اللغة اليونانية في التسرب بشكل جدي في نهاية القرن التاسع عشر، عندما بدأت مجموعة من أشهر الأدباء اليونانيين، مثل الشاعر كوستس بالاماس Kostis Palamas بالكتابة في لغة الديموطيقية اليونانية، وبالرفض المتعمد للكتابة بلغة كاثاريفوسا.[١٨] وفي ١٨٨٨م، نشر يانيس سيكاريس Yannis Psycharis تقريرا عن رحلة في اليونان تحت عنوان "To taxidi mou"، والذي أصبح نوعا ما البيان الرسمي لمتحدثي الديموطيقية (براوننغ، ١٩٨٢م). وقد خلق عمل سيكاريس شكلا معياريا منظما للديموطيقية، والذي انتقده بعض المتحمسين للديموطيقية بأنه شكل مصطنع جدا. ومع ذلك، فإن نشر "To taxidi mou" وضع حجر الأساس لبداية حركة كانت ناجحة جدا بدليل أن جميع الأعمال الأدبية والنقدية تقريبا تكتب الآن بالديموطيقية. ولم يحدث هذا التغيير في الحالة اللغوية بسهولة. ولم يؤد نشر ترجمة العهد الجديد بالديموطيق في عام ١٩٠١م إلى إصدار

منشور عام شجب من ايكويم بطريرك الكنائس فقط، ولكنه أدى أيضا إلى إثارة الشغب في شوارع أثينا (براوننغ، ١٩٨٢م، ص ٥٥). وعلاوة على ذلك، فإن تفوق الديموطيقية على كاثاريفوسا في الأدب الثقافي أبرز تقدمها في المجتمع بأكمله. وبالرغم من أن الديموطيقية كانت مقبولة تماما في الأدب، إلا أن المتحدث بها يبدو وكأنه "عامل لتحميل السفن" (أي غير متعلم) أو "شيوعي" (أي متطرف) (كازازيس. مخطوطة).[١٩] وكان استخدام الفرد لليونانية مهما اجتماعيا وسياسيا لدرجة أنه حتى عهد قريب كان من الممكن "استخلاص نتائج عن المنزلة الاجتماعية للمتحدث وانتمائه السياسي من طريقة استخدامه التصريف الثالث للاسم" (براوننغ، ١٩٨٢، ص ٦٧).

وقد تغيرت ازدواجية اللغة باليونانية في المجتمع الأوسع، ولكن ببطء شديد. وبالرغم من أن الديموطيقية كانت تستخدم كلغة تعليم في بداية هذا القرن، إلا أن كاثاريفوسا أعيدت للاستخدام من قبل النظام الذي استلم السلطة في عام ١٩٦٧م. وفي عام ١٩٧٦م جعلت الديموطيقية اللغة الوحيدة للتعليم خلال التعليم الثانوي (سوتيروبولوس، ١٩٧٧م؛ براوننغ ١٩٨٢م).[٢٠] وحاليا ما يزال استخدام كاثاريفوسا شائعا في المحاكم (هي اللغة التي كتبت بها معظم القوانين)، وفي القوات المسلحة، وفي الاستمارات الرسمية، وفي الإعلانات العامة. أما الحيز الآخر الذي تستخدم فيه كاثاريفوسا جزئيا فهو الخطابات البرلمانية والسياسية والمحاضرات الجامعية. ويتم الاتصال الرسمي المكتوب للكنيسة الأرثوذوكسية بشكل من اليونانية "ليس قريب الشبه بكاثاريفوسا، ولكنه يشبه الشكل البيزنطي أكثر" (براوننغ، ١٩٨٢، ص ٥٨).

ويبدو أن التسرب الكبير هذا قد ترك الناس غير متأكدين من توزيع استخدامهم الشكلين الأعلى والأدنى، لدرجة أن هناك اليوم خليطا كبيرا من اللغتين، خاصة في

الكلام. وفي مقال نشر عام ١٩٦٣م، أصر هاوسهولدر (١٩٦٣م، ص ١٢١) على أنه من الممكن دائما تمييز الشكلين الأعلى والأدنى من اليونانية، ولكنه كان يقصد فقط النصوص المكتوبة (واعترف بأن هناك بعض المزج حتى في الكتابة). وذكر كازازيس (١٩٧٦م، ص ٣٧٠) أن الحدود الفاصلة بين كاثاريفوسا والديموطيقية "غير واضحة"، وأننا "نتعامل مع متصل وليس مع شكلين لغويين محددين تماما". وذكر براونغ (١٩٨٢م، ص ٦٧) "أن هناك عددا كبيرا من الأزواج وتعددية في الخيارات المتاحة لمتحدثي وكتاب اليونانية الحديثة". وتعكس حالة اليونانية كلا من علامتي انتهاء ازدواجية اللغة التقليدية - التسرب في الوظيفة والخلط بين الأشكال - ويبدو أن تنبؤ فرجسون كان في محله.

تنزانيا

يعطي وصف عبد العزيز مخيلفي لازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة الانطباع بأن السواحيلية تمتد في الاستخدام لأعلى وأدنى من موقعها المتوسط. فتستخدم اللغات المحلية التنزانية، وهي اللغات الدنيا نسبة للسواحيلية التي تمثل اللغة العليا، بشكل رئيسي كلغات "تدل على الهوية العرقية الثقافية والتضامن" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ١٣٥). ومن جهة أخرى، فالسواحيلية تبين إعادة التأهيل الاجتماعي للفرد على المستوى القومي. وكما وصف ذلك عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨م، ص ١٣٥) بقوله: "هناك اندماج لاختلافات الدور والقيمة بين المتحدثين الشباب والأقل قبلية معتمد على السواحيلية واللغة المحلية، وغالبا تهيمن عليها أنظمة اللغة السواحيلية". فقد ذكر أحد عشر فردا من عينة رواة عبد العزيز مخيلفي أنهم يتكلمون المحلية الصرفة فقط مع أولئك الذين لا يفهمون السواحيلية، وهم قلة من سكان تنزانيا.

وهناك بعض الأدلة على تسرب السواحيلية لوظائف كانت مخصصة للإنجليزية

أيضا. وبالرغم من أن الإنجليزية هي لغة الإدارة الحكومية بشكل كبير على المستوى القومي، إلا أن هناك كما كبيرا من المكاتبات بين السلطات الإقليمية تتم بالسواحيلية. وتستخدم السواحيلية في الاجتماعات السياسية التي يشارك فيها عدد كبير من الحضور، كما هو الحال في اجتماعات الحزب السياسي المسيطر. وهناك نسختان أحدهما بالإنجليزية والأخرى بالسواحيلية لجميع الاستمارات الرسمية للحكومة. وفي العاصمة، دار السلام، تلقى المواعظ الإسلامية بالسواحيلي، بينما تجري المناسبات الدينية الأخرى المقامة في أوقات مختلفة باللغتين السواحيلية والإنجليزية. وعلى العموم، فإن السياسة والممارسة هي "بأن يستخدم أكبر قدر ممكن من السواحيلية، باستثناء بعض المواضع التي لا يمكن فيها استخدامها لأسباب تقنية أو لغوية" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ص ١٣٩).

وقد ذكر عبد العزيز مخيلفي أنه بالإضافة إلى التسرب ينتشر خلط السواحيلية مع اللغات الأخرى. ويبدو أن خلط اللغات المحلية مع السواحيلية هو نتيجة الصراع بين ولاء المتحدث لجماعته العرقية وقيمها وبين الولاء للحياة القومية وقيمها. أما فيما يتعلق بالإنجليزية، فيبدو أن جزءا من الدافع للتحول هو الصراع بين رغبة المتحدث بالتعبير عن القيم القومية من جهة، وبين حاجته للمفردات التقنية والرغبة في إحراز تحصيله التعليمي من جهة أخرى. والجزء التالي الذي قدمه عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨م، ص ١٤٠) مثال على التحول بين السواحيلية والإنجليزية بسبب عدم وجود المفردات (السواحيلية مكتوبة بالخط المائل):

Zile hormones *za uvyazi za* tilapia *zategemea zile* environmental factors *zinazowaathiri hawa* tilapia.

(تعتمد هرمونات التوالدية على كيفية مس العوامل البيئية للتاليبا.)

ويبدو أن المتحدث يتحول إلى الإنجليزية فقط عند الحاجة للمصطلحات التقنية.

ولكن هذا الجزء لا يعرض بشكل كامل ما يحدث فعلا. ويذكر عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨، ص ١٤٠) أن التحول السريع بين السواحيلية والإنجليزية يحدث "حتى لو كان هناك مرادف للمفردات الإنجليزية في السواحيلية". وأعطى بعد ذلك مثالا على ما يبدو أنهما كلمتان مترادفتان في اللغتين، ولكنهما لم تكونا مترادفتين في ذهن المتحدث ثنائي اللغة. وقد ضمّن أحد المتحدثين ذو الثنائية اللغوية كلمة إنجليزية، وهي كلمة (فاكهة)، في جملة يمكن التعبير عنها في اللغة السواحيلية فقط. وعندما سئل لماذا لم يستخدم الكلمة السواحيلية التي تعني فاكهة أيضا، قال: إن الكلمة السواحيلية "matunda" تعني الفاكهة التي تلتقط من الأشجار، بينما تعني كلمة فاكهة "fruit" بالإنجليزية الفاكهة التي تشترى من السوق (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨، ص ١٤٣).

وعلى أية حال، يبدو أن هناك توسعا في استخدام السواحيلية يزداد على حساب كل من اللهجات المحلية والإنجليزية. وهناك خلط بين اللغات، يصاحب عادة مثل هذا التوسع. وإلى الحد الذي يطور فيه التنزانيون القومية، أي أنهم يرون أنفسهم كتنزانيين، أو حتى أيضا أكثر من كونهم أفرادا لجماعة عرقية ذات قومية فرعية، يمكننا أن نتوقع التخلي عن اللهجات المحلية في سبيل السواحيلية. ويبدو أن براغوي أمة قد وصلت مرحلة متقدمة من هذا النوع من التطور، والذي حلت فيه اللغة القومية، وهي قوارني، كليا، محل اللغات العرقية. ويتنبأ عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨م، ص١٤٥) بأن في تنزانيا "قد تزداد ازدواجية لغة بسيطة للعديد من الأفراد ثنائيي اللغة بالسواحيلية والإنجليزية، تماما كما هي الحالة بالنسبة لثنائية اللغة الإسبانية ولغة قوارني في براغوي. ولكن يظهر أن هذا تغير قد يستغرق حدوثه أجيالا عدة. ويبدو أن السواحيلية في تنزانيا مقبولة للقيام بوظائف اللغة العليا أكثر من القبول الذي تجده قوارني في براغوي، للقيام بالوظائف نفسها: فهي تستخدم كلغة تعليم في التعليم الابتدائي، بينما يبلغ الاستخدام نفسه لقوارني بحذر شديد. ولا يبدو الإحلال الكامل

للسواحيلية مكان الإنجليزية وشيك الحدوث. ويبدو أن الحاجة للإنجليزية ستستمر كلغة للتجارة الدولية، والدبلوماسية، والعلوم والتكنولوجيا، على الأقل، في المستقبل المنظور.

ويبدو أن قدر اليونان هو المرور بتغير في ازدواجية اللغة تجاه نظام لغوي متحد، يشتمل على أجزاء من كل من الشكلين الأعلى والأدنى القديمين، وبسيطرة الشكل الأدنى القديم. وحتما قد يتغير الجزء الأدنى من ازدواجية اللغة المزدوجة المتراكمة في تنزانيا، فقد يحل الشكل القديم الأعلى على الأقل محل بعض الأشكال الدنيا القديمة. ومن المحتمل المحافظة على كل من الشكلين الأعلى والأدنى في الجزء الأعلى من الازدواجية، بالرغم من أن من المحتمل أن يضيق الشكل الأدنى الخناق على مدى الوظائف المخصصة للشكل الأعلى. ولا نعني في كلتا الحالتين نهاية ازدواجية اللغة. فازدواجية اللغة لا تنتهي أبدا، فهي من طبيعة لغة الإنسان. وستعني التغيرات التي ناقشناها أن ازدواجية اللغة ستبدأ في الظهور من خلال مجموعة متحدة أكثر من الخيارات اللغوية، أي ستظهر بشكل أكبر بالذي سميناه بالتحول الأسلوبي، وبشكل أقل بما دعيناه بالثنائية اللغوية الفوقية، أو ازدواجية اللغة التقليدية.

هوامش مراجع إضافية

بعض الدراسات التي ناقشت الحالات الأربع التي ذكرها فرجسون هي كالتالي: فرجسون، ب ١٩٥٩؛ كاي Kaye، ١٩٧٠؛ زغول Zughoul، ١٩٨٠م عن العربية؛ هاوسهولدرز، ١٩٧٦م؛ سوتيرولولس، ١٩٧٧/؛ براونـج، ١٩٨٢م عن اليونانية (دراسة براونتج ١٩٦٨م عن الألمانية السويسرية. وتشمل بعض الدراسات الأكثر حداثة عن حالات أخرى لازدواجية اللغة مايلي: فلنت ١٩٧٩ك (أشكال لغوية من إنجليزية في جزيرة نورفولك؛ هقيز Hughes، ١٩٧٢م (الإنجليزية

والفرنسية في مونتريال)؛ جاكولا Jaakkola، ١٩٧٦م (اللغتان السويدية والفينش في السويد)؛ كرايزن، ١٩٧٩ (الروسية)؛ ماقنر Magner، ١٩٧٨م (المعيارية الكرواتية واللهجة المحلية لسبلت في يوغلاسفيا)؛ ميوس Meeus، ١٩٧٩ (البلجيكية المعيارية ولغة القلمش في بلجيكا)؛ باراشير Parasher، ١٩٨٠ (الإنجليزية واللغات في الهند).

هوامش

(١) نشر مقال فرجسون بعنوان "ازدواجية اللغة" أول مرة في مجلة Word في عام ١٩٥٩ م. والاستشهادات في هذا الفصل هي من ذلك المقال بعد إعادة نشره في كتاب حرره جيجيليولي Gigiloli (١٩٧٢م).

(٢) كما سنرى لاحقا وكما توقع فرجسون، فإن ازدواجية اللغة في اليونانية تقترب من النهاية في المفهوم التقليدي لمصطلح "ازدواجية اللغة". فقد مرت لغة الأدب في اليونان بتحول عكسي مدهش.

(٣) إلى حد ما، فإن حالتي اليونانية والسويسرية استثناءان لهذا.

(٤) وهذا أيضا صحيح عندما يستخدم تعريف فرجسون (١٩٧٢م، ص ص ٢٤١-٢) الأكثر تقنية للبساطة.

(٥) لن تؤخذ الاستشهادات من مقال فيشمن الأصلي، ولكن من نسخة معدلة بعض الشيء في (فيشمن، د ١٩٧٢م).

(٦) بالرغم من أن من الواضح أن فيشمن قد أدرك أنه قد يستخدم أكثر من ضربين لغويين لأغراض منفصلة في المجتمع، ولكن من غير الواضح ما إذا كان يعتقد أنه يجب تسمية هذه الحالات بازدواجية اللغة، وبالفعل من المفترض أنه لا

يعتقد ذلك. ولكن الأقل وضوحا هو مدى اعتبار فيشمن حالة ضربي اللغة كحالة خاصة.

(٧) كما رأينا في الفصل الأول، فمن المبالغة افتراض أن كل فرد في براغوي يتحدث الإسبانية وقوارني.

(٨) توجد في مقال قمبرز (١٩٦٢م، ص ٣٢) فكرة متشابهة للعلاقة بين المجتمع اللغوي والضروب اللغوية. وغايتي توسيع مصطلح "الوحدة الاجتماعية" حتى يشمل حالات فيشمن لـ "ازدواجية اللغة دون ثنائيتها".

(٩) ستميز الحالة المعاكسة، والتي يكون فيها شكل لغوي واحد أدنى وعدة أشكال لغوية عليا، بين المجتمعات الكلامية باستخدام تعريفي. ومن غير الواضح ما إذا كانت مثل هذه الحالات موجودة. وقد اقترح علي ألن بيل Allen Bell أن المكان الذي يجب أن نبحث فيه عن مثل هذه الأمثلة سيكون في مناطق الحدود القومية، حيث تعيش جماعة اجتماعية ثقافية على جانبي الحدود. وفي مثل هذه الحالات ، فإن الشكل الأدنى قد يكون لغة المجموعة الصغيرة نفسها لكلا الطرفين، أما الشكلان العلويان فقد يكونان اللغة القومية لأفراد المجموعة، كل بحسب الجزء الذي يعيش فيه.

(١٠) ومن المناسب هنا الإشارة إلى أنه على الرغم من مصطلح "أدنى" ، فإن الوظائف التي تخدمها ضروب اللغة الدنيا أهم بدرجة كبيرة للفرد كشخص من الوظائف التي تخدمها ضروب اللغة العليا.

(١١) سنتطرق لتنزانيا مرة أخرى عندما نناقش التخطيط اللغوي في الفصل العاشر.

(١٢) ناقش قمبرز في مقالين على الأقل (١٩٦٢م، ١٩٦٤م) التوزيع الوظيفي

للغات داخل الجماعة، وأورد مقال فرجسون (أ ١٩٥٩م) من ضمن مراجعه، ولكنه تحاشى استخدام مصطلح "ازدواجية اللغة".

(١٣) يدرك بلات احتمالية تجميع لغات فرعية داخل لغات، والذي ميزه بوضوح عما وجده في سنغافورا وماليزيا (بلات، ١٩٧٧م، ص ٣٦٣).

(١٤) لقد عدلت الجزء غير الرسمي من الترجمة غير الرسمية، ولذا فهي تختلف قليلا عن ترجمة ستيوارت (١٩٦٣م، ص ١٥٨).

(١٥) بالنظر إلى ذلك بهذه الطريقة، فإن قراء هذا الكتاب من متحدثي اللغة الإنجليزية الأصليين يستخدمون الآن معرفتهم بالأسلوب "الأعلى" للإنجليزية، وعند تحدثهم في المرة القادمة مع أفراد العائلة والأصدقاء القريبين سيستخدمون الأسلوب الإنجليزي الأدنى.

(١٦) للنقاش السريع بين مؤيدي ومعارضي مسألة القرابة، انظر فلمان Fellman (١٩٧٥م) وجونسون Johnson (١٩٧٥).

(١٧) لا شك في أنه ستكون هناك حالات يتمنى المرء تسميتها بازدواجية اللغة، والتي لن تتطابق تماما مع هذا التعريف من جهة أو أخرى. وإحدى هذه الحالات التي أعرفها هي الاعتزاز الكبير الذي يملكه متحدثو الألمانية في سويسرا بأشكالهم اللغوية الدنيا، وهي لهجاتهم السويسرية. وكما ذكر مولتون (١٩٦٣م) فقد كتبت كتب القواعد لبعضهم، كما أنه جُهِّزت مدرسة لتعليم الألمانية السويسرية للمغتربين السويسريين العائدين إلى البلد مع تفضيل القواعد الفونولوجية للألمانية النموذجية، أي اللهجة العليا، والتي تجعلها تبدو سويسرية أكثر. ومن هنا فمن غير الواضح ما إذا كانت الأشكال اللغوية الدنيا من الألمانية المتحدثة في سويسرا "أقل تقديرا" من الألمانية النموذجية. وكما رأينا

في الفصل السابق فإن قوارني "أقل تقديرا" من الإسبانية في وضع ازدواجية اللغة العامة في براغوي، فقط بشكل محدود.

(١٨) وقد كتب أحد كتاب الرواية والقصة القصيرة في تلك الفترة وهو الكساندر بابا ديمانتيس، الحوار في أعماله باستخدام اليونانية المحكية في عصره، أما السرد القصصي فكتب بكاثاريفوسا مع خصائص عديدة من الديموطيقية، أما الوصف والاستطراد بقصائد الشعر المغنى فقد كتب بشكل من الكاثاريفوسا الأكثر تقليدية (براونغ ، ١٩٨٢، ص ٥٤).

(١٩) قاد هذا إلى وضع غير سوي في ازدواجية اللغة، حيث إن الكّتاب يكتبون بشكل لغوي "أدنى" من ذلك الذي يتكلمونه (كازازيس، ١٩٧٦م).

(٢٠) وجد براوننغ (١٩٨٢م، ص ٥٧) أن من "غير المحتمل" أن تقوم أي حكومة في اليونان بإعادة كاثاريفوسا كلغة تعليم.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على تحديد أي من الخصائص التسع الأكثر أهمية لازدوجية اللغة.

٢- أن يكون قادرا على التعرف على ردة الفعل لاستخدام أحد الشكلين الأعلى أو الأدنى في حالة معينة (مناسب أو غير مناسب)، كتلك المذكورة في الجدول رقم (٢.١).

٣- أن يكون قادرا على التعرف على أنماط الاكتساب لكل من اللهجتين العليا والدنيا، وأي منها يتعلمها الشخص بطلاقة أكثر.

٤- أن يكون قادرا على ذكر الحقيقة المذهلة لمفردات الشكلين الأعلى والأدنى، والتي أشار إليها فرجسون.

٥- أن يكون قادرا على التعرف على العلاقة بين القواعد والفونولوجيا للشكلين الأعلى والأدنى.

٦- أن يكون قادرا على التعرف على أكثر الاحتمالات وقوعا كنتيجة لازدواجية اللغة إذا لم تبق ثابتة.

٧- أن يكون قادرا على تحديد التعديلين المهمين اللذين قام بهما فيشمن لمصطلح ازدواجية اللغة بمفهوم فرجسون.

٨- أن يكون قادرا على ذكر العامل المشترك في ازدواجية اللغة الذي يتفق فيه فرجسون وفيشمن.

٩- وحسب الوصف المذكور لتلك الحالة، يجب أن يكون قادرا على تحديد أي من فئات فيشمن الأربع يمكن أن تكون ضمنه.

١٠- أن يكون قادرا على ذكر العامل الذي يرى فاسولد أنه سيجعل التمييز بين ازدواجية اللغة مع ثنائيتها وازدواجيتها بدون ثنائيتها أقل فائدة.

١١- أن يكون قادرا على تمييز فكرة فرجسون الضمنية للمجتمع الكلامي ذي الازدواجية اللغوية وعلى تعريف فاسولد.

١٢- أن يكون قادرا على ذكر أهم سمات ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة.

١٣- أن يكون قادرا على ملاحظة وصف ازدواجية اللغة ثنائية التداخل كما هو الحال في خالبور في الهند.

١٤- أن يكون قادرا على تحديد أهمية تعددية اللغة الخطية لمسألة الثنائية.

١٥- أن يكون قادرا على التعرف على خلاصة المناقشة لمسألة القرابة، والتي قادت إليه الدراسات عن الشكل اللغوي الفرنسي لهيتي واللغة الروسية، ومن منظور مختلف الحالة في خالبور.

١٦- أن يكون قادرا على التعرف على السؤال الذي يتفق فيه تعريف فاسولد لازدواجية اللغة العامة مع تعريف فرجسون الأصلي.

١٧- أن يكون قادرا على التعرف على درجات القرابة اللغوية الملازمة لـ "ازدواجية اللغة التقليدية" والنوعين الآخرين المعارضين لها من أنواع ازدواجية اللغة العامة (الجدول ٢.٢).

١٨- أن يكون قادرا على تسمية خاصيتي التغيير في علاقات ازدواجية اللغة.

١٩- أن يكون قادرا على ذكر ما إذا كان فاسولد يعتقد أن التغيير في ازدواجية اللغة قد يعني نهايتها ، في المفهوم الموسع.

الفصل الثالث

الصيغ النوعية

النّهج الصيغية

لقد استكشفنا الأوجه الاجتماعية والسياسية للتعددية اللغوية للمجتمع بما يكفي؛ لتمكيننا من ملاحظة أن بعض الأنماط تتكرر في لغات مختلفة في أرجاء مختلفة من العالم. فمثلا، نجد لغات الدول الأوروبية المستعمرة كلغة حكومية رسمية في براغوي (الإسبانية)، وفي تنزانيا (الإنجليزية)، وفي الهند جزئيا (الإنجليزية). وفي الوقت نفسه، نجد لغات أصلية معلنة كلغات قومية في البلدان الثلاث (قوارني في براغوي، والسواحيلية في تنزانيا، والهندي في الهند). ويجب ملاحظة أن هذه البلدان تقع في ثلاث قارات مختلفة، وأن تلك اللغات الأصلية لا قرابة بينها على الإطلاق. ورأينا في بلدين استعرضناهما سابقا وجود مناطق فرعية ذات تعددية لغوية كبيرة وتخلف اقتصادي نسبي (ولاية نقالاند الهندية ومنطقة تشاكو في براغوي). ويوجد في هاتين المنطقتين لغات عديدة متقاربة يتحدثها عدد قليل من الناس والذين بدأوا حديثا الانضمام إلى الحياة القومية. ورأينا أيضا أنماطا متشابهة بدرجة مذهلة لازدواجية اللغة بين الإسبانية وقوارني، والعربية الكلاسيكية والعامية، وأسلوبي عامية خالبور، موتي بولي وصاف بولي. وهذه فقط بضعة أمثلة لتعميمات لسانية اجتماعية تبدو متكررة الحدوث بغض النظر عن المكان واللغة.[1]

التصنيف والصيغ

إذا كانت هناك تعميمات كهذه من الممكن تطبيقها في جميع أنحاء العالم، فهل من الممكن إصدار بيانات عامة لعلم اللغة الاجتماعي ممكنة التطبيق على جميع بلدان العالم، أو على الأقل على مجموعات منها؟ وخلال الستينيات من هذا القرن كانت هناك جهود لاكتشاف أنماط عامة في اللسانيات الاجتماعية والتي قد تسهل عمليات المقارنة بين البلدان. وقد تطور هذا الجهد بنوعين من النهج، هما: التصنيف والصيغ. كانت عمليات التصنيف محاولات لإعداد فئات مبنية على متغيرات قليلة، بحيث يمكن إدراج أي بلد فيها. وقد أكدت أهمية التطور التاريخي للأمم (شيء مقارب للأنماط الأربعة التاريخية المذكورة في الفصل الأول)، والوضع القانوني للغات المختلفة في البلدان، ووضع القومية الحاكمة نسبة إلى البلد ككل، وأسئلة تتعلق بالتطور والقرابة للغة، وحجم عدد السكان الذين يتكلمون اللغات المختلفة. وقد طوِّر تصنيفان بوساطة كلوس Kloss (١٩٦٦ م، ١٩٦٨م) ورستو Rustow (١٩٦٨م)، أما النهج الآخر فقد بدأ به ستيوارت (١٩٦٢م)، وعدله فرجسون (١٩٦٦م) ببعض التطوير لعمله السابق (فرجسون، ١٩٦٢م)، ومن ثمّ عدله ستيوارت مرة أخرى (١٩٦٨م).[٢] ولرؤية كيفية عمل نهج الصيغ سنلرس بالتفصيل الأنظمة التي اقترحها فرجسون (١٩٦٦م) وستيوارت (١٩٦٨م).

صيغ فرجسون.

كان هدف فرجسون هو إكمال البحث الذي قام به ستيوارت سابقا لإيجاد نظام تدويني محكم، يمكن تطبيقه على الأمم للحصول السريع على حقائق مهمة لعلم المجتمع، وقد بدأ فرجسون بوضع ثلاث فئات عامة يمكن إدراج لغات الأمة فيها. فاللغة تعتبر لغة رئيسية (ل ر) إذا لاقت إحدى هذه المؤهلات الثلاث على

الأقل:

١- أن تكون محكية كلغة أصلية من قبل أكثر من ٢٥٪ من السكان، أو أكثر من مليون نسمة.

٢- أن تكون اللغة الرسمية للبلد.

٣- أن تكون لغة التعليم لما يزيد عن ٥٠٪ من أولئك الذين يكملون المدرسة الثانوية في الأمة.

وتكون اللغة ثانوية (ل ث) إذا لم تلاق أيا من المتطلبات الرئيسية الثلاثة للغة، ولكن لها إحدى الخصائص التالية:

١- يتحدثها كلغة أصلية أكثر من ٥ بالمائة من السكان، أو أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص.

٢- تستخدم كلغة تعليم بعد السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ولها كتب منهجية غير تلك الكتب التمهيدية المكتوبة فيها.

أما الفئة الثالثة فمصممة لتشمل تلك اللغات التي تبدو مهمة، ولكنها لا تفي بأي من متطلبات اللغتين الرئيسية والفرعية.[٣] وقد تستخدم اللغة ذات المنزلة الخاصة (ل م خ) كلغة الدين أو للأغراض الأدبية، أو تعلم بشكل واسع كمادة دراسية في المرحلة الثانوية، أو تستخدم كلغة مشتركة.[٤]

وبالإضافة إلى هذه الفئات العامة، فإن صيغ فرجسون وستيوارت تشمل النماذج والوظائف. وقد اقتبس فرجسون فكرة النماذج والوظائف من عمل ستيوارت السابق (ستيوارت ، ١٩٦٢م) . والنماذج الخمسة للغة التي ميزها فرجسون هي كما يلي:

١- *اللغة المحلية* (ويرمز لها بالحرف مح) ، وهي اللغة الأم غير القياسية للمجتمع الكلامي.

٢- *اللغة النموذجية* (نم)، وهي لغة محلية قياسية.

٣- *اللغة الكلاسيكية* (كل)، وهي لغة نموذجية ماتت كلغة أم.

٤- *اللغة الخليط* (خل)، وهي لغة هجين تجمع مفرداتها من لغة ما وبناؤها القواعدي من لغة أو لغات أخرى.

٥- *اللغة المزيج* (مز)، وهي لغة خليط أصبحت لغة أم لمجتمع كلامي معين.

وأعطى فرجسون الوظائف التالية التي ستحققها النماذج المختلفة من اللغات إشارات الوظائف في النص الأصلي مكتوبة بأحرف تحت السطر).

١- *وظيفة الجماعة* (جم)، مخصصة بشكلٍ أساسي للاتصال داخل حدود مجتمع كلامي معين ، وتعرفهم على أنهم جماعة اجتماعية ثقافية معينة في البلد.

٢- *الاستخدام الرسمي* (رس)، معلنة شرعيا كلغة رسمية، أو مستخدمة للأغراض الحكومية على المستوى القومي.

٣- *لغة الاتصال الأوسع* (أ ت)، أو لغة مشتركة تستخدم داخل بلد ما للاتصال بين المجتمعات العرقية.

٤- *الاستخدام التعليمي* (تع)، تستخدم في التعليم بعد السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية، تنشر بها كتب منهجية.

٥- *الأغراض الدينية* (دي).

٦- *الاستخدام الدولي* (دو)، للاتصال مع الأمم الأخرى.

٧- *وظيفة أو وظائف مادة دراسة* (مد)، تدرس بشكلٍ واسع كمادة في المدرسة عوضا عن استخدامها كلغة تعليم.

وبعد ذلك تجمع هذه الأصناف الثلاثة من المعلومات في صيغة واحدة. ويمكن شرح بنية الصيغة باستخدام صيغة فرجسون لبراغوي (١٩٦٦م، ص ٣١٤)، وهي أمة نعرفها الآن.

٣ لغ = ٢ ل ر (نم رس، مح جم) + ∴ل ث + ١ ل م خ (كل دي)

وتقرأ الصيغة كما يلي:

هناك ثلاث لغات في براغوي، منها لغتان رئيستان، أحدهما لغة نموذجية تقوم بوظيفة الاستخدام الرسمي، والأخرى محلية تقوم بدور وظيفة الجماعة، ولا يوجد فيها أي لغة ثانوية، وبها لغة واحدة ذات منزلة خاصة، وهي اللغة الكلاسيكية التي تقوم بوظيفة الأغراض الدينية.

ولا يمكن تمييز اللغات مباشرة عند قراءة صيغة فرجسون، ولكن ليس من الصعب الوصول إلى معرفة أن اللغة النموذجية هي الإسبانية، وأن المحلية هي قوارني، وأن اللغة الكلاسيكية هي اللاتينية.

ويمكن تطوير نظام التدوين الأساسي بإضافة ثلاث أدوات إضافية. فيمكن الإشارة إلى ازدواجية اللغة باستخدام علامة الترقيم (:) بين ضروب اللغتين العليا والدنيا، فعلى سبيل المثال تتضمن صيغة المغرب المدخل التالي كل: مح رس دي ا ت[٦] الذي يمكن قراءته على النحو التالي:

هناك أشكال كلاسيكية ومحلية للغة، تكون في علاقة ازدواجية اللغة، حيث تعتبر الكلاسيكية اللهجة العليا والمحلية اللغة الدنيا وتتوزع وظائف الاستخدام الرسمي والأغراض الدينية والاتصال الأوسع بينهما كما هو متوقع في ازدواجية اللغة، أي أن الشكل الكلاسيكي سيقوم بوظائف الاستخدام الرسمي والديني، بينما تقوم المحلية بوظيفة الاتصال الأوسع.

ويكتب نموذج اللغة ووظيفتها بحروف طباعة ثخينة للدلالة على أن إحدى اللغات الرئيسية هي "اللغة السائدة قوميا"، وتعرف بأنها لغة يستخدمها أكثر من ثلاثة أرباع السكان كلغة أولى أو ثانية (فرجسون، ١٩٦٦ م، ص ٣١٣). وأخيرا، هناك بلدان فيها لغات عديدة لجماعات صغيرة، ولا يصلح أي منها على انفراد لأن تكون

لغة رئيسة، أو لغـة ثانوية، أو لغـة ذات منزلـة خاصـة. ولكـن عنـد النظـر إليها ككتلة واحدة ، فإن هذه اللغات تمثل مجموعا لا بد من تمثيله في صيغة. ويستخدم فرجسون علامة الحصر [ ] وعلامة الجمع (+) للإشارة إلى تلك الكتلة من اللغات، والتي تظهر كلغات محلية تشكل مجتمعة حجم لغة ثانوية. ولإيضاح كيفية عمل هذا، انظر إلى الصيغة التالية لتايوان (فرجسون، ١٩٦٦م، ص ٣١٤):

٥+ لغ = ٣ ل ر (نم رس ا ت، ٢ مـح جـم) + .·.ل ث ([مـح]) + ٢ ل م خ (كل دي، نم مد دو)

وتقرأ الصيغة كما يلي:

هناك خمس لغات، بالإضافة إلى كتلة من اللغات، منها ثلاث لغات رئيسة، واحدة لغة نموذجية تقوم بوظائف الاستخدام الرسمي والاتصال الأوسع، ولغتان محليتان تؤديان وظيفة الجماعة: لا يوجد هناك لغات ثانوية، ولكن هناك كتلة من اللغات المحلية، تشكل مجتمعة لغة ثانوية، وهناك لغتان ذات منزلة خاصة، إحداهما كلاسيكية تقوم بالوظيفة الدينية والأخرى لغة نموذجية تؤدي وظائف المواد الدراسية والاتصال الدولي.

صيغ ستيوارت.

تعتبر صيغ ستيوارت (١٩٦٨م) بمثابة تعديل للنظام التدويني الذي اقترحه في عام ١٩٦٢م. ومثل صيغ فرجسون، فإن صيغ ستيورات تحتوي على نماذج اللغة ووظائفها، وتسمح بالتعبير عن وجود ازدواجية اللغة ، وتعطي مؤشرات على حجم عدد السكان الذين يتكلمون اللغات المختلفة (ولكن يُتعامل مع المهمتين الأخيرتين بشكل مختلف عند ستيوارت). وأحد أوجه نهج ستيوارت هو تعريفه نماذج اللغة عن طريق النعوت. فقد اقترح مجموعة من أربعة نعوت حيث يؤدي جمع نعوت مختلفة مع بعضها إلى النماذج السبعة للغة التي يميزها ستيوارت. وتتضمن هذه النماذج الخمسة

التي استخدمها فرجسون، بالإضافة إلى اللهجات (ويرمز لها بالحرف له) واللغات الاصطناعية (اص) وهي لغات أنشئت بشكلٍ متعمد (وقد تكون لغة اسبرناتو من أشهر أمثلتها). والنعوت الأربع هي:

١- التقييس (تق) وهو تقنين وقبول مجموعة معينة من المعايير للاستخدام الصحيح.

٢- الاستقلالية (استق)، تكون فيه حالة النظام اللغوي مستقلة أي اللغة التي يشار إليها وحدها دون ربطها بلغة أخرى.

٣- التاريخية (تا)، قبول ضرب اللغة على أنه تطور طبيعيا عبر الزمن.

٤- الحيوية (حي)، وجود مجتمع غير معزول يتكون من متحدثين أصليين لضرب من ضروب اللغة.

وتعرف النماذج السبعة للغة على أساس هذه النعوت كما في الجدول رقم (٣،١).

الجدول رقم (٣،١). نماذج اللغات معرفة على أساس النعوت.

الرمز	نموج اللغة	النعوت			
		(تق)	(استق)	(تا)	(حي)
نم	نموذجية	+	+	+	+
كل	كلاسيكية	+	+	+	−
اص	اصطناعية	+	+	−	−
مح	محلية	−	+	+	+
له	لهجة	−	−	+	+
مز	مزيج	+	+	+	−
خل	خليط	−	−	−	−

(المصدر: مأخوذ عن ستيوارت ١٩٦٨، ص ٥٣)

ويمكن فهم نعوت سيتوارت بشكلٍ أفضل، إذا شرح سبب وجود قيم سالبة (-) للنماذج في الجدول رقم (٣.١)، فاللغات المحلية، واللهجات، واللغات المزيج، واللغات الخليط تعتبر (- تق)؛ لأنها نموذجيا لا تمتلك كتب قواعد خاصة بها ومعاجم، ومواد تقنين مشابهة.(٧) أما اللهجات، واللغات المزيج، واللغات الخليط تعتبر (- استق)؛ لأن الجميع يعتبرونها ضروبا لبعض اللغات الأخرى، وبالنسبة للغات الخليط والمزيج فهي تعتبر أشكالا من اللغات التي أخذت منها معظم مفرداتها. أما اللغات الاصطناعية، واللغات المزيج، واللغات الخليط فهي (- تا)؛ لأن تاريخها لا يعتبر بشكلٍ أو بآخر "طبيعيا"؛ ولأن اللغات الاصطناعية ظهرت للوجود فجأة عندما اختُرعت، أما اللغات الخليط، فقد نشأت نتيجة الاحتكاك بلغة أخرى، أما بالنسبة للغات المزيج، فقد تطورت من لغات خليط. ووجه مهم لصفة التاريخية هو الربط بين اللغة وتقاليد جماعة اجتماعية ثقافية معينة، وهي صفة تفتقر إليها هذه النماذج الثلاثة جميعها. وتعتبر الكلاسيكية والاصطناعية والخليط (-حي)؛ لأنه ليس لأي منها، وكما ذكر التعريف، مجتمعات من متحدثين أصليين.

ووظائف اللغة التي يميزها ستيوارت هي الوظائف السبع نفسها التي ذكرها فرجسون، بالإضافة إلى الثلاث التالية:

١- وظيفة الاستخدام في المقاطعة (متى)، وهذا يشير إلى أن الاستخدام الرسمي للغة في مستوى بعض الأقسام الفرعية السياسية أصغر من البلد ككل.

٢- وظيفة الاستخدام في العاصمة (عص)، ويعني أن ضرب هذه اللغة هو الوسيلة السائدة للاتصال في منطقة العاصمة القومية.

٣- الوظيفة الأدبية (أد)، ويعني استخدام اللغة بشكل رئيسي في الأعمال الأدبية والثقافية.

وبالإضافة إلى أنواع اللغة ووظائفها، وضع ستيوارت كل لغة في صنف من

أصناف ستة، بناء على النسبة المئوية لمتحدثيها.[٨] ويحل هذا النظام محل فئات اللغات الرئيسة والثانوية عند فرجسون، بالإضافة إلى استخدامه نظام حروف الطباعة السوداء، والاختلاف المهم الآخر بين النظامين هو أن فرجسون حسب فقط عدد المتحدثين الأصليين للغة عندما وزع اللغات كلغات رئيسية، أو ثانوية، أو غيرها (ولكن ليس لاستخدام حروف الطباعة السوداء)، بينما حسب ستيوارت جميع المتحدثين، الأصليين منهم والمتحدثين للغة كلغة ثانية، عند توزيعه اللغات على الأصناف، ويعرض الجدول (٣,٢) الأصناف التي ذكرها ستيوارت.

الجدول رقم (٣,٢). تصنيف ستيوارت للغات بنسبة عدد السكان المتحدثين لها

الصنف	النسبة
الصنف الأول	٧٥٪ فما فوق
الصنف الثاني	٥٠٪ فما فوق
الصنف الثالث	٢٥٪ فما فوق
الصنف الرابع	١٠٪ فما فوق
الصنف الخامس	٥٪ فما فوق
الصنف السادس	أقل من ٥٪

المصدر: مقتبس من ستيوارت (١٩٦٨م، ص ٥٤٢)

ومثل ما فعل فرجسون، فقد قام ستيوارت بإضافة بضعة اصطلاحات خاصة للتعبير عن المعلومات الإضافية. فإذا كان للغة النموذجية شكلان معياريان قيست على أساسهما (وقد أعطى مثالا على ذلك لغة "الهندوستاني"، وهي قياسية بمعياري لغتي

الهندي والأردو)، فإنها تعطى قيمة ٢ بنمط كتابة منخفض، بالإضافة إلى نموذج اللغة (مثلا ، نم٢). وإذا قيست لغة معينة في بلد ما طبقا لمعايير نشأت في بلد آخر، يسمى هذا بالتقييس اللاضمني المعايير، ويشار إليه بالحرف ظ المكتوب بنمط كتابة منخفض. ولا بد عند ذلك من تحديد اللغة النموذجية اللاضمنية المعيار، فمثلا، قيست الإنجليزية المستخدمة في نيجيريا وفقا للمعيار البريطاني؛ ولذا شتملت صيغة ستيوارت لنيجيريا على التالي:

الإنجليزية نمء رس (المعيار البريطاني)

يشار إلى ازدواجية اللغة باستخدام الرمز (ازد: أعلى = اللغة (أ)) بجانب الشكل الأدنى، والرمز (ازد: أدنى = اللغة (ب)) بجانب الشكل الأعلى. ويجب إدراج الأشكال العليا والدنيا وبشكل منفصل. ويقدم ستيوارت (١٩٦٨م، ص ٥٤٤) المثال التالي للصيغة التي وصفها لجماعة جزيرة كوراسي في أرخبيل هولندا:

الصنف الأول	بابيامينتو	مز	(ازد: أعلى= الإسبانية)
الصنف الرابع	الهولندية	نم رس	
	الإنجليزية	نم دو جم مد	
الصنف الخامس	الإسبانية	نم دو مد أد	(ازد: أدنى= بابيامينتو)
الصنف السادس	العبرية	كل دي	
	اللاتينية	كل دي مد	

وطريقة قراءة هذه الصيغة واضحة بشكل كبير.

فشل نهج الصيغ

على الرغم من الجهد الفكري الكبير الذي وضعه العلماء المقتدرون في هذين النظامين التصنيفين وغيرهما، إلا أن هذه الأنظمة لم تلق قبولا واسعا كطريقة اصطلاحية لتمثيل التعددية اللغوية للمجتمع. وفي الواقع، لم يقم أي متخصص معروف بعلم اللغة الاجتماعي منذ ما يزيد على العقد من الزمن بمحاولة تطوير أسلوب صيغي. وإذا كان هناك حقا تعميمات لسانية اجتماعية من النوع الذي استشهدنا به في بداية هذا الفصل، فلماذا لم يكن بمقدور أحد تطوير نظام تدويني قادر على الإحاطة بها؟

وكما ذكر فرجسون في النقاش الذي حمله مقاله لعام ١٩٦٦م، فإن الحقيقة التي يجب الانتباه لها هي "أن هذا إطار للحديث صغير جدا –فهناك ما بين ١٠٠ و٢٠٠ بلد في العالم" (برايت Bright، ١٩٦٦م، س٣١٦). وطالما أن هناك عددا قليلا نسبيا من الدول التي نستطيع التحدث عنها، فيبدو أنه لا جدوى من بناء مقولات عامة. وقد يكفي وصف نثري للتعددية اللغوية في كل بلد. ولكن أعتقد أننا نستطيع الاستفادة من دراسة "إطار حديث صغير" آخر في حقل آخر، والذي اكتشفت مبادئ عامة مهمة له.(٩)

ويبلغ عدد العناصر الكيميائية نحو مائة، وهي تعطي أو تأخذ مقدارا ضئيلا من عناصر المختبر. ومع ذلك فقد كان هناك تقدم مطرد في اكتشاف طبيعة العناصر على مدى الـ١٥٠ عاما الماضية. وقد اكتشف الكيميائي الألماني جون دوبرنير أن هناك علاقة بين الوزن الذري وبعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية للعناصر. واتخذت طريقة دوبرنير لعرض هذه الحقيقة شكل ثلاثيات من العناصر مرتبة بحسب الوزن الذري. وداخل كل ثلاثية، يمكن التنبؤ ببعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية للعنصر الذي يقع في الوسط من خلال العنصرين الآخرين. وبعد نحو ٣٥ عاما وفي

عام ١٨٦٤م، لاحظ كيميائي إنجليزي اسمه جون نيولاند أنه إذا رتبت العناصر في ثمانية أعمدة، يحتوي كل منها على سبعة عناصر، فإن العناصر الثمانية التي تقع بالصفوف الأفقية تتشابه في خصائصها إلى حد كبير. وكان "قانون الثمانية" هذا هو السلف للجدول الدوري الحديث للعناصر، وكانت هناك فراغات قليلة في الجدول المعبر عن قانون الثمانية، وقد تنبأ الكيميائي الروسي الكبير ديمتري مينديلييف بأن هناك عناصر قد تكتشف لملء هذه الفراغات، كما تنبأ أيضا بالخصائص التي ستملكها هذه العناصر. وبدون شك فقد اكتشف فيما بعد ثلاثة عناصر نادرة موجودة في الأرض، هي: القاليوم، والاسكانديوم، والجرمانيوم، وقد ملأت هذه العناصر الثلاثة فراغات في الجدول، وكان لها الخصائص التي تنبأ بها منديليف.

وحتى ذلك الوقت، كانت العناصر تعطى أماكن في الجدول حسب أوزانها الذرية. ولاحظ منديليف أيضا أن اثنين من العناصر لم يصلحا للأماكن التي وضعا فيها حسب أوزانهما؛ وذلك لأنه يمكن التنبؤ بشكل أفضل عن خصائصهما الأخرى لو بُدِّل مكانهما مع العنصرين المجاورين. وفي ذلك الوقت، (نحو ١٨٧٠م) لم يكن هناك أي تفسير لماذا بدا الوزن الذري ذلك المبدأ المنظم الجيد على العموم، بينما بدا ذا عيوب ونواقص قليلة في تلك الحالتين. وفي عام ١٩١٤م قام كيميائي إنجليزي آخر اسمه هنري قوين -جيفريز موسولي باستخدام طريقة تعتمد على قياس طول موجات الأشعة السينية المنبعثة من العناصر المختلفة، وكان قادرا على بيان أن مبدأ الترتيب الصحيح لا بد أن يعتمد على العدد الذري (عدد البروتونات في النواة الذرية). وعند ترتيب العناصر بحسب العدد الذري فإن الاضطرابات التي لاحظها مينديليف سوف تختفي. يوجد تفسير للحقيقة بأن الوزن الذري متنبئ جيد للدورية، ولكنه ليس تاما، في نظرية تركيب الذرة. وفي النهاية فإن وزن الذرة بأكمله يمكن حسابه عن طريق النواة. وتحوي النواة كلا من البروتونات والنيوترونات، ولكل منها الكتلة نفسها

تقريبا. وطالما أن العدد الذري يعكس عدد البروتونات، فإنه كلما زاد العدد الذري، زادت قيمة الوزن الذري. ولكن، لا بد من توقع وجود اختلافات قليلة بين العناصر المتجاورة عندما ترتب بحسب الوزن الذري بسبب الاختلاف في عدد النيوترونات. ويمكن تعليل الخصائص الكيميائية للعناصر بشكل كبير بعدد النيوترونات الزائدة في النواة في ذراتها، و هو عدد يساوي عدد البروتونات. وهذا بالطبع هو العدد الذري نفسه. ولذا فإنه يتنبأ بخصائص العناصر بواسطة العدد الذري، والوزن الذري متنبئ جيد، ولكن ليس كاملا؛ لأن الوزن الذري يرتبط بشكل وثيق، ولكن ليس بشكل تام، بالعدد الذري.

وقد قصد من وراء هذا الدرس المقتضب لتاريخ الكيمياء بيان كيف أن دراسة "إطار حديث صغير" قد تقود إلى دقة أكبر وأكبر في ترتيب العناصر، والتحسين المستمر للمبادئ، وفي النهاية إلى فهم أعظم لكيفية عمل الظاهرة. وهذا على النقيض تماما من العمل في الصيغ النوعية. وهنا اقترح وعُدِّلت مخططات مختلفة دون زيادة مقنعة في دقتها. وهذا المجهود لم يفد إلا قليلا في فهم التعددية اللغوية في المجتمع. وفي النهاية تُخُلِّي عن هذا المشروع. ويبدو لي أن دراسة العناصر قد تقدمت على أساس مبدأين لا يشكلان الأساس لتطوير صيغ اللسانيات الاجتماعية. ويمكن تسمية هذين المبدأين بمبدأ الطبيعية ومبدأ التنبؤ.(١٠)

ويعني مبدأ الطبيعية ببساطة أنه يجب أخذ موضوع الدراسة كظاهرة يمكن ملاحظتها، وأن عمل العالم هو معرفة كيفية عملها. وكان هذا هو النهج الواضح الذي سلك في دراسة العناصر، فالبعض منها ببساطة وجد كامنا في الأرض. أما في دراسة التنظيم الاجتماعي، فإن الطبيعية ليست نهجا واضحا جدا. فقد كان من الواجب تطبيق التصنيفات والصيغ المختلفة على وحدة ما، وكانت الوحدة المختارة دوما هي الأمة.(١١) وقد تكون الأمم وحدة اجتماعية طبيعية، كما من الممكن جدا

أن لا تكون كذلك ـ لأن الأمم، كما نفهم المصطلح الآن، اختراع حديث نسبيا. وعلى العموم، فهناك حقائق تجعلنا نشك في أن الأمة هي دائما الوحدة التي ستنجذب إليها إذا اتبعنا مبدأ الطبيعية. فعلى سبيل المثال، نجد في الهند وحدات سياسية ذات قوميات فرعية، وهي الولايات، والتي من الممكن تطبيق صيغ فرجسون وستيوارت عليها، كما يمكن تطبيقها على أمم بأكملها. وفي بعض البلدان، قد تقود الاختلافات الجغرافية إلى صيغ مختلفة تماما. وهذا يبدو صحيحا بشكل خاص في البلدان التي تكون جزرا، فمثلا أعطى ستيوارت (١٩٦٨م) صيغا مختلفة تماما لجماعتي جزيرتي كوراسي وليوارد، اللتين تقعان في أرخبيل هولندا. ومشكلة أخرى هي حالة الجماعات العرقية التي لم تستقر أولا داخل حدود دولة واحدة. وكما أشار أينر هوقن Einar Haugen في نقاش فرجسون (١٩٦٦م) (برايت، ١٩٦٦م، ص ٣١٨-١٩)، فإن لابيش لغة تتحدثها جماعة لابس في السويد، والنرويج، وفلندا، والاتحاد السوفيتي، ولكن بأعداد قليلة في كل بلد. وحسب معايير فرجسون، فإن لابيش لن تظهر في صيغ أي بلد. ولكن اللغة مهمة نوعا ما لجميع البلدان الأربعة، ولكن قد ينظر أيضا إلى لابس على أنها جماعة متخطية الحدود والقومية. ويمثل يهود ديسبورا جماعة اجتماعية أخرى مهمة من ناحية علم اللغة الاجتماعي، تتجاوز البلد الواحد.[١٢] ويبدو أن الطبيعية ستقود إلى تطبيق نظام صيغي في الوقت نفسه على بلدان بأكملها، وأجزاء فرعية في البلدان، ومناطق متخطية الحدود القومية جغرافيا (مثل شبه القارة الهندية، وشبه الجزيرة الإسكندنافية أو الأيبيرية)، وجماعات اجتماعية ثقافية متخطية الحدود القومية، مثل لابس.

وفي جانب آخر ستقودنا فيه الطبيعية إلى منظور جديد هو ما يتعلق ببعض الوظائف (وهي فئة الرموز التي يكتبها فرجسون وستيوارت بالأحرف الصغيرة المنخفضة). فمثلا، أعطيت وظيفة الاستخدام الرسمي بشكل ثابت لأي لغات

أعلنت كلغات رسمية في دساتير البلدان وقوانينها، بغض النظر عما إذا كانت تلك اللغات تقوم فعلا بتلك الوظيفة. فقد كانت الإنجليزية في الواقع اللغة الرسمية للهند قبل أن يعلنها كذلك قانون عام ١٩٦٧م، وما تزال اللغة الأيرلندية لا تتمتع بوظيفة اللغة الرسمية في أيرلندا، رغم أنها خصصت كذلك بالدستور الأيرلندي. ولغة التعليم وظيفة أخرى كذلك. فسوف تصنِّف الصيغ الحالية اللغات على أنها تقوم بوظيفة التعليم إذا كانت تقوم السياسة المدرسية باستخدام تلك اللغة، بغض النظر عما إذا كان المدرسون في الواقع يتحدثون في نهاية المطاف لغة أخرى معظم الوقت داخل الصفوف الدراسية، وبغض النظر عما إذا كان يتحقق كثير من التعلم إذا التزم باستخدام اللغة الرسمية بشكلٍ كبير.

ولم يكن مبدأ التنبؤ أساسا للصيغ والتصنيفات التي أجريت في الستينيات من هذا القرن، ولكن عوضا عن ذلك كانت الغاية هي التصنيف والمقارنة. وإذا كان مبدأ الترتيب لتنبؤ أي شيء غير مطلوب، فإن نظما أخرى أفضل منه قد تقوم بالمهمة. فمثلا، إذا أراد شخص ما تصنيفا للتفاح، والذي سيمكنه من وضع جميع أنواع التفاح في فئة معينة أو غيرها، فقد تستخدم إحدى هذه الفئات تصنيف التفاح حسب الحجم، وأخرى حسب اللون، وثالثة حسب المكان الذي زرع فيه، أو حسب أي عدد آخر من المعايير. ولكن إذا كان لا بد للتصنيف أن يتفق مع نظرية تنبؤية في علم النبات، فإن عدد التصنيفات المقبولة سينخفض بشكل كبير. وبالطريقة نفسها، فإن الصيغ والتصنيفات القائمة كانت مطلوبة لتنظيم اللغات حسب الأمم (أو العكس)، وكذلك لتسمح بالقيام بمقارنات بين الأمم. وسيقدم أي عدد كبير من الأنظمة الممكنة تنظيما معقولا، وطالما كان النظام نفسه مستخدما جميع البلدان، فإنه ممكن أيضا القيام بالمقارنات. ولا نستطيع أن نتكلم بشكل مفيد عن الأنظمة الصحيحة والخاطئة والأمل في إيجاد النظام الصحيح إلا عندما يسمح لنا المبدأ التنظيمي بالتنبؤ.

ومبدأ آخر سنقدمه هنا، بالرغم من أن بحثه لم يجر على العناصر، وهو مبدأ المتصل. ويكمن جزء من المصاعب في مفهوم الصيغ في إيجاد فئات غير مرنة. خذ مثلا فكرة "التقييس" أو "اللغة النموذجية"، التي كانت المعيار التعريفي للتمييز بين اللغات النموذجية وبين اللغات المحلية لكل من فرجسون وستيوارت. فإذا كانت اللغة، قياسية أو مقننة، لها معايير مقبولة، أو ما شابه ذلك، فإنه يقال عنها: إنها لغة نموذجية، وإلا فإنها لغة محلية. ولكن هناك أنواعا كثيرة لمستويات التقنيين، وهناك بعض اللغات أكثر نموذجية من غيرها. وقد ميز كلوس Kloss (١٩٦٨م، ص ٧٨) بين ستة مستويات للتقييس، أما الخمسة التي تشكل شيئا ما يشبه المتصل فهي مدرجة لاحقا:[١٣]

١- اللغات النموذجية المدروسة. يمكن تدريس جميع المعارف الحديثة باللغة النموذجية المدروسة في مستوى الكلية.
٢- اللغات النموذجية للجماعات الصغيرة. المعايير موجودة منذ زمن، ولكن المجتمع الكلامي صغير جدا بحيث يصعب متابعة المجالات الواسعة للحضارة الحديثة من خلالها.
٣- اللغات النموذجية الناشئة. قُنِّنت مؤخرا جدا هذه اللغة ووضعت معاجم لها وقواعد وأدوات مشابهة. وقد تكون اللغة مناسبة للاستخدام في التعليم الابتدائي، ولكنها ليست مناسبة حتى الآن للاستخدام في المراحل المتقدمة.
٤- اللغات الألفبائية اللانموذجية. لا يوجد لهذا النوع معاجم أو كتب قواعد، وهي محصورة الاستخدام في الكتابة فقط.
٥- لغات ما قبل المكتوبة. هذه اللغات لا تستخدم إطلاقا، أو نادرا ما تستخدم في الكتابة.

وقد تنظم مستويات التقييس اعتمادا على معايير أخرى، وقد يكون عدد

مختلف من المستويات أكثر فائدة، ولكن قائمة كلوس تشرح حقيقة أن التقييس ليست فئة ثنائية.

نجد أن وظائف اللغة تتحقق عن طريق لغات مختلفة بدرجات تتفاوت من بلد إلى آخر، أكثر من كونها تتحقق أو لا تتحقق. ومثال على ذلك، وظيفة الاستخدام الرسمي. فكما رأينا سابقا لاحظ ستيوارت (١٩٦٨م) هذا الأمر إلى حد ما في تمييزه بين الوظيفة الرسمية (رس) للغة على مستوى الحكومة القومية وبين وظيفة استخدام اللغة الرسمية في المقاطعة (مقع) على مستوى المقاطعة. بينما ميز كلوس (١٩٦٨م، ص ٧٩) بين اللغات التي تكون اللغة الرسمية الوحيدة على المستوى القومي، واللغات الرسمية المساوية على المستوى القومي، واللغات الرسمية الإقليمية، واللغات التي لا تعتبر رسمية، ولكن الحكومة تدعمها بطريقة ما، واللغات المهملة من قبل الحكومة، واللغات التي تسن القوانين ضدها. وسنستعرض "متصل الرسمية" مرة أخرى بعد قليل.

بداية جديدة

قد لا تعمل المبادئ التي تحدثت عنها بشكلٍ جيد في اللسانيات الاجتماعية كعملها في العلوم الفيزيائية. وقد تكون الظواهر الفيزيائية أكثر انتظاما من سلوك مجتمع البشر، و ولا تتناسب رؤية متتبع مبدأ الطبيعية وتوقع تنبؤات ناجحة مع بحث علم اللغة الاجتماعي.

وهناك سببان لعدم الاستسلام السريع لمثل هذا التشاؤم. أولا ، يظهر أن هناك تعميمات في الظواهر اللسانية الاجتماعية التي يمكن تطبيقها بغض النظر عن اللغة أو المكان، ومن المعقول الاعتقاد بأن هناك أسبابا أساسية لها، وأنه من الممكن اكتشاف هذه الأسباب. ثانيا، ليس لجميع مباحث علم اللغة الاجتماعي للمجتمع مثل هذا

التاريخ المخيب للآمال، كتاريخ الصيغ والتصنيفات. ففي الفصل الثاني رأينا تطور مفهوم ازدواجية اللغة من اقتراح أولي لفرجسون إلى مبدأ مهم وعام، ويبدو من الممكن تطبيقه على أشكال مختلفة من الحالات في جميع أنحاء العالم. ومن الممكن تفسير تعريف ازدواجية اللغة العامة الذي قدمناه في الفصل الثاني على أساس مجموعة من التنبؤات التالية:

١- لمعظم أو جميع المجتمعات ذخيرة لفظية تشمل مدى كبيرا من التباين.

٢- تحظى بعض أجزاء هذه الذخيرة بقيمة أعلى من قيمة الأجزاء الأخرى من قبل الجماعة.

٣- تُتعلم الأجزاء ذات القيمة الدنيا أولا وبشكلٍ غير رسمي، وتُتعلم الأجزاء العليا لاحقا وبشكلٍ رسمي.

٤- من الممكن ترتيب مجموعات فرعية مهمة من وظائف اللغة في المجتمع على طول متصل يبدأ من اللغة الرسمية والمتكلفة إلى اللغة غير الرسمية والأكثر طبيعية.

٥- سيستخدم الجزء من ذخيرة الجماعة الذي يحظى بالقيمة الأعلى في وظائف رسمية ومتكلفة، والعكس صحيح.

ولو كان للدراسة ازدواجية اللغة تاريخ حي ممتد لأكثر من ٢٠ عاما، مع إمكانية حقيقية للتطور على الأقل، فلعل نهجا صيغيا جديدا سيكون ذا فائدة مشابهة.

ولستيوارت الفضل في إرساء اثنتين من أكبر دعائم تأسيس نهجنا الجديد. فقد كان ستيوارت أول من لاحظ أنه من غير المحتمل أن تتحقق كل وظيفة بشكل متساو في كل نموذج لغوي، حيث قال:

"رغم أن احتماليات ظهور وظيفة معينة مع نموذج معين من اللغة تتفاوت بشكل يتطلب تحديد كل منهما في كل حالة، إلا أن هناك أيضا ترابطا ما بينهما في أن

وظائف الاستخدام الرسمي (رس)، والاستخدام على مستوى المقاطعة(مق)، والاستخدام الأدبي (أد)، والاستخدام للأغراض الدينية (دي)، سترتبط عادة بنموذجي اللغتين النموذجية (نم) والكلاسيكية (كل)، وأن وظيفة الاستخدام الدولي (دو) سترتبط بنماذج اللغات النموذجية (نم) والكلاسيكية (كل) والاصطناعية (اص)، بينما سترتبط وظيفة الجماعة (جم) بنماذج اللغات النموذجية (نم) والمحلية والمزيج" (ستيوارت، ١٩٦٨م، ص٥٤١).

وبمعنى آخر فمن الممكن أن يتنبأ الفرد إذا أعطى وظيفة معينة بنماذج اللغات التي يمكنها تحقيق تلك الوظيفة في أي بلد. وبالنسبة لستيوارت، لم تبد هذه التنبؤات موثوقة بدرجة كافية؛ لاعتمادها مباشرة ضمن الصيغ، ولكن اكتشافه أن العلاقة بين النماذج والوظائف ليست عشوائية مهم جدا.

والفكرة المهمة الثانية عند ستيوارت هي أن نموذج اللغة لم يكن فئة واحدة رئيسية، بل يمكن تقسيم النماذج إلى مجموعات من الصفات المميزة. وبالرغم من أن الصفات المميزة التي اقترحها ستيوارت لم تكن جميعها مفيدة، إلا أن فكرة تعريف اللغات بمجموعة متألقة من الخصائص والصفات المميزة في علم اللغة الاجتماعي هو أيضا مهم جدا. وفي الواقع، سنستغني تماما عن فكرة "نموذج اللغة"، ونستخدم فقط الوظائف والصفات المميزة.

ومن الممكن السير قدما خطوة أخرى في مناقشة هاتين الفكرتين. فإذا أخذنا في الاعتبار أن للجماعات الاجتماعية والأمم أو الوحدات الأخرى وظائف لغوية مستقاة من مجموعة عامة (قد تكون وظائف اللغة التي ذكرها فرجسون أو ستيوارت هي أول شكل تقريبي لهذه المجموعة)، فإن اللغات التي تؤدي هذه الوظائف لا بد أن تكون مؤهلة للقيام بها. وحتى تكون اللغة مؤهلة، فلا بد لها من أن تمتلك المجموعة المطلوبة من الصفات المميزة اللسانية الاجتماعية. في البداية، سيكون ضروريا تخمين

ما هي هذه الصفات. وبتفحص مجموعة كبيرة من الأمم والكيانات الأخرى الحقيقية حول العالم، سنكون قادرين على تنقيح الوظائف والصفات المميزة وصقلها، والمطابقة بينها، بشكلٍ يشبه الطريقة التي صُقل بها الجدول الدوري للعناصر.

دعنا نبدأ بوظيفة الاستخدام الرسمي. وحتى نكون متفقين مع مبدأ الطبيعية، فلن نعتبر اللغة لغة رسمية فقط؛ لأن هناك قانونا قوميا أو جزءا من الدستور ينص على ذلك. ولكن، سيحكم على اللغة أنها رسمية فقط إذا كانت تقوم فعلا بعمل اللغة الرسمية في البلد، أي لا بد أن تستخدم لبعض المهام التالية أو كلها على الأقل. أولا، يجب أن تكون اللغة المحكية المستخدمة من قبل موظفي الحكومة عند أدائهم واجباتهم الحكومية على المستوى القومي (قد يتحدثون لغات أخرى عند المحادثة الودية). ثانيا، يجب أن تخدم كلغة الاتصال المكتوب بين مؤسسات الحكومة وداخلها على المستوى القومي. ثالثا، يجب أن تكون اللغة التي تكتب بها سجلات الحكومة على المستوى القومي. رابعا، يجب أن تكون اللغة التي كتبت بها أساسا القوانين والأنظمة التي تحكم الأمة ككل (قد يُترجم إلى لغات أخرى). أخيرا، يجب أن تكون اللغة التي تطبع فيها الاستمارات، مثل استمارات الضرائب والطلبات المختلفة المرتبطة بالحكومة القومية. وقد شدد على تعبير "على المستوى القومي" لاستبعاد وظيفتين أخريين. فقد تقوم اللغة الرسمية على مستوى الجزء الفرعي (الولايات، والمقاطعات، والأقسام) بهذه المهام نفسها، دون الانتقاص من منزلة اللغة الرسمية القومية. وفوق مستوى عموم البلد، فقد تستخدم لغة أخرى كلغة الدبلوماسية أو التجارة الدولية، وهذه هي الوظيفة الدولية، وسننظر إليها على أنها مختلفة عن الوظيفة الرسمية.

ولكن ماذا إذا كانت اللغة تستخدم لبعض المهام السابقة الذكر وليس لكلها؟ وهنا يأتي دور مبدأ المتصل. فمن الممكن للغة أن تكون رسمية بدرجة ما أو بأخرى،

كما من الممكن أيضا لأكثر من لغة أن تقوم بالمهمة نفسها مثلا عندما تطبع الاستمارات الحكومية بلغتين أو أكثر. وقد يأتي يوم يكون فيه اتفاق على قائمة محددة من مهام الوظيفة الرسمية، وتقدر أهميتها، بحيث يمكن أن تقول عن لغة: إنها ($رس_٥$) على مقياس للرسمية يتكون من عشر درجات، بحيث يعني الرقم الأعلى أن اللغة تقوم بوظيفة مهام رسمية أكثر وذات أهمية أكبر، ويعني الرقم الأقل مهام أقل وأهمية أقل.

ولا بد من تمييز الوظيفة القومية عن الوظيفة الرسمية. فاللغات الرسمية موجودة بشكلٍ رئيسي لأسباب تسيير أمور الدولة تلك المتعلقة بالمهام العملية اليومية للحكومة. أما الوظيفة القومية فمرتبطة بالدوافع القومية، وبوظائف التوحيد والفصل، والربط مع الماضي المجيد والأصالة. ونتيجة لذلك، تتطلب وظائف اللغات الرسمية والقومية صفات مميزة لسانية اجتماعية مختلفة . وفي الواقع، وبالرغم من لغة واحدة قد تخدم في أمم كثيرة كل الوظائف الرسمية والقومية (وتعتبر هذه الحالة هي المثالية عموما)، فمن الشائع في الأمم أن تقوم لغات مختلفة في تنفيذ هاتين الوظيفتين. ومن أوضح الأمثلة على ذلك براغوي، حيث تخدم الإسبانية وظيفة اللغة الرسمية، وتخدم قوارني وظيفة اللغة القومية.(١٤)

ويجب تطبيق مبدأ المتصل على وظيفة القومية. وطرفا المتصل واضحان تماما. ففي أحد الطرفين ، توجد لغات مثل مانكس (استشهد بها مايلز ديلون Dillon Myles في برايت (١٩٦٦م ، ص ٣١٧)، وهي لغات منقرضة، لكنها تستخدم في بعض المناسبات العامة. أما في الطرف الآخر، فهناك لغات من الواضح جدا أنها لغات قومية غير محتاجة للدعم داخل أممها، وقد لا تكون مخصصة كلغات قومية في القانون أو الدستور. بعض الأمثلة على ذلك اللغة الأيسلندية في أيسلندا، والفرنسية في

فرنسا، والتايلندية في تايلاند، واليابانية في اليابان. وبين هذين الطرفين النقيضين توجد لغات تدعم منزلتها بشكلٍ واع على أنها لغات قومية، بدرجات متفاوتة من النجاح. وتشبه وظيفة القومية وظيفة الجماعة التي استخدمها فرجسون وستيوارت، باستثناء أنها تنطبق على المستوى القومي للمنظمة الاجتماعية، وليس فقط لجماعات اجتماعية ثقافية ذات قومية فرعية، ويظهر مع ذلك أن الوظيفة القومية ليست ببساطة وظيفة الجماعة المطبقة على المستوى القومي حيث تتطلب وظائف القومية والجماعة من اللغة صفات مميزة متشابهة ، ولكن متميزة.

وهناك وظائف أخرى سنناقشها عند مناقشة الصفات المميزة للقيام بالوظائف. وقبل مناقشة ذلك، دعنا نقوم بتقدير أولي للصفات المميزة المطلوبة للوظائف الرسمية والقومية. أولا ، يبدو أن الوظيفة الرسمية تتطلب مقدارا كافيا من التقييس يمكن أن يكون مساويا لتقييس "اللغات النموذجية الناشئة" التي ذكرها كلوس (١٩٦٨م ، ص ٧٨) أو أعلى منه، والذي يعني بشكلٍ ضمني منزلة عند أو قريبة من النهاية العليا لذخيرة ازدواجية اللغة في المجتمع. ثانيا، وجود كادر من المواطنين المتعلمين تعليما جيدا والقادرين على استخدام اللغة بشكلٍ جيد (ويجب أن يتوزع هذا الكادر بشكل معقول جغرافيا داخل البلد، وقد يشكل فقط جزءا صغيرا جدا من تعداد السكان). وإذا اقترحت أو عينت اللغة كلغة رسمية في بعض الكيانات، ولكنها لا تمتلك هاتين الصفتين المميزتين (أو أي صفات بينت الخبرة أنها صحيحة)، فإننا قد نتنبأ بأنها لن تقوم بالوظيفة الرسمية بنجاح، وهنا يأتي مبدأ التنبؤ. بالطبع، قد تفتقر اللغة عندما تُنتقى إلى بعض الصفات الهامة مثل التقييس الكافي، ولكن قد تكتسب هذه الصفة بشكلٍ سريع نوعا ما. وفي تلك الحالة فقد نتنبأ بالنجاح شريطة أن تكتسب تلك الصفة المفقودة.

قبل مناقشة الصفات المميزة المطلوبة للوظيفة القومية، سيكون مفيدا النظر أولا

إلى تلك الصفات المميزة المطلوبة لوظيفة الجماعة. وكتخمين أولي لما هو مطلوب، فإنني أقترح أولا أن يستخدم جميع أعضاء الجماعة اللغة للمحادثة العادية (وهذا يعني ضمنيا أنها تكتسب في وقت مبكر، وأنها في النهاية الدنيا من ذخيرة ازدواجية اللغة). وثانيا، يجب أن ينظر متحدثو اللغة إليها على أنها تقوم بوظائف التوحيد والفصل. وفيما يخص المطلب الثاني، فإن اللغة لا تحتاج إلى اعتبارها رمزا للأصالة، أو الربط مع الماضي المجيد. فهذه قطعا متطلبات الوظيفة القومية، أي أن الجماعة الثقافية الاجتماعية التي لها هذه المشاعر تجاه اللغة هي قومية بمفهوم فيشمن. بالإضافة إلى ذلك، قد ينظر لوظيفة "الهوية المتباينة" على أنها داعية للأسف، فقد يشعر المتحدثون بالحرج عند تعريفهم كأعضاء من جماعتهم، أو على الأقل يشعرون بالازدواجية تجاهها. أما فيما يتعلق بوظيفة القومية، فإن الهوية المتباينة هي مصدر للفخر دوما.

وأقترح أن تتطلب وظيفة القومية الصفات المميزة اللسانية الاجتماعية التالية: أولا، أن تخدم اللغة كرمز للهوية القومية لشريحة كبيرة وقوية من السكان. وثانيا، أن تستخدم اللغة لبعض من الأغراض اليومية غير الرسمية من قبل شريحة كبيرة من السكان، بالرغم من أنه من غير الضروري أن تستخدم في المنزل. وثالثا، يتكلم هذه اللغة بطلاقة وسلاسة عدد كبير من السكان. ورابعا، ليس لدى الجماعات الثقافية الاجتماعية الرئيسية في البلد لغة قومية بديلة، علما بأن لديهم لغات أخرى تؤدي وظيفة الجماعة. ولا بد أن يرتبط أي طموح قومي ينشأ لديهم بهذه اللغة. ومثال على النقطة الأخيرة هي لغة كوتشو في الإكوادور. فهناك عدد كبير من متحدثي كوتشو في الإكوادور، ولكنهم نموذجيا يكتسبون الإسبانية عندما يدخلون تيار الحياة القومية. ولا تمتلك لغة الهندي في الهند الصفة الرابعة، فهي غير مقبولة في الوظيفة القومية من قبل متحدثي اللغات الأخرى الرئيسة، خصوصا متحدثي اللغات الدرافيدية. ويعني

طلب هذه الصفة من اللغة القومية أن تقوم اللغة بوظيفة القومية لبعض الأجزاء الفرعية في البلد، دون أن تكون لغة قومية للبلد ككل. خامسا، يجب أن تكون اللغة مقبولة كرمز للأصالة، يجب أن تكون "جيدة بما يكفي لهذا الغرض". وهذا يتضمن عادة، وليس دائما، درجة عالية نوعا ما من التقييس، ومكانا في النهاية العليا لذخيرة ازدواجية اللغة. وسادسا وأخيرا، يجب أن تعتبر اللغة رابطا مع الماضي المجيد.(١٥)

وتتعارض الصفتان الثانية والخامسة بشكلٍ كبير. فإذا استخدمت اللغة على نطاق واسع للأغراض اليومية غير الرسمية، فإن هذا يقتضي أن تكون "دنيا" نوعا ما وفقا لمصطلح ازدواجية اللغة. وأن تكون "جيدة بما يكفي"، يعني أنها لا يمكن أن تكون دنيا للدرجة تفقدها مصداقيتها كلغة أصلية. وتتطلب الأصالة لبعض القوميات أن تستخدم اللغة للقيام بأعلى وظائف ازدواجية اللغة، وهذا يشمل التعليم العالي والاستخدام الرسمي على المستوى القومي. أما الآخرون فلديهم رغبة في قبول لغتهم القومية على أنها أصلية، بينما يستخدمون مكرهين لغة أعلى لبعض الأغراض. وتظهر أكثر الحالات سلاسة عندما يكون هناك ازدواجية لغوية أحادية الرمز داخل الأمة، فالوظائف العليا والدنيا موزعة بين أساليب اللغة القومية. وهذا يسمح للجماعة برؤية اللغة "نفسها" وهي تستخدم لجميع الأغراض، بدءا من المحاضرات الجامعية ذات المعرفة العالية وانتهاء بتدليل طفل لم يتجاوز الثانية من العمر. وطريقة أخرى لحل التعارض المحتمل هو عندما تتوزع ازدواجية اللغة بين ضروب نظام لغوي بمستوى من القرابة، كتلك التي وصفها فرجسون (أ ١٩٥٩م)، ولكن السكان رغم ذلك ينظرون للمركب اللغوي بأكمله كلغة واحدة. وتعتبر البلدان العربية مثالا جيدا على هذا، ففيها ينظر للعربية الكلاسيكية على أنها "اللغة القومية" الحقيقية، بينما تشكل اللهجات المحلية ضربا منحرفا تقريبا من اللغة نفسها. وطبقا لفرجسون (ب ١٩٥٩)، فمن النموذجي لمواطني كل بلد عربي أن يعتقدوا أن عاميتهم أقرب إلى

العربية الكلاسيكية من عاميات البلدان العربية الشقيقة. وهذا دون شك يساعد على تعزيز فكرة أن الأشكال الكلاسيكية والعامية هي في الواقع جزء من اللغة نفسها في ذلك البلد. ويبدو أن هناك ميولا مشابهة في هيتي لاعتبار الفرنسية واللغة المزيج كضروب من اللغة نفسها.

وهناك بعض القوميات الراغبة في السماح للغة أخرى بالاستخدام للأغراض العليا، بينما تخدم لغة دنيا الوظيفة القومية. وقد رأينا سابقا ثلاثة أمثلة على ذلك. ففي سويسرا، تقوم لهجات الألمانية المتحدثة في سويسرا بالوظيفة القومية للقوميات الفرعية في الكانتونات التي تتحدث الألمانية، بينما تبقى الألمانية النموذجية في مكانها كلهجة عليا. وفي براغوي، توجد قوارني والإسبانية جنبا إلى جنب، بحيث تعطى الإسبانية الوظائف العليا للاستخدام الرسمي والتعليم العالي. ويمكن إيجاد النمط نفسه في تنزانيا، حيث حققت فيها السواحيلية مكانة عظيمة كلغة قومية، بينما استمرت الإنجليزية كلغة عليا في بعض المجالات. لاحظ أن في كل الحالات الثلاث قد "رفع" الشكل الأدنى نوعا ما. واللهجات الألمانية المتحدث بها في سويسرا لافتة للنظر؛ لأن هناك كتبا قواعدية مكتوبة بها داخل مجتمعاتها، وأنشئت المدارس التي تدرسها، ويشعر متحدثوها بالفخر تجاهها. وقد قُيِّست قوارني إلى حد ما، ويصر البراغويون بحماسٍ على منطقية هذه اللغة وسلامتها (رونا، ١٩٦٦م). وفي تنزانيا تنسل السواحيلية بثبات إلى وظائف عليا كانت مخصصة سابقا للإنجليزية. وفي الوقت نفسه فإنها تتلقى التقييس الرسمي.

ويظهر أن الوظيفة التعليمية تحتاج على الأقل إلى ثلاث صفات مميزة. أولا، يجب أن يفهم المتعلمون اللغة. ثانيا، يجب أن تتوفر المصادر التعليمية للغة (مدرسون قادرون على التدريس فيها والكتب المدرسية). وثالثا، يجب أن تكون قياسية بشكلٍ كاف، وهذا يعني ضمنيا موقعا عاليا نوعا ما في ذخيرة ازدواجية اللغة. ويجب أن

يؤخذ في الاعتبار مستوى التعليم عند تطبيق هذه الصفات المميزة فتقل أهمية الصفة الأولى وتزداد أهمية الصفتين الأخريين كلما ارتفع مستوى التعليم. وبالطبع ، يجب حتى على طلاب الجامعة فهم اللغة المستخدمة كلغة تعليم. ولكن من المنطقي وضع مسئولية "تعلم" اللغة المؤهلة على طلاب الجماعة أكثر من وضعها على أطفال صغار يذهبون إلى المدرسة لأول مرة. بالإضافة إلى ذلك ، تصبح الصفتان الثانية والثالثة صعبتي التحقيق كلما زاد المستوى التعليمي. فمن متطلبات المستويات العليا من التعليم أن يكون المدرسون على درجات عالية من المعرفة ، والكتب على درجة عالية من التقنية ، واللغة ذات نموذجية ومقام عاليين.

والمشكلة التي تنشأ من عدم وجود لغة واحدة تمتلك جميع هذه الصفات الثلاث هي مصدر واحد من أكثر أنواع الصراع انتشارا في العالم. وقد رأينا سابقا بعضا من محاولات الهند للتعامل مع متحدثي لغات ينقصها الصفتان الثانية والثالثة عن طريق صيغة اللغات الثلاث. وغالبا جدا ما تختار البلد لغة للتعليم لها الصفتان الثانية والثالثة ، حتى ولو كانت الصفة الأولى تنقصها. ولهذا نتيجتان فقط : إما أن يفهم الطلاب في النهاية لغة التعليم (أي يتعلمونها) ، أو أن لا يحدث أي تعلم على الإطلاق. وكمثال واحد فقط ، فإن من الممكن إرجاع بعض المشاكل التعليمية في براغوي الريفية إلى حقيقة أن المتعلمين لا يعرفون لغة التعليم المخصصة ، وهي الإسبانية . ومن منظور مؤيد للطبيعية ، فقد نقول : إن الإسبانية لا تقوم بالوظيفة التعليمية لهؤلاء الصغار.

وحتى تكون اللغة لغة الاتصال الأوسع ، فيبدو أنها تحتاج صفة واحدة : يجب أن يكون "من الممكن تعلمها" كلغة ثانية من قبل أقلية لغوية واحدة على الأقل في البلد. وبالطبع ، من الممكن تعلم أي لغة ، وإلا فإنها لن توجد. ولكنني أقصد بعبارة " من الممكن تعلمها" أنه من الواجب اعتبارها من قبل السكان المعنيين لغة يمكن تعلمها.

أما إذا كان السكان المتعلمون مغمورين عدديا وسياسيا من قبل المتحدثين الأصليين للغة الاتصال الأوسع، فإن النزعة تميل نحو تلك اللغة بطريقة تشبه تقريبا طريقة تحدث المتحدث الأصلي لها، ولكن مع لكنة خاصة بهم. أما إذا كان الاختلافان العددي والسياسي أقل، أو أنه لم تَدَّعِ أي جماعة داخل البلد أن لغة الاتصال الأوسع هي لغتها الأصلية، فإن متعلمي اللغة الثانية سيجعلونها فعليا ممكنة التعلم أكثر من خلال العملية التي أسماها هايمز (١٩٧١م) "الاختلاط". والنتيجة هي لغة خليط، أو مزيج، أو لغة مشتركة مبسطة، أو لغة سوقية.

أما الصفات المميزة للغات التجارة والدبلوماسية الدولية فيبدو أن أفضل ما نستطيع فعله هو أن نقول: إن على اللغة أن تأتي من قائمة مختصرة من اللغات، معظمها أوروبية: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والروسية، والألمانية، وربما لغة ماندارين الصينية، وربما لغة أو لغتان أخريان. ويعكس السبب في أن هذه اللغات تستخدم لهذه الوظيفة الحقيقية التاريخية التي تفيد أن متحدثيها يسيطرون على هذه النشاطات الدولية.

ويبدو أن المتطلب الأساسي للغة المادة الدراسية هو أن يساوي مستوى قياسيتها مستوى قياسية لغة الطلاب، أو يزيد عليه. فيمكن تعليم لغة نموذجية ناشئة لمتحدثي لغة ألفبائية غير قياسية، ولكن ليس العكس. وبالطريقة نفسها، فيتوقع أن يتعلم متحدثو لغة نموذجية ناشئة لغة نموذجية مدروسة أو لغة كلاسيكية (آخذين في الاعتبار أن لهما مستويات متوازية من التقييس)، واحتمالية حدوث العكس بعيد الحدوث.[١٦] والاستثناء هو حالة المدارس التي تدرس لهجات الألمانية السويسرية للمغتربين السويسريين العائدين من الخارج (مولتون، ١٩٦٣م)، ويمكن فهم هذا ببساطة. فقد صممت هذه المدارس لتحل محل عملية تعلم اللغة الطبيعية التي كان ممكنا أن تحدث لو كان هؤلاء الطلاب قد قضوا فترة طفولتهم في سويسرا. وبالطبع،

فمن الشائع تدريس لغات للمتحدثين الأصليين للغات لها مستوى التقييس نفسه، مثل تدريس الإسبانية أو اللاتينية لمتحدثي الإنجليزية.

ويجب أن تعرف الوظيفة الدينية بحرص. ومن خلال تجربة فرجسون وستيوارت يبدو واضحا أنهما لا ينويان تطبيق هذه الوظيفة على حالة الأديان التي يستخدم معتنقوها اللغة العادية فيها، وإنما كانوا يقصدون أن تخصص اللغة للأنشطة الدينية فقط، وأن تستخدم قليلا جدا فيما عدا ذلك، ربما باستثناء كونها مادة دراسية أو لغة أدبية وعلمية. ولهذه اللغات منزلة خاصة، لاستخدامها عادة كلغات أصلية لكتبها المقدسة الدينية، أو لاستخدامها تاريخيا كلغة لشعائرها الدينية، أو للسببين معا. ومن المغري القول بأن الصفة الأساسية للغة الوظيفية الدينية هي أن تكون لغة كلاسيكية، مما يعني أنها قياسية بشكل كامل، ولكنها لم تعد لغة المتحدثين الأصليين. يبدو هذا صحيحا لعدد لا بأس به من الأديان الرئيسة: كاللاتينية بالنسبة للكاثوليكية الرومانية، والعبرية الكلاسيكية في اليهودية، والعربية الكلاسيكية في الإسلام، والسنسكريتية في الهندوسية. وبالرغم من أن استخدام اللغة العادية هو معتقد تاريخي للبروتستانتية، فإن بعض المحافظين البروتستانت قد طوروا الاستخدام الديني "للإنجليزية الكلاسيكية"، وذلك باستخدام صيغ مثل "thee" و "thou" والمطابقة الفعلية المصاحبة في صلواتهم العامة. وهذه الصيغ مأخوذة من إنجليزية القرن السادس عشر والتي كتبت فيها النسخة الرسمية من الإنجيل. ولكن هناك حركات دينية ثانوية لديها لغات خاصة للدين قد لا تكون لغات كلاسيكية. فمثلا، طبق وايتلي Whiteley (١٩٧٣م، ص ١٧١) صيغ ستيوارت على كينيا، وأدرج لغة محلية، هي كونكاني، كلغة الوظيفة الدينية. ويجب أن يجري مزيد من البحث في المواصفات المحددة للصفات المميزة للغات التي تقوم بالوظائف الدينية. ويعطي الجدول رقم (٣،٣) وظائف اللغة المقترحة والصفات المميزة اللسانية الاجتماعية المطلوبة لتحقيقها.

وجميع الصفات المقترحة هي تجريبية ، ولكن التي بداخل الأقواس تجريبية أكثر.

الجدول رقم (٣.٣): وظائف اللغة والصفات المميزة المطلوبة.

الوظيفة	الصفات المميزة اللسانية والاجتماعية المطلوبة
الرسمية	١- تقييس كاف. ٢- يعرفها كادر من المواطنين المثقفين.
القومية	١- رمز للهوية القومية لشريحة كبيرة من السكان. ٢- تستخدم بشكل منتشر لبعض الأغراض اليومية. ٣- تتحدث بطلاقة وبشكل منتشر داخل البلد. ٤- لا يوجد لغات قومية أخرى بديلة في البلد. ٥- مقبولة كرمز للأصالة. ٦- تربط بالماضي المجيد.
المجموعة	١- يستخدمها جميع الأفراد للمحادثة العادية. ٢- أداة توحيد وفصل.
التعليمية (محددة المستوى)	١- يفهمها المتعلمون. ٢- مصادر تدريسية كافية. ٣- تقييس كاف.
الاتصال الأوسع	١- "ممكن تعلمها" كلغة ثانية.
الدولية	(١- من قائمة محتملة من اللغات الدولية)
مادة دراسية	١- يعادل تقييسها تقييس لغة المتعلمين أو يزيد
الدينية	(١- أن تكون كلاسيكية)

◆ الصفات التجريبية أكثر موضوعة داخل الأقواس

التطبيق

الطريقة التي يمكن فيها للمرء استخدام هذه المفاهيم للقيام بتنبؤات هي بمقارنة الصفات المميزة للغة بالصفات المطلوبة للقيام بالوظيفة. وإذا افتقدت لغة مقترحة للقيام بوظيفة ما إحدى الصفات المطلوبة فإننا نتنبأ بأنها ستفشل بالقيام بتلك الوظيفة. ويشرح المثال لاحقا الصيغة التي سنستخدمها. وتشير علامة الجمع (+) إلى أن اللغة تمتلك الصفة بينما تشير قيمة الصفر (٠) إلى أن اللغة لا تمتلكها، ولكن من المعقول توقع أنها ستكتسبها، وتشير علامة الطرح (-) إلى أن اللغة تفتقر إلى الصفة وأنها لن تكتسبها في المستقبل المنظور. وكمثال على هذا، دعنا نأخذ قوارني كلغة قومية محتملة في براغوي.

الجماعة الاجتماعية السياسية : براغوي

الوظيفة : القومية

اللغة : قوارني

الصفات المميزة المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - رمز للهوية القومية	+
٢ - تستخدم بشكل واسع للأغراض اليومية	+
٣ - تتحدث بطلاقة وانتشار	+
٤ - لا يوجد لغة رئيسة بديلة	+
٥ - رمز للأصالة	+
٦ - تربط بالماضي المجيد	(+)

تمتلك قوارني جميع الصفات المميزة المطلوبة، لذا فمن الممكن التنبؤ بأنها تستطيع، وبشكلٍ مرض، أن تخدم كلغة قومية، وهي بالفعل كذلك. وليس من الواضح ما إذا كانت قوارني تقوم بوظيفة الربط بالماضي المجيد، ولكن يبدو من الممتع أن هناك نزعة متزايدة لإنشاء ماض مجيد للغة. وقد ذكر (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٧) أنه كان هناك جهود قام بها علماء لإثبات أنه كان لقوارني أهمية كبيرة في أمريكا الجنوبية قبل الاستيلاء الإسباني. ولكن كانت هذه المجهودات مبنية على دراسة غريبة نوعا ما لأصول أسماء الأماكن باللغة القوارنية في جميع أرجاء القارة. وكمثال آخر دعنا نأخذ الإسبانية كلغة للتعليم الابتدائي في المناطق الريفية في براغوي.

الوحدة الاجتماعية السياسية: المقاطعة الريفية في براغوي

الوظيفة: التعليم (المستوى الابتدائي)

اللغة: الإسبانية

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - يفهمها المتعلمون	-
٢ - وجود مصادر تدريس كافية	+
٣ - تقييس كاف	+

تفتقر الإسبانية لصفة مهمة للتعليم الابتدائي، فهي لغة ليست مفهومة بشكلٍ جيد من قبل المتعلمين. وما لم تدرس بشكلٍ فعال قبل استخدامها كلغة تعليم، فلن تكون فعالة في الوظيفة التعليمية لهذه الجماعة.

ومثال ثالث هو لغة الهندي كلغة مخصصة كلغة قومية في الهند

الوحدة الاجتماعية السياسية : الهند (البلد بأكمله)

الوظيفة : القومية

اللغة : الهندي

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - رمز للهوية القومية	+/-
٢ - تستخدم بشكل واسع للأغراض اليومية	+/-
٣ - تتحدث بطلاقة وانتشار	+/-
٤ - لا يوجد لغة رئيسة بديلة	-
٥ - رمز للأصالة	+
٦ - تربط بالماضي المجيد	+/-

وبالتأكيد فليس صحيحا أنه لا يوجد لغات قومية رئيسة بديلة في الهند، وبالتأكيد فصحيح أن الهندي مؤهلة كرمز للأصالة ، بمعنى أنها "جيدة بما يكفي" (فهي لغة قياسية ولها تراث أدبي). ويعتمد مدى امتلاكها للصفات المميزة الأربع الأخرى على مدى اشتراك سكان البلد في تعريفها . فالهندي هي رمز للهوية القومية، وتعرف وتستخدم بشكلٍ واسع للأغراض اليومية، كما أنها تربط بالماضي المجيد لمتحدثيها الأصليين، وربما لبعض متحدثيها كلغة ثانية في الجزء الشمالي من البلد. وليس لها هذه الصفات في أي مكان آخر. وعلى العموم، فإن اللغات العديدة الرئيسة المنافسة للغة الهندي تفقدها صفة مهمة، وهذا يعني التنبؤ بأن الهندي لن تخدم بشكل جيد كلغة قومية في المستقبل المنظور.

والمثال التالي، هو التحقق من إمكانية كون السواحيلية لغة رسمية في تنزانيا.

الوحدة الاجتماعية السياسية : تنزانيا

الوظيفة: الرسمية

اللغة : السواحيلية

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - تقييس كاف	صفر أو +
٢ - كادر من المواطنين المتعلمين	+

والسواحيلية لغة التعليم الابتدائي المتقدم وبعض التعليم الثانوي وتعرفها الغالبية العظمى من التنزانيين . ولذا ليست هناك مشكلة محددة لإيجاد موظفين حكوميين يستطيعون استخدامها. فالسواحيلية تمر بمرحلة من التقييس والتطوير لاستخدامها كلغة رسمية ، ومن المعقول توقع أنها ستكون مؤهلة على معيار التقييس في القريب العاجل. هذا إذا لم تكن مؤهلة فعلا الآن. والتنبؤ هو أن السواحيلية ستنجح كلغة رسمية.

وكمثال أخير سننظر إلى اقتراح تطرقنا إليه في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، يخص استخدام اللغة الإنجليزية المحلية للسود كلغة تعليم الفنون في الولايات المتحدة الأمريكية.

الجماعة الاجتماعية السياسية: الأطفال الأمريكيون متحدثو اللغة الإنجليزية المحلية للسود.

الوظيفة : التعليم (المستوى الابتدائي)

اللغة : المحلية الإنجليزية للسود

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - يفهمها المتعلمون	+
٢ - وجود مصادر تدريس كافية	•
٣ - تقييس كاف	-

من المؤكد أن الإنجليزية المحلية للسود مفهومة ومستخدمة بطلاقة من قبل معظم الصغار من السود من الطبقة العاملة في الولايات المتحدة. وبالرغم من عدم وجود مدرسين متدربين ومواد مطبوعة للغة الإنجليزية المحلية للسود بشكلٍ كبير، فمن الممكن تطويرها دون مصاعب كبيرة. ومع ذلك فلن تُقَيِّس الإنجليزية المحلية للسود بشكلٍ كاف في المستقبل المنظور. ولن يكون هناك مشكلة في كتابة كتب للقواعد، وقواعد للتهجئة، ومعاجم وما شابه ذلك للغة السود الإنجليزية المحلية. وفي الواقع، توجد الآن مواد قليلة من هذا النوع. ولكن التقييس المعني بهذه الصيغ يعني ضمنيا أن المجتمع يقبل التقنين بشكلٍ واضح. أي أنه يجب قبول أي أدوات تقييس مقترحة كأساس شرعي للاستخدام الصحيح للغة السود الإنجليزية المحلية، كما يراه متحدثوها. وهذا هو الجانب من التقييس الذي من الصعب جدا التكهن به ، ولن ينجح استخدام اللغة الإنجليزية المحلية للسود كلغة تعليم ابتدائي.[١٧]

ومن الممكن تعديل النظام التدويني المطور لاستخدامه كمخطط لأغراض المقارنة أيضا. وبدلا من إدراج اللغات والوظائف المرتبطة بها كما فعل فرجسون وستيوارت، فإن النظام الحالي سيدرج الوظائف ثم اللغات التي يمكنها القيام بتلك الوظائف. وكمثال سنعطي صيغة مخطط جزئي لبراغوي، كما في جدول رقم (٣,٤)، وتشير الأقواس إلى الصفات المشكوك فيها أو التي في طور النشوء، وسوف تدرج الوظائف المتبقية في الشكل نفسه. فضلا عن ذلك، قد يكون من المفيد تذييل قائمة

بكل اللغات التي تظهر بالصيغة مع عدد متحدثيها والنسبة المئوية للسكان الذين يتحدثونها.

الجدول رقم(٤،٣). مخطط جزئي لبراغوي.

الوظيفة	اللغة	الصفات	ملاحظات
الرسمية -٩	الإسبانية	١ ، ٢	من المقدر أن تحصل الإسبانية على تسع درجات على مقياس الرسمية ذي الدرجات العشر.
القومية -٩	قوارني	١ ، ٢ ، ٣، ٤ ، ٥ ، (٦)	من المقدر أن تحصل على تسع درجات على مقياس القومية ذي الدرجات العشر.
الجماعة	قوارني	١ ، ٢	الجماعة: براغوميين "حقيقيين"
	الإسبانية	١ ، ٢	الجماعة: متحدثو اللغة الإسبانية فقط
	تشالوبي	١ ، ٢	الجماعة: هنود تشالوبي
	لغات أصلية أخرى		
	بلاتدويتش	١ ، ٢	الجماعة: مينونتيس
	لغات مهاجرون أخرى		
التعليم الأساسى	الإسبانية	(١)، ٢، ٣	الصفة ١ مفقودة في المناطق الريفية
	قوارني	١ ، (٢)، ٣	
	تشالوبي	١ ،(٢)، ٣	مينونتيس والمدارس التبشيرية
	لغات أصلية أخرى		
	الألمانية	(١)، ٢، ٣	مدارس مينونتى الاستعمارية
التعليم الثانوي	الإسبانية	١ ، ٢ ، ٣	يفترض أن الطلاب الذين بلغوا مستوى التعليم الثانوي قد تعلموا الإسبانية
التعليم العالي	الإسبانية	١، ٢، ٣	

خلاصة

يبدو من الواضح أن هناك تعميمات منطقية من الممكن اكتشافها في التفاعل بين التعددية اللغوية والمجتمع. وخلال الستينيات من هذا القرن، صمِّم العديد من التصنيفات والصيغ لتطبيقها على أي أمة في العالم . وقد استعرضنا بالتفصيل نظامين من هذه التصنيفات والصيغ اقترحهما فرجسون (١٩٦٦م) وستيوارت (١٩٦٨م). ولم يكتب النجاح لأي محاولة لإنشاء الصيغ. ولذلك فقد تُخُلِّي عن نهج الصيغ هذا فيما بعد. ويبين استعراض مقتضب لتاريخ "إطار حديث صغير آخر"، وهو العناصر الكيميائية ، كيف أن التعميمات اكتشفت بتلاحق، وكيف أن الفهم يتعمق بمرور الوقت. وقد اقترح نهج صيغ جديد، يتماشى مع مبادئ الطبيعية والتنبؤ (اللذين يبدو أنهما قد طبقا في دراسة العناصر)، بالإضافة إلى مبدأ آخر، وهو مبدأ المتصل. وبالتوسع بما أتى به ستيوارت، فإن نظام الصيغ مبني على وظائف اللغة شبه العالمية والصفات المميزة اللسانية الاجتماعية المطلوب من اللغات امتلاكها حتى تقوم بتلك الوظائف. وبمقارنة الصفات المميزة اللسانية الاجتماعية المطلوبة من قبل الوظيفة مع تلك الصفات التي تمتلكها اللغة المعنية للقيام بالوظيفة كان من الممكن التنبؤ بمدى نجاح اللغة بالقيام بتلك الوظيفة . وقد أعطيت بعض الأمثلة لكيفية استخدام نظام الصيغ الجديد.

هوامش

(١) وضحت لي ديبرا تانن صدفة بسيطة، لكنها مذهلة، تتعلق بازدواجية اللغة. فاللغة العليا في ازدواجية اللغة اليونانية هي كاثاريفوسا. وتترجم بأنها "النقية". وفي النصف الآخر من العالم، وفي قرية هندية صغيرة ، يسمى الأسلوب الأعلى للهجة خالبور صاف بولي، أي "الكلام النظيف". ويبدو من المحتمل أن هناك شبه إجماع على أنه ينظر إلى اللغات العليا على أنها "نظيفة" أو "نقية"، مقارنة باللغات الدنيا.

(٢) بحث فورد Ford (١٩٧٤م) هو محاولة أتت بعد ذلك لتطوير صيغة مشابهة بعض الشيء لنهج فرجسون وستيوارت.

(٣) تكون اللغة مؤهلة لأي من هذه التصنيفات طالما تحقق على الأقل واحد من المتطلبات. فمثلا، قد تعتبر اللغة الأيرلندية لغة رئيسة في أيرلندا، بالرغم من أن عدد متحدثيها أقل من ٣ ٪ من السكان وأقل من مليون نسمة، بسبب أنها اللغة الرسمية قانونيا للبلد.

(٤) ذكر فرجسون استخداما خامسا خاصا للغة، وهو اللغة الرئيسة لقطاع من المجتمع من عمر معين ، ولكن هذا وضع نادر وعابر.

(٥) وباستخدام معلومات أكثر حداثة من تلك التي كانت في متناول فرجسون، فقد نرغب في تخصيص قوارني على أنها لغة نموذجية (رونا، ١٩٦٦م)، بالرغم من أنه من غير الواضح أن قوارني قياسية بشكلٍ كاف لتكون لغة نموذجية بنظر فرجسون. وقد تكون لقوارني الآن وظيفة تعليمية (روبن ، ١٩٧٨م). لاحظ أن اللغات الأصلية لتشاكو ولغات المهاجرين لا تظهر في الصيغة، لأنها لا تحقق المتطلبات لأي من الفئات الثلاث العامة. وهذا يتزامن مع وجهة نظر البراغويين التي تتعامل مع هذه اللغات على أنها غير مهمة

للقومية البراغوية.

(٦) هنـاك اختـلاف بـين مـا ورد في صفحـتي ٣١٢ و ٣١٤ مـن بحـث فرجسـون (١٩٦٦م) لهذه الرموز. ففي أحد المواضع، خصصت العربية المغربية بالشكل نفسه الذي خصصته أنا هنا، وفي موضع آخر، أعطيت الصيغـة التاليـة: (كـل رس دي ات: مـح)، واعتقـد أن الصيغـة الـتي اخترتـها هـي الـتي قصدهـا فرجسون.

(٧) هناك دائما استثناءات، فمن المرجح جدا أن ستيوارت يعتبر أشكال الألمانية السويسرية "لهجات"، ولكن قد كتبت كتب قواعد لبعض منها (مولتون، ١٩٦٣م).

(٨) اقترح كلوس (١٩٦٨م ، ص ٨١) نظام تصنيف مشابه.

(٩) أخذت مناقشـة تـاريخ البحـث علـى العنـاصر مـن موضـوع "العنـاصر" (في الموسوعة الأمريكية ١٠ : ص ص٢٠٣ - ٩، ١٩٧٦م)، و"القانون الدوري" (في الموسوعة الأمريكية، ٢١، ص ص ٥٨٧-٩١، ١٩٧٦م).

(١٠) وكان التفسير هدفا أيضا في البحث المتعلق بالعناصر، ولكن التفسير ممكن فقط بعد أن يكون قد تم التنبؤ به.

(١١) "الأمة" في المفهوم الشائع، وليس كمـا ورد في تعريف فيشـمن. ففي مصطلح فيشمن، علينا القول بأن الصيغ تطبق على الدول أو البلدان.

(١٢) يُعرج تمييز كلوس (١٩٦٨، ص ٧٢) بين "المجزأ وغير المجزأ" بعض الشيء على هذه المسألة.

(١٣) يقابل مستوى كلوس السادس "اللغات النموذجية القديمة" اللغة الكلاسيكية، عند فرجسون وستيوارت ، وربما كان ينتمي إلى قائمة مختلفة.

(١٤) يحدد دستور براغوي المعدل في عام ١٩٦٧م الإسبانية كلغة رسمية، وكلا من

الإسبانية وقوارني كلغات قومية. وهذا يقترب كثيرا من التمييز الذي كنت أفكر به (روبن ١٩٧٨م ، ص ١٩١).

(١٥) تساعد هذه الصفة، دون شك، اللغة على القيام بوظيفة القومية، ولكني لست متأكدا ما إذا كانت إحدى الصفات المطلوبة.

(١٦) تتطلب وظيفة المادة الدراسية أن تكون اللغة التي تقوم بتلك الوظيفة تدرس على نطاقٍ واسع في المستوى الثانوي وما فوقه. ولا تعد دراسة الطلاب الجامعيين في أقسام اللغة واللغويات للغات الغربية ضمن هذا.

(١٧) من المهم تذكر أن اللغة الإنجليزية المحلية للسود ليست مؤهلة لغويا لتخدم في التعليم، ولكن ينقصها صفة لسانية اجتماعية مهمة.

الأهداف

١- القدرة على التعرف على ميزة علم اجتماع اللغة التي بعثت الأمل في إمكانية التصنيفات والصيغ (ص٦٠).

٢- بعد إعطاء الأوصاف المطلوبة، يكون قادرا على تصنيف اللغات كرئيسة وفرعية، وذات منزلة خاصة، باستخدام طرائق فرجسون ، على سبيل المثال، إذا كان لدينا:

اللغة (أ): يتحدثها أصليا مليون ونصف من السكان في بلد يسكنها ١٠ مليون نسمة، ولكنها لا تستخدم في التعليم ولا يعترف بها رسميا، بالرغم من أنها مهمة كلغة مشتركة.

اللغة (ب): يتحدثها أصليا ٣٪ من السكان في البلد، وتستخدم كلغة تعليم في الصفوف العليا من المدارس الابتدائية باستخدام مواد تعليمية مطبوعة فيها، ولكن لا يعترف بها رسميا، بالرغم من أنها لغة دينية مهمة.

اللغة (ج) : لا يعترف بها رسميا، ولا تستخدم كلغة تعليم، ولها عدد ضئيل من المتحدثين الأصليين، ولكنها اللغة المستخدمة في الشعائر الدينية لدين رئيسي.

نستنتج أن اللغة (أ) هي لغة رئيسة، وأن اللغة (ب) لغة ثانوية، وأن اللغة (ج) لغة ذات منزلة خاصة . لاحظ إذا كانت اللغة تحقق واحدا من معايير فرجسون للفئة، فإنها تنتمي إلى تلك الفئة. مثلا، لا يعترف رسميا باللغة (أ)، ولا تستخدم كلغة تعليم، ويتحدثها أقل من ٢٥٪ من السكان، ومع ذلك فهي لغة رئيسة؛ لأن متحدثيها يفوقون مليون نسمة.

٣- أن يكون قادرا على معرفة تعريف نماذج اللغة الخمسة.

٤- ووفقا للأحرف المكتوبة تحت السطر والتي تدل على الوظيفة، عليه أن يكون قادرا على معرفة مسميات الوظائف وشرحها وتأكد أن بإمكانك تميز (تع) من (مد) و (دو) من (ات).

٥- أن يكون قادرا على تمييز معنى الرموز الخاصة التالية في صيغ فرجسون (حيث تدل X الكبيرة على النماذج و x الصغيرة على الوظائف).

٦- بإعطائه التعريف، يكون قادرا على إعطاء كل الصفات المميزة التي ذكرها ستيوارت.

٧- أن يكون قادرا على تعريف رموز الوظائف "الأدبية" و"الاستخدام في المقاطعة" وإعطائها، التي استخدمها ستيوارت، ولكن لم يستخدمها فرجسون.

٨- وبناء على الصيغة المكتوبة بنظام الرموز لفرجسون أو ستيوارت، أن يكون قادرا على تفسير معناها، وأن يذكر لأي نظام من النظامين تتبع.

٩- أن يكون قادرا على تسمية "إطار حديث" أصغر من بلدان العالم والذي تم فيه

تطور ثابت في تطوير وصف قائم على الصيغ.

١٠- أن يكون قادرا على شرح كيفية اختلاف التعامل "الطبيعي" مع الوظائف "الرسمية" و"التعليمية" عن النظم التي استخدمت سابقا في صيغ اللسانيات الاجتماعية.

١١- أن يكون قادرا على تسمية مبدأ ثان كان يستخدم في الحقل الذي ورد ذكره في الهدف رقم (٩) والذي يعتقد فاسولد أن من الواجب تطبيقه لتطوير الصيغ اللسانية الاجتماعية ، ومبدأ ثالث يصادق عليه رغم عدم كونه عاملا في الحقل الآخر.

١٢- أن يكون قادرا على معرفة الأمرين اللذين ذكرهما ويليم ستيوارت، واللذين ساهما في اقتراح فاسولد "للبداية الجديدة".

١٣- أن يكون قادرا على التعرف على وصف طريقة فاسولد بالتعامل مع نماذج ووظائف ستيوارت وفرجسون.

١٤- بعد إعطاء اللغة وصفاتها اللسانية الاجتماعية المميزة في بلد افتراضي، يكون قادرا على الحكم على ما إذا كانت محتملة، أو ممكنة، أو غير محتملة أن تنجح كلغة رسمية.

١٥- وبالطريقة نفسها، أن يكون قادرا على إعطاء الحكم نفسه عن ما إذا كانت اللغة الافتراضية ستنجح كلغة قومية، بالمفهوم الكامل للغة القومية.

الفصل الرابع

الإحصاء

مدخل

لماذا من الضروري تضمين فصل عن الإحصاء في هذا الكتاب؟ فالإحصاء في طبيعته أداة يمكن استخدامها لفهم عدد كبير من الأرقام. ففي الفصل الأول، وجدنا أن البيانات الرقمية كانت طريقة مفيدة في دراسة العلاقة بين قوة الاقتصاد القومي والتباين اللغوي. ولكن ليس من الواضح دائما ماذا تعني البيانات الرقمية عند تجميعها. فهناك إجراءات في الإحصاء يمكن استخدامها لإخبار الباحث ما إذا كانت البيانات تدعم الفكرة التي يحاول اختبارها. ويسمى هذا الاستخدام للإحصاء *"بالإحصاء الاستدلالي"*، وسيكون لدينا المزيد لنقوله عن هذا فيما بعد. وفي البحث اللغوي الذي يركز على تركيب اللغة فقط، تعتبر الاختبارات الإحصائية الاستدلالية بشكلٍ عام غير ضرورية؛ لأن تركيب اللغة ثابت بدرجة كافية لجعل التحليل النوعي كافيا. ولكن عندما يكون هدف الدراسة هو دراسة اللغة في سياقها، كما هو الحال في علم اللغة الاجتماعي (خاصة علم اللغة الاجتماعي للمجتمع)، فإننا دائما نحتاج لمنهج للتمييز بين الواقعي وغير المنطقي. ويعطينا الإحصاء هذا المنهج.

وإذا كان الإحصاء ضروريا، فجدير بنا البدء بشرح ما هي ماهية الإحصاء. فباختصار، يمد الإحصاء الباحث بطريقة لاكتشاف معنى ملاحظاته باستخدام الأرقام. ويبين تحليل الرخاء الاقتصادي والتباين اللغوي في الفصل الأول أن كثيرا من

الدول غير المتطورة تتمتع أيضا بدرجة كبيرة من التباين اللغوي. ولكن ماذا تعني هذه الملاحظة؟ فهل هي غير منطقية على الإطلاق، وهل تبدو هذه العلاقة موجودة، إلا أنها تأتي في الواقع نتيجة لتوزيع عشوائي؟ وإذا كانت العلاقة حقيقية، فهل من الممكن تفسيرها كعلاقة سببية؟ فهل يسبب فقدان التطور الاقتصادي أو التباين اللغوي وجود الآخر؟ إذا ارتبطت ظاهرة معينة بأخرى، ما هي درجة ثقتنا بهذا الترابط؟ يمكن هنا للأساليب الإحصائية أن تساعد في التعامل مع مشاكل من هذا النوع، وفي الواقع فإن هذا الأمر سيناقش في الفصل التالي بنتائج مدهشة نوعا ما.

وفهم مبادئ الإحصاء مهم للدراسة الإضافية لعلم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ولكن ليس هدف هذا الفصل جعل قرائه إحصائيين جيدين . ففهم محتوى هذا الفصل لن يمكنك من القيام بالتحليل الإحصائي، ولكنه سيمكنك من فهم التحليل الإحصائي وتفسيره للآخرين. وكل من ينوي القيام ببحث أصيل في علم اللغة الاجتماعي للمجتمع لا بد أن يمتلك معرفة عملية في الإحصاء التي يجب الحصول عليها من مصادر أخرى. ولكن، أتمنى أن تعطي هذه المقدمة المقتضبة نبذة لمن يقررون دراسة الإحصاء بتفصيل أكثر.

أربع مفاهيم رئيسة

تعتمد معرفة كيفية عمل التحليل الإحصائي على فهم أربعة مفاهيم أساسية: (١) السكان، (٢) والخصائص، (٣) والقياس الكمي، (٤) والتوزيع. وللإحصاء مفاهيم أكثر من هذه المفاهيم الأربعة، ولكن جميعها تبدأ من هذه الأربعة.

السكان

أول مكون وأهمه لأي تحليل إحصائي هو السكان. ويتكون أي تجمع سكاني من مجموعة من الأفراد هي محل اهتمام الباحث، أو بدقة أكثر مجموعة من القيم

الرقمية ترتبط بهؤلاء الأفراد. والتجمع السكاني لا يتألف بالضرورة من البشر فقط، فقد يتكون من مجموعة معرفة من الأشياء مهما كان نوعها. فمثلا، يمكن أن يتكون التجمع السكاني من جميع دول العالم، أو من الولايات، أو من المقاطعات. وقد نرغب في علم اللغة الاجتماعي للغة في تفحص تجمع تكتلات الصوامت النهائية التي ينطقها متحدث معين خلال مقابلة شخصية. وأحيانا وفي مفهوم الإحصائيين، فإن التجمعات السكانية تتألف فعلا من البشر. مثلا، قد يشمل التجمع السكاني ذو الأهمية لعالم علم اللغة الاجتماعي جميع المواطنين لدولة ما والذين يتحدثون لغة معينة.

وفي أغلب الأحيان، يكون التجمع السكاني كبيرا جداً بحيث لا نستطيع التعامل معه كليا. فمثلا، من المستحيل إجراء المقابلات الشخصية مع جميع مواطني الهند، أو الاستماع لجميع تكتل الصوامت في نهاية الكلام التي يتحدثها شخص في سنة كاملة. ومن الضروري كما هو الحال عادة اللجوء إلى العينة. وتتكون العينة من عدد قليل من أفراد التجمع السكاني التي يمكن دراستها بالتفصيل. وبعد ذلك تُسقَط النتائج على التجمع ككل. وحتى يكون هذا الإسقاط دقيقا، فلا بد أن تكون العينة صورة مصغرة للتجمع بأكمله. فإذا أراد باحث اكتشاف موقف الأمريكيين تجاه استخدام "whom" بدلا من "who" كضمير موصول في حالة المفعولية، فمن المهم أن لا تختلف العينة التي يختارها عن التجمع السكاني بشكلٍ كبير. مثلا، إذا شملت العينة جميع طلاب الكليات، أو كان جزء في العينة من المهاجرين أكبر مما هو موجود في التجمع السكاني للولايات المتحدة الأمريكية ككل، فإن النتائج لن تكون نموذجية لكامل السكان. ولكن لو احتوت العينة على عدد كبير من الناس ممن وزنهم أقل من الوزن الطبيعي، فإن هذا ربما لا يضر. وليس من السهل التأكد من أن العينة تمثل المجتمع في كل الأمور المهمة. وقد ناقش موضوع اختيار العينة كل من : هاتش

وفرهدي Hatch &Farhady (١٩٨٢م، ص ص ٨ - ١٠)؛ شافلسون Shavelson (١٩٨١م، ص ١٠-١٢)؛ وانشن Anshen (١٩٧٨م، ص ص ٣٧-٤٠). ويعطي وولك Wolck (١٩٧٦م) مناقشة مفصلة متخصصة ومبتكرة، بمرجع خاص، لعلم اللغة الاجتماعي.

الخصائص

هناك دائما بعض خصائص السكان التي تهم الباحث . فمثلا في دراسة التجمع السكاني في الدول، قد تكون مهتما بخصائص مثل الجغرافيا، والكثافة السكانية، والتطور الاقتصادي، والتباين اللغوي، والتمدن، أو أي عدد آخر من الخصائص.

وعادة تسمى الخصائص قيد التحليل بالمتغيرات. وهناك نوعان من المتغيرات، هما: *المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة*. والمتغير التابع هو الذي يهتم الباحث بالتعرف عليه، والمتغيرات المستقلة هي الخصائص التي يفترض أنها ترتبط بالمتغير التابع أو تؤثر عليه. فمثلا، إذا أراد شخص ما معرفة ما إذا كانت فئران المختبر تكتسب وزنا أسرع إذا زيد مقدار البروتين الذي تتغذى عليه، فقد يأخذ عددا من الفئران ويطعمها مقادير مختلفة من البروتين. وطالما أن زيادة الوزن هي الخاصية المهتم بها، فإن وزن الفئران هو المتغير التابع. ويفترض أن الوزن مرتبط بمقدار البروتين المأكول، إذا فمقدار البروتين هو المتغير المستقل. وحتى نأخذ مثالا من علم اللغة الاجتماعي، دعنا نفترض أننا نرغب في استكشاف احتمالية أن عمليات الحكومة تزداد كفاءة كلما كانت اللغة الرسمية أكثر نموذجية؛ ولذا نحتاج إلى مقاييس التقييس والكفاءة (ويصعب على وجه الخصوص قياس الكفاءة، ولكن هذا لا يهم، فإن الفرضية مشكوك في نتائجها على أي حال). وطالما أننا نخمن أن الكفاءة تتأثر بالتقييس، فإن الكفاءة هي المتغير التابع والتقييس هو المتغير المستقل .

ويعتمد كون المتغير مستقلا أو تابعا كليا على الطريقة التي يصوغ فيها الباحث سؤاله. فمثلا، في المشكلة المتعلقة بالعلاقة بين الرخاء الاقتصادي والتباين اللغوي التي نوقشت في الفصل الأول، فمن الممكن أن تتساءل فيما إذا كان التماثل اللغوي يسهل على الدولة التطور اقتصاديا. وإذا كانت هذه صيغة السؤال، فإن العامل الاقتصادي هو المتغير التابع والعامل اللغوي هو المتغير المستقل. ومن جهة أخرى، فمن الممكن طرح المشكلة بشكل معاكس بحيث يكون السؤال عن ما إذا كان التطور الاقتصادي يقود مواطني الدولة إلى التحول من استخدام لغات عديدة إلى لغات قليلة. في هذه الحالة، فإن العامل اللغوي سيكون المتغير التابع، والعامل الاقتصادي سيكون هو المتغير المستقل.

القياس الكمي

عندما يُنتقى السكان، أو عينة منهم، والخصائص المناسبة، فإن الخطوة التالية هي القياس الكمي. وتعتمد الطريقة التي تحسب بها البيانات على تحديد نوعي الخصائص التي يعالجها البحث. وهذان النوعان من الخصائص، هما: *الخصائص ممكنة التسمية، والخصائص ممكنة القياس*. فمثلا، إذا كنا مهتمين بمقارنة بعض جوانب الدول الإفريقية بنظائرها في بلدان القارات الأخرى، فإن هذه الخاصية يمكن تسميتها وهي أن الدول إما موجودة في القارة الإفريقية وإما لا. ومن غير المعقول قياس كمية وجودها في إفريقيا.[1] ومن جهة أخرى، فإن خاصية مثل الثروة القومية هي خاصية من نوع آخر. وبالرغم من أنه ممكن تقسيم الدول إلى فئات غنية وفقيرة؛ فمن الواضح أن هناك مدى لبيان درجة الثروة القومية. فكل دولة تمتلك أو لا تمتلك الثروة القومية لدرجة أو أخرى. وفي هذه الحالة، فإن الخاصية ممكنة القياس، ويرجع للباحث أمر الحصول على طريقة ما لقياسها.

وإذا كانت الخاصية ممكنة التسمية فقط، فإن الطريقة الوحيدة الممكنة للقياس الكمي هي إحصاء أفراد المجتمع أو العينة التي تملك تلك الخاصية المسماة. فمثلا، من الممكن حساب عدد الدول التي تقع في إفريقيا وتلك التي تقع في قارات أخرى. ويمكن إحصاء عدد الذكور والإناث فقط من أفراد المجتمع البشري أو العينة، باعتبار أن الجنس خاصية ممكنة التسمية. أما إذا كانت الخاصية قيد الدراسة ممكنة القياس، فإن الأسئلة التي بإمكاننا طرحها والإجابات التي يمكننا الحصول عليها ستكون غاية في المتعة. وفي هذه الحالة، فإننا لا نعد فقط الأفراد الذين يملكون الخاصية أو لا يملكونها، ولكننا نقيس كمية هذه الخاصية التي يملكها الفرد في العينة.

ويتطلب القياس أداة ومقياسا. فتقاس الخصائص الفيزيائية، مثل درجة الحرارة والمسافة الخطية، بأدوات فيزيائية، مثل ميزان الحرارة أو العصا المترية. وتقاس نوع الخصائص التي تهمنا هنا بأدوات ورقية تحمل السؤال والإجابة، مثل أسئلة الإحصاء السكاني، والاختبارات الكتابية، والاستبيانات. أما المقاييس فهي أنظمة مصممة لإظهار مدى امتلاك الفرد من المجتمع للخاصية المقاسة. ويتكون المقياس من نقطة أو نقاط مرجعية، ووحدات. مثلا، يوجد في مقياس الحرارة نقطتا التجمد والغليان كنقطتين مرجعيتين، والدرجة هي الوحدة. وفي الفصل التالي، سنقابل مقياس جرينبيرغ وليبرسون للتباين (Greenberg- Liberson) والذي له نقطتان مرجعيتان، هما: التباين الكامل والتماثل الكامل، والقيمة (أ) كوحدة. بالرغم من أننا نفكر عادة بالمقاييس الفيزيائية النموذجية باعتبارها الطريقة الوحيدة الممكنة لقياس ما نحن بصدده، فإن معظم المقاييس هي كيفية في جوهرها. فإنشاء نقطتي تجمد الماء وغليانه كنقاط مرجعية على مقياس الحرارة المئوي، والدرجة كجزء من المائة للفرق بينهما، كان في البداية قرارا كيفيا. وبعد ذلك قُبلت كمعيار نموذجي. وأحيانا يصبح من الضروري لعالم علم اللغة الاجتماعي أو أي باحث آخر أن يخترع نظام قياس جديد

يشمل الأداة، والمقياس، والوحدة حتى يقيس شيئا لم يُقس قبل ذلك بشكلٍ مرضٍ. وهذا أمر مشروع تماما.

ويقود *نوعا القياس الكمي، وهما العد والقياس*، إلى وجود أربعة نماذج من مقاييس القياس، يناقشها الإحصائيون عادة (على سبيل المثال ، انظر شافلسون، ١٩٨١م ، ص ١٦-١٨) . ومن هذه النماذج ، يطبق واحد منها على الخصائص الممكن تسميتها، واثنان على الخصائص الممكن قياسها، ويصنف الأخير بين الاثنين. وتخصص الخصائص الممكن تسميتها بقيم على مقياس اسمي. وتعرف هذه القيم فقط أي خاصية مسماة يملكها فرد من العينة. فإذا استخدمنا الموقع القاري كخاصية ممكنة التسمية لعينة من الدول، فيمكننا تخصيص قيمة (١) لدولة آسيوية، و (٢) لدولة إفريقية، و(٣) لدولة أوروبية، وهكذا دواليك. وليس لهذه الأرقام أي أهمية خاصة، فعلى سبيل المثال، لا نقصد أن يكون للدولة الإفريقية مقدار أقل من الخاصية أو أكثر من دولة آسيوية. ويمكننا أيضا وبشكلٍ مساو استخدام (س، ص، ع) أو (أخضر، أزرق، أصفر) كرموز لتعيين الموقع القاري. وكلما كان بإمكان كل عضو مستقل في العينة السكانية أن يحصل على رمز ورقم لهذه الخاصية، فإننا بهذه الحالة نتعامل مع مقياس اسمي.

وتخصص الخصائص الممكن قياسها بقيم على *مقياس فاصلي أو مقياس نسبي*. وتعريف شافلسون (١٩٨١م، ص١٧) للقياس الفاصلي هو:

والقياس الفاصلي ممكن إذا كان بالإمكان تحديد المستويات المختلفة للصفة المميزة، وتحديد *مسافات متساوية* بين مستويات الصفة أيضا.

والمصطلحات الأساسية هي "مستويات مختلفة" و "مسافات متساوية". فإذا أعطي عضو في العينة القيمة (٢) على مقياس فاصلي، فإنه في مستوى أعلى بالنسبة للصفة المعنية من العضو الذي له قيمة (١). والفرق في المستوى بين عضو العينة

المعطى القيمة (٣) والفرد المعطى قيمة (٢) هو الفرق نفسه الموجود بين العضو ذي القيمة (٢) والعضو ذي القيمة (١). ولنأخذ مثالا بسيطا يتعلق بقياس درجة الحرارة. لنفترض أن لدينا أربعة أوعية من الماء: درجة حرارة الماء في الوعاء الأول (أ) هي ١٠ درجات مئوية، وفي الوعاء الثاني (ب) هي ١٢ درجة مئوية، وفي الوعاء الثالث (ج) هي ٢٠ درجة مئوية ، وفي الوعاء الرابع (د) هي ٢٢ درجة مئوية. وطالما أن مقياس الحرارة المئوي هو مقياس فاصلي، فإن الفرق بين درجتي حرارة الوعائين (أ) و (ب) هو الفرق نفسه بين درجتي حرارة الوعائين (ج) و (د)، وهي درجتان مئويتان.

وللفرق بين المقاييس الفاصلية والنسبية أهمية لا تكاد تذكر لغرضنا (لم يذكر هاتش وفرهدي (١٩٨٠) على الإطلاق المقاييس النسبية). وللمقاييس الفاصلية والنسبية الخصائص نفسها، باستثناء أن لمقياس النسبة قيمة مطلقة للصفر، بينما للمقاييس الفاصلية قيمة كيفية للصفر. ولمقياس الحرارة المئوي قيمة كيفية للصفر، وهي نقطة تجمد الماء. ومقياس كالفن هو مقياس نسبي فنقطة الصفر فيه هي الانعدام المطلق للحرارة.

والنوع الرابع من المقاييس هو *المقياس الترتيبي*. ففي المقياس الترتيبي، تعطى الأرقام لأعضاء العينة بالترتيب ، ولكن المسافات (الفواصل) غير متساوية. وأسرع طريقة لفهم المقياس الترتيبي هي أن نتخيل قائمة تحوي الواصلين لخط النهاية في سباق ماراثوني. فالمتسابق الأول الذي يعبر خط النهاية يعطى الرقم (١)، ويعطى المتسابق الثاني الرقم (٢)، وهكذا. ولكن ليس من الضروري أن تكون المسافات (الفواصل) بين المتسابقين متساوية. فقد يصل الفائز الأول متقدما عن صاحب المركز الثاني بثلاثين ثانية، والذي بدوره يصل قبل صاحب المركز الثالث بثانيتين، وتعطى الأرقام المعينة حسب المرتبة، ولكنه لا يحمل أي معلومات عن المسافات بينهم. أما إذا قمنا من جهة أخرى بترتيب المتسابقين حسب أوقات وصولهم ، فإن هذه الأوقات تشكل

البيانات للمقياس النسبي. فالوحدات (وهي الساعات، والدقائق، والثواني، وأعشار الثواني) لها مسافات متساوية لجميع المتسابقين، والصفر هنا مطلق (أي انعدام الوقت كليا).

وإذا أريد من نتائج البحث أن تكون مفهومة، فلا بد للباحثين أن يتذكروا بوضوح أي نوع من المقاييس تتطابق مع البيانات الرقمية الموجودة لديهم، وأن يختاروا الطرق الإحصائية طبقا لذلك. وإذا افترض الباحث أن الخاصية التي يبحثها قد قيست على مقياس فاصلي بينما هي في الواقع قد قيست فقط على مقياس ترتيبي، فإن الطرق الإحصائية التي استخدمها قد تكون صادقة فعلا، من منظور رياضي بحت، ولكن لن يكون لها معنى على الإطلاق عندما تفسر في العالم الواقعي (انظر شافلسون، ١٩٨١م، ص١٨).

وتُقيّم دقة القياس وفقا *لمعياري درجة الثقة بالقياس وصلاحيته*. فيكون القياس موثوقا به إذا أعطى النتائج نفسها في كل مرة، أي إذا كان ثابتا. ويكون القياس صالحا إذا قاس بالضبط ما صمّم لقياسه. ومفهوم الصلاحية أدق المعيارين، فلا يمكن أن يكون القياس صالحا، وهو غير موثوق به. فإذا أعطى نتائج مختلفة في تطبيقات متوالية، فمن الواضح أنه لا يقيس بدقة ما هو مفروض قياسه. ومن جانب آخر، فقد يكون القياس موثوقا به تماما، ولكنه غير صالح. تصور أن شخصا ما يعتقد أن من الممكن الحصول على قياس دقيق للذكاء بقياس جبهات الناس، فتأخذ العلامة الأكبر (جبهة كبيرة) على أنها تشير إلى شخص ذكي جدا، والعلامة الصغيرة (جبهة صغيرة) تدل على الشخص الغبي. فإذا كانت أداة القياس جيدة والطريقة دقيقة، فإن القياس سيكون موثوقا به. ففي كل مرة تقاس فيها جبهة شخص معين، سيحصل على العلامة نفسها. ولكن القياس لن يكون قياسا صالحا للذكاء بالاعتماد فقط على حجم جبهة الرأس.

التوزيع

عندما تقاس خصائص المجتمع أو العينة بشكلٍ مناسب، فإننا نهتم بجوانب توزيع العلامات. ونقصد بالتوزيع ببساطة كم عدد أفراد المجتمع أو العينة الحاصلين على العلامات العليا أو الدنيا على المقياس. وعادة، نتوقع أن يكون للمجتمع توزيع متماثل من العلامات التي تقيس معظم الخصائص . فسيحصل معظم أفراد العينة على علامات قريبة من متوسط المدى، في حين يحصل القليل منهم على علامات في النهاية العليا جداً أو النهاية الدنيا جداً من المقياس. وبتبسيط زائد إلى حد ما، فإن توزيعا من هذا النوع يسمى *بالمنحنى الطبيعي*. ويكون التوزيع *منحرفا*، إذا حصل عدد أكبر من السكان على علامات في النهاية العليا من المقياس أكثر من النهاية الدنيا، والعكس صحيح.

ويعطينا الإحصاء الوصفي فكرة عن الطبيعة التوزيعية لمجموعة معينة من البيانات، وأهم الإحصاءات الوصفية تتجلى في إحصائين أساسيين، هما: المتوسط والانحراف المعياري.[٢] والمتوسط هو علامة المعدل المحسوبة بجمع العلامات لكل فرد من العينة، ثم تقسيمها على العدد الكلي للأفراد في العينة. والانحراف المعياري مؤشر على كيفية توزع العلامات حول المتوسط. ويعني الانحراف المعياري الطفيف أن العلامات تجتمع بشكل جيد نوعا ما قرب المتوسط. أما الانحراف المعياري الكبير فيعني أن العلامات مبعثرة على أعلى المدى وأسفله، أو أن هناك بضع علامات تقع بعيدا جدا عن المتوسط. وإذا عرضت هذه العلامات على منحنى فستظهر العلامات ذات الانحراف المعياري الطفيف بذروة حادة في الوسط. أما المنحنى المرتبط بانحراف نموذجي كبير فسيكون مسطحا نوعا ما أو غير منتظم.[٣]

وإذا كان لدينا عينة، وليس جميع السكان، فمن المحتمل أننا سنرغب في معرفة كيف تشبه إحصاءات العينة تلك الخاصة بالسكان ككل. فإذا كانت العينة عالماً

مصغراً فعلا لكل السكان، فسيكون متوسطها وانحرافها النموذجي هو نفسه بالضبط كتلك الخاصة بالسكان ككل. ولكن إذا اختيرت العينة عشوائيا من السكان فإن من المؤكد تماما أن تختلف العينة في توزيع علاماتها قليلا عن توزيعها في إحصاء كل السكان. ولكن الإحصائيين قد طوروا طرقا لتقدير الانحراف المعياري للسكان بمجرد معرفتنا لهذه الإحصاءات للعينة. ويعبر عن هذا عادة بالمدى والاحتمالية، وفي هذه الحالة، تقال عبارات كالتالي: "هناك فرصة ٩٥٪ أن يكون متوسط السكان ما بين ٥١ و٥٩."(٤)

إجراءات إحصائية

يعتبر الإحصاء الوصفي للعينة، أو حتى الإحصاء الوصفي التقديري لكل السكان مهما، ولكنه ليس أكثر الاستخدامات الإحصائية تشويقا. ولكن الجانب الممتع أكثر هو *اختبار الفرضية*. ويتضمن اختبار الفرضية إجراءات لأخذ القياسات الكمية واستخدامها لتحديد ما إذا كانت فرضية معينة صحيحة أم لا. وقبل أن أشرح طريقة عملها، سنحتاج لفهم ما هي الفرضيات في الإحصاء.

الفرضيات

تأتي الفرضيات مزدوجة، بنظر علم الإحصاء. فلكل مشكلة هناك *فرضية بحث* و*فرضية إبطال*. وفرضية الإبطال بشكل مبسط تبين أنه "لا يوجد شيء خاص يدور هنا". وبمعنى آخر، لا يوجد شيء للشرح. وفرضية البحث هي عبارة مفادها أن هناك علاقة غير عادية بين الخصائص الكمية للسكان التي لا بد من شرحها. ودائما تكون فرضية الإبطال الخاصة نفيا لفرضية البحث المزدوجة معها. فعلى سبيل المثال،

إذا فكرنا بالفرضية التي تقول: إنه كلما كان الطفل بين سن الخامسة والخامسة عشر أطول، كلما كان أثقل وزنا، فسيكون مفاد فرضية الإبطال أنه لا يوجد ميل خاص لدى الأولاد في هذا العمر لأن تكون أوزانهم أكبر إذا كانت أطوالهم أكبر. وبالإجراءات الإحصائية، فإننا لا نقوم بإثبات فرضية البحث مباشرة، ولكن نرسخها بشكل غير مباشر، *وذلك برفض فرضية الإبطال*. فإذا وجدنا أنه يمكننا رفض فرضية الإبطال التي ذكرتها آنفا، فإن الخيار المنطقي الوحيد هو قبول فرضية البحث. وبتحديد أكثر، إذا لم يكن معقولا الاعتقاد بأنه لا يوجد ميل لوزن الأطفال في المدى المحدد للعمر أن يكون أكبر عندما يكون طولهم أكبر، فالبديل الوحيد هو الاعتقاد بأن هناك علاقة من هذا النوع.(٥)

وعادة لا تذكر فرضية الإبطال، ولكنها تقدم ضمنيا في كل مرة يحدث فيها اختبار إحصائي للفرضيات. وعند قراءة النتائج الإحصائية في تقارير بحثية، فمن المفيد أن نستعد لاستنتاج فرضية الإبطال بدقة، فمثلا، في مثالنا عن الطول والوزن، افترض أننا لم نستطع رفض فرضية الإبطال، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه لا يوجد علاقة بين الطول والوزن، ولكنها ليست بشكل أن الأطفال الأطول هم الأثقل وزنا أيضا. ومن الممكن منطقيا أن الأطفال الأقصر أثقل وزنا، وهذه إمكانية لم نتحقق منها باختبار فرضية البحث كما وضعتها.

ويجب وضع الفرضيات بدقة ، نسبة إلى مجموعة محددة من البيانات الكمية. فمثلا، القول "بأن الطلاب الذين لديهم مدرسون جيدون يتعلمون أكثر" هي نظرية ضعيفة بنظر علم الإحصاء. فليس لدينا تعريف بما هو مقصود بتعبير "المعلمين الجيدين"، ولم يقدم لنا قياس لكمية التعلم . أما الفرضية المناسبة أكثر فستكون على النحو التالي "الطلاب الذين يدرسهم معلمون مصنفون من قبل زملائهم على أنهم "ممتازون" أو "جيدون" سيحصلون على علامات عالية جدا في اختبار نهائي نموذجي

أكثر من الطلاب الذين يدرسهم مدرسون مصنفون من قبل زملائهم على أنهم "متوسطون" أو "ضعيفون" . بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تكون الفرضيات متلازمة مع نوع البيانات المتوفرة. افترض أن لدينا قائمة بجميع الطلاب في مدرسة ثانوية معينة صنفهم مرشدهم الطلابي على أنهم "عدوانيون" أو "غير عدوانيين". افترض أن لدينا قائمة بأسماء الرياضيين في كل الفرق الرياضية في المدرسة. وافترض أيضا أن لدينا فكرة أن الطلاب العدوانيين غالبا ما يكونون رياضيين جيدين أكثر من غير العدوانين. ومن البيانات التي وصفتها، لا نستطيع اختبار الفرضية: "كلما ازدادت عدوانية الولد في المدرسة الثانوية كلما كان رياضيا جيدا". وتتطلب هذه الفرضية أن نتعامل مع العدوانية والقدرة الرياضية على أنها خصائص ممكنة القياس، وأن لدينا مقاييس لقياسها على مقياس فاصلي أو نسبي، ولكن البيانات التي لدينا تتعامل مع المتغيرين على أنهما خصائص ممكن تسميتها فقط. أي أن لدينا أحكاما بوجود العدوانية مقابل عدم وجودها، ووجود الطالب في قائمة الفريق مقابل عدم وجود الطالب. وهذه بيانات مقياس اسمي. والفرضية الممكن اختبارها هي: " إن احتمالية وجود الأولاد في الثانوية الذين حكم عليهم مرشدوهم الطلابيون على أنهم عدوانيون في الفرق الرياضية أكثر بكثير من احتمالية وجود الطلاب الذين حكم عليهم أنهم غير عدوانيين".

كيف تعمل الفرضية

هناك بنية نموذجية تُتّبع في الإحصاء في محاولة رفض فرضية الإبطال. وينتج عن جميع الطرق المستخدمة لاختبار الفرضية، والتي ستناقش (باستثناء واحدة وهي الارتباط)، قيمة عددية من الممكن مقارنتها بتوزيع نظري معروف لهذه القيم. فمثلا،

يعطي الاختبار الإحصائي المسمى باختبار "ت" قيمة ت ، التي يمكن مقارنتها بالتوزيع النظري لقيم ت. فإذا كانت القيمة التي حصلت عليها قريبة بما يكفي من متوسط قيم ت ، فمن الممكن أن تكون هذه النتيجة مجرد صدفة. أما إذا كانت القيمة التي حصلت عليها بعيدة بما يكفي عن المتوسط ، فهذا يعني أن من المحتمل أنها لم توجد بمحض الصدفة ، ولكن هناك مسببا لها. ولكن كم هو بُعد "بعيدة ؛ بما يكفي؟" وهذا أمر يقرره الباحث ضمن حدود معينة. فإذا كانت القيمة الموجودة تقع في معدل نتوقع أن نجد فيه ٨٠ بالمائة من التوزيع النظري لقيم ت ، فإننا سنكون مطمئنين تماما لفرضية الإبطال أنه لا يوجد شيء يستحق الشرح. ولكن افترض أن قيمة ت التي حصلنا عليها تقع في معدل يتواجد به ١٠ بالمائة فقط من التوزيع النظري لقيم ت. معظم الإحصائيين سيبقون غير رافضين لفرضية الإبطال ، فوجود فرصة واحدة في كل عشر يعتبر احتمالية كبيرة. وعمليا فيجب أن تكون القيمة التي تحصل عليها في معدل ٥ بالمائة على الأقل حتى تستطيع رفض فرضية الإبطال. ويعبر عن هذا عادة بالقول بأن "النتائج كانت مهمة بقيمة احتمال < ٠.٠٥ ، وهذا يعني أن الاحتمالية هي أقل من ٥ ٪ وأن القيمة التي حصلت عليها قد أتت بطرق عشوائية فقط. وفي الغالب لا يرضى الإحصائيون حتى تكون نتائجهم مهمة بقيمة احتمال < ٠.٠١ ، (أي أقل من فرصة في ١٪ أن تكون فرضية الإبطال صالحة)، أو بقيمة احتمال < ٠.٠١ (أي أقل من فرصة واحد في الألف).

كمثال ، تخيل أننا أنا وأنت جيران ، ولنا حديقتا خضار بجوار بعضهما ، وافترض أن كلا منا اتبع الطريقة الزراعية نفسها ، باستثناء أنك استخدمت سمادا خاصا طورته بنفسك ، بينما استخدمت أنا مركبا من سماد الأبقار. وفي نهاية الصيف ، التقط كل منا ١٠٠ حبة طماطم ، لا على التعيين ، وحسب معدل وزنها.(٦) وكانت فرضية البحث أن الطماطم التي عولجت بالسماد الذي طورته أنت سيكون

أثقل بشكل ملحوظ في المعدل من تلك التي عولجت بسماد الأبقار فقط. وفرضية الإبطال هي أنه لا يوجد فرق في معدل الأوزان في مصلحة حبات الطماطم التي زرعتها أنت، والذي ليس بسبب التباين العشوائي. وبالطبع، فإنه سيثبت خطأ فرضية البحث لو كانت الطماطم التي زرعتها أنا أثقل فعلا من الطماطم التي زرعتها أنت، ولكن حتى ولو كانت الطماطم التي زرعتها أنت أثقل. فإننا لا نستطيع رفض فرضية الإبطال لو استطعنا إثبات أن الفرق يعود إلى عوامل عشوائية . وأنت بالطبع تتمنى أن يكون هناك شيء يمكن تفسيره؛ لأن لديك تفسيرا جاهزا يتعلق بأفضلية السماد الذي طورته أنت، لذا فإنك تفضل أن تكون قادرا على رفض فرضية الإبطال . افترض أن معدل اختلاف الوزن هو ٢٠ غراما لصالح الطماطم التي زرعتها أنت، وافترض أيضا أن هذا الفرق، وباستخدام الاختبار الإحصائي المناسب، كان مهما بقيمة احتمال < ٠,٠١، وهو معدل الرقم المعنوي الذي اخترناه . وهذا يعني أن لدينا فرصة واحدة فقط في كل ١٠٠ للحصول على اختلاف في الوزن يعادل ٢٠ غراما مع التباين الطبيعي فقط في نمو الطماطم. وبالتأكيد فهناك شيء ما يسبب هذا الاختلاف في الوزن. وطالما كانت معالجة السماد هي الفرق الوحيد في الطريقة التي أديرت بها الحديقتان فمن المنطقي الاعتقاد بأن هذا هو السبب.

ومن المهم ملاحظة أمرين حول هذه النتيجة. أولا، أننا لم نستبعد فرضية الإبطال على الإطلاق. افترض أنني أحضرت مائة حبة طماطم من حديقتي للوزن، وذلك بقطف كل ثالث حبة طماطم مررت بها، وأنت استخدمت الطريقة نفسها. والآن من الممكن أن تكون كل ثالث حبة طماطم في حديقتي هي من بين أصغر حبات الطماطم التي أملكها حجما، وأن كل ثالث حبة طماطم خاصة بك هي من بين أكبرها. فلو اخترنا كل ثاني حبة طماطم في كل حديقة. فمن الممكن أن لا يكون هناك أي فرق في الوزن، وهذا بالطبع احتمال، ولكنه غير وارد على الإطلاق.

والإحصاء طريقة لتقدير كم هي درجة عدم الاحتمالية. ثانيا، أثبتنا فقط أنه من المحتمل جدا أن يكون هناك مسبب يؤدي إلى نمو الطماطم في حديقتك بشكل أكبر من الطماطم التي في حديقتي. ولا يظهر الاختبار الإحصائي أن ذلك الشيء هو السماد الذي طورته أنت. وقد تمنينا أن نصمم التجربة بحيث تكون معالجة السماد هي الفرق الوحيد فقط، حتى إذا كانت الطماطم التي زرعتها أنت أثقل بشكل ملحوظ، فإن السبب الوحيد الممكن هو السماد. وبالدرجة التي نجحنا فيها فقد أثبتنا أفضلية السماد الذي طورته أنت، وبالدرجة التي تكون فيها متغيرات غير مسيطر عليها، فإن سبب النتيجة سيبقى محط شك.

افترض أننا لم نفكر في التأكد من أننا زرعنا سلالة الطماطم نفسها، وأننا في الواقع زرعنا أنواعا مختلفة. وفي هذه الحالة ربما بقي السماد هو الذي يسبب الفرق، ولكن لدينا الآن متغيرا غير مسيطر عليه، وقد يكون هو أيضا السبب. فوجوده يبعث على الشك، ليس في حقيقة وجود اختلاف ملحوظ بين أوزان الطماطم، ولكن في الدلالة على أن الفرق عائد لطريقة التسميد. وفي بحث علم اللغة الاجتماعي، كما هو الحال في معظم أبحاث العلوم الاجتماعية، من الصعب السيطرة على جميع المتغيرات.

أنواع الاختبارات الإحصائية

من الممكن تقسيم الاختبارات الإحصائية إلى فئتين: اختبارات معيارية واختبارات غير معيارية. ولهذا التمييز علاقة بتمييزنا السابق بين مقاييس الكمية (الاسمي والترتيبي مقابل الفاصلي والنسبي). وتستخدم أكثر الإجراءات الإحصائية المعيارية شيوعا عندما يتضمن قياسنا الكمي مقاييس فاصلية أو نسبية. والطرق غير المعيارية التي من الممكن أن تصادفك مصممة للاستخدام عندما يكون القياس الكمي على مقاييس اسمية أو ترتيبية. ومن الأهمية بمكان أن لا يستخدم إجراء خاطىء مع

بيانات خاطئة ؛ لأن كل إجراء ينطوي على افتراضات مختلفة جوهريا. والنتيجة المحتملة من جراء استخدام نوع خاطيء من الإجراء هو قبول فرضيات الإبطال الواجب رفضها، أو رفض ما يجب قبوله.

وفي الأجزاء التالية، سأصف باختصار أربع إجراءات إحصائية شائعة الاستخدام، وهي: *اختبار مربع كاي، واختبار-ت، وتحليل التباين، والارتباط*. وبالطبع، تستخدم في البحث إجراءات إحصائية أخرى عديدة جدا. وتعتمد جميعها تقريبا على الإجراء الأساسي في مقارنة بعض القيم مع قيم لتوزيع نظري معروف من النوع نفسه، وتقدير احتمالية أن تكون القيمة الناجمة هي فقط نتيجة لعوامل عشوائية. ولذا، فإذا قرأت نتائج إجراء إحصائي ما بأنها معنوية بقيمة احتمال < ٠,٠١ ، فإنك ستفهم شيئا ما عن مصداقية فرضية الباحث، حتى ولو لم تكن تعلم كيفية عمل هذا الإجراء.

مربع كاي

الوصف.

اختبار مربع كاي (يرمز له بـχ^2) هو إجراء إحصائي غير معياري يستخدم في الغالب لاختبار الاستقلالية أو الاتكال المتبادل لتوزيع صفتين ممكنتي التسمية ضمن تجمع سكاني ما. وشرح كيفية عمل إجراء إحصائي من خلال الأمثلة أسهل بكثير من شرحه بشكل نظري.

في الفصل الأول استشهدنا بدراسة جوشوا فيشمن (أ ١٩٦٨) والتي قارن فيها بين التباين اللغوي ومقاييس مختلفة للتطور القومي. وفي إحدى هذه المقارنات، قارن فيشمن بين مقياس اقتصادي، وهو الناتج القومي الكلي، وبين التباين اللغوي. وهاتان خاصيتان يمكن التعامل معهما على أنهما ممكنتا القياس، ولكن فيشمن تعامل

معهما على أنهما خاصيتان ممكنتا التسمية. فقد حكم على ١١٤ أمة بأنها ذات إنتاج قومي كلي للفرد "عال جداً" أو "متوسط" أو "منخفض" أو "منخفض جدا". وقسم تلك الأمم إلى دول "متجانسة" أو "متغايرة" للدلالة على التباين اللغوي.(٧) وعندما تم إجراء ذلك، كان من الممكن توزيع تلك الأمم جميعها إلى أربع فئات، بناء على قيمتين لكل من الخاصيتين. وأمكن بوضوح وضع كل بلد في إحدى الفئات الأربع. والجدول رقم (٤،١) يعرض هذه النتائج.

وكانت فرضية البحث المختبرة هي أن يكون تخصيص الدول في فئات متجانسة متغايرة غير مستقل عن تخصيصها في مستوى الناتج القومي الكلي لكل فرد. وبمجرد النظر فقط إلى جدول رقم (٤،١) من الصعب تقرير ما إذا كان من الواجب قبول الفرضيةأو رفضها.فللغالبية العظمى من الكيانات المتغايرة لغويا ناتج قومي كلي للفرد

الجدول رقم (٤،١). ترتيب الكيانات بحسب التجانس-التباين اللغوي والناتج القومي الكلي لكل فرد.

	العامل اللغوي	
الناتج القومي الكلي	متجانس	متغاير
عال جدا/ متوسط	٢٧	١٥
منخفض / منخفض جدا	٢٥	٤٧

المصدر: (فيشمن أ ١٩٦٨م، ص ٦٢)

"منخفض جداً أو منخفض"، ولكن الكيانات المتجانسة قسمت بالتساوي على مقياس

الناتج القومي الكلي. ونريد طريقة تمكننا من معرفة ما إذا كانت الدول الـ ١١٤ قد اندرجت في إحدى هذه الفئات بطريق الصدفة، أو إذا كان من غير المحتمل أن يكون ذلك قد حدث عن طريق الصدفة، فإن بإمكاننا استخلاص أن هناك علاقة حقيقية بين الخاصيتين. وطريقة معرفة ذلك هي حساب ما سيكون عليه التوزيع إذا لم تكن هناك علاقة بين الخاصيتين، ومن ثَمّ اكتشاف ما إذا كان التوزيع في الجدول رقم (٤،١) مختلفا بدرجة كافية عن ذلك التوزيع. ويعطي جدول رقم (٤،٢) التوزيع "الافتراضي" أو "النظري".[٨] وتقيس قيمة مربع كاي الاختلاف بين التوزيع الفعلي للبيانات والتوزيع الافتراضي[٩] وقيمة مربع كاي في مثالنا هي ٨،١٩، وعندما نفحص هذا على جدول يبين التوزيع المتوقع لقيم مربع كاي، نجد أنها معنوية بقيمة احتمال< ٠،٠٠٥[١٠]، وإن كان مستوى الدلالة هذا مقبولا (وهذا المستوى يكون عادة مقبولا في بحث العلوم الاجتماعية)، عندها يمكننا رفض فرضية الإبطال وقبول فرضية البحث.

الجدول رقم (٤،٢). التوزيع الافتراضي لبيانات في جدول (٤،١).

	العامل اللغوي	
الناتج القومي الكلي	متجانس	متغاير
عال جدا/ متوسط	١٩،٢	٢٢،٨
منخفض / منخفض جدا	٣٢،٨	٣٩،٢

وكما هو معتاد في الاختبارات الإحصائية، فيجب علينا الحذر بملاحظة ما

تقوله النتائج وما لا تقوله. ونعلم الآن أن توزيع الأمم بين قيم الخاصيتين في جدول رقم (٤,١) من المحتمل أن يكون فيه اتكالية متبادلة أكثر من الاستقلالية. ولا نعلم من مجرد حقيقة أننا حصلنا على قيمة مهمة لمربع كاي، ما إذا كان من المحتمل أن يكون للدول المتجانسة ناتج قومي كلي عالٍ جداً أو متوسط، أو ما إذا كان من المحتمل أن يكون للدول المتغايرة ناتج قومي كلي منخفض أو منخفض جدا، أو كلاهما. ونحن أيضا أبعد ما نكون عن إثبات أن التجانس يعزز التطور الاقتصادي، أو أن التطور الاقتصادي يعزز التجانس، أو أن هناك علاقة سببية بينهما على الإطلاق.

ولا يقتصر اختبار مربع كاي على فرضيات تشمل خاصيتين، لكل منهما تمييزان. ففي دراسة فاسولد (١٩٨٠)، ذكرت نتائج سلسلة من التجارب تركز على نطقين لكلمة "nine" من قبل متحدثين من طبقات اجتماعية وأعمار وأجناس عرقية مختلفة. وقد سجلت صوتيا طريقة نطق كل متحدث وهو يستخدم أحد النطقين، إما [nain] (النطق الأول) أو [na:n] (النطق الثاني). وعندما حُسب عدد حدوث النطقين بناء على الطبقة الاجتماعية (متوسطة أو عاملة)، والجنس العرقي (أبيض أو أسود)، كانت نتيجة ذلك التوزيع الموجود في جدول رقم (٤,٣) . وكانت فرضية البحث هي أن النطق سيتوزع بشكلٍ غير متكافىء بين المتحدثين من الطبقتين الاجتماعيتين والجنسين العرقيين. وكانت قيمة مربع كاي المحسوبة لجدول رقم(٤,٣) معنوية بقيمة احتمال < ٠,٠٠١ ، ورفضت فرضية الإبطال. ومن المهم ملاحظة أن اختبار مربع كاي بأكمله يمكننا من القول، ونحن متأكدين، إن من المحتمل أن توزيع المتحدثين للنطق الأول أو الثاني بين الطبقات والأجناس العرقية ليس عشوائيا. ولم نثبت أي شيء يتعلق بأهمية التوزيع.

الجدول رقم (٤،٣). عدد المستخدمين لنطقين لكلمة "nine" في واشنطن، مقاطعة كولومبيا، في ١٩٧٧م، طبقا للطبقة والجنس.

النطق	الجنس/الطبقة			
	أبيض (طبقة) متوسطة	أسود متوسطة	أبيض عاملة	أسود عاملة
[nain]	١٥٠ ٪٨٢،٩	٢٣ ٪٦٢،٢	٣٧ ٪٥٢،١	١٢ ٪١٥،٠
[na:n]	٣١ ٪١٧،١	١٤ ٪٣٧،٨	٣٤ ٪٤٧،٩	٦٨ ٪٨٥،٠

وبالطبع، يبدو التوزيع واضحا إلى درجة مقبولة من مجرد النظر إلى الجدول، فالنطق الأول [nain] يميل للارتباط بمتحدثي الطبقة المتوسطة ومتحدثي الجنس الأبيض ، وأن الطبقة الاجتماعية أهم من الجنس العرقي. وبرغم جاذبية هذا الاستنتاج إلا أنه لا يثبت مباشرة باستخدام اختبار مربع كاي. وأشير إلى هذا هنا لأن التمييز بين فرضية البحث القائمة على إجراء إحصائي وبين كيفية تفسير الباحث لها قد يضيع ببساطة. وهو تمييز مهم جدا، ونموذجي، فإن جزءا واحدا فقط من نتائج الباحث يمكن أن تُدعم بشكل مباشر من قبل الإجراء الإحصائي المستخدم، والباقي هو مجرد استنتاج مبني تقريبا على أسباب منطقية، كما أن المجال مفتوح لمناقشة تلك النتائج على أسباب منطقية أيضا.

متى يستخدم اختبار مربع كاي.

متطلبات البيانات. لاستخدام اختبار مربع كاي لتقرير الاستقلالية مقابل

الاتكالية المتبادلة، يجب أولا أن يكون لديك بيانات عن تجمع سكاني معين أو عينة واحدة. ولكل فرد من السكان أو العينة، لا بد أن يكون لديك معلومات عن خاصيتين ممكنتي التسمية على الأقل. ولكل خاصية قيمتان معرفتان حسب الطريقة التالية: إذا كان لفرد من السكان أو العينة قيمة معينة، فلا يمكن له أن يمتلك القيمة الأخرى. ففي البيانات في الجدول رقم (٤.١)، كان لدينا عينة من الأمم، ونعرف عن كل أمة ما يلي: (١) قيمة خاصية التجانس/التغاير إذا كانت متجانسة أم لا (وإذا كانت لا، فهي متغايرة)، و(٢) قيمة خاصية الناتج القومي الكلي إما أن تكون عالية جدا/ متوسطة وإما لا (وإذا كانت لا، فهي منخفضة/منخفضة جدا). ويستخدم اختبار مربع كاي إذا كانت جميع الخصائص من النوع الممكن تسميته، ولا يضمن أي خصائص من النوع الممكن قياسه على الأقل.

الفرضية.

تتعلق فرضيتك فيما إذا كانت خاصيتان أو أكثر تعملان مع بعضهما، وتريد أن تعرف ما إذا كان لدى أفراد التجمع السكاني أو العينة الذين يملكون (أو لا يملكون) قيمة معينة لإحدى الخصائص رغبة في أن يمتلكوا أيضا (أو لا يمتلكوا) قيمة معينة لخاصية أخرى. وللبيانات في جدول (٤.١)، أردنا أن نعرف إذا كانت هناك رغبة لدى الدول المتجانسة لأن يكون لها ناتج قومي كلي عال جدا أو متوسط.[١٢]

(اختبار–ت)

الوصف.

اختبار (ت) هو اختبار إحصائي معياري يقيس ما إذا كانت المتوسطات

الحسابية لمجموعات من الدرجات أتت من عينتين مختلفتين عن بعضهما بشكل ملحوظ جدا. وإذا لم يكن الوسطان الحاسبان مختلفين عن بعضهما بشكل كاف، فلا نستطيع رفض فرضية الإبطال بأن الوسطين الحسابين يمكن أن يكونا قد أتيا من عينتين للسكان أنفسهم. أما إذا كان الوسطان الحسابيان مختلفين بما فيه الكفاية، فيمكن تبرير استنتاجنا بأن المتوسطين الحسابين يخصان عينتين من تجمعين سكانيين مختلفين. وقبل أن نأتي على مثال من اللسانيات الاجتماعية، دعني أشرح ماذا أقصد باستخدام مثال بدائي ساذج نوعا ما.

لنفترض أن لدينا مقاسات طول رقاب ٥٠ زرافة و ٥٠ جملا. ومن المفترض أن متوسط طول الرقبة في عينة الزرافات سيكون أكبر كثيرا من متوسط طول الرقبة في الجمال للدرجة أنه يمكننا قبول فرضية البحث بأن الزرافات والجمال قد أتت من مجموعتين مختلفتين من السكان، فيما يخص طول الرقبة. ومن جهة أخرى، لو أننا قسنا رقاب عينتين من ٥٠ زرافة، فإن متوسط الطول للمجموعتين سيكون في الغالب متقاربا جدا للدرجة أننا سنخلص إلى انهما أتيا من التجمع السكاني نفسه. وباختصار، فإننا نشرع في اختبار ما إذا كانت عينتان أخذتا من مجتمعين منفصلين أولا، فيما يخص بعض الخصائص الممكن قياسها، وذلك باختبار الاختلاف المعنوي بين المتوسطين. والبيانات المطلوبة هي درجات لبعض الخصائص الممكن قياسها (المتغير التابع) لعينتين مختلفتين. أما الخاصية التي تعرف كلتا المجموعتين فهي خاصية ممكنة التسمية (المتغير المستقل أو المتغير التجمعي).

وكمثال لبيانات لسانية اجتماعية، سنستخدم بعض البيانات التي قدمتها ميلروي (١٩٨٠: ٢٠٤) عن لفظ بعض الصوائت في كلام بعض أفراد الطبقة العاملة في بلفاست. ومن بين البيانات التي جاءت في ملحق ميلروي بيانات عن نطق الصائت في كلمات مثل "hut" و" mud" ويمكن نطق الصوائت في هذه الفئة من الكلمات إما

[ʌ] أو [ɔː]، والأخير هو النطق المحلي أكثر.[١٣] وطبقا لنظامها في القياس الكمي، فإن القيمة الرقمية لهذه الصوائت لمتحدث ما هي النسبة المئوية للكلمات التي نطقت بالمتغير الثاني من اللفظتين، فإذا دونت صوتيا عشر كلمات فيها صائت كلمة "hut" أو "mud" لمتحدث معين، وثبت أن ثمان منها تحوي الصائت [ɔː]، وعندها سيتلقى المتحدث هذا قيمة ٠، ٨٠ .

ولكثير من المتغيرات الفونولوجية في بلفاست، يمتلك المتحدثون من الرجال والنساء أنماطا مختلفة من التكرار، بحيث يستخدم الرجال الأشكال المحلية الدارجة بتكرارية أكبر من استخدام النساء. وهذا صحيح أيضا لصوائت فئة كلمات "hut"، فمتوسط تكرار استخدام نطق الصائت المحلي للمتحدثين الذكور كان ٥٢,٠ بينما كان المتوسط للمتحدثات الإناث ٣٤,٧ . وهذان المتوسطان مختلفان بشكلٍ كبير، ولكن اختبار- ت يخولنا اختبار فرضية البحث الخاصة وهي: "متوسط استخدام المتغير [ʌ] من قبل الرجال والنساء في بلفاست مختلف بشكلٍ كاف، بحيث من المحتمل أن يمثل الرجال والنساء تجمعين سكانيين مختلفين بالنسبة لنطق هذا الصائت". وكانت قيمة - ت هي ٣,٠٦، وهي معنوية بقيمة احتمال< ٠,٠١ .[١٤] ورفضت فرضية الإبطال، ويمكننا قبول النتيجة بأن الرجال والنساء يختلفون بشكلٍ ملحوظ جدا في تعاملهم مع هذا الصائت. وكما اتضح فإن هذا ينطبق أيضا على عدة متغيرات اجتماعية مهمة.

متى يستخدم اختبار – "ت".

متطلبات البيانات. حتى نتمكن من استخدام اختبار -ت، نحتاج إلى عينتين. وعادة ما تكون العينات مجموعات فرعية من عينة أكبر. وتعرف المجموعات الفرعية بواسطة بعض الخصائص الممكن تسميتها. ولا بد أن يكون لكل فرد من المجموعة الفرعية قياسات للخاصية نفسها، ويجب أن تكون هذه الخاصية ممكنة القياس، ولا

بد أن يكون نموذج القياس إما فاصليًا أو نسبيًا. وفي مثال ميلروي، كان لدينا مجموعتان فرعيتان لعينة بلفاست عرفت بخاصية ممكنة التسمية، وهي الجنس (ذكر- أنثى). وكان لدينا مقياس لكل فرد من المجموعتين من الذكور والإناث للخاصية نفسها، وهي تلفظ الصائت. وكان القياس بشكلٍ نسب مئوية، وهذا مقياس نسبي. وكانت الخاصية الممكنة تسميتها التي عرفت المجموعات الفرعية هي المتغير المستقل، أما الخاصية الممكن قياسها فكانت المتغير التابع.

الفرضيــة. تهتم فرضية اختبار- ت دائما بما إذا كانت العينتان مختارتين من التجمع السكاني نفسه أم لا، وذلك بالنسبة للخاصية التي لها مقاييس. وبعبارات أقل تقنية، فإنك تريد اكتشاف ما إذا كانت المجموعتان الفرعيتان مختلفتين بشكلٍ ملحوظ فيما يتعلق بالخاصية المقاسة. وفي حالة المثال، أردنا معرفة إذا كان الرجال والنساء في بلفاست مختلفين تماما في استخدامهم تلفظ الصائت العامي للدرجة أنه لا بد من اعتبارهم إحصائيا مجتمعين سكانيين مختلفين. وبصيغة تقنية أقل، فإننا أردنا معرفة إذا كان الرجال والنساء في بلفاست قد اختلفوا بشكلٍ ملحوظ في استخدامهم تلفظ الصائت المحلي. (١٦)

تحليل التباين

تحليل التباين هو طريقة إحصائية معيارية، من الممكن تطبيقها بعدة طرق في تصاميم بحثية مختلفة. وسنصف تحليل التباين فيما يتعلق بشكليه الأساسيين، وهما: *التصميم أحادي الاتجاه والتصاميم العاملية* (غالبا ما تكون تصاميم ثنائية الاتجاه). والهدف في التصميم أحادي الاتجاه مشابه لهدف الاختبار -ت، أي اختبار ما إذا كانت العينات مأخوذة من مجموعات مختلفة تمثل تجمعات سكانية مختلفة في الخاصية

المقاسة. وهناك على الأقل اختلاف واحد، حيث إن اختبار-ت مصمم للاستخدام مع عينتين فقط في الوقت نفسه، بينما يمكن تطبيق تحليل التباين أحادي الاتجاه على أي عدد من العينات شريطة أن تمثل هذه العينات *مستويات* مختلفة للخاصية العامة نفسها. وعودة أخرى لمثالنا الساذج عن طول الرقبة لثدييات ذات حوافر، افترض أننا أردنا إضافة أطوال رقاب حمير الوحش إلى البيانات المتوفرة لدينا عن الجمال والزرافات. وإذا تقيدنا باختبار -ت، فيمكننا اختبار العينات الثلاث فقط بطريقة الأزواج- الزرافات مقابل الجمال، والزرافات مقابل حمير الوحش، والجمال مقابل حمير الوحش. أما في تحليل التباين، فيمكننا اعتبار الأنواع الثلاثة من الحيوانات مستوياتٍ للخاصية العامة نفسها، وهي فصيلة الثدييات ذات الحوافر، واختبار فرضية طول الرقبة باختبار واحد.

وكما اتضح لنا، فإن استخدام تحليل التباين مع هذا النوع من الفرضية ليس أسهل فقط من استخدام اختبار -ت فحسب، وإنما ولأسباب تخصصية، من المرجح أن يسفر اختبار-ت عن نتائج مضللة جداً إذا استخدم بتكرارية بالطريقة التي وصفتها.

ونختبر في تحليل التباين الفرق بين المتوسطات بسؤال ما إذا كان هناك اختلاف بين علامات المجموعة أكثر مما هو *ضمن* علامات المجموعة. وبمعنى آخر، فإننا نريد معرفة ما إذا كان هناك تباين أكثر حول المتوسط الحسابي الكلي مما هو عليه حول متوسطات المجموعة. وبالنسبة لمثالنا، يعني هذا أننا نريد أن نعرف إذا كان هناك اختلاف أكبر عند مقارنة الزرافات بالجمال وحمير الوحش كمجموعات أكثر من مقارنة زرافة واحدة وجمل واحد وحمار وحش واحد فيما بينها. وفي المثال، فإننا بالتأكيد سنتوقع أن يكون هناك عموما اختلاف أكبر بين أطوال رقاب مجموعة الزرافات وأطوال رقاب مجموعة حمير الوحش أكبر مما بين زرافتين أو حماري

وحش. ومن جهة أخرى، لنفترض أننا أخذنا ثلاث عينات، في كل منها ٥٠ زرافة، فلن يكون هناك داعٍ لتوقع أن التباين من مجموعة واحدة من الزرافات إلى المجموعة التالية سيكون أكبر أو أصغر من التباين من زرافة واحدة إلى أخرى. وباختصار، إذا أتت العلامات من تجمعات سكانية مختلفة، نتوقع أن يكون التباين بين المجموعات أكبر بمرات عديدة من التباين ضمن كل مجموعة. وفي تحليل التباين، فإن هذه النسبة تحسب وتسمى نسبة - F . وإذا كانت نسبة - F تساوي ٥,٥ ، فإن هذا يعني أن التباين بين المجموعات في التجربة أكبر بنسبة ٥.٥ من التباين ضمن المجموعات. وحتى نعرف إذا كانت ٥.٥ قيمة كبيرة لدرجة تسمح لنا برفض فرضية الإبطال، فنحتاج للرجوع إلى جدول يحوي نسب F ، والذي نستطيع منه الحصول على مستوى الفرق المعنوي المرتبط بعلامة - F المعنية.[١٧]

ويرجعنا تطبيق مثال لتحليل التباين أحادي الاتجاه على مسألة في علم اللغة الاجتماعي إلى عمل ميلروي عن التباين الفونولوجي في بلفاست. ففي نقاشنا لاختبار- ت، اختبرنا فرضية أن الرجال والنساء في بلفاست هم من تجمعين سكانيين مختلفين بالنسبة للاختلاف في استخدام الصائت في كلمة "hut". واستخدمت ميلروي عند مناقشتها عملها تحليلَ التباين كوسيلتها لاختبار الفرضية نفسها(ميلروي، ١٩٨٠ ، ص ص ١٢٢-٣). وكانت المتغيرات التابعة هي استخدام الصائت، أي نسبة استخدام المتغير المحلي، والتي قيست بمقياس نسبي (النسبة المئوية). وكانت الخاصية المستقلة هي الجنس، بمستوييها المعروفين. وكانت نسبة F التي حسبتها ميلروي هي ٣٨ ، ٦ . فالتباين بين المتحدثين والمتحدثات كان أكبر ست مرات من التباين ضمن كل مجموعة على حدة. وهذه النسبة معنوية بقيمة احتمال < ٠٥ ، ٠ وكنتيجة لذلك كانت ميلروي قادرة على رفض فرضية الإبطال.

ومن الممكن أنك لاحظت أن مستوى الفرق المعنوي لتحليل التباين كان أقل

من مستوى الفرضية نفسها المختبرة باختبار- ت. فقد كان مستوى الفرق المعنوي بقيمة احتمال < ٠,٠١ في اختبار- ت، بينما كان بقيمة احتمال < ٠,٠٥ في تحليل التباين. وإذا اختيرت قيمة احتمال < ٠,٠١ كالمستوى الأدنى للفرق المعنوي المطلوب لرفض فرضية الإبطال (فرضية أن الرجال والنساء لا يشكلون تجمعين سكانيين مختلفين بالنسبة لمتغير الصائت)، وقررت استخدام اختبار -ت، فإنك ستكون قادرا على رفض فرضية الإبطال. ومن جهة أخرى، لو استخدمت تحليل التباين، فإن نسبة F الناتجة لن تكون كبيرة بما فيه الكفاية لتسمح لنا برفض فرضية الإبطال نفسها. وتحليل التباين أقوى، ويقصد بالقوة هنا المصطلح المتخصص الذي يعني احتمالية رفض فرضية الإبطال الخاطئة فعلا (شافلسون، ١٩٨١، ص ٣٥٥). فإذا كان الرجال والنساء في بلفاست ليسوا فعلا تجمعين سكانيين منفصلين فيما يتعلق بالتباين في الصائت في كلمات مثل "hut" فمن الأسهل الوصول لتلك النتيجة باستخدام تحليل التباين منه باستخدام اختبار- ت.[١٨]

وفي تحليل التباين العاملي، يستخدم أكثر من خاصية ممكنة التسمية لتعريف المجموعات. فقد شملت بعض تحاليل ميلروي مجموعات ليست حسب الجنس فقط، وإنما أيضا حسب العمر (ميلروي، ١٩٨٠، ص ص ١٢١ -١٣٠). وقد تعاملت في عملها مع العمر كخاصية ممكنة التسمية، وذلك بتصنيفها إلى مجموعتين (تميز بين ١٩-٢٥ سنة وبين ٤٠- ٥٥ سنة) وقد مكنها هذا من تقسيم سكانها إلى أربع مجموعات لأغراض تحليل التباين العاملي. وكانت المجموعات الأربع، هي: النساء الشابات، والنساء الأكبر سنا ، والرجال الشباب، والرجال الأكبر سنا. ويسمح تحليل التباين العاملي بمقارنة الاختلاف بين كل من هذه المجموعات مع الاختلاف ضمن هذه المجموعات. والنتيجة النهائية هي نسبة F، كما هو الحال في التصميم أحادي الاتجاه. وتمكن نسب- F من اختبار الفرضيات القائلة بأن مجموعات العمر هي

تجمعات سكانية مختلفة بالنسبة لعلامات تلفظ الصائت مستقلة عن جنس المتحدث، وأن مجموعات الجنس هي أيضا تجمعات سكانية مختلفة مستقلة عن العمر. وتسمى هذه الفرضيات – أي تلك التي تشمل الخصائص الممكن تسميتها والتي تعرف المجموعات- بالآثار الرئيسة. ولكن يسمح تحليل التباين العاملي أيضا باختبار آثار التفاعل. فإذا كان أثر التفاعل ملحوظا، فهذا يعني أن المتغير التابع قد تأثر باتحاد من متغيرين مستقلين أو أكثر، وذلك التأثر منفصل تماما عن الأثر الخاص بكل متغير مستقل. وفي الواقع، لم يكن الأثر الرئيسي لكل من الجنس والعمر ملحوظا في حالة أحد متغيرات الصائت الذي اختبرته ميلروي، ولكن التفاعل بينها كان ملحوظا تماما. وهذا يخبرنا أن ليس للعمر أو الجنس أي تأثير ملحوظ، كل على حدة، في نطق هذا الصائت المعين. ولكن اتحاد هذين العاملين وعملهما مع بعضهما ذو أثر ملحوظ. وكما اتضح فإن ما يحدث في هذه الحالة يدل على أنه لا يوجد هناك أي شيء غير عادي حول استخدام الصائت من قبل الرجال الشباب، أو النساء الشابات، أو الرجال الأكبر سنا. ولكن أظهرت مجموعة النساء الأكبر سنا نمطا مختلفا عن كل من الرجال من العمر نفسه وعن النساء الشابات. ومن هنا أتى التفاعل الملحوظ (ميلروي ١٩٨٠، ص ص ١٢٥ -٩).

متى نستخدم تحليل التباين.

متطلبات البيانات لتحليل التباين أحادي الاتجاه هي المتطلبات نفسها التي شرحتها لاختبار -ت. أما في تحليل التباين العاملي، فإن عينة كبيرة تقسم بواسطة خاصيتين ممكنتي التسمية أو أكثر في الوقت نفسه. وفي مثالنا المأخوذ من عمل ميلروي قسمت عينة بلفاست بواسطة خاصية العمر المكنة التسمية (كبار السن أو الشباب) وخاصية الجنس (ذكور أو إناث) بحيث يكون كل متحدث ذكر إما من الشباب وإما

من كبار السن، والشيء نفسه ينطبق على المتحدثات من النساء. ولكل عضو من العينة بأكملها لديك قياس يهمك بالنسبة لخاصية معينة على مقياس نسبي أو فاصلي. ففي المثال، كانت الخاصية تلفظ الصائت، وقيست كنسبة مئوية. وكما هو الحال في اختبار -ت، فالخاصيات ممكنة التسمية، والتي تقسم العينة هي متغيرات مستقلة (مجمعة)، والخاصية ممكنة القياس هي المتغير التابع.

الفرضية. ستكون فرضية تحليل التباين أحادي الاتجاه مشابهة فرضية اختبار- ت. باستثناء أنه يمكن اختبار أكثر من مجموعتين في الوقت نفسه. ونريد في تحليل التباين العاملي أن نعرف ما إذا كانت مجموعة فرعية واحدة على الأقل من كامل العينة والتي تمتلك خاصية ممكنة التسمية ومعرفة تختلف عن المجموعات الفرعية الأخرى بالنسبة للخاصية ممكنة القياس للدرجة أنه يمكن اعتبارها إحصائيا كتجمع سكاني مختلف. وأردنا في مثالنا أن نعرف إذا كان الإناث والذكور تجمعين سكانيين مختلفين، فيما يتعلق بالنسبة المئوية لتلفظ الصوائت المحلية في حديثهم. وأردنا أيضا معرفة إذا كان المتحدثون من الكبار أو الشباب تجمعين سكانيين مختلفين. وبصياغة أقل تخصصية، فإننا كنا مهتمين بمعرفة ما إذا كان تلفظ الصوائت يختلف بشكل ملحوظ باختلاف العمر والجنس. ويتعامل هذا الجزء من تحليل التباين العاملي مع الآثار الرئيسة. ونستطيع أيضا معرفة ما إذا كانت مجموعة واحدة من المجموعات الفرعية الصغيرة على الأقل المعرفة عن طريق أكثر من خاصية ممكنة التسمية تختلف بشكل ملحوظ عن المجموعات الأخرى. وقد وجدنا في مثالنا أن المجموعة الفرعية، وهي المتحدثات الإناث والأكبر سنا، كانت مختلفة بشكل ملحوظ في تعاملها مع متغير الصائت قيد البحث عن بقية المجموعات الفرعية الأخرى المعرفة بالعمر والجنس. وعندما تستخدم أكثر من خاصية معرفة في الوقت نفسه فنكون عندها نتعامل مع أثر التفاعل.[١٩]

الارتباط

وأخر إجراء إحصائي سنناقشه هو الارتباط. والارتباط هو إجراء لتحديد مدى الاختلاف بين خاصيتين أو أكثر في تجمع سكاني معين. وبالعودة سريعا إلى مثال استخدمته سابقا، تخيل أن لدينا مقاييس للطول والوزن لمجموعة من ١٠٠ طفل بين عمر ٥ سنوات و ١٥ سنة. وقد نتوقع أن الأطفال الأطول هم أيضا أثقل وزنا وأن الأطفال الأقصر سيكونون أقل وزنا. وإذا رتبنا جميع الأطفال بحسب الطول، فإنهم وبطريقة آلية سيرتبون بحسب الوزن. وهذا مثال للارتباط الإيجابي، فمن المحتمل أن الصغير الأطول سيكون أيضا أثقل، وبالعكس. ولو أخذنا الأطفال أنفسهم وقارنا خاصيتين مختلفتين، هما في هذه المرة خاصية العمر والوقت الذي يستغرقه الطفل في ركض ٥٠ مترا، فإننا نتوقع ارتباطا سلبيا. وإجمالا، فالأطفال الأكبر سنا سيكونون قادرين على ركض ٥٠ مترا في فترة زمنية أقل من الأطفال الأصغر سنا. وفي كلتا الحالتين فقد لا يكون الارتباط بالضرورة تاما. فقد يكون هناك لبعض الأطفال الصغار في السن والأقصر وزن أثقل من طفل أطول، وأيضا سيكون هناك قليل من الأطفال الأكبر سنا الذين يستغرقون وقتا أطول في ركض ٥٠ مترا مما يستغرقه بعض الأطفال الأصغر سنا. ويعطي الارتباط مقياسا لمدى اختلاف خاصية عن الأخرى. فإذا اختلفتا تماما في الاتجاه الإيجابي، فإننا سنحصل على معامل ارتباط يساوي + ١,٠٠ . أما إذا اختلفتا في الاتجاه المعاكس عن بعضهما، فإن معامل الارتباط سيكون – ١,٠٠. وإذا لم ترتبطا ببعضهما على الإطلاق، فإن معامل الارتباط يساوي ٠,٠٠ . ولذا تتراوح قيمة معامل الارتباط بين – ١,٠٠ إلى + ١,٠٠. وعلى سبيل المثال، إذا كان معامل الارتباط يساوي ٠,٨٣ ، فإن هذا يعني ارتباطا إيجابيا قويا جدا، أما القيمة – ٠,٥٣ فتعني ارتباطا سلبيا معتدلا.

ويسمى إجراء الارتباط الذي وصفته *بارتباط بيرسون لقيمة الناتج*، ويسمى

أحيانا معامل الارتباط الناتج عنه ر *البيرسونية* أو فقط ر *بيرسون*، طريقة إحصائية معيارية؛ ولذا فهي تتطلب أن تكون كل من الخاصيتين المترابطتين من النوع الممكن قياسه. وهناك أيضا إجراء ارتباط غير معياري سنناقشه بعد قليل.

ويمكننا استخدام البيانات في جدول رقم (٤،٤) لشرح فائدة الارتباط. وأتت هذه البيانات من دراسة عن مدى مفهومية "لغة التواصل المحلية" في جزيرة نوفولك، وهي تابعة لاستراليا وتقع في المحيط الهادي الجنوبي (فلينت، ١٩٧٩م). فحص فلينت مفهومية ١٧ حوارا من هذا الضرب اللغوي، وهي لغة مزيج تعتمد في أساسها على الإنجليزية، وذلك عن طريق استماع أصلي للإنجليزية الأسترالية إلى هذه الحوارات وتقرير ما إذا كان المعنى مفهوما لكل جملة على حدة. وكان هذا الشخص عالم لسانيات على معرفة باللغات المزيج، ولكن ليست هذه اللغة المزيج بالذات. ثم قورنت هذه التقديرات بخصائص أخرى في الحوار، بما فيها نسبة الكلمات الشقيقة للإنجليزية، والتي تقترب في معناها من معنى الكلمة في الإنجليزية النموذجية. ويعرض الجدول رقم (٤،٤) هذه الحوارات حسب تقديرات نسبة مفهوميتها. وبتفحص بند "نسبة الكلمات الإنجليزية" يتبين أن الحوارات ليست مرتبة بحسب هذا التصنيف، ولكن بالتفحص عن كثب، نجد أن هناك علاقة ما بينها. فقد كان تقدير متوسط المفهومية هو ٥٩،٤٦، وطبيعيا، فإن الحوارات الثمانية الأولى أعلى من هذا المتوسط. وكان متوسط نسبة الكلمات الإنجليزية هو ٩١،٠٥ . وكانت نسبة الكلمات الإنجليزية أعلى من المتوسط في سبعة من الحوارات الثمانية الأولى. ولذا فهناك ميول للحوارات ذات المفهومية الأعلى لأن تكون فيها نسبة عالية نوعا ما من الكلمات الإنجليزية. ولكن ماهي قوة هذه العلاقة؟ ومعامل الارتباط مصمم للإجابة على هذا السؤال. وقيمة ر للبيانات في جدول رقم (٤،٤) هي + ٠،٥٤٤ .

وعلى خلاف الإجراءات الإحصائية الأخرى التي درسناها، فمن الممكن

تفسير مقدار قيمة ر بالحكم عن طريق التجربة العملية. والتالي نظام تفسير نموذجي (من قلفورد Guilford، ١٩٥٦م، ص ١٤٥، والذي استشهد به ويليمز Williams، ١٩٦٨م، ص ١٣٤):[٢٠]

٠,١٠ - ٠,٢٠	قليل جدا، علاقة يمكن إهمالها تقريبا.
٠,٢٠ - ٠,٤٠	ارتباط منخفض، علاقة موجودة ولكنها قليلة
٠,٤٠ - ٠,٧٠	ارتباط معتدل، علاقة كبيرة نوعا ما
٠,٧٠ - ٠,٩٠	ارتباط عال، علاقة موسومة
٠,٩٠ - ٠,٩٩	ارتباط عالٍ جدا، علاقة معتمدة جدا

وبناء عليه فإن العلاقة بين المفهومية ونسبة الكلمات الإنجليزية في حوارات جزيرة نورفولك هي علاقة أساسية تظهر ارتباطا معتدلا. ولكن هذا التفسير عديم الفائدة إذا كان معامل الارتباط هذا ناجما عن خطأ في اختيار العينة فقط. وإذا كان هناك احتمال كبير كاف لدرجة أننا قد حصلنا على معامل ارتباط للعينة يساوي ٠,٥٤٤ حتى ولو كانت قيمة التجمع السكاني صفرا؛ لذا فعلينا تجاهل ارتباط العينة. ونستخدم لاختبار هذا تطبيقا خاصا لاختبار -ت، وذلك لفحص ما إذا كانت قيمة ر تختلف بشكل ملحوظ عن الصفر. وبالطبع، فإن رقم فرضية البحث هي أن قيمتنا تختلف بشكل ملحوظ جدا عن الصفر (في هذه الحالة، أكبر من الصفر)، وفرضية الإبطال هي أنها تساوي الصفر، وهذا يعني عدم وجود ارتباط حقيقي. ويعطي حساب اختبار -ت قيمة معنوية بقيمة احتمال < ٠,٠٥ وهذا مستوى مقبول.

وعندما نكون قد أثبتنا الاختلاف المعنوي لمعامل الارتباط ، فإنه يمكن قبول التفسير أيضا. ولمعامل الارتباط استخدام آخر مفيد، بالإضافة إلى إعطاء مؤشر عن قوة العلاقة . ويعطي تربيع ر إحصاءً آخر هو ر٢ ، وقيمة ر٢ هي مقياس لكمية التباين

التي تشترك فيها قياسات كلتا الخاصيتين. وعادة ما يضرب في ١٠٠ ، ويذكر كنسبة مئوية للتباين في أحد المقياسين الذي يشرحه أو يعلله الآخر (شافلسون، ١٩٨١م، ص ٢٠٣). وفي حالة حوارات جزيرة نورفولك، نستطيع القول بناءً على هذا الأساس أن ٢٩.٦٪ من التباين في المفهومية يشرحه التباين الموجود في النسبة المئوية للكلمات الإنجليزية.

الجدول رقم (٤.٤). النسبة المئوية للمفهومية والنسبة المئوية للكلمات الإنجليزية في ١٧ حوارا لجزيرة نوفولك.

رقم الحوار	النسبة المئوية للمفهومية	النسبة المئوية للكلمات الإنجليزية
٩	٧٩.٧	٩٣.٩
١١	٧٩.١	٩٥.٥
١٧	٧٥.٦	٩٤.٣
١٢	٧٤.٩	٩٧.٨
١٦	٦٨.٩	٨٧.٣
١٣	٦٥.٦	٩٣.٥
١٥	٦٥.٥	٩٢.٠
٧	٦٢.٢	٩٥.٣
٩	٥٩.١	٨٧.٧
١٠	٥٨.٨	٩٣.٦
٥	٥٦.٠	٨٥.٩
٤	٥٥.٥	٩١.٠
٣	٥٣.٤	٨٤.٦
٨	٥٠.٤	٩٠.٥
٦	٤٣.٦	٨٥.٦
٢	٣٤.١	٩٠.٦
١	٣٢.٥	٨٩.٥

المصدر: البيانات من فلنت (١٩٧٩) ص ٣٢٠-٢١.

وكالعادة، يجب توخي الحذر في الوصول إلى خلاصات ثانوية. وكل ما أثبتناه من إجراءنا الإحصائي هو: (١) أن هناك علاقة إيجابية وثيقة بين المفهومية والنسبة المئوية للكلمات الإنجليزية، (٢) أن معامل الارتباط الذي حسبناه لا يبدو أنه نتيجة خطأ في اختبار العينة، (٣) وأن ٢٩,٥٪ من التباين في المقياسين هو تباين مشترك. ولم نبين أي شيء يخص سبب هذه العلاقة. وفي هذه الحالة الخاصة، فمن المنطقي القول بأن الحوار سيكون مفهوما لمتحدث إنجليزي، ويعود سبب ذلك جزئيا إلى درجة وجود كلمات إنجليزية فيه. وليس من المنطقي القول بأن نسبة الكلمات الإنجليزية التي يحتويها الحوار عائدة بشكل جزئي إلى درجة مفهوميتها. وسبب ثالث محتمل لهذه العلاقة من الممكن قبوله كتفسير وهو أن هناك قوة ثالثة معينة ينتج عنها كل من المفهومية ونسبة الكلمات الإنجليزية، ويبدو مسوغا أن نفسر نتائجنا وفقا للطريقة الأولى المقترحة. وبمعنى آخر، يبدو من المنطقي القول بأن ٣٠٪ من مفهومية حوار جزيرة نورفولك من قبل متحدث للإنجليزية النموذجية يرجع إلى وجود الكلمات المألوفة. ولكن لن يكون الشيء نفسه صحيحا لمثالنا الافتراضي عن أطوال الأطفال وأوزانهم. فإذا كان هناك ارتباط عال (وهذا سيكون دون شك)، فلن نستطيع استنتاج أن نمو الأطفال طولا يجعلهم أكثر وزنا، أو أن زيادة وزنهم تجعلهم أطول. وتسير الخاصيتان مع بعضهما بسبب تأثير عامل ثالث، هو النضج البدني.

وهناك إجراء ارتباط آخر يستخدم عندما يكون واحد من المقاييس على الأقل من النوع الترتيبي. تخيل ترتيب الواصلين لخط النهاية في سباق ماراثون في بوسطن وسباق مارثون آخر في نيويورك لخمسة وعشرين متسابقا جروا في كلا السباقين، ولكن ليس لدينا الوقت الذي استغرقه كل متسابق. تذكر أن هذا يعني أننا نعلم أن الفائز الثالث قد وصل قبل الفائز الرابع، وأن الخامس قد وصل قبل السادس. ولكن قد يكون الفائز الثالث قد قطع المسافة إلى خط النهاية متقدما على الذين بعده

بدقيقتين أو ثلاث، بينما الفائز الخامس لم يكد يتقدم على السادس إلا بصعوبة. ويجب علينا التعامل مع بيانات ترتيب الوصول إلى خط النهاية كبيانات ترتيبية أكثر منها فاصلية أو نسبية. وقد يكون الارتباط الذي نريد حسابه لترتيب الفوز في كلا السباقين هو ارتباط ترتيب سبيرمان الرتبي. ويعطي إجراء الارتباط غير المعياري هذا قيمة تسمى سبيرمان رو (rho) ويرمز له (P)، والتي تفسر كتفسير البيرسونية، ولكن حساباتها مقيدة بالعمليات الرياضية المتاحة للبيانات الترتيبية.

وكمثال سنعود إلى بحث ميلروي عن بلفاست. حيث استخدمت ميلروي بالإضافة إلى المقاييس الفاصلية والنسبية للمتغيرات الفونولوجية والبيانات الاسمية عن الجنس والعمر علامة لقوة الشبكة ، والتي من الأفضل تفسيرها كمقياس ترتيبي. وصممت علامة قوة الشبكة لتعطي قياسا كميا لدرجة قوة العلاقة الاجتماعية للفرد داخل جماعته. ومن الممكن توقع أن الفرد الذي يمتلك علامة عالية لقوة الشبكة سيكون محكوما إلى درجة كبيرة بمعايير الجماعة، بما فيها المعايير اللغوية. وقد قاد هذا إلى الفرضية بأنه من الممكن وجود ارتباط إيجابي بين المؤشرات الفونولوجية وعلامات قوة الشبكة، بحيث صممت المؤشرات الفونولوجية لتعني أن القيم العليا تعني استخداما أكثر للأشكال اللغوية المحلية. بينما كانت علامة الشبكة تعتمد على خمسة شروط، مثل "وجود روابط قرابة كبيرة تعيش في الجوار" و"العمل في المكان نفسه الذي يعمل به على الأقل شخصان آخران من المنطقة نفسها". وتسمح هذه الشروط الخمسة بوجود مقياس ذي ست درجات، بحيث أعطيت القيمة (صفر) لأي فرد لا تتحقق فيه أي من الشروط (ميلروي، ١٩٨٠م، ص ص ١٣٩ - ٤٤). وطالما أنه لا يوجد هناك سبب خاص للاعتقاد بأنه يكون لكل شرط من الشروط الخمسة القيمة نفسها كمؤشر لقوة الشبكة، لذلك فالمقياس الناتج هو مقياس ترتيبي فقط. فمن المعقول الاعتقاد بأن الفرد المعطى ٤ درجات على المقياس هو مرتبط بقيم الجماعة

أكثر من الفرد المعطى ٣ درجات، ولكن ليس هناك سبب للاعتقاد بأن المسافة بين ٤ و ٣ مثلا، هو الفاصل نفسه بالضبط بين ٢ و ١.

وجدول رقم (٤،٥) هو بيانات ارتباط بين قوة الشبكة ومؤشر أحد المتغيرين الصائتين لثماني عشرة امرأة من بلفاست. والصائت هو المتغير (أ) يعود على الصائت في كلمة "hat". ومتغيرات الصائت ليست مهمة لأغراضنا، باستثناء أن المؤشر يرتبط بمقياس صوتي ذي خمس درجات (المقياس ليس نسبة مئوية)، وتعني القيم العالية استخداما أكثر فأكثر للتلفظات المحلية الدارجة. وعندما يرتب المتحدثون طبقا لمؤشرات

الجدول رقم (٤،٥). مؤشر (أ) وعلامة قوة الشبكة لثماني عشرة امرأة من بلفاست.

المتحدثة	مؤشر (أ)	علامة قوة الشبكة
١	٢،٧٨	٢
٢	٢،٧٤	٥
٣	٢،٧٠	٥
٤	٢،٦٣	٢
٥	٢،٥٠	٣
٦	٢،٤٨	٣
٧	٢،٤٢	١
٨	٢،٣٨	١
٩	٢،٣٥	٤
١٠	٢،٣٣	٥
١١	٢،٣٣	٣
١٢	٢،٢٥	٢
١٣	٢،١٦	١
١٤	٢،١٣	١
١٥	١،٧٥	١
١٦	١،٧٣	١
١٧	١،٤٥	٠
١٨	١،٠٥	٠

الصائت التي استخدموها، نرى أن القيم العليا على مقياس الشبكة تميل إلى التجمع حول أعلى المقياس، والقيم الدنيا حول أسفل المقياس. وكان معامل سبيرمان P الذي حسبته ميلروي (١٩٨٠، ص ١٥٥) هو ٠٫٦٨٣ وهذه علاقة معتدلة أساسية أخرى. وقد حصلت ميلروي باختبار المعامل باستخدام اختبار ت على قيمة معنوية بدرجة احتمال < ٠٫٠١. ويمكن رفض فرضية أن ارتباط السكان هو صفر (فرضية الإبطال)، وقبول فرضية البحث، وفرضية ثانوية منطقية هي أن النساء في بلفاست يملن لاستخدام لكنة محلية موسومة أكثر (على الأقل فيما يخص هذا الصائت) كلما كن مخلصات لمعايير جماعتهن المحلية، ويعتبر هذا الميل أساسيا.(٢١)

متى نستخدم ارتباط بيرسون لقيمة الناتج.

متطلبات البيانات. بالنسبة للارتباطات يكون لديك فقط عينة واحدة، وهي غير مقسمة إلى مجموعات فرعية. بدلا من هذا، سيكون لديك مقاييس لخاصيتين للعينة نفسها. ولاستخدام ارتباط بيرسون لقيمة الناتج يجب أن تكون كلتا الخاصيتين ممكنة القياس على مقياس نسبي أو فاصلي. وفي بيانات جزيرة نورفولك، تكونت العينة من حوارت، وقيس كل حوار على مقياس نسبي لخاصتين، هما النسبة المئوية للكلمات الإنجليزية والنسبة المئوية للمفهومية.

الفرضية. عند استخدام ر البيرسونية، فإننا نختبر فرضية أن في المقياسين نسبة كبيرة من التباين المشترك. وبشكل غير رسمي أكثر، فإننا نحاول اكتشاف المدى الذي تسير فيه الخاصيتان مع بعضهما في العينة (أو تسيران باتجاهين متعاكسين). ويجب اختبار القيمة الناتجة عن ارتباط بيرسون لقيمة الناتج، وهي معامل الارتباط، لمعرفة الفرق المعنوي

باستخدام اختبار -ت، وتفسر بعد ذلك بشكل عملي. وقد سارت نسبتا الكلمات الإنجليزية والمفهومية مع بعضهما في الاتجاه نفسه في حوارات جزيرة نورفولك بدرجة معتدلة، ولكنها مهمة.

متى تستخدم ارتباط ترتيب سبيرمان الرتبي.

متطلبات البيانات. كما في إجراء بيرسون، فلدينا مقاييس لخاصيتين للعينة نفسها. ولكن في إجراء سبيرمان فإن الخصائص تقاس على مقياس ترتيبي فقط. بمعنى آخر، أننا نعلم كيف رتب أفراد العينة وفقا للخصائص، ولكن ليس لدينا أي معلومات عن المسافة بين فرد وآخر. وفي الغالب يكون لدينا في الواقع بيانات فاصلية أو نسبية لإحدى الخاصيتين وبيانات ترتيبية فقط للخاصية الأخرى. وتعامل البيانات الفاصلية أو النسبية كما لو أنها كانت بيانات ترتيبية. وفي بيانات بلفاست، كان لدينا نفس المتحدثين مرتبين حسب قوة الشبكة (وهو مقياس ترتيبي) وحسب النسبة المئوية لتلفظ الصائت المحلي (وهو مقياس نسبي عومل على أنه مقياس ترتيبي).

الفرضية. باستخدام ارتباط ترتيب سبيرمان الرتبي، فإننا نحاول معرفة إلى أي مدى ترتبت عينتنا بنفس الترتيب (أو العكس)حسب هاتين الخاصيتين. ومثل إجراء بيرسون، فيجب اختبار النتيجة للفرق المعنوي باختبار- ت، ومن ثم تفسر. وجدت ميلروي أن النساء في بلفاست حصلن على نفس الترتيب حسب قوة الشبكة وحسب تلفظهم للمتغير المحلي (أ) إلى مدى معتدل، ولكنه مهم.

استخدام الإجراءات الإحصائية

حاولت أن أشرح طريقة عمل الإحصاء بأوضح طريقة ممكنة حتى يتسنى

للقارىء فهم الإشارات إلى الأساليب الإحصائية في الكتب والمقالات المتعلقة بأبحاث علم اللغة الاجتماعي. ولا توجد في هذا الفصل معلومات كافية لتمكين القارىء من تطبيق الإجراءات الإحصائية على بحثه. ولكن قد يرغب بعض القراء في تجريب التعامل مع الإحصاء في أعمالهم الخاصة، حتى ولو كان ذلك مشروعا بحثيا صغيرا يدوم لبضعة أسابيع فقط. وهناك العديد من الكتب الإحصائية المتوفرة، والتي تغطي مقدمات في الإحصاء، والعديد منها ممتاز. ولقد خرج مؤلفو ثلاثة من الكتب الحديثة عن المألوف وذلك لإيضاح الإجراءات الإحصائية للقراء غير المبتدئين، فقد كتب انشن (١٩٧٨م) لعلماء اللسانيات خصيصا، وكتابه واضح وشيق، ولكنه مختصر جدا ويحذف تفاصيل مهمة وبعض الإجراءات الإحصائية شائعة الاستخدام. ومناقشته لاختبار مربع كاي واضحة للدرجة أنه يمكنك استخدام الاختبار باتباع تعليماته. وكتاب هاتش وفرهدي (١٩٨٢م) واضح جدا وسهل، ولكنه أكثر تعمقا من الكتاب السابق. وقد كتب بشكلٍ رئيسي لعلماء علم اللغة التطبيقي، ولكن الكثير من الأمثلة التي استخدمها المؤلفان تشبه بعض المواضيع في هذا الكتاب. ولا يضاهي كتاب شافلسون (١٩٨١م) لتعمقه ولعدم تضحيته بالوضوح ولسهولة أسلوبه. فهو موجه للعلوم السلوكية على العموم، ولكن لبعض من أمثلته أهمية مباشرة لعلم اللغة الاجتماعي. وبالرغم من أن كلا من الكتب الثلاثة قد كتب بشكلٍ جيد، إلا أن كل كتاب ذكرته يطلب من القارىء أكثر مما يطلبه الكتاب السابق، ولكنه في المقابل، يقدم أفقا أوسع ومناقشة أعمق.

أما بالنسبة للقراء المحتاجين للقيام بالعمليات الإحصائية باستخدام القلم وبمساعدة آلة الجيب الحاسبة، فإن كتاب يوكر Yuker (١٩٥٨م) لا يقدر بثمن. ويقدم يوكر تعليمات للحساب خطوة بخطوة لمربع كاي، واختبار -ت، ونوعي الارتباط، وهو بهذا جعلها أبسط ما تكون. ولتحليل التباين يلزمك الاعتماد على

هاتش وفرهدي (١٩٨٢م)، أو شافلسون (١٩٨١م)، أو أي كتاب تمهيدي آخر في الإحصاء.

واستخدام الحاسب الآلي يكاد يكون ضرورة حتمية للأبحاث المتوسطة والكبيرة. ويعتبر ميني تاب Minitab من برامج الحاسب الآلي سهلة التعلم والمحتوية على مجموعة كبيرة من الطرق الاحصائية، والمتوفر في العديد من مراكز الحاسب الآلي في الجامعات. ويقبل برنامج ميني تاب عبارات بالإنجليزية الواضحة، ويصاحبه كتاب مرشد مفيد جدا للمستخدم (رايان وجوينر وجوينر Ryan, Joiner and Joiner، ١٩٧٦م). وميني تاب محدود نسبيا بالنسبة لكمية البيانات التي يتقبلها ولقوة الإجراءات الإحصائية المدخلة إليه. وهناك مجموعتان متوفرتان بكثرة، وهما المجموعة الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Science- SPSS ونظام التحليل الإحصائي Statistical Analysis System - SAS، ولكليهما قدرة أكبر من قدرة ميني تاب، ولكنهما أكثر تعقيدا بعض الشيء لإتقانهما. ولكل منهما كتاب مرشد (ني وآخرون .Nie et al، ١٩٧٥م لـ SPSS ، والكتاب المرشد SAS User's Guide، ١٩٧٩م) وقد بين هاتش وفرهدي كيفية تنفيذ كل من الإجراءات الإحصائية التي ناقشوها باستخدام SPSS ، ولكنهم يفترضون أن القارىء ملم باستخدام هذه المجموعات. و لـ SAS مرشد تمهيدي مفيد وواضح (هلويق Helwig، ١٩٧٨م)، وهو مصمم لتغطية قدرات النظام فقط التي يحتاجها معظم المستخدمين، ويشاد بالنظام أيضا على قدرته بالرسوم البيانية. وقد يجد المستخدمون الجدد لتطبيقات الحاسب الآلي أن هذه الأنظمة أقل مهابة مما كانوا يعتقدون. ويوجد في مجموعة بيانات الطب الأحيائي Bio-Medical Data Package، والمتوفر في بعض تركيبات الحاسبات الآلية، قدرات لا توجد في SPSS ولا في SAS، ويتوفر في بعض الحاسبات الشخصية الصغيرة متنامية الشهرة مثل: Radio Shack TRS-80 Model

III، وPlus apple II، و The IBM Personal Computer، و BBC Computer ، برامج مجموعات إحصائية، مما يجعل استخدامها للقيام بالتحليل الإحصائي أمرا سهلا نسبيا.

حتى ولو كانت تقنية الحاسب الآلي هذه غير متوافرة، فمن الممكن القيام بالحسابات الإحصائية بطريقة أقل رتابة باستخدام آلة حاسبة قادرة على حساب المتوسط الحسابي والتباين(الجذر التربيعي للانحراف النموذجي) بطريقة آلية. وأفضل من ذلك آلة حاسبة يمكن برمجتها للقيام بحسابات متكررة بنفسها. ويتوفر نوع أو نوعان من الحسابات الآلية الجيبية، ولكنها محدودة القدرة مقارنة بالحاسبات الشخصية الصغيرة، ولكنها أقوى من الآلات الحاسبة المبرمجة.

خلاصة

لا تسمح النتائج المقاسة عادة للنشاط البحثي في علم اللغة الاجتماعي بإعطاء نتائج معتمدة فقط على تفحص الأرقام. ويحتاج إلى أسلوب منظم لتمييز الاختلافات الرقمية الصالحة من تلك التي تنجم عن عوامل عشوائية بحتة. ويقدم لنا الإحصاء الوسائل لتحقيق ذلك.

ويقوم الاستخدامان الأساسيان للإحصاء على مفاهيم أربعة، هي: السكان، والخصائص، والقياس الكمي، والتوزيع. وأحد هذه الاستخدامات هو الوصف. ويعطي الإحصاء الوصفي ، مثل المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، صورة إحصائية كلية لمجموعة من البيانات المقاسة. وأهم استخدام للإحصاء يتمثل في اختبار الفرضية، وهو مجموعة من الإجراءات تسمح للباحث إثبات صلاحية أنواع معينة من الفرضيات بدرجة ثقة معينة. وقد نوقشت أربع إجراءات لاختبار الفرضية، وهي: اختبار مربع كاي، واختبار -ت، وتحليل التباين، والارتباط. ومن بين الأنواع الثلاثة

الأولى، فإن اختبار مربع كاي هو اختبار لا معياري، فهو يتطلب خصائص ممكنة التسمية مقاسة بمقياس اسمي. أما اختبار -ت وتحليل التباين، فهما إجراءان معياريان، وهما يتطلبان أن يكون المتغير التابع خاصية ممكنة القياس على مقياس فاصلي أو نسبي. ومن الممكن استخدام كلا الإجراءين لاختبار فرضيات تتعلق بالفرق المعنوي للتمييز بين تجمعين سكانيين أو مجموعات فرعية من تجمع سكاني واحد. ومن بين هذين الإجراءين فإن تحليل التباين هو الإجراء الأقوى والأكثر تعددية في الاستخدام.

ويقيس الارتباط قوة العلاقات المتبادلة واتجاهها بين خاصيتين للسكان . وتقود هذه الإجراءات إلى معامل ارتباط، والذي يجب اختباره باستخدام اختبار -ت لمعرفة الفرق المعنوي. وهناك طريقتان للارتباط: الأولى هي طريقة ارتباط بيرسون لقيمة الناتج التي تستخدم عندما تكون الصفتان المفترض ارتباطهما مقاستين كلتيهما على مقياس فاصلي أو نسبي. وتستخدم الطريقة الأخرى، وهي ارتباط سبيرمان الترتيبي، عندما يكون هناك على الأقل إحدى الخصائص المرتبطة قد قيست على مقياس ترتيبي.

هوامش

(١) هذا صحيح إذا كنا مهتمين فقط بالموقع الجغرافي، ولكن ليس "بالإفريقية" كمفهوم. واعتقد أن من المرجح أن الأمريكيين الشماليين على أدنى تقدير يعتبرون الدول الأفريقية الواقعة على الصحارى أكثر إفريقية من دول شمال إفريقيا.

(٢) يرمز عادة للمتوسط الحسابي بالرمز س، فمثلا س= ٢،٤١ ، وتعني أن "المتوسط الحسابي هو ٢،٤١".

(٣) يحسب الانحراف المعياري بالإجراء التالي: أولا، يحسب المتوسط الحسابي، ثم يحسب الفرق بين كل علامة والمتوسط الحسابي (وستكون بعض هذه الفروق موجبة وبعضها سالبة. ولكن يجب أن يساوي مجموعها صفرا)، ثم يربع كل فرق، وتجمع التربيعات، ومن ثمّ يقسم ناتج الجمع على عدد العلامات مطروحا منه ١، وأخيرا يحسب الجذر التربيعي لتلك النتيجة.

(٤) بالطبع فاستطلاعات الرأى تبنى على العينات وليس على السكان بأكملهم، وهذا هو السبب في أن نتائج الاستطلاع عادة ما تنشر بمدى خطأ مصاحب لها، ويشبه مدى الخطأ العبارة التي قيلت هنا. افترض أن هناك استطلاعا للرأي يتعلق بالانتخابات ، وأن الاستطلاع بين أن النائب سميث سيهزم الحاكم جوتز في الانتخابات الرئاسية بنسبة ثلاث نقاط مئوية. ولكن هناك ٥٪ مدى للخطأ . وفاز الحاكم جونز في الانتخابات الحقيقية بفارق نقطتين مئويتين ، فالاستطلاع كان دقيقا طالما كانت النتائج من ضمن مدى الخطأ.

(٥) لمناقشة أكثر تخصصية لنوعي الفرضيات، ارجع إلى هاتش وفرهدي(١٩٨٢م، ص ص ٣ ، ٤)، أو شافلسون (١٩٨١م، ص ص ٢٧١-٥). وللشرح مع أمثلة مطولة ارجع إلى أنشن (١٩٧٨م، ص ص ١٩-٢٧).

(٦) لاحظ أن هناك خاصية ممكنة التسمية (المعالجة بالسماد- إما سماد خاص أو روث أبقار). وخاصية ممكنة القياس (وزن الطماطم).

(٧) انظر فيشمن (أ ١٩٦٨م) لتفصيل أكثر للمعايير التي بنيت عليها هذه التخصيصات.

(٨) تحسب فرصة التوزيع بالصدفة لكل خلية بضرب مجموع الصف بمجموع العامود لتلك الخلية ، ومن ثمّ القسمة على العدد الكلي لجميع الجدول. فعلى

سبيل المثال، في الخلية العليا اليسرى في جدول رقم (٤.١)، نجمع ٢٧ و ١٥ لنحصل على ٤٢، ومن ثم نجمع ٢٧ و ٢٥، لنحصل على ٥٢، ومن ثم نضرب ٥٢ في ٤٢ لنحصل على ٢١٨٤، والذي بعد ذلك يقسم على المجموع الكلي لـ ١١٤ أمة، وينتج عن هذا ٢، ١٩، وهو رقم الفرصة المتجانسة ذات الناتج القومي الكلي العالي جداً أو المتوسط، طالما أن هناك ٤٢ دولة ذات ناتج قومي كلي عالٍ جداً أو متوسط، و٥٢ دولة متجانسة.

(٩) يحسب مربع كاي بطرح القيمة الافتراضية (تلك الموجودة بالجدول رقم ٤.٢) من القيمة المشاهدة (تلك الموجودة في جدول رقم ٤.١) لكل خلية، ومن ثم تربيع الناتج، والتقسيم على القيمة الافتراضية. ويحصل على الرقم الأخير بجمع تلك القيم لكل الخلايا الأربع. وإذا كان في مربع كاي أربع خلايا مرتبة بطريقة ٢X٢، كما هو في المثال، فيجب تطبيق طريقة تعديل تسمى ياتس Yates، لتصحيح الاستمرار. وهذا يعمل بإضافة ٠.٥ للقيمة المشاهدة إذا كانت أقل من القيمة المتوقعة المقابلة، وبطرح ٠.٥ من القيمة المشاهدة إذا كانت أكبر من القيمة المتوقعة المقابلة. ثم ينفذ حساب مربع كاي بالطريقة المعتادة.

(١٠) لمعرفة أهمية قيمة مربع كاي من الجداول الموجودة في كتب الإحصاء، يجب معرفة "درجات الحرية". وبالنسبة لمربع كاي فإن درجات الحرية تحسب عن طريق ضرب عدد الصفوف ناقصة واحداً في عدد الأعمدة ناقصة واحداً. وفي مثالنا، فإن درجات الحرية هي: (٢ -١) (٢ -١) = (١) (١) = ١

(١١) في الجزء الثاني من هذا الكتاب، هناك فصل يتضمن بحثا ميدانيا يُوجه فيه الطلاب لعمل تجربة مشابهة.

(١٢) لمزيد من النقاش حول اختبار مربع كاي انظر إلى هاتش وفرهدي (١٩٨٢م،

ص ص ١٦٥ - ١٧٣) أو شافلســـــون (١٩٨١، ص ص ٥١٧ - ٥٤٧) . ولتفسير آخر لاختبار مربع كاي باستخدام مثال، انظر إلى أنشن (١٩٧٨م، ص ص ٢٣ - ٢٥).

(١٣) التلفظ الأول هو تقريبا التلفظ الذي يستخدمه عادة المتحدث الإنجليزي لهذا الصائت. أما التلفظ الثاني فيظهر تقريبا كلفظ "hawt" في كلمة "hut". انظر ميلروي (١٩٨٠: ص ص ١١٨-٢٠) لمزيد من التفاصيل.

(١٤) قيمة -ت هي في الواقع نسبة بين الفرق المشاهد في المتوسطات وإحصاء يسمى بالخطأ النموذجي للفرق بين المتوسطات. ويحسب بإيجاد الفرق بين المتوسطات المشاهدة (٥٢ - ٣٤,٧ = ١٧,٣) (كما هو في مثالنا)، ومن ثم التقسيم على الخطأ النموذجي للفرق بين المتوسطات، وهو تقدير لما يجب أن يكون عليه الفرق لهذه البيانات إذا كان الأمر يتعلق بعوامل عشوائية فقط. وتبين قيمتنا لـ ت أن الفرق المشاهد أكبر بأكثر من ثلاث مرات من الفرق العشوائي المتوقع، وهذه قيمة قد تحدث فقط مرة بالصدفة من بين ١٠٠ مرة. ويجب أيضا استخدام درجات الحرية لتفسير جدول ت. للبيانات "اللامرتبطة" أو "غير المتناسبة" والتي لا يكون فيها تقابل مماثل بين أعضاء العينتين تساوي درجات الحرية عدد الأفراد في كل عينة مطروحا منه ٢، أما البيانات المرتبطة، فدرجات الحرية هي عدد الأفراد في العينتين (العدد متساو لكل من العينتين) مطروحا منه ١.

(١٥) لم تستخدم ميلروي اختبار -ت، ولكنها استخدمت تحليل التباين أحادي الاتجاه، وهو إجراء سأشرحه بعد قليل.

(١٦) يقدم هاتش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ص ١٠٨ -٢١) تفسيرا تخصصيا أكثر، لكنه واضح، لاختبار-ت، بما فيها استخدامات أخرى غير التي ذكرت هنا.

وخصــص شافلســون (١٩٨١م، ص ص ٤٠٣ - ٤٠) فصلــين مفصلــين للتطبيقات المختلفة لاختبار ت. ويصف أنشن (١٩٧٨م، ص ص ٢٦-٢٧) استخدام درجة z لاختبار الفرق بين المتوسطات، ولكن لا يجب عمل هذه الطريقة إذا كانت العينة كبيرة.

(١٧) الحساب الواقعي لنسب F معقد جداً ولا يمكن شرحه في هامش. ويمكن الرجوع إلى هانش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ص ١٢٨ - ٥٠) وشافلسون (١٩٨١م ، ص ص ٤٤٢ - ٧) للاطلاع على تفاصيل حساب وتفسير تحليل التباين أحادي الاتجاه.

(١٨) إن ميلروي بالتأكيد محقة في رفض فرضية الإبطال في هذه الحالة الخاصة. ونتائج نوع الصائت في كلمة "hut" متلازمة مع نتائج عدة متغيرات فونولوجية أخرى في بلفاست، وأيضا مع النمط العام للفرق بين الذكور والإناث في الكلام والذي توصلت إليه دراسات أخرى.

(١٩) حساب تحليل التباين العاملي والتفسير الدقيق لنتائجه معقدان جدا. وقد تعامل هاتش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ص ١٢٨ - ٤٩) ، وشافلسون (١٩٨١م، ص ٤٤٨-٥٤٧) مع هذه التعقيدات بوضوح شديد. وبالرغم من أن مثالنا لتحليل التباين الثنائي قد يبدو من الوهلة الأولى وكأنه مثال على مربع كاي، تذكر أن جميع الخصائص في اختبار فرضية مربع كاي يجب أن تكون من النوع الممكن تسميته. أما تحليل التباين العاملي ، فيتطلب أن تكون إحدى الخصائص، وهي المتغير التابع، من النوع الممكن قياسه.

(٢٠) لتفصيل أكثر عن تفسير الارتباط والمطبات الواجب تجنبها، ارجع إلى شافلسون (١٩٨١م، ص ٢١٠-٢١٨) وهاتش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ٢٠١-٣)، ص ٢٠٨-١٠).

(٢١) من المهم هنا تأكيد أنني أصف أجزاء صغيرة فقط من البحث في علم اللغة الاجتماعي مرتبطة بإجراءات إحصائية معينة لأغراض الشرح فقط. فمثلا، لن يتوقف أحد (لا ميلروي ولا أنا) عند حد تحليل صائت واحد والجنس واحد. وهذه النتيجة الخاصة وجميع النتائج التي استخدمت للإيضاح هي جزء من مشروع بحثي أكثر شمولية.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على تمييز وصف هدف الإحصاء الاستدلالي.

٢- أن يكون قادرا على تمييز "السكان" من العينة.

٣- بعد إعطاء مثال، أن يكون قادرا على تمييز نوعي المتغيرات (الخصائص) في الإحصاء.

٤- أن يكون قادرا على تمييز أمثلة للخصائص *ممكنة التسمية* من الخصائص *ممكنة القياس*.

٥- أن يكون قادرا على التمييز بين أمثلة القياسات الكمية للمقاييس، والترتيبية، والفاصلية، والنسبية.

٦- أن يكون قادرا على التعرف على مثالي اختبار المصداقية واختبار الصلاحية.

٧- أن يكون قادرا على تمييز تعريفي "المتوسط الحسابي" و"الانحراف المعياري".

٨- بعد إعطاء فرضية البحث لعينة، أن يكون قادرا على التعرف على فرضية الإبطال.

٩- أن يكون قادرا على قول ماذا يعني تعبير مثل احتمال < ٠.٠١ .

١٠- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا

كان من المناسب استخدام اختبار مربع كاي، أم لا.

١١- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا كان من المناسب استخدام اختبار -ت أو تحليل التباين الأحادي، أم لا.

١٢- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا كان من المناسب استخدام تحليل التباين العاملي، أم لا.

١٣- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا كان من المناسب استخدام الارتباط، أم لا.

الفصل الخامس

التحليل الكمي

تفحصنا في الفصل الثالث محاولات نظامية لتعليل الأوجه النوعية للتعددية اللغوية للمجتمع. وكان النهج هو محاولة اكتشاف الوظائف التي تقوم بها اللغة في المجتمع وتحديد المتطلبات الواجب على اللغة تحقيقها حتى تقوم بكل وظيفة. وقد ظهر القياس الكمي في الصورة أحيانا، كما في فئات اللغات الست التي ذكرها ستيوارات، أو تقسيم فرجسون للفئات الرئيسة، والفرعية، وذات المنزلة الخاصة، ولكن من الممكن استغلال طرق القياس الكمي في دراسة التعددية اللغوية في المجتمع. سوف ننظر إلى التحليل الكمي عبر ثلاث خطوات، وهي: (١) مصادر البيانات المستخدمة، ويشكل أساسي الإحصاء السكاني، بالإضافة إلى طرق المسح الأخرى، (٢) وطريقة جرينبيرغ- ليبرسن لقياس التباين اللغوي، (٣) وتطبيق طرق القياس الكمي على مسائل في اللسانيات الاجتماعية للغة.

الإحصاء وطرق المسح

النواقص (العيوب)

لتحصيل كمية البيانات المطلوبة لقياس التعددية اللغوية على المستوى القومي لابد من توفير مصادر عديدة لذلك. ولذا، فإن البيانات الوحيدة المتوفرة بهذا القدر هي تلك التي جمعت تحت رعاية حكومة الدولة. وهذا عادة ما يعني الإحصاء

السكاني القومي المقام كل عشر سنوات.[1] وطالما أن التحليل الكمي لن يكون أفضل من البيانات التي بُني عليها، فمن المهم فهم أنواع النواقص (العيوب) الشائعة في بيانات الإحصاء السكاني. والمشاكل الأربعة الشائعة (المعروفة) المتعلقة بالتعداد السكاني هي: (١) الأسئلة. (٢) والاجابات، (٣) والجغرافيا، (٤) والتعامل مع البيانات.

الأسئلة.

ليس من السهولة كما قد يبدو سؤال الناس عن اللغة أو اللغات التي يعرفونها. وقد أعطى ماكي وكارتريت Mackey & Cartwright (١٩٧٩م، ص ص ٦٩-٧٠)، وماكونيل McConnell (١٩٧٩م، ص ٣٠)، وليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٣٩) تصانيف منفصلة لأنواع أسئلة اللغة المطروحة في الإحصاء السكاني، والتي من الممكن إيجازها في ثلاثة أنواع عامة، وهي: سؤال عن اللغة الأم، وسؤال الاستخدام، وسؤال المقدرة. ويحاول السؤال عن نوع اللغة الأم الوصول إلى اللغة الأولى المكتسبة من قبل المجيب على السؤال. ولكن كما أشار ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣٤) فإن تعريف اللغة الأم بالضبط قد يختلف من أمة لأخرى. ويُسئل سؤال الاستخدام عن اللغة المستخدمة عادة أو المستخدمة كثيرا. وقد يكون السؤال بسياق أو بدون سياق، كسؤال المجيبين عن اللغة المستخدمة غالبا في المنزل، أو مكان العمل، أو مع أفراد العائلة، أو ما شابه ذلك. ويطلب سؤال المقدرة من المجيب تقييم مهارته في التحدث، والفهم، والقراءة، والكتابة بتلك اللغة، أو قدرته على توحيد بعض هذه المهارات. وتنشأ المشاكل عندما تُسئل أسئلة مقارنة بشكل يختلف من دولة لأخرى، أو من إحصاء سكاني لآخر في الدولة نفسها.

ومثلا، تصعب مقارنة أرقام دولة أجرت إحصاءها حسب سؤال اللغة الأم مع

أرقام دولة أخرى أجرت إحصاءها حسب سؤال الاستخدام. وقد ذكر كيرك Kirk (١٩٤٦م. استشهد به ليبرسون ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٩-١٤٠) أنه خلال حدوث تحول لغوي فإن الأسئلة حول اللغة الأم تبين أن التحول أقل تطورا مما تبينه الأسئلة حول الاستخدام. تخيل أنك تدرس التحول من العاميات إلى اللغات القومية في دولتين مختلفتين، واحدة تسأل في تعدادها سؤال اللغة الأم، والأخرى تسأل سؤال الاستخدام. دعنا نقول: إن كلتا الدولتين تمر بالدرجة نفسها تقريبا من التحول. فالفرد في الدولة الأولى الذي تخلى عن عاميته لصالح اللغة القومية خلال حياته، أي أنه تعلم العامية أولا، لكنه عادة يستخدم الآن اللغة القومية، سيجيب إن العامية هي لغته الأم. أما الفرد في الدولة الأخرى، والذي كانت لديه التجربة نفسها، فقد سئل عن اللغة التي يستخدمها عادة، وسيجيب أنها اللغة القومية. وعندما يضرب هذا النمط بمئات الآلاف من الناس، فسيبدو كما لو كانت الدولة الثانية في مرحلة متقدمة من ترويج اللغة القومية من الدولة الأولى، ولكن هذا سيكون فقط كنتيجة للاختلاف في أنواع الأسئلة.

حتى عندما تطرح الإحصاءات السكانية الأسئلة نفسها، فقد تسئ الاختلافات في صياغة السؤال للمقارنة. ففي عام ١٩٤٠م، طرح إحصاء السكان في البرازيل السؤال التالي: "هل تتكلم اللغة القومية بطلاقة؟"، بينما طرح في العام نفسه في المكسيك السؤال التالي: "هل تتكلم اللغة القومية؟" (ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٤٠). فكلاهما سؤال مقدرة، ولكن من الواضح أن أكثر الناس سيميل للقول إنهم "يتحدثون اللغة القومية" أكثر ممن سيقولون: إنهم يتكلمونها "بطلاقة". وقد تكون بعض الأسئلة ببساطة غير مصداقية؛ لأنها ليست محددة بما فيه الكفاية. فسؤال مثل "ما هي اللغة التي تعرفها؟" هو غامض جداً لاستنباط معلومات مصداقية (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩، ص ٧٠).

ويواجه العلماء الذين يرغبون القيام بنوع الدراسات الطويلة عراقيل عندما تغير الإحصاءات السكانية صياغة الأسئلة من إحصاء سكاني لآخر في الدولة نفسها. ففي براغوي، تغير السؤال عن اللغة من سؤال عن المقدرة إلى سؤال عن الاستخدام المعتاد بين إحصائي عام ١٩٥٠م وعام ١٩٦٠م. ففي عام ١٩٥٠م، سئل البراغويون عن اللغة أو اللغات التي بإمكانهم تحدثها. وفي عام ١٩٦٠م ، كان السؤال عن اللغة أو اللغات التي يتحدثونها عادة (روبن، أ١٩٦٨م، ص٤٨٦ ، هامش ١). فإذا كان الفرد يعرف كلا من الإسبانية وقوارني، ولكنه يستخدم عادة قوارني فقط، فإن من المحتمل أن يجيب أنه ثنائي لغة في إحصاء عام ١٩٥٠م، ولكن سيجيب على أنه مستخدم لقوارني فقط في إحصاء عام ١٩٦٢م. وقد ارتفعت نسبة سكان اسنسيون الذين قالوا: إنهم ثنائيو لغة من ٧٦٪ في عام ١٩٥٠م إلى ٧٩٪ في عام ١٩٦٢م (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٤؛ روبن، أ١٩٦٨م، ص ٤٨٦، هامش ١)، ولكن بسبب الاختلاف في نوع السؤال، فمن المحتمل أن ثنائية اللغة في الواقع ارتفعت أكثر من ذلك. وطبقا لما ذكره ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣٤) فإنه لم يعتبر المتحدثين، الذين قالوا: إنهم ثنائيو لغة بلغة أم نموذجية ولهجة مرتبطة بها، كثنائي لغة في إحصاء عام ١٩٦١م في الهند. وفي عام ١٩٧١م أزيل ذلك الشرط، والنتيجة المحتملة هي أن من اعتبروا ثنائيي لغة في عام ١٩٧١م، لم يعتبروا كذلك في عام ١٩٦١م. ويذكر ليبرسون (١٩٦٧م ، ص ١٤٠) الآثار المدمرة للمقارنة الناتجة عن الاختلاف في تعريف اللغة الأم بين عامي ١٩٢٠م، و ١٩٤٠م في الإحصاء السكاني في الولايات المتحدة . ففي إحصائي عام ١٩١٠م و ١٩٢٠، صنف الجيل الثاني للمهاجرين حسب اللغات الأم للأب الأجنبي المولود في الخارج، بينما في إحصاء عام ١٩٤٠م كانت اللغة الأم هي اللغة التي تحدثها المجيب في المنزل في طفولته المبكرة. ونتيجة لذلك، ففي الإحصاءات المبكرة، لم يصنف الجيل الثاني للمهاجرين على أن الإنجليزية هي لغتهم

الأم، إلا إذا كان الأب الأجنبي يستخدمها في المنزل قبل القدوم للولايات المتحدة. وبالمقارنة، فقد خففت القيود في إحصاءات عام ١٩٤٠م، بحيث أصبحت اللغة الأم تعود إلى الخصائص اللغوية للجيل الثاني نفسه.

ويأتي تغيير الأسئلة بالشكل الذي وصفته بدافع الرغبة في تحسين نوعية البيانات عن نوعية البيانات في الإحصاءات السكانية السابقة. ومصدر آخر للصعوبة في أسئلة الإحصاء هي ميل الحكومة لطرح أسئلة بطريقة تعزز سياسة اللغة القومية. وليس من غير المعتاد أن تتحيز أسئلة اللغة للتمييز ضد اللغات المحلية. فقد لا تذكر على الإطلاق اللغات غير اللغة المعترف بها رسميا، أو تجمع تلك اللغات مع بعضها كلغات أصيلة. وعندما تطرح الأسئلة عن ثنائية اللغة، فإنها عادة تصاغ بحيث لا يحسب الفرد كثنائي لغة إلا إذا اشتملت ثنائيته اللغوية على الأقل على إحدى اللغات المعترف بها رسميا. فمثلا، في المكسيك يحسب الهندي الأمريكي الذي يتحدث الإسبانية ولغته العرقية كثنائي لغة، بينما لا يحسب من يتحدث لغتين من لغات الهنود الأمريكين كثنائي لغة (ماكونيل، ١٩٧٩م، ص ٣٦). وأحيانا تعامل لغات المستعمر بتحيز. فمن عام ١٩٣١م إلى ١٩٥١م، لم تدرج الإنجليزية كلغة ثانية ممكنة في الإحصاءات السكانية في الهند، بالرغم من أن هذا قد صحح في إحصاء ١٩٦١م(واينرايخ، ١٩٥٧م، ص ٢٣١).[٢] وأحيانا يستغل الغموض بين "اللغة" و"اللهجة" لزيادة القوة الرقمية أو تخفيفها لأجزاء من السكان (ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٣٩ ؛ ماكونيل ، ١٩٧٩م، ص ٤٣). ففي الإحصاءات السكانية النمساوية القديمة، عُد متحدثو اليدية كمتحدثين للألمانية، وذلك لزيادة عدد متحدثي الألمانية في بعض المقاطعات. وفي المقابل، فقد عُدت الأقليات السلافية الجنوبية في هنغاريا تحت أسماء لهجات محلية ؛ لتقليل العدد الكلي للصرب والكروات (كيرك، ١٩٤٦م، ص ٢٢٥ ، المذكور في ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٣٩).

وبالرغم من أن الأمثلة الأخيرة المعطاة تبدو صارخة وساخرة، فإن التحيز في أسئلة الإحصاء عادة ما تنتج من الرغبة القومية للحكومة في جمع معلومات من وجهة نظر رسمية. فلا يمكن السؤال عن كل شيء في الإحصاءات، لذا فإن الأسئلة المطروحة تطلب معلومات تبدو على درجة كبيرة جدا من الأهمية للأمة (ماكونيل، ١٩٧٩م، ص ٣٦). فسؤال ثنائية اللغة في الإحصاء السكاني في المكسيك مبعثه رغبة أقل في حجب المعلومات عن ثنائية اللغة للغات الأصيلة من الاعتقاد بأن ثنائية اللغة بالإسبانية هي ما يهم الأمة بشكلٍ كبير.

الإجابات.

رأينا في الفصول السابقة أنه يصعب في الغالب تقرير ما إذا كان ضرب كلامي ما لهجة من لغة أخرى، أو لغة منفصلة بنفسها. وفي حالة اللغات الثانية، هناك مدى كامل لمعرفة اللغة، يتراوح ما بين الطلاقة التامة إلى معرفة بضع كلمات. وإذا نظرنا إلى هذين المتصلين لدينا وإلى الحاجة إلى تكوين أسئلة ذات إجابات قصيرة، فليس من الواضح تماما ما يعنيه إخبار الفرد لموظف الإحصاء السكاني أنه يعرف لغة معينة. وقلنا في الفصل الأول: إن السيولة الموجودة في لغات شمال الهند قد تخلق مشكلة مزمنة تتعلق بأي الضروب اللغوية الواجب اعتبارها لغات مقابل لهجات. وعندما يُسئل مواطن هندي أن يصرح عن لغته الأم ولغته الثانية، فإن الأمر يعود إليه في تقرير تسمية اللغة. وطبقا لما ذكره خوبتشنداني (١٩٧٨م، ص ٥٧٠) "فإن التصريحات تبقى متقلبة في كل إحصاء، ممثلة تحولا دائما في تحالف اللغة الأم." ويعتبر بعض متحدثي لغات مثل بهاري وراجستاني لغاتهم كذلك أشكالا نموذجية فرعية للهندي. وقد يصرحون أن الهندي هي لغتهم الأم، أو قد لا يعلنونها، وهذا يعتمد على المناخ السياسي في الوقت الذي تم فيه الإحصاء (خوبتشنداني (١٩٧٨ من ص ٥٦٥). ويبدو

أن متحدثين آخرين لا يعرفون ما هي الإجابة المناسبة، ويعطون اللغات الأم أسماء بدت لدافيدسون (١٩٦٩م، ص ١٧٨) "سخيفة". وقد حدثت مشاكل مشابهة في ذكر أسماء اللغات في إحصاءات سكانية حديثة تمت في إسرائيل وتركيا (ماكونيل، ١٩٧٩، ص ٤٣).

وقد ذكر تقريبا كلٌ من ناقش استخدام بيانات الإحصاء السكاني التنوعَ الواسع للقدرة اللغوية في اللغة الثانية للفرد الذي يعد نفسه ثنائي لغة (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ٧١، ماكونيل، ١٩٧٩ ص ٣٥، ليبرسون ، ١٩٦٧م، ص١٤١ ؛ دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٧٩ ؛ واينرايخ ١٩٥٧م، ص ٢٠٦ ؛ رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٣). وطبقا لما ذكر رونا (١٩٦٦م، ص ٢٨٣) فقد يعد البراغويون متحدثين للإسبانية إذا كانوا قد التقطوا بضع كلمات في المدرسة، أو لو أنهم درسوها وهم أطفال، ولكنهم نسوا تماما كل ما تعلموه منها. ويشك ماكي وكارترايت (١٩٧٩م ، ص ٧٠-٧١) في أن الأفراد ذوو الثنائية اللغوية والذين لا يتفاعلون باستمرار مع المتحدثين الأصليين للغة الثانية قد يكونون أكثر كرما في تقيم قدراتهم من أولئك الذين يتفاعلون مع المتحدثين الأصليين. ولأن المجيبين أعطوا حرية الاختيار كثيرا ، فمن المتوقع أنهم سيقولون عن أنفسهم: إنهم متحدثون للغات تعتبر معرفتها مرغوبة لهم، حتى ولو كانت مقدرتهم محدودة جدا.

وإذا علمنا ما هي اللغات التي تعتبر مرغوبة، فنستطيع استخدام هذه المعلومة كأداة تصحيح جزئية في تفسير نتائج الإحصاء السكاني. فمثلا في براغوي، طالما تمنح معرفة الإسبانية كلغة ثانية المنزلة المرموقة، فإننا نفترض أن كل من يدعي تقريبا، ولو بشكلٍ طفيف، معرفة الإسبانية سيقول عن نفسه: إنه يعرف الإسبانية. ونتيجة لذلك، فيمكن اعتبار أرقام الإحصاء لأحاديي اللغة بلغة قوارني كأرقام محافظة، فهي تشمل عمليا كل أحاديي اللغة الحقيقيين بلغة قوارني، بالإضافة إلى من قالوا إنهم

يعرفون الإسبانية أيضا. وبالعكس، فتبدو أرقام ثنائيي اللغة بالإسبانية وقوارني دون شك أرقاما مضخمة نوعا ما. فهي تشمل تقريبا كل من لديه مقدرة معقولة بالإسبانية، وأيضا بعض من لديهم قليل من معرفة مبهمة باللغة. ومن الصعب تطبيق أسلوب مشابه في الهند، حيث تختلف مثلا الرغبة في القول بمعرفة الهندي من إقليم لآخر ومن إحصاء سكاني لآخر.

ورغم ذلك فقد لا تكون المشكلة المتعلقة بمدى المقدرة باللغة الثانية بالغة الخطورة. فبادىء ذي بدء من المهم معرفة أي اللغات يرغب الناس في القول بأنهم يعرفونها، بغض النظر عن المقدرة الحقيقية. ثانيا، كما ذكر ليبرسون (١٩٦٧، ص ١٤١) "فإنه يبدو من المعقول أيضا افتراض أن لدى السكان، الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم قادرون على تحدث لغة معينة، درجة طلاقة أعلى جدا من جزء من السكان الذين يعتبرون أنفسهم غير قادرين على تحدث اللغة." وبالإضافة إلى ذلك يعتقد واينزايخ (١٩٥٧م ن ص ٢٠٦) أن الميول للمغالاة في تقدير المقدرة ليس أقوى في جزء من الدولة من الجزء الآخر، على الأقل في الهند. ولكن إذا كان ماكي وكارترايت محقين في التأثير الواقعي للتفاعل مع المتحدثين الأصليين للغة الثانية على تقدير مقدرة الفرد ثنائي اللغة، فقد يكون لها تأثير جغرافي مهم في بلد مثل كندا. فقد يرغب المواطنون الذين يبعدون عن مناطق تحدث الفرنسية في شرق كندا بادعاء ثنائية اللغة بالفرنسية على أساس مقدرة أقل من متحدثي الإنجليزية كلغة أم الذين يسمعون الفرنسية كل يوم (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧٠-٧١).

ويكون هناك أحيانا دليل على أن أسئلة اللغة قد فهمت بشكل خاطىء. فقد بين مشروع بحثي محدد لمتابعة إحصاء عام ١٩٦١م في كندا أن متحدثي الإنجليزية كلغة أم، والذين أجابوا بنعم على السؤال: "هل تستطيع تحدث الفرنسية؟" قد فهموا السؤال بأنه يعني المقدرة على فهم الفرنسية (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧٠).

وهناك مثال أكثر تعقيدا قدمه خوبتشنداني (١٩٧٨ : ص ٥٧٢) في إحصاء عام ١٩٥١م في مقاطعة بومبي في الهند، اعتبر عدد كبير من المتحدثين الأصليين للغة السندي كثنائيي لغة بلغة البنجابي.ويبدو أن تقرير ثنائية اللغوية هذا قد بني على تعلم خط ثانٍ لكتابة السندي، وليس تعلم لغة أخرى. وتكتب السندي عادة بخط عربي. وبعض الهندوس الذين يتكلمون السندي تعلموا قراءتها وكتابتها بخط آخر يدعى قرروموخي. وقد اعتقدوا أن تعلم خط قوروموخي هو تعلم لغة تسمى قوروموخي. وقد ظهر أيضا أن خط قوروموخي هو الخط نفسه المعتاد لكتابة البنجابي. وكانت النتيجة النهائية هي أن متحدثي السندي الذين تعلموا أن يكتبوا لغتهم الأصلية بخط ثانٍ اعتبروا كأفراد ثنائية لغوية في السندي والبنجابي.

الجغرافيا.

قد تؤثر العوامل الجغرافية في بيانات الإحصاء بطريقين مختلفين بسبب تأثيرات الجغرافيا الطبيعية والحدود الجغرافية. ففي بعض الدول، هناك مناطق معزولة بسبب الجبال، أو الأدغال، أو العوائق الطبيعة الأخرى للمواصلات. وقد لا يتمكن مسئول الإحصاء من الوصول إلى الناس الذين يعيشون في تلك المناطق. وقد رأينا كيف أن هذا يمكن أن يؤثر على صورة ثنائية اللغة في براغوى. فقد كانت أكثر المنطقتين عزلة في وقت إحصاء عام ١٩٥٠ هي تقريبا بشكل كامل من متحدثي قوارني فقط. وطالما لم تحسب منطقة كبيرة يعيش فيها متحدثو قوارني فقط، فمن المحتم أن تشير الأرقام الرسمية إلى نسبة أكبر من الأفراد ثنائيي اللغة لكل دولة من النسبة الحقيقية (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٥). وقد يكون تحسن الطرق الموصلة لهذه المناطق قد جعل الوصول إليها أسهل لمؤسسات الإحصاء السكاني، وهذا يفسر بشكلٍ جزئي الزيادة الواضحة في أحادية اللغة بلغة قوارني في المناطق الريفية بين إحصائي عام ١٩٥٠م وعام

١٩٦٢م (روبن، ١٩٧٨م، ص ١٨٩). وبالطبع فقد كان الأمر أكثر سوءا عندما تغير نوع السؤال بين التعدادين من سؤال عن المقدرة إلى سؤال عن الاستخدام، مما زاد في صعوبة تحديد ثنائية اللغة بالإسبانية. ومن الصعب الحكم على مقدار الزيادة الواضحة في أحادية اللغة بالمناطق الريفية. فهل هي حقيقية فعلا أم أنها مبتدعة عن زيادة إمكانية الوصول للمناطق الجغرافية وتغيير نوع السؤال. وتؤثر العزلة الجغرافية، بالإضافة إلى إمكانية تحسن المواصلات في فترات الإحصاء، على دقة بيانات الإحصاء وإمكانية استخدامها للمقارنة.

إن الحاجة إلى جدولة بيانات الإحصاء حسب الحدود الجغرافية تعتبرأكثر دقة من حيث تأثيراتها. فقد رأينا في الفصل الأول أن إلحاق أراضٍ كانت تابعة لدولة ما بدولة أخرى بعد الحرب قد يؤثر على مستوى التعددية اللغوية في كلتا الدولتين. وبالطريقة نفسها، قد تراعي الدول الحدود الإقليمية الداخلية . وإذا حدث تغير في أي نوع من الحدود من إحصاء لآخر، فإن المقارنة تصبح أكثر صعوبة (دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٩٣).

والحدود الجغرافية مهمة أيضا في قياس التنوع اللغوي. وعادة ما يجعل مقياس درجة التعددية اللغوية للمجتمع المبني على وحدة سياسية كبيرة جدا التعددية اللغوية تظهر أكثر شمولية مما هي عليه في الواقع، على الأقل في حياة الناس اليومية. فإذا كان في دولة ما ٢٠٠ لغة، فيبدو أن الناس سيجدون صعوبة في الاتصال، وسيجدون صعوبة بالفعل لو كان متحدثو جميع هذه اللغات موزعين بشكلٍ متساو في كل أرجاء الدولة. وبالطبع هذا لا يحدث مطلقا، فغالبا ما يتمركز متحدثو اللغة نفسها في منطقة جغرافية واحدة، حيث يتفاعلون مع بعضهم أكثر من تفاعلهم مع الناس من مناطق أخرى في الدولة. وكنتيجة لذلك، فإن المناطق الفرعية الصغيرة على درجة أعلى من التوحد اللغوي مقارنة بالدول ككل (ليبرسون ودالتو وجونستون Leiberson,

Dalto, Johnston ، ١٩٧٥م، ص ٤٢، قارن غرينبيرغ ١٩٥٦م، ص ١١٣).

وأعطى واينراخ (١٩٥٧م، ص ٢٢٧) مثالا واقعيا لهذه الظاهرة بالذات. فطبقا لأرقام إحصاء عام ١٩٥١م، كان لمنطقة تريفاندروم التابعة للولاية الهندية السابقة ترافانكور كوتشن مؤشر لصيغة جرينبيرغ (أ) للتنوع يساوي ٠,٤٨.[٣] وسوف نلقي الضوء على هذا المؤشر في دراستنا لمقاييس جرينبيرغ- ليبرسون للتنوع لاحقا في هذا الفصل، ولكن يكفي أن تعرف الآن أن هذا يعني أن هناك فرصة من كل فرصتين يكون فيها متحدثان، لا على التعيين من تلك المنطقة، لا يتكلمان اللغة نفسها. ولذا فيبدو أن كل ثاني زوج محتمل من المتحدثين لن يكون أحدهما قادرا على فهم الآخر. وفي الواقع، فكل سكان النصف الشرقي تقريبا من المنطقة أحاديو لغة بلغة تاميل، أما سكان الجزء الغربي فهم بشكل متساو أحاديو اللغة بلغة مالايالم. وفي الحياة اليومية وطالما أن كل الناس في كل نصف من المنطقة سيتفاعلون فقط مع الناس من المنطقة نفسها، فمن غير المهم أنهم لا يعرفون لغة الجزء الآخر. وطبيعيا، فلن يقابل أحد أي شخص لا يتكلم لغته. وأعطى مقياس مستوى التنوع لمقاطعة تريفندروم ككل، نتيجة ليست مهمة تقريبا بالكامل للحياة اليومية للناس الذين يعيشون هناك.[٤]

وقد يكون لدينا الآن تفسير جزئي للمستوى المنخفض بشكل مذهل لثنائية اللغة في الهند التي ذكرها خوبتشنداني (١٩٧٨م) وبالمقارنة مع الدرجة العالية للتعددية اللغوية للمجتمع في الهند، والحقيقة التي تقول بأن ٩,٧٪ فقط من سكان الهند هم ثنائيو لغة حسب إحصاء عام ١٩٦١، تبدو أمرا غاية في الغرابة. وطالما أن ثنائية اللغة مطلوبة فقط للتفاعل المنتظم مع الآخرين الذين لا يعرفون لغتهم، فمن الممكن جدا أن يكون سبب هذه الأرقام المنخفضة للثنائية اللغوية هو نتيجة درجة منخفضة للتنوع على المستوى المحلي جنبا إلى جنب مع درجة عالية من التنوع على المستوى القومي. وقد يبدو أنه كلما كانت المناطق الجغرافية التي يتم إحصاؤها أصغر،

كلما كان من الأسهل تفسير النتائج. وسنعود للمقارنة الإحصائية للثنائية اللغوية والتنوع بعد تقديم مقاييس التنوع.

التعامل مع البيانات.

تنشأ مصاعب أخرى عند جمع نتائج الإحصاء السكاني، وتصنيفها، وحسابها. وتقع على عاتق عاملي الإحصاء الميدانيين مسؤولية كبيرة في تقرير كيفية إدراج الإجابات في الفراغات الموجودة في استبيان الإحصاء السكاني (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧٢). وقد ظهر مثل هذا النوع من المشاكل في إحصاء عام ١٩٦١م في الهند، فقد طلبت التعليمات المعطاة لموظفي الإحصاء إدراج لغتين فقط لكل مستجيب للإحصاء، بالإضافة إلى لغته الأم. وعلاوة على ذلك لم تسجّل اللغة الثانية إذا ما كانت لهجة من لهجات اللغة الأم. وطالما لم يكن هناك أي تعليمات لكيفية معرفة ما إذا كانت اللغة المسماة لهجة أم لا، فإن الأمر يرجع لموظف الإحصاء ليختار ما يدون وما لا يدون (خوبتشنداني، ١٩٧٨م، ص٥٥٤-٥٥٥؛ دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٧٩). وعندما أصبحت البيانات جاهزة لإدراجها في جداول، علما أنه سُجِّلت لغتان أخريان غير اللغة الأم، لم يحسب فعليا إلا اللغة الأولى من اللغتين اللتين كتبهما موظف الإحصاء.

ولا بد مع هذا الحجم الهائل لمهمة جمع الإحصاء عمليا من إغفال العديد من المواطنين. ففي إحصاء الولايات المتحدة لعام ١٩٦٠م، حذف كليا أكثر من نصف مليون نسمة (ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٤٤). وأثناء جمع البيانات لإحصاء عام ١٩٨٠ في الولايات المتحدة وبعدها، عمت التقارير الإخبارية شكاوى من مدن وسلطات قضائية من أن الإحصاء في مناطقهم أقل من الواقع؛ ولذا فإنه سيفقدهم جزءا من المساعدات الحكومية والتمثيل السياسي. ولا يستطيع المرء إلا افتراض أن

تكون المسألة أكثر سوءا في الدول الأقل ثراءً.

استخدام بيانات التعداد

قد تترك مناقشة العيوب (النواقص) في بيانات الإحصاء انطباعا بأنه من غير المجدي محاولة استخدامها إطلاقا. فلا تخلو بيانات الإحصاء من الأخطاء، ولكنها ليست أخطاء قاتلة، خاصة عندما يعرف الباحثون ومن سيقرؤن نتائجها أين يكمن الخطر. وأعطى ليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٣٤-٥) ثلاثة أسباب لاعتبار بيانات الإحصاء ضرورة حتمية لأي عمل جدي في علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. أولا، إنها البيانات الوحيدة عمليا من هذا النوع التي تجمع على مقياس كبير كهذا. ثانيا، إنها البيانات الوحيدة بهذا الحجم التي تجمع في فترات زمنية محددة مما يسمح بإظهار النزعات بعيدة المدى، وأخيرا، إن بيانات الإحصاء هي البيانات الوحيدة المتوفرة بهذا الحجم الكبير، والتي تسمح بالمقارنة بين جزء واحد من العالم مع جزء آخر منه. حتى ولو كان الباحث قادرا على جمع بيانات إحصائية لقسم سياسي محدد من بلد ما، فإنه لن يأمل بعمل الشيء نفسه لجميع الأقسام المشابهة في الدولة نفسها، ناهيك عن الأمم الأخرى بأكملها.

التأكد من المصداقية.

من الممكن أحيانا القيام ببعض المناورات للتحقق من مصداقية بيانات الإحصاء حتى قبل الشروع بالدراسة الاجتماعية اللغوية. ووصف ليبرسون (١٩٦٧م، ص ص ١٤٤-٥٠) نوعين لمثل هذا التحقق، هما: *التحقق الخارجي والاتساق الداخلي*. والتحقق الخارجي أكثر إقناعا؛ لأنه يقارن بين بيانات قياس كمي من مصادر أخرى غير الإحصاء مع بيانات مشابهة في الإحصاء ذاته. فإذا كانت البيانات على الخط

نفسه، فمن الممكن افتراض أنها دقيقة؛ لأنه من المستبعد أن يرتكب كلا المصدرين المستقلين الأخطاء ذاتها بالضبط. أما في الاتساق الداخلي، فنقارن أجزاء مختلفة من الإحصاء مع بعضها، أو يقارن إحصاء جرى في وقت معين مع إحصاء آخر جرى في وقت آخر. ويجب أن يكون الاعتماد على مراجعة الاتساق الداخلي أقل من الاعتماد على مراجعة التحقق الخارجي، كما أوضح ليبرسون ذلك بقوله "إذا ثبت أن بيانات الإحصاء غير متسقة بدرجة عالية، فسيكون هناك شك فعلي في مصداقيتها" ومن جهة أخرى، فإن الاتساق الداخلي لا "يثبت" المصداقية بقدر ما يظهر أننا لسنا قادرين على إيجاد أي دليل على الخطأ (ليبرسون، ١٩٦٧م، ١٤٦). ومن الممكن تماما أن يكون هناك خطأ كامن في طريقة إجراء الإحصاء وأن هذا الخطأ سيُرتكب بشكل مستمر كلما جرى الإحصاء، ولن يكشف مثل هذا الخطأ المستمر باستخدام مراجعة الاتساق الداخلي.(٥)

وذكر ليبرسون (١٩٦٧، ص ١٤٥) مثالا جيدا جدا على طريقة التثبت بالتحقق الخارجي يتعلق ببيانات الإحصاء المأخوذة من مقاطعة كويبك الكندية. واشتمل الإحصاء على أرقام لمن لغتهم الأم هي الفرنسية، ومن يتحدثون الإنجليزية كلغة أولى. وحدث أن كان هناك بيانات أخرى متوافرة أمكن استخدامها للتحقق من بيانات الإحصاء عن اللغة الأم. ويوجد في كويبك نظامان للمدارس، أحدهما كاثوليكي روماني والآخر بروتستانتي. وتستخدم كل المدارس البروتستانتية تقريبا الإنجليزية كلغة تعليم، بينما تستخدم معظم المدارس الكاثوليكية الفرنسية كلغة تعليم. ويفترض أن يلتحق الأطفال ممن لغتهم الأم هي الفرنسية بالمدارس الكاثوليكية، بينما يذهب الأطفال المتحدثون للإنجليزية لمدارس بروتستنتية. وإذا كان الأمر كذلك، فيجب عندها أن تقترب أعداد المسجلين في هذين النظامين المدرسيين من أعداد اللغة الأم للأولاد الذين هم في سن المدرسة من تلك الجماعات التي تتحدث اللغة الأم

المقابلة. وعندما قورنت أعداد التسجيل بالمدارس مع أعداد اللغة الأم المصرح عنها في الإحصاء للأولاد في سن المدرسة، كانت المطابقة متقاربة جدا بالفعل. ويعطي جدول رقم (٥,١) هذه البيانات.

ومن السهل تعليل سبب زيادة النسبة المئوية للتسجيل بالمدارس الكاثوليكية على نسبة متحدثي الفرنسية، وأيضا تعليل التضارب في الجهة الأخرى بين نسبة المسجلين بالمدارس البروتستانتية ونسبة من أعلنوا الإنجليزية كلغة أم. فلربما كانت هناك مدارس إنجليزية أكثر من المدارس التي تستخدم الفرنسية في النظام البروتستانتي. ونتيجة لذلك فإن عددا أكبر من الأولاد، ممن لغتهم الأم هي الإنجليزية، سيكونون مسجلين في المدارس الكاثولوكية أكثر من عدد الأولاد الذين يتحدثون الفرنسية وقد سجلوا في المدارس البروتستانتية. وليس هناك ما يدعو للاعتقاد بعدم دقة أعداد التسجيل بالمدارس أو حتى التفكير بأنها ستكون مطابقة تماما للأعداد التي ستظهر في بيانات الإحصاء، حتى وإن كانت هناك أخطاء. والتوافق بين أعداد الإحصاء والأعداد المستقلة للتسجيل بالمدارس دليل قوي على مصداقية الإحصاء. ويشمل التثبت من الاتساق الداخلي الذي يمكن القيام به تقريبا مع أي إحصاء سكاني أخذ استخدام جماعات الأعمار مرتين أو أكثر. فإذا ذكرت نسبة محددة من جماعة ذات عمر ما في أحد الإحصاءات أن لغة ما هي لغتها الأم، فإن على تلك الجماعة أن تذكر اللغة الأم نفسها بالنسبة نفسها تقريبا في إحصاء يجري بعد عشر سنوات. وحتى يكون هذا الافتراض مقبولا، فيجب أن يكون صحيحا ما يلي (١) معدلات الوفيات في كل جماعة لغة أم متساوية تقريبا خلال العشر سنوات، (٢) وأن لا يكون عدد متفاوت من فئة إحدى اللغات الأم قد غادر البلد خلال العشر سنوات، (٣) وأن لا يكون عدد متفاوت من فئة اللغة الأم قد هاجر خلال العشر سنوات.

جدول رقم (٥.١). مقارنة التسجيل بالنظام المدرسي وبيانات الإحصاء للأولاد ما بين ١٠-١٤ سنة. كوبيك، ١٩٥٧م/١٩٥٨م.

التسجيل في المدرسة	النسبة	اللغة الأم	النسبة
الكاثوليك الرومان	٨٩.٦٪	الفرنسية	٨٥.٩٪
البروتستانت	١٠.٤٪	الإنجليزية	١١.٣٪
		أخرى	٢.٨٪

المصدر: مقتبس من ليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٤٥، جدول ٢).

ويمكن السيطرة على العنصر الثالث إذا سمحت بيانات الإحصاء بالتعرف على إجابات المهاجرين وإزالتها من الحسابات. وقد فعل هذا ليبرسون في مثاله (١٩٦٧م ، ص ١٤٦-١٤٧). وقد أخذ ليبرسون بيانات من سبع جماعات عمرية من الإحصاء الكندي لعام ١٩٥١م عن اللغات الأم الفرنسية والإنجليزية. وقارن بينها وبين بيانات الجماعات العمرية الأكبر بعشر سنوات. فمثلا، في عام ١٩٥١م ، ذكر ٥٧٪ من جماعة الأولاد التي تتراوح أعمارهم ما بين ١٠و ١٤ سنة أن الإنجليزية هي لغتهم الأم، بينما ذكر ٣٣.٨٪ من الجماعة العمرية نفسها أن الفرنسية هي لغتهم الأم، وفي عام ١٩٦١م، ذكر ٥٦.٨٪ من الجماعة العمرية التي تتراوح أعمارهم ما بين ٢٠ و ٢٤ سنة أن الإنجليزية هي لغتهم الأم، بينما كانت الفرنسية اللغة الأم لـ ٣٤.١٪ من الجماعة العمرية نفسها. وكان متوسط الاختلاف بالنسبة للجماعات العمرية السبع هو ٨٪ للذين ذكروا أن الإنجليزية هي لغتهم الأم، بينما كان متوسط الاختلاف ٠.١ ٪ لمن ذكروا أن الفرنسية هي لغتهم الأم. وهذه القيم متقاربة جدا وتبين بشكل جيد الاتساق في الإحصاء الكندي من إحصاء إلى آخر، على الأقل فيما

يتعلق بمعلومات اللغة الأم. وحذر ليبرسون قراءه من أن مثل هذه النتيجة لا تثبت صحة الإحصاء، ولكنها تثبت انتظامه فقط. فمثلا، إذا كان سؤال اللغة الأم قد صيغ بشكل متحيز ونجم عنه إجابات غير صحيحة، واستخدم السؤال نفسه في كلا الإحصاءين، فإن هذا الخطأ سيظهر بشكل منتظم في كلتا المرتين. ولذا فإن البيانات ستكون منتظمة، ولكنها ليست صحيحة. ولكن وفي غياب الدليل على أخطاء متكررة، فإن النتيجة الإيجابية للتثبت بالاتساق الداخلي تضيف لصحة البيانات.

استخلاص بيانات إضافية من الإحصاءات.

ويمكن دائما بقليل من البراعة والإبداع الحصول على بيانات إحصائية من الإحصاءات التي ليست إجابات مدرجة مباشرة في الجداول. وقد أعطى ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣٧-٣٩) وليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٣٦-١٣٨) أمثلة على ذلك. وتشمل أمثلة ماكونيل حسابات مباشرة لعدد متحدثي لغة ما في دولة معينة. فمثلا، إذا كان لدينا عدد من متحدثي اللغة (س) كلغة أم وعدد من متحدثي اللغات الأخرى كلغات أم الذين تعلموا اللغة (س) كلغة ثانية، فمن الواضح أنه يمكن إيجاد العدد الكلي من متحدثي لغة (س)، وذلك بإضافة عدد متحدثي لغة (س) كلغة أم إلى عدد متحدثيها كلغة ثانية. أما أمثلة ليبرسون فهي أكثر تعقيدا بقليل. وفي أحد أمثلته، قدر نسبة متحدثي الإنجليزية كلغة أم الذين تعلموا الفرنسية، بالرغم من عدم وجود مثل هذه المعلومات مدرجة في الإحصاء الكندي. وكانت البيانات المتوفرة لديه هي:

(١) عدد أولئك الذين يتحدثون الإنجليزية كلغة أم.

(٢) عدد أولئك الذين يتحدثون الإنجليزية، ولا يتحدثون الفرنسية.

ونحصل بطرح العدد الثاني من العدد الأول على تقدير متحفظ لعدد من لغتهم

الأم هي الإنجليزية ويتحدثون الفرنسية. وعند تقسيم الناتج على العدد الأول نحصل على نسبة السكان ممن لغتهم الأم هي الإنجليزية وتعلموا الفرنسية. وحتى نرى كيف نحسب ذلك، دعنا نتخيل أن في منطقة من مدينة كويبك ٥٠٠ فرد يتحدثون الإنجليزية كلغة أم. ودعنا نفترض أيضا أن ١٩٠ من هؤلاء صرحوا أنهم يتحدثون الإنجليزية ولا يتحدثون الفرنسية. فإذا طرحنا هؤلاء من العدد الكلي لمن لغتهم الأم هي الإنجليزية (٥٠٠ - ١٩٠= ٣١٠)، نحصل على ٣١٠ فرد ممن لغتهم الأم هي الإنجليزية ويعرفون الفرنسية أيضا. وبقسمة ٣١٠ على ٥٠٠، وهو العدد الكلي لمتحدثي الإنجليزية كلغة أم، نحصل على ٠,٦٢ . (وهذا يساوي ٦٢٪)، وهي نسبة من لغتهم الأم هي الإنجليزية وقد تعلموا الفرنسية.

وطريقة أخرى أكثر مجازفة للحصول على بيانات إضافية متعلقة باللغة من تقارير الإحصاء هي استخدام ما أسماه ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٢٤ -٢٥) بـ "بيانات اللغة المحاذية". وبهذا السياق فبيانات اللغة المحاذية هي معلومات عن عضوية الجماعة العرقية، التي تتوافر لدينا عندما لا تتوافر بيانات اللغة مباشرة. فإذا كانت جماعة عرقية معينة متوحدة بما فيه الكفاية فيما يتعلق باللغة (مثلا، إذا كان ٨٠٪ منهم يتحدثون اللغة نفسها)، فإن بيانات الجماعة العرقية *"قابلة للتفسير لغويا"*. وهذا يعني أن بيانات عضوية الجماعة العرقية يمكن أن تستخدم بنسبة مقبولة من المصداقية في غياب بيانات اللغة. وبشكل مشابه، فمن الممكن افتراض أن المهاجرين من دول ذات أحادية لغوية هم متحدثون أصليون للغات السائدة في بلادهم . فمثلا ، يمكننا الافتراض بدرجة عالية من المصداقية أن المهاجرين إلى كندا من الولايات المتحدة أو أستراليا، هم متحدثون للإنجليزية (ماكونيل، ١٩٧٩م، ص ٢٥). وغني عن القول هنا أنه يجب استخدام مثل هذه البيانات غير المباشرة بحرص شديد (قارن ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧١).

الاستنتاجات.

إذا عرفت معلومات كافية عن الخلفية ، فمن الممكن أحيانا القيام ببعض الاستدلالات من بيانات الإحصاء. على سبيل المثال، قام ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣١) باقتراح استدلالي بناء على بيانات من الإحصاء السكاني التركي لعام ١٩٦٥م. فاللغة التركية هي اللغة الرسمية، ولكن هناك أقلية كبيرة من الأكراد. وبالنظر إلى التفوق السياسي والعددي لمتحدثي التركية ، فليس مستغربا أن نحو٤٠٪ من الأكراد يتحدثون التركية كلغة ثانية. ولكن من المستغرب أن نلاحظ أن ٤٠٠,٠٠٠ ممن يتحدثون التركية كلغة أم قد أدرجوا اللغة الكردية على أنها لغتهم الثانية. ومن الصعب تخيل الدافع الذي يجعل المتحدث التركي يتعلم الكردية إلا إذا كان أصلا ينتمي إلى العرقية الكردية وقد حول ولاءه اللغوي إلى التركية. وإذا كان مثل هذا الاستنتاج صحيحا، فإن هذا قد يعطي معلومات عن اتجاه التحول اللغوي وحجمه بين الأكراد في تركيا.

وقد توصل دافيدسون (١٩٦٩م، ص ١٩٤-١٩٥) إلى استنتاج مشابه من دراسته الإحصاء الهندي لعام ١٩٦١م. وقد أدرج إحصاء عام ١٩٦١م نحو ٢٢٤,٠٠٠ متحدث أصلي للغة الإنجليزية. وكان دافيدسون تواقا لمعرفة عدد الذين كانوا من الهنود الإنجليز بينهم. وقد عُدّ الهنود الإنجليز في هذا الإطار في إحصاء عام ١٩٥١م، ولكن ذلك لم يجر في إحصاء عام ١٩٦١م. وإذا افترض أن عدد السكان من الهنود الإنجليز يتزايد بنسبة متساوية مع نسبة تزايد عدد السكان الهنود بشكل عام (من الأرجح أنها تتزايد بشكل أبطأ)، فقد يبلغ عدد الهنود الإنجليز نحو ١٣٥,٠٠٠ في إحصاء عام ١٩٦١م . وإذا طرح هذا العدد من عدد متحدثي الإنجليزية كلغة أم، فإن هذا يعني أنه في عام ١٩٦١م كان هناك نحو ٨٩,٠٠٠ متحدث أصلي للإنجليزية في الهند ليسوا من الهنود الإنجليز. وهذه التفاصيل ليست ذات أهمية إلا لمن لديهم

اهتمام خاص في الدول المعنية، ولكن هذه التفاصيل توضح كيف يمكن استخدام الاستنتاج لاستخلاص معلومات إضافية من بيانات الإحصاء.

المصادر.

هناك بعض الكتب المنشورة لإحصاءات لغوية من بلدان عديدة مجمعة في مجلد واحد. فهناك في كتاب كلوس وماكونيل (١٩٧٧م) إحصاءات عن لغات العالم المكتوبة. وقد بدأ العالمان نفساهما بمشروع ضخم لجمع إحصاءات عن اللغة في سلسلة من المجلدات، سوف تشمل الكرة الأرضية بأكملها. وقد نشر المجلد الأول عن وسط وغرب جنوب آسيا (كلوس وماكونيل، ١٩٧٤م). أما الثاني عن أمريكا الشمالية فصدر في وقت كتابة هذا الكتاب. ومصدر قيم آخر هو كتاب قرايمز Grimes (١٩٧٨م). والذي يركز فيه على اللغات المحلية.

طرق المسح الأخرى

أحيانا تجرى إجراءات مسح لغوية على مقياس محلي (قومي). وتصف العديد من مساهمات أوهانساين وفرجسون وبلومي Ohannessian, Ferguson, and Polome (١٩٧٥م) أساليب ومشاكل ونتائج مثل هذه الإجراءات المسحية. وإذا قام بالمسح علماء علم اللغة الاجتماعي فمن المتوقع أن يطرأ تحسن على أسئلة اللغة عن تلك الموجودة في استبيانات الإحصاء. ولكن قد تضع الدول التي يتم فيها المسح قيودا على نوعية المعلومات المطلوبة. وقال بلومي (١٩٧٥م، ص٣٢) إنه لم يكن مسموحا، في مسح اشترك فيه في تنزانيا، السؤال عن منزلة اللغة السواحيلية كلغة قومية، كما لم تشجع الدراسات المنظمة للعاميات المحلية. وقد ينطبق العديد من المزايا والعيوب الموجودة في بيانات الإحصاء على بيانات المسح الكبيرة. وقد استخدم بندر وكوبر

وفرجسون Bender, Cooper and Ferguson (١٩٧٢م) أسلوبا ذا أهمية يسمى بـ "*عد العمليات*". وكجزء من مسح لغوي تم في أثيوبيا، قاموا بعمل مسح في السوق بالطريقة التالية:

أجري المسح السوقي في ثلاث وعشرين سوقا في ثماني بلدات... وقد اختير المساحون من بين طلاب مدرسة ثانوية محلية، وكان عملهم حساب عدد العمليات التي تمت بالسوق باستخدام اللغات المختلفة في يوم واحد. وقد اختير عدد من السلع والخدمات (مثلا، الملابس، والبصل، والملح، والخياطة)، وكانت مسؤولية كل مساح تنطوي على ملاحظة الاستخدام اللغوي في كل من هذه العناصر. ولذا، فلكل عنصر يلاحظ المساح عدد التعاملات بين البائعين والمشترين التي تمت باستخدام اللغة الأمهرية وعدد التعاملات التي تمت باستخدام لغة غالا.. إلخ. ويسمح هذا الأسلوب بالتوصل إلى تقييمات ذات مصداقية عالية للأهمية النسبية للغات المختلفة في السوق؛ لأنه قد انتقيت العناصر النموذجية للمراقبة، ولأن عدد المشاهدات كان كبيرا (بندر وكوبر وفرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٢٦).

ويتجنب مثل هذا الأسلوب الذي لا يمكن استخدامه في الإحصاء على الإطلاق مشاكل البيانات ذاتية التصريح، ويقدم وسيلة للتحقق الخارجي لبيانات المسح الأكثر تقليدية، كما أنها تقدم بيانات قيمة بحد ذاتها.

صيغ غرينبيرغ – ليبرسون

قياس التنوع اللغوي أو مدى التعددية اللغوية في المجتمع، هو العمود الفقري للتحليل الكمي للسانيات الاجتماعية للمجتمع. ومن أكثر الأساليب إتقانا لقياس التنوع اللغوي هو ذلك الذي اقترحه جوزيف جرينبيرغ Joseph Greenberg (١٩٥٦م)، والذي توسع فيه فيما بعد ستانلي ليبرسون Stanley Lieberson

(١٩٦٤م) . وسنصف الآن طريقة جرينبيرج ليرسون.

مقاييس التنوع عند غرينبيرغ

استخدم جرينبيرغ الطريقة الأساسية نفسها لتطوير ثماني صيغ مختلفة، سبع منها مقاييس للتنوع اللغوي، أما المقياس الثامن فسماه بـ "مؤشر التواصل". وكل واحد من مقاييس التنوع السبعة أكثر دقة من المقياس الذي يسبقه. وتعتبر أكثر تلك الصيغ تطورا، وهي الصيغة السابعة، أكثرها دقة، ولكنها أيضا معقدة جدا. ويكفي لأغراضنا الاطلاع على الصيغة الأولى، وهي أسهل صيغ التنوع، والصيغة الثامنة، وهي مؤشر التواصل. وهناك سببان لعدم الاهتمام بالصيغ الأكثر تطورا، وهما : أولا، إنها معقدة جدا لتقديمها في كتاب يعتبر مدخلا، والسبب الثاني هو أن هذه الصيغ تتطلب بيانات غير متوفرة عموما.

وحتى يمكن إدارة هذه المهمة، بدأ جرينبيرغ بالافتراض التالي غير الواقعي نوعا ما. فإذا كان لدينا وحدة سياسية جغرافية ما ولتكن مثلا (مدينة، مقاطعة، ولاية، أو دولة) فإن جرينبيرغ يطلب منا أن نتخيل أنه من الممكن وضع جميع المتحدثين ضمن تلك الوحدة داخل كيس ورجهم، وسحب متحدثين اثنين عشوائيا. وسنفترض أنهما يرغبان في التحدث مع بعضهما، وما نريد اكتشافه هو ما إذا كانا يشتركان في اللغة نفسها، حتى يتمكنا من ذلك. وكما رأينا، فإن مثل هذا الافتراض أكثر صلاحية في المناطق الصغيرة كالمدن منه في المناطق الأكبر، كدول بأكملها. ومنطقي أكثر الافتراض بأن المتحدثين المأخوذين عشوائيا من المدينة نفسها يرغبان حقا في التحدث مع بعضهما أكثر من رغبة متحدثين مأخوذين من الدولة بأكملها. وإذا حدث أن كان المتحدثان من أجزاء مختلفة من الدولة، فقد لا يحتاجان للتحدث مع بعضهما، وفي الحياة الواقعية فلن يهم كثيرا إذا لم يشتركا باللغة نفسها.

الدولة المتوحدة تماما.

للتوصل إلى صيغة عملية، يجب علينا أن نقبل الافتراض بأن أي متحدثين مأخوذين من وحدة جغرافية ما يرغبان أو يحتاجان للتواصل فيما بينهما بالدرجة ذاتها. ولنبين طريقة عمل ذلك، دعنا نتخيل الحالتين المتطرفتين، وهما الدولة المتوحدة تماما والدولة المتنوعة تماما. أولا، تخيل أن لدينا وحدة سياسية "كيس" فيه ١٠٠،٠٠٠ متحدث للغة (س)، ولا يوجد فيها متحدثون لأي لغة أخرى. ولحساب احتمالية سحب متحدث للغة (س)، نقسم عدد متحدثي لغة س (وهو ١٠٠،٠٠٠) على العدد الكلي للمتحدثين الموجودين في الكيس (أيضا ١٠٠،٠٠٠ متحدث). أي لدينا ١٠٠،٠٠٠ فرصة في كل ١٠٠،٠٠٠ مرة للحصول على متحدث للغة س. والكسر ١٠٠،٠٠٠/١٠٠،٠٠٠ يساوي ١، أو اليقين أننا سنحصل على متحدث للغة س. ولكننا نسحب عادة متحدثين اثنين حتى يجد المتحدث الأول أحدا يتحدث معه. وحقيقة يوجد لدينا بالطبع الآن في الكيس ٩٩،٩٩٩ متحدث فقط؛ لأننا قد سحبنا قبل ذلك متحدثا واحدا، ولكن لا أهمية للحقيقة بأن عدد المتحدثين داخل الكيس قد تنقص متحدثا واحدا عند إجراء السحب الثاني. وبافتراض أنه ما زال لدينا ١٠٠،٠٠٠ متحدث تقريبا للغة س، فإن فرص سحب متحدث آخر للمرة الثانية للغة س هي أيضا ١٠٠،٠٠٠/١٠٠،٠٠٠= ١، أو اليقين. ولحساب احتمالية سحب متحدثين يشتركان بلغة س ، فإننا نضرب احتمالية سحب متحدث أول يتحدث لغة س في احتمالية سحب متحدث ثان يتحدث لغة س. وفي هذه الحالة فإن الجواب هو ١ X ١ =١، أو ما زال يقينا، ويخبرنا هذا الحساب غير المباشر ما نعلمه منذ البداية، وهو أننا علي يقين من الحصول على متحدثين اثنين يشتركان في اللغة نفسها في دولة أحادية اللغة، ولكن طريقة الحساب سوف تكون ضرورية في الأمثلة الأقل سهولة.

الدولة المتنوعة تماما.

دعنا نأخذ الآن الحالة النقيض لما سبق، وهي الدولة المتنوعة تماما. لدينا الآن كيس فيه ١٠٠,٠٠٠ متحدث لـ ١٠٠,٠٠٠٠ لغة منفصلة، وكل متحدث يعرف لغة مختلفة (بطريقة تشابه حالة برج بابل في التوراة). وبافتراض أن لغة س هي واحدة من الـ ١٠٠,٠٠٠ لغة، وفرص الحصول على متحدث للغة س (في الواقع هو المتحدث الوحيد لهذه اللغة) في السحب الأول هي ١ من ١٠٠,٠٠٠ . وطالما سحبنا المتحدث الوحيد للغة س في المحاولة الأولى، فإن فرصنا في سحب متحدث آخر هي ١٠٠,٠٠٠/٠ أو صفر. ولذا فإن فرصنا في سحب متحدثين اثنين للغة س هي ١٠٠,٠٠٠/١ X صفر / ١٠٠,٠٠٠ = صفر. لا توجد هناك أي فرصة على الإطلاق. والآن دعنا نرى فرصنا في العثور على متحدثين اثنين يشتركان بلغة أخرى (لغة ص) من بين الـ ١٠٠,٠٠٠ لغة. وبإعادة المتحدثين الذين سحبناهما سابقا مرة أخرى إلى الكيس، فإن فرصنا في الحصول على متحدث للغة ص في المرة الأولى هي أيضا ١٠٠,٠٠٠/١ وبعد سحب المتحدث الوحيد للغة (ص) من المرة الأولى، فليس لدينا أي فرصة في سحب متحدث آخر. ولذا فاحتمالية الحصول على فردين يستطيعان التواصل باستخدام اللغة ص هي صفر . ويمكننا الاستمرار في المحاولة مع اللغات الـ ٩٩,٩٩٨ لغة المتبقية، ولكننا سنحصل تقريبا على النتيجة نفسها في كل مرة. وفرصنا في الحصول على متحدثين اثنين يستطيعان التواصل باستخدام أي لغة من لغات الدولة هي مجموع فرصنا في الحصول على متحدثين يشتركان في أي من الـ ١٠٠.٠٠٠ لغة. وفي هذه الحالة ففرصنا هي مجموع مائة ألف صفر، ولا يوجد أي فرصة على الإطلاق. ومرة أخرى، فالحساب طريقة معقدة لبيان ما نعرفه سابقا، وهو أنه ليس هناك أي فرصة للتواصل في الدولة المتنوعة تماما.

مثال جرينبرغ.

وللحصول على حالة أكثر واقعية ، دعنا نستعرض المثال الافتراضي الذي استخدمه جرينبيرغ (١٩٥٦م ، ص ١٠٩). لنفترض وجود كينونة ما فيها ثلاث لغات هي اللغة (م) (ويتحدثها ٨/١ من السكان). واللغة (ن) (ويتحدثها ٨/٣ من السكان). واللغة (و) (ويتحدثها ٢/١ من السكان). أولا ، لنتخيل الآن أننا وضعنا كل المتحدثين في كيس واحد ، ونرجهم بشكل جيد ، ومن ثم نبدأ السحب. واحتمالية سحب متحدث للغة م من المحاولة الأولى هي ١ من ٨. وهي بالضبط نسبة متحدثي لغة (م) إلى مجموع سكان الدولة. وفرصتنا في الحصول على متحدث ثان للغة (م) هي أيضا ١ من ٨ (وذلك بتجاهل حقيقة أننا قللنا العدد الكلي لمتحدثي اللغة (م) قليلا عندما سحبنا المتحدث الأول). واحتمالية سحب متحدثين اثنين للغة (م) هي ناتج حاصل ضرب الاحتمالين أو ٨/١ X ٨/١ = ٦٤/١ والنتيجة هي أن لدينا فرصة واحدة من ٦٤ فرصة للعثور على متحدثين اثنين في عينتنا يستطيعان التواصل باستخدام اللغة (م).

وبمحاولة الطريقة نفسها للغة (ن) ، فإن احتمالية سحب متحدث للغة (ن) من المرة الأولى هي ٨/٣ ، واحتمالية سحب متحدث ثان للغة (ن) هي أيضا ٨/٣ ، وبضرب هذين الاحتمالين ببعضهما، فإننا نحصل على ٨/٣ X ٨/٣ =٩/ ٦٤ أو ٩ فرص من ٦٤ فرصة في الحصول على متحدثين اثنين يستطيعان استخدام اللغة (ن) للتواصل. والنتيجة للغة (و) هي ٢/١ X ٢/١ = ٤/١. واحتمالية الحصول على أي متحدثين اثنين يستطيعان التواصل باستخدام أي لغة هو مجموع الاحتمالات الثلاثة ، أي ٦٤/١ + ٦٤/٩ + ٤/١ ، وهذا يساوي ٦٤/٢٦.

التنوع اللغوي.

وهنا، لا بد أن نتذكر أن هدفنا النهائي هو قياس التنوع اللغوي. ويعني التنوع اللغوي احتمالية أننا لو سحبنا متحدثين اثنين بشكل عشوائي، فسوف يتكلمان *لغتين مختلفتين*. ولكن هذا هو العكس تماما مما قمنا به حتى الآن. وقد يكون ممكنا حساب التنوع المعرف هكذا بطريقة مباشرة، ولكن لو أخذنا بالاعتبار الطريقة التي تأتينا بها البيانات الخام، فمن المناسب أكثر استخدام طريقة غير مباشرة نوعا ما. وطبقا لهذه الطريقة نحسب احتمالية إذا سحبنا متحدثين اثنين عشوائيا أنهما سيتكلمان اللغة نفسها تماما كما ظهر في توضيحاتنا حتى الآن. وبعد ذلك تطرح الاحتمالية من ١، وينتج عن هذا مقياس التنوع الذي نريد. وفي المثال السابق، انتهى بنا المطاف بوجود ٢٦ فرصة من ٦٤ بأن يكون المتحدثان اللذان سحبناهما عشوائيا يتكلمان اللغة نفسها. ومن الواضح أن الاحتمالية المتبقية هي احتمالية أن لا يتحدث الشخصان المسحوبان اللغة نفسها. كيف نحصل على الاحتمالية المتبقية؟ إذا كان هناك في الأساس مجموع ٦٤ من ٦٤ فرصة في المقام الأول (٦٤/٦٤=١)، ومن هذه الفرص هناك ٢٦ فرصة هي احتمالية الحصول على فردين يتحدثان اللغة نفسها، فإن (٣٨) الثماني والثلاثين فرصة المتبقية من أصل ٦٤ تمثل احتمالية سحب متحدثين يتكلمون لغات مختلفة. ورياضيا، تصبح العملية الحسابية كالتالي: ٦٤/٦٤ - ٦٤/٢٦ = ٦٤/٣٨. وبتحويل الكسر إلى ما يقابله عشريا نحصل على قيمة ٠,٥٩٤ .

وطريقة أخرى للتعامل مع هذا الأمر هو أن نفترض أن كل منطقة نحللها متنوعة كليا ما لم نستطع إثبات العكس. وهذا يعني أن نحدد القيمة ١ لكل وحدة، والتي نقصد أنها متنوعة تماما (من المؤكد أن نجد متحدثين اثنين لا يشتركان باللغة نفسها)، ومن ثم نحسب احتمالية أن نختار متحدثين اثنين يشتركان باللغة نفسها. وبطرح هذه القيمة من القيمة الكلية المفترضة للتنوع، فإن ما يتبقى لنا هو قيمة التنوع

الحقيقي لهذه الأمة، أو أي وحدة جغرافية سياسية أخرى.

دعنا نعود للحظة لمثالينا المتطرفين اللذين بدأنا بهما. فللدولة المتوحدة تماما قيمة أكيدة (أي ١) وهي أنه عند سحب متحدثين اثنين سيتكلمان اللغة نفسها. ولتحويل هذه القيمة إلى قيمة تنوع نطرحها من ١ (١-١=صفر). وقيمة التنوع صفر هي ما نريد. فالدولة المتوحدة تماما ليست متنوعة على الإطلاق. وفي الدولة المتنوعة تماما، فإن فرصنا في سحب متحدثين اثنين للغة نفسها هي صفر. وبطرح هذا من ١ في هذه الحالة، نحصل على (١-صفر=١). والقيمة ١ هي مناسبة تماما للدول المتنوعة كليا. وللحالة الثالثة قيمة تنوع هي ٠,٥٩٤ . وهنا نستطيع أن ندرك أن هذا يمثل مستوى تنوع يقع نوعا ما في منتصف المسافة بين عدم التنوع والتباين الكلي.

نص الصيغة (أ).

نستطيع بمراجعة حساباتنا مرة أخرى أن نرى أننا قد حسبنا احتمالية التواصل لكل لغة على حدة بضرب نسبة السكان الذين يتحدثون تلك اللغة بنفسها. وهذا هو المكافىء الرياضي لتربيع كل نسبة. فمثلا حاصل ضرب ٨/١ X ٨/١ هو نفسه $(٨/١)^{٢}$. ولو افترضنا أن (ن) ترمز لكل واحدة من النسب الثلاث على التوالي في المثال الثالث، فإن الاحتمالية هي مجموع تربيع كل من هذه النسب، أي $(ن)^{٢}$.
وباستخدام الرمز (?) والذي يعني "مجموع"، فمن الممكن تمثيل هذا كما يلي:

$$\sum ن^{٢} (ن)$$

ويطرح هذه الصيغة من ١ فإننا نحصل على أبسط صيغة عند غرينبيرغ، وهي الصيغة (أ) والصيغة هي:

$$أ = ١ - \sum ن^{٢} (ن)$$

افتراضات الصيغة (أ).

يفترض حساب الصيغة (أ) افتراضا غير واقعي نوعا ما، وهو أنه عند سحب متحدثين اثنين من أي مكان في وحدة جغرافية سياسية سيكون لديهما الحاجة نفسها تقريبا للتواصل مع بعضهما، وهذا الافتراض مطروح في جميع صيغ غرينبيرغ الثمانية. وهناك أيضا افتراضان غير منطقيين في الصيغة (أ) واللذان صححهما في صيغته المتطورة أكثر. فالافتراض الأول هو أن كل لغة ليست مفهومة على الإطلاق لمتحدثي لغات أخرى. وقد رأينا أن هناك لغات في براغوي والهند من الممكن فهمها بدرجات متفاوتة من قبل متحدثي لغات قريبة، وهذه الظاهرة ليست غير شائعة في العالم. والافتراض الثاني هو أنه لا يوجد متحدثون متعددو اللغات. وتفترض الصيغة (أ) ضمنيا أن كل فرد يتحدث لغة واحدة فقط. وتعكس الصيغ (ب) وحتى (ز) محاولة غرينبرغ تجنب وضع هذه الافتراضات غير المرغوب فيها. ومن الصعب جدا الحصول على البيانات المطلوبة لحساب إمكانية الفهم الجزئي بين اللغات. وتتوفر البيانات المتعلقة بالثنائية اللغوية في عدد قليل نسبيا من الإحصاءات السكانية، وحتى تلك المتوفرة هي من نوعية مشكوك في صحتها.[٧] إذا ولأجل جميع الأغراض العملية فإن الصيغة (أ) هي الصيغة الوحيدة من بين مقاييس غرينبيرج للتنوع التي يمكن استخدامها.

مؤشر التواصل.

صيغة جرينبيرغ الثامنة وهي الصيغة (ح) هي مقياس للتواصل وليست مقياسا للتنوع. وبسبب هذا فليس هناك حاجة في الصيغة (ح) للطرح من ١، وتختلف هذه الصيغة عن الصيغة (أ) بشكل آخر، فهي تتطلب وتأخذ في الاعتبار بيانات عن المتحدثين متعددي اللغات. وتحسب الصيغة (ح) بشكل أساسي كما يلي: (١) سحب

أزواج من المتحدثين عشوائيا، كما كان الحال في حساب الصيغة (أ)، و(٢) ملاحظة الأزواج الذين يمكنهم التواصل لوجود لغة واحدة مشتركة على الأقل بينهم، (٣) حساب احتمالية سحب كل من هذه الأزواج "الجيدة"، (٤) جمع هذه الاحتمالات.

وأفضل طريقة لشرح عمل الصيغة (ح) هي تطبيقها على مثال. خذ مثلا البيانات الافتراضية التالية:

في دولة ما، هناك ثلاث لغات هي (أ) و (ب) و (ج). من مجموع السكان هناك ٠,١٥. يتحدثون اللغة (أ) فقط، و ٠,٢٠ . يتحدثون اللغة (ب) فقط، و ٠,٠٥. يتحدثون اللغة (ج) فقط، و ٠,٢٥. يتحدثون اللغتين (أ) و (ب) و ٠,٣٠. يتحدثون اللغتين (ب) و (ج) و ٠,٠٥. يتحدثون اللغات (أ) و (ب) و (ج)، وليس هناك من يتحدث اللغتين (أ) و (ج) معا.

وإحدى طرق القيام بالخطوة الأولى هي إحصاء كل زوج محتمل من المتحدثين: للغتين (أ) و (أ)، (أ) و (ب)، (أ) و (ج)، (أ) مع (أ) (ب) ...إلخ. ولكن هذه طريقة مملة، ومن الأسهل جدا تحقيق النتيجة نفسها بعمل جدول.[٨] نضع على رأس كل عمود وُصف في الجدول اسم اللغة ونسبة السكان الكلية الذين يتحدثونها. ولتعبئة كل حقل في الجدول تضرب القيمة في رأس العمود بالقيمة في نهاية الصف، وينتج عن هذا احتمالية سحب متحدثين يمتلكان المقدرات اللغوية المخصصة، وذلك لأن قيمة العمود تشير إلى احتمالية سحب متحدث واحد، بينما تشير قيمة الصف إلى احتمالية سحب متحدث آخر. ويبين الجدول رقم (٢-٥) هذا. واحتمالية سحب متحدث للغة (أ) أولا واللغتين (أ)،(ب) معا، ثانيا هي ٠,٠٣٧٥ ، وهذا حاصل ضرب ٠,١٥. (احتمالية متحدث اللغة (أ) بـ ٠,٢٥. (احتمالية متحدث للغتين (أ)و (ب) معا). لاحظ أن الاحتمالات تحسب فقط إذا اشترك رأس العامود ونهاية الصف بلغة واحدة على الأقل. فمثلا، لم تكتب قيمة في الحقل الذي يدعو

لوجود متحدث اللغة (أ) فقط وللغة (ب) فقط: فهذان المتحدثان لا يستطيعان فهم بعضهما ولا يضيف سحب مثل هذا الزوج أي شيء للتواصل في تلك الكينونة. ويمكن الحصول على مؤشر التواصل بتلك الدولة بإضافة جميع القيم في الجدول رقم (٥,٢).[٩] والمجموع في مثالنا هو ٠,٨٣٥٠. وهذا يعني أن هناك فرصة تساوى ٨٣,٥٪ في أنه عند سحب متحدثين اثنين عشوائيا من تلك الدولة فإنهما سيشتركان بلغة واحدة على الأقل.

الجدول رقم (٥,٢). جدول حساب مؤشر التواصل عند جرينبيرغ (الصيغة ح).

اللغة	أ (٠,١٥)	ب (٠,٢٠)	ج (٠,٠٥)	أ،ب (٠,٢٥)	أ ج (٠,٠٠)	ب ج (٠,٣٠)	أ ب ج (٠,٠٥)
أ (٠,١٥)	٠,٠٢٢٥			٠,٠٣٧٥	٠,٠٠٠٠		٠,٠٠٧٥
ب (٠,٢٠)		٠,٠٤٠٠		٠,٠٥٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٦٠٠	٠ ٠١٠٠
ج (٠,٠٥)			٠,٠٠٢٥		٠,٠٠٠٠	٠,٠١٥٠	٠,٠٠٢٥
أب (٠,٢٥)	٠,٠٣٧٥	٠,٥٠٠٠		٠,٠٦٢٥	٠,٠٠٠٠	٠,٠٧٥٠	٠,٠١٢٥
آج (٠,٠)	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠
ب ج (٠,٣٠)	٠,٠٤٥٠	٠,٠٦٠٠	٠,٠١٥٠	٠,٠٧٥٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٩٠٠	٠ ٠١٥١
أب ج (٠,٠٥)	٠,٠٠٧٥	٠,٠١٠٠	٠,٠٠٢٥	٠,٠١٢٥	٠,٠٠٠٠	٠,٠١٥٠	٠,٠٠٢٥

مؤشر الاتصال = ٠,٨٣٥٠

وكملاحظة أخيرة على صيغة (ح) فقد يبدو من الغريب ظهور أزواج غير متشابهة من المتحدثين مرتين في الجدول رقم (٥,٢). فمثلا يظهر الزوج الذي يتكون من متحدث للغتين (أ) ومتحدث للغتين (أ) و (ب) مرة في صف اللغة (أ) وعامود اللغتين (أ) و (ب) ويظهر مرة أخرى في صف الفئتين (أ) و (ب) و عامود اللغة (أ)، ويبدو أنه من الضروري وجود أحدهما فقط. وفي الواقع فإن وجودهما معا ضروري.

ففي الحالة الأولى لدينا احتمالية وجود متحدث اللغة (أ) في السحب الأول ومتحدث اللغتين (أ) (ب) في السحب الثاني. أما في الحالة الثانية فإن متحدث اللغتين (أ) و (ب) قد سحب أولا ، ومن ثمّ سحب متحدث اللغة (أ) ومن الواجب أخذ كلا الاحتمالين بعين الاعتبار.

توسعات ليبرسون

الصيغة (ح).

وسع ستانلي ليبرسون استخدام صيغ جرينبيرغ في الفترة من عام ١٩٦٤ حتى ١٩٦٨م، وقد طرح ليبرسون ملاحظتين عامتين حول صيغ جرينبيرج. أولا ، لا يوجد أي سبب يمنع من حساب مؤشر التنوع أو التواصل لأي مجتمع يمكن تحديده، بالرغم من أن غرينبيرغ كان يتحدث فقط عن صيغة حسب المناطق الجغرافية، مثل الأمم والدول والمدن. ولا حاجة لأن تكون الجغرافية عاملا محددا على الإطلاق. فمثلا سينتج عن حساب الصيغة (ح) للرومان الكاثوليك في جميع أنحاء العالم احتمالية أن أي متحدثين اثنين انتقيا عشوائيا في أي مكان من العالم يستطيعان التواصل بلغة مشتركة. أما *ملاحظة ليبرسون الثانية الأكثر أهمية فهي أن صيغ جريبيرغ تقدم التواصل أو التنوع ضمن تجمع سكاني ما.* فهي لا تذكر أي شيء عن *التواصل بين مجتمعين في مكانين منفصلين*. ولقد استخدم ليبرسون لشرح هذه المشكلة بيانات من الجزائر في عام ١٩٤٨م. وتظهر هذه المعلومات في الجدول رقم (٥,٣)، وهي مأخوذة من جدول ليبرسون رقم ١.

الجدول رقم (٥،٣). التوزيع اللغوي للسكان في الجزائر لمن أعمارهم ١٠ سنوات فأكثر في عام ١٩٤٨م.

	العربية	البربرية	الفرنيسة والعربية	الفرنسية والعربية والبربرية	الفرنسية والبربرية	الفرنسية
مجموع السكان	٠،٦٧٦	٠،٠٩٧	٠،٠٦٤	٠،٠٤١	٠،٠٠٦	٠،١١٦
المسلمون	٠،٧٨٠	٠،١١٢	٠،٠٥٣	٠،٠٤٧	٠،٠٠٧	٠،٠٠١
الأوروبيون			٠،١٣٥	٠،٠٠٣	٠،٠٠١	٠،٨٦٠

المصدر : ليبرسون (١٩٦٨م، ص ٥٤٧).

ويظهر الحساب العادي لمؤشر الصيغة (ح) أن مؤشر التواصل في الجزائر ككل هو ٠،٦٦٩ ، وهذا رقم عالٍ نوعا ما. وهذا يعني أنه إذا اختير جزائريان عشوائيا ، فإن هناك فرصتين تقريبا من بين كل ثلاث فرص في أن يشترك المتحدثان بلغة واحدة. ولكن لا يعطي مؤشر التواصل للدولة ككل أية معلومات عن فرص التواصل المحتملة لو اختير أوروبي بشكل عشوائي أولا ، ومن ثَمّ اختير فرد مسلم. وفي مثل هذه الحالات قد يهمل المؤشر التقليدي معلومات مهمة. وباستخدام شرح ليبرسون لحالة متطرفة (١٩٦٨م، ص ٥٤٨) دعنا نفترض أن هناك دولة مكونة من جماعتين (أ) و(ب) . يتحدث جميع أفراد الجماعة (أ) اللغة (س) فقط ، بينما يتحدث أفراد الجماعة (ب) اللغة (ص) فقط. وسينتج عن حساب الصيغة (ح) لمجموع السكان مؤشر التواصل لا يقل بأي حال من الأحوال عن ٠،٥٠٠ . وقد يكون هذا المؤشر أكبر بكثير لو كان عدد أفراد إحدى الجماعتين أكبر بكثير من عدد الجماعة الأخرى. ولكن ، ستفشل الصيغة تماما في أن تشير إلى حقيقة لغوية اجتماعية ، وهي أنه لن يكون هناك أي اتصال على الإطلاق بين الجماعتين.

ومن حسن الحظ ، فقد بين ليبرسون أن من السهل تعديل الصيغة (ح) لغرينبيرغ حتى تظهر مثل هذه المعلومات. ولعمل ذلك ، نحدد أنفسنا في حالة الجزائر باختيار متحدث أوروبي وآخر مسلم ، بدلا من الاكتفاء فقط باختيار أي متحدثين من

السكان، ومن ثَمّ نلاحظ احتمالية أن يشتركا بلغة واحدة. ويمكن هنا استخدام الأسلوب الموضح بالجدول رقم (٥،٢). وبدلا من وضع نسب مجموع السكان الذين يتحدثون مزيجا من اللغات المختلفة في الأعمدة والصفوف يلزمنا القيام بشيء مختلف نوعا ما. فنضع على أحد المحاور، مثلا الأعمدة، نسب السكان المسلمين الذين يتحدثون مزيجا من اللغات المختلفة. ويعمل الشيء نفسه في الصفوف للسكان الأوروبيين (بعد حذف من يتحدثون العربية فقط والبربرية فقط من مجموع السكان؛ لأنه كما يبدو من الجدول رقم (٥،٣) لا يوجد من يتحدث تلك اللغتين فقط). وتملأ الحقول بضرب النسبة في رأس الأعمدة والصفوف المحددة، بشرط أن يكون هناك لغة مشتركة. ثم تضاف الاحتمالات الموجودة في الحقول، كما عملنا سابقا. وهذا ما يشرحه الجدول (٥،٤) باستخدام بيانات الجدول (٥،٣).[١٠] وتبين النتيجة بوضوح أن التواصل العرقي الناجح المحتمل بين الأوروبيين والمسلمين أقل بكثير مما يعكسه مؤشر التواصل للجزائر ككل.

الجدول رقم (٥،٤). جدول لحساب مؤشر التواصل الموسع لقياس التواصل العرقي المشترك داخل سكان الجزائر في عام ١٩٤٨م

	المسلمون					
الأوروبيون	العربية (٠.٧٨٠)	البربرية (.١١٢)	الفرسية والعربية (٠.٠٥٣)	الفرنسية والعربية والبربرية (٠.٠٤٧)	الفرنسية والبربرية (٠.٠٠٧)	الفرنسية (٠،٠٠١)
الفرنسية والعربية (..١٣٥)	٠.١٠٥		٠.٠٠٧	٠.٠٠٦	٠.٠٠١	٠،٠٠٠
الفرنسية والعربية والبربرية (..٠٠٣)	٠.٠٠٢	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠
الفرنسية والبربرية (٠،٠٠١)		٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠
الفرنسية (٠.٨٦٠)			٠.٠٤٦	٠.٠٤٠	٠،٠٠٦	٠.٠٠١

المجموع = ٠،٢١٤

المصدر : بيانات من ليبرسون (١٩٦٨م)

الصيغة (أ).

يمكن عمل الشيء نفسه للصيغة (أ) من صيغ غرينبيرغ للتنوع اللغوي. ومثال ليبرسون هنا مأخوذ من بيانات عن اللغة الأم لجماعة البيض الأجانب من أصل نرويجي في الولايات المتحدة عام ١٩٤٠م (ليبرسون ١٩٦٨م، ص ٥٥١) وتظهر هذه البيانات في الجدول رقم (٥.٥)، المقتبسة من جدول ليبرسون رقم (٣).

الجدول رقم (٥، ٥). توزيع اللغة الأم لجماعة البيض الأجانب من أصل نرويجي في الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٩٤٠م.

المنشأ	اللغات الأم		
	النرويجية	الإنجليزية	السويدية
أجنبي المولد	٠.٩٢٤	٠.٠٥١	٠.٠١٢
الجيل الثاني	٠.٥٠٢	٠.٤٧٧	٠.٠٠٨

المصدر : مقتبس من ليبرسون (١٩٦٨م، ص ٥٥١).

إذا رغبنا في النظر إلى التنوع اللغوي بين الأجيال، فيجب أن تغير الصيغة نوعا ما، فبدلا من

$$أ = ١ - \Sigma_{ن} (ن^{٢})$$

نستخدم

$$أ = ١ - \Sigma_{ن} (ن_{١})(ن_{٢})$$

حيث ترمز $(ن_{١})$ لنسبة الجيل ذي المولد الأجنبي الذي يتحدث لغة ما و$(ن_{٢})$ لنسبة الجيل الثاني الذي يتحدث اللغة نفسها. وبتطبيق الصيغة على البيانات الموجودة في الجدول رقم (٥.٥)، نحصل على:

$$١ - [(٠.٩٢٤)(٠.٥٠٢) + (٠.٠٥١)(٠.٤٧٧) + (٠.٠١٢)(٠.٠٠٨)] =$$

١ – ٠,٤٨٨ = ٠,٥١٢.

ويعني مقياس التنوع هذا أن هناك فرصة تزيد قليلا عن ٥٠٪ بأن لا يشترك أي فردين مختارين عشوائيا من الجيلين باللغة الأم نفسها. وبالطبع فإننا لن نكون دقيقتين لو افترضنا أن التنوع اللغوي الحقيقي بين الجيلين يرتفع إلى درجة ٠,٥١٢. فمعظم أفراد الجيل ذي المولد الأجنبي يتحدثون دون شك الإنجليزية كلغة ثانية، إن لم تكن لغتهم الأولى. ومن المحتمل أن يكون هذا أكثر صحة في مجتمع الجيل الثاني، ممن لغتهم الأم، هي النرويجية أو السويدية. وبالإضافة إلى ذلك فقد يعرف بعض أفراد مجتمع الجيل الثاني، ممن تشكل الإنجليزية لغتهم الأم، النرويجية أو السويدية كلغة ثانية. وحقيقة أن مثل هذا النوع من البيانات لم يكن متوافرا لليبرسون توضح المشكلة لصيغ جرينبيرغ المعقدة حول التنوع. وغالبا ما لا تتوافر البيانات الضرورية لرسم صورة دقيقة جدا.

معامل التواصل (مؤشر التواصل)

اقترح كو Kuo (١٩٧٩م) توسعا أكبر في أسلوب غرينبيرغ- ليبرسون، وصمم معامله للتواصل لقياس احتمال أن لغة معينة هي وسيلة للتواصل في مجتمع ما. فبينما تقيس طرق غرينبيرغ وليبرسون التنوع أو الاتصال، بغض النظر عن اللغات المستخدمة، فإن معامل كو يقيس التواصل فيما يخص لغة معينة. وقد أعطى كو الصيغة التالية (١٩٧٩م، ص ٣٢٩).

مؤشر (سك لغ) = (نس سك لغ)^٢

وترمز نس سك لغ في هذه الصيغة إلى نسبة (نس) تجمع سكاني ما (سك) يفهم لغة ما (لغ). وفي مثال كو التوضيحي يحسب معامل التواصلية للغة الإنجليزية

لمجتمع البالغين في سنغافورا لعام ١٩٧٨م بأخذ النسبة المئوية للسنغافوريين الذين يفهمون الإنجليزية (٦١,٧٪) وتحويلها إلى كسر عشري (٠,٦١٧)، ومن ثَمّ تربيعها، وهذا يعطي ٠,٣٨١ . ويعني هذا أن هناك فرصتين تقريبا من بين كل خمس فرص تفيد أن سحب متحدثين اثنين من سنغافورا سوف يستطيعان الاتصال باستخدام الإنجليزية. وقد يكون معامل الاتصال عند غرينبيرج (الصيغة ح) أكبر بسبب أنها تأخذ في الاعتبار أزواجا من المتحدثين يمكنها الاتصال بأي لغة.

وقد اقترح كو معاملا للتواصلية يمكنه قياس قيمة أي لغة تستخدم كوسيط للاتصال بين الأقليات العرقية بشكل يشبه توسع ليبرسون بصيغ جرينبيرغ الأصلية . وقد قضى ذلك الاقتراح بتعديل الصيغة لتصبح

مؤشر (سك لغ$_1$ لغ$_2$) = (نس سك لغ$_1$) (نس سك لغ$_2$)

ترمز نس (سك لغ١) في هذا الصيغة إلى نسبة الأفراد (نس) في المجموعة (سك) الذين يعرفون باللغة (لغ١)، وترمز (نس سك لغ٢) إلى أن نسبة أفراد المجموعة (سك) الذين يعرفون باللغة نفسها (لغ٢). فإذا كانت نسبة الصينيين في سنغافورا الذين يعرفون الإنجليزية ٥٦,١٪ ونسبة الهنود الذين يعرفون اللغة نفسها هي ٠,٦٧٠٪ ، فإن معامل التواصلية للغة الإنجليزية بين هاتين المجموعتين تساوي حاصل ضرب ٠,٥٦١ X ٠,٦٧٠ أو ٠,٣٧٦ يعني هذا أن هناك احتمالا يساوي ٠,٣٧٦ أن يتمكن هندي اختير عشوائيا من فهم صيني آخر في سنغافورا اختير عشوائيا أيضا باستخدام الإنجليزية (كو ١٩٧٩م، ص ٣٢٩). ومعامل كو هو مقياس مفيد لوظيفة الاتصال الموسع التي واجهناها في الفصل الثالث. ويمكن استخدامه أيضا كمقياس تقريبي لمنزلة اللغة كلغة قومية كاملة.

التطبيقات

تكمن التطبيقات النموذجية للطرق الكمية في مجال اللسانيات الاجتماعية للمجتمع في دراسة التنوع نفسه، والإبقاء على اللغة أو التحول عنها ، وفي دراسة المواقف اللغوية. وسنواجه طرقا كمية في دراسات الإبقاء والتحول والمواقف اللغوية في الفصول التالية. أما هنا فسوف نلقي الضوء على بعض الأمور الواجب تعلمها عن التنوع اللغوي باستخدام أدوات كمية. والوجوه الثلاث للتنوع التي تتناسب مع التحليل الكمي هي : (١) المسألة التطورية، (٢) والتواصلية، (٣) والثنائية اللغوية كتعويض عن التنوع.

المسألة التطورية

رأينا في الفصل الأول كيف أن جوناثن بول (١٩٧٢) قدم دليلا على أن التطور القومي يبدو مرتبطا بدرجة تنوع لغوي منخفضة. وبالرغم من حرص بول الشديد على تفسير نتائجه بتحفظ إلا أنه بدا أن هناك علاقة سببية بحيث يقوم التنوع اللغوي بإعاقة التطور القومي أو أن التطور القومي، يقلل من التنوع اللغوي. وقد فحص كل من ليبرسون وهانسن (١٩٧٤م) العلاقة بين التنوع اللغوي والمقاييس المختلفة للتطور بشكل مفصل مستخدمين أداة لذلك، وهي الصيغة (أ) لغرينبيرغ والتي تقيس التنوع. وما يقلق ليبرسون وهانسن هو إغراء الانتهاء إلى استنتاجات سببية من بيانات ثابتة. ولشرح الأمر باختصار فإن مجرد وجود علاقة بين التماثل اللغوي والتطور القومي يمكن ملاحظتها في الوقت الراهن لا يعني بالضرورة أن أحد هذه العوامل قد سبب وجود الآخر. ولتوضيح السببية لا بد من استخدام بيانات طولانية لإظهار أن انخفاض التنوع يصاحبه زيادة في التطور.

بدأ ليبرسون وهانسن (١٩٧٤م، ص ٥٢٤-٥٢٥) بتبيان أن العلاقة في الواقع

بين التنوع والتطور هي علاقة عكسية. وقد بينا ذلك بطريقة أكثر تطورا من تلك التي استخدمها بول. فقد استخدما الارتباط، وهو أحد الأساليب الإحصائية التي ذكرت في الفصل الرابع، بدلا من الاستنتاج مباشرة من الشكل البياني المشابه للشكل رقم (١.١)، والذي يعتمد على التنوع مقابل مقياس التطور. وكما نعلم فإن أساليب نقطة التقاء الارتباط تتطلب على الأقل بيانات فاصلية لصفتين مختلفتين للتجمع السكاني نفسه. واستخدم ليبرسون وهانسن معامل الصيغة (أ) كمقياس للتنوع في عدد من الأمم، ودرسا ارتباطها بالعديد من مقاييس التطور لتلك الأمم. وكان أحدها الناتج القومي الكلي لكل فرد، وهو مقياس تطور يشبه الناتج المحلي لكل فرد الذي استخدمه بول. وقد وجد ليبرسون وهانسن، باستخدام بيانات من ٧٧ دولة، أن معامل الارتباط بين (أ) والناتج القومي الكلي لكل فرد هو ر= -٠,٣٥. وهذا يعني أن الدول ذات التنوع المنخفض تميل لأن يكون لها ناتج قومي كلي مرتفع لكل فرد. وقد أظهر قياسان آخران للتطور علاقة قوية بالتنوع، وهما التحضر (ر=-٠,٥٢) والأمية (ر=٠,٤٩). وهذا يعني وجود ميول معتدلة لدى الأمم الأقل تنوعا لأن تكون أكثر تحضرا، أما الأمم المتنوعة كثيرا فتميل لأن يكون لها نسب أعلى من الأمية. وتعكس نتائج ليبرسون وهانسن بشكل أساسي العلاقة نفسها التي عكستها نتائج بول، وهي أن الدول ذات التنوع اللغوي تميل لأن تكون أقل تطورا، وأن تكون تلك الدول الأكثر تناغما لغويا أكثر تطورا.

قام ليبرسون وهانسن بالحصول على بيانات للتنوع وأكثر مقاييس التطور ارتباطا (التحضر والأمية) لثلاث وعشرين دولة أوروبية بين عامي ١٩٣٠م و١٩٦٠م في محاولة منهما لتحديد ما إذا كانت العلاقة بينهم علاقة سببية. وقد اكتشفا وجود عامل ارتباط عال جدا بين التنوع في عام ١٩٣٠م و١٩٦٠م (ر=٠,٨٨) قبل فحص مقاييس التطور. بمعنى آخر، إذا أرد المرء التنبؤ بمعرفة أي من الدول الثلاثة والعشرين

ستكون أكثر تنوعا نسبيا في عام ١٩٦٠م ، وأيها سيكون أقل تنوعا فإن أكثر البيانات فائدة هي مقاييس التنوع لعام ١٩٣٠م. ولتحديد فيما إذا كان التحضر أو الأمية مرتبطا بانخفاض التنوع خلال الأعوام الثلاثين هذه (حيث كان هناك فعلا انخفاض طفيف) لا بد من دراسة مستوي التنوع في بداية تلك الفترة. وباستخدام أسلوب معقد للارتباط المتعدد استطاع ليبرسون وهانسن تحديد أن ٩٪ من التنوع فقط في عام ١٩٦٠م الذي لم يكن متوقعا في مستويات التنوع لعام ١٩٣٠م كان سببه التحضر. أما نتائج الأمية فكانت أكثر إحباطا ، فقد أمكن شرح ٤٪ فقط من التنوع في عام ١٩٦٠م باستخدام هذا المقياس عند أخذ التنوع عام ١٩٣٠م في الاعتبار. بمعنى آخر لم يجدا ما يدعم فرضية أن الانخفاض في التنوع في هذه الدول الثلاثة والعشرين كان مرتبطا بأي من التحضر أو التعليم.

ولكنّ هناك قصورا شديدا في دراسة الثلاثين عاما ، وذلك بشكل رئيسي ، بسبب أن المدة الزمنية قصيرة جدا. وفي محاولة لتصحيح تلك المعضلة قام ليبرسون وهانسن بإجراء دراسة طولية لثماني دول أمكنهم الحصول على بيانات لها لمدد زمنية تصل لمائة عام.[١٢] وقد فشلت نتائج هذه الدراسة أيضا في بيان وجود أي ارتباط بين التطور والتنوع.

وعدم وجود دليل على العلاقة السببية بين عوامل التطور والتنوع اللغوي يضعنا أمام لغز محير. فما سبب وجود ارتباط بين مقاييس التطور كالتحضر أو الناتج القومي الكلي والتنوع في ظل غياب علاقة سببية ؟ ويبدو أن الإجابة مرتبطة بعمر الدول. فعندما تقسم الدول إلى مجموعتين ، مجموعة دول "قديمة" نالت استقلالها قبل عام ١٩٤٥م ، ومجموعة دول "حديثة" استقلت بعد عام ١٩٤٥م ، يظهر التحليل الإحصائي أن لمقاييس التطور ارتباطا بسيطا جدا بالتنوع اللغوي ، حتى في البيانات الثابتة. وقد صاغ ذلك ليبرسون وهانسن (١٩٧٤م ، ص ٥٣٧) بقولهما :

"بدا الأمر وكأن هناك مجموعتين من الدول ، تتكون المجموعة الأولى من دول ما قبل الحرب العالمية الثانية، والتي كانت بشكل عام أكثر تطورا وأقل تنوعا من المجموعة الثانية التي تضم دول ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد نشأت الارتباطات بين التنوع والتطور بسبب وجود هاتين المجموعتين المنفصلتين، ويبدو أن هناك بعض المبالغة في القول بأنه داخل كل مجموعة لا يوجد ارتباط بشكل أساسي بين الصفات التطورية والتنوع في اللغة الأم."

ومن الضروري وجود تحليل تاريخي أكثر دقة من ذلك الذي أستطيع تقديمه هنا حتى نفهم السبب الكامل وراء وجود هاتين المجموعتين من الدول. ولكن من الممكن ذكر أن الدول المستقلة حديثا غالبا ما تكون مستعمرات سابقة كان الاتحاد الإجباري وراء تنوعها اللغوي. وفي الوقت نفسه، فإن بعض الدول الأقدم هي تلك التي بدأت فيها الثورة الصناعية وكان فيها احتكار للصناعة قبل أن تنال الدول الأحدث استقلالها.(١٣)

التواصلية

استطاع كو (١٩٧٩م) استخدام معامل التواصلية عنده لبيان عدد من أنماط اللسانيات الاجتماعية المثيرة في سنغافورا وغرب ماليزيا. ويشمل التنوع اللغوي في كلتا الدولتين اللغات الست نفسها، وهي ملايي والإنجليزية والماندرينية والتاميل والهوكية والكانتونيزية. يبين الجدول رقم (٥,٦) معاملات التواصلية لهذه اللغات الست في الدولتين لعام ١٩٧٨م. تذكر أن المعامل يمثل احتمالية أن فردين من مجموع السكان يعرفان لغة معينة.

جدول رقم (٥,٦). معاملات التواصلية لست لغات في سنغافورا وغرب ماليزيا لعام ١٩٧٨م.

	ملايي	الإنجليزية	الماندرينية	التاميل	الهوكية	الكانتونيزية
سنغافورا	٠,٤٥٣	٠,٣٨١	٠,٤٠٨	٠,٠٠٤	٠,٦٠٧	٠,٣٩٩
غرب ماليزيا	٠,٧٤٦	٠,٠٨١	٠,٠٦٠	٠,٠١٣	٠,٠٨٤	٠,٠٦٦

المصدر: كو (١٩٧٩م).

الفرق واضح جدا، فباستثناء التاميل، فمستويات معامل التواصلية لجميع اللغات الست في سنغافورة كانت عالية إلى حد معقول، ويبدو أن التواصل في سنغافورا يتم بشكل رئيسي بتعلم كل جماعة عرقية لغة أو أكثر من لغات جيرانهم بدلا من أن يتعلم كل فرد لغة ثانية شائعة. وفي المقابل كانت لغة ملايي في غرب ماليزيا أقوى لغة على الإطلاق من حيث التواصلية. ومن الواضح أنها اللغة المختارة كلغة ثانية في ذلك البلد. ومن منظور قومي يبدو أنه لا توجد لغة معينة تتميز عن غيرها كلغة قومية في سنغافورا. وكانت سنغافورا في السابق تعترف بلغة ملايي كلغة قومية، بالإضافة إلى لغات ثلاث أخرى، هي الإنجليزية والماندراية والتاميل، كلغات رسمية، (كو ١٩٧٩م، ص٣٤٠، هامش ٧). وللهوكية تميز طفيف واضح بالنسبة للتواصلية، ولكنها ليست إحدى اللغات المخصصة كلغة رسمية ومؤشراتها للتواصلية بين الجماعات العرقية منخفضة جدا (كو ١٩٧٩م، ص٣٣٣). وسبب عاملها الإجمالي العالي هو أنها ذات قيمة تواصلية داخل التجمع العرقي الصيني الكبير. ومن الواضح أن ملايي تشغل وظيفة اللغة القومية في غرب ماليزيا. وهي اللغة الوحيدة كلغة قومية ورسمية، كما أن لها أعلى معامل تواصلية إجمالي في البلد.

بالإضافة إلى ذلك، فإن لها أكبر معامل تواصلية بين الجماعات العرقية.

وتعزز حقيقة أخرى عن ملايي الخلاصة بأنها تخدم الوظيفة القومية في غرب ماليزيا، وتوضح أيضا كيف أن من الواجب تفسير بيانات المسح بحذر.[١٤] وبمقارنة نتائج المسح لعامي ١٩٧٢م، و ١٩٧٨م، هناك تناقص نسبته٣٪ في عدد الأفراد الذين قالوا: إنهم يعرفون المالي. وفي الوقت نفسه هناك زيادة بنسبة ٥،٦ ٪ في عدد الناس الذين قالوا: إنهم يعرفون الإنجليزية، بينما بقيت على حالها النسب المذكورة للغات الأربع الأخرى (كو ١٩٧٩م، ص ٣٣٤). ويبدو هذا للوهلة الأولى مناقضا لفكرة أن المالي تتطور كلغة قومية. وكما أكد لنا كل من كو (١٩٧٩م، ص ٣٣٦) وبلات (١٩٧٧م، ص ٣٧٤) فإن لغة الملايي بالتأكيد أخذت في التوسع في وظيفتها القومية. وشرح كو (١٩٧٩م، ص ٣٣٦، ٣٣٧) هذه الخسارة الواضحة للغة ملايي بأنها نتيجة للنجاح في ترويج استخدام ماليزية بهاسا كلغة قومية. تذكر من النقاش الذي ورد في الفصل الثاني عن التعددية اللغوية في ماليزيا أن هناك شكلين للغة ملايي، أحدهما شكل "سوقي" ذو منزلة دنيا والآخر شكل قياسي. وقد يكون وعي الأفراد الذين ادعوا أنهم يفهمون لغة ملايي؛ لأنهم يعرفون الملايي السوقية في عام ١٩٧٢م، قد ازداد فيما يخص تقييس اللغة القومية في السنوات الست التالية، أما في عام ١٩٧٨م فإن بعض الذين يتحدثون الملايي السوقية بطلاقة كبيرة قد ذكروا أنهم لا يعرفون لغة ملايي وذلك لإدراكهم أن لديهم مصاعب في استخدام اللغة النموذجية. من هنا فإن نسبة الاختلاف في ٣٪ قد تكون نتيجة لتدني الرغبة بالاعتراف بمعرفة لغة ملايي بدلا من أي تغير في المقدرة اللغوية.

وتفسير كو يكاد يكون صحيحا بالتأكيد. فبالرغم من أن ٣٪ تبدو نسبة صغيرة إلا أنها تشكل معدلا سريعا إلى حد كبير في التحول اللغوي حسب المعايير العالمية. وقدم ليبرسون ودالتو وجونستون (١٩٧٥م) بيانات غطت فترات زمنية عن نسب

السكان الذين يتحدثون اللغة الأم لأكبر الجماعات في ٣٥ دولة. وقد كان معدل أكبر نسبة تغير سنوية هي زيادة نسبة ٠,٠٠٤١ في رومانيا في الفترة ما بين ١٩٣٠م و١٩٦٠م. وقد حدث معظم هذا التغير بين ١٩٣٠م، و ١٩٥٦م، وهي الفترة التي أجبرت فيها رومانيا على التخلي عن بعض المناطق لصالح الاتحاد السوفيتي وبلغاريا. وتشهد عادة الدولة التي تتخلى عن جزء من أراضيها زيادة في نسبة السكان المتحدثين للغة الرئيسية؛ لأن المناطق التي تضيع هي بالعادة تلك التي تسكنها أقليات لغوية. وكان معدل ثاني أكبر التغيرات السنوية هو ما بين ٠,٠٠٢٠ - ٠,٠٠٢٥ وطالما لم يشهد غرب ماليزيا أي تغير في الحدود بين ١٩٧٢م و ١٩٧٨م، فمن المتوقع ألا يزيد معدل التغير السنوي في نسبة السكان الذين يعرفون لغة ملايي عن ٠,٠٠٢٥ وتساوي نسبة ٣٪، وهي نسبة التغير خلال الست سنوات، معدل تناقص سنوي يساوي ٠,٠٠٥٠ . وهذه النسبة أكبر فعلا من الزيادة في رومانيا خلال الفترة التي شهدت تغيرا رئيسيا في الحدود. وباختصار فإن من المستبعد أن يشكل نقص ٣٪ تحولا لغويا فعليا، ولكن من الممكن تفسيرها من خلال ما ذكره كو.(١٥)

ويعطينا معامل كو للتواصلية وسيلة لتحليل اللغات القومية ولغات الاتصال الموسع. فإذا استخدمنا المعامل لمقارنة اتصالية لغة الهندي-أوردو والإنجليزية في الهند، فإن معامل الهندي -أوردو أكبر. وباستخدام بيانات خوبتشنداني (١٩٧٨م) المأخوذة من الإحصاء السكاني الهندي لعام ١٩٦١م، نجد أن للهندي -أوردو معامل تواصلية أكبر في جميع الولايات باستثناء اثنتين، هما تاميلندوا وكيرلا. وليس لأي من اللغتين معامل عالٍ جدا في هاتين الولايتين اللتين تتحدثان لغات درافيدية. ففي تاميلندوا هناك فقط فرصة واحد في ١٠٠٠ بأن نجد متحدثين اثنين للإنجليزية، واحتمالية وجود متحدثين للهندي -أوردو أقل من نصف ذلك.

الجدول رقم (٥.٧). معاملات التواصلية للهندي -أوردو والإنجليزية في ولايات الهند لعام ١٩٦١م.

الولاية	المنطقة	لغة الولاية	معامل	التواصلية
			الهندي-أردو	الإنجليزية
أندرابراديش	الجنوب	تيليقوا	٠,٠٠٨٣	٠,٠٠٠٦
كيرلا	الجنوب	ماليالم	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠١٦
ميسور	الجنوب	كانادا	٠,٠١٠٥	٠,٠٠٠٣
تاميلندوا	الجنوب	تاميل	٠,٠٠٠٥	٠,٠٠٠٦
أسام	الشرق	أساميز	٠,٠٠٤٦	٠,٠٠٠٢
أوريسا	الشرق	أورايا	٠,٠٠١٠	٠,٠٠٠٢
غرب البنغال	الشرق	بنغالي	٠,٠٠٨٠	٠,٠٠١٨
قوجارت	الغرب	قوجاراتي	٠,٠٢٥٥	٠,٠٠٠٢
مهارشترا	الغرب	ماراتي	٠,٠٢٥٥	٠,٠٠٠٧
بيهار	شمالية	هندي	٠.٣١٧٨	٠,٠٠٠٣
جامو وكشمير	شمالية	أوردو	٠,٠٠٨٩	٠,٠٠٠٠
مدهيابراديش	شمالية	هندي	٠.٧١٢٠	٠,٠٠٠١
بنجاب	شمالية	هندي	٠.٣٦١٤	٠,٠٠١٣
راجستان	شمالية	هندي	٠.١٣٣٣	٠,٠٠٠٢
أوتربراديش	شمالية	هندي	٠.٩٣٥٠	٠,٠٠٠٦
دلهي (أراضي)	شمالية	هندي	٠.٧٥١٨	٠,٠٢٤١

المصدر: بيانات من خوبتشنداني (١٩٧٨م).

ومعامل اللغة الإنجليزية في كيرلا مساو تقريبا لذلك الموجود في تاميلندوا، أما معامل الهندي -أوردو، فهو أصغر من ذلك بكثير. وفي الواقع فإن معامل الإنجليزية لا يزيد عن ٠٠١٨، . في أي من الولايات الهندية.[١٦] وأعلى معامل للهندي -أوردو خارج الولايات، التي تكون فيها الهندي أو الأوردو هي اللغة الرسمية، يكون ٠,٠٢٥٥. ويعرض الجدول رقم (٥,٧) كامل البيانات.

ويمكن أيضا حساب معاملات التواصلية بين المناطق اللغوية الأربع حسب تقسيم خوبتشنداني للهند. وسيعطي هذا فكرة عن مدى صلاحية الإنجليزية والهندي كي تعمل كلغات ربط بين منطقة وأخرى. وتدل البيانات الموجودة في الجدول رقم (٥,٨) على أن الهندي تقوم بعمل أفضل من الإنجليزية على هذا المعيار أيضا، ولكن احتمالية سحب متحدثين اثنين للهندي-أوردو، كل واحد منهما من أي منطقتين لا يتجاوز بأي حال من الأحوال فرصة واحدة من كل عشر فرص. ولا توجد أي لغة أخرى تنافس الهندي -أوردو كلغة ربط في الدولة كلها. والخلاصة التي نحن مضطرون لقبولها هي أنه لا يوجد لغة في الهند تخدم الوظيفة القومية إذا كانت التواصلية معيارها الحاسم.

وبالمقارنة نجد عند حساب معامل التواصلية للقوارني في براغوي باستخدام بيانات رونا (١٩٦٦م، ص ٢٨٤) من الإحصاء السكاني لعام ١٩٥٠م أنه يتجاوز ٠,٩٠٠٠ في إحدى عشرة ولاية من ولاياته الست عشرة. ولا ينخفض معامل التواصلية تحت ٠,٥٠٠٠ إلا في ولاية بوقيرون المتنوعة لغويا. ومعاملات الإسبانية مرتفعة أيضا بالمقارنة، فهي تتراوح ما بين ٠,١٥٨٤ و ٠,٥٠٢٧ في الولايات (ويساوي المعامل ٠,٧٠٣٠ في اسونسيون). ولأخذ فكرة عن الاتصالية بين المناطق بالنسبة للإسبانية والقوارني فقد حسبت معاملات الاتصالية بين ولايتين فيهما أقل نسبة من متحدثي القوارني ولولاية اوليمبو ومدينة اسونسيون، وهما منطقتان

إداريتان تمتاز كلاهما بأعلى نسبة من متحدثي الإسبانية. وقد وجد المعامل للقوارني بين اتابو بوقيرون، حيث أقل نسبة من متحدثي القوارني مساوية لـ ٠,٥٣٩ وكان معامل الإسبانية ٠,٠٣٦٣ . وكان معامل قوراني بين أوليمبو واسونسيون ٠,٨١٨ أما معامل الإسبانية فكان ٠,٦٣٢ وتخدم قوارني بشكل أفضل من الإسبانية وظيفة الاتصال الموسع في كلتا الحالتين السيئتين لوضع القوارني والجيدتين لوضع الإسبانية. ويؤكد معامل الاتصالية ما بينته مؤشرات أقل رسمية بأن القوارني في وضع قوي جدا كلغة قومية في براغوي.

إن معامل تواصلية عال يعتبر معيارا ضروريا، ولكنه لا يكفي بالتأكيد لتحقيق نجاح وظيفة اللغة القومية بكل ما تحمله من معنى. وقد تكون للغة المشتركة المستخدمة كلغة تجارة معامل اتصالية عال، ولكنها تفتقر إلى القوة الرمزية المطلوبة لتحقيق وظيفة اللغة القومية. كما أنه ليس من محض الصدفة أن بعض أنجح عمليات الترويج للغات قومية جديدة حدثت في تنزانيا وماليزيا وأندونيسيا حيث تم تبني وتقييس وتطوير لغات مشتركة كان لها معامل اتصالية عال من قبل.

الجدول رقم (٥٨). معاملات الاتصالية للهندي- الأوردو والإنجليزية بين المناطق اللغوية في الهند لعام ١٩٦١م.

المنطقة	معاملات التواصلية	
	الهندي –أردو	الإنجليزية
جنوب/شرق	٠,٠٠٣٩	٠,٠٠٠٩
جنوب/غرب	٠,٠٠٧٤	٠,٠٠٠٦
جنوب/شمال وسط	٠,٠٤٣٠	٠,٠٠٠٦
شرق/غرب	٠,٠٠٨٦	٠,٠٠٠٦
شرق/شمال وسط	٠,٠٤٩٢	٠,٠٠٠٧
شمال وسط/غرب	٠,٠٩٣٦	٠,٠٠٠٥

المصدر: بيانات مأخوذة من خوبتشنداني (١٩٧٨)

التعويض من خلال ثنائية اللغة

إحدى مشاكل استخدام الصيغة (أ)، أبسط معامل للتنوع، هي أنها لا تأخذ في الحسبان التعددية اللغوية، وقد صحِّح هذا الخلل في الصيغة (ح) بالإضافة إلى بعض من مقاييس غرينبيرغ للتنوع الأكثر تعقيدا وفي معامل كو للاتصالية. وقد اقترح واينرايخ Weinreich (١٩٥٧م، ص ص ٢٢٨-٢٢٩) طريقة أخرى لقياس المدى الذي تعوض فيه ثنائية اللغة عن التنوع. وقد علل واينرايخ ذلك بأن الثنائية اللغوية في كينونة ما قد تتناسب طردا مع التنوع. أي أن هناك ميولا لثنائية اللغة لأن تكون عالية حيث التنوع عاليا، وسيتحمل الناس مشقة تعلم لغات ثانية في تلك المناطق التي تحتوي أناسا كثيرين يتحدثون لغات مختلفة. وحاول دافيدسون Davidson (١٩٦٩م، ص ١٨٣-١٨٨) التحقق من فرضية واينرايخ وذلك بإعداد قائمة من الولايات الهندية ونسبة السكان الذين يتحدثون لغتين ومقياس واينرايخ للتنوع (ت) لكل منها. وكما تبين لاحقا فإن مقياس (ت) لواينرايخ مشابه للصيغة (أ) لغرينبيرغ (انظر الهامش٣). وإذا كان واينرايخ محقا فقد يتوقع المرء أن الولايات ذات التنوع الكبير ستكون نفسها ذات ثنائية لغوية عالية. وجد دافيدسون النتائج مخيبة للآمال بعض الشيء، وكان من الصعب شرح الانحرافات عن النمط المتوقع . ولم يستخدم دافيدسون طرقا إحصائية رسمية ، ولكن من السهل حساب معامل الارتباط مع نسبة الثنائية اللغوية والتنوع كمتغيرين. وكانت قيمة ر =٠,٢٨٦ وهي قيمة منخفضة بعض الشيء.[١٧]

تعامل واينرايخ مع الفرضية بإنشاء معامل ك حيث استخدم الصيغة التالية:

ك = ث /ت

حيث ترمز (ث) إلى نسبة السكان ثنائي اللغة، وترمز (ت) لمقياس للتنوع. كما حسب أيضا (ك) على أساس إحصاءات المقاطعات وليس الولايات، وهي بيانات لم

تكن متوافرة لدافيدسون في إحصاء عام ١٩٦١م (استخدم واينرايخ أرقام إحصاء عام ١٩٥١م). وجد نتائج مذهلة حقا (واينرايخ ١٩٥٧م، ص ٢٢٩). كانت قيمة (ك) في عدد كبير من المقاطعات تقترب من ١، وهذا يعني بشكل تقريبي أن ثنائية اللغة قد عوضت عن التنوع في تلك المقاطعة. علاوة على ذلك، كانت المناطق التي قلت فيها قيمة (ك) عن ١ مناطق جبلية وصحراوية، وهذا نوع من المناطق التي يصعب فيها الاتصال.

ومن الممكن الاتيان بطريقة مشابهة لطريقة قياس تعويض ثنائية اللغة للتنوع وذلك باستخدام أرقام الصيغة (أ). وكما نعلم فمعامل (أ) هو احتمالية سحب متحدثين اثنين لا يشتركان بلغة أم واحدة. ونسبة ثنائية اللغة هي نفسها كاحتمالية سحب متحدث واحد من السكان ذي ثنائية لغوية (إذا كان هناك شخصان في غرفة وكان يتحدث أحدهما لغتين فإن فرص اختيار متحدث اللغتين عشوائيا هي فرصة واحدة من فرصتين). وحتى يتم التواصل لا بد لواحد فقط من المتحدثين اللذين يختلفان في لغتهما الأم أن يكون ثنائي اللغة. ولذا، فالثنائية اللغوية تعوض بالضبط عن التنوع إذا كانت فرصة سحب متحدث ثنائي اللغة هي نفسها فرصة سحب ثنائي لغة واحدة لكل زوج من المتحدثين المختلفين لغويا. والنسبة التي نريدها هي نسبة ثنائية اللغة مقسومة بنصف مقياس التنوع للصيغة (أ). وسيكون المعامل الذي أنشأناه مساويا لـ ١ إذا كانتا متطابقتين، وهذا يعني أن فرصتنا في سحب ثنائي لغوي من السكان هي بالضبط نفسها كفرصتنا في سحب فرد واحد من زوج مختلف من المتحدثين. ومن الممكن كتابة الصيغة بالشكل التالي:

متع = ث / (أ/٢)

بشكل مطابق وأسهل كالتالي:

متع = ٢ ث /أ

حيث ترمز (متع) لمعامل التعويض وترمز (ث) لنسبة ثنائية اللغة، أما (أ) فهي قيمة معامل الصيغة (أ) . وكما اتضح لاحقا ، فإن قيمة متع دائما تكون أكبر قليلا من قيمة ك عند واينرايخ للبيانات نفسها.

(متع) مقياس غير دقيق بعض الشيء، ومن المهم فحص الطرق التي يكون فيها غير منطقي. أولا ، في الغالب فإننا نقارن بين احتمالية سحب متحدث ثنائي اللغة مع احتمالية سحب زوج من المتحدثين مختلفي اللغة. افترض أننا سحبنا مجموعة واحدة من متحدثي لغات أم مختلفة وكان كلاهما ثنائيي اللغة. بعد ذلك سحبنا زوجا آخر من المتحدثين ذي لغتين مختلفتين ولا يتحدث أي منهما أكثر من لغة واحدة. وفي الغالب هناك متحدث واحد ثنائي اللغة لكل زوج متباين، ولكنّ هناك زوجا واحدا فقط يستطيع فهم بعضهما. ثانيا، نحن نستخدم إجمالا أرقام ثنائية اللغة. وسنحصل على قيمة (متع) تساوي ١ إذا كان هناك متحدث واحد ثنائي اللغة في كل زوج مختلف اللغة من المتحدثين، سواء كان الفرد يتحدث اللغة الأخرى المقصودة أو لا. إذا كان أحد أفراد الزوج من المتحدثين يتكلم ماراثي كلغة أم ويستطيع أيضا تحدث الهندي، بينما يتحدث الفرد الآخر لغة تيليقوا فقط، فإن ثنائية اللغة للمتحدث الأول تفي بمتطلبات الإحصاء، ولكن يبقى زوج المتحدثين غير قادر على التواصل أيضا. ومن جهة أخرى، فإن افتراض الصيغة (أ) بسحب زوج من المتحدثين من أي مكان في الكينونة عادة ما يزيد من قيمة الاختلاف. فمثلا ، بتطبيق هذا على الهند ككل، فإن احتمالية تكوين زوج من موظف حكومي متوسط المستوى في دلهي ومزارع من كيرلا هي نفسها احتمالية تكوين الزوج من المزارع مع أقرب جار له. أما في الواقع، فإن زوج متحدثي اللغات المختلفة اللذين يحتاجان إلى التواصل مع بعضهما ويمارسانه فعليا، من المحتمل أن يضم هذا الزوج متحدثا واحدا على الأقل يعرف لغة الفرد الآخر. ومن السهل أيضا رؤية أن الصيغة (أ)، ومن ثَمّ معاملنا (متع)، تصبح أكثر

دقة كلما طبقت على تجمع سكاني أصغر.

والآن نحن في وضع يمكننا من الفهم بشكل أوضح لماذا تبدو النسبة المئوية لثنائية اللغة التي ذكرها خوبتشنداني (١٩٧٨م) في الهند تعويضا ضعيفا للتنوع اللغوي العالي في الهند. وكما رأينا في الفصل الأول فإن جزءا من التعليل يكمن في السيولة اللغوية في شمال الهند، ولكن هناك عاملا مهما آخر هو أننا ننظر إلى الدولة بأكملها. وقد ذكر خوبتشنداني أن نسبة ثنائية اللغة في الهند تساوي ٩,٧٪ على أساس إحصاء عام ١٩٦١م. وبعد أن حسب ليبرسون ودالتو وجونسون (١٩٧٥م ن ص ٣٧) مقياس التباين بالصيغة (أ) وجدوا معادلا يساوي ٠,٨٣٧ للهند في عام ١٩٦١م. ونجد باستخدام هذه الأرقام في صيغة تعويض ثنائية اللغة أن قيمة متع تساوي ٠,٢٣١٨ . وهذا يعني أن ثنائية اللغة لم تعوض التباين بشكل كبير في سكان الهند ككل.

وإذا استخدمنا الأرقام التي ذكرها دافيدسون للولايات الهندية، بالإضافة للإقليم الموحد في دلهي، نحصل على نتائج يعرضها الجدول رقم (٥,٩). وكان معامل تعويض ثنائية اللغة في جميع الولايات باستثناء أربع منها قريبا أو يزيد عن ١. ويشير معامل تعويض ثنائية اللغة لمعظم الولايات إلى أن ثنائية اللغة استطاعت بشكل جيد إبطال التباين. وحتى في الولايات الأربع التي لم يوجد فيها ثنائية لغوية كافية كانت قيمة متع أكبر من قيمتها للهند ككل. وقد وجد واينرايخ عندما طبق قياسه (ك)، والذي تقترب قيمته من قيمة (متع)، على إحصاءات على مستوى المقاطعات تعويضا جيدا باستثناء المقاطعات الجبلية والصحراوية. ويتضح أننا كلما اقتربنا من مستوى الاتصال اليومي فإن ثنائية اللغة تقضي تماما على التباين.

ومن جهة أخرى، وكما لاحظ واينرايخ (١٩٥٧م، ص ٢٣٠) يوجد هناك مناطق كان فيها تعويض ثنائية اللغة أكبر من ١. أي أن ثنائية اللغة كافية للتعويض عن التباين، ولكن غالبا بنسبة ضئيلة.[١٨] بمعنى آخر فإن الناس عامة يتكلمون لغتين

لأغراض الاتصال فقط، وليس لأسباب رمزية أو قومية. وكما وصف ذلك واينرايخ (١٩٥٧م، ص ٢٣٠)" من الممكن وجود قيم عالية لـ (ك) في دول تطور فيها الحس القومي بشكل كبير".

الجدول رقم (٥،٩). التباين وثنائية اللغة، وتعويض ثنائية اللغة في ولايات الهند ودلهي لعام ١٩٦١م.

الولاية	أ	ث	متع
دلهي (أراض اتحادية)	٠.٠٣٩٦	٠.٢٤١١	١٢.١٧٦٨
بنجاب	٠.٠١٩٩	٠،١٠٠٢	١٠.٠٧٠٤
أتربراديش	٠.٠٥٩١	٠.٠٤٤٢	١.٤٩٥٨
كيرلا	٠.٠٧٨٤	٠.٠٥٦٨	١.٤٤٩٠
تاميلنداو	٠.٢٢٥٦	٠.١٥٦١	١.٣٨٣٩
ميسور	٠،٣٦٠٠	٠،٢٢٠٢	١،٢٢٣٣
مدهايابراديش	٠،١٣٥١	٠.٠٨١٥	١،٢٢٣٣
ماهراشترا	٠،٢٦٠٤	٠.١٥١٠	١.١٥٩٨
بيهار	٠.١٣٥١	٠،٠٧٣١	١.٠٨٢٢
أندهارابراديش	٠.٢٠٧٩	٠،١٠٩٤	١.٠٥٢٤
أسام	٠.٤٠٧١	٠،٢٠٧٣	١.٠١٨٤
قوجرات	٠،١٣٥١	٠.٠٦٤٣	٠.٩٥١٩
أوريسا	٠،٢٤٣١	٠.٠٨٧١	٠،٧١٦٦
غرب البنغال	٠،٣٩١٦	٠.٠٨٥٤	٠،٤٣٦٢
جامو وكشمير	٠،٥٢٣٩	٠،١٠٣٠	٠.٣٩٣٦
راجستان	٠.١٥٣٦	٠.٠٢٥٣	٠،٣٢٩٤

حيث: أ: معامل الصيغة، ث: ثنائية اللغة، متع: معامل التعويض.

المصدر: بيانات من دافيدسون (١٩٦٩م)

ومن الممكن أن يخدم مقياس تعويض ثنائية اللغة في الدول ذات التنوع اللغوي الكبير كطريقة لتحديد مدى إمكانية حل مشاكل التباين بثنائية اللغة. كما أنه قد يكون لدينا دليل على أن اللغة تخدم وظيفة رمزية في القومية عندما تكون قيمة (متع) أكبر من ١. ويتناسب استخدام هذا المقياس بشكل أفضل مع الدول ذات التنوع اللغوي التي قد تطور حديثا الحس القومي فيها والتي يجب فيها تعلم اللغة القومية كلغة ثانية أكثر من الدول التي تكون فيها اللغة القومية هي اللغة الأم لمعظم السكان. وبراغوي هي مثال على النوع الأخير من الدول. فهي تمتلك في الواقع قيمة عالية لـ (متع) (أكبر من ٩)، ولكن هذا يظهر اكتسابا كبيرا للغة الرسمية (أو على الأقل الاكتساب المصرح به) أكثر من إظهار تعلم اللغة القومية كلغة ثانية.

خلاصة

يستفيد علم اللغة الاجتماعي للمجتمع من تطبيق الطرق الكمية، وكذلك من التحليل النوعي. وتأتي البيانات الرقمية المطلوبة للتحليل الكمي الكبير من مشاريع المسح الرئيسية، وغالبا ما تكون إحصاءات سكانية حكومية تقام كل عشرة أعوام. وبالرغم من وجود مشاكل كثيرة بجمع هذه البيانات والتعامل معها، التي قد تنجم بشكل خاص عن تقلبات الناس في إدلاء المعلومات، فإن الإحصاء وبيانات المسح الأخرى قيمة جدا. وتزداد قيمتها عندما يتعامل معها الفرد بحرص وعندما يتأكد من صدقها ما أمكن ويستخلص معلومات إضافية منها بطرق تحليلية إبداعية واستنتاجية.

وطرق حساب معاملي التنوع والتواصل عند جرينبيرغ ليبرسون هي أكثر الأدوات تطورا لقياس التعددية اللغوية في المجتمع أثناء توافر التواصل، وقد زادت قيمتها "بمعامل التواصلية" عند كو. ومن الممكن تعديل معاملات جرينبيرغ -ليبرسون لتأخذ بالاعتبار التعددية اللغوية والفهم الجزئي بين متحدثي اللغات، ولكن في

الغالب لا تتوافر بيانات تتطلبها هذه التعديلات. ويجعل افتراض السحب العشوائي لمتحدثين اثنين من أي مكان في المجتمع الذي يُدرس صيغ جريبيرغ-ليبرسون أقل واقعية عندما تطبق على تجمعات سكانية كبيرة كدول بأكملها أكثر منها عندما تطبق على مناطق وأراض تتبعها. وشُرح استخدام الطرق الكمية المبنية على صيغ التباين بتطبيقها على مسألة العلاقة بين التباين والتطور القومي، والتقييم الإحصائي لاتصالية اللغات في الدول باستخدام طريقة كو، وبدراسة تعويض ثنائية اللغة للتباين اللغوي. وسنرى استخداما إضافيا للطرق الكمية في الفصول التي تناقش المواقف اللغوية والإبقاء والتحول اللغويين.

هوامش لمراجع إضافية

بالإضافة إلى الدراسات التي استشهد بها في هذا الفصل هناك عدد من الدراسات الحديثة الأخرى التي استخدمت تحاليل كمية لبيانات إحصاء السكان أو بيانات المسح. وذكر ب. كاتشرو B. Kachru (١٩٧٧) وتومبسون بعض المشاكل التي واجهوها في بيانات الإحصاء عند استخدامها وتقييمها. وقد استخدم ميزل (١٩٧٨) وفالي و دي فرايز de Vries and Vallee (١٩٧٨م) إحصاء التعداد لتحليل مسائل لغوية في المجتمع الكندي. وشرح لي بيج Le Page (١٩٧٢) ولي بيج وآخرون Le Page et al (١٩٧٤م) ما يمكن عمله بالبيانات المأخوذة من بيانات مسح على نطاق ضيق. وتوجد أمثلة أخرى في ما كتبه أوهانسيون وفرجسون وبولومي Ohannessian, Ferguson, and Polome (١٩٧٥م).

هوامش

(١) ترعى الحكومات أحيانا أعمال المسح اللغوي خارج عملية الإحصاء العادية. ومن أبرز هذه الأعمال المسحية المسح اللغوي التذكاري في الهند الذي قام به السير جورج جريريسون Sir George Grierson في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وأعمال المسح اللغوي الحديثة التي قام بها أوهانسيون وفرجسون وبولومي (١٩٧٥) في إفريقيا الشرقية.

(٢) لاحظ أن الإنجليزية عوملت بهذا الشكل قبل الاستقلال وبعده. وكما ذكر واينرايخ (١٩٧٥ م ، ص ٢٣١) "فمن العجب أن السياسة القومية والإمبريالية قد عملت مع بعضها في التعامل بانحياز مع اللغة الإنجليزية في الإحصاء".

(٣) أورد واينرايخ مقياسه -ت للتباين لترفينلروم. تشبه طريقة واينرايخ لطرق غرينبيرغ ولمعامل (أ) لغرينبيرغ في إمكانية اشتقاقها من ت باستخدام الصيغة أ=ت (٢-ت).

(٤) عندما نشأت الولايات اللغوية الهندية قسمت تريفنلروم بناء على معايير لغوية إلى جزئين يتبع كل منهما ولاية مختلفة.

(٥) التحقق الخارجي والاتساق الداخلي في الواقع حالات خاصة للصلاحية والمصداقية على التوالي. وقد قدمت مفاهيم الصلاحية والمصداقية في الفصل الرابع عند مناقشة أدوات القياس.

(٦) كانت البيانات الخاصة الحديثة المتعلقة بالتسجيل بالمدارس التي توافرت لليبرسون في ذلك الوقت هي الخاصة بعام ١٩٥٧ -١٩٥٨م. واستخدم طريقة الاستيفاء الخطي بين إحصاء عامي ١٩٥١و ١٩٦١م حتى يحصل على أرقام إحصاء مشابه.

(٧) إن نـدرة أرقـام الثنائيـة اللغويـة في الإحصـاءات هـي تقريبـا مشـكلة دوليـة. والبيانات التي من النوع التـالي تعتبر شائعة جدا "لقد علمنا أن من الصعب جدا الحصول على أرقام تخص اللغة الأم دون تمني الحصول على امتياز أرقـام ثنائيـة اللغـة" (مـاكونيل McConnell ١٩٧٩م، ص ٣٦)". "إن اللغـوي ... محظوظ جدا لو حصل على أي معلومات عـن الثنائية اللغوية على الإطلاق (دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٧٨)"، "وكما يبدو غريبا فإن الإحصـاءات عـن الثنائية اللغوية نادرة جدا علـى الإطـلاق؛ لأن معظـم الـدول تقـدم أرقـام إحصاء لبعض الجماعات فقط (واينرايخ ١٩٥٧م، ص ٢٠٣).

(٨) أنا مدين لطالبي السـابق والي ج. استور Wally G. Astor الـذي طور هـذه الطريقة وأخبرني عنها.

(٩) طالما أن ليس هناك ثنائي لغوي بلغـتي (أ) و (ج)، فـإن العمـود والصـف المخصص للغتين (أ) و (ج) خاليان أو تحوى أصفارا. وكان من الممكن حذف عمود وصف اللغتين (أ) و (ج) من الجدول.

(١٠) يعني الحقل الخالي (الفارغ) في الجدول رقم (٥,٤) أنه ليس هناك لغة مشتركة. وتعني قيمة (. . ., .) أن هنـاك لغـة واحـدة مشـتركة علـى الأقـل، ولكـن الاحتماليـة ضئيلـة جـدا حتـى تصبـح (٠٠٠, ٠) عندمـا تؤخـذ لثـلاث مواقـع عشرية.

(١١) ذُكر بحث فيشمن (١٩٦٨م، ج) المتعلق بـالموضوع نفسه في الفصـل الأول، واستخدم كمثال على اختيار مربع كاي في الفصل الرابع.

(١٢) كـانت الـدول الثمـاني هـي بلغاريـا وكنـدا وفلنـده وهنغاريـا والـهنـد وسويسـرا وتركيا والاتحاد السوفيتي.

(١٣) من الممكن القول أيضا بأن الدول النامية (غالبـا مـا تكـون "قديمـة") فيـها أيضـا

احتكار لتعريف "التطور".

(١٤) أتت بيانات كو من أعمال مسح أجرتها مؤسسات بحث تجارية (كو ١٩٧٩م، ٣٣٠).

(١٥) يلزم أيضا تفسير الازدياد الكبير في استخدام الإنجليزية. فهل يمكن أن تكون صورة مطابقة للتفسير الذي قدمناه عن ملايي ؟ بما أن هناك أشكالا نموذجية وعامية للإنجليزية فمن الممكن أن يكون عدم تأكيد الإنجليزية في ماليزيا قد جعل الناس أكثر رغبة بالقول بأنهم يعرفون الإنجليزية على أساس معرفتهم العامية الإنجليزية فقط.

(١٦) معامل الاتصالية للغة الإنجليزية في دلهي (الإقليم المتحد) مرتفع، ولكنه لا يقارن بمعامل الهندي -أوردو.

(١٧) حولت ت عند واينرايخ إلى قيمة (أ) قبل حساب معامل الارتباط. وحتى قيمة سبيرمان (هـ) للارتباط بين الفرق الرتبي كانت ٣٧٠. . فقط.

(١٨) دلهي والبنجاب هما الاستثناء. وقد سعى دافيدسون (١٩٦٩م، ص ١٨٨) تفسير ذلك بحقيقة أنهما موجودتان في مناطق متقدمة جدا اقتصاديا من البلاد، وأن معدل التعليم في دلهي أعلى من المتوسط.

الأهداف

١ - أن يستطيع تمييز أسئلة اللغة في إحصاءات وافتراضية كالتالي (أ) اللغة الأم، (٢) الاستخدام، (٣) المقدرة.

٢ - أن يستطيع الحكم فيما إذا كانت صياغة السؤال التي تقود للحصول على النوع نفسه من المعلومات (كاللغات التي يعرفها الفرد) قد تؤثر على البيانات المبنية عليها.

٣ - إذا فهمنا أن الاستجابة للأسئلة المتعلقة باللغة لا تؤخذ دائما كما تبدو ظاهريا، فمن الممكن استنتاج مصدر الخطأ. وكمثال على ذلك، يكون قادرا على معرفة مصدر الخطأ في بيانات متحدثي الإسبانية أو القوارني في براغوي (هل يحتمل أن يكون الرقم عاليا جدا أو منخفضا جدا).

٤ - أن يكون قادرا على تحديد ما إذا كانت المشكلة بسبب (١) الجغرافية الطبيعية أو الحدود الجغرافية السياسية إذا أعطى مثالا يحوي بيانات مشكوكا فيها بسبب الجغرافية مأخوذة من إحصاء وطني.

٥ - أن يستطيع تحديد السمات الرئيسية الثلاث لبيانات الإحصاء التي تشجع استخدامها بغض النظر عن المشاكل الموجودة فيها.

٦ - أن يستطيع التمييز بين تعريف التحقق الخارجي وتعريف الاتساق الداخلي.

٧ - بعد إعطاء أرقام مشابهة لتلك المذكورة في المثال المفترض لمدينة كوبيك (ص ١٢٢)، أن يكون قادرا على تحديد عدد (وليس نسبة) متحدثي لغة ما الذين تعلموا لغة أخرى، بالطريقة نفسها التي يعطي فيها المثال المذكور في النص أعداد متحدثي الإنجليزية الذين تعلموا الفرنسية.

٨ - أن يكون قادرا على تمييز "الافتراض غير الواقعي إلى حد ما" الذي طرح في صيغ جرينبيرغ عن التباين.

٩ - بعد إعطاء نسبة جميع السكان من وحدة جغرافية سياسية معينة تتحدث لغة (س)، أن يميز كيف يمكن تحديد نسبة السحب العشوائي لمتحدث للغة (س).

١٠ - أن يميز سبب طرح الصيغة (أ) من الرقم ١.

١١ - أن يستطيع شرح لماذا تفرض الاحتمالية $(١/٨)^٢$ وجود متحدثين اثنين يستطيعان التواصل باستخدام اللغة (أ) في مجتمع يكون فيه ١/٨ من السكان يتحدثون اللغة (أ).

١٢- أن يعرف معنى المصطلح ن (ن)$^{٢}\Sigma$ في الصيغة (أ).

١٣- أن يعرف الإجابة الصحيحة لتطبيق الصيغة (أ) على مثال بسيط.

١٤- أن يذكر طريقة أخرى تختلف فيها الصيغة (ح) عن الصيغة (أ)، بالإضافة إلى كونها مقياسا للاتصال وليس التباين.

١٥- أن يعرف العبارة التي تفسر القول بأن قيمة الصيغة (ح) هي ٣٤٦١,.. أو ٧٦٣٩,..

١٦- أن يستطيع معرفة الإجابة الصحيحة لمثال بسيط على توسع ليبرسون في الصيغة (ح) . ولتحقيق هذا الهدف يجب أن تبين أنك تستطيع استخدام جدول مشابه للجدول رقم (٥,٤) فعلى سبيل المثال: إذا كان هناك مجتمع فيه جماعتان عرقيتان ١ ، ٢ ، وثلاث لغات أ، ب، ج، وتستخدم المجموعتان اللغات الثلاث كما هو مدرج في الجدول (أ).

جدول (أ) بيانات للاستخدام كمثال على الهدف ١٦

	أ	ب	أب	أج	ب ج
المجموعة ١	١٠/٧	-	١٠/١	١٠/٢	-
المجموعة ٢	-	١٠/٥	١٠/٢	-	١٠/٣

اعمل جدولا يبين احتمالية المعامل الصحيح للتواصل (ح) بين المجموعة ١ ، ١٠٠/٦٦,٢ أو ١٠٠/٣٤ أو صفر .

الحل :

الخطوة ١ : سم المحاور على الجدول ، المجموعة ١ على محور والمجموعة ٢ على المحور الآخر.

الخطوة ٢ : احسب احتمالات التواصل بناء على الدمج بمختلف اللغات بضرب النسبة في رأس كل عامود بالنسبة في نهاية كل صف ، شريطة أن يكون هناك لغة مشتركة واحدة على الأقل. والنتيجة ستظهر كما في الجدول ب.

جدول ب : جدول لحساب معامل التواصل للمثال في الهدف ١٦

المجموعة ٢	المجموعة ١		
	أ (١٠/٧)	أ ب (١٠/١)	أ ج (١٠/٢)
ب (١٠/٥)	-	١٠٠/٥	-
أ ب (١٠/٢)	١٠٠/١٤	١٠٠/٢	١٠٠/٤
ب ج (١٠/٣)	-	١٠٠/٣	١٠٠/٦

الخطوة ٣: اجمع النسب في الجدول، والناتج هو ١٠٠/٣٤

الخطوة ٤ : اختر الإجابة الصحيحة من الخيارات المعطاة.

١٧- أن يستطيع التعرف على العبارة الصحيحة لما يقيسه معامل كو للتواصلية.

١٨- أن يعرف ما تبينه الدراسة الارتباطية لليبرسون وهانسن حول العلاقة بين التباين المقاس بالصيغة (أ) والتطور.

١٩- أن يعرف الأنماط العامة لمعاملات التواصلية في سنغافورا وغرب ماليزيا، وأهميتها لمنزلة اللغة القومية في كل دولة.

٢٠- أن يلاحظ ما تقوده خلاصة التحليل لمعاملات الاتصالية للهندي -أوردو والإنجليزية في الهند.

٢١- أن يذكر ما تقيسه القيمة متع عند فاسولد.

٢٢ - أن يلاحظ أهمية الحقيقة بأن قيمة متع أعلى في الهند على مستوى الولاية أو المقاطعة منها على المستوى الوطني.

الفصل السادس

المواقف اللغوية

المواقف اللغوية: ما هي أسبابها؟ وما هي ماهيتها؟

يركز هذا الكتاب في الجزء الأكبر من مقدمته على موضوع المجتمع بأسره. ولكن المجتمعات تتألف من أفراد، ويتجلى جل ما يفعله الناس باللغة في مجتمعهم عندما يتحدث فرد مع فرد آخر. سيتركز الحديث في هذا الفصل وكذلك في الفصل التالي (السابع) على الأفراد وما يفعلونه باللغة في مجتمعهم. وسنهتم بشكل خاص بطرق علم الاجتماع ونظرياته التي لم يسبق أن تطرقنا إليها، وبالتحديد سنتناول علم النفس الاجتماعي. من بين المواضيع التي وجدها علماء النفس الاجتماعي مفيدة للدراسة موضوع المواقف اللغوية.

وتبدأ دراسة المواقف بشكلٍ عام بقرار يتعلق بنظريتين متنافستين حول طبيعة المواقف اللغوية. ترتكز معظم الأبحاث المتعلقة بموضوع المواقف اللغوية على تصور ذهني للموقف كحالة مهيأة تعتبر متغيرا يتداخل بين منبه خارجي يؤثر على شخص ما، وبين استجابة الشخص لذلك المنبه (أغيس وفيشمن ١٩٧٠، ص ١٣٨ ؛ كوبر وفيشمن ١٩٧٤، ص ٧). وبناء على وجهة النظر هذه، يمكن القول إن موقف الشخص يجعله مستعدا (مهيأ) ليستجيب لمنبه ما بطريقة ما غير سواها. يقدم وليامز (١٩٧٤، ص ٢١) تعريفا فكريا نموذجيا حول معنى الموقف بقوله: "يعتبر الموقف حالة داخلية يثيرها منبه خارجي من نوع ما قد يؤدي إلى استجابة الكائن الحي اللاحقة". لكن وجهة النظر هذه تسبب بعض المشاكل للطريقة التجريبية، وذلك لأنه

إذا اعتبرنا أن الموقف هو حالة مهيأة داخلية بدلا من كونه استجابة ظاهرة للعيان، فعلينا إما أن نعتمد على تقارير الأشخاص حول ماهية مواقفهم وإما أن نستنتج هذه المواقف بشكل غير مباشر من نماذج التصرف. وكما نعلم فإن المعطيات المستقاة من التقارير الشخصية غالبا ما تكون ذا مصداقية مشكوك بصحتها، والاستنتاجات المستخلصة من سلوك الأشخاص غالبا ما تذهب بالباحث بعيدا بعض الشيء عن ما قد لاحظه بالفعل. وحدث فعلا أن جزءا كبيرا من الجهود التي بذلت في مجال بحث المواقف اللغوية جنحت لاستنباط تجارب بارعة صمِّمت أصلا لإظهار المواقف، دون علم الخاضعين للتجربة بهذه العملية.

أما الرؤية الأخرى للمواقف فهي *الرؤية السلوكية*. وطبقا لهذه النظرية، فإن المواقف تكمن ببساطة في الاستجابات التي تصدر عن الأفراد تجاه الحالات الاجتماعية. وهذه الرؤية تجعل من الأيسر إجراء البحوث حيث إنها لا تحتاج إلى تقارير ذاتية أو استنتاجات غير مباشرة. فمن الضروري فقط ملاحظة السلوك الظاهر للعيان وجدولته وتحليله. لكن المواقف من هذا النوع لن تكون جذابة تماما كما لو عرِّفت بناءً على أسس النظرية الذهنية؛ لأنه حسب رأي أجيسي وفيشمان(١٩٧٠، ص ١٣٨) لا يمكن استخدامها للتنبؤ بالسلوكيات الأخرى. ومع ذلك، لا يمكن بالتأكيد استبعاد المنهج السلوكي المباشر الذي تعتبر فيه المواقف نوعا واحدا من الاستجابة لمنبه خارجي.

وهناك مسألة أخرى تبرز عند دراسة المواقف، وهي فيما إذا كان لهذه المواقف مكونات فرعية يمكن التعرف إليها. وبشكلٍ عام، يمكن القول إن علماء النفس الاجتماعيين الذين يقبلون التعريف السلوكي ينظرون إلى المواقف على أنها وحدات مستقلة. وعادة ما يعتبر أنصار المذهب العقلاني أن للمواقف أجزاء فرعية مثل العنصر الإدراكي (المعرفة) والعنصر الوجداني (الإحساس) والعنصر النزوعي (الإرادي)

(أجيسي وفيشمن ١٩٧٠، ص ١٣٩، كوبر وفيشمن ١٩٧٤، ص ٧). وقد قام عدد من العلماء بصياغة نماذج معقدة نسبيا للعناصر المكونة للموقف، ولكننا لن ندخل في تفاصيل هذه الأمور هنا (راجع أغيسي وفيشمن ١٩٧٠، ص ١٤٠).

ويكمن اهتمامنا بالطبع بالمواقف اللغوية، وليس المواقف بشكل عام. فالمواقف اللغوية تختلف عن المواقف الأخرى في أنها تتعلق تحديدا باللغة. إن بعض دراسات المواقف اللغوية تقتصر بصورة صارمة على المواقف نحو اللغة ذاتها. ويسأل أفراد العينة (الراوية) عما إذا كانوا يعتبرون ضربا لغويا ما "غنيا" أم "ضعيفا"، "جميلا" أم "قبيحا"، أيبدو "ناعما" أم "فظا"، أو ما شابه ذلك. غير أنه في معظم الأحيان يتسع تعريف المواقف اللغوية ليشمل المواقف تجاه المتحدثين بلهجة أو لغة معينة. وهناك توسيع أكبر لتعريف المواقف يسمح بالتعامل مع كافة أنواع السلوك الخاص باللغة، بما في ذلك المواقف نحو الإبقاء على اللغة وجهود التخطيط لذلك. والبحث الذي سنلخصه في هذا الفصل يعالج المواقف اللغوية من وجهة نظر وسيطة، بما في ذلك المواقف تجاه متحدثي الضروب اللغوية المختلفة، وليس اللغة ذاتها فحسب.

وإذا ثبت أن *المفهوم الذهني* للمواقف اللغوية كان صحيحا، فإننا إذا عرفنا عندها مواقف الفرد سنكون قادرين على التنبؤ بسلوكه الخاص تجاه هذه المواقف بدرجة كبيرة من الدقة. وقد ذكر كوبر وفيشمان (١٩٧٤، ص ٥) عدة ظواهر تتأثر بالمواقف اللغوية. إن تغير الصوت أثناء الكلام يتأثر بما يفضله المجتمع اللغوي (الجماعة اللغوية) (بيلي ١٩٧٣) ويتوقف أحد تعاريف "المجتمع اللغوي" على المواقف اللغوية الجماعية (لابوف ١٩٦٦).[1] فالمواقف تجاه اللغة غالبا ما تكون انعكاسا للمواقف تجاه أفراد الجماعات العرقية المختلفة. هناك بعض الأدلة على أن المواقف اللغوية يمكن أن تؤثر على طريقة تعامل الأساتذة مع طلبتهم (فرنلر ولامبرت ١٩٧٣؛ سليفمان وتكر ولامبرت ١٩٧٢)، وعمل فريدريك وليامز ورفاقه (مثلا وليامز ١٩٧٤)

وخدمات الموظفين (ري ١٩٧٧). وأدلة أخرى تشير إلى أن المواقف تؤثر على تعلم اللغة الثانية (مثال على ذلك ما ذكر لامبرت وآخرون عام ١٩٦٨م). بل قد يبدو من المعتاد أن يكون للمواقف اللغوية أثر على مدى فهم ضرب لغوي ما (وولف ١٩٥٩). فإذا كان لدينا ضربان لغويان مرتبطان بشكلٍ وثيق، فإن متحدثي اللغة ذات المنزلة الأعلى قد لا يكونون قادرين على فهم اللغة الأخرى، ولكن يمكن أن يفهمهم متحدثو اللغة ذات المنزلة الأدنى. وإذا كانت هذه الارتباطات بين المواقف والظواهر الاجتماعية الأخرى حقيقية، فإن للدراسة المواقف اللغوية مكانا مهما في علم اللغويات الاجتماعية.

مناهج بحث المواقف اللغوية

المنهج المباشر وغير المباشر

قد تكون مناهج تحديد المواقف نحو اللغة مباشرة أو غير مباشرة. ويتطلب المنهج المباشر بشكل كامل من أفراد العينة أن يستجيبوا لاستبيان أو أسئلة مقابلة تسألهم ببساطة عن آرائهم حول لغة ما أو أخرى. أما منهج البحث غير المباشر بصورة كاملة فمصمم لترك (أفراد العينة) في جهل تام حول حقيقة أن مواقفهم اللغوية هي التي ستكون قيد البحث. وأحد الأمثلة على هذا النوع من المناهج وصفه كوبر وفيشمن (١٩٧٤م، ص ص ١٦-١٧). وكان كوبر وفيشمن مهتمين باختبار الفرضية القائلة بأن المواقف نحو اللغة العبرية في إسرائيل تجعلها أكثر فعالية كلغة للمناقشات العلمية، أما اللغة العربية من ناحية أخرى، فستكون أكثر فعالية في نقل الحوارات الإسلامية التقليدية. ولاختبار هذه الفرضية، طلب من مجموعة من البالغين المسلمين الذين يتحدثون لغتين، هما العربية والعبرية، أن يستمعوا إلى أربعة مقاطع مدة كل واحد منها دقيقة واحدة مسجلة بصوت متحدث طلق في كلتا اللغتين.

ويشجب أحد المقاطع مضار التبغ ويقدم دليلا علميا مؤيدا لهذا الموقف. وقد سجلت هذه الفقرة مرة واحدة بكل لغة. أما المقطع الثاني، وهو مسجل أيضا مرة واحدة في كل لغة، فقدم مناقشة ضد تعاطي المشروبات الكحولية، واستخدم حججا إسلامية لتأييد ذلك. وقسِّم المستجيبون إلى مجموعتين: إحداهما استمعت إلى مقطع التبغ باللغة العبرية ومقطع المشروبات الكحولية باللغة العربية، أما المجموعة الأخرى، فقد استمعت إلى مزيج معاكس، وطلب من المستمعين (أفراد العينة) أن يبدوا آراءهم فيما إذا كانوا يؤيدون فرض ضرائب إضافية على التبغ أو المشروبات الكحولية لتشجيع عدم استخدامها.

وكانت الاختلافات مذهلة حيث ذكر الأفراد الذين استمعوا إلى المقطع العلمي عن التبغ باللغة العبرية أنهم يؤيدون زيادة الضرائب على التبغ بنسبة ٢ إلى ١ أكثر من الذين سمعوا المناقشة نفسها، ولكن باللغة العربية. وقد حُصل على نتائج معاكسة في حالة الحوار التقليدي والحجج التي تناهض تعاطي المشروبات الكحولية حيث أجاب ضعف عدد أفراد العينة الذين استمعوا إلى الحجة باللغة العربية بأنهم يؤيدون فرض زيادة في الضرائب، وذلك أكثر من الذين استمعوا إلى هذه الحجة باللغة العبرية. وأيَّدت الفرضية، ولكن أفراد العينة لم يعلموا على الإطلاق أن مواقفهم اللغوية هي التي كانت قيد البحث، حيث كان تركيزهم موجها نحو مسائل مضار التبغ والكحوليات.

أسلوب الأداء المقارن

هناك منهج تجريبي أصبح بالفعل معترفا به كنموذج في بحوث المواقف اللغوية، سواء في صيغتها الأصلية أو المعدلة، وهو أسلوب الأداء المقارن الذي طوره واليس ولامبرت ومساعدوه (لامبرت وآخرون ١٩٦٠، لامبرت ١٩٦٧). ويهدف أسلوب

الأداء المقارن الخالص إلى سيطرة كاملة على كافة المتغيرات ما عدا اللغة. ولتحقيق ذلك جنِّد عدد من المتحدثين ثنائيي اللغة الذين يتكلمون اللغات المدروسة بطلاقة بالغة، ثم سجِّلت قراءاتهم لمقطع واحد مرتين، كل مرة بلغة مختلفة، ورتِّبت المقاطع المسجلة على شريط كاسيت بطريقة توحي بأن كل مقطع سجِّل بواسطة متحدث مختلف. فلو سجِّلت فقرات المتكلمين مرة باللغة الفرنسية، ومرة باللغة الإنجليزية مثلا، فإن التسجيل قد يبدأ بقراءة لمتحدث واحد باللغة الفرنسية، ثم يكون الصوت التالي لقراءة متحدث آخر باللغة الإنجليزية، أما الصوت الثالث فربما يكون متحدثا ثالثا يتكلم اللغة الإنجليزية، وربما كان الصوت الرابع للمتحدث الأول، ولكن بلغته الإنجليزية هذه المرة. وفي هذا الحين يفترض من المستمعين أن يكونوا قد نسوا نوعية صوت المتحدث الأول، وسيظنون أن المتحدث الرابع هو شخص آخر لم يستمعوا إليه من قبل. وبهذه الطريقة تُخلط عينتا التسجيل لمختلف المتحدثين؛ لكي يبدو للمستمع أن كل فقرة سمعها هي لمتحدث مختلف تماما. وفي النهاية سيفترضون أنهم سمعوا عددا مضاعفا من المتحدثين لما سمعوه في الواقع الفعلي.

ثم بعد ذلك يطلب من عينة من مستمعين ثنائيي اللغة من المجتمع اللغوي نفسه أن يستمعوا إلى الفقرات المسجلة ويقيموا المتحدثين حسب المزايا المختلفة، مثل الذكاء والطبقة الاجتماعية ودرجة محبتهم الصوت. وإذا كان نفس الفرد قد حصل على تقييم مختلف في تسجيله في لغات مختلفة، فإنه لا بد أن يكون الفارق الذي يفسر ذلك هو اللغة. وبما أن الشخص نفسه قد سجل العينتين فإنه لا يمكن أن تكون الاختلافات في نوعية الصوت هي التي يستجيب إليها المستمعون. واستُبعد المضمون كأحد المتغيرات، وذلك عن طريق ترجمة نسخ من المقطع نفسه المقروء في كل لغة.

وقد اتضح بالطبع أن هناك في بحوث المواقف اللغوية عدة درجات للمباشرة وغير المباشرة، ومع إخفاء (حجب) جوانب عديدة من التجربة عن أفراد العينة

فأسلوب الأداء المقارن يعد مباشرا، بمعنى أنه يُطلب من المستمعين بصورة واضحة أن يقدموا آراءهم في سمات المتكلم. وما هو غير مباشر أنه يطلب من المستمعين أن يتفاعلوا مع المتكلمين وليس مع اللغات، وهم لا يعلمون أنهم يستمعون إلى الشخص ذاته في كل مرة.

مقياس الفارق الدلالي

تشتمل صيغة استجابات المستمع شائعة الاستخدام مع أسلوب الأداء المقارن على مقاييس الفارق الدلالي (أوسجود، سوسي وتانينبوم ١٩٥٧). ومقاييس الفارق الدلالي هذه تخصص أطرافا متعاكسة لميزة أو سمة عند أحد الطرفين وتترك عددا من المسافات الفارغة بينهما، وتظهر في الشكل رقم (٦.١) عينة من أحد مقاييس الفارق الدلالي. فإذا بدا صوت المتكلم على الشريط غير ودي، فإن المستمع سيضع علامة عند أقرب خط لكلمة "غير ودي". وأما إذا بدا المتكلم ودودا للغاية فإن المستمع سيؤشر عند أقصى طرفي المقياس بجوار كلمة "ودود". أما إذا بدا المتكلم معتدلا في وده، فإن الفراغ الأوسط ينبغي أن يستخدم وهكذا. وقد أنشئت مقاييس مماثلة لقياس سمات أخرى. وبهذه الطريقة تتوافر لدى كل مستمع فرصة لبيان الموقع الذي يستحقه المتكلم من وجهة نظر إحدى سماته على المقياس.

ودود _ _ _ _ _ _ _ غير ودود

الشكل رقم (٦.١). مقياس فارق دلالي نموذجي مكون من سبع نقاط.

ويستخدم الإجراء التالي في حساب نتائج مقاييس الفارق الدلالي. فبعد جمع الاستجابات تحدَّد أرقام لكل من المساحات المخصصة على المقياس. ففي مقياس

مكون من سبع نقاط مثل المقياس المبين في الشكل رقم (٦،١) يخصَّص الرقم ٧ عند أقرب فراغ لكلمة ودود، والرقم ٦ نقاط عند الفراغ التالي وهكذا. وعندما تُجدوَل الاستجابات توضع علامة صح على الفراغات عند كل مساحة فارغة على الجدول لكل مستمع أعطى تقييمه لذلك المتكلم في ذلك الفراغ. فمثلا افترض أن متكلما في عينة معينة حصل على سبع نقاط في درجة الذكاء لدى خمسة مستمعين، وحصل على ست لدى ثلاثة عشر مستمعا، وخمس نقاط لدى استماع عشرين مستمعا، وأربع نقاط لدى أحد عشر مستمعا وثلاث نقاط لدى اثنين، ونقطتين لدى واحد. إن الجدولة المبدئية ستبدو كما في الشكل رقم (٦-٢).

ذكي ___ ___ ___ ___ ___ ___ ___ غير ذكي

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

الشكل رقم (٦،٢). الجدولة الأولية الافتراضية لمقياس الفارق الدلالي للذكاء.

وبعد ذلك يُضرب عدد العلامات في كل فراغ بقيمة الفراغ نفسه، ثم تُجمَّع النتائج. ففي المثال الذي بين أيدينا تكون الحسابات كالتالي:

(٧ X ٥)+ (١٣ X ٦) + (٢٠ X ٥) + (١١ X ٤) + (٢ X ٣) + (١ X ٢)

= ٣٥+ ٧٨ + ١٠٠ + ٤٤ + ٦ + ٢ = ٢٦٥

تقسم هذه القيمة على العدد الإجمالي للمستمعين (وهو العدد الإجمالي نفسه لعلامات الصح التي بالشكل رقم (٦،٢)، وفي هذه الحالة يكون العدد هو ٥٢. والنتيجة هي ٥،١، وهي القيمة التي ستُسجل وتُخضع للتحليل الإحصائي. إن هذا الرقم هو متوسط التقييم لهذا المتكلم على مقياس الذكاء. وتفسيره يشير إلى أن المتحدث حسب المعدل يعتبر ذكيا في هذه العينة بدرجة تزيد قليلا عن ٥ على مقياس

مكون من سبع نقاط.[٢]

مناهج أخرى

رغم أن منهج البحث الذي يقوم على أسلوب الأداء المقارن مع بحث الفارق الدلالي هو منهج نموذجي في بحوث المواقف اللغوية، إلا أن هناك مناهج بحث مباشرة أخرى قد يستخدمها الباحث. ويذكر أغيسي وفيشمان (١٩٧٠، ص ١٤٧- ١٥٠) ثلاثة أساليب أخرى، هي: الاستبيانات والمقابلات والملاحظة.

الاستبيانات.

ويمكن أن تتم هذه الاستبيانات عن طريق نوع أو نوعين من الأسئلة مثل الأسئلة المفتوحة أو الأسئلة المغلقة. فالأسئلة المفتوحة تعطي المستجيب أقصى قدر من الحرية في تقديم آرائه، كما تسمح له أيضا بالخروج عن الموضوع ويصعب حساب نتائجها. ففي استبيان مكون من أسئلة مفتوحة، قد يسأل أفراد العينة السؤال التالي: "صف ردود فعلك تجاه المتحدث" بعد سماع عينة مسجلة من الحديث. أما في الاستبيانات المكونة من أسئلة مغلقة، فيعطى المستجيب صيغة معينة ليستخدمها في تسجيل إجاباته. وفيما عدا مقياس الفارق الدلالي ، فإن صيغ استبيانات الأسئلة المغلقة تشتمل على إجابات نعم - لا ، وأسئلة الاختيار من بين متعدد، أو أسئلة الترتيب. إن الأسئلة المغلقة أسهل كثيرا على أفراد العينة للتعامل معها، كما أنها سهلة التسجيل عند حساب النتائج، إلا أنها تجبر أفراد العينة على الإجابة حسب شروط الباحث، وليس حسب رغباتهم الشخصية. ربما كان الحل الأمثل هو إجراء بحث اختبار تجريبي على الأسئلة المفتوحة واستخدام هذه النتائج لتصميم استبيان مكون من أسئلة مغلقة. وسنرى فيما بعد كيف نفّذ هذا الإجراء بإتقان بالغ من قبل فريدريك وليامز.

المقابلات.

المقابلات تشبه الاستبيانات المكونة من أسئلة مفتوحة، ولكن دون استخدام الاستبيان ذاته. ويقوم باحث ميداني شخصيا بتوجيه أسئلة تتعلق بالمواقف ويدون إجابة أفراد العينة كتابة، أو يسجلها على شريط كما تخرج شفويا من لسان المستجيب. إن عبء تسجيل الأسئلة المفتوحة ينزاح من على عاتق أفراد العينة كما يسهل عليهم استنباط الإجابات المفتوحة، ويستطيع المسئول عن إجراء المقابلة توجيه النقاش إذا نوى المستجيب الخروج عن الموضوع. غير أن السيئة الرئيسية في عملية المقابلات هو أنها تستهلك وقتا كبيرا للغاية، كما أنها مكلفة. يستغرق الباحث الميداني فترة أطول لإجراء مقابلة واحدة من الفترة التي يحتاجها لإجراء نحو ٥٠ أو ١٠٠ استبيان في جلسة جماعية واحدة.

الملاحظة.

الملاحظة هي الطريقة الأقل تطفلا وفضولية، وهي مصممة لجمع البيانات بصورة أكثر طبيعية. وباعتبار أن الملاحظة هي منهج البحث المفضل لدى علماء الإنسان والأجناس، فإنها تميل إلى تسجيل أنشطة الأفراد عن طريق الباحث أثناء مراقبته لهم. وحيث إن الأفراد نادرا ما يتحدثون عن عملياتهم الذهنية ما لم يطلب منهم ذلك، فأسلوب الملاحظة هو الأسلوب الأمثل من وجهة نظر السلوكية لدراسة المواقف. إن الباحث الذي يؤمن بالرؤية الذهنية والذي يستخدم أسلوب الملاحظة يكون عليه أن يستنتج ما كانت عليه المواقف، على أساس ما لاحظه من السلوك. وبعبارة أخرى، فالمواقف إما أن تكون هي ذاتها المفترضة من السلوك الظاهر وإما أن تستنتج من السلوك الملحوظ. وانتقد أغيسى وفيشمن (١٩٧٠، ص ١٥٠) أسلوب الملاحظة بسبب ما يكتنفه من "الذاتية والخصوصية الشديدة"، ولكنهما يعتقدان أن

"مثل هذه البيانات يمكن أن تتعرض إلى القدر نفسه من معايير حساب النتائج والإحصاء والتقييم كما تتعرض البيانات التي جمعت عن طريق أساليب أكثر رسمية (شكلية).

الأداء المقارن: مشاكله وتعديلاته

على الرغم من استخدام أسلوب الأداء المقارن في كثير من تجارب مواقف اللغة والذي أثبت نجاحه، إلا أن هناك عددا من المشكلات التي تكتنفه. ولكي نضبط محتوى عينات اللغة بالطريقة المثلى لتطبيق أسلوب الأداء المقارن لا بد لكل متحدث أن يقرأ المقطع ذاته في كل لغة بصيغته المترجمة. ولكن ذلك يقدم متغيرا في الوقت الذي يضبط متغيرا آخر حيث إن المتكلمين قد يحكم عليهم بأنهم مؤدون لقراءات وليس على أساس الضرب اللغوي الذي يستخدمونه. وهناك تعديل استخدم في بعض البحوث (مثلا بحوث دانجلجان وتكر عام ١٩٧٣م، والداش وتكر عام ١٩٧٥م، وفولك عام ١٩٧٣م، وشاي وباراتز وولفرام عام ١٩٦٩م)، وهذا التعديل هو أن يقوم المتكلمون بمناقشة الموضوع العام نفسه، ولكنهم لا يقولون الشيء نفسه بحذافيره. ثم يتكلم المتحدثون بوضوح ولا يقرؤون، ولكن بعض الضبط لموضوع المادة التي تُقرأ لا زال مطلوبا. إن الموضوعات المختارة في هذا التعديل ينبغي ألا تكون ذات طبيعة جدلية لكي لا تتدخل في عملية التقييم. فمثلا استخدم دانجلجان وتكر (١٩٧٣) متحدثين تكلموا عن عاصفة ثلجية شديدة في حين استخدم الداش وتكر (١٩٧٥) أهرامات الجيزة في مصر كموضوع لبحوث مواقف اللغة التي أجراها الباحثان في مصر.

إن محاولة ضبط المحتوى قد تؤدي إلى صعوبات أخرى ذات صلة، مثل التعارض (التنافر) المحتمل بين الضرب اللغوي والموضوع. فإذا تصادف أن كانت

العينتـان المسـتخدمتان في مجتمـع بـه ازدواجيـة لغويـة تمثـل إحداهمـا الصيغـة العليـا والأخـرى الصيغـة الدنيا فإنه مـن السـهل معرفـة أن الموضـوع الـذي يكـون ملائمـا في ضرب لغوي ما قد يكون غير ملائم تماما للضرب اللغـوي الآخر. ومـن ثـمّ قـد يقـدم أفراد العينة تقييمات ضعيفة لإحدى العينات ليس لأن آراءهـم سـلبية نحو تلـك اللغـة بالذات، ولكن لأنهم يعتقدون أن ذلك الشكل اللغوي يجب أن لا يستخدم في مناقشة مثـل هـذا الموضـوع المطروح. وقـد أورد أغيسـي وفيشـمن (١٩٧٠، ص ١٤٦-١٤٧) دراسـة أجراهـا كـامبل (١٩٦٨) اسـتخدم فيهـا أسـلوب "الصـورة المقابلـة (المطابقـة)" لمعالجـة هـذه المشكلة. وبإيجاز، فـإن البحـث اشـتمل على ردود أفعـال تجـاه محادثـات مسجلة جـرت بـين أفـراد ثنـائيي اللغـة. وفي أحـد التسـجيلات كـانت إحـدى اللغـات المستخدمة لها علاقة بالدور، أما اللغة الأخرى فكان لها علاقة بمواقف أخرى. أمـا في التسجيل الثاني فقد استُخدمت الصورة المطابقـة للتسجيل الأول، ولكـن مـع تبديـل اللغات والأدوار التي استخدمت فيها. وطلـب مـن مجموعـات مختلفـة مـن المحكمـين أن يستمعوا إلى الحديثين ثـم يجيبوا على اسـتبيان أعـد عنـهم لقيـاس مواقفهـم. وأظهـرت النتـائج أن الانطباعـات الـتي قدمـها المتكلمـون لم تعتمـد علـى اللغـة الـتي كـانوا يستخدمونها فقـط، بـل أيضـا تعتمـد علـى مـا إذا كـانوا يستخدمون اللغـة المناسـبة في الموقف المناسب.

وهناك صعوبة أخرى تتعلق بدراسات الموقف التي تستخدم طريقة الاستبيانات بما في ذلك طريقة الأداء المقارن والفارق الدلالي، ألا وهي مسألة الصحة (الصلاحية) (أغيسي وفيشمن ١٩٧٠، ص١٠٠). فكمـا نعلـم يكون المقياس صحيحـا (صالحـا) عندما لا يقيس إلا ما يفترض قياسه فقط. وبيان الصحة في حالة المواقف الإدراكية والوجدانية أمر شبه مستحيل. يجب في هـذه الحالـة على المرء أن يقارن نتائج بيانات تجربة المواقف بما يفكر ويشعر به الناس في الواقع، كما اكتُشف بشكل مستقل إلى حـد

ما. وتكون هذه المشكلة أسهل حلا في حالة المواقف النزوعية حيث إن هذه هي المواقف الأكثر ارتباطا بالسلوك. وإذا أظهر استبيان المواقف أن الأفراد لديهم ميل مسبق للتصرف بطريقة معينة فإن كل ما يمكن فعله هو أن نضعهم في موقف يكون من المتوقع فيه أن يسلكوا هذا السلوك، ونرى ماذا يفعلون. وقد استخدم فيشمن أسلوبا أسماه مقياس الالتزام لاختبار الصحة (الصلاحية) (فيشمن ١٩٦٨، كوبر وفيشمن ١٩٧٤، ص١٥). ففي بحثه عام ١٩٦٨، لم يسأل فيشمن أسئلة تتعلق بمواقف للجالية البورتوريكية في مدينة نيويورك حول عرقيتهم فحسب، وإنما دعاهم أيضا إلى أمسية ثقافية بورتوريكية مليئة بالأنشطة الثقافية مثل الرقص وخلافه. وكان بالإمكان بعد ذلك مقارنة استجابات أفراد العينة للاستبيان الذي يبين تلبية أو عدم تلبية الفرد للدعوة وتصريحه بأنه سيحضر، وهل حضر فعلا. فإذا أجاب الفرد على الاستبيان بطريقة تبين افتخاره بهويته البورتوريكية، ثم حضر فعاليات الأمسية الثقافية فإن حضوره يعد دليلا على أن إجاباته في الاستبيان كانت صحيحة.

وهناك تصميم أبسط ذكره غايلز وبورهيس (١٩٧٦). فقد استخدما في تجربتهما أخصائيين اثنين في علم النفس وأتيا بهما إلى فصل في إحدى المدارس الثانوية وقام أحدهما بإبلاغ الطلاب أن هناك مخاوف وقلقا بخصوص الأفكار الخاطئة لدى الناس عن علم النفس. وباستخدام إحدى لكنتين طلب من الطلاب أن يكتبوا أو أن يدونوا ما يعرفونه عن علم النفس حيث إن ذلك سيساعدهم على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي قد تظهر لدى الناس. وبعد أن بدأ الطلاب في الكتابة غادر عالم النفس هذا ولم يعد. ثم أخبرت المرأة، التي هي العضو الآخر في الفريق، الطلاب أن هناك خطة قيد الدراسة لجلب إحدى الشخصيات لإلقاء محاضرة على الطلبة في المدارس الثانوية حول علم النفس كأسلوب لمحاربة المفاهيم الخاطئة والقضاء عليها. ثم أبلغتهم بأنه يُنظر في تعيين زميلها الذي رحل للتو بهذه الوظيفة. وعندما انتهى الطلاب من

الإجابة على السؤال المفتوح وزعت عليهم استبيانا للتقييم يحتوي على أسئلة مغلقة، وتكرر الإجراء نفسه مع مجموعة متطابقة أخرى من الطلاب، ولكن هذه المرة استخدم عالم النفس الأول لكنة أخرى. وبالطبع، فإن الاهتمام الأول كان منصبا على المواقف اللغوية تجاه كل من اللهجتين المستخدمتين وليس على مفاهيم الطلاب حول علم النفس. كما أُدْخِل معامل سلوكي بسيط على التجربة يُقارَن من خلاله بين الكمية التي كتبها الطلاب في إجاباتهم عن السؤال المفتوح المتعلق بمجال علم النفس وبين مؤهلات القائم على التجربة للتدريس في كل من اللكنتين المستخدمتين. واتضح أن الطلاب كتبوا عندما خوطبوا بإحدى اللكنتين أكثر مما كتبوا عندما خوطبوا باللكنة الأخرى. وأكدت هذه النتيجة النتائج السابقة المستخلصة من بحوث الأداء المقارن الأكثر تقليدية. بل إن مقدار ما كتب استجابة كان متسقا مع المواقف التي وردت في مقاييس التقييم للأسئلة المغلقة. وتنحو تجربة غايلز وبورهيس إلى الإشارة إلى أن المواقف النزوعية التي كشف عنها أسلوب الأداء المقارن يمكن أن تكون صحيحة (صالحة). غير أن أغيسي وفيشمن (١٩٧٠، ص١٥٠) يشيران إلى مشكلة مألوفة وهي انخفاض درجة التناسق بين مقاييس المواقف والسلوك الظاهر، وهي قضية عالجها كثير من علماء النفس الاجتماعيين لفترة من الزمن (على سبيل المثال، لين ١٩٦٥، فيشمن ١٩٦٥). ويبقى أن نحدد بالضبط أي أدوات لقياس المواقف هي الأكثر صحة (صلاحية) في الغالب.

وهناك صعوبة أخيرة تتعلق بأسلوب الأداء المقارن العادي، ألا وهي اصطناعيته (غايلز وبورهيس ١٩٧٦، بورهيس وغايلز ١٩٧٦). إن الطلب من مستمعين أن يحكموا على أفراد عن طريق صوتهم فقط، رغم تقديمه أقصى قدر من التحكم أكثر مما تقدمه المتغيرات الأخرى، يعتبر بعيدا بعض الشيء عن سياق الحياة الفعلية (الواقعية). وحيث إن إجراءات الأداء المقارن البحت تتطلب أن تكون كل

عينة مسجلة ذات محتوى واحد فإنه من الممكن بسهولة في هذه الحالة أن يبدأ المستمعون، بعد أن يسأموا من التكرار، في الانتباه بشكل أكثر من العادي إلى التغيرات الصوتية. وفي النهاية فإن المحكمين في تجربة الأداء المقارن يزودون بمجموعة تقييمية ويعطون ورقة تقييم معينة ويطلب منهم أن يصدروا أحكاما على الأفراد الذين سيسمعونهم. ونتيجة لذلك يُعدّون لاتخاذ أحكام تقييمية بطريقة لا تحدث غالبا في الحالات التفاعلية العادية. إن التجربة التي أجريت على الأخصائيين النفسيين وطلاب المدارس الثانوية كانت مصممة بحيث يُتغلب على هذه الاعتراضات إلى حد ما. وكان المتكلم موجودا وقت التجربة ولم يكن غائبا وصوته هو الحاضر فقط على شريط مسجل. ولم يكن هناك محتوى متكرر ولم تتدخل مجموعة تقييمية إلا بعد أن أتيحت لأفراد العينة الفرصة الكافية ليكتبوا ما يريدون قوله عن مجالات علم النفس.

وقد ابتكر بورهيس وغايلز (١٩٧٦م) تجربة أداء مقارن أكثر براعة وأقرب للواقع، وفي هذه التجربة لم يكن لدى أفراد العينة أي فكرة بأنهم قد شاركوا في بحث عن المواقف اللغوية، وكانت العينات المستخدمة في هذه التجربة هي أربعة ضروب لغوية تتعلق بموقف اجتماعي لغوي يمارس في ويلز، وكانت هذه الضروب اللغوية على النحو التالي:

١- نموذج التلفظ عالي المستوى للغة الإنجليزية البريطانية ويسمى (RP) (التلفظ النموذجي)

٢- اللغة الإنجليزية بلكنة معتدلة لجنوب ويلز.

٣- اللغة الإنجليزية بلكنة عريضة لجنوب ويلز.

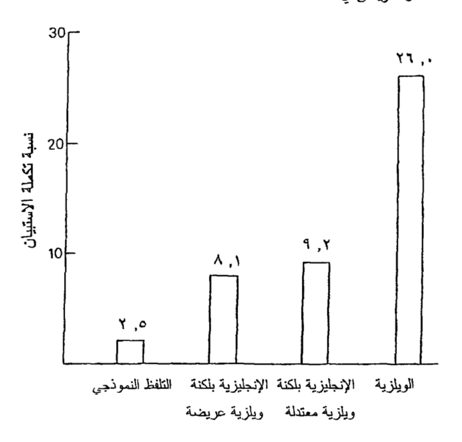
٤- اللغة النموذجية في ويلز.

وكان أفراد العينة من مرتادي المسارح. واتخذت التجربة شكل إعلان موجه للعامة أثناء فترة الراحة في أحد العروض المسرحية. ولربما كما ظننت، كان هناك أربعة

أشكال للرسالة نفسها، واحد لكل عينة. وكان المحتوى هو الطلب من الزبائن الحصول على نموذج استبيان متوافر في البهو لتعبئته يتعلق في تحسين البرامج المستقبلية للمسرح. وقد شارك في التجربة نوعان من المشاهدين. وتكوّن الجمهور الإنجليزي الويلزي من الأفراد الذين يحضرون المسرح طوال خمس أمسيات يُعرض فيها فلمان باللغة الإنجليزية، وكان من المفترض أن يكون معظم هؤلاء المشاهدين من الويلزيين الذين لا يتحدثون إلا اللغة الإنجليزية. وكان الجمهور الويلزي الذي يتحدث لغتين يتكون من الذين حضروا أربع أمسيات لمسرحية تعرض باللغة الويلزية. وقد سمع الجمهور الإنجليزي- الويلزي الإعلان بالأنواع الثلاثة للغة الإنجليزية، مع تقديم ضرب مختلف فقط في إحدى الأمسيات (حيث قدمت إنجليزية التلفظ النموذجي وإنجليزية اللكنة العريضة في أمسيتين لكل منهما). وقد استمع الجمهور أو المشاهدون الويلزيون الذين يتحدثون لغتين إلى العينات اللغوية الأربع، واحدة في كل أمسية. وكان السلوك الذي قيس هو عدد الاستبيانات التي قدمها أعضاء كل مجموعة من نوعي الجمهور عندما طلب منهم أن يقوموا بذلك في كل عينة من اللغات المختلفة.

وبما أن البيانات كانت اسمية (الاستبيانات كانت تقدم أو لا تقدم)، لذا استُخدم اختبار مربع كاي في هذا التحليل. ويبين الجدول رقم (٦،١)، والجدول رقم (٦،٢)، والشكل رقم (٦،٣) كافة النتائج. ويبين الجدول رقم (٦،١) بيانات اختبار مربع كاي الذي يسمح باحتمالية رفض فرضية الإبطال بأن من أكملوا تعبئة الاستبيانات، ومن لم يكملوا تعبئتها قد وزعوا بصورة عشوائية بين الجماهير الذين استمعوا إلى الضروب اللغوية الثلاثة. ويمكن القول تحديدا بأن هذا يسمح فقط بتأسيس نوع من فرضية بحث بسيطة، ألا وهي أن هناك "شيئا ما" في التوزيع لم يأت مجرد مصادفة، ومن السهل معرفة "هذا الشيء". وكان الجمهور الإنجليزي -الويلزي متجاوبا بشكل متساو لكلتا الرسالتين المنطوقة بالتلفظ الإنجليزي النموذجي وتلك

المنطوقة بإنجليزية لكنة ويلز المعتدلة، ولكنهم كانوا أقل استجابة مع الرسالة التي طرحت بإنجليزية ويلز ذات اللكنة العريضة. وكانت نتائج الجمهور الويلزي ثنائيي اللغة مختلفة عن ذلك تماما. قُدِّمت ومُثِّلت بيانات الجمهور الويلزي ثنائيي اللغة في شكل بياني ذي أعمدة، كما هو في الشكل رقم (٦،٣). ويبدو أن الويلزيين ثنائيي اللغة كانوا أكثر استجابة للطلبات التي كانت باللغة الويلزية، وأقل استجابة للطلبات التي كانت بالتلفظ النموذجي للغة الإنجليزية، وكانت اللغة الإنجليزية باللكنة الويلزية بنوعيها المعتدل والعريض في المنتصف.



الشكل رقم (٦،٣). رسم بياني بالأعمدة للنتائج السلوكية لتجربة الأداء المقارن للجمهور الويلزي ثنائي اللغة.
المصدر: مأخوذ عن بورهيس وغايلز (١٩٧٦م، ص ١٥، شكل ٢)

الجدول (٦،١). النتائج السلوكية لتجربة الأداء المقارن للجمهور الإنجليزي الويلزي

استبيان كامل	العينة		
	التلفظ النموذجي	الإنجليزية بلكنة ويلزية عريضة	الإنجليزية بلكنة ويلزية معتدلة
نعم	١١٨	٥٣	٦٦٪
	٢٢،٥٪	٨،٢٥٪	٢٢٪
لا	٤٠٦	٥٩٩	١٩٨
	٧٧،٥٪	٩١،٨٪	٧٥٪

المصدر: البيانات من بورهيس وغايلز (١٩٧٦م، ص ١٤)

الجدول (٦،٢). النتائج السلوكية لتجربة الأداء المقارن بالنسبة للجمهور الويلزي ثنائي اللغة.

استبيان كامل	العينة	
	الإنجليزية بلكنة ويلزية معتدلة	الويلزية
نعم	٩،٢٪	٢٦،٥٪
لا	١٠٩	٤٨

المصدر: البيانات من بورهيس وغايلز (١٩٧٦، ص ١٥)

وقد استخدم بورهيس وغايلز مربع كاي لاختبار الفرق في التوزيع بين اللغة الويلزية واللغة الإنجليزية بلكنة ويلزية معتدلة والفرق بين التلفظ النموذجي للإنجليزية والإنجليزية بلكنة ويلز العريضة (أما الفرق بين نوعي اللغة الإنجليزية باللكنة الويلزية المعتدلة والعريضة فليس مهما). إن الفرق في الاستجابة بين الرسالة التي كانت باللغة الإنجليزية للتلفظ النموذجي والرسالة التي كانت باللغة الإنجليزية بلكنة ويلزية لم يكن ذا قيمة إحصائية.[٣] أما اختبار مربع كاي للفرق بين استجابات اللغة الإنجليزية ذات اللكنة الويلزية المعتدلة واللغة الويلزية فهو معروض في الجدول رقم (٦،٢). إن

فرضية الإبطال التي يعرض لها الجدول رقم (٦.٢) بيانات موزعة عشوائيا يمكن رفضها. ومن الواضح أن هناك مزيدا واضحا من الأعضاء من الجمهور الويلزي ثنائيي اللغة سوف يكمل تعبئة الاستبيان عندما يطلب منه ذلك باللغة الويلزية أكثر مما هو الحال عندما يطلب منه ذلك باللغة الإنجليزية حتى ولو كانت بلكنة ويلزية.

بغض النظر عن النتائج فإن تجربة بورهيس وغايلز تبين كيف يمكن التغلب على الاعتراضات العادية على أسلوب الأداء المقارن القائمة على موضوع الاصطناعية والتكّلف. ورغم أنه لم يكن لأي متحدث وجود فعلي إلا أن السياق كان طبيعيا للغاية، ولا شك في أن أفراد العينة لم تكن لديهم أي فكرة أنه تُفحص مواقفهم اللغوية الخاصة. ولم يكن على أي فرد من الجمهور أن يستمع إلى المحتوى نفسه أكثر من مرة، ولم تستخدم أيضا المجموعة التقيمية. وكان هذا المقياس للسلوك غير المُرَاقَب وليس لتقييمات المتكلمين بدرجات أو مقاييس معينة. ومن ناحية أخرى، ضاع بعض الضبط (التحكم) بسبب عدم جعل أفراد العينة أنفسهم يستجيبون لكافة العينات اللغوية (حيث استمع جمهور المسرح إلى الطلب بعينات مختلفة). وينطبق الأمر نفسه على التجربة التي أجريت على طلاب المدارس الثانوية. يفترض أن كلا من أفراد العينة معادل لكل مجموعة من نوعها، وذلك لأغراض المواقف التي تُقاس. فمثلا كل جمهور إنجليزي ويلزي في كل أمسية يعتبر أن له الميول نفسها للاستجابة إلى العينات اللغوية المختلفة كأي جمهور إنجليزي ويلزي آخر في أمسية أخرى. ويبدو أنه ليس هناك ما يدعو للشك في أن ذلك هو افتراض مضمون في التجارب التي ذكرناها حتى الآن. ولكن إذا تناقصت الاصطناعية على حساب استخدام أكثر من عينة من الجمهور فإن على الشخص الذي يجرى التجربة أن يكون حذرا من أن كافة العينات متعادلة وممثلة للفئات التي تُقاس، وإلا فإن المتغيرات غير المضبوطة قد تتدخل في التجربة بشكل غير مقصود.

التطبيقات

البناء الاجتماعي

تعد دراسة المواقف اللغوية مفيدة في حد ذاتها، ولكنها أكثر قيمة عندما تصبح أداة تسلط الضوء على الأهمية الاجتماعية للغة. وفي هذا الجزء سنفحص المواقف اللغوية كأسلوب لفهم كيفية استخدام اللغة كرمز لعضوية الجماعة. سنرى أيضا كيف تخدم المواقف اللغوية كمفتاح لتحديد علاقات ازدواجية اللغة.

هوية الجماعة.

رأينا في الفصل الأول أن اللغة بالنسبة للجماعات الثقافية الاجتماعية تستخدم كأداة لوظائف التوحيد والتفريق. وقد يعتقد المرء أن دراسات المواقف اللغوية تبين أن أي لغة تخدم هاتين الوظيفتين سوف تحظى بتقدير كبير من متكلميها. واتضح أن ذلك شديد التبسيط. إن الموقف المعتاد هو أن اللغة العليا تعتبر أنقى وأفضل من اللغة الدنيا في المجتمع الذي يحتوي ضروباً لغوية مختلفة تدخل في علاقة ازدواجية اللغة. وبالطبع، فإن تحقيق وظائف التوحيد والتفريق يتم على الأغلب عن طريق اللغة الدنيا، فقد تتوصل إلى النتيجة المعاكسة، وهي أن الرمز اللغوي لتحديد الهوية الذاتية التقابلية غالبا ما يُقيم بصورة سيئة من جانب المتكلمين.

وربما كانت هناك بعض أنواع من الأسئلة التي يمكن أن تستنبط تقييمات عليا للضروب اللغوية الدنيا. وإذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن إدخالها فى تجربة الأداء المقارن. وإذا كانت مقاييس الفارق الدلالي المرافقة لها تشتمل على كل من العناصر الوجدانية والمكانة الاجتماعية فإنه يمكن التنبؤ بأن المتكلمين الذين يستخدمون عينة اللغة العليا سيتربعون على درجة عليا في مقاييس المنزلة الاجتماعية، ولكن المتكلمين أنفسهم سيحصلون على مرتبة أعلى في مقاييس العناصر الوجدانية في عينة اللغة

الدنيا. أما المتكلم الذي يستخدم عينة المنزلة الاجتماعية العليا فقد يحصل على مرتبة عليا في مقياس الذكاء، ولنقل: إنه ينتمي إلى أصحاب المهن المحترمة، ولكنه سيحصل على تقديرات أعلى في سمات الود والاعتمادية في العينة اللغوية ذات المنزلة الدنيا. غير أن الباحثين الذين اختبروا هذه الفرضية حصلوا على نتائج غير متوقعة. فمثلا وجد دانجليجان وتكر في بحثهما للموقف الذي أجروه على الفرنسية الأوروبية وضربين لغويين من الفرنسية الكندية في كوبيك أن متحدث الفرنسية الأوروبية ليس أكثر ذكاءً وأفضل تعليما فحسب، ولكنه محبوب (مرغوب) أكثر من متحدث اللغة الفرنسية الكندية، أما النتيجة التي تعتمد على أن متحدث اللغة الفرنسية الأوروبية محبوب (مرغوب) أكثر فلم تكن متوقعة (دانجليجان وتكر ١٩٧٣، ص٢٢). وبالمثل، فإن نتائج بحوث المواقف التي أجراها على الأمريكيين المكسيكيين كارانزا وراين (١٩٧٥، ص ٩٩)، فقد دلت على أن اللغة الإنجليزية بالنسبة لكل من الأمريكان الإنجليز والمكسيكيين ذات مكانة أعلى من اللغة الإسبانية على مقياس المكانة الاجتماعية كما كان متوقعا، ولكن على مقاييس التضامن كانت هناك نتيجة غير متوقعة بالنسبة للأمريكيين المكسيكيين. أما مواقف الأمريكيين السود نحو اللغة الإنجليزية النموذجية والإنجليزية العامية بين السود فلا بد وأن تحلل بشكل أعمق لاكتشاف دلائل المواقف الإيجابية نحو اللغة الدارجة (هوفر ١٩٧٨). وقد ذكر الداش وتكر (١٩٧٥، ص ٤٦) ثلاث دراسات بما فيها دراستهما الخاصة التي فضلت فيها ثلاثة ضروب لغوية متطابقة على اللغات الأم طبقا لنتائج دراسات المواقف.

ومن ناحية أخرى، أثبت بحث المواقف أنه أداة قيمة في تحليل اللغة الألبانية كلغة محتملة للهوية الجماعية بين الجماعة الاجتماعية الثقافية في اليونان والتي تسمى جماعة الأرفنيتيس. وقد استطاع تروغل وتسافاراس باستخدام استبيان لأسئلة مغلقة بدلا من أسلوب الأداء المقارن أن يتبعا الوضع المتدهور للهجة أرفانتيكا (وهي اللهجة

الألبانية) كلغة لهوية الجماعة. وكشفت الاستجابات التي حصلوا عليها عن نمط واضح طبقا للسن كما يبين الجدول رقم (٦،٣) التالي:

بدت الإجابات على السؤال: هل من الضروري أن نتحدث اللهجة الأرفانيتيكية لنكون أرفانيتسيين؟ بدت للوهلة الأولى غير متسقة مع النمط العام الذي يتضح في الجدول رقم (٦،٣). وقد جُدولت الإجابات على هذا السؤال في الجدول رقم (٦،٤)، وتبين أن الأغلبية في كل مجموعة عمرية تعتقد أنه ليس من الضروري تحدث الأرفانتيكية ليكونوا أرفانتيسيين، فيما عدا الفئة العمرية الخاصة بصغار السن.

الجدول رقم (٦،٣). النسبة المئوية للاستجابات على الأسئلة التالية حسب الفئة العمرية: هل تحب التحدث باللغة الأرفانتيكية؟ هل تعتقد أن التحدث باللغة الأرفانتيكية شيء جيد؟ هل التكلم باللغة الأرفانتيكية يعد ميزة؟

العمر	نعم			غير مهم			لا		
	يجب التكلم	شيء طيب	ميزة	يجب التكلم	شيء طيب	ميزة	يجب التكلم	شيء طيب	ميزة
٥-٩	١	١	١	١٠	١٠	١٧	٨٩	٨٩	٩٢
١٠-١٤	١٦	١٧	١٢	١٧	٧٣	٣٨	٦٧	١٠	٥٠
١٥-٢٤	١٧	١٨	٣٤	٤١	٤٨	٥٠	٤٢	٣٥	١٦
٢٥-٣٤	٣٠	٣٢	٤٠	٦٧	٦٦	٤٩	٣	٣	١١
٣٥-٤٩	٣٦	٦٤	٥٦	٥٣	٣٥	٣٦	٢	١	٨
٥٠-٥٩	٦٧	٩٥	٦٧	٣١	٤	٣٣	١	١	صفر
٦٠+	٧٩	٨٦	٩٧	٢١	١٤	٣	صفر	صفر	صفر

المصدر: البيانات من تردغل وتسافاراس (١٩٧٧م)

الجدول (٦.٤). النسبة المئوية للإجابات على السؤال الاستفهامي (نعم أو لا) الآتي:
هل من الضروري أن تتكلم اللغة الأرفانتيكية لكي تكون أرفنتيسيا؟

العمر	نعم	لا
١٠-١٤	٦٧	٣٣
١٥-٢٤	٤٢	٥٨
٢٥-٣٤	٢٤	٧٦
٣٥-٤٩	٢٨	٧٢
٥٠-٥٩	٣٣	٦٧
٦٠+	١٧	٨٣

المصدر: البيانات من تردغل وتسافاراس (١٩٧٧م).

وكما فسر تردغل وتسافاراس (١٩٧٧، ص١٨٠-١٨١) هذه النتيجة، فإن معظم أفراد المجموعات الأكبر سنا تدرك أن اللهجة الأرفانتيكية آخذة في الانقراض، ولكنها رغم ذلك تأمل في الحفاظ على هويتها العرقية.[٤] ونتيجة لذلك فهم مجبرون على فتح المجال لكافة أفراد الجماعة الأرفانتيسية الذين لا يتكلمون اللهجة الأرفانتيكية للانضمام إليهم. أما المتحدثون الأصغر سنا والذين لا يأملون كثيرا بمستقبل للغة الأرفانتيكية فيبدو أنهم يتنبؤون بزوال (بموت) كل من اللغة والتميز العرقي. ويبدو أن موقفهم يتجسد في أنه من الضروري أن يتحدثوا اللهجة الأرفانتيكية لكي يبينوا انتسابهم إلى الفئة الأرفانتيسية، غير أن هناك قليلا من المتكلمين الذين يتحدثون باللهجة الأرفانتيكية بالمقارنة مع السابق، وبالتالي، يقل عدد الأرفانتيسين، بيد أن تلك ليست قضية تستدعي القلق. وكما ذكر تردغل وتسافاراس (١٩٧٧: ١٨١):

أنهم مستعدون للاعتراف بأنه من الضروري أن يتحدثوا اللهجة الأرفانتيكية

لكي ينتسبوا إلى جماعتهم ؛ لأنهم رغم وعيهم بأن الأرفانتيكية تنقرض إلا أنهم لا يعتبرون خسارة اللغة أو الهوية العرقية أمرا غير مرغوب فيه، أي أنه يبدو أن صراعات الصغار من هذا النوع تُحسم لصالح الهوية اليونانية واللغة اليونانية.

ويبدو أن استبيان تردغل وتسافاراس لقياس المواقف المكون من أسئلة مفتوحة مباشرة، يعطي صورة أكثر دقة لوظيفة اللغة كمؤشر على هوية الجماعة أكثر مما تعطيه بحوث أسلوب الأداء المقارن الأكثر تعقيدا. ولعله يكون من التهور تأمل السبب المحتمل وراء ذلك خاصة إذا وضعنا في الاعتبار عظم الفروق بين الدراسة اليونانية والدراسات الأخرى. غير أن هناك بعض العوامل التي قد تحتاج إلى إيضاح، أولها، أن بحث تردغل وتسافاراس نفّذ باتباع أسلوب المقابلة الشفهية والمعروف من خلالها أن الشخص الذي يجري المقابلة هو أرفانتيسي. ويشتمل بحث أسلوب الأداء المقارن أولاً على استجابات مكتوبة على نماذج مطبوعة، وثانيا، أنه بسبب حقيقة سهولة استقطاب المدرسين والطلاب للمشاركة في هذه التجربة، فإنه عادة ما كان ينتهي الأمر باستخدام أفراد العينة في بحث الأداء المقارن. ويعتبر المدرسون مسئولين عن نقل القيم الثقافية السائدة عن اللغة ، ولذلك قد يكون لديهم ميل أكبر من السكان بصفة عامة للتصريح بالمواقف "الرسمية". أما الطلاب الذين كانوا في موقف يشبه موقف الاختبار هذا (هو غالبا ما كان في أبنية مدرسية) فقد قادهم الوضع بشكل لا شعوري إلى الإقرار بوجهة النظر "الرسمية". أما بحث تردغل وتسافاراس فلم يتم في مبنى مدرسي. ورغم أن بعض استجابات الصغار قد تكون كإجابات الطلاب، إلا أنها لم تكن في ضوء دور الطلاب عندما قوبلوا. وختاماً، فإن طبيعة أسلوب الأداء المقارن تحتاج إلى مقارنة ضربين لغويين أو أكثر. ولكن لم يطلب استبيان تردغل وتسافاراس المقارنة بين اللهجة الأرفانتيكية واللغة اليونانية وإنما طلب فقط إظهار المواقف تجاه اللهجة الأرفانتيكية.

هناك دليل على أن بحوث الأداء المقارن يمكن أن تقدم لنا مفاتيح يمكن الاعتماد عليها في دراسة اللغة كمؤشر لهوية الجماعة، ولكن ذلك يجب أن يتم بطريقة دقيقة إلى حد ما. ولكي نفهم أبعاد الموقف فمن المفيد استخدام فكرتين هما: *التماثل والتخالف*، وهما مصطلحان يستخدمهما علماء النفس الاجتماعيون على سبيل المثال هاورد غايلز (في غايلز ١٩٧٣، وغايلز وبورهيس ١٩٧٦، وغايلز وبورهيس وتيلر ١٩٧٧). فبالنسبة لنظرية غايلز التي سنلرس تفاصيلها في الفصل القادم فإن سلوك الفرد اللغوي قد يتماثل أو يتخالف مع كلام الشخص الذي يتحدث معه كائنا من كان. فالتماثل في أحد أوجهه يعد تعبيرا عن شعور بالوحدة بين الأشخاص المشتركين في المحادثة. أما التخالف فيعد تعبيرا عن *الانفصال أو الانسحاب* بعيدا عن الشخص الذي نتحدث إليه، وهو انسحاب إلى داخل المجموعة التي ينتمي إليها الفرد. وعند جارفن وماثيو (١٩٥٦) يرتبط التماثل بوظيفة التوحيد، أما التخالف فيرتبط بوظيفة الفصل، بيد أن هناك فروقا مهمة. فوظائف كارفن وماثيو هي دائمة تقريبا ويجب النظر إليها على أنها ظواهر اجتماعية، أما ظواهر التماثل والتخالف فهي ظواهر لا توجد إلا أثناء المحادثات، كما أنها ظواهر فردية. فمثلاً الشخص الباراجوي قد تكون لديه مشاعر قوية نحو القيمة الوطنية الرمزية للغة قوارني كقوة توحده مع بني وطنه وتفصله عن مواطني أمريكا اللاتينية الآخرين، بيد أنه قد يستوعب مواطنا من دولة مجاورة عن طريق استخدام اللغة الإسبانية في موقف خطابي معين أو في محادثة معينة.

وإحدى الطرق التي يمكن من خلالها اكتشاف إحساس الفرد بالانتماء إلى الجماعة، من خلال اللغة، هي ما يتم عن طريق بحث التماثل طويل المدى بالجماعة. فإذا عدل الفرد كلامه ليلائم الأنماط اللغوية لمجموعة جديدة، بحيث تصبح هذه الأنماط وسائله الطبيعية للتعبير اللغوي، فإن ذلك يدل على توجه عميق نحو الانتماء

إلى عضوية هذه الجماعة. ومثال على ذلك يكمن في دراسة المهاجرين الهنود الغربيين إلى بريطانيا (أطروحة غايلز وبورهيس، بورهيس وغايلز ١٩٧٧). وفي دراسة سابقة طلب من ٢٤ مراهقا من البيض أن يحكموا على حديث مسجل لمجموعة من العمال الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة، وهم في سن الحادية والعشرين. ومن ضمن أشياء أخرى طلب من أفراد العينة أن يحددوا عرق المتكلمين. وكانت غالبية التسجيلات لمهاجرين من جزر الهند الغربية قدموا إلى كارديف وويلز، وهم من الجيل الثالث الذي يعاصر أفراد العينة المراهقين. ورغم ذلك اعتبر أن ٨٠٪ من المتحدثين الهنود الغربيين بيضا، بناءً على ما استُمع إليه من حديثهم.

وقد استخدمت الدراسة الثانية ٣٢ صبيا في سن الحادية عشرة، وكانوا جميعا فيما عدا ٩ (تسعة) منهم من الجيل الثالث من المهاجرين من جزر الهند الغربية (وكان هؤلاء التسعة الاستثناء من البيض). وطلب من فئة أخرى من الصغار البيض في المدارس الثانوية في كارديف، أن يستمعوا ويحكموا على هؤلاء المتحدثين. وقد تجنب بورهيس وغايلز إعطاء أفراد العينة "مجموعة أسئلة عرقية" وذلك بأن جعلوا العرق أحد أنواع الأحكام المتعددة التي طلب من أفراد العينة إصدارها. كما طلب من أفراد العينة إعادة سبك مضمون الكلام الذي سمعوه بأسلوبهم الخاص وأن يحكموا على مدى اتساع لكنة المتحدث الكارديفية، وأن يضعوا تقديرات للمتكلمين على بعض مقاييس الفارق الدلالي وتقدير أعمارهم ومنزلتهم الاجتماعية والدين بالإضافة إلى العرق. وكان السبب وراء الطلب من أفراد العينة إعادة سبك (صياغة) محتوى عينة الخطاب، هو توجيه اهتمام المستمعين إلى مضمون عينات الخطاب بالإضافة إلى الشكل، وذلك لتقريب الاستخدام الطبيعي للغة ليكون أكثر ارتباطا بالمحتوى. وكانت نتائج تحديد العرق متطابقة تقريبا مع نتائج المتكلمين الأكبر سنا، وحدِّدت هوية المتكلمين الهنود الغربيين على أنهم من البيض في ٧٨٪ من الأحكام.[٥] وقرر

جميع الحكام تحديد اثنين منهم على أنهما ينتميان إلى البيض وحكم على الجميع فيما عدا خمسة بأنهم ينتمون إلى البيض بدرجة كبيرة أكثر من انتمائهم لأي فئة أخرى إذا كان المستمعون يعتمدون فقط على التخمين (درجة احتمال < ٠,٠٠١ لأغلب المتكلمين).(٦) ويبدو واضحا أن المهاجرين من جزر الهند الغربية في كارديف يحددون هويتهم بالارتباط بالمجتمع المحلي وذلك على الأقل فيما يتعلق باستخدام اللغة كمميز عرقي. وكما أوضح بورهيس وغايلز (١٩٧٧، ص ٩٠) فإن تماثلهم اللغوي الواضح هو عكس ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية. فالأمريكان السود وخاصة الذين ينتمون إلى الطبقات العاملة أو الدنيا يستخدمون اللغة الإنجليزية الدارجة بين السود كرمز لتحديد هويتهم الاجتماعية والثقافية.(٧)

وفي دراسة أخرى فإن الباحثين أنفسهم بالتعاون مع والاس لامبرت (بورهيس وغايلز ولامبرت ١٩٧٥) ابتكروا تجربة أكثر دقة تتضمن أفكار التماثل والتخالف، وفي هذا البحث استمع أفراد العينة إلى أمثلة أو نماذج لشخص يمارس فعليا عملية التماثل أو التخالف أو غير ذلك وطلب منهم أن يضعوا تقديرات لذلك الشخص على مجموعة نموذجية لمقاييس الفارق الدلالي مكونة من سبع نقاط. وبالإضافة إلى ذلك سئلوا ما إذا كانوا هم أنفسهم سيستخدمون التماثل نفسه أو التخالف في مثل هذه الحالة.

وقد اتخذت عملية التسجيل (التي ستستخدم كمنبه) الشكل التالي وطلب من المستمعين، وهم مجموعة من طلاب الثانوية العامة بالصف الثالث الثانوي وأعمارهم نحو الـ ١٨ في مدارس مونتريال التي تستخدم اللغة الفرنسية في التعليم، أن يستمعوا لتسجيلات لمقابلتين إذاعيتين مع بطلة رياضية فرنسية -كندية والتي جاءت في المركز السابع في مسابقة الغطس عبر القارة الأمريكية. وفي إحدى المقابلتين أجرى معلق رياضي فرنسي المقابلة وكان هناك معلقة من مقاطعة كويبك الكندية تجرى الحوار

الآخر. وكانت كلتا المقابلتين زائفة فقد اختيرت "الرياضية" بناءً على مقدرتها على التحكم في لغتها الفرنسية الأوروبية بالإضافة إلى اللغة الفرنسية الكندية الرسمية وغير الرسمية، وكانت نصوص الحوار أو المقابلة قد أعدت بعناية لضبط المحتوى والمدى الزمني وكذلك القواعد. وأما المرأة التي قامت بدور البطلة الرياضية فكانت دائما تتحدث باللهجة الكندية الرسمية مع المتحدثة التي تلعب دور المعلقة الرياضية من كوبيك، ولكن عند الحديث إلى المعلق الفرنسي فإنها كانت تستخدم أحد الضروب اللغوية الثلاثة. فهي إما أنها تكلمت معه دون تغيير في لغتها واستخدمت أيضا الفرنسية الكندية الرسمية وإما أنها ماثلت اللغة الفرنسية أو اختلفت وحولت لغتها إلى الفرنسية الكندية غير الرسمية.

وهكذا فإن مجموعة معينة من أفراد العينة ستكون قد استمعت إلى ثلاثة أزواج من المقابلات:

١- استمعوا إلى البطلة الرياضية تتحدث باللغة الفرنسية الكندية الرسمية مع المعلقة الكندية، وإلى النوع نفسه من اللغة الفرنسية مع المعلق الفرنسي.

٢- استمعوا إلى البطلة الرياضية تتحدث باللغة الفرنسية الكندية الرسمية مع المعلقة الكندية، وتتحدث الفرنسية الأوروبية مع المعلق الفرنسي.

٣- استمعوا إلى البطلة الرياضية وهي تتحدث باللغة الفرنسية الكندية الرسمية مع المعلقة الكندية، واللغة الفرنسية الكندية غير الرسمية مع المعلق الفرنسي.(٨) ولم تستمع أي مجموعة من طلاب المدرسة الثانوية لأكثر من واحدة من هذه المقابلات أو الحوارات.(٩)

وقد استخدم تحليل التباين لاختبار أهمية تقديرات مقاييس الفارق الدلالي، التي قام الطلاب بإعدادها، وهم الطلاب أنفسهم الذين استمعوا إلى واحد من هذه الأزواج الثلاثة من المقابلات. وكان المقياسان الوحيدان اللذان اختلفا بدرجة دالة هما

مقياسا الذكاء والتعليم. ويبين الجدول رقم (٦،٥) النتائج وذلك باستخدام شكل غالبا ما يستخدم في هذا النوع من البحوث. وكما نعلم فإن قيم F المهمة تعني أن التباين بين مجموعات المحكمين الذين استمعوا إلى المقابلات يمثل حالات تحول مختلفة كانت أكبر بشكل ملحوظ من التباين داخل كل مجموعة من المحكمين. وبصفة خاصة فإن ذلك يعني أن البطلة الرياضية حصلت بالفعل على تقديرات دلت على أنها أكثر ذكاء تعليما، وذلك عندما تحولت إلى اللغة الفرنسية الأوروبية، وحصلت على تقديرات أقل في هذا الصدد عندما كانت لا تميل نحو هذا التحول، كما حصلت على أقل درجات في الذكاء والتعليم عندما تحولت إلى اللغة الفرنسية الكندية غير الرسمية، ولا يمكن أن يعزى ذلك إلى التقدير العشوائي للمقاييس المختلفة.

الجدول رقم (٦،٥). قيم F ومتوسط تقديرات السمتين.

التحول	متوسط التقديرات	
	الذكاء	التعليم
إلى اللغة الفرنسية الأوروبية	٥،١٤	٥،٢٦
لا شيء	٤،٦٤	٤،٩٥
إلى اللغة الفرنسية الكندية غير الرسمية	٤،٣٥	٣،٧٥
قيم F	٣،٨٩ *	٨،٥٨ + **

* درجة احتمال < ٠٢ ,

** درجة احتمال <+ ٠٠٠١, .

المصدر: مأخوذ من بورهيس وغايلز ولامبرت (١٩٧٥م، صفحة ٦٢، جدول ١)

ولا عجب في أن أنواع اللغة الفرنسية ذات المنزلة العالية سوف تحسن من تقدير المتكلم على مقاييس مثل الذكاء والتعليم. أما إذا كانت اللغة الفرنسية الكندية تعد دليلا قويا على الهوية العرقية، فمن المتوقع أن يعطي الطلبة تقديرات أعلى للمتحدثة

على بعض مقاييس الوجدانية، إذا استخدمت أحد أساليب اللغة الفرنسية الكندية عند إجراء المقابلة معها من قبل المحاور الفرنسي. أي أنه لن يدهشنا إذا اعتبرت البطلة الرياضية أكثر صدقا أو محبوبة أكثر عند رفضها التحول عن اللغة الفرنسية الكندية، ولكنها بدلا من ذلك حافظت على الأسلوب الكندي الرسمي الذي استخدمته في الحوار الأول، أو تحولت إلى اللغة الفرنسية الكندية غير الرسمية. ولم تحدث مثل تلك النتائج فالتقديرات على مقاييس الوجدانية لم تختلف بشكل ملحوظ، بغض النظر عن حالات التحول.

وكما اتضح فإن بعض المستمعين من الطلاب لم يلحظوا التحولات عندما حدثت رغم أن ٦٥٪ منهم لاحظوا ذلك. وطلب من جميع المستمعين أن يحددوا فيما إذا كانوا سيتحولون أنفسهم كما تحول المتكلم بالشريط، وقد جُدولت إجابات الذين تمكنوا من سماع التحولات بدقة. وبالنسبة للذين استمعوا إلى الحوارات التي اشتملت على التحول إلى اللغة الفرنسية الأوروبية والذين تعرفوا على ما حدث نجد أن ٨٦٪ منهم ذكروا بأنه لم يكن باستطاعتهم التحول بهذه الطريقة في مثل هذه الظروف. ومن بين المستمعين الذين ذكروا بأنهم لن يتحولوا نجد أن ٩٠٪ قالوا بأنهم لم يكن باستطاعتهم التحول، لأنهم سيفقدون بذلك هويتهم كمواطنين من مقاطعة كويبك. ومن بين الذين استمعوا إلى الحوارات التي لم يكن فيها تحول بدقة، فإن ٦٣٪ منهم ذكروا بأنه لم يكن باستطاعتهم التحول من أجل استيعاب المحاور الفرنسي، أي كانوا سيتصرفون كما فعلت البطلة الرياضية بالشريط. ومن المهم تذكر أن هؤلاء هم الصغار أنفسهم الذين أعطوا تقديرات للبطلة على أنها أكثر تعليما وذكاءً عند تحولها أكثر من عدم تحولها.

ومن بين الذين استمعوا ولاحظوا التحولات إلى اللغة الفرنسية الكندية غير الرسمية نجد أن ٦٧٪ منهم قالوا بأنهم لا يقومون بمثل هذه التحولات. وأغلبية الآراء

التي ظهرت في ظل الاستجواب المباشر تشير إلى أنه ينبغي على المرء أن يؤكد هويته كمواطن من كويبك، وذلك بمقاومته لأي ميل إلى التحول إلى اللغة الفرنسية الأوروبية لاستيعاب المتكلم الأوروبي، ولكن دون اللجوء إلى المبالغة في ذلك والتحول إلى استخدام الأسلوب غير الرسمي. ولكن لم تظهر أبدا أدلة غير مباشرة على هذا الشيء في شكل تقديرات عليا بالنسبة لمقاييس الوجدانية لشخص قد تصرف فعلا بهذه الطريقة. ولو كان صحيحا أن بحث الأداء المقارن (وهذه التجربة هي نوع من طرق بحث الأداء المقارن) سينتج مواقف خفية أكثر مما يفعله الاستجواب المباشر، فمن الممكن أن يكون هناك تباطؤ بين المواقف الخفية والظاهرة. أي أنه على مستوى أكثر سطحية، سنجد أن حركة الاستقلال المتزايدة في كويبك بينت مدى التركيز على اللغة كرمز لهوية الجماعة ، ولكن الأفكار القديمة عن اللغة الفرنسية الأوروبية باعتبارها لهجة "أفضل" ما تزال مستمرة على مستوى أعمق.

وقد أجرى فريق البحث نفسه تجربة مشابهة في ويلز، وكانت اللغة الإنجليزية البريطانية للتلفظ النموذجي قد حلت في التجربة محل اللغة الفرنسية الأوروبية وحلت اللغة الإنجليزية بلكنة ويلزية معتدلة محل اللغة الفرنسية الكندية الرسمية. بينما جاءت الإنجليزية بلكنة ويلزية عريضة محل الفرنسية الكندية غير الرسمية. وكان أفراد العينة طلابا في إحدى المدارس الثانوية في جنوب ويلز. وقد استُخدم الشكل نفسه للتجربة، والذي اشتمل على بطلة رياضية مفترضة ومعلقين رياضيين اثنين، أحدهما يسأل بالتلفظ النموذجي للغة الإنجليزية والآخر يتكلم بلغة إنجليزية بلكنة ويلزية معتدلة. وكما كان في تجربة كويبك، حصل المتكلم على تقديرات عالية بصورة ملحوظة في سمات الذكاء عندما تحول إلى اللغة الإنجليزية بالتلفظ النموذجي أثناء المقابلة مع المحاور أو المذيع الذي يتكلم الإنجليزية بالتلفظ النموذجي. وبعكس النتائج التي توصلت إليها الدراسة الكويبكية فقد كان هناك تأثيرات رئيسة مهمة على مقياسين من

مقاييس الوجدانية. وقد اعتبر المتكلم أكثر جدارة ولطفا عندما حافظ على لغته الإنجليزية بلكنة ويلزية معتدلة عند التحدث مع المعلق الذي يتكلم الإنجليزية بالتلفظ النموذجي أكثر مما كان عندما تحول إلى الإنجليزية بالتلفظ النموذجي. بل وحصل على تقديرات أعلى في كل من المقياسين عندما تحول إلى استخدام لكنة ويلزية عريضة. ويبدو أن الإنجليزية بلكنة ويلزية قد أصابها تطور كرمز لهوية الجماعة في ويلز أكثر مما هو الحال بالنسبة للغة الفرنسية الكندية في كويبك، حيث أن ردود الأفعال المتوقعة في تجربة الأداء المقارن توضح ذلك بدرجة ما.[١٠]

لقد ألقت بحوث الموقف الضوء على منزلة الضروب اللغوية كمؤشرات على الانتماء إلى جماعة معينة، ولكن لم تكن دوما بطريقة مباشرة. وبالتحديد فإن تجربة الأداء المقارن التقليدية والتي يطلب فيها من المستمعين أن يصدروا أحكاما على متكلمين واحد بعد الآخر على أساس حديث مسجل لهم لا يؤدي غالبا إلى نتائج متوقعة. ومن ناحية أخرى، فإن نتائج تردغل وتسافاراس والجزء الخاص بالأسئلة المباشرة في بحث بورهيس وغايلز ولامبرت في كويبك دلت على نتائج أسهل في التفسير، ولكنها قد تؤدي إلى ردود أفعال سطحية فقط. أما التطبيقات الأكثر تطورا وتعقيدا لأسلوب الأداء المقارن (مثل ذلك الذي استخدمه بورهيس ومساعدوه في كويبك وويلز) فإنها تبين وضعا أفضل لاختبار المواقف الخفية بدقة مما لو كانت قد استخدمت التطبيقات الأكثر بساطة.[١١]

ازدواجية اللغة:

شكلت مواقف المجتمع نحو ضروب اللغتين العليا والدنيا جزءا هاما من وصف فرجسون الأصلي لازدواجية اللغة . فالضروب العليا كان لها مكانة أكبر، أما الضروب الدنيا فإنها لا تحظى غالبا باحترام كبير. وينبغي أن تقع نتائج دراسة المواقف

في أنماط يمكن التنبؤ بها في المجتمعات التي توجد بها ازدواجية لغة. ويتضح أنها تفعل ذلك إلى حد كبير للغاية. وكمثال على ذلك سننظر في دراستين للمواقف أجريتا في مجتمعات يوجد فيها ازدواجية لغوية. وقد أجريت إحداهما في مصر، وهي دراسة إلداش وتكر ١٩٧٥م، وشملت استخدام اللغتين العربية الكلاسيكية والدارجة (وهي مثال على حالة من الحالات الأربعة التي استخدمها فرجسون). ورغم أن الازدواجية اللغوية لم تكن موضع اهتمام وتركيز إلداش وتكر في عملهما إلا أن نتيجة بحثهما تعكس الازدواجية اللغوية بصورة واضحة تماما. وأما الدراسة الثانية فتشمل اللغتين الإسبانية والإنجليزية الممارستين في جالية أمريكية مكسيكية، وهي الدراسة التي أجراها كارنزا وريان ١٩٧٥م. ولدينا هنا مثال عن ازدواجية اللغة الواسعة؛ لأنها تشمل لغتين متميزتين. وبعكس دراسة إلداش وتكر فإن كارنزا وريان بدءا دراستهما بهدف واضح، وهو إيجاد أنماط مواقف نموذجية في ازدواجية اللغة.

وقد استخدم إلداش وتكر نموذجا تقليديا لأسلوب الأداء المقارن حيث ضبطا المحتوى عن طريق جعل متكلمين يناقشون الموضوع نفسه (وكانت أهرامات الجيزة في مصر هي موضوع النقاش، وهو موضوع محايد عاطفيا) ولم يطلبا منهم أن يقرأوا مقطعا نموذجيا. وقد اختارا متحدثين مصريين اثنين يتكلمان كلا من اللغتين العربية الكلاسيكية والدارجة وكذلك اللغة الإنجليزية. وكان من الطبيعي تماما أن يتحدثا اللغة الإنجليزية بلكنة مصرية[١٢]. ولم يكن من السهل إيجاد متحدثين يفترض أنهم يتكلمون اللهجتين العربية الكلاسيكية والدارجة. الأسباب التي يقدمها إلداش وتكر على ذلك لن تدهش المرء الذي يعرف ازدواجية اللغة:

إن الفرق بين اللغتين العربية الكلاسيكية والدارجة ليس فرقا واضحا تماما، وذلك نظرا لوجود عدة درجات بين اللغة العربية المستخدمة في القرآن ولغة الكلام التي يستخدمها رجل الشارع لمناقشة الشؤون العامة. علاوة على ذلك فإن اللغة

العربية الكلاسيكية ليست لغة محكية، ولكنها لغة كتابية تستخدم في جميع أنحاء العالم العربي. وهذه اللغة الكتابية قد تقرأ شفويا، ولكن قلّ ما نجد من يتكلمها بصورة ارتجالية. ويذكر أن من يستطيعون التحدث باللغة العربية الكلاسيكية بطلاقة هم قلائل جدا (الداش وتكر ١٩٧٥، ص ٣٥).

وكان المتكلمون الذين استخدموا في الدراسة واعين لذاتهم بأنهم يحاولون تكلم اللغة العربية الكلاسيكية بصورة عفوية. وكان لمهمة التسجيل على أشرطة تأثير على أدائهم باللغة العربية الدارجة أيضا حيث بدوا وكأنهم يستخدمون أسلوبا أرقى بعض الشيء من اللهجة الدارجة (الداش وتكر ١٩٧٥، ص ٥٣). وعلى الرغم من هذه المشكلات إلا أن نتائج البحث قدمت صورة واضحة عن وجود حالة من ثلاثية اللغة حيث تحتل اللغة الإنجليزية باللكنة المصرية مكانا بين اللغة العربية الكلاسيكية والعامية. وقد طلب من المستمعين أن يقيموا المتكلمين في كافة العينات اللغوية على أربعة مقاييس للفارق الدلالي، وهي: الذكاء والقيادة والتدين ومدى كون المرء محبوبا.[١٣] وخضعت النتائج لتحليل تباين. وتبين وجود أثر كبير بصورة واضحة لتنوع اللغة على كافة السمات الأربعة.

ولسوء الحظ فإن اكتشاف الأثر الرئيسي للغة لم يكن معيناً للغاية. ولتبين السبب في ذلك انظر بكل بساطة إلى الجدول رقم (٦.٦) وهو إعادة مبسطة قليلا لخط واحد من جدول (٢) الذي قدمه إلداش وتكر (١٩٧٥، ص٤٢) وكانت نسبةF الملحوظة تدل على أنه في مكان ما بين العينات اللغوية الست كان متحدثو بعض العينات اللغوية يعتبرون أكثر ذكاءً بصورة ملحوظة من المتحدثين في العينات اللغوية الأخرى. ولا يوضح الجدول لنا في أي العينات اللغوية تكون الفروق فيها ذات أهمية. ولحسن الحظ فهناك اختبار إحصائي آخر يسمى اختبار ذات المقارنة المتعددة لنيومن كيولس، وقد صمم لتحديد مصدر التباين في حالات مثل هذه. وقد طبق الداش

وتكر هذا الاختبار وتلخص النتائج في الجدول رقم (٦،٧).

وبدراسة الجدول رقم (٦،٧) يتبين أن المتحدثين باللغة العربية الكلاسيكية واللغة الإنجليزية باللكنة المصرية يعتبرون أكثر ذكاء ويمتلكون قدرة قيادية أكثر من المتكلمين باللغة العربية الدارجة. ويتلازم هذا مع نمط الازدواجية اللغوية، حيث إن الفرد العادي في المجتمع يعتقد أن المتحدثين باللهجة العليا تكون لديهم هذه السمات بدرجة أكبر من المتحدثين باللهجة الدنيا. ورغم أن العربية الكلاسيكية حظيت بتقديرات أعلى في كلتا السمتين بدرجة أكثر من الإنجليزية باللكنة المصرية إلا أن الفرق لم يكن كبيرا في أي من الحالتين. وأما بالنسبة لسمة التدين، فإن المتكلمين باللغة العربية الكلاسيكية اعتبروا أكثر تدينا من المتحدثين بالعينتين اللغويتين، وذلك لأن الاستخدام الديني هو عموما من وظائف ضرب اللغة العليا. غير أن حقيقة كون اللغة الإنجليزية دخيلة على الثقافة العربية يعد عنصرا مهما هنا. ورغم أن اللغة الإنجليزية بصفة عامة ظهرت كلغة عليا إلا أن ذلك ليس مهما بالنسبة لموضوع الدين. وقد اعتبر المتحدثون باللغة العربية الدارجة أكثر تدينا قليلا من الذين يتحدثون باللغة الإنجليزية باللهجة المصرية، ولكن هذا الفرق لم يكن كبيرا.[١٤] أما المقياس الوجداني الوحيد، وهو كون المرء محبوبا، فقد فشل في بيان أي ميزة للغة الدنيا أو اللغة العربية الدارجة. وعلى العكس وجد المحكمون أن الذين يتكلمون اللغة العربية الكلاسيكية محبوبون أكثر من الذين يتكلمون أيا من الضربين اللغويين الآخرين. إن توقع أن اللغة الأكثر ارتباطا بالمواطنين لغة أعلى على المقياس الوجداني هو احتمال لم يتحقق أيضا.

الجدول رقم (٦، ٦). متوسط تقديرات الذكاء طبقا لكل عينة لغوية.

السمة	العربية الكلاسيكية	العربية الدارجة	الإنجليزية المصرية	الإنجليزية الأمريكية	الإنجليزية البريطانية	نسبة العوامل F	الدلالة
الذكاء	١٠ ,٢٥	٨ ,٤٩	٩ ,٥٩	٩ ,١٣	٨ ,٤٥	٢٠ ,٣٣	$P > 0.1$

المصدر : بيانات مأخوذة من إلداش وتكر (١٩٧٥، ص ٤٢، جدول ٢)

وقد طرح إلداش وتكر أيضا عددا من الأسئلة عن مدى ملائمة الضروب اللغوية المختلفة للاستخدام في حالات مختلفة. وسجلت النتائج على مقياس فارق دلالي يتراوح ما بين تلاؤم مرتفع وتلاؤم منخفض. وتراوحت الدرجات المتوقعة كما في الجزء الخاص بأسلوب الأداء المقارن من التجربة، ما بين ٢ إلى ١٢ (بين ٢و ١٢). وقد طلب من أفراد العينة أن يحكموا على مدى تلاؤم (مناسبة) عينة لغوية حسب ما سمعوها للاستخدام: ١-في البيت، ٢-في المدرسة، ٣-في العمل، ٤-في برامج الراديو والتلفزيون، ٥-في الأحاديث الرسمية والخطب الدينية. ولم تكن هناك فروق كبيرة بين العينات اللغوية الثلاث بالنسبة لحالة العمل، ولكن في المواقف الأربعة الأخرى أعطت النتائج نفسها التي قد يتنبأ المرء بها إذا كان لديه معرفة بازدواجية اللغة. وجاءت نتائج هذه الحالات الأربع كما هي مقدمة في الجدول رقم (٦.٨) وباستخدام النموذج نفسه كما في الجدول رقم (٦.٧).

الجدول رقم (٦.٧). مقارنة لمتوسط التقديرات لأربع سمات لدى متكلمي ثلاث عينات لغوية، وفي حالة علم وجود رموز بين عينات اللغات (الذكاء مثلا بين العربية الكلاسيكية والإنجليزية) فإن الفروق بين النتائج غير مهمة.

السمة	العربية الكلاسيكية		الإنجليزية المصرية		العربية الدارجة
الذكاء	١٠,٢٥		*		٨,٤٩
	١٠,٢٥		٩,٥٩	+	٨,٤٩
القيادة	٨,٧٤		*		٧,٢٠
	٨,٧٤		٨,٥٦	*	٧,٢٠
التدين	٩,٣٨		*		٧,٧٥
	٩,٣٨	*	٧,١١		٧,٧٥
المحبة	٩,٤٨		*		٨,٥١
	٩,٤٨	*	٨,٧١		٨,٥١

* تبين أن الفروق بين النتائج تكون دالة (مهمة) عندما تكون درجة الاحتمال <٠,٠١

+ تبين أن الفروق بين النتائج تكون دالة (مهمة) عندما تكون درجة الاحتمال < ٠,٠٥

المصدر: الداش وتكر (١٩٧٥)

الجدول رقم (٦,٨): مقارنة متوسط تقديرات ثلاث عينات لغوية لسمة الملائمة في أربع حالات

الحالة	العربية الكلاسيكية		الإنجليزية المصرية		العربية الدارجة
في البيت	٦,٣٦		*		٨,٧٠
	٦,٣٦	+	٦,٦٩	*	٨,٧٠
في المدرسة	٩,١١		*		٨,١٩
	٩,١١	*	٨,١٦		٨,١٩
في الراديو والتلفزيون	٩,٧٩		*		٧,٧٨
	٩,٧٩	*	٨,٨٤	*	٧,٧٨
الخطب الرسمية	٩,١٣		*		٥,٣٩
	٩,١٣	*	٦,٦٠	*	٥,٣٩

* تبين أن الفروق بين النتائج تكون دالة (مهمة) عندما تكون درجة الاحتمال < ٠,٠٠١

+ تبين أن الفروق بين النتائج تكون دالة (مهمة) عندما تكون درجة الاحتمال < ٠,٠٥

وفي حالة عدم وجود رموز بين عينات اللغة (مثلا في المدرسة بين الإنجليزية المصرية العربية الكلاسيكية) فإن الفروق بين النتائج غير دالة (غير مهمة).

المصدر: البيانات من إلداش وتكر (١٩٧٥)

إن اللغة العربية الدارجة هي إلى حد كبير الشكل الأكثر ملاءمة للاستخدام في البيت، أما العربية الكلاسيكية فهي الأقل ملاءمة وتعد في هذا السياق أقل من اللغة الإنجليزية المصرية بدرجة ملحوظة (درجة احتمال < ٠,٠٥). ومن ناحية أخرى فإن اللغة العربية الكلاسيكية في المدرسة قد تكون هي الأكثر ملاءمة، ولا فرق بين اللغة الإنجليزية المصرية والعربية الدارجة. أما بالنسبة للاستخدام في الراديو والتليفزيون وفي الخطب الرسمية فهناك فرق من ثلاثة جوانب. إن اللغة العربية الكلاسيكية تعتبر وبشكل واضح أكثر ملاءمة من كل من الإنجليزية المصرية والعربية الدارجة وتعد الإنجليزية المصرية أكثر ملاءمة من العربية الدارجة في هذا الصدد.

وينضم جزءا تصميم بحث إلداش وتكر ليرسما لنا صورة واضحة نوعا ما عن ازدواجية اللغة كما تعكسها المواقف اللغوية للمجتمع. فالمتحدثون باللغة العربية الكلاسيكية والإنجليزية المصرية يرون أنهم يمتلكون مقدرة قيادية عالية وذكاءً أشد من متحدثي اللغة بالعربية العامية، وتعتبر طريقة كلامهم الأكثر ملاءمة للاستخدام في الراديو والتلفزيون وفي الخطب الرسمية والدينية. إن اللغة العربية الكلاسيكية هي أكثر ملاءمة للاستخدام في الحالتين عما هو الحال بالنسبة للغة الإنجليزية المصرية، ولكن ليس هناك فرق دلالي بين اللغتين بالنسبة للذكاء والقدرة القيادية. ويعتبر الذين يتكلمون العربية الكلاسيكية أكثر تدينا من الذين يتكلمون أحد الضربين اللغويين الآخرين، وتعتبر العربية الكلاسيكية أكثر ملاءمة للاستخدام في المدرسة. أما بالنسبة للبيت فإن العربية الدارجة هي الأكثر ملاءمة إلى حد كبير، واعتبرت العربية الكلاسيكية هي الأقل ملاءمة لهذا المجال.

النتيجة الوحيدة التي لا تبدو متفقة مع توقعاتنا هي الأحكام التي أصدرها أفراد العينة على سمة المحبة. فقد اعتُبر المتحدثون باللهجة العليا، وهي العربية الكلاسيكية، محبوبين أكثر في الوقت الذي توقعنا فيه أن يحصل متكلمو اللغة العربية الدارجة على هذا التقييم. غير أن دراسة إلداش وتكر ليست دراسة غير طبيعية في هذا المجال، حيث إن ارتفاع تقديرات اللغات ذات المكانة على المقاييس الوجدانية تعد نتيجة شائعة نسبيا في دراسات المواقف.

وقد صممت دراسة المواقف عن اللغة الإنجليزية والإسبانية في الجالية الأمريكية المكسيكية في شيكاغو (كارنزا وريان ١٩٧٥) آخذة في عين الاعتبار ازدواجية اللغة بشكل واضح. وقد طوِّرت خصيصا تطوير مجموعتان من مقاييس الفارق الدلالي لاستخدامها في هذه الدراسة وهما مجموعة "التأكيد على المكانة" ومجموعة "التأكيد على التضامن". وقد شمل تصميم الدراسة أيضا استخدام سمة

الصورة المطابقة في الأشرطة التي ستستخدم كمحرض في التجربة (نذكر هنا أن تصميم الصورة المطابقة يعني أن كل عينة لغوية في التجربة ستظهر في كل المواقف سواء كان ذلك في موقفين أو أكثر). وتضمن تطبيق كارنزا وريان أربعة مقاطع :

١ - حكاية سردية عن أمٍّ تقوم بإعداد الإفطار بالمطبخ، وهي باللغة الإسبانية، ٢- مقطعا حول الموضوع نفسه، ولكن بأسلوب مناسب في اللغة الإنجليزية، ٣- مقطعا حول مدرس يشرح درسا في التاريخ في إحدى المدارس باللغة الإنجليزية، و٤- مقطعا مطابقا لذلك باللغة الإسبانية. ويعني ذلك أنه كان هناك أربعة مقاطع، أحدها بالإنجليزية في البيت، والإسبانية في البيت، والإنجليزية في المدرسة، والإسبانية في المدرسة. وكانت مقاييس تأكيد المكانة هي مقاييس التعليم والذكاء والنجاح والثروة. أما مقاييس تأكيد التضامن الأربعة فكانت الود والطيبة واللطافة والجدارة بالثقة. وقد احتوى الشريط الذي سيستخدم كمحرض على أربع قراءات لكل من هذه المقاطع بصوت طالب مختلف في كل مرة من جامعة نوتردام. وكان كل قارئ متحدثا أصليا باللغة التي كان يقرؤها. ونتيجة لذلك احتوى الشريط على ست عشرة قراءة بصوت ستة عشر متحدثا مختلفا.[١٥]

وكان أفراد العينة طلابا في المدرسة الثانوية من الإنجليز والأمريكيين المكسيكيين في مدرسة ثانوية كاثوليكية في شيكاغو. وكان الطلاب الأمريكيون المكسيكيون متحدثين أصليين للغة الإسبانية ودرسوا واستخدموا اللغة الإنجليزية في المدرسة. أما الطلاب الإنجليز فكانوا متحدثين أصليين للغة الإنجليزية، ولكنهم كانوا قد درسوا الإسبانية في المدرسة الثانوية.[١٦] وبالطبع كان الطلاب الأمريكيون المكسيكيون هم الوحيدين الذين كانوا أعضاء في مجتمع ازدواجي اللغة حيث استخدموا فيه اللغة الإنجليزية والإسبانية، وكانت مجموعة الطلاب الإنجليز عبارة عن "مجموعة تحكم". وبدأ كارنزا وريان بحثهما واضعين في الاعتبار الفرضيات الأربعة التالية (كارنزا وريان

١٩٧٥ ، ص٨٩):

١- إن تقديرات الأمريكيين المكسيكيين ستكون أعلى بالنسبة للغة الإسبانية في مجال البيت ، ولكنها ستكون أعلى بالنسبة للغة الإنجليزية في مجال المدرسة.

٢- تقديرات الإنجليز ستكون لصالح اللغة الإنجليزية أكثر مما هو الحال بالنسبة للغة الإسبانية في كلا المجالين.

٣- إن تقديرات الأمريكيين المكسيكيين ستكون أعلى بالنسبة للغة الإسبانية في مقاييس التضامن، ولكنها ستكون أعلى بالنسبة للغة الإنجليزية في مقاييس المكانة.

٤- إن تقديرات أفراد العينة الإنجليز لن تختلف بالنسبة لنوعي المقاييس.

وحلّلت النتائج باستخدام تحليل تباين مكون من أربعة عوامل: المجموعة (الإنجليز أو الأمريكيون المكسيكيون) X نوع المقياس (مقاييس المكانة أو مقاييس التضامن) X السياق (البيت أو المدرسة) X اللغة (الإنجليزية أو الإسبانية). ولم تكن هناك تأثيرات للمجموعة على الإطلاق سواء أكانت تأثيرات أساسية أم تفاعلات، وهو ما يعني ببساطة أن الإنجليز كمجموعة كانوا يضعون تقديرات للمقاييس بصورة لا تختلف عما كان يفعله الأمريكيون المكسيكيون. وهذه نتيجة مفاجئة، ولكن يمكن تفسيرها إذا افترضنا أن المتحدثين الإنجليز كانوا يتخذون وجهة نظر المتحدثين الإسبان. ويعد ذلك معقولا إذا وضعنا في الاعتبار عدة حقائق.

أولا: أن البحث أجري في قاعات دراسية مختلطة حيث كان الطلاب الإنجليز والأمريكيون المكسيكيون يستمعون إلى الأشرطة ويضعون التقديرات في الوقت نفسه، وثانيا: أن الطلاب الإنجليز كانوا جميعا دارسين للغة الإسبانية وكانوا يتعلمون شيئا عن لغة وثقافة المتحدثين الإسبان. وربما كان الأهم من ذلك أن معظم الإنجليز أدركوا بلا شك أن مقارنة الإسبانية بالإنجليزية في ذلك السياق لم تكن ذات أهمية

بالنسبة لهم. فلا مجال على الإطلاق لأن تكون اللغة الإسبانية هي اللغة الملائمة في بيوتهم. أما الطريقة الوحيدة لفهم هذا الإجراء فهي تبني وجهة نظر زملائهم الأمريكيين المكسيكيين، وهذا ما يبدو أنهم قد فعلوه بنجاح تام.

ومن ناحية أخرى، كانت هناك آثار أخرى مهمة. كان هناك تأثير كبير ذو دلالة لغوية (نسبة F = ١٠, ٩، درجة احتمال < ٠,٠١) حيث حصلت اللغة الإنجليزية على متوسط تقديرات في كل المقاييس بلغ ٧٧, ٤ ، وحصلت الإسبانية على ٦٢, ٤ (وذلك على مقاييس مكونة من سبع نقاط وقد أعطيت الصفات المفضلة القيمة ٧). وإجمالا، فإن كلا من الأمريكيين المكسيكيين والإنجليز، الذين تبنوا على الأرجح وجهة النظر الأمريكية المكسيكية، قيموا اللغة الإنجليزية على أنها أعلى من الإسبانية، وهي نتيجة نموذجية بالنسبة للغات العليا في حالة وجود ازدواجية لغوية. وما يجعل الأمر ممتعا أكثر أن هناك تأثيرين مهمين للتفاعل بالنسبة للسياق حسب اللغة (نسبة F = ٤٦, ١٤، درجة احتمال < ٠,٠٠١) ونوع المقياس لكل لغة (نسبة F = ٨٠, ٦، درجة احتمال < ٠,٥٠). وهذا يعني أنه بالنسبة لسياق التفاعل باللغة فإن الإنجليزية والإسبانية حصلتا على تقديرات مختلفة إلى حد كبير، بناء على ما إذا استمع إليهما في سياق البيت أو في سياق المدرسة. وبالمثل، فإن تقديرات اللغتين اختلفتا إلى حد كبير بناءً على ما إذا كان القياس يتم على مجموعة تأكيد التضامن أو مجموعة تأكيد المكانة.

ويبين الجدول رقم (٦,٩) متوسط التقديرات لهذه التفاعلات. ومن خلال السياق نستطيع أن نرى أن الإسبانية اعتبرت أعلى من الإنجليزية في المتوسط بالنسبة لسياق المنزل، أما الإنجليزية فكانت أعلى في سياق المدرسة. وهذا بالتحديد نوع النتائج التي يتوقعها المرء في مجتمع فيه ازدواجية لغة. وكما أوضح كارنزا وريان (١٩٧٥، ص ٩٩) "فإن النتائج تؤكد أهمية دور السياق. ولو تُجوهل السياق لكانت

التنائج قد أكدت وجود تفضيل إجمالي للغة الإنجليزية". أما نتائج نموذج المقاييس فلم تكن واضحة تماما بهذا الشكل، بمعنى أن الإنجليزية تعتبر أعلى في كلا المقياسين. غير أن الفرق في مقاييس التضامن يعتبر صغيرا للغاية، وهو فرق أكثر قدرا في مقاييس المكانة. أما حقيقة أن هناك تفاعلا مهما فتعني أن هذا النمط له مغزاه. وبعبارة أخرى يبدو أن أفراد العينة تعرفوا على الفرق بين اللغتين فيما يتعلق بمفاهيم المكانة والتضامن. وكان من الممكن التنبؤ بهذا الفرق من خلال فهم ظاهرة ازدواجية اللغة.

الجدول رقم (٦،٩). متوسط تقديرات الإسبانية والإنجليزية حسب السياق ونوع المقياس.

	السياق		نوع المقياس	
	البيت	المدرسة	التضامن	المكانة
الإنجليزية	٤،٦٠	٤،٩٤	٤،٨٢	٤،٧٢
الإسبانية	٤،٧٣	٤،٥١	٤،٧٧	٤،٤٧
الفرق	-٠،١٣	٠،٤٣	٠،٠٥	٠،٢٥

الفرق بالسالب يبين أن الفرق في صالح اللغة الإسبانية

المصدر: كارانزا وريان (١٩٧٥م).

وتبين النتائج التي حصلنا عليها في مصر وفي الجالية الأمريكية المكسيكية في الولايات المتحدة أن ازدواجية اللغة شفافة على نحو يمكن تأكيدها عن طريق بحوث المواقف اللغوية وخاصة استخدام أسلوب الأداء المقارن.

التعليم

ربما كان التعليم هو أهم تطبيق لبحوث المواقف اللغوية خارج نطاق فهم البنية الاجتماعية. لقد كانت دراسات المواقف التي أجريت في مجال التعليم من نوعين: ١- المواقف اللغوية للمدرسين، ٢- المواقف اللغوية لدى متعلمي اللغة الثانية. وأما النوع الثاني من الدراسات فيعد عادة لاكتشاف ما إذا كانت مواقف المتعلمين نحو اللغة التي يتعلمونها تؤثر على تقدمهم في تعلم هذه اللغة. لن نناقش هذا الموضوع من البحوث هنا، ولكن هناك بعض المراجع لذلك مقدمة في الهوامش البيليوغرافية لهذا الفصل، وفي الكتاب الثاني سنناقش أهم مواقف المدارس في التعليم العام. وهنا سنفحص كيفية قياس مواقف المدرسين والنتائج التي تنبثق عن هذه الأقيسة.

يعتبر فردريك ويليامز من أفضل من أجروا بحوثا على المواقف اللغوية في التعليم من بين علماء النفس الاجتماعيين والمربين وعلماء اللغويات النفسية. وبناء على عدد من المشروعات البحثية التي جرت في منتصف السبعينيات (وليامز، وايتهيد وميلر ١٩٧١، ١٩٧٢، وليامز ١٩٧٣، مشاي ووليامز ١٩٧٣، وليامز ١٩٧٤، وليامز ورفاقه ١٩٧٦) فإن تصميم بحث وليامز المتقن والدقيق وإجراءاته الإحصائية قد أثمر وحصل على نتائج واضحة بصفة خاصة، ويمكن إيرادها هنا. ومن المفيد جدا أن نستعرض منهجه البحثي والنتائج التي توصل إليها ببعض من التفصيل.

مخطط البحث لدى وليامز.

إن منهج وليامز الأساسي هو أن يجعل أفراد العينة يقيمون عينات من حديث مسجل (على الفيديو أو سماعيا) طبقا للصيغة المألوفة من مقاييس الفارق الدلالي. ولم يستخدم في تسجيلاته التي ستستخدم كمحرض أسلوب الأداء المقارن فيما عدا استخدامها بالمعنى الواسع جدا. ولم تكن هناك محاولة لجعل نفس المتحدث يتحدث

بأكثر من عينة لغوية واحدة، ولكن هناك عينات لأطفال مختلفين من السن نفسه يشتركون في العرق والوضع الاجتماعي أو المكانة الاجتماعية، وهما المتغيران المستقلان اللذان اهتم بهما وليامز. وتشمل التسجيلات محادثات حرة نسبيا، ولم تكن هناك محاولة للتحكم بالمحتوى. ورغم أن بعض الباحثين يعتبرون فقدان التحكم أمرا مزعجا إلا أن نوع الفقرات المسجلة التي استخدمها وليامز تجنبت التكرار وفقدان العفوية التي أحيانا ما تكون أحيانا الطابع الغالب للبحوث التي هي أكثر تحكما.

وفي بحث وليامز، أُولِيَت عناية خاصة لعملية تطوير الفارق الدلالي ذاتها. وفي حين أن كثيرا من مخططات بحوث المواقف تستخدم ببساطة صفات لتحديد القياس تبدو مقبولة للباحث، إلا أن وليامز (١٩٧٤، ص٢٣) استخدم إجراء من أربع خطوات قاده إلى فحوى البحث الأساسي. أولا، أُجريت دراسة استرشادية استمع فيها مجموعة من المدرسين إلى عينات من الأحاديث وقيموا المتكلمين بطريقة السؤال المفتوح والذي طلب منهم من خلاله أن يصفوا المتكلمين بأسلوبهم الخاص. ثانيا، أُخذت مجموعة مختلفة من الصفات التي جاءت في إجابات الأسئلة المفتوحة ووضعت في مجموعة من المقاييس التي تعتبر في حد ذاتها نماذج أصلية. وقد أعطاه هذا الإجراء نوعا من تأكيد أن صفات تحديد المقياس كانت ملائمة للمدرسين حيث إن المدرسين استخدموها بعفوية في وصف كيفية تحدث الأطفال. ثالثا، استخدمت هذه المقاييس الأصلية من قبل مجموعة أخرى من العينة لتقييم عينات لغوية. رابعا، استُخدم أسلوب إحصائي يسمى التحليل العاملي، أي تحليل العوامل؛ لإيجاد ما إذا كانت المقاييس المختلفة تكشف عن أبعاد إجابات أساسية بقدر أكبر.

وتحتاج الخطوة الأخيرة إلى بعض الشرح والتفسير للتحليل العاملي. فالتحليل العاملي إجراء معقد، ولذلك لن أحاول تفسير كيفية عمله، وبدلا من ذلك سننظر فقط في نوع النتائج التي تنبثق عنه. إن الفكرة الرئيسية في ذلك هو أنه أحيانا يقوم

مقياسان بقياس الشيء نفسه تقريبا. يمكن تخيل وجود استبيان للفارق الدلالي بالمقياسين التاليين:

يكون المتحدث:

١- ذكي _ _ _ _ _ _ _ غير ذكي

٢- متقد الذهن _ _ _ _ _ _ _ بليد

ولعل المتحدثين أنفسهم الذين سيحصلون على تقديرات عليا في مقياس الذكاء سيحصلون أيضا على درجات عليا في مقياس "الاتقاد الذهني"، والعكس صحيح. ويعني ذلك أنك ستتوقع أن المتكلم الذي يحصل على ٦ في مقياس الذكاء سيحصل أيضا على ٦ في مقياس الاتقاد الذهني، أو في أي من الأحوال ٧ أو ٥. إن تحليل العوامل إجراء يحدد للباحث المدى الذي يمكن فيه أن يكون التوقع صحيحا. وإذا استخدمنا الاستبيان الذي يحتوي على المقياسين الآنفين، فإن تخميننا يكون صحيحا حيث سيحصل كلا العنصرين على تقدير عال إلى حد كبير في تحليل العوامل.

إن المثال الذي استخدمناه هنا مصطنع بشكل متعمد وذلك لإيضاح القصد. ولعله لن يستخدم أحد مثل هاتين الصفتين المترابطتين إلى حد بعيد إن لم يكن الباحث قد أراد استخدام كل واحدة منهما لاختبار صدق الأخرى[١٨]. وأكثر من ذلك فإن تحليل العوامل قد يكشف عن القرابة بين مجموعة من العناصر، وليس مجموعة فيها عنصران فقط، ومثال على ذلك في بحث وليامز المجموعة التالية من المقاييس التي تشكل تكتلا عنقوديا طبقا لنتائج تحليل العوامل: غير متأكد - واثق ، إيجابي - سلبي ، متردد -متلهف ، يحب الكلام- يكره الكلام. وبعبارة أخرى، كان في أذهان المدرسين الصفات نفسها عندما حددوا تقدير كل واحد من هذه المقاييس .

وكان التكتل العنقودي للمقاييس التي ذكرناها آنفا واحدا من اثنين اكتشفهما وليامز . وقد استخدمت هذه المقاييس التي سميت مقاييس الثقة- التلهف لقياس

مواقف المدرسين الشاملة بناءً على طلاقة الطفل وحماسته. أما التكتل العنقودي الثاني فكان يدعى: العرقية- اللانموذجية. ويبدو أن هذه المقاييس مصممة لإظهار مواقف المدرسين تجاه سمات الكلام المرتبطة بالوضع الاجتماعي الأدنى مقابل الوضع الاجتماعي الأعلى، والعرق الأبيض مقابل العرقيات اللابيضاء. واعتبرت المقاييس المرتبطة بهذه الأبعاد هي الأكثر ملاءمة للاستخدام.

وقد يبدو هذان البعدان غير كافيين لبيان السلسلة الكاملة لمواقف المدرسين، إذن فكيف نثق من أنهما مناسبان؟ أوضح وليامز (١٩٧٤، ص ٢٤) عددا من المؤشرات على أن كلا البعدين صحيحان ويمكن الاعتماد عليهما. أما الصحة فمثبتة بطريقتين: الأولى، أن السمات التي وجدت في عينات الكلام الفعلية يمكن استخدامها "للتنبؤ" بنتائج نوعي المقاييس من وجهة نظر إحصائية. وباستخدام الإجراء المعروف باسم تحليل الارتداد الخطي، اكتشف وليامز أن تكرار مختلف السمات الصوتية والنحوية غير النموذجية المتعدده: مثل حرف d الذي ينطق وكأنه صوت th المجهور أو العبارات الصغرى يمكن أن تتنبأ بتقديرات على مقاييس العرقية واللانموذجية إلى حد كبير. وبعبارة أخرى فإن الطفل الذي يستخدم قدرا كبيرا من الألفاظ من نوع dem و dose وقدرا كبيرا من العبارات الصغرى من المحتمل أن يحصل على علامات عالية تدل على أنه "عرقي" (يعني ذلك ، في سياق بحث وليامز، أسود أو أمريكي مكسيكي) وغير نموذجي. وبالمثل فإن عملية تكرار "ظاهرة التردد" مثل أصوات " إه uhm، إحم uh " نجحت في التنبؤ بنتائج قياس الثقة -التلهف. والسبب الثاني في قبول صحة (صلاحية) النموذج المكون من بعدين يمكن تفسيره بشكل أفضل بكلمات وليامز نفسه (١٩٧٤، ص ٢٤): "لقد وجد النموذج المكون من عاملين بشكل متطابق تقريبا في الأبعاد نفسها المفسرة في دراسات منفصلة في شيكاغو وتكساس، حيث كان تطوير القياس في كلتا الدراستين قد بدأ بمجموعة من

الصفات منتقاة من مناقشات المدرسين". وبعبارة أخرى، فإن دراستين استرشاديتين في مجتمعين منفصلين اشتملتا على مدرسين لا يعرفون بعضهم، وكان لهما النتيجة نفسها ذات العاملين. أما المصداقية فقد أظهرت بطريقة إحصائية فنية عن طريق حساب "المعاملات المشتركة للمصداقية"(وليامز ١٩٧٤، ص ٢٤). وبالإضافة إلى ذلك ظهر أحد مؤشرات المصداقية من تلك التجارب التي اشتملت على تقييمات أو تقديرات متكررة لعينات الكلام نفسها أعدت من قبل المدرسين أنفسهم. بل كانت النتائج متطابقة أساسا حتى عندما أجريت التقديرات بعد فاصل زمني مدته ثلاثة أسابيع.

وبتعبير أقل تقنية، فإن البعدين كان لهما درجة قبول كبيرة عندما حاولنا اكتشاف معناهما في واقع الحياة. ويبدو أن المدرسين استجابوا إلى الشكل الذي عبر به الأولاد عن أنفسهم (العرقية -اللانموذجية) والطريقة التي قدموا بها حديثهم (الثقة - التلهف). كما حصل الصغار على تقديرات عالية وأخرى منخفضة في المقاييس، وذلك بنمط يمكن تفسيره بسهولة كما يوضح الشكل رقم (٦.٤). ويلاحظ أن الأولاد ذوي المكانة العالية غالبا ما حصلوا على تقدير "غير عرقي ونموذجي" (وأيضا "واثق ومتلهف")، في حين أن الأولاد الذين ينتمون إلى المكانة الأدنى حصلوا على تقديرات معاكسة. وبالنسبة لموضوع العرقية فهناك اختلاف بسيط في كلا المقياسين بين منزلة الأولاد من البيض والسود على الرغم من أن الصغار البيض جاءوا في مرتبة "أقل ثقة وأقل لهفة وأكثر عرقية ونموذجية بقليل من الصغار السود. أما الأولاد السود من ذوي المكانة الأدنى فقد حصلوا على تقديرات "عرقي وغير نموذجي" أكثر من الأطفال البيض ذوي المكانة الأدنى"، كما حصلوا على تقديرات "أقل ثقة ولهفة إلى حد ما".

نتائج وليامز.

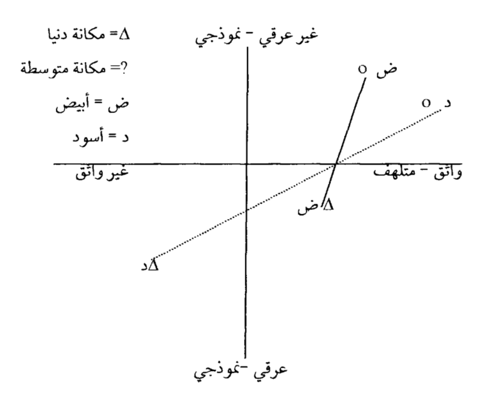
لعل أهم نتيجة توصل إليها ويليامز في بحوثه هو وزملاؤه هي اكتشاف "نموذج

العاملين" الذي يضمن بمصداقية وصدق الحصول على بعدين رئيسين على الأقل من مواقف المدرسين. وأكثر من ذلك، هناك نتائج أخرى مهمة. فمثلا، عند مقارنة تقديرات الأولاد البيض بالأولاد السود من جانب المدرسين البيض والسود، تبين أن المدرسين السود قدروا الأولاد السود على أنهم إلى حد كبير "غير عرقيين" ونموذجين" أكثر مما قدرهم به المدرسون البيض (وليامز ١٩٧٣، ص ١٢٢-١٢٣). وفي تقديرات الأولاد البيض، جاءت تقديرات المدرسين البيض وكذلك السود للأولاد البيض ذوي المنزلة العالية هي نفسها بالنسبة للعرقية واللانموذجية، غير أن المدرسين السود وجدوا الأولاد البيض ذوي المكانة الأدنى أكثر "عرقية" و"لا نموذجية" عما قدره به المدرسون البيض. وبعبارة أخرى، عندما يكون هناك فروق بين المجموعتين، غالبا ما كان المدرسون يقدرونهم حسب عرقيتهم الخاصة، وذلك بإعطائهم تقديرات "غير عرقي" و "معياري" بدرجة أكثر مما كان الحال مع المدرسين الذين كانوا من غير عرق الطلاب. وكانت تقديرات بعد "الثقة - التلهف" متشابهة تماما بين المدرسين السود والبيض.

وهناك نتيجة مهمة أخرى وجدها ويليامز، ألا هي دور الصور النموذجية المشتركة (stereotypes) في تقييم الكلام (وليامز ١٩٧٣، ص ١١٧-١٢٣). وقد وجد وليامز أنه من السهل استنباط تقييمات الكلام باستخدام مقاييس الفارق الدلالي نفسها عندما لا تسجَّل أي عينات للكلام، ولكن يقدَّم ببساطة أفراد العينة وصفاتهم العرقية. ومثال على ذلك يبلَّغ المدرس بأن يقيم صفات الكلام عند الولد "الإنجليزي" أو "الأسود" أو "الأمريكي المكسيكي" بناءً على خبراته سواء كانت حقيقية أو متوقعة مع هؤلاء الأولاد.

وقد ميِّزت الصور النموذجية المشتركة التي استُنبطت بهذه الطريقة عن طريق عرقية الولد. وكانت الصورة النموذجية المشتركة للأولاد الإنجليز هي أنهم أكثر ثقة

ولهفة وأقل عرقية ونموذجية من الأولاد في أي من المجموعتين الأخريين. أما الأولاد السود والأمريكيون المكسيكيون فقد اعتبروا أقرب إلى بعضهم فيما يتعلق بمقاييس العرقية واللانموذجية.



الشكل رقم (٦.٤). عرض بياني للنموذج ذي العاملين.
المصدر: مأخوذ من وليامز (١٩٧٤م، صفحة ٢٥، الشكل رقم ١).

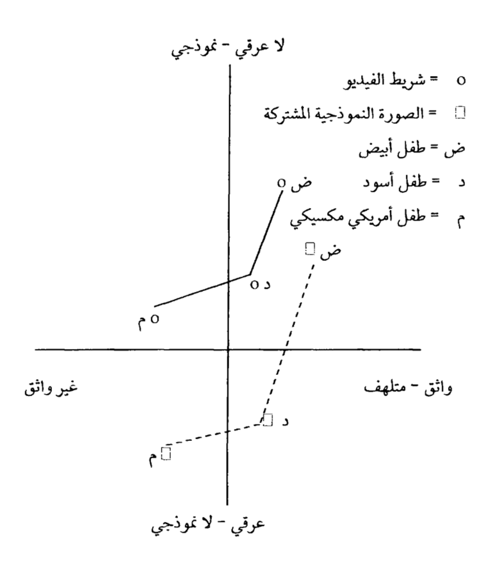
غير أنهم ميِّزوا في مقياس الثقة اللهفة حيث قدَّر الأولاد السود بصورة نموذجية على أنهم أكثر ثقة ولهفة من الأولاد الأمريكيين المكسيكيين (بيد أنهم ليسوا بالثقة واللهفة نفسها التي عند الأولاد الإنجليز). وبذلك كان من الممكن استنباط الصورة

النموذجية المشتركة بالإضافة إلى وجود دليل على مصداقية هـذه النتائج إلى حد كبير (وليامز ١٩٧٣ ، ص ١١٨-١٢٠).

وقد خطر ببال الباحثين سؤال مهم حول الدور الذي تلعبه مواقف الصورة النموذجية في تقييمات المدرسين لعينات الكلام الحقيقة؟ فهل يقيِّم الأولاد إلى حد كبير بناءً على الصور النموذجية عنهم بغض النظر عما يبدو عليه كلام هذا الولد؟ أو هل تلعب الصور النموذجية المشتركة دورا فقط في غياب عينات الكلام؟ وهل لا يستجيب المدرسون إلا لخصائص عينة الكلام بغض النظر عن عرقية الولد الذي يتكلم؟ أم هل هناك نوع من التداخل بين الصور النموذجية المشتركة وخصائص عينة الكلام؟ لقد طور وليامز ومساعدوه منهجا أصيلا للإجابة على هذا السؤال (وليامز، وايتهيد وميلر ١٩٧١ ، وليامز ١٩٧٣). فقد أعدِّت تسجيلات خاصة بالفيديو بشكل متقن تضمنت الصورة المرئية للأولاد من العرقيات الثلاث وهم يتكلمون. وفي كل مثال صوِّر الأطفال بمظهر جانبي كي لا تقرأ شفاههم. وقد كان ذلك مهما ؛ لأنه أعيد تسجيل الأسطوانة الصوتية نفسها على كافة أشرطة الفيديو. وعلاوة على ذلك فقط احتوت هذه الاسطوانة الصوتية على مقطع باللغة الإنجليزية النموذجية. وكانت النتيجة أن أفراد العينة (وهم هذه المرة مدرسون بيض تحت التدريب) اعتبروا أن الأولاد السود الإنجليز والأمريكيين المكسيكيين يتحدثون الإنجليزية النموذجية[١٩]. تعرض هذه النتائج في الشكل (٦،٥).

لاحظ أولا أن تقديرات الفيديو والصورة النموذجية المشتركة للولد الإنجليزي كانت متقاربة للغاية. أما تقديرات الأولاد السود والأمريكيين المكسيكيين فكانت في أوضاع مختلفة بدرجة ملحوظة رغم أن الحديث الفعلي كان واحدا، كما استُمع إليه في شريط الفيديو من الولد الإنجليزي. ولو كانت خصائص الكلام هي الشيء الوحيد الذي يستجيب إليه أفراد العينة لكانت كافة الدوائر الثلاث في المكان نفسه، أي في

المكان نفسه لدائرة الولد الإنجليزي.



الشكل (٦.٥). تقديرات العينات السمعية نفسها للغة الإنجليزية النموذجية مع صور بالفيديو للأولاد الإنجليز والسود والأمريكيين المكسيكيين.

المصدر: وليامز (١٩٧٣م، صفحة ١٢٦، شكل رقم ٧)

ومن ناحية أخرى، لو كانت الصور النموذجية المشتركة وحدها ذات صلة،

فينبغي أن تكون دوائـر الأولاد السود والأمريكيـين المكسيكيين متقاربـة مـن تقديـرات صورتهم النموذجية ، كما كان تقدير الولد الإنجليزي بالفيديو قريبا من تقديـر صورتـه النموذجية. والظاهر أن ما يحدث هو أن الصور النموذجية كانت نوعا مـن "نقـاط التثبيت" التي يستخدمها المقيمون عند تقييم عينة من الحديث أو الكلام. وتؤدي نقـاط التثبيت هذه إلى منع تقدير عينة من الكـلام الفعلي ، مهما كانت درجة نموذجيتها في الواقع ، بتقدير أبعد كثيرا من صورتـها النموذجيـة المعروفـة. غير أن خصائص الكـلام تدخل في الاعتبار ، فتبتعـد تقديـرات الأولاد السـود والأمريكيـين المكسـيكيين للغـة الإنجليزية النموذجية عن "مثبتات" الصور النموذجية مجتمعة نحو الطرف النموذجي اللاعرقي لمقياس العرقية اللانموذجية. وبما أن الولد الإنجليزي تكلم على النحو الـذي توقعه أفراد العينة ، لذا جاءت تقديـرات الفيديو والصورة النموذجية متطابقـة تقريبـا. وبالرغم من أن وليامز (١٩٧٣م، ص ١٢٦) قد حذّر من أن هـذه النتـائج ليسـت بالضرورة حاسمة لأن التجربة شملت مجموعة صغيرة نسبيا من الأفراد وعددا محدودا من المثيرات، وإذا ثبت أنها نموذجية فإن أهميتها عظيمة. ويظهر أن التوقعات قد تقـود المعلمين لسماع حديث ولد ليس من أصل أبيض على أنه عرقي نوعـا مـا وغـير نموذجي ، بغض النظر عن مدى نموذجية حديثه في الواقع.[٢٠] ولم يتخذ وليامز ورفاقه الخطوة التالية بعد ، ولكنـهم حاولوا بيـان أن المواقف التي يظهرها بحثهم تؤثر على كيفية تعامل (تصرف) المعلمين مع الطلاب. وقد قام بـاحثون آخـرون بمحـاولات لتقصي أسباب المشكلة ، ووجد سليقمان وتكر ولامبرت Seligman, Tucker & Lambert (١٩٧٢م) أن "للصوت" دلالة تساوي دلالة كتابة موضوع تعبير ، أو رسـم صورة كأساس للحكم على مستوى ذكاء طالب المدرسة بأنه طالب جيد وواثـق بنفسه. ووجد فرندر ولامبرت Frender & Lambert (١٩٧٣م) بعض الأدلة على أن لخصائص الكلام تأثيراً على الدرجات التي يحصل عليها الطلاب بالمدارس . ولكن

كان هناك مشاكل في كل من التجربتين ولا يمكن القول أنه يمكننا إثبات أن المواقف اللغوية للمعلمين لها تأثير على سلوك المعلم، بالرغم من أنه يبدو منطقيا أن نتوقع ذلك التأثير.

خلاصة

هناك منظوران رئيسان لطبيعة المواقف. فالموقف طبقا للمنظور العقلي هو متغير يتداخل بين مؤثر واستجابة، بينما يعتبر السلوكيون أن المواقف هي استجابات سلوكية بحد ذاتها. وأغلب الأبحاث حول المواقف اللغوية تعتنق وجهة نظر المنظور العقلي. وهناك طرق تجريبية متنوعة لدراسة المواقف اللغوية، بعضها مباشر بعض الشيء والآخر يغلب عليه الطابع غير المباشر. وأحد الأساليب الذي أصبح تقريبا نموذجا في هذا المجال هو إجراء الأداء المقارن مع نماذج الاستجابة لمقاييس الفارق الدلالي. وتظهر هذه الطريقة في عدد من المشاريع البحثية مع تعديلات مختلفة. ورأينا كيف أن البحث في المواقف قد أبرز لنا دراسة البناء الاجتماعي، متضمنا اللغة كمؤشر للعرقية ولازدواجية اللغة، ودور اللغة في المساهمة في مواقف المدرسين نحو الطلبة. وهناك تطبيقات عديدة لبحث المواقف اللغوية تشمل دور المواقف في اكتساب اللغة الثانية، والمواقف اللغوية في ممارسة القانون والطب، ودراسة المواقف حيال اللكنة الأجنبية، ودراسة المواقف حيال الحديث الذي يشتمل بعض المقاييس السمعية. والمراجع لهذه الأعمال موجودة في هوامش المراجع الإضافية في هذا الفصل.

هوامش لمراجع إضافية

كتاب ريان وغايلز Ryan & Giles (١٩٨٢م) استعراض شامل للمواقف اللغوية يحوي العديد من الحالات الدراسية المأخوذة من أمريكا الشمالية. وبالإضافة

إلى الأعمال التي استشهد بها في هذا الفصل هناك دراسات أخرى عن المواقف اللغوية تتعلق بالهوية العرقية، ومن بينها كوهين Cohen (١٩٧٤م)، ولامبرت وغايلز وبيكارد (١٩٧٥م)، ولويس جيمس James (١٩٧٦م)، وريان وكارنزا (١٩٧٧م). ومن بين الدراسات التي تناولت المواقف اللغوية فيما يتعلق بتعلم اللغة الثانية، دراسة لامبرت وآخرين (١٩٦٨م)، وقولد Gould (١٩٧٧م). وقاردنز (١٩٧٩م)، وتيلور وмينارد وريلوت (١٩٧٧م). ودرس لند وأوبر Lind & O'Barr (١٩٧٩م)، وشيرر Scherer (١٩٧٩م) علاقة المواقف اللغوية بممارسة القانون، كما بحث شاي Shuy (١٩٧٩م) أهمية اللغة في المقابلات الطبية. وهناك العديد من المقتطفات لمقالات عن المواقف اللغوية، ومن بينها مقالات شاي وفاسولد (١٩٧٩م) وكوبر (١٩٧٤، ١٩٧٥) وغايلز وباوزلاند (١٩٧٥)، وغايلز (١٩٧٧) وغايلز وسانت كلير (١٩٧٩) ووليامز وزملائه (١٩٧٦م).

هوامش

(١) نوقش هذان الأمران بتفصيل أكثر في الجزء الثاني من الكتاب (اللسانيات الاجتماعية للغة).

(٢) بالعودة إلى نقاشنا حول أنواع المقاييس في الفصل الرابع فليس من الواضح بالضبط ما هو نوع المقياس الذي يقوم عليه مقياس الفارق الدلالي. فهو على الأقل مقياس ترتيبي، ولكن هل من الممكن اعتباره مقياسا فاصليا؟ وإذا كان الأمر كذلك فسنفترض مثلا أن الفرق بين الدرجة ٧ والدرجة ٦ على مقياس الذكاء هو نفسه في ذهن المستمع للفرق بين الدرجة ٥ والدرجة ٤. ولكن افترض أن المستمع أعطى الدرجة ٧ لشخص يبدو أنه عبقري، بينما قد يعطي الدرجة ٥ لشخص مستوى

ذكائه أعلى بقليل من المعدل العادي. ولهذا المستجيب فقد يكون الفرق بين الدرجة ٧ والدرجة ٦ أكبر بكثير من الفرق بين الدرجتين ٥ و ٤. وبهذا يفقد المقياس خاصيته الفاصلية. وتقرير ما إذا كان مقياس الفارق الدلالي فاصليا أو ترتيبيا مهم وحاسم بالنسبة للباحث الذي يجب أن يحدد أيا من الاختبارات المعيارية هو المناسب. وهناك تعقيدات أخرى بالطبع؛ لأن قيم المقياس ذاتها لم تحل إحصائيا، ولكن المتوسطات الحسابية المشتقة منها. وهذه المتوسطات الحسابية هي نقاط على مقياس فاصلي، وهي مشتقة من مقياس هو نفسه غير واضح. ويستخدم الإحصاء المعياري أكثر في الممارسة الفعلية لتحليل نتائج مقياس الفارق الدلالي، وعادة ما يكون تحليل التباين.

(٣) ذكر بورهيس وغايلز مستوى دلالة بدرجة احتمال <٠٠١.، وهو مستوى يعتبر عادة غير كافٍ لرفض فرضية الإبطال.

(٤) يعتقد تردغل وتسافاراس أن هذه الرؤية غير واقعية.

(٥) أجريت التجربة على الأولاد لاختبار فرضية ما إذا كان الأولاد الأصغر عمرا أقل اهتماما من البالغين بقبولهم من قبل المجتمع المضيف لهم، وبناءً عليه فمن السهل التعرف على أنهم من الهند الغربية بدلائل أصواتهم. ويظن بورهيرس وغايلز (١٩٧٧م ، ص ٩٠) بأن هذه الفرضية لم تتأكد لأحد السببين التاليين أو كليهما معا: ١- كان الأولاد يكتسبون أنماط الحديث السائدة في المجتمع قبل سن ١١، و٢- قد سبقهم آباؤهم (وهم الجيل الثاني من المهاجرين) لاكتساب أنماط لغوية لمجتمع كارديف. ومن المحتمل أن كلا السببين، وبالأخص الأول، يشرح نتائج الدراسة الثانية.

(٦) الاختبار الإحصائي الذي استخدم لمعرفة الدلالة (الأهمية) هو اختبار ذو

حدين ولم يشرح في الفصل الرابع، ولكن أنشن Anshen (١٩٧٨م) قد شرحه بوضوح.

(٧) أقصد هنا اللغة الإنجليزية النموذجية للسود في أمريكا، وكذلك الإنجليزية العامية للسود.

(٨) يمكن مقارنة تأثير هذا الزوج الأخير من المقابلات تقريبا مع التأثير في الولايات المتحدة إذا تحدث الأمريكي الأسود باللهجة الأمريكية النموذجية إلى الشخص الذي يقابله وغيّر حديثه إلى العامية الأمريكية للسود عندما يكون الشخص الذي يجري المقابلة معه إنجليزيا يتحدث بلهجة بريطانية ذات تلفظ نموذجي.

(٩) كان هناك توازن في الأصل في ترتيب تقديم هذه المقابلات، أي جرت المقابلة مع المعلق "الفرنسي" أولا في كل زوج لمجموعة من المستمعين، بينما جاءت المجموعة الأخرى أولا للمعلق من "كوبيك". وعندما ثبت أنه لم ينتج أي اختلاف بسبب الترتيب، جمعت النتائج مع بعضها لتعطي ثلاث حالات فقط.

(١٠) من الواضح أن الاستجواب المباشر لم يستخدم في التجربة الويليزية. ومن الممكن أن الفرنسية الكندية قد تطورت لتصبح مؤشرا على هوية الجماعة منذ منتصف ١٩٧٠م عندما أجريت هذه التجارب. وإذا كان الأمر كذلك فقد تشبه نتائج الأداء المقارن كثيرا نتائج التجربة في ويلز، مع علامات عالية على مقاييس الوجدانية عندما لا يتحول المتحدث إلى الشكل ذي المنزلة العليا. وقد تكون نتائج الاستجواب المباشر في التجربة الكندية مؤشرات مبدئية على مثل هذا التطوير.

(١١) ارجع إلى لامبرت (١٩٧٩م) للاطلاع على نقاش عام أعمق حول العلاقة

بين المواقف اللغوية وهوية الجماعة.

(١٢) وقد اشتمل أيضا على متحدثين أمريكيين وبريطانيين حتى يمكن قياس رد الفعل على هاتين اللهجتين الأصليتين للغة الإنجليزية، ويجب تعديل أسلوب الأداء المقارن المحدود حتى يسمح للمتحدثين المختلفين بإعطاء هاتين العينتين.

(١٣) على كل مقياس فارق دلالي هناك ٦ درجات، وهناك متحدثان لكل عينة، ولذا فتتراوح درجة كل عينة ما بين ٢ و ١٢ بعد أن جمعت علامات المتحدثين مع بعضها.

(١٤) بالرغم من أنه ابتعاد قليل عن الفكرة التي أقدمها هنا، فمن الممتع ملاحظة أن جميع العينات المصرية الثلاث، وهما نوعا اللغتين العربية والإنجليزية المصرية، قد قيّمت إلى حد كبير سمة التدين وبشكل أفضل من تقييم الإنجليزية البريطانية أو الأمريكية. ويظن إلداش وتكر أن المصريين قد يرون أنفسهم في الغالب أكثر تدينا من الأجانب متحدثي الإنجليزية، أو أنهم فهموا كلمة "متدين" لتعني "مسلما"، وهو ما يعتقدون أنه لا ينطبق على الأمريكيين أو البريطانيين.

(١٥) بالطبع وحصرا، فإن هذا ليس مخططا للأداء المقارن على الإطلاق، طالما لا يوجد لدينا المتحدثون أنفسهم يتحدثون في كل من العينتين. ولكن من الواضح تأثره بالدراسات البحثية للمواقف باستخدام الأداء المقارن، والتصميم مع ذلك هو من النوع العام نفسه.

(١٦) كان هناك ثلاثة طلاب في مجموعة الإنجليز يتحدثون الإنجليزية، ولكن لغاتهم الأم كانت غير الإنجليزية والإسبانية.

(١٧) وليامز هو أيضا مؤلف أحد المصادر التي بني عليها النقاش عن الإحصاء

في الفصل الرابع.

(١٨) نوقش مصطلح "الصحة" (الصلاحية) في الفصل الرابع.

(١٩) لاحظ أن هذه التجربة هي من نوع معاكس لأسلوب الأداء المقارن. فبدلا من جعل المتحدث نفسه يستخدم ضروبا لغوية مختلفة، يبدو أن أنواعا مختلفة من المتحدثين يستخدمون الضرب اللغوي نفسه.

(٢٠) من المهم ملاحظة أن الأفراد كانوا : ١- معلمين تحت التدريب (أي أن خبرتهم الواقعية في القاعة الدراسية قليلة)، و٢- أنهم من البيض، وإذا كان لدينا دليل على وجود اختلافات بين الصور النموذجية للمعلمين البيض والسود، فإننا نتوقع اختلافات مهمة إذا ما أعيدت التجربة باستخدام معلمين من الأمريكيين السود أو المكسيكيين.

الأهداف

١ - أن يكون قادرا على التمييز بين النظريتين العقلية والسلوكية للمواقف اللغوية، ومعرفة أيها يشكل أساسا لمعظم الأعمال عن المواقف اللغوية.

٢ - أن يكون قادرا على ذكر المواضيع الثلاثة العريضة الممكن دراستها "كمواقف" لغوية.

٣ - أن يحدد، وبناءً على أوصاف أبحاث المواقف اللغوية، ما إذا كانت قد أجريت "بطريقة مباشرة، أو "غير مباشرة" .

٤ - أن يستطيع معرفة وصف تجربة الأداء المقارن.

٥- أن يستطيع إظهار كيفية الإشارة إلى موقف ما على مقياس فارق دلالي إذا ما أعطي ذلك المقياس.

٦- أن يستطيع ذكر الأساليب الثلاثة العامة لدراسة المواقف اللغوية التي ذكرها

أغيسي وفيشمن، إذا ما أعطى أوصافها.

٧ - في بحث الأداء المقارن الذي يقرأ فيه كل متحدث المقطع نفسه (بشكل مترجم) في كلتا العينتين قد يحكم على المتحدثين بأنهم قراء شفهيون وليسوا متحدثين لضرب لغوي معين. وأن يكون قادرا على تحديد كيف حاول بعض الباحثين تجنب هذه المشكلة .

٨ - أن يستطيع القول إذا كانت طريقة بحث افتراضي معطاة هي مثال صحيح على مقياس الالتزام أو لا.

٩- أن يستطيع معرفة تعريف المصطلح "مجموعة تقييمية".

١٠- أن يستطيع القول إذا ما كان بحث الأداء المقارن قد أظهر بشكل عام أن اللغات ذات المنزلة الدنيا تقيم عاليا في مثل هذه الخصائص "كالود" و "الجدارة بالثقة" أكثر من الضروب اللغوية المركبة.

١١- أن يستطيع ملاحظة نمط العمر للمواقف تجاه أرفنتيكا (جدول ٦,٣)، وتفسير تردغل وتسافاراس له.

١٢- أن يكون قادرا على الاستشهاد بالدليل على أن مهاجري الهند الغربية إلى كارديف قد دخلوا في المجتمع المحلي.

١٣- أن يستطيع التعرف على عبارة التناقض الضمني في نتائج "المقابلات الشخصية" مع الرياضية الفرنسية الكندية.

١٤- أن يستطيع التعرف على الفرق بين العينة الكويبكية والويليزية لتجربة "الرياضية"، والتي تبين أن الإنجليزية المتحدثة بلكنة ويلز قد تطورت بشكل أفضل كرمز لهوية المجموعة من الفرنسية الكندية.

١٥- أن يعرف المشكلتين اللتين واجهتا إلداش وتكر في استنباط عينات للحديث.

١٦- من بين متحدثي العربية الكلاسيكية والعامية العربية والإنجليزية باللكنة المصرية قُيِّم متحدثا ضربين لغويين من هذه الضروب اللغوية على أنهم أكثر ذكاءً، وأن لهم قدرات قيادية أكبر من الضرب الثالث. والهدف هو أن يكون قادرا على معرفة هذين الشكلين من بين الأشكال الثلاثة.

١٧- أن يستطيع ذكر أي شكلين من الأشكال اللغوية المصرية الثلاثة الواردة في الهدف (١٦) السابق جعلا متحدثيهما يبدون أكثر تدينا.

١٨- أن يتعرف على أي من الأشكال اللغوية المصرية جعلت متحدثيها يبدون محبوبين أكثر.

١٩- أن يستطيع تسمية الشكل اللغوي في مصر الذي قُيِّم على أنه الأنسب للاستخدام في المنزل والمدرسة، والأقل مناسبة للاستخدام في المنزل.

٢٠- أن يستطيع التعرف على الفرق بين تقييمات الإسبانية والإنجليزية بواسطة السياق في بحث كارنزا وريان.

٢١ - أن يلاحظ الاختلاف في تقييمات الإسبانية والإنجليزية بواسطة نوع المقياس.

٢٢ - أن يلاحظ الدليل الخاص على أن أبعاد وليامز ذات المقاسين "صحيحة" وأن وليامز نفسه هو أفضل من بيَّن ذلك".

٢٣ - أن يستطيع معرفة ما تمكّن وليامز من استنباطه عندما سأل المعلمين أن يقيّموا الحديث عندما أعطوا فقط مسميات عرقية ولم يستمعوا إلى الأولاد وهم يتحدثون.

٢٥ - أن يلاحظ اكتشاف وليامز حول دور الصور النموذجية المشتركة في تقييم المعلمين لحديث الأولاد.

الفصل السابع

الاختيار اللغوي

لو فكرنا برهة لاتضح لنا أن اللغويات الاجتماعية لا تقوم لها قائمة كمجال للدراسة إلا إذا تواجدت الخيارات في استخدام اللغة. إن عنوان الفصل الأول، وهو "التعددية اللغوية في المجتمع"، يشير إلى حقيقة إمكانية وجود عدة لغات في مجتمع ما. ولا يمكن لنا أن نكتب فصلا ثانيا عن ازدواجية اللغة ما لم يكن هناك ضربان لغويان، وهما اللغة العليا واللغة الدنيا. وإذا فكرنا بموضوع كل فصل مررنا به في هذا الكتاب حتى الآن أدركنا أن كلا منها يتركز على إمكانية وجود خيارات لغوية يختار منها الناس في المجتمع، ويكون ذلك الاختيار من بين ضروب لغوية مختلفة. إن الإحصاءات لن تكون ذات ضرورة ما لم يكن هناك تنوع في استخدام اللغة وخيارات بين هذه الضروب اللغوية المختلفة.

وفي هذا الفصل نبحث في أسباب اختيار الناس، في مجتمع ما، استخدام لغة دون غيرها في مواقف معينة. وسنميز بين ثلاثة أنواع من الاختيارات اللغوية، ثم نناقش تناول علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيين وعلماء الإنسان مسألة اختيار اللغة.[١] وختاما سنحاول ربط نتائج المناهج الثلاثة مع بعضها ونرى مدى إسهامها في تحقيق فهم أفضل لكيفية اختيار الناس اللغة التي يتكلمونها.

أنواع الاختيار

عندما نفكر في الاختيار اللغوي فإن أول ما يرد إلى خاطرنا هو اختيار

"اللغات بكاملها". ونتخيل شخصا ما يتكلم لغتين أو أكثر وعليه اختيار واحدة منها للاستخدام. والواقع أن ذلك أحد الأنواع الرئيسية للاختيار التي يجب علينا تناولها، وهو ما يسمى أحيانا "تبديل الشفرة" (لاووسا ١٩٧٥، غرينفيليد ١٩٧٢، هيرمان ١٩٦٨، روبن ١٩٦٨ ب، وسانكوف ١٩٨٠). وأدق من ذلك ما يسمى "مزج الشفرة" حيث تستخدم أجزاء أو "قطع" من اللغة الأولى أثناء استخدام المتكلم أساسا للغة الثانية. وغالبا ما تكون "القطع" اللغوية المأخوذة من لغة أخرى عبارة عن كلمات، وقد تكون أيضا عبارات أو تراكيب لغوية أكبر (قمبرز ١٩٧٧، بارشار ١٩٨٠، وهيل وهيل ١٩٨٠). وعندما تكون الخيارات كلمات فتسمى هذه الظاهرة بالاقتراض، وختاما هناك "التنوع داخل اللغة نفسها" (بلوم وقمبرز ١٩٧٢، ثيلاندر ١٩٧٦، وكوبلاند ١٩٨٠). وهذا النوع من الاختيار اللغوي غالبا ما يصبح محور اهتمام دراسات المواقف اللغوية مثل دراسات التنوع بين من ينطقون اللغة الإنجليزية حسب التلفظ النموذجي ومن يتحدثونها بلكنة ويلزية (ثقيلة أو معتدلة) أو من يتحدثون اللغة الفرنسية الأوروبية أو الفرنسية الرسمية وغير الرسمية في إقليم كويبك الكندي كما جاء في الفصل السادس. وفي هذه الحالات لا بد للمتحدث أن يختار أي مجموعة من البدائل التي سيستخدمها في لغة واحدة في موقف معين. وعندما ننظر للتنوع داخل نفس اللغة على أنه نوع من مشكلات الاختيار اللغوي، فإن اختيار اللغة يظل متاحا بالنسبة لمن يتحدثون لغة واحدة وأيضا لمن يتحدثون لغتين.[٢]

وبالطبع غالبا ما يكون من العسير فصل هذه الأنواع الثلاثة من الاختيارات اللغوية عن بعضها. وكما نرى في كثير من دراسات اللغويات الاجتماعية (علم اللغة الاجتماعي)، فإن ما يفيدنا هنا هو مفهوم المتصل. وتعتبر الاختيارات اللغوية الثلاثة نقاطا ثلاثا على متصل تبدأ بالاختيار واسع النطاق نسبيا وتنتهي بالاختيار صغير النطاق نسبيا. أما الفئة الوسطى وهي مزج الشفرة، فمن العسير تمييزها عن الفئتين

الأخريين. وقد وجد هيل وهيل (١٩٨٠ صفحة ١٢٢) في دراستهما الاختيار اللغوي بين الإسبانيين والنهواتلية في مجموعة من الهنود الحمر المكسيكيين، أنه لا أمل في التمييز بين مزج الشفرة وتبديلها: "يحسب هذا المؤشر الحدوث الأول لكل كلمة إسبانية بالنسبة للمتحدث، بغض النظر عما إذا كانت تغلغلا للإسبانية في سياق نهوتلي بحت أم كانت مفردة إسبانية يمكن اعتبارها تحولا من اللغة النهوتلية إلى الإسبانية، ولم نجد وسيلة مرضية لرسم حد فاصل بين هاتين الظاهرتين." ومن ناحية أخرى فإن مزج الشفرة أو تبديلها غالبا ما يصعب تمييزه عن التنوع داخل اللغة نفسها. استنتج ثيلانلر (١٩٧٦ - صفحة ١٠٣) بعد وصف الفرق بين تبديل الشفرة والتنوع اللغوي ضمن اللغة الواحدة "أن المواقف اللغوية تظهر بالتدريج وعلى نحو يثبت أن أيا من هذين النموذجين للوصف لا يمكن قبوله تلقائيا."

ولرؤية كيفية حدوث ذلك، دعنا ننظر في ظاهرة اقتراض المفردات. فإذا استخدم متحدث بالإنجليزية على سبيل المثال كلمة أو عبارة أجنبية في سياق جملة إنجليزية، فيمكن أن يقال: إنه مزج كلمة من اللغة الأخرى مع لغته الإنجليزية، غير أن الكلمات التي تنتمي إلى لغة ما وتستخدم بصورة متكررة في لغة أخرى تصبح في النهاية جزءا لا يمكن تمييزه أو فصله عن مفردات اللغة الأم. إن كثيرا من الناطقين بالإنجليزية الأمريكية قد لا يدركون أن لفظة thug مقترضة من اللغة الهندية، وكذلك لفظة stucco مقترضة من الإيطالية و patio من الإسبانية وقد أصبحت جميعا كلمات إنجليزية بحكم الواقع العملي. وثمة كلمات أخرى تستخدم دون معرفة أنها قد أتت من لغات أخرى، ولكن بقليل من التفكير والتأمل من الممكن معرفة أنها غريبة عن اللغة الأم. ومثال ذلك كلمة bouquet المقترضة من اللغة الفرنسية. غير أن هناك كلمات أخذت بوعي من لغات أخرى، وعندما تكتب يوضع تحتها خط أو تكتب بحروف مائلة وتبقى محتفظة بعلاماتها المميزة التي تظهر في كتابتها في اللغة المقترضة.

ومن أمثلة ذلك العبارة الفرنسية raison d'etre والكلمة الألمانية gemutlickkeit. وعند استخدام ألفاظ مقترضة من هذا النوع في اللغة المحكية، يحاول المتحدث عادة محاكاة لفظها باللغة الأصلية. وقد تستخدم هذه التقاليد الكتابية والتلفظية كمعايير لفصل هذه الفئة الأخيرة من الألفاظ المقترضة عن بقية الألفاظ المقترضة الأخرى وتسميتها بالأمثلة الحقيقية الشاهدة على تبديل الشفرة. وما العمل إذن مع الحالات التي تنطق فيها بعض الأصوات كما لو كانت في لغة أجنبية ولكن غيرها من الأصوات ليس كذلك؟ قد يكون المثال على ذلك نطق اسم الموسيقار الألماني الشهير موزارت mozart الذي تنطق فيه ts الألمانية كـ z بالإنجليزية وتظهر كذلك في الطباعة رغم أن الإنجليزية الأمريكية تستخدم صوت r في المقطع الثاني من الكلمة بشكل مهموز.

وتنشأ مشكلات متشابهة في الامتدادات الأطول من اللغة المزيج ولندرس مقطعاً من المثال الذي قدمه لابوف (١٩٧١ صفحة ٤٥٧) على امتزاج الإسبانية بالإنجليزية :

Y cuando estoy con gente yo me ... borracha porque me siento
and when I am with people I get drunk because I feel

mas happy, mas free, you know, pero si yo estoy conmucha
more happy, more free, you know, but if I am with alot of

gente yo no estoy, you know, high, more or less, I couldn't get
along people I'm not
with anybody.

ثمة معيار واحد يستخدم أحيانا للتمييز بين التبديل والمزج، وهو أن قواعد

العبارة تحدد اللغة . وطبقا لهذا المعيار يمكن القول إنه إذا استخدم شخص ما كلمة أو عبارة من لغة أخرى فإنه يكون قد مزج الشفرة ولم يبدلها. ولكن إذا كانت العبارة لها تركيب نحوي يتفق مع لغة ما ، والعبارة التالية لها تتفق مع التركيب النحوي في لغة أخرى ، فإنه يكون قد حدث تبديل في الشفرة. وبموجب هذا المعيار فإن كافة الكلمات من بداية المقطع حتى لفظة "Pero" في المقطع أعلاه تعد إسبانية ، أما كلمات You know, free, happy فإنها جميعا مقترضة من اللغة الإنجليزية. أما الجملة الشرطية التي تلت ذلك فهي أساسا إسبانية رغم أن التعبيرين more or less, high إنجليزيان . أما العبارة التالية فهي إنجليزية تماما في القواعد والمفردات. إن الالتزام بهذا المعيار يعني حتمية قولنا بأن العبارة الشرطية السابقة هي إسبانية امتزجت بالإنجليزية إلى حد استخدام عبارة "more or less" ولم يبدأ التبديل إلى الإنجليزية حتى ورود لفظ I الذي تلاها على الرغم من وجود أربع كلمات إنجليزية قبله.

ويقدم فيرما (١٩٧٦ صفحة ١٥٨) مثالا آخر يشمل الاحتكاك (التماس) بين الهندية والإنجليزية :

Vinod: mai to kahuugaa ki yah one of the best novels of the year hai,
I would say that it is.
Mira: That's right. It is decidedly one of the best novels of the year.

إن لفظ فينود بما سبق يشتمل على عبارتين ، إحداهما تعني (يمكن أن أقول) والأخرى تعني "إنها واحدة من أفضل روايات العام". وبرغم أن معظم الكلمات في العبارة الثانية إنجليزية إلا أن العبارة هندية قواعديا ؛ لأنها بدأت بالضمير الهندي "yah" وبها الكلمة الهندية "hai" (is) في آخر العبارة كما تتطلب قواعد لغة الهندي. ورغم أن الجملة تحتوي على عبارة طويلة بالإنجليزية ، فلو قلنا إن التحولات أو

التغيرات في الشفرة لا تحدث إلا عند تبديل عبارات كاملة، فإن علينا أن نقول: إن جملة Vinod هي هندية بأكملها، ولكنها تضم عبارة مقترضة من الإنجليزية. وبالطبع إن إسهام ميرا في رده يمثل تبديلا في المخاطبة إلى الإنجليزية رغم أنه صادر من جانب متحدث آخر. إن هذا الأسلوب في التبديل والمزج اللغويين قد يكون مقبولاً من ناحية تقنية، ولكني أرى أنه ينتهك الذوق العام في هذين المثالين. ولعله من الأفضل أن نقول: إن الظاهرتين تمثلان نقطتين على متصل حسب وجهة نظر علم اللغة الاجتماعي.[٣]

ثلاثة مبادئ وثلاثة مناهج

علم الاجتماع: تحليل المجال

أدخل يوشيع فيشمان (١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٨ ج) إحدى طرائق فحص الاختيار اللغوي من وجهة نظر علم الاجتماع، وافترض أن هناك سياقات استجابية معينة أسماها "المجالات"، والتي تناسب أحد أشكال اللغة أكثر من غيرها. والمجالات عبارة عن مجموعة من العوامل مثل الموقع والموضوع والمشاركين في الحديث. والمجال النموذجي مثلا قد يكون مجال *الأسرة*، فلو كان متحدث ما في بيته يتحدث مع عضو آخر بالأسرة عن موضوع خاص بالحياة اليومية، فيقال: إن المتحدث في مجال الأسرة. ويرتبط تحليل المجال بازدواجية اللغة حيث إن بعض المجالات أكثر رسمية من غيرها. وفي المجتمعات التي توجد فيها ازدواجية لغوية، تكون اللغة الدنيا هي اللغة المختارة في المجال الأسري، بينما يكثر استخدام اللغة العليا في المجالات ذات الصبغة الرسمية الأكثر مثل التعليم.

ومن دراسات اختيار اللغة التي استخدمت "تحليل المجال" بحث قام به جرينفيلد (١٩٧٢) عن الاختيار بين الإسبانية وثلاثة مكونات متجانسة، هي الأفراد والأماكن والموضوعات. وقد وزع جرينفيلد استبيانا يحتوي على عاملين متجانسين

وطلب من أفراد العينة اختيار العامل الثالث وكذلك اللغة التي قد يستخدمونها في اجتماع مثل هذه الظروف. وكان هدف جرينفيلد من وراء ذلك اختبار ما إذا كانت هذه الظروف الثلاثة ترتبط فعليا في ذهن أفراد المجتمع. وقد طلب مثلا من أفراد العينة أن يفكروا في محادثة مع أحد والديهم عن موضوع أسري وطلب منهم أن يختاروا المكان من بين عدة أماكن مثل "المنزل والشاطئ والكنيسة والمدرسة ومكان العمل". وفي هذه الحالة بالذات اختار ١٠٠٪ من أفراد العينة الموقع المتوقع وهو "المنزل"، باستثناء واحد فقط، وقع اختياره على الشاطيء على أنه مكان ملائم لمجال الصداقة. كان العامل الثالث والمتجانس المتوقع هو اختيار ٨١٪ على الأقل من أفراد العينة. وتميل هذه النتيجة إلى التأكيد على صلاحية المجالات الخمسة وصحتها باعتبارها حقيقية في أذهان أفراد العينة.

وبعد أن اختار أفراد العينة العامل الثالث الملائم، طلب منهم أن يبينوا اللغة التي تتفق مع هذا المجال وفق مقياس مكون من خمس نقاط يشبه تماما مقاييس الفارق الدلالي المستخدمة في بحوث المواقف اللغوية. ويمثل الرقم ١ على المقاييس استخدام اللغة الإسبانية بشكل تام، ويمثل الرقم ٢ استخدام اللغة الإسبانية أكثر من الإنجليزية، أما ٣ فتعني استخدام قدر متساو من الإسبانية والإنجليزية، أما ٤ فتعني أن الإنجليزية أكثر من الإسبانية، وأخيرا ٥ فتعني استخدام الإنجليزية فقط. وقد حُسب متوسط النتائج بالطريقة نفسها المستخدمة في حساب نتائج مقاييس الفارق الدلالي. ويعني ذلك أن المتوسط المنخفض يشير إلى استخدام أكثر للإسبانية، وارتفاع المتوسط يعني تفضيل استخدام الإنجليزية. ويبين جدول رقم (٧،١)، النتائج التي توصل إليها جرينفيلد، والتي تدل على أن هناك فرقا واختلافا واضحا في صالح الإسبانية في المجالات "الحميمية". وقد أظهر تحليل التباين الذي يعتبر اختيار اللغة كمتغير تابع أنّ الفرق والاختلاف وفقا لفئة المجال المبين في الجدول رقم (٧،١) كان

مهما بدرجة احتمال < ٠,٠١. والتفسير المعقول لذلك هو أن الإسبانية تستخدم بشكل واسع في المواقف الحميمة في حين تستخدم الإنجليزية في المواقف التي تنطوي على اختلاف في المنزلة الاجتماعية. وبإيجاز هناك دليل على إن الجالية البورتوريكية في نيويورك تميل إلى استخدام لغتين، هما الإسبانية كلغة دنيا والإنجليزية كلغة عليا.

الجدول رقم (٧,١). متوسطات قياس اختيار اللغة في فئتين مجاليتين لدى عينة بورتوريكية في مدينة نيويورك.

العوامل المعطاة	المجالات	
	الحميمية (الأسرة والصداقة)	المنزلة (الدين، والتعليم، والعمل)
المكان، الموضوع	٢٧، ٣	٨١، ٤
الشخص، الموضوع	٦٠، ٢	٢٧، ٤
المكان، الشخص	٦٤، ٢	٣٨، ٤

المصدر: بيانات من جرينفيلد(١٩٧٢، صفحة ٢٥).

وجد براشر (١٩٨٠) نمطا مشابها بين ٣٥٠ فردا متعلما في مدينتين بالهند. وكما فعل جرينفيلد استخدم برشر بيانات جمعت باستبيان يعتمد على الإقرار الذاتي، وحاول أن يحدد الاستخدام اللغوي للناس في كافة المجالات كما عرفها فيشمان. وسأل عن استخدام اللغة في سبعة مجالات: (١) الأسرة، (٢) الصداقة، (٣) الجيران، (٤) المعاملات التجارية، (٥) التعليم، (٦) الحكومة، (٧) التوظيف. وبدلا من تكوين مجالاته بوضوح من أشخاص وأماكن وموضوعات كما فعل جرينفيلد، نجد أن براشر استخدم المجالات التي تشكل مجموعة كاملة من "الحالات" المتشابهة. ويتكون مجال الصداقة مثلا من الحالات الخمسة التالية:

- التحدث مع الأصدقاء والمعارف.
- التحدث مع الناس في النوادي والمناسبات الاجتماعية .
- تقديم الأصدقاء إلى الآخرين وتعريفهم بهم .
- مناقشة مشكلات شخصية مع الأصدقاء / الزملاء .
- مجادلة الأصدقاء / الزملاء في المناقشات الحامية.

فكما ترى تتباين مواقف براشر فيما يتعلق بالأشخاص والأماكن والموضوعات، ولكنها لا تتباين بصورة منتظمة تماما كما هو الحال مع نظام جرينفيلد.

وقد طلب من أفراد العينة الذين أجابوا على استبيان براشر أن يذكروا أيا من اللغات الخمس أو النماذج اللغوية يستخدمونها في كل موقف. وكانت هذه النماذج الخمسة هي: (١) الإنجليزية، (٢) اللغة الأم أو اللغة الأولى، (٣) اللغة الإقليمية، (٤) الهندية، أو (٥) لغة أخرى. وقد طلب منهم بالنسبة لكل لغة أن يحددوا (على معيار من خمس نقاط) اللغة التي يستخدمونها في هذا الموقف بشكل دائم، أو اعتيادي، أو على الأغلب، أو أحيانا، أو أنهم لا يستخدمونها مطلقا. وقد أُعطيت النقاط الخمس القيم التالية: دائماً = ٤٠ ، اعتيادي =٣٠، غالبا = ٢٠ ، أحيانا = ١٠ ، ولا تستخدم مطلقا = ٠. وإذا أجاب أحد أفراد العينة أنه يستخدم لغته الأم بشكل اعتيادي عند تقديم الأصدقاء للآخرين، ولكنه يستخدم الإنجليزية أحيانا فإن ذلك يعني أن اللغة الأم تحصل على ٣٠ نقطة في ذلك الموقف بينما تحصل الإنجليزية على ١٠ نقاط. وبغرض المقارنة، استخدم براشر إجمالي إجابات كافة أفراد العينة لكل لغة في كل موقف . ولخص النتائج التي توصل إليها في مجال الأسرة على الشكل التالي (حيث تمثل النقاط متوسط "مواقف" مجال الأسرة):

الإنجليزية	اللغة الأم	اللغة الإقليمية	اللغة الهندية	اللغة الأخرى
٣,٠٠٧	٩,٨٥٥**	١١٥	١٣٤	٨٨

ليس من المدهش أن اللغات الأم قد حصلت على أعلى درجة، إذ إن اللغات الأم في الواقع حصلت على نقاط أكثر في هذا المجال من اللغات الأخرى مجتمعة. وعندما يحدث ذلك، يقول براشر إن اللغة أو النموذج اللغوي هو "المسيطر" في هذا المجال، ويشير إلى هذه السيطرة في المجال بعلامتين نجميتين (براشر ١٩٨٠ صفحة ١٥٣).

ويبدو من المجالات السبعة التي استخدمها براشر أن الأسرة والصداقة والجيران قد تكون هي المجالات الدنيا، وأن التعليم والحكومة و(على الأقل بالنسبة للأفراد الذين تلقوا تعليما عاليا) العمل هي المجالات العليا. أما مجال التعاملات التجارية فقد تكون عليا أو دنيا حسب نوعها. وهكذا قد نتوقع أن تكون اللغة الأم مسيطرة في المجالات الثلاثة الدنيا بينما تسيطر الإنجليزية أو الهندية أو اللغة الإقليمية في المجالات العليا. وقد اتضح في المقام الأول قلة استخدام اللغة الهندية وكذلك اللغات الإقليمية أو اللغات الأخرى.(٤) والأهم من ذلك أن مجال الأسرة كان المجال الوحيد الذي سيطرت فيه اللغة الأم أو أي لغة أخرى غير الإنجليزية. أما الإنجليزية فقد سيطرت في مجال الصداقة وحصلت على أعلى تقدير في مجال الجيران رغم أنها لم تسيطر عليه. وهكذا ليس من المدهش أن تحوز الإنجليزية على درجات عالية في مجالات التعليم والحكومة والعمل خاصة بين الهنود الذين حصلوا على تعليم عال. وربما كان ذلك في الجزء الجنوبي من البلاد خاصة الذي أجري فيه البحث والذي تحظى فيه الإنجليزية بالأفضلية . غير أنه من المدهش أن الإنجليزية تظهر قوية جدا في مجالي الصداقة والجيران. والرد على ذلك بسيط جدا، وهو أن معظم المتعلمين ثنائيي اللغة في العينة لم يشتركوا مع أصدقائهم في اللغة الأم. أما في المقام الثاني، فإن أي مناقشة مع

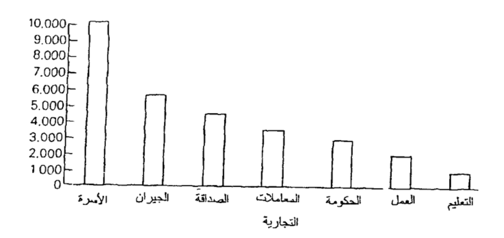
الأصدقاء تخص موضوعا من المجال الأكثر رسمية، مثل التعليم والعلوم أو التقنية، فإنها على الأرجح تميل إلى اختيار الإنجليزية بغض النظر عن الموقع أو درجة حميمية المتحدث مع الأفراد الذين يتحدث إليهم. وقد جعل هذان العاملان اللغة الإنجليزية هي اللغة المستخدمة في مجال اللغة الدنيا. إن قوة الإنجليزية في مجال الجيران يفسرها براشر (١٩٨٠، ص ١٥٧) على هذا النحو:

عندما لا يشترك الجيران في اللغة الأم، مثلا، فإن الذين يعيشون في المباني التابعة للمؤسسات أو المنظمات التي يعملون فيها يفضلون استخدام اللغة الإنجليزية. وقد ورد أيضا استخدام اللغة الهندية أو اللغة المحلية خاصة عندما لا يشترك الجيران في اللغة الأم، أو لا يفهم أحد المخاطبين أو كلاهما اللغة الإنجليزية. ويقودنا هذا الدليل إلى تعميم مفاده أن ثمة عاملا مهما يحكم اختيار أفراد العينة للغة في هذا المجال، سواء اشترك أو لم يشترك المتخاطبان في اللغة الأم. إن اللغة التي يفهمها المتخاطبان تعد عاملا مهما في اختيار اللغة ولا غرابة في ذلك.

ويبين الشكل رقم (٧.١) تقديرات اللغة الأم / اللغة الأولى في ترتيب تنازلي حسب المجالات. وتستخدم اللغات الأم أكثر كما هو متوقع في المجالات الدنيا، وأقل في المجالات العليا بطبيعة الحال. ويفسر حصول الإنجليزية على تقدير أعلى من اللغات الأم في كافة المجالات ما عدا المجال الأسري بأن أفراد العينة كانوا من الشريحة التي حصلت على أفضل تعليم بين السكان الهنود، كما يفسر ذلك بأن المكان الذي أجرى فيه البحث كان في الجزء الجنوبي من البلاد.

وهناك دراسة أخرى للاختيار اللغوي تظهر نمطا شبيها بازدواجية اللغة، أجراها لاوسا (١٩٧٥). وباستخدام تصميم بحث ممتاز لهذا النوع من الاستقصاء، قام بفحص اللغة التي يستخدمها أطفال المدرسة الابتدائية المنحدرون من ثلاث جاليات ناطقة بالإسبانية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الأمريكيون الكوبيون

في ميامي والأمريكيون المكسيكيون في أوستن وتكساس، وكما فعل غرينفيلد، والبورتوريكيون في مدينة نيويورك. وقد فحص اختيار اللغة بين الإسبانية والإنجليزية في ثلاثة سياقات: في الأسرة، وفي غرفة التدريس، وفي الأنشطة الترفيهية بالمدرسة. ووجد أن استخدام الإسبانية كان هو الأغلب في سياق الأسرة، وبدرجة أقل في سياق الأنشطة الترفيهية، وكان أقل ما يكون في غرفة التدريس، وذلك على مستوى أطفال الجاليات الثلاث. إن الفرق بين سياق الأسرة وسياقي المدرسة الآخرين كان أكبر من الفرق بين سياق غرفة التدريس وسياق أنشطة الترفيه في المدرسة. ووجدت فروق مهمة بين الجاليات الثلاث في أنماط اختيار اللغة، بيد أن الجاليات الثلاث أظهرت الميل نفسه نحو ازدواجية اللغة الذي اكتشفه جرينفيلد وبراشر.(٥)



الشكل رقم (٧.١). تقديرات استخدام اللغات الأم في سبعة مجالات لدى الهنود المتعلمين.

المصدر: البيانات في براشر (١٩٨٠م).

علم النفس الاجتماعي

يتناول علماء الاجتماع عادة مشكلة اختيار اللغة فيكون ذلك عن طريق

البحث عن تركيب اجتماعي مثل المجالات، وإجراء مسح على عينة من السكان المستهدفين الذين يرتبطون بالتركيب الاجتماعي المفترض، وإجراء تحليل إحصائي للنتائج. أما علماء النفس الاجتماعيون فإنهم كما هو متوقع يهتمّون أكثر بالعمليات النفسية لدى الناس بدلاً من الفئات المجتمعية الكبرى. وغالبا ما يستخدمون أيضا المسح والعينات والإحصاءات، ولكنهم يبحثون عن الدوافع الفردية وليس التراكيب الاجتماعية. وبعبارة أخرى، فإن البحوث النفسية الاجتماعية في اختيار اللغة تركز على الفرد أكثر مما تركز على المجتمع. أما أهم بحوث أجريت على اختيار اللغة في مجال علم النفس الاجتماعي فكانت البحوث التي أجراها سيمون هيرمان (١٩٦٨) وهاورد غايلز ومساعدوه (غايلز ١٩٧٣، غايلز وبورهيس وتيلور ١٩٧٧).

سيمون هيرمان – المواقف المتداخلة.

يرى هيرمان أن مشكلة اختيار اللغة حالة يجد فيها متحدث ثنائي اللغة نفسه في أكثر من موقف نفسي في آن واحد. وقد تحدث هيرمان عن ثلاثة أنواع من المواقف، أحدها يخص حاجات المتكلم الشخصية ويخص الآخران التجمعات الاجتماعية. ومن ثمّ فإنه في موقف ما قد تشعر المتحدثة أو المتحدث أنه منجذب في اتجاهات مختلفة بسبب رغبته الذاتية في التحدث باللغة التي يعرفها بشكل أفضل، واللغة التي تتوقع منه الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها أن يتحدثها. وقد تكون الفئة أو الجماعة مباشرة، أي أن الأفراد متواجدون فعليا في ذلك الوقت. وقد تكون الجماعة "خلفية"، وهي التي يصفها هيرمان بأنها "الجماعات التي تعيش في الوسط الاجتماعي الأكبر والتي لا تشترك بصورة مباشرة في المواقف الحالية، ولكنها قد تؤثر على السلوك، وهي ما يطلق عليها "اللجان الخفية" (هيرمان ١٩٦٨، ص ص ٤٩٤-٤٩٥). أي أن المتكلم قد يرغب في أن ينظر إليه على أنه عضو في جماعة اجتماعية ما ليست

موجودة، أو قد يرغب في إظهار عدم ارتباطه بتلك الجماعة. ومثال ذلك أن الأمريكي الأسود بين جماعة من الأمريكيين البيض سيكون متميزا بلونه الأسود بشكل واضح، ولكنه يستطيع لغويا أن يكشف عن توجهه العرقي في الحال عن طريق تحويل كلامه إلى الإنجليزية الدارجة لدى السود أو نحو الإنجليزية الأمريكية النموذجية. وفي إحدى الحالتين يؤكد عضويته في المجموعة الغائبة، وفي الأخرى يقلل من هذه العلاقة.(٦) أما المواقف النفسية الثلاثة التي تحدث عنها سيمون هيرمان فهي الحاجات الشخصية وموقف الخلفية والموقف المباشر.

وحيث إن هذه المواقف تتداخل، وحيث إن كلا منها قد يميل بالفرد نحو اختيار لغة مختلفة، فإن هذا قاد سيمون هيرمان إلى دراسة الظروف التي تجعل أحد هذه المواقف الثلاثة أكثر بروزا على حساب الموقفين الآخرين. ويكون الموقف البارز هو الأوضح في وقت معين، وهو الموقف الذي يستجيب له المتكلم.

اعتمادا إلى حد كبير على بيانات تجريبية عن الاختيار اللغوي في إسرائيل، يقترح سيمون هيرمان أن هناك ظروفا معينة تزيد من بروز موقف ما من بين الثلاثة. ويتضمن الجدول رقم (٧.٢) الظروف والمواقف التي تعمل على بروزه. ومثل ذلك أن بعض المهاجرين الإسرائيليين ذكروا أنهم يستخدمون لغتهم الأم في المنزل (محيط خاص)، ولكنهم يستخدمون العبرية في الحافلة (محيط عام). هناك وظيفة وسيلية بحتة، مثل أن يطلب عامل من عامل آخر أن يناوله أداة ما، قد تؤدي إلى بروز الموقف المباشر. وفي هذه الحالة يستخدم المتكلم اللغة التي يستخدمها عادة في مثل هذا الموقف، دون أن يفكر بارتباطات هذه اللغة نحو الجماعات أو اللغة التي يشعر شخصيا أنها أكثر ملاءمة مع (توجه المهمة المطلوبة). ولو كان هناك فردان يستخدمان بشكل دائم لغة معينة بينهما، لكانت هذه اللغة هي اختيارهما كلما تحدثا مع بعضهما؛ ذلك لأن الموقف المباشر له الأولوية على الخلفية والاعتبارات الشخصية

(العلاقات الثابتة). غير أن فكرة سيمون هيرمان المركزية تبدو هي الصراع المحتمل بين اختيار لغة يرتاح إليها المتحدث أكثر من غيرها، ويجد نفسه فيها، وبين اختيار لغة تربط هويته بإحدى الفئات الاجتماعية الثقافية في المجتمع.

جدول رقم (٧.٢). الظروف التي تؤدي إلى زيادة بروز أحد المواقف النفسية الثلاثة.

الموقف	الظروف
الحاجات الشخصية	١. المحيط خاص وليس عاما.
	٢ - الموقف يثير الإحساس بعدم الأمان والتوتر الشديد أو الإحباط.
	٣- الموقف يمس الطبقات المركزية في الشخصية وليس الطبقات السطحية (الخارجية).
موقف الخلفية	١- يحدث الموقف في محيط عام وليس خاصا.
	٢ - قد يفسر السلوك في الموقف بأنه يقدم دلائل لتحديد هوية الجماعة التي ينتمي إليها المتكلم.
	٣ - يرغب الشخص المشترك في النشاط أن يبين ارتباط هويته أو عدم ارتباطها بفئة معينة.
الموقف المباشر	١- لا يهتم الشخص بالانتساب إلى الجماعة.
	٢- يهتم السلوك بتحقيق المهمة المطلوبة.
	٣ - تتصف العلاقة بأنماط سلوكية راسخة.

المصدر: سيمون هيرمان (١٩٦٨، ص ٤٩٥، ٤٩٦).

نظرية المماثلة عند غايلز.

طور غايلز فكرة المماثلة في السلوك اللغوي بدءا بالمفهوم الأساسي نفسه. وتأخذ المماثلة بطبيعة الحال شكل التماثل، وهو الموقف الذي يختار فيه المتكلم لغة أو مستوى لغويا يلائم حاجات الشخص الذي يتحدث إليه.[٧] غير أنه في بعض الظروف

قد يفشل المتكلم في محاولة التماثل وربما يقوم بالتخالف. وبعبارة أخرى، قد لا يبذل المرء جهدا على الإطلاق في توفيق كلامه لمصلحة الطرف الآخر، بل قد يجعل كلامه بشكل مقصود ومتعمّد مغايرا إلى أقصى حد لكلام الطرف الآخر. يحدث ذلك عندما يحاول المتكلم إثبات ولائه لفئته وعدم ربط نفسه مع الفئة التي ينتمي إليها محدثه. تعتبر هذه الظاهرة أساس أحد المشروعات البحثية الخاصة بالمواقف اللغوية التي نوقشت في الفصل السابق، وهو السلوك الافتراضي لدى الأمريكيين السود الذين قد يستخدمون عن عمد سمات الإنجليزية التي يستخدمها السود عند التحدث مع البيض. ويقدم لنا غايلز وبورهيس وتيلور (١٩٧٧، ص ٣٢٣) مثالا آخر، وهو: المرة الأولى التي تصدر فيها الدول العربية بيانا بشأن البترول باللغة العربية بدلا من الإنجليزية في منتصف السبعينيات.

ولا يحتاج التماثل والتخالف إلى انتقاء أحد الخيارات (أي التماثل أو عدم التماثل أو التخالف). ومن الممكن إقامة مجموعات توافقية عديدة من بين البدائل الموجودة ضمن اللغة، فضلا عن استخدام استراتيجيات مثل ترجمة أجزاء من كلام المرء عند التحدث أو تبطئ سرعة الكلام. ويبين الجدول رقم (٧,٣) بعض الدرجات المحتملة للمماثلة فيما يتعلق بتفاعل المتحدث مع عضو من خارج الجماعة (شخص ينتمي إلى فئة اجتماعية وثقافية مختلفة). ويعد أكثر أنواع التصرف تماثلا هو استخدام لغة الآخر وبذل الجهود لنقلها بالطريقة التي يتحدث بها أهلها الأصليون. أما المتحدث الأقل تماثلا فسيستخدم اللغة الأخرى، ولكن بلكنة ثقيلة نسبيا (كما يتحدث الكندي الناطق بالإنجليزية مع كندي ناطق بالفرنسية باللغة الفرنسية، ولكن بلكنة إنجليزية ثقيلة). أما في الخطوة التالية فيستخدم المتكلم لغته الخاصة، ولكنه يتحدث ببطء ليفهمه الطرف الآخر الذي قد لا يفهم لغة المتحدث جيدا. إن أكثر الاستراتيجيات الأربع تخالفا هي عندما يقوم متحدث ما بالتكلم بلغته الخاصة وبالسرعة الطبيعية

للكلام تاركا الشخص الآخر يحاول بمفرده فهم ما باستطاعته.

الجدول رقم (٧،٣). بعض البدائل المتزايدة للتماثل والتخالف.

الأبعاد اللغوية	تزايد التماثل	تزايد التخالف
١ - لغة جماعة أخرى يشبه نطق أهلها الأصلي	↑	↓
٢ - لغة جماعة أخرى بملامح نطق أهلها		
٣ - لغة الجماعة بمعدل سرعة كلام بطئ		
٤ - لغة الجماعة بمعدل سرعة كلام طبيعي		

المصدر: غايلز وبورهيس وتيلور (١٩٧٧، صفحة ٣٢٤، جدول ٢).

ويستطيع المتكلم أن يوفق سلوكه اللغوي ليناسب الشخص الذي يتحدث إليه عن طريق التحول أو عدم التحول إلى لغة مختلفة، واستخدام كلمات أو وحدات من لغة أخرى (أو تجنب ذلك) وكذلك انتقاء أحد البدائل اللغوية في أحد الاتجاهات أو غيره، واستخدام طرائق مثل ترجمة فقرات قصيرة، وتعديل معدل سرعة الكلام، وتفخيم اللكنة أو ترقيقها. ولكن هل من الممكن تحديد متى يحتمل أن يقوم المتحدث باستخدام استراتيجيات مماثلة ومتى يقع اختياره على عدم المماثلة أو استراتيجيات التخالف؟ حاول غايلز وبورهيس وتيلور (١٩٧٧، ص ٣٣٢-٥) الإجابة على هذا السؤال على أساس ما إذا كان المتكلم عضوا في فئة اجتماعية ثقافية مسيطرة أو تابعة في المجتمع أو في حال كونه يعتقد أن التغيير الاجتماعي ممكن (فيما يتعلق بتحسين وضع الفئات التابعة).[٨] ويلخص الجدول رقم (٧،٤) تحليلهم لهذه المسألة.

الجدول رقم (٧،٤). سلوك المماثلة اللغوية المتوقعة لدى الجماعات المسيطرة والتابعة في ظل مختلف أشكال الإدراك للتغير الاجتماعي

إدراك التغيير الاجتماعي	الاستجابة: الجماعة المسيطرة	الاستجابة: الجماعة التابعة
لا توجد إمكانية لإدراك التغيير الاجتماعي	عدم التماثل	تماثل
إمكانية إدراك التغير الاجتماعي (بشكل مفضل)	تماثل تنازلي	تخالف
إمكانية إدراك التغير الاجتماعي (بشكل غير مفضل)	تخالف	--

المصدر: غايلز ويروهيس وتيلور (١٩٧٧).

وإذا كانت المجموعة المسيطرة تتوقع أن تبقى كذلك فإن أعضاءها سيفترضون، وحتى دون التفكير في ذلك، أن أعضاء المجموعة التابعة سيقومون بالتعديلات التوافقية اللغوية الضرورية. ونتيجة لذلك سيتكلمون لغتهم أو لهجتهم الخاصة المفضلة بالطريقة الطبيعية دون محاولة إحداث أي نوع من التماثل مع لغة المخاطب. إن طريقة وصفي لهذا الموقف تظهر المجموعة المسيطرة وكأنها تطالب منهجيا بحقها في السيطرة، ولكن من النادر حدوث تماثل "تنازلي" في ظل نظام اجتماعي ثابت. ومن الظواهر المعروفة أن المواقف تجاه اللغة (الصحيحة) أو (الجيدة) غالبا ما تكون أكثر انتشارا داخل مجتمع لغوي مما هو الحال عند استخدامها. وقد رأينا ذلك سابقا فيما

يتعلق بازدواجية اللغة حيث كانت اللغات الدنيا عادة لا تحظى بالاحترام بينما تحظى به اللغات العليا رغم أن الجميع يعرف اللغة الدنيا وقلة منهم يتكلمون اللغة العليا. ونتيجة لذلك إذا تعمد متحدث أصلي لضرب لغوي "صحيح" أو لغة "جيدة"، التخلي عن ممارساته اللغوية الطبيعية في صالح استخدام لغة أقل منزلة عندما يتحدث إلى أناس من المجموعات التابعة فذلك قد يؤدي فعلا إلى الإساءة إلى المخاطب من المجموعة التابعة، وقد يبدو أنه كان يسخر منه. تخيل مثلا الأثر الذي يمكن أن يحدثه تصرف طبيب أمريكي أبيض عندما يستخدم الإنجليزية العامية للسود أثناء حديثه مع مريض أسود ينتمي إلى الطبقة العاملة، أو يحاول التحدث بلكنة إسبانية مع مريض من شيكاغو، أو محاولة التشبه بالعمال عند التحدث مع مريض يعمل في مصنع الحديد والصلب.

ومن ناحية أخرى إذا لم تر الفئة التابعة إمكانية وقوع تغيير اجتماعي، فإن الفرصة الوحيدة للتحسين الاجتماعي في المجتمع خارج جماعته الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها تكمن في مدى قبول الفئة المسيطرة لها. ويُحصل على هذا القبول عن طريق أي وسيلة ممكنة بما في ذلك التماثل اللغوي. وقد يتوقع من أفراد المجموعة التابعة أن يماثلوا لغتهم عند التعامل مع المجموعة المسيطرة وذلك إذا كان من غير المرجح حدوث تغيير اجتماعي. ويجب أن أشير هنا إلى أن استراتيجية التماثل سوف تستخدم من قبل أفراد المجموعة التابعة الذين يعتبرونها مرغوبة وقد تحقق لهم مكاسب اجتماعية في المجتمع على نطاق واسع. أما الذين لا يرون إمكانية أو رغبة في محاولة "الصعود" عن طريق الاندماج مع الفئة المسيطرة فسوف ينغلقون على أنفسهم ضمن جماعتهم، وقلما يتعاملون مع الجماعة المسيطرة وقد لا يقومون إلا بمحاولات ضئيلة للتماثل عندما يتوجب عليهم ذلك.

ولكن عندما يبدو التغير الاجتماعي ممكنا ويعتبره أحد أفراد المجموعة المسيطرة

مرغوبا (ربما لأسباب تتعلق بالضمير) فإن غايلز وبورهيس وتيلور يرون إمكانية حدوث تماثل تنازلي: أي قد يحاول الفرد المنتمي إلى المجموعة المسيطرة إظهار التعاطف عن طريق التماثل بلغته نحو الضرب اللغوي الأقل منزلة. والمثال الذي يقدمونه على ذلك هو حالة بعض طلاب الطبقة الوسطى العليا في بريطانيا الذين اعتنقوا المثل الليبرالية في أوائل السبعينيات وأظهروها من خلال رفضهم أساليب التكلم والملابس المعهودة لدى طبقتهم الاجتماعية. غير أنه يبدو لي أن قبول التماثل "التنازلي" من جانب المجموعات التابعة يتوقف جزئيا على الوضع الاجتماعي اللغوي للضرب اللغوي التابع. فإذا كان هذا الضرب اللغوي يعتبر لغة فإن الفئة التابعة قد تقبل أو حتى تطالب باستخدامها من قبل المجموعة المسيطرة أثناء عملية التغيير الاجتماعي. ومثال ذلك يقظة النزعة القومية في كويبك بكندا. أما إذا كان النظام اللغوي لدى المجموعة التابعة يعتبر ضربا لغويا فرعيا من اللغة النموذجية للمجموعة المسيطرة فإن احتمالية قبول التماثل التنازلي ستكون أقل. وتعود بعض أسباب ذلك إلى أن محاولة استخدام الضرب العرقي من قبل غير أفراد المجموعة قد يعتبر نوعا من السخرية، غير أنه أثناء فترة التغير الاجتماعي قد تعتبر محاولة التماثل مطالبة أو ادعاء بعضوية المجموعة التابعة، أي الانتساب إليها. ولن تميل المجموعة التابعة إلى قبول هذا النوع من المطالبة خاصة إذا صدر عن فرد من المجموعة الطاغية مهما كانت درجة التعاطف التي يظهرها هذا الفرد.

وختاما إذا كان لمنزلة المجموعة التابعة فرصة حقيقية في التحسن وكانت المجموعة المسيطرة لا ترغب في هذا التطور فإن غايلز وبورهيس تيلور يفترضون أن تقوم المجموعة المسيطرة بالتحالف اللغوي؛ لكي تؤكد الفروق اللغوية بينها وبين المجموعة التي تهددها. إن استخدام اللغة يعد أحد سبل إبعاد اللغة الصاعدة حديثا. ويبدو أن غايلز ومساعديه لا يعتبرون أنه من المرجح أن تتخذ المجموعة التابعة موقفا

سلبيا من التغيير الاجتماعي الذي سيتضمن مزايا إيجابية لجماعتهم الخاصة. بيد أن هناك دائما وجودا لبعض أفراد المجموعة التابعة الذين يعتبرون أن المخاطر التي تنطوي عليها محاولة تحسين مكانتهم هي مخاطر أكبر من الفوائد المحتملة؛ ولذلك لا يؤيدون هذا التغير الاجتماعي. ويبدو لي أنه من المرجح أن يكشف هؤلاء الأفراد عن رؤيتهم عن طريق التماثل اللغوي أثناء فترات التغيير، وبذلك يبينون للمجموعة المسيطرة أنهم راضون عن هذا النظام الاجتماعي القائم. وبالطبع فإن هذا السلوك قد يكلفهم فقدان احترام الأفراد المتقدمين ضمن جماعتهم.(٩)

الأنثروبولوجيا: علم الإنسان

مقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى. في حين ينظر علم النفس الاجتماعي إلى مسألة اختيار اللغة من زاوية تعامل الفرد مع تركيبة مجتمعه، ويحاول علماء الاجتماع تفسيرها في ضوء البنى الاجتماعية المجردة، فإن لعلم الإنسان توجها مختلفا. يهتم علماء الجنس البشري أشد الاهتمام بكشف قيم كل جماعة اجتماعية ثقافية، وكذلك كشف القواعد الثقافية للسلوك التي تظهر هذه القيم. ويهتم عالم الإنسان، كعالم النفس الاجتماعي، بكيفية تعامل المتحدث الفرد مع تركيبة مجتمعه، ولكن ليس في ضوء حاجاته النفسية بقدر ما هو اهتمام بكيفية استخدام هذا الشخص لخياراته اللغوية لإظهار قيمه الثقافية. وبما أن باستطاعة الفرد القيام باختيارات مختلفة من بين القيم التي تسمح له ثقافته بها في أوقات مختلفة، فإن علماء الإنسان يهتمون بالتحليل الدقيق لتفاعلات معينة. إن علماء الإنسان يهتمون اهتماما كبيرا، يفوق إلى حد بعيد اهتمام علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيين، بمزج الشفرة والتنويع الضمني فضلا عن اهتمامهم بتبديلات الشفرة بشكلها الواسع. ويمثل كل نوع من هذه التنويعات بالنسبة لعالم الإنسان تغيرا في التعبير عن القيم الثقافية، وهذا هو

الأهم الذي يتوجب علينا فهمه.

المنهج.

إضافة إلى التوجه العام، هناك فرق ملحوظ في المنهج بين علماء الإنسان وعلماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، إذ يميل علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيون إلى الاعتماد على بيانات الاستبيانات أو على ملاحظة سلوك الناس في ظروف تجريبية مضبوطة. وتجمع النتائج كبيانات رقمية ويجري عليها تحليل إحصائي على نحو يؤدي إلى اكتشاف ما إذا كانت هناك ميول ذات أهمية. أما علماء الإنسان فيضعون القيمة العليا على السلوك الطبيعي وغير المضبوط. ويقودهم ذلك إلى استخدام مناهج بحث قلما تستخدم في علم الاجتماع أو علم النفس الاجتماعي، وهو منهج "ملاحظة المشارك".

فمثلا، قضت غال (١٩٧٩) عاما في أوبروارت في شرق النمسا بين أفراد أسرة في إحدى المدن وكان هدفها جمع بيانات لدراستها الرائعة للاختيار والتحول اللغويين. وقضى بلوم وقومبرز (١٩٧٢) وجيليان سانكوف (١٩٨٠) وروبن (١٩٦٨ ب) فترات طويلة مماثلة بين الجاليات التي كانوا يدرسونها، وقضى دوريان (١٩٨١) أكثر من عشر سنوات في إعداد بحث عن تغير اللغة في شرق سذرلاند في المرتفعات الاسكتلندية. ورغم أن أفراد العينة قد يقابلوا، وكان من الممكن جمع البيانات عن طريق الاستبيانات، إلا أن هذه البيانات تعتبر تكميلية تماما. وتتكون البيانات الأساسية من ملاحظة سلوك الناس وهم يعيشون حياتهم اليومية. وقد جمعت غال (١٩٧٩، ص ١٢٠) بيانات عن طريق مقابلات شخصية ذات نمط جيد ذكر فيها أفراد العينة اختياراتهم اللغوية تبعا لمن يتحدثون اليه، ولكنها رغبت فقط في استخدامها بعد أن أوضحت أن هذه البيانات أردفتها بسجلاتها عن الملاحظات الفعلية. وكان هذان

المصدران لجمع البيانات المتعلقة باختيار اللغة منسجمين إلى حد كبير، حيث قدما دعما قويا لمصداقية كل منها، وذلك بالمعنى الذي ناقشناه في الفصل الخامس. ومن ناحية أخرى، وجدت دوريان (١٩٨١، ص ٩٧-٩٨) أن نتائج الاستبيان الذي وزعته في شرق سذرلاند مليئة بالمشاكل مقارنة بما عرفته عن الموقف اللغوي من خبرتها الطويلة في ملاحظة المشاركين، وذلك على نحو جعلها تضع كافة المناقشات التي يثيرها الاستبيان في ملحق خاص.

ولم يستخدم التحليل الإحصائي عادة في غير جدولة للبيانات والمتوسطات (يستثنى من ذلك بحث غال حيث استفادت من معدل الارتباط بين الرتبة والترتيب لدى سبيرمان). غير أن علماء الإنسان يجدون أن انخراطهم المكثف في المجتمعات التي يدرسونها يمكنهم من تمييز الأشياء المهمة من غيرها دون اللجوء إلى التحليل الرسمي القائم على الأرقام. والواقع أن هذا الفرق في المنهجية يعد مصدرا لبعض الاختلافات بين العلوم الاجتماعية. و يعتقد علماء الإنسان أن بحوث علم الاجتماع ينقصها درجة معينة من العمق، هذا ويعتقد علماء الاجتماع أن بحوث علم الإنسان تنقصها الدقة.

بنية الجماعة.

ألقت بحوث علماء الإنسان حول اختيار اللغة ضوءا كبيرا على ظاهرة بنية الجماعة، ونركز هنا على رؤية أساسية مستوحاة إلى حد كبير من عمل بلوم وغومبيرز (١٩٧٢) وغال (١٩٧٢ ب) (١٩٧٩).

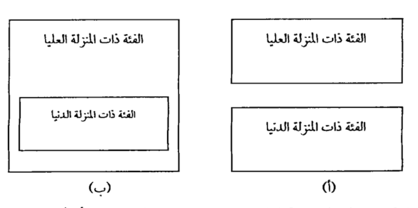
وهنا نتذكر أحد أنواع ازدواجية اللغة لدى فيشمن، وهي "الازدواجية بدون ثنائية اللغة". إن معايير هذا النوع هي وجود جاليتين (جماعتين) منفصلتين في المجتمع الواحد، إحداهما نخبة حاكمة والأخرى هي الجماعة المحكومة. وتستخدم هاتان الجماعتان لغات مختلفة، ولا يوجد بينهما إلا نسبة ضئيلة من التواصل ما عدا الذي

يتم من اتصال ربما عن طريق لغة خليط. ويصعب إيجاد "ازدواجية لغوية دون ثنائية لغوية" بشكل مطلق، ولكن هناك مجتمعات تقترب من البنية الاجتماعية التي كان يعنيها فيشمن، وفي مثل هذا المجتمع سوف تذعن الطبقة المحكومة لحكم النخبة الحاكمة، ولكنها لا تعتبر نفسها جزءا من المجتمع الكلامي نفسه، حيث لن يشعروا بحاجة خاصة إلى تعلم لغة المجموعة المسيطرة، فيما عدا الحد الأدنى المطلوب للتعامل معها. ويعني ذلك أساسا أن هناك جماعتين منفصلتين في المجتمع نفسه تربطهما السلطة التي تمارسها إحدى الفئتين على الأخرى، ولكن لا تعتبر أي من المجموعتين نفسها جزءا من المجموعة الأخرى.

وثمة ترتيب اجتماعي آخر يضم مجموعتين داخل المجتمع نفسه، إحداهما ذات منزلة عالية وسلطة أكثر من الأخرى، كما هو الحال في الحالة الأولى. ولكن في هذه الحالة يرى أفراد المجموعة ذات المنزلة الأدنى أن المجموعة ذات المقام العالي هي فئة أوسع يمكن أن تشملهم، إذ إن لديهم نوعا من الانتماء والعضوية في مجموعتين. وكما هو الحال مع اكتساب المستويين الأعلى والأدنى من اللغة، فإن هذه العضوية الثنائية مرتبة بشكل تتابعي في حياة المرء، حيث في البداية يصبح عضوا في المجموعة ذات المنزلة الدنيا التي تقترب قيمها بشكل وثيق من قيم بيته وجيرانه. وعندما يكبر يدرك أنه يدين ببعض الولاء إلى مجموعة اجتماعية أخرى غريبة عنه بعض الشيء، ولكنها تشمله في أحد الجوانب. إن الولاء الثنائي، الذي ينشأ على هذا النحو، يسبب نوعا من الصراع، ويحسم أفراد المجموعة الاجتماعية ذات المنزلة الدنيا هذه الصراعات بطرق مختلفة لها نتائجها اللغوية المثيرة. ويعد الشكل رقم (٧.٢) أيضا مثالا توضيحيا لهذين النوعين من التركيب الاجتماعي.

إن عمل بلوم وغومبيرز (١٩٧٢) في قرية همنيز برغيه النرويجية يعد مثالا على مجتمع يبدو في حالة انتقال بين التركيبين الاجتماعيين الموضحين في الشكل رقم (٧.٢).

ويعترف سكان هذه القرية بضربين لغويين: (١) الرنمالية، وهي اللغة المحلية المستخدمة في الخطاب اليومي، (٢) البوكمالية، وهي الضرب النموذجي للغة النرويجية. وبالنسبة لمعظم الذين يعيشون في هذه القرية يعتبر الوضع اللغوي حالة من الازدواجية الكبرى بين ضربين من النظام اللغوي نفسه، حيث ترتبط الرنمالية بوظائف اللغة الدنيا والبوكمالية بوظائف اللغة العليا. ويتصف سلوكهم إزاء اختيار اللغة بما وصفه الباحثان "بالتبديل السياقي". وإذا اعتبر الموقف رسميا نوعا ما وبعيدا نسبيا عن الاهتمامات المحلية والشخصية، فإن البوكمالية هي التي ستكون مهيمنة. أما إذا كان الموقف يتعلق بعلاقات حميمة وجزء من مجتمع هذه القرية (وليس المجتمع النرويجي ككل)، فسيكون التركيز منصبا على أشكال اللغة الرنمالية. ويوضح بلوم وغومبيرز (١٩٧٢، ص ٤٢٤-٥) فكرة التبديل السياقي على النحو التالي:



الشكل رقم (٧،٢). تمثيل تخطيطي لنوعين من التركيب الاجتماعي. (أ) المجموعة العليا والدنيا عضوان في مجتمعين منفصلين. (ب) المجموعة ذات الوضع الأدنى في الوقت نفسه جزء من المجموعة ذات الوضع الأعلى.

"فمن جهة عندما نتحدث عن شخص ما يلقي محاضرة في قاعة دراسية أو يقدم موعظة في كنيسة أو يتحدث إلى سائح، فإننا قد نفترض بثقة أنه يستخدم الصيغ

والأشكال القواعدية للبوكمالية. أما من جهة أخرى عندما يكون هناك حديث من القلب إلى القلب بين مواطنين محليين فمن المفترض أن يكون حديثهما باللغة البرنمالية. ولكن إذا وجدا يتحدثان البوكمالية بدلا من الرنمالية نستنتج إما أنهما لا يرتبطان بقيم الفئة المحلية وإما أن حديثهما ليس من القلب إلى القلب.(١١)

أما النوع الآخر من التبديل الذي اكتشفه بلوم وغومبيرز فيدعى "التبديل المجازي" حيث يصبح الاختيار اللغوي في التبديل المجازي رمزا أو "استعارة" عن العلاقة الناشئة بغض النظر عن الموقف. وتعتبر شؤون الجماعة الرسمية أمورا غير محلية وبالتالي تحتاج إلى استخدام البوكمالية. غير أن كثيرا من الموظفين الحكوميين هم أصدقاء لكثير من المواطنين الذين يضطرون إلى التعامل معهم بصفتهم الرسمية مما يؤدي إلى نشوء نوع من الصراع. والحل الشائع هو أن يقترب المواطن المقيم من طاولة الموظف الحكومي ويقدم له التحية ويسأل عن أموره العائلية مستخدما الرنمالية، ولكن يزيد من استخدام البوكمالية عند المخاطبة بشأن الأعمال الرسمية. وعلى هذا النحو ترمز الرنمالية أو تخدم كاستعارة لدور الصداقة القائمة بين هذين الفردين اللذين ينتميان إلى جماعة واحدة، بينما تخدم البوكمالية كاستعارة لدور المواطن الذي يعمل موظفا حكوميا.

إن التمييز بين هذين النوعين من التبديل يعد ضروريا في المواقف التي تكون محلية بصفة بحتة حيث لا يوجد أو يرتبط بذلك أي وضعية أخرى بالإضافة إلى العضوية في مجتمع القرية. ولتسهيل ملاحظة هذا النوع من المواقف صمم الباحثان سلسلة من "التجارب".(١٢) فقد طلبا من الناس في مجتمع القرية الذين أصبحوا أصدقاء لهم (حيث عاش المؤلفان في القرية فترة من الزمن) أن يرتبوا لهم تجمعات اجتماعية صغيرة ويسمحوا بتسجيلها. ونجح الباحثان في ترتيب ثلاثة من هذه اللقاءات. وقد تكونت المجموعة الثالثة من شبان وشابات ترعرعوا في القرية وكانوا يعتزون بقريتهم

ولهجتها المحلية، ولكنهم التحقوا بالجامعات في مدن نرويجية أخرى وتشربوا القيم والهويات السائدة في النرويج كلها إلى حد ما. أما المجموعتان الأولى والثانية فلم يكن فيهما أي طلاب جامعيين أنهوا دراستهم في المدن الأخرى. وبالتالي فإنه لا يوجد في المجموعتين الأولى والثانية أية أمثلة على التبديل المجازي أو أي استخدام للبوكمالية على الإطلاق، ويستثنى من ذلك ما يحدث عندما يستشهد شخص ما بما قاله شخص آخر بالبوكمالية أو عند توجيه الكلام للباحثين نفسيهما. وفي تجمع من هذا النوع لا توجد علاقات قائمة غير العلاقات المحلية. وبالتالي لا تصلح إلا الرنمالية . وهذا صحيح بغض النظر عن الموضوع الذي هو قيد النقاش حتى أن الشؤون الحكومية كانت تناقش بالرنمالية. ولكن هذا لا ينطبق على المجموعة الخاصة بالطلبة العائدين من الدراسة بالجامعات، حيث إنه في حالة إثارة موضوع يستفيد فيه المتكلم من الانجذاب إلى وضع المثقف مثلا، تكون اللغة المستخدمة هي البوكمالية، وذلك حتى بين هذا التجمع من الأصدقاء الذين ترعرعوا جميعا في هذه القرية. وهذا يعني أنه بالنسبة لهذه المجموعة التي هي عضو في مجتمع القرية وعضو في المجتمع النرويجي الأكبر، فإن كلا الشكلين مهم في الحالة التي كانت محلية بحتة بالنسبة للمجموعتين الأخريين.

وهنا نقول: إن أعضاء المجموعات الثلاث يعتبرون أنفسهم ينتمون إلى الشكل رقم (٧.٢) (ب)، وبينوا جميعا عن طريق استخدامهم التبديل المجازي أنهم يعتبرون أنفسهم من أهل القرية المذكورة وكذلك نرويجيين حتى على المستوى النفسي العميق. غير أن الأفراد التقليديين احتفظوا بهوياتهم "النرويجية" لبعض العلاقات المحددة، وهي العلاقات التي تعتبر سطحية بالنسبة لاهتماماتهم الحميمية جدا. أما إذا كانوا في وضع اجتماعي حميم مع أصدقائهم المحليين فإنهم يعتبرون أعضاء "فريق محلي" بصفة خاصة على حد تعبير الباحثين. أما الشبان في المجموعة الثالثة فقد أصبحت هويتهم "النرويجية" جزءا كبيرا منهم وعلى نحو جعلها تتعايش مع "هويتهم المحلية" حتى في

المواقف الاجتماعية الحميمية.(١٣)

ويبين البحث الذي أجرته غال (١٩٧٨ب ، ١٩٧٩) في أوبروارت بالنمسا الفرق بوضوح أكثر، حيث إن في هذا المجتمع القريب من الحدود المجرية كثيرا من الأفراد الذين يتحدثون لغتين هما المجرية والألمانية. فالمجرية هي اللغة الدنيا، وهي اللغة التي تستخدمها الجماعة فيما بينها في إحدى شرائح المجتمع. أما الألمانية فهي اللغة العليا، وهي اللغة القومية في النمسا، وكذلك لغة التعليم والطبقة المهنية. وترتبط المجرية بالقيم الريفية الرعوية التقليدية مثل العمل الجاد وملكية حيوانات المزرعة وملكية الأرض كمصدر للوجاهة. أما الألمانية فترمز وبشكل أكثر إلى القيم "المجرية" والحضارية التي انتقلت إلى المجتمع ودخلته منذ الحرب العالمية الثانية. وهناك فروق فردية في قبول أو رفض القيم الوطنية والحضارية المرتبطة باستخدام الألمانية، وتعد هذه الفروق صارخة أكثر مما هي الحال في قرية هيمينزبرغيه.

يعد سلوك الشخص إزاء من يتحدثون لغة واحدة ، وهي في أوبروارت الألمانية، دليلا قويا جدا على هوية الشخص الذاتية الاجتماعية اللغوية، حيث إن كافة المجريين البالغين يتحدثون لغتين. وكقاعدة عامة، من المتوقع أن يتحول الذين يتكلمون بالمجرية إلى الألمانية وذلك في حضور من يتكلمون الألمانية فقط. وقد روت غال (١٩٧٩، ص ١٦٦) الحكاية التالية لبيان كيفية حدوث ذلك: "كان عدد من عمال البناء الذين يتحدثون لغة واحدة ويعتبرون غرباء على مدينة أوبروارت يصلحون الطريق الذي يمر من أمام فندق شعبي. وعندما حان وقت الغداء جلسوا قرب طاولة يجلس عليها أربعة ممن يتحدثون لغتين وكانوا يتحدثون بالمجرية عند دخولهم. وعلى سبيل المزاح طلب أحاديو اللغة من ثنائيي اللغة أن يتوقفوا عن الحديث وألحوا في طلبهم . ومما علقوا به على ذلك قولهم: "دعونا نسمع ما تقولون، إننا نعيش في النمسا وكلنا نمساويون، ألا تعرفون التحدث بالألمانية؟ عندها تحول

ثنائيو اللغة إلى التحدث بالألمانية".

ورغم أن ثنائيو اللغة لم يكونوا يتحدثون إلى عمال البناء، إلا أنهم استجابوا للطلب المتعلق بمكانتهم كنمساويين، وهو التحدث باللغة الوطنية حتى ولو كانوا في مرمى سمع "أقرانهم" من المواطنين في مكان عام. ومن الواضح أن أفراد هذه المجموعة من أهل المنطقة كانوا يرغبون في الاعتراف بهويتهم "كنمساويين" فضلا عن كونهم أعضاء في جماعة فرعية خاصة بهم في هذا الموقف.(١٤)

وتؤكد غال أن ذلك لم يكن دائما كذلك، وليست هذه هي الطريقة التي يستجيب بها كافة المتحدثين بالمجرية في أوبروارت إلى مثل هذا الموقف. وفي واقعة أخرى، دعا زوجان مجريان عجوزان يعملان بالزراعة جارا لهما يتحدث الألمانية فقط ليساعدهما على ذبح خنزير، وظل الجار معهما لمدة ثلاث إلى أربع ساعات ولم يساعدهما على عملية الذبح فحسب، بل انتظر لتناول الطعام معهما. ورغم ذلك دارت كافة جوانب الحديث باللغة المجرية فيما عدا بضعة تعليمات تتعلق بعملية الذبح قيلت بالألمانية للجار الألماني الذي لا يتحدث غيرها. وتوضح غال (١٩٧٩، ص١٦٥) أن ذلك لا يمكن تفسيره كوقاحة متعمدة (أو تخالف متعمد حسب تعبير غال) باعتبار أن الجار كان يساعدهما وذهب إلى هناك بناء على دعوتهما، وتناول الطعام معهما. ومن الواضح أنهما ببساطة احتفظا بحق استخدام لغتهما في بيتهما، وكانا يعتقدان أن "الأجنبي" لن يتوقع منهما غير ذلك. وكان سلوكهما مهذبا في نظرهما حيث كان ذلك طبيعيا بكل بساطة. إن المجرية والألمانية تمثل لدى هذين الزوجين العجوزين "مجموعتين اجتماعيتين متوازيتين ومتناسقتين" (غال ١٩٧٩، ص ١٦١) وليس مجموعة صغيرة داخل مجموعة أكبر. والواقع أن ذلك هو المفهوم العام للعلاقة بين اللغتين والمتحدثين بهما قبل الأربعينات.

بل إن الأعجب من ذلك هو السلوك المتناقض إزاء النساء القادمات من القرى

النمساوية اللاتي تزوجن برجال من الجالية المجرية في أوبروارت وذهبن ليعشن مع آباء أزواجهن وأمهاتهم. وقد التقت غال (١٩٧٩ ، ص ١٤٢-٣) باثنتي عشرة زوجة كن يتحدثن لغة واحدة هي الألمانية وتزوجن في أوبروارت وقد تعلمت ست منهن فقط اللغة المجرية ولم تتعلمها الست الأخريات. فأما الست اللاتي تعلمن المجرية فكانت خبراتهن متشابهة حيث كان من النادر أن يتحدث إليهن غير أزواجهن باللغة الألمانية. أما أعضاء الأسرة الآخرون فلا يتحدثون إلا اللغة المجرية ، وتضطر العروس الجديدة إلى تعلمها بطريقة أو بأخرى. وكان ذلك صحيحا على الرغم من أن كل من يتكلم المجرية يعرف الألمانية أيضا. وإذا أدركنا أن هذه الأسر تعمل بمفهوم "المجموعة الاجتماعية الموازية" بالشكل رقم (٧,٢) (أ)، فإن سلوكهم يصبح واضحا. إن كل من كان عضوا في أسرة لا يمكنه على الإطلاق أن يظل "أجنبيا ". لذلك كان على الزوجات الشابات أن يصبحن عضوات في مجتمعات أزواجهن إذ لا يمكن حدوث ذلك دون تعلم لغة المجتمع الذي يعشن فيه. أما الزوجات اللاتي لم يتعلمن المجرية فقد وجدن أفرادا يتحدثن إليهن بالألمانية ، ولم يستطع أقاربهن أن يسيطروا على خياراتهن اللغوية بالقدر نفسه. إن عدم إمكانية السيطرة على البيئة اللغوية من جانب أهل الزوج هو أمر مهم دون شك ، ولكن من الطريف أن نلاحظ أن الزوجات اللاتي بقين يتحدثن لغة واحدة تزوجن بعد الحرب العالمية الثانية ، أو تزوجن أزواجا لا يعملون بالمهن الزراعية (أو كن أنفسهن يعملن بهذه الوظائف). ويغلب على هؤلاء الأفراد الأكثر تحضرا والأصغر سنا أن يفهموا البنى الاجتماعية المحلية أكثر في ضوء الطريقة الموضحة في الشكل رقم (٧,٢) (ب)، وحتى لو لم تكن المرأة عضوا في المجتمع المحلي بالمعنى الكامل بسبب عدم استطاعتها التحدث بالمجرية ، فهناك مجموعة ما في أوبروارت بإمكانها التفاعل معها. وكنتيجة لذلك ، تمكنت العروس الجديدة من التعايش الاجتماعي دون تعلم اللغة المجرية.

وهناك اعتبار آخر نجده في دراسة غال، وهو درجة الطلاقة في اللغة العليا. كان الفلاحون منذ قرن مضى في أوبروارت (وكانت حينئذ لا تعرف إلا باسمها المجري "فيلسور") لا يتحدثون الألمانية إلا "بقدر يكفي لتأدية المهام المطلوبة والتعامل مع الأسواق في القرى المجاورة" (غال ١٩٧٩، ص ١٥٥) غير أنه بحلول السبعينيات لم يكن الهدف هو تعلم الألمانية بطلاقة، ولكن تحدث الألمانية خالية من أي أثر للكنة المجرية على نحو يمكن معه "اعتبار المرء متحدثا بلغة واحدة" (غال ١٩٧٩، ص١٠٧). وكان هذا الاهتمام الزائد بنوعية مقدرة الفرد على التحدث بالألمانية انعكاسا آخر لمفهوم "العضوية الثنائية".

يبرز اختيار اللغة كفعل مصاحب لمفهوم المرء حول عضويته بالجماعة بشكل واضح، عندما نفهم نموذج اختيار اللغة الذي وجدته غال على أنه الأكثر إفصاحا ووضوحا. لقد اكتشفت أنماطا منتظمة لاختيار اللغة عند وضع أنماط الاختيار الفردية في جدول "القياس التضميني" مع متحدثين تمثلهم صفوف أفقية والمخاطبين تمثلهم أعمدة.[١٥] ويظهر في الجدول رقم (٧,٥) المقياس التضميني لدى النساء (ويكاد يتطابق مع مقياس الرجال).[١٦] إن استخدام اللغة الألمانية في أي حديث مع مخاطب معين يدل ضمنيا على أو يتنبأ أن الألمانية ستستخدم مع كافة المخاطبين الموجودين على اليمين. وبشكل مشابه إذا استخدمت المجرية مع أي مخاطب، فإنها ستستخدم أيضا مع كافة المخاطبين على يسار المقياس. أما استخدام الألمانية والمجرية معا مع المخاطب نفسه فسيظهر بين استخدام المجرية فقط والألمانية فقط.

الجدول رقم (٧,٥). المقياس التضميني لاختيار اللغة لدى المتحدثات النساء في أويروارت المخاطبون: ١ – الله، ٢- الجدان وجيلهما، ٣ - زبائن السوق السوداء، ٤ - الوالدان وجيلهما، ٥- الأقران من الأصدقاء والجيران، ٦ - الأخوة والأخوات، ٧ - البائعون، ٨- الزوج أو الزوجة، ٩ – الأولاد وجيلهم، ١٠- اللغات المستخدمة في الحكومة.

م= المجرية . أ = الألمانية

عمر المتكلم	المخاطب											
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١٤	م	أم		أ	أ	أ	أ			أ		أ
١٥	م	أم		أ	أ	أ	أ			أ		أ
٢٥	م	أم	أم	أم	أ	أ	أ	أ	أ	أ		أ
٢٧	م	م		أم	أ	أ	أ			أ		أ
١٧	م	م		م	أم	أ	أ			أ		أ
١٣	م	م		أم	أم	أم	أم			أ		أ
٤٣	م	م		أم	أم		أ◆	أم	أم	أ		أ
٣٩	م	م		م	أم	أم	أ	أ	أ	أ		أ
٢٣	م	م		م	أم	م◆	أ		م◆	أ		أ
٤٠	م	م		م	أم		أم	أ	أ	أ		أ
٥٠	م	م		م	م	أم	أم	أم	أم	أ	أ	أ
٥٢	م	م	م	أم ◆	م		م	أم	أ	أ	أ	أ
٦٠	م	م	م	م	م	م	م	أم	أم	أ	أ	م◆
٤٠	م	م	م	م	م	م	م	أم	م	أم		أ
٣٥	م	م	م	م	م	م	م	م	أم	م◆		أ
٦١	م	م	م	م	م	م	م	م	أم ◆	م		أ
٥٠	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م		أ
٦٦	م	م		م	م	م	م	م	م	م	أم	أ

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
٦٠	م	م		م	م	م	م	م	م	م	أم	أ
٥٣	م	م		م	م	م	م	م	أم ◆	م	أم	أ
٧١	م	م		م	م	م	م	م	م	م	أم	أ
٥٤	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م		أ
٦٩	م	م		م	م	م	م	م	م	م	أم	أ
٦٣	م	م		م	م	م	م	م	م	م	أم	م◆
٥٩	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م		م
٦٠	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م		م
٦٤	م	م		م	م	م	م	م	م	م	م	م
٧١	م	م		م	م	م	م	م	م	م	م	م

◆ فشلت هذه الخانات في الاتفاق مع القياسية التامة.

المصدر: غال(١٩٧٩، صفحة ١٢١، الجدول ٤.٣).

وإذا وضعنا بعين الاعتبار أن ترتيب المخاطبين من اليسار إلى اليمين في قمة الجدول رقم (٧.٥) حددته محاولة جعل المقياس يقترب من درجة الكمال ما أمكن، فإنه من الطريف أن نرى الترتيب الذي يعطينا إياه هذا الإجراء. بادىء ذي بدء، من الواضح أن مخاطبة الأصدقاء والأقارب الأكبر سنا ستتم على الأرجح باللغة المجرية، بينما يخاطب الأصغر سنا باللغة الألمانية. وهذا لا بد من توقعه طالما أن الأشخاص الأصغر سنا هم الأكثر احتمالا لأن يكون لديهم المفهوم الأحدث حول النظام الاجتماعي. أما من غير الأقارب، وذلك باستثناء الدعاء إلى الله في الصلوات والترانيم الدينية، فإن أكثر الناس قابلية للتحدث إليهم باللغة المجرية هم "زبائن السوق السوداء". فنشاط "السوق السوداء" في أوبروارت ليس سيئا كما يبدو، وهو يمثل فقط محاولة الجماعة الحفاظ على تقاليدهم الخاصة بالتبادل المشترك للخدمات في مواجهة

القوانين النمساوية الصارمة المتعلقة بإصدار التراخيص للعمالة الماهرة. فالنجار الذي يتحدث المجرية مثلا، والذي يقوم بعمل ما لأحد جيرانه لا يمكن تنفيذه قانونيا إلا عن طريق مقاول مرخص (وباهظ الثمن)، يكون في هذه الحالة متورطا في نشاط "السوق السوداء". ويلاحظ أن هذا النوع من الترتيبات يمثل الحفاظ على القيم الريفية التقليدية، ويحتاج إلى درجة كبيرة من الثقة المتبادلة، ويعتبر تحديا للقانون النمساوي". ولا عجب في أن يخاطب "زبائن السوق السوداء" على الأرجح بلغة المجتمع الصغير. وعلى النقيض من ذلك فإن "موظفي الحكومة" هم جزء من المؤسسة الاجتماعية الأكبر، ولذلك يحتمل أن يغلب على مخاطبتهم استخدام اللغة الألمانية. وتستخدم اللغة نفسها مع الطبيب الذي يمثل مهنة محترمة.

قد يندهش القراء الواعون من أن الدعاء الموجه إلى الله تعالى (في الصلوات والترنيمات) هو الكلام الأكثر احتمالا لأن يكون باللغة المجرية، غير أن الدين عادة ما يكون ضمن مجال اللغة العليا ، بيد أن المجرية تعتبر اللغة الدنيا في هذا المجتمع. وفي مجتمعات أخرى بحثناها كانت اللغة العليا هي الأكثر ملاءمة في النشاط الديني، حيث كانت اللغة العربية الكلاسيكية في مصر مثلا هي اللغة التي تعتبر الأكثر ملاءمة للاستخدامات الدينية. وتفسير ذلك أن الاستخدامات الدينية والأنشطة الدينية تنفذ باللغة العليا المرتبطة بالمجتمع الكلامي الذي يتواجد فيه هذا الدين. وفي اوبروارت فإن كافة أعضاء الجالية المجرية تقريبا من أتباع كالفين. وتعتبر الألمانية لغة الأديان الأخرى للشعب، وأغلبهم لوثريون أو كاثوليك. إن اللغة المجرية هي الوحيدة التي يمكن استخدامها في الكنائس الكالفينية بيد أن المجرية المستخدمة في الكنيسة أرقى مستوى وأسلوبا من المستخدمة في المجتمع. كما أن الإسلام في مصر ليس هو الدين الوحيد لكافة المسلمين المصرين فقط، بل هو كذلك دين كافة المسلمين العرب، وبالتالي فمن المؤكد أن تكون العربية الكلاسيكية أرقى لغة تستخدم في ذلك المجتمع الكلامي.[١٧]

إن مجرد قراءة أعلى الجدول رقم (٧,٥) تبين لنا الكثير عن خلفيات الاختيار اللغوي في أوبروارت، كما نحصل على معلومات ذات دلالة أيضا من قراءتنا من أعلى إلى أسفل الجانب الأيسر من الجدول رقم (٧,٥)، فمن السهل أن نرى أن المتحدثين الشباب يغلب عليهم التجمع نحو القمة في حين يقع المتحدثون الكبار قرب القاعدة السفلى. وبالطبع فإن المتحدثين الواقعين قرب القمة هم الذين يستخدمون اللغة الألمانية مع معظم من يخاطبونهم في حين أن الواقعين قرب القاعدة السفلى غالبا ما يختارون التحدث بالمجرية مع معظم الناس. ويمكن قياس هذا التوجه نحو التوزيع حسب العمر عن طريق أحد الاختبارات الإحصائية المبينة في الفصل الرابع، وهي اختبار سبيرمان لترابط الرتبة والترتيب. إن قيمة الارتباط الذي وجده سبيرمان بين العمر والرتبة والترتيب من أعلى المقياس التضميني إلى أسفله كان معامل ارتباط عاليا للغاية ، حيث بلغ ٨٢, ٠ في جدول يضم إلى جانب الجدول رقم(٧.٥) جدولا مماثلا لمتحدثين ذكور. ويتفق معامل الارتباط هذا مع حقيقة أن الصغار غالبا ما يتشربون القيم الحضارية النمساوية المرتبطة باستخدام اللغة الألمانية.

وعند تأسيس ترتيب للاختيار اللغوي مبني على قاعدة ما مثل ما جاء في الجدول رقم (٧,٥)، يمكننا استخدام هذا الترتيب الرتبي في قياسات الارتباط مع العوامل الأخرى. إننا هنا نبحث فكرة أن استخدام اللغة المجرية على نطاق واسع يعني أن المتكلم يميل إلى التفكير والاعتقاد بأن المجتمع المجري والمجتمع النمساوي الأوسع هما مجتمعان متوازيان أكثر منهما متداخلين. وبالتالي ربما يتوقع أن يرتبط الترتيب الرتبي للمقياس التضميني مع التوجه نحو وجود تفاعل مركز مع الأعضاء الآخرين في المجتمع الكلامي المجري. وكل ما نحتاجه هو مقياس للتفاعل بين عناصر المجتمع.

لقد طورت غال (١٩٧٩، ص ١٤٠-١) الطريقة الآتية لقياس "النزعة الريفية" في الاتصالات بين الأفراد حيث إن الالتزام بأسلوب الحياة الريفية يستلزم الالتزام

بقيم المجتمع المجري التقليدية. ويقوم هذا المقياس على تخصيص ثنائي لمفهوم "الريفية" يكون فيه الفرد ريفيا إذا كان يعيش في بيت توجد فيه أبقار أو خنازير، أو هما ملك للأسرة، ولا يكون "ريفيا" إذا لم يكن يمتلك أيا من هذه الحيوانات. وهذا المعيار بسيط وغير متقن، ولكنه يتسق مع الطريقة التي يقيم من خلالها الانخراط في أسلوب الحياة الزراعية في أوبروارت. لقد تمكنت غال من معرفة من كان يتحدث معها من الأشخاص الموجودة أسماؤهم على قائمة المعارف التي أعدتها وعدد المرات التي يتحدث فيها على مدى عدة أسابيع، وذلك بعد أن عاشت بينهم فترة في أوبروارت. وكان مقياس التفاعل ببساطة هو النسبة المئوية للاتصالات مع "الريفيين" أو "الفلاحين". ويمكن ترتيب الأفراد حسب رتبهم بهذه النسب المئوية ويترابط هذا الترتيب مع ترتيب المقياس التضميني. وكانت النتيجة قيمة صحيحة لسبيرمان بلغت ب=٧٨, ٠ ، مما يبين وجود علاقة قوية بين شبكة اتصالات مكثفة مع الأفراد التقليديين في المجتمع الكلامي المجري والميل نحو اختيار اللغة المجرية في الكلام. ولا تعتبر هذه النتيجة شائعة كما قد تبدو حيث إن كل فرد في المجتمع المجري يتحدث لغتين، ومن الممكن أن يستخدم الألمانية في الحديث مع أي فرد آخر. والواقع أن بعض أفراد المجتمع يستخدمون الألمانية بالفعل مع الأشخاص أنفسهم الذين يخاطبهم الآخرون باللغة المجرية. لكن ما قدمه لنا مقياس غال هو دليل على المدى الذي يكون فيه المجتمع الأصغر، وبخاصة أعضاؤه التقليديون، كافيا لتلبية حاجات الفرد الاجتماعية.[١٨] فمن غير المحتمل أن يكون للشخص، الذي له انتماء اجتماعي راسخ الجذور في مجتمع صغير، ولاء كبير للفئة الكبرى في المجتمع وغالبا ما تقوم أنماط اختياره اللغوي بإظهار ذلك.

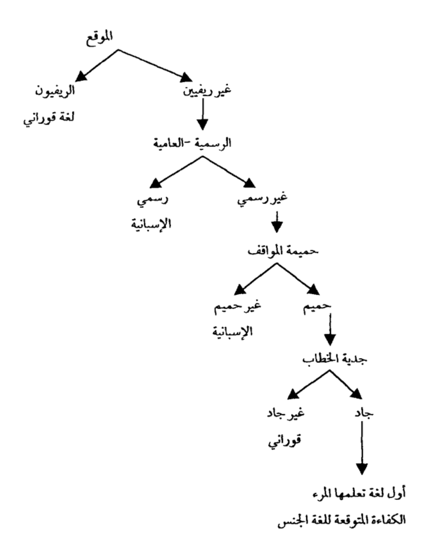
التنبؤ في مقابل التأويل.

إن هدف دراسة الاختيار اللغوي هو إجراء لتفسير الاختيار. وهناك مستويان للتفسير استخدمهما العلماء الذين أجروا بحوثا على الاختيار اللغوي: التفسير الأول هو التنبؤ، أما الثاني فهو التأويل.[١٩] إن أكثر أنواع التنبؤ طموحا هو أن يكون المرء قادرا على التنبؤ بالتوقيت الذي سيتحول فيه (المتحدث ثنائي اللغة) من لغة إلى اللغة الأخرى أثناء المحادثة. وهناك نوع أكثر محدودية للتنبؤ بمعنى أن يكون الفرد قادرا على التنبؤ بأي من النماذج الثلاثة للاختيار اللغوي سيقوم المتحدث باستخدامه في حالة معينة، فهل سيستخدم اللغة الأولى أم الثانية أم كلتيهما، وذلك دون محاولة التنبؤ بكل تحول في كل مرة. أما التأويل فله هدف أكثر تواضعا، فبدلا من محاولة التنبؤ بالتوقيت الذي يحدث فيه التحول إلى اللغة الأخرى، أو حتى التنبؤ بنمط الاختيار اللغوي العام الذي سيستخدم، فإن هدف التأويل هو اعتبار الاختيار اللغوي معروفا مسبقا وفهم عملية التفاعل كما تتحقق بالنسبة للمتكلم. وهناك اتفاق عام على أنه من غير الواقعي محاولة التنبؤ أو حتى تفسير المعنى الاجتماعي لكل عملية تحول على حده. غير أن بعض العلماء حاولوا كشف عناصر في المواقف الكلامية تجعل من الممكن التنبؤ باختيار لغة ما بدلا من أخرى بصورة عامة، أو استخدام مزيج منهما.

وهناك أسلوب تصنيفي واسع التنبؤ يستخدم أحيانا في تحليل اختيار اللغة، ألا وهو "شجرة القرار"[٢٠]. وشجرة القرار هذه تذكرنا بتحليل المجال حيث إن بعض نقط التفرع (عقد التفرع) على "الشجرة" تظل نفسها كمكونات للمجالات. مثال ذلك، استخدمت روبن (١٩٦٨ب ، ص ٥٢٦) شجرة القرار في تحليلها للاختيار اللغوي في بلد أصبح مألوفا لدينا الآن وهو براغوي. ومن ملاحظاتها وبيانات الاستبيانات التي أجرتها في إحدى المدن البراغويية الصغيرة، وأخرى في إحدى المدن الكبيرة، وجدت

روبن بشكل عام أن قرار استخدام اللغة الإسبانية أو القوارني بالنسبة للمتحدث البراغويي ينبني على سلسلة مرتبة من الاعتبارات الخاصة بالمواقف كما يمثلها الشكل رقم (٧،٣):

ويقصد من هذا الرسم الإشارة إلى أن الشيء الأول الذي كان يفكر فيه المواطن البراغويي ثنائي اللغة هو ما إذا كان موجودا في موقع ريفي أم لا . وإذا كان في موضع ريفي فإنه سيختار اللغة الغورانية ، وإذا لم يكن كذلك فإنه يفكر في رسمية الموقف. وإذا كان رسميا فإن الإسبانية تكون هي الخيار ، أما إذا كان الموقف غير رسمي فهنا يأتي دور الحميمية. فإذا كان الموقف غير حميمي فإن اللغة الإسبانية هي المستخدمة ، أما إذا كان الموقف حميميا فلابد للمرء أن يفكر فيما إذا كان الكلام جادا أم لا . فإذا كان الكلام غير جاد لا تكون اللغة الغورانية هي الاختيار التلقائي ، ولكن إذا كان الكلام جادا فعندها يتأثر الاختيار بعوامل ثانوية. فعلى سبيل المثال ، أحد هذه العوامل هي لغة المتكلم الأولى (يفترض أن المتكلم سيختار لغته الأولى إذا كانت المؤثرات الكبرى غير حاسمة). إن كفاءة اللغة المتوقعة تعد عاملا آخر (حيث ستختار اللغة الغورانية إذا كان المخاطب من النوع الذي لا يعرف الإسبانية). وهناك عامل ثالث وهو الجنس ذكر أو أنثى (حيث إن الرجال ثنائيي اللغة سيختارون الغورانية عند التحدث مع غيرهم من الرجال الذين يكونون في الدرجة نفسها من التضامن الاجتماعي ، ولكن الإسبانية ستكون هي اللغة المستخدمة مع النساء إذا كن وحدهن ، أما النساء ثنائيات اللغة فغالبا ما يخترن الإسبانية مع كل من الرجال والنساء ، حتى عندما يكون المخاطب شخصا عزيزا عليهن). قدمت سانكوف (عام ١٩٨٠ ، صفحة ٣٦) شجرة قرار مماثلة وذلك للاختيار بين ثلاث لغات في نيوغيني ولكن شجرة القرار لديها تحتوي على قدر كبير من عدم التحديد.



شكل رقم (٧,٣). شجرة القرار لاختيار اللغة بين الغورانية والإسبانية في براغوي.
المصدر: روبن (١٩٦٨ ب، صفحة ٥٢٦)

إن كلا من تحليل شجرة القرار وتحليل المجال يقترح جوانب معينة من المواقف الاجتماعية كجوانب يطلب مراقبتها إذا كان الهدف هو التنبؤ بالاختيارات اللغوية بصفة عامة. وثمة أربعة عوامل ذكرت في عدة دراسات، هي: ١- الموقع أو المكان

(روبن ١٩٦٨ ب، هيرمان ١٩٦٨، بلوم وغومبيرز ١٩٧٢، غرينفيلد ١٩٧٢، ودوريان ١٩٨١) ، ٢- الموقف (روبن ١٩٦٨ ب، وبشكل خاص "فئتها" الرسمية لديها، هيرمان ١٩٦٨، بلوم وغومبيرز ١٩٧٢، وسانكوف ١٩٨٠) ، ٣- الموضوع (روبن ١٩٦٨ ب، بالنسبة "لخطاب الجدية"، غرينفيلد ١٩٧٢، سانكوف ١٩٨٠، باراشر ١٩٨٠، دوريان ١٩٨١)، ٤- المشاركون (روبن ١٩٦٨ ب، "الحميمية" وبعض عواملها الثانوية، هيرمان ١٩٦٨، غرينفيلد ١٩٧٢، غايلز وبورهيس وتيلور ١٩٧٧، غال (١٩٧٨ ب، ١٩٧٩)، سانكوف ١٩٨٠، باراشر ١٩٨٠، وبشكل ضمني في بلوم وغوبيرز ١٩٧٢). إن مثل هذه القائمة القصيرة التي صادق عليها عدد كبير من الباحثين ربما تظهر أن هناك تقدما كبيرا قد أحرز في اكتشاف محددات اختيار اللغة. ولكن الوصول إلى مثل هذه النتيجة مغلوط لسببين على الأقل. أولهما: أنه رغم أن كثيرا من العلماء يستخدمون المصطلحات ذاتها إلا أن هناك اختلافا كبيرا فيما يقصد كل منهم من وراء هذه المصطلحات. فمثلا الموقع لدى روبن قد يعني التباين الصارخ بين المناطق الحضارية والريفية في براغوي، وقد يعني لدى هيرمان التمييز بين الأماكن العامة والخاصة ، وقد يشير هذا المصطلح لدى بلوم وغومبيرز أساسا إلى نوع من الأنشطة التي تحدث عادة في موقع معين، مثل المكاتب الحكومية أو الكنيسة، وقد يعني لدى جرينفيلد التجانس بين المكان والموضوعات والمشاركين في مجال ما. وثانيا، أن كافة الباحثين تقريبا لا يصرحون بمعرفتهم بكيفية استخدام هذه العوامل للخروج بتنبؤات موثوقة عن الاختيارات اللغوية. وتعترف روبن بالقوة التنبؤية الكبيرة لتحليل شجرة القرار لديها عندما تذكر حقيقة أن قواعد اختيار اللغة تتغير، وأن المواطنين المتعلمين في براغوي يستخدمون الإسبانية في الغالب في حين ان تحليلها يقود المرء إلى توقع استخدام اللغة الغورانية.

ويستثنى من ذلك تحليل غال (١٩٧٩، ص ١١٩) الذي يسمح لها بالتنبؤ

بالاختيار اللغوي على أساس المشاركين فقط:

"إن المعنى الذي ينطوي عليه الاختيار الثابت للغة ما بين المتحدثين يمكن تفسيره في أحسن الأحوال بالرجوع إلى مسألة كيفية اختيار الأفراد بين اللغتين الألمانية والمجرية أو كلتيهما معا. *فبالنسبة لأي راو لغوي يمكن التنبؤ باختياره اللغوي إذا عرف المرء هوية الراوي اللغوي وهوية المخاطب*". (الكتابة المائلة لي).

ويمكن إجراء التنبؤات إذا عرفنا من هم المشاركون باستخدام مقاييس التضمين الخاصة باختيار اللغة. وتمضي غال لتؤكد أن هوية المشاركين هي بالفعل الأمر الوحيد المطلوب معرفته. وهي تستثني بشكل صريح المكان أو الموقع فيما عدا المدرسة (حيث تستخدم الألمانية حسب القانون كلغة وحيدة للتعليم)، باعتبارها مؤثرا محتملا على اختيار اللغة. أما الموضوع فيقال: إن له "تأثيرا قليلا" باعتباره هو "ذاته المناسبة بحد ذاتها أو هدف التفاعل" (غال ١٩٧٩، ص١٢٥). إن هناك تأثيرا واحدا ثانويا على اختيار اللغة، بغض النظر عن المشاركين الفعليين وموقع المدرسة، وذلك التأثير هو ما إذا كان الأفراد الذين يتكلمون الألمانية فقط حاضرين أم لا، كما سبق ورأينا.

ولعله لا يوجد عالم اجتماع واحد أو عدد محدود جدا من علماء الإنسان يقتنع بخطة التنبؤ التي تحتاج لأن يكون المحلل على علم بهوية الفرد المحددة وموقعه على المقياس التضميني. لكن يبدو أن غال كانت قاب قوسين أو أدنى من أن تقول بخصوص المجتمع الذي درسته: إن الشخص الذي لديه درجة (س) من الالتزام وقيم اللغة الصغرى أو السفلى، وهي الخاصة بالمجتمع، سيختار اللغة (ص) عند التحدث مع المخاطب (ع). وكل ما ينقصنا هو مقياس موثوق لقيمة (س). ولو وجدت طريقة لقياس مدى اشتراك المجتمع على مقياس متواصل، لظهر أنه بالإمكان الحصول على طريقة ذات مصداقية عالية للتنبؤ بالاختيار اللغوي في أوبراوارت. وقد ينطبق أسلوب مماثل لهذا على مجتمعات لغوية أخرى أيضا.

إن الدراسة التفسيرية لمزج الشفرة أو "تبديل الشفرة التحاوري" (غومبيرز ١٩٧٧) تكشف عن تشابهات مذهلة في المواقف حول العالم . ورغم أن التنبؤ بكل تحول (تبديل) قد يبدو بعيد المنال ، إلا أنه في بعض الحالات نجد توافقا صارخا حول تفسير التحولات بين اللغتين العليا والدنيا ضمن المحادثة الواحدة. وبالطبع ، فإن استخدام اللغة العليا بشكل أساسي يعني أن المتكلم يستثير قيم المجتمع الواسع ومنزلته ، أما عند اختياره اللغة الدنيا فإنه بالمثل يستدعي الأنماط الثقافية الخاصة بالمجتمع الأصغر الذي ينتمي إليه. غير أنه من الممكن أن نجد تشابهات في التفاصيل في كيفية تطبيق هذا المبدأ العام. إن هناك ثلاثة تطبيقات خاصة تظهر تشابهات صارخة بين مجتمعات لغوية منفصلة جدا عن بعضها في جميع أنحاء العالم. وهذه المستويات الثلاثة هي :-

١- استخدام اللغة العليا لجعل التعبير أكثر رسمية وذا سلطة.

٢- استخدام اللغة العليا في تفسير بيت القصيد أو توضيحه من وراء قصة غالبا ما كانت تحكى باللغة الدنيا.

٣- استخدام اللغة العليا للتأثير على ولد ما وإفهامه أن الأمر جدي.

وتبين الاقتباسات التالية هذه الحالات :-

١- استخدام اللغة دليلا على السلطة

إن التعبير عن الخبرة وحسن الاطلاع أو تأكيدهما سواء في قضية ما أو في مجال نشاط ما أو مهارة أو حرفة ، غالبا ما كان يتحقق عن طريق قيام المتكلم بالتحول إلى اللغة الألمانية عند إصدار الحكم أو التعبير عن رأي ما (غال ١٩٧٩ ، ص١١٧ حول ثنائية اللغة الألمانية والمجرية في اوربرايت في النمسا).

وتحليلنا لذلك يكشف أنه عندما تتطلب المناقشة من المتكلم أن يثبت منزلته كمثقف

فإنه يميل مرة أخرى إلى استخدام المستويات النموذجية من اللغة (بلوم وغومبيرز ١٩٧٢ ، ص ٤٣٠ حول التباين بين البوكمالية والرغمالية في هيمنس بيرغيه في النرويج).

وهناك ثلاثة أنواع من الأدلة ، وكلها توحي بأن استخدام الإسبانية بكثرة في ناهوتا هو تحول مجازي يقصد به إثارة سلطة العالم المتحدث بالإسبانية ومكانته (هيل وهيل ١٩٨٠ ، ص١٣٠ حول ثنائية اللغة الإسبانية والناهوتلية في ولايات تلاكسالا وبيوبيلا في المكسيك).

وهنا يعترض الشخص (ب) على عبارة الشخص (أ) أو يحاججه (أ) بالألمانية كما لو كان سيعطي عبارته مزيدا من السلطة والقوة والنفوذ (غومبيرز ١٩٧٧ ، ص ١٩ يعلق على مثال حول التحول من الألمانية والسلوفانية في قرية نمساوية لم يحدد اسمها).

٢- شرح مغزى رواية سردية

واستخدام آخر للتبديل اللغوي هو ما يمكن تسميته التأكيد أو "الإثبات" ، ففي عملية سرد حكاية عن تجربة شخصية تقال العبارة التي تلخص المغزى والعبرة الأخلاقية من وراء إخبار هذه القصة مرتين ، مرة في كل لغة (غال ١٩٧٩ ، ص١١٧).

وفي عملية السرد غالبا ما تكون الألفاظ الإسبانية مركزة بصورة مكثفة في معظم الأجزاء "التقييمية" للخطاب حيث يقوم المتكلم بإظهار السبب الذي يدعو لأن تكون حكايته جديرة بالاستماع (هيل وهيل ١٩٨٠ ، ص ١٢٥).

٣- توجيه الأوامر إلى الأولاد.

هناك تشابه صارخ في ثلاث حالات من التحول عند إعطاء الأوامر للأولاد ،

وقد اخترت اقتباس هذه الأمثلة بالكامل هنا. والعبارات المحكية باللغة العليا في كل مقطع مطبوعة بالأسود الغامق. ففي المثال الأول يوبخ جد حفيدته التي تبلغ الثالثة من العمر وابن عمها الذي نثر لتوه كومة من الخشب الذي سيستخدمه الجد في إشعال نار يتدفأ بها (غال ١٩٧٩، ص١١٢).

Grandfather : Szo! **ide dzsuni** ! (pause) jeszt jeramunyi mind

Well, **come here** ! put all this away, both

حسنا، تعالا إلى هنا وضعا كل ذلك جانبا أنتما الاثنان

e kettuotok, **no hat akkor**! (pause) **kum her**! (pause)
of you, **well now**! **come here** !

تعالا إلى هنا.

Nem koapsz vacsorat !
you don't get supper !

لن تحصلا على العشاء الليلة.

وفي المثال الثاني، يحذر هندي بالغ صبيا في العاشرة من عمره، وهو يمارس رياضة السباحة، بأن يظل قريبا من حافة المسبح (غومبيرز ١٩٧٧، ص ٢٨).

Baaju -me, be Ta, bajju -me ! **Stay on the side** !
On the side, son, on the side

ابق على الطرف.

والمثال الثالث مأخوذ من حوار تفاعلي بين أسرة مهنية أمريكية مكسيكية (غومبيرز ١٩٧٧، ٢٨).

Ven aca! Ven aca! **Come here, you** !
Come here! Come here!

تعال إلى هنا

تعال إلى هنا! تعال إلى هنا أنت.

نلاحظ في المثال الأول أن الجد قد أصدر أمرين باللغة المجرية، لم يحظيا بطاعة من جانب الحفيدة، ويلاحظ أنه توقف بعد كل من الأمرين. وأما الأمر الذي صدر بالألمانية فهو يعتبر تصعيدا لجدية الموقف، والأكثر دهشة أن الفتاة الصغيرة لم تتعلم الألمانية بعد، أو أي شيء منها. ولعل ذلك أحد الأسباب وراء عدم طاعتها لأوامر جدها حتى عندما صدرت بالألمانية، وكان لا بد أن يصعد الجد من الموقف إلى حد التهديد الواضح. وعند مناقشة حالات الإسبانية/الإنجليزية وحالات الإنجليزية/الهندية مع أعضاء المجتمعات الكلامية الملائمة نجد أن هناك اتفاقا، كما هو الحال في اللغة النمساوية، على أن التحول إلى اللغة العليا يوحي بتحذير أو تهديد معتدل (غومبيرز ١٩٧٧، ص ٢٨).[٢١]

وبغض النظر عن هذه الحالات التي يميل المتحدثون فيها إلى الخصائص المتعلقة باللغة التي يتحولون إليها، فإن دارسي الخيارات اللغوية لاحظوا استخدامين آخرين لتحولات اللغة، وهما: الاقتباسات ومواصفات المخاطب. لقد لاحظت غال (١٩٧٩، ص ١٠٠) وكذلك هيل وهيل (١٩٨٠، ص ١٢٤) وغومبيرز (١٩٧٧، ص ١٤) أن هناك ميلا ما في مواقع ثنائية اللغة للاستشهاد وبأقوال أناس باللغة الأصلية للتعبير المقتبس، فمثلا، قام أحد معارف غال أثناء سرده لقصة وفاة أبيه باللغة المجرية بالتحول والتبديل إلى اللغة الألمانية عندما اقتبس ما قاله الطبيب. غير أن

غـال لم تعتبر الاقتباسـات أمثلـة أصيلـة تماما عـن التحـول. ومـن ناحيـة أخـرى، يشير غومبيرز (١٩٧٧، ص٢١) إلى أن ثنائيي اللغة لا يقتبسون دائمـا عـن اللغـة الأصليـة، ولعل قرارهم بالقيام بذلك أو عدمه كان له أهمية تواصلية.

ويقـدم كـل مـن غـال (١٩٧٩، ص١٢٢) وغـومبيرز (١٩٧٧، ص١٥) أمثلـة على التبديل اللغوي عندما يستخدم لانتقاء الشخص الذي وجهت له الملاحظة عندما يكون هنـاك احتماليـة وجـود أكـثر مـن مخـاطب واحـد. وليـس بـالضرورة أن يفـهم الشخص هذه اللغة ولا لغة أخرى. يمكن أحيانا تحديد المخاطب؛ لأن اللغة التي تحول إليها المتكلم لتوه هي اللغة التي يستخدمها عادة مع ذلك الشخص بالذات والـذي قـد يكون أيضا ثنائي اللغة.

وعلى الرغم من التشابهات في طريقة تفسير اختيار اللغة في جميع أنحـاء العـالم إلا أنه ليس من الممكن دائما تفسير كل تبديل لغوي بصورة لا يكتفنها الغموض حتى داخل المجتمع الواحـد. إن إطـار غـال لتحليـل التبديـل اللغـوي التحـاوري لم يفسـر إلا نصف الحالات الأربعين التي درستها بالتفصيل (غال ١٩٧٩، ص١١٧). وكما يقول غومبيرز (١٩٧٧، ص٣٠) لا ينبغي علينا أن نتوقع قدرتنـا علـى تحديـد تفسـير واحـد لكل تبديل لغوي؛ لأن "ما يتولد هو التفسيرات المفضلة أو الممكنة لا المعاني الواضحة وغير القابلة للجدل". لقد استنتج سانكوف (١٩٨٠، ٤٤)، بعد فحص عدة حـالات عن التبديل اللغوي بين لغة توك بيسين (العليا) وبوانغ (الدنيا) في نيـو غيـني، أنـه مـن غير الممكن، بل ومن غير الضـروري، تفسـير التحـولات الفرديـة في اسـتخدام اللغـة. "إن استخدام المتكلم للغتين في هذا السياق يعد أمـرا مـهما طالما أنـه يظـل علـى ارتبـاط واتصال بكافة شرائح مستمعيه عن طريق التبديل المتواصل. بيد أن ما يقوله بلغة ما أو بأخرى، ليس في حد ذاته أمرا مهما". ربما كـان علـى البـاحـث أن يكـون قـارئـا للأفكـار ليعرف بالضبط سبب اختيـار الشـخص للغـة مـا أو غيرهـا عنـد نقطـة محـددة في موقـف

كلامي ما. ومن ناحية أخرى، قد يكون الأمر واضحا بشكل معقول أحيانا، وقد قدمت لنا البحوث الأخيرة على الأقل فكرة طيبة عن أنواع الأهمية التواصلية التي قد ترتبط بالتبديل اللغوي التحاوري.

الاختيار دون اختيار.

من الضروري قبل أن ننهي مناقشتنا للراسة علم الإنسان لقضية الاختيار اللغوي، أن نذكر ظاهرة غريبة أخرى، لاحظها عدة باحثين في مجال الاختيار اللغوي. يبدو أن أنماط تبديل اللغة التحاوري تبدو بعيدة بشكل خاص عن سيطرة المتكلمين الواعية، بل غالبا ما تكون معاكسة لمواقفهم اللغوية الواضحة. كما أن التحول إلى اللغة المجازية يكاد يبدو لثنائيي اللغة أمرا غير مرغوب "كخلط لغوي". بيد أن التبديل المجازي هو تبديل شائع بين الأفراد الذين ينتقدونه أشد الانتقاد أيا كان عمق تعصبهم ضده وانتقادهم له (غومبيرز ١٩٧٧، ص ٣، يلخص جزءا من نتائج بلوم وغومبيرز ١٩٧٢، وهيل وهيل (١٩٨٠، ص ١٣١). وما المثال التالي الذي أورده فيرما (١٩٧٦، ص ١٦٠) إلا تأكيد ذاتي على ذلك:

Kyo saheb! Hindii-me English ke expressions kyo prayog hone
Why sir Hindi- in English of expressions why usage has

lage hai
lage hai

why have so many English expressions found their way into Hindi?

لماذا وجد كثير من التعابير الإنجليزية طريقه إلى اللغة الهندية؟

haa. Yah to baRii hiiraatii hai merii
yes This very indeed unnatural seems Of-me

to is topic par scholars-sekaffiifrank discussions

this-topic -onscholars -with numerous frank discussions
hui hai
have been

yes. It seems very unnatural . I have had numerous frank discussions with scholars on this topic.

"نعم، يبدو ذلك غير طبيعي، فلقد أجريت عدة نقاشات صريحة مع بعض العلماء وحول هذا "الموضوع".

وهكذا فإن تبديل اللغة التحاوري يعد موردا تفاعليا قويا وذلك على نحو يجعله في الواقع الفعلي يلغي تماما شعور الفرد بنقاء اللغة. وكما هو الحال بالنسبة للظواهر الاجتماعية اللغوية الأخرى التي لا تحظى باهتمام معظم الناس لها، مثل اللغات الخليط والمزيج، فإن اللهجات غير النموذجية وازدواجية اللغة والتبديل اللغوي المجازي تعد أدوات للتواصل فائقة الفائدة على نحو يجعل من الصعب الاستغناء عنها بتلك السهولة.

دمج (توحيد) المفاهيم

لا شك في أنه يبدو واضحا الآن أنني أحمل انطباعا جيدا عن نهج علم الإنسان بالنسبة للاختيار اللغوي. ورغم أن علماء اللغة المختصين بعلم الإنسان لا يمارسون المعايير نفسها في تصميم البحوث والتحقق الإحصائي اللذين يحتاجهما علم الاجتماع وعلم النفس، إلا أنه يبدو لي أن نظرتهم الثاقبة بخصوص أسباب حدوث تبديل الشفرة أو مزجها، تعد نظرة أكثر عمقا من نظرة بحوث علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي. ولا يعني ذلك أننا نقول: إن النتائج التي توصل إليها علماء الإنسان تتعارض مع النتائج التي توصل إليها علماء المبدأين الآخرين أو تحل محلها. إن تحليل المجال، بتركيزه على اختيار اللغة الذي يحدده الموقف التواصلي الدائر

(الجاري)، يشترك في جوانب كثيرة مع نهج عالم الإنسان. غير أنه يبدو لي أن تحليلا كتحليل غال يتعمق أكثر من خلال تفسير أسباب اختلاف اختيارات اللغة لدى بعض أفراد المجتمع نفسه أكثر من غيرهم في المجالات ذاتها. ويبدو أن بحوث علم الاجتماع في تحليل المجال تعني فيما تعني ضمنيا أن التباين في الاختيار اللغوي لا يمكن تفسيره، أو لا حاجة إلى تفسيره طالما ظل الباحثون راضين بالعلاقة المهمة إحصائيا بين الاختيارات اللغوية والمجالات التي تتم فيها هذه الاختيارات. إن مفهوم تحليل المجال الذي يدمج عوامل، مثل الموضوع والموقع والمشاركين كمكونات لبنية أعلى في المستوى، يتعارض مع ما تقدمه غال من دليل على أن الاختيار اللغوي في مجتمع يمكن تفسيره على أساس المشاركين فقط. والسؤال ما إذا كان مفهوم المجال المعقد ضروريا أو لا، وما إذا كان صحيحا القول بشكل عام إن المراكز الاجتماعية ومفاهيم المشاركين الذاتية تكفي لتفسير اختيار اللغة يبقى مسألة تجريبية بحتة.

وتنسجم أيضا أعمال هيرمان وغايلز ومساعديهما التي تناولت رغبة الفرد في تأكيد روابطه بمجموعته الاجتماعية أو عدم تأكيدها مع الاكتشافات التي قام بها علماء اللغة المختصون بعلم الإنسان. وتعد فكرة غايلز عن التماثل متناسبة تماما مع إطار عمل علم الإنسان. وهناك عدة عوامل تشترك جميعا في تحديد درجة التماثل واتجاهه، وتتعلق فيما إذا كان الفرد يعتبر نفسه عضوا في المجتمع نفسه الذي ينتمي إليه الشخص الذي يخاطبه، أو فيما إذا كان الشخص الآخر يعتبر زائرا لمجتمع المتكلم أو العكس، وكذلك عامل وجود أو غياب صراع بين المجتمعين. ومثال على ذلك قصة غال عن الزوجين الريفيين العجوزيين اللذين دعيا جارهما الناطق بالألمانية ليساعدهما على أعمال المزرعة، ولكنهما لم يستخدما التماثل التوافقي مع لغة الجار. لقد اعتبرا الجار دون شك زائرا من مجتمع آخر، وينبغي عليه أن يتوقع أن يكون هو الذي يقوم بعملية التوافق. ومن ناحية أخرى فإن موقف الرجال الناطقين بالمجرية في

الفندق الشعبي الذين تماثلوا مع لغة المخاطب عن طريق التبديل إلى اللغة الألمانية، لمجرد أن الناطقين بالألمانية كانوا يسمعون حديثهم، يعتبر حالة معاكسة للحالة السابقة. ويرى هؤلاء أن أحاديي اللغة هم أعضاء في المجتمع الأكبر نفسه، وبالتالي يحق لهم التماثل التوافقي. ولعل التخالف وعدم التماثل المتعمد والمدرك لا يحدث إلا عندما يكون المتكلم والمخاطب لا ينتميان إلى مجتمعين مختلفين فحسب، وربما كان هناك عداء بين المجتمعين أيضا.

ملخص

يدل التنوع اللغوي الاجتماعي ضمنا على أن للمتكلمين خيارا بين ضروب مختلفة من اللغة. وقد يكون هذا الاختيار بين لغة وأخرى بناء على الموقف (تبديل الشفرة)، أو مجرد استخدام عناصر لغة ما عند التحدث بلغة أخرى (مزج الشفرة)، أو بين عدد لا يحصى من المتغيرات ضمن نظام لغوي واحد.

درس علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي وعلماء الإنسان الجوانب الاجتماعية اللغوية لعملية اختيار اللغة. وقد اشتمل هذا الفصل على مناقشات لتحليل المجال أخذت من بحوث علم الاجتماع حول الاختيارات اللغوية، وكذلك من عمل هيرمان بعنوان "المواقف النفسية المتداخلة"، وبحث غايلز وزملائه حول "نظرية التماثل" المأخوذة من دراسات علم النفس الاجتماعي، فضلا عن بحوث عدة لعلماء لغة مختصين بعلم الإنسان. وتبحث الدراسات من منظور علم الإنسان عن تفسيرات للاختيارات اللغوية في ضوء إدراك المتكلم لذاته كعضو في مجتمع واحد فقط، أو كعضو في الوقت نفسه في مجتمعين أو أكثر. ويعتبر الاختيار اللغوي في لحظة ما دليلا على رغبة الفرد في الارتباط بقيم مجتمع كلامي معين أو بغيره من المجتمعات.

وبحثا عن تفسيرات لمسألة اختيار اللغة، فكر علماء الإنسان في مدى اعتماد

التنبؤ أو التفسير هدفا مناسبا. وقد يكون من الممكن مثلا التنبؤ عن طريق شجرة القرار بالاختيار ما بين اللغات، أو تحديد استخدام أكثر من لغة واحدة في الحدث الكلامي نفسه. غير أنه من المتفق عليه بشكل عام أن هناك أملا ضئيلا في إمكانية التنبؤ بكل تحول لغوي يقدم عليه شخص ثنائي اللغة. فالباحثة غال (١٩٧٩) مستعدة على سبيل المثال لأن تقوم بتنبؤات كبيرة بالنسبة للمجتمع الذي درسته في أوبروارت في النمسا بناء على تحليل المقياس التضميني للمتكلمين كل على حدة. ورغم أن التنبؤ بالتحولات اللغوية في محادثة ما يبدو بعيد المنال، إلا أنه غالبا ما يكون ممكنا تفسير التبديلات التحاورية عند ملاحظتها. والواقع أن هناك بعض التفسيرات متشابهة على نحو مدهش، والمتعلقة بالتحولات المجازية بين اللغتين العليا والدنيا في مجتمعات كلامية متنوعة الثقافة والجغرافيا. ولكن رغم أن المهمة التفاعلية التي يحتاج المتكلم إلى تحقيقها عن طريق اختيار لغة مجازية يمكن في الغالب تفهمها، إلا أننا لا يمكن أن نتوقع تخصيص أو تحديد تفسير غير غامض لكل تبديل لغوي نلاحظه.

لا يستطيع ثنائيو اللغة غالبا تقويم القدرة الاتصالية التي يستوحيها المتكلم من استخدامه لغتين مختلفتين في الموقف نفسه. غير أنه رغم شيوع انتقاد ثنائيي اللغة لعملية "مزج اللغة"، وتأييدهم لـ "نقاء اللغة"، إلا أنه ليس لهذه المواقف أثر تقريبا على الاستخدام الفعلي للغة، إذ إن هؤلاء المتكلمين أنفسهم لا زالوا يستخدمون التحول المجازي دون أن يكونوا على دراية تامة بذلك.

إن إسهامات هذه العلوم الاجتماعية الثلاثة جميعها تقدم لنا رؤى قيمة تتعلق بظاهرة اختيار اللغة. ويبدو أن علم الإنسان هو الذي يقدم عمقا تفسيريا أكبر من العلوم الثلاثة رغم ممارساته المنهجية التي لا تبدو دقيقة بما يكفي حسب وجهة نظر علم الاجتماع أو علم النفس الاجتماعي. ويبدو أن أعمق فهم لاختيار اللغة كظاهرة اجتماعية لغوية يأتي من دمج رؤى علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي في إطار

علم الإنسان.

هوامش لمراجع إضافية

الخيار اللغوي بين الإنجليزية والهندي ليس الظاهرة الوحيدة الموجودة في الهند. فتوجد علاقات مشابهة بين الإنجليزية وكانادا (سريدهار Sridhar ١٩٧٨م)، ومالايالم (كولا Kola ١٩٧٧م). وتشمل دراسات أخرى للخيار اللغوي دراسة هيلر Heller (١٩٧٨م في مونتريال) وروس وغايلز (١٩٧٩، في فالينسيا) وسكتون وأوري (١٩٧٧م). وقد كتب روس وغايلز بحثيهما من منظور نظرية التماثل.

هوامش

(١) المسائل اللغوية الناتجة عن دراسة الخيار اللغوي هي موضوع فصل في الجزء الثاني من هذا الكتاب حول تبديل الشفرة والمتغيرية المتأصلة. ونهتم هنا بالخيار اللغوي كظاهرة اجتماعية. ناقش غومبيرز (١٩٧٧م) بعض الضوابط النحوية والبراغماتية على مزج الشفرة.

(٢) تعاملت غال (١٩٧٩م) في واحدة من أعمق الدراسات عن الخيار والتحول اللغويين مع جميع الأنواع الثلاثة للخيار اللغوي. كما فعل ذلك دوريان (١٩٨١) في دراسة أخرى ممتازة حول هذه المواضيع. وذكر غومبيرز (١٩٧٧م) بعض الاختلافات بين التباين اللغوي والخيار اللغوي الذي يتعلق بلغات منفصلة.

(٣) الفرق اللغوي بين التبديل والتنوع داخل اللغة مهم من الناحية النظرية، ولكن من الصعب القول أيهما هو الحادث في حالة معينة. وعلى كل حال، فالفرق ليس مهما من ناحية اللسانيات الاجتماعية، واعتبر أن

الخيار من بين بدائل اللغة الواحدة بشكل رئيسي هو الظاهرة اللسانية الاجتماعية نفسها كالتبديل أو مزج الشفرة.

(٤) هذا مضلل بعض الشيء؛ لأن الهندي -أردو كانت اللغة الأم لأكثر من ربع المستجيبين، وتيليقو التي تعتبر اللغة الإقليمية لأندار براديش (وهي المكان الذي تم فيه البحث) هي اللغة الأم لـ ٢٨٪ منهم. وإذا حسبت لغة ما على أنها لغة أم فلن تحسب أيضا ضمن "الهندي" أو "اللغة الإقليمية".

(٥) من بين الفروق المدهشة أن الاستخدام الأكثر للإسبانية ذكره الأمريكيون من أصل كوبي في ميامي، بينما ذكر الأمريكيون من أصل مكسيكي في أوستن للخلط بين الإسبانية والإنجليزية.

(٦) يعرج تحليل هرمان على المواضيع نفسها مثل نظرية غايلز عن التماثل، كما سنرى بعد قليل.

(٧) شاهدت بنفسي مثالا واقعيا جدا على هذا في رحلة لأوروبا مع والدي الذي هاجر إلى الولايات المتحدة من ألمانيا قبل ثلاثين عاما. وبما أنه كان نادرا ما يستخدم الألمانية في الولايات المتحدة، فقد تطلب تحدث الألمانية بطلاقة دون التحول للإنجليزية بعض الجهد في بداية الرحلة إلى أوروبا. وعند عمل بعض الترتيبات مع موظف الفندق عند وصولنا إلى لوكسمبورج، بدأ بالتحدث بالألمانية ثم تحول إلى الإنجليزية ثم انتبه لنفسه وتحدث الألمانية مرة أخرى. وحدث هذا مرات عدة خلال المحادثة. وقد تماثل موظف الفندق تماثلا تاما حيث كان يجيب باستخدام اللغة نفسها التي كان يسأل بها آخر مرة.

(٨) وللتقديم لنقاشنا الأخير فإننا هنا نتفحص التحليل التنبؤي للخيار اللغوي. وكما سنرى قريبا فإن الهدف الأقل طموحا هو تحليل تفسيري، والذي لا

نحاول فيه القول مسبقا ماذا سيقول المتحدث ، ولكن بدلا من ذلك نحاول فهم دوافعه حالما نعرف الخيار اللغوي الذي قام به.

(٩) أسهمنا في التركيز على أنواع مختلفة من التماثل داخل تفاعلات معينة، ولكن التماثل قد يحدث لفترة زمنية طويلة أيضا. ولقد رأينا في الفصل السادس كيف أن الهنود الغربيين في ويلز تماثلوا مع حديث المجتمع المحلي لدرجة أنه لم يمكن معرفة أصلهم العرقي من خلال حديثهم. وقام ولفرام Wolfram (١٩٧٣م، ١٩٧٤م) بدراسة ممتازة للظاهرة نفسها، والتي استطاع فيها إظهار أن بعض البورتوريكيون في مدينة نيويورك تماثلوا، بمعنى لغوي كبير، مع العامية الإنجليزية للسود بدلا من أي شكل آخر. واتضح أن أولئك هم الشباب الذين أصدقاؤهم من السود أكثر في شبكات اتصالهم، وهم من يعرفون الكثير عن القيم الثقافية للسود ومؤسساتهم الاجتماعية.

(١٠) باستخدام المصطلحات المرتبطة بأساليب المخاطبة الواردة في الفصل الأول من الجزء الثاني، يوجد هناك علاقة "قوة" وليس علاقة "تلاحم" بين المجموعتين.

(١١) يستخدم بلوم وغومبيرز تعبير "الفريق المحلي" للتعبير عن مفهوم العضوية في المجتمع المحلي الذي يقابل المجتمع الأكبر. وأخذا في ذلك المقال موقفا تأويليا وليس تنبؤيا لتحليل الخيار اللغوي. وسنناقش فيما يلي هذا الأمر المثير للجدل.

(١٢) لاحظ أن هذا النوع من التجارب خاص بتجارب علماء علم الإنسان فقط . فبدلا من تجميع الناس الذين يتبعون الشبكة الاجتماعية نفسها ومساعدتهم قليلا لبدء المحادثة بينهم، لم يحاول بلوم وغومبيرز التدخل

إطلاقا. وفي العديد من تجارب علم النفس الاجتماعي، يحاول المجرب أن يفعل شيئا للتحكم في الظروف التي يجد أفراد العينة أنفسهم فيها.

(١٣) نحن الآن في وضع أفضل لفهم المتعلمين الهنود في دراسة باراشر الذين قالوا: إنهم يستخدمون الإنجليزية بكثرة حتى في المجالات النموذجية لاستخدام اللغة "الدنيا" كالصداقة والجيران. وتعريف أنفسهم كأعضاء طبقة مجتمع متعلمي الإنجليزية يسمح لهم بالتعايش مع تعريفهم كأعضاء في مجموعات لغاتهم الأم، وربما تجاوز ذلك أيضا هذه المجالات، بالإضافة إلى المجالات "الأعلى". وانتماؤهم إلى مجموعة اللغة الأم يسيطر فقط في حالة المجال العائلي الحميمي جدا.

(١٤) ذكر غومبيرز (١٩٧٧م، ص ٢١٢) حالة موازية في مجتمع ثنائي لغة آخر في النمسا، في هذه المرة على حدود يوغسلافيا مع سلوفانيا كاللغة الدنيا. ويتجنب بشدة متحدثو السلوفانية والألمانية في هذه القرية تحدث السلوفانية في حضرة متحدثين بالألمانية فقط، لدرجة أنه من الممكن أن تمكث هناك لأسابيع دون أن تلحظ أن هناك لغة أخرى يتكلمها الناس غير الألمانية. وذكرت دوريان (١٩٨١م، ص ٧٩-٨٠) معالجة أخرى مختلفة بشكل طفيف جدا لأحاديي اللغة في منطقة هايلانز الأسكتلندية حيث كانت تعمل. وهناك سيتحول ثنائيو اللغة من اللغة الغيلية إلى اللغة الإنجليزية إذا انضم إلى المجموعة متحدث واحد فقط لا يتكلم إلا الإنجليزية، ولكن لن يتحول لمجرد وجود متحدثين أحاديي اللغة يسترقون السمع للمحادثة ولا يشاركون فيها فعليا.

(١٥) أثبتت المقاييس التضمينية فائدتها الكبيرة كأداة تحليلية في النقاش حول العديد من المواضيع في الجزء الثاني.

(١٦) "الحقول" التي لا تنسجم مع المقياسية التامة والمؤشرة بعلامة النجمة في الجدول رقم (٧,٥) تختار عشوائيا في بعض الأحيان. والعدد الصحيح الذي يشير إلى الحقول يظهر مؤشرا، فليس من الممكن غالبا التأكد من أي الحقول يمكن اعتباره شاذا.

(١٧) وجد حديثا وضع مشابه جدا للوضع في أوبروارت في شرق سزرلاند، وهي منطقة في شمال هايلاندز الأسكتلندية (دوريان ١٩٨١، ص ص ٩٠، ٩٣-٩٤). فهناك يمكن اعتبار الإنجليزية اللغة العليا بشكل يشبه كثيرا الألمانية في أوبروارت، ولكن الغيلية التي تعتبر اللغة الدنيا يستخدمها مجتمع الصيد في الطقوس الدينية في الكنيسة، وهذا هو المقابل للمزارعين متحدثي المجرية في أوبروارت. ولكن كان الشكل اللغوي من الغيلية قديما وذا منزلة أعلى من ذلك المستخدم في الحديث اليومي. ويجب أن أشير إلى أن دوريان تنكر أن ازدواجية اللغة تنطبق على المجتمع الذي درسته، ويرجع سبب ذلك -جزئيا إلى أن اللغة المرشحة كلغة دنيا كانت مستخدمة في الأغراض الدينية، ويقع هذا نموذجيا في مجال اللغة العليا. ولكن يبدو هذا الوضع كما وصفته متناسبا تماما مع الفكرة الموسعة لازدواجية اللغة المقدمة في الفصل الثاني.

(١٨) وصل ميلروي (١٩٨٠م) إلى نتيجة موازية ضمن ضروب الإنجليزية المستخدمة في بلفاست، فالأفراد ذوو الكثافة العليا في شبكات الاتصال المحلية يستخدمون أكثر ضروب اللهجات المحلية. ووصل هيل وهيل (١٩٨٠م) إلى خلاصة مشابهة في بحثهما، وهي أن الهنود ذوي الالتزام الكبير بقيم مجتمع نهاوتل كانوا الأقل في الاقتراض من الإسبانية والتحول لها.

(١٩) ناقش سانكوف (١٩٨٠م) بتعمق التنبؤ والتفسير كأهداف لدراسة الخيار اللغوي.

(٢٠) استخدمت غال (١٩٧٩م، ص١٠٠)، هذا المصطلح بالرغم من عدم استخدامها للأسلوب.

(٢١) دأبنا على افتراض أن "المجتمع الأوسع"هو الذي يتحدث اللغة ذات المنزلة الأعلى، وأن "المجتمع الصغير" هو الذي يتحدث اللغة الأدنى منزلة. وهذا صحيح لجميع الحالات التي درسناها، ما عدا حالة المتعلمين الهنود. فهناك المجتمع الكلامي الذي يستخدم الإنجليزية وهو أصغر بكثير من مجتمع متحدثي الهندي كما رأينا. ولكن الإنجليزية في هذه الحالة هي لغة ذات منزلة وتقوم بوظيفة اللغة العليا.

الأهداف

١ - أن يكون قادرا على ذكر الأنواع الثلاثة للخيار اللغوي المذكورة في.

٢ - أن يكون قادرا على القول بما إذا كان من السهل التمييز بين الأنواع الثلاثة من الخيار اللغوي.

٣ - أن يكون قادرا على معرفة تعريف "المجال".

٤ - أن يكون قادرا على معرفة كيفية ربط مفهوم "المجال" بمفهوم "ازدواجية اللغة".

٥- أن يكون قادرا على معرفة أوجه الشبه والاختلاف في النتائج التي توصل إليها كل من غرينبيرغ وباراشر بين مجتمعي البورتوريكيين في نيويورك والهنود المتعلمين في جنوب الهند.

٦ - أن يكون قادرا على كتابة تفسير أسباب النتيجة غير المتوقعة التي توصل لها باراشر في الهند.

٧- أن يكون قادرا على تسمية العوامل التي ذكرها سيمون هيرمن المتعلقة بالتجميع الاجتماعي والعامل الثالث غير المتعلق به.

٨- أن يكون قادرا على معرفة "فكرة هرمان الرئيسية".

٩- أن يكون قادرا على تعريف الأنواع الثلاثة للتماثل في نظرية غايلز.

١٠- أن يكون قادرا على القول بما إذا كان "التماثل" هو فقط مسألة خيار لغوي.

١١- أن يكون قادرا، بعد معرفة واحد من الأنماط الثلاثة لإدراك التغير الاجتماعي في جدول رقم (٧,٤)، على أن يعرف تنبؤ غايلز وبورهيس وتيلور حول السلوك اللغوي للجماعات المسيطرة والتابعة. فمثلا إذا عرفت أنه لا توجد إمكانية التغير الاجتماعي، فستقول: إن المجموعة المسيطرة ستمارس عدم التماثل أو التباعد، وأن المجموعة التابعة ستتماثل.

١٢- خلال الأوقات التي تؤكد فيها المجموعة التابعة حقها فيما يتعلق بالمجموعة المسيطرة، فالتماثل اللغوي لأفراد المجموعة المسيطرة قد لا يبدو مقبولا. الهدف أن يكون قادرا على معرفة سبب هذه الظاهرة.

١٣- أن يكون قادرا على معرفة اهتمام علماء علم الإنسان الرئيس بدراسة الخيار اللغوي، واختلافه عن اهتمام علماء الاجتماع أو علماء علم النفس الاجتماعي.

١٤- أن يكون قادرا على معرفة وصف أسلوب علماء علم الإنسان المسمى "ملاحظة المشاركين".

١٥- بعد أن تتعرف على وصف للبنى الاجتماعية لمجتمعين كلاميين في الشكل رقم (٧,٢)، أن تكون قادرا على ملاحظة المدلولات الناتجة عن الخيار اللغوي.

١٦- أن يكون قادرا على تمييز الفرق بين التبديلين السياقي والمجازي.

١٧- أن يكون قادرا على وصف السلوك اللغوي المتباين لمتحدثي المجرية من الرجال في المقهى وحالة زوج المزارعين الكبار متحدثي المجرية، وما يرمز إليه سلوكهم حول مفهومهم للهوية الاجتماعية.

١٨- افهم جيدا معنى استخدام غال للمقياس التضميني حتى تستطيع عمل التالي: إذا كان لدينا مخاطب من أوبروارت، واللغة أو اللغات التي سيستخدمها المتحدث معه، كان لدينا أيضا مخاطب ثان، فالهدف هنا أن تستطيع معرفة اللغة التي سيختارها المتحدث مع المخاطب الثاني إذا افترضنا مقياسا سليما. فمثلا، إذا قيل لك: إن الألمانية هي التي تستخدم مع "البائعين" فعليك أن تعرف أن الألمانية ستستخدم مع كل فرد يقع على يمين "البائعين" في الجدول رقم (٧,٥). وعليه إذا سئلت عن أي لغة سيستخدمها المتحدث نفسه مع "موظف حكومي"، وبافتراض مقياس سليم، فيجب أن تجيب بأنها "الألمانية". ملحوظة: حتى تحقق هذا الهدف لا يجب عليك أن تحفظ الجدول رقم (٧,٥) ولكن أن تأخذ فكرة عامة عن كيفية ترتيب المخاطبين على أساس العمر والمنزلة الاجتماعية.

١٩- اختيار لغة الدين في مجتمع ثنائي اللغة غالبا ما يختلف عن الاختيار اللغوي في المجالات "العليا" الأخرى. وعليه يجب أن تكون قادرا على معرفة القاعدة العامة لاختيار لغة الدين.

٢٠- أن تكون قادرا على قراءة شجرة القرار بدرجة جيدة، فإذا ما أعطيت الشكل رقم (٧,٣) وإحدى نقط التفرع على الشجرة فلابد تعرف الخطوة التالية بقرار الخيار اللغوي. مثلا، إذا قيل لك: إن متحدثا في منطقة غير ريفية، فيجب أن تقول أن الخطوة التالية في الخيار اللغوي هي فحص رسمية الموقف

من عدمها.

٢١- أن تكون قادرا على معرفة الأهداف الأقوى والأضعف لتحليل الخيار اللغوي بعد معرفة تعاريفها.

٢٢ - أن تستطيع تسمية التطبيقات الثلاثة للخيار للغوي بين اللغات "الأعلى" و"الأدنى" الموجودة في أماكن متفرقة حول العالم.

٢٣- أن تستطيع معرفة مدى نجاح تقرير الخيار اللغوي طبقا لما استشهد به المختصون البارزون.

٢٤- أن تعرف شرح ما يقصده فاسولد بقوله: "الخيار دون اختيار".

الفصل الثامن

التحول والإبقاء اللغويان

إن التحول اللغوي، والوجه المقابل له ألا وهو الإبقاء اللغوي، هما في الواقع النتائج المجملة والطويلة الأمد للاختيار اللغوي. والتحول اللغوي يعني ببساطة أن يتخلى مجتمع كلامي ما عن لغة ما بشكل كامل ليستخدم لغة أخرى مكانها. وعند حدوث هذا التحول إلى لغة أخرى، يكون جميع أفراد ذلك المجتمع قد اختاروا بشكل جماعي لغة جديدة تحل محل اللغة القديمة التي كانت مستخدمة. أما بالنسبة للإبقاء اللغوي فمعناه أن يقرر المجتمع بشكل جماعي الاستمرار في استخدام اللغة أو اللغات المستخدمة تقليديا. وعندما يبدأ المجتمع الكلامي باختيار لغة جديدة واستخدامها في المجالات التي كانت تستخدم فيها اللغة القديمة سابقا فلربما دل هذا على أن هناك تحولا لغويا في طور النشوء. أما إذا كان أفراد المجتمع الكلامي أحاديي اللغة ولم يكتسبوا بشكل جماعي لغة أخرى، فمن الواضح أنهم يريدون المحافظة على نمط استخدامهم لغتهم. والإبقاء اللغوي، من ناحية أخرى، هو في الغالب ميزة من ميزات المجتمع الكلامي ثنائي اللغة أو متعدد اللغات أيضا. ويحدث هذا الأمر (كما سنرى بالتفصيل لاحقا) عندما يكون المجتمع ذا ازدواجية لغوية، وذلك بالمعنى الموسّع الوارد في الفصل الثاني. وهناك طريقة أخرى لقول الشيء نفسه، وهي إن المجتمعات المتعددة اللغات والمحافظة على مبدأ الإبقاء اللغوي تحتفظ بكل لغة لتستخدم في مجالات معينة مع تجاوزات طفيفة جدا للغة واحدة في مجالات اللغات الأخرى.[1]

يشار إلى التحول اللغوي بشكل متطرف نوعا ما على أنه موت اللغة. ويحدث

موت اللغة عندما يتحول المجتمع بشكل كلي إلى اللغة الجديدة بحيث لا يبقى للغة القديمة ، أي استخدام. وهناك جدال بسيط عما إذا كان موت اللغة يتم فقط عندما يتكون المجتمع الكلامي المتحول إلى لغة أخرى من متحدثين قلائل للغة القديمة أو أنه يتم عندما يتحول مجتمع كلامي بشكل كامل للتحدث باللغة الجديدة سواء كان هناك أناس آخرون في العالم يتحدثون تلك اللغة القديمة أولا. ولا يشك أحد في أنه عندما يموت آخر الذين يتحدثون لغة "قوارني القبلية" في البراغوي ربما في أوائل القرن الحادي والعشرين، ستصبح لغة قوارني "لغة ميتة". ولكن إذا تحولت الجالية الهنغارية ثنائية اللغة الموجودة في منطقة اوبروارت، إلى اللغة الألمانية بشكل كامل سيتبقى الكثير من الذين يتحدثون اللغة الهنغارية، (حتى ولو أنهم لا يتحدثون بلهجة منطقة اوبراوارت). يمكن للغة المجرية أن تموت في منطقة أوبروارت لكنها لن تموت على نطاق العالم. ودوريان (١٩٧٨ ، ص٦٤٧) هي إحدى العالمات التي تتبنى فكرة أن موت اللغة يمكن أن يحدث فقط عندما يكون هناك تحول تام في مجتمع كلامي ما شريطة أن يكون ذلك التحول قد تم من لغة إلى أخرى وليس من ضرب لغوي معين إلى آخر ضمن اللغة نفسها. بمعنى آخر، إن موت اللغة يجب أن يشكل تنافسا لصالح لغة أخرى وليس أن تكون اللغة الجديدة ذات مقام أعلى ضمن النظام اللغوي نفسه. وبالإشارة إلى تحول اللغة الحاصل في شرقي سانزلاند (وهي منطقة في الأراضي الأسكتلندية) وبالإشارة إلى اللغة الهولندية في بنسلفانيا (والتي هي في الواقع شكل من أشكال اللغة الألمانية) نجد أن دوريان تقول في هذا الخصوص: "بالرغم من أن اللغة الغيلية لن تختفي تماما مع انقراض الضرب اللغوي الموجود في سانزلاند، وأن اللغة الألمانية ستعيش بعد وفاة اللغة الهولندية في مقاطعة بيركس، فإن اللغة الغيلية تموت في شرقي سانزلاند وكذلك الألمانية في مقاطعة بيركس". ويعبر دينسون (١٩٨٥ ص ٥١) عن وجهة النظر المعارضة لهذه الفكرة بشكل ساخر على النحو التالي:

"رغم أن الاختفاء الكلي لكافة المتحدثين من منطقة الباسك سيرمز إلى "موت اللغة"، ولكن لو أصيب كافة متحدثي لهجة فيينا بأنفلونزا هونغ كونغ لما عنى أكثر من صداع طفيف يصيب "اللغة الألمانية". ليس مهما كثيرا أن نقرر فيما إذا كان من الضروري إعطاء مصطلح "موت اللغة" تفسيره الواسع، أو أن نقتصر على معناه الضيق طالما أننا مدركون بأنه يمكن استخدام ذلك المصطلح في كلا المحملين.

هناك جانبان لموت اللغة حازا على اهتمام علماء اللغة، وهما: الجانب اللغوي والجانب اللغوي الاجتماعي. إن اللغات التي تمر في آخر مراحل استخدامها في مجتمع كلامي ما تتعرض لتغييرات مثيرة تطرأ على نظام التلفظ بها، ونظم القواعد المتعلقة بها أيضا. وهذا يذكرنا بشكل ما بعملية الاختلاط (درسلر ١٩٧٢).[٢] إن الجانب اللغوي الاجتماعي، وهو موضوع هذا الفصل من الكتاب، يبحث في مجموعة الظروف التي تجعل الناس يتخلون عن لغة ما لصالح لغة أخرى.

المنهجية

مثلما دُرس موضوع الاختيار اللغوي، فقد دُرس أيضا الإبقاء على اللغة والتحول لها باستخدام طرق مختلفة تعتمد على النظم الأكاديمية التي يتبعها العالم اللغوي. يستخدم علماء علم الإنسان واللغويون الطرق نفسها، وخاصة طريقة ملاحظة المشاركين التي يستخدمونها في الدراسات الخاصة باختيار اللغة. وفي الواقع فإن الباحثين المهتمين بعلم الإنسان عادة ما يدرسون الاختيار اللغوي مع الإبقاء والتحول اللغويين في الوقت ذاته كجزء من الظاهرة نفسها. إن ما يجعل من هذا التوجه توجها معقولا هو الاهتمام التقليدي عند علماء الإنسان في الدراسة المكثفة التي يجرونها على المجتمعات الكلامية المستقلة. وإن ما يساعد على التحول والإبقاء على اللغة في مجتمع معين هو الخيارات التي يقوم بها أفراد مجتمع ما، والتي تعكس بالتالي

قيمهم الثقافية. يمكن استخلاص الأسباب العامة أو الشاملة للإبقاء والتحول اللغويين من خلال دراسة عدد من البحوث الاستقصائية المكثفة عن المجتمعات الكلامية المستقلة.

المنهج المتبع في دراسة علم الاجتماع هو منهج مختلف تماما. فمن المحتمل أن ينهج علماء الاجتماع وجهة نظر أكثر شمولية، فبدلا من دراسة مكثفة لمجتمع محدد بقصد التوصل إلى شرح الأسباب التي قد تؤدي إلى التحول إلى لغة أخرى، نجدهم يفضلون دراسة مجمل المعطيات التي يُحصل عليها عن أكبر عدد ممكن من المجتمعات. فالبيانات المتوافرة لديهم تختلف عن الملاحظات التي يجمعها علماء الإنسان، بل من المحتمل أن تكون مجرد نتائج للإحصائيات السكانية أو الاستبيانات الإحصائية الأخرى. هناك طريقتان يمكن أن يظهر بهما التحول في البيانات الإحصائية. فإذا توافرت بيانات عن المجموعة السكانية نفسها ولعدة مرات (وهي عادة ما تكون بيانات الإحصاء السكاني)، وشوهد أيضا انخفاض ملحوظ في عدد المستجيبين الذين يصرحون بتكلمهم بلغة ما، فإن ذلك قد يدل على حدوث تحول من لغة إلى أخرى. أما إذا كانت بيانات الإحصاء السكاني غير دقيقة أو غير متوافرة فيمكن في هذه الحالة أن يقوم الإحصاء لمرة واحدة بتلبية الغرض. والشيء الذي يجب البحث عنه هنا هو أرقام توزيع الأعمار. فإذا ذكر الأشخاص الأكبر سنا أنهم يستعملون لغة ما بشكل أكبر من استعمال من هم أصغر منهم، والذين يستخدمون لغة أخرى أكثر منهم، فهذا مؤشر على وجود تحول في اللغة. ولكن غالباً ما يشار إلى مخاطر استخلاص النتائج استناداً إلى مثل هذا النوع من البيانات (ليبرسون ١٩٨٠، ماكي وكارت رايت ١٩٧٩م). دلت معظم الدراسات على أن المشكلتين الرئيسيتين في تفسير نتائج المسح الذي يتم لمرة واحدة تتعلقان بمسألتي تصنيف الأعمار والهجرة.

وإذا كان هناك تحول حقيقي في طور التحقق فإن ذلك سيظهر بالتأكيد في

النسب الأكبر للمتحدثين الكبار الذين يستخدمون اللغة الزائلة أكثر مما يظهر في نسبة الصغار في السن. وعلى أية حال، فإن التحول اللغوي ليس هو الطريقة الوحيدة التي من خلالها تظهر الفوارق المتعلقة بالعمر. فغالبا ما يتوقع ظهور أنواع مختلفة من السلوك اللغوي من الناس الذين يعيشون في مجتمع واحد بحسب اختلاف أعمارهم. وفي المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية يقوم الأولاد بتعلم اللغة الدنيا أولاً. وكنتيجة لذلك غالبا ما يكون معظم الأولاد الصغار أحاديي اللغة، وهي اللغة الدنيا، وعندما يكبرون سيكتسب بعضهم اللغة العليا. إن بيانات المسح التي تشير إلى وجود مستوى عال من أحادية اللغة بين الأولاد الصغار ووجود مستوى عال من ثنائية اللغة بين البالغين يجب أن لا تعني - بالضرورة - أن اللغة العليا في طريقها إلى الزوال. فالعديد من الأولاد أحاديو اللغة سيتعلمون اللغة الثانية بمجرد دخولهم المدرسة والبدء باستخدام اللغة العليا في مجالاتها المختلفة. يمكننا القول بأن الصغار يكونون أحاديي اللغة في بداية حياتهم، ولكن من الحماقة أن نفترض أنهم سيستمرون كذلك طيلة حياتهم. ذكر ليبرسون (١٩٧٢-١٩٨٠: ص ١٤-١٥) حالة عن ثنائية اللغة باللغتين الفرنسية والإنجليزية في مونتريال توضح كيف يمكن أن تكون البيانات المرتبطة بأعمار الناس الذين يتحدثون لغتين مضللة، وذلك حتى بالنسبة للأفراد البالغين على مدى حياتهم. وسوف نلقي الضوء لاحقا على هذه الحالة بالتفصيل في هذا الفصل.

ويعتبر موضوع الهجرة عاملا مضللا آخر بالنسبة لبيانات المسح، وخاصة الناس الذين ينتقلون إلى منطقة ما أو يخرجون منها في فترة واقعة بين عمليتي مسح، فإن النتائج التي يمكن التوصل إليها بالنسبة لتلك المنطقة لا تظهر فيما إذا كان هؤلاء الأفراد يحافظون على لغاتهم أم يتخلون عنها طالما أن البيانات ستكون عن مجموعات سكانية مختلفة جزئيا في كلا الإحصاءين. وبالطبع يمكن القول بأن منطقة جغرافية ما تمر بحالة تحول لغوي إذا انتقل إليها عدد كبير من المتحدثين للغة أخرى، حتى ولو لم

يتعلم أي من سكان المنطقة الكبار هذه اللغة الجديدة. فعمليات الهجرة الحقيقية يمكن أن تضع ضغوطا على كبار السن المقيمين لتعلم لغة المجموعة الوافدة الجديدة، وخاصة إذا تمكن المهاجرون الجدد من فرض سيطرتهم على المرافق الاقتصادية والاجتماعية. ولكن من الممكن أن تكون البيانات الإقليمية في الحقيقة معلومات مدمجة لمجتمعين لغويين تصادف أن يعيشا في الرقعة الجغرافية نفسها. وقد يحافظ أحد هذين المجتمعين الكلاميين على لغتين بينما يحافظ المجتمع الآخر على لغة واحدة فقط دون أن يقوم أي من المجتمعين بأي تحول لغوي على الإطلاق. وبالطبع، فإنه حتى بدون الهجرة، فإن بيانات المسح يمكن أن تخلط بسهولة بين بيانات أكثر من مجتمع لغوي واحد.

ولقد رأينا بالفعل اثنتين من المشاكل الأكثر عمومية، واللتين تشكلان خللا في بيانات المسح. وغالبا ما تتحدث بيانات المسح عن ذاتها مما يجعلها مشبوهة إلى حد ما، ولكن مثل حالة تنبؤات النشرة الجوية، فإن البيانات التي تتحدث عن ذاتها ليست دائما خاطئة. ولنسترجع أن غال (١٩٧٩م) كانت قد توصلت إلى ذلك عندما وجدت أن نتائج مسحها ترتبط ارتباطا عاليا بملاحظاتها. والمسألة الأخرى في استخدام بيانات المسح المتعلقة بالتحول اللغوي تتعلق باكتشاف الأسباب. وبخلاف عملية ملاحظة المشاركين عند علماء الإنسان، فإنه من غير المحتمل إطلاقا أن تقدم بيانات المسح معلومات عن القيم الثقافية، وعليه فإنه يكون من اللازم أن نبحث عن مسببات قابلة للقياس مثل التمدين (التحضر) أو الهجرة، أو التغيرات في المؤشرات الاقتصادية. وحتى عند وجود ربط بين تلك القيم القابلة للقياس وبين الشواهد الإحصائية الدالة على انخفاض عدد المتحدثين لإحدى اللغات، فإنها لن تثبت وجود علاقة سببية. ولقد تفحصنا في الفصل الخامس بعض أعمال ليبرسون وزملائه والتي توضح كيف يمكن أن يكون مثل هذا الربط مضللا (ليبرسون وهانسون ١٩٧٤م:

ليبرسون ، ودالتو وجنسون ١٩٧٥م). وعلى الرغم من ذلك فإن الاستخدام الحذر لبيانات المسح هو في حد ذاته أداة قيمة في فهم عمليتي الإبقاء والتحول اللغويين. والاستخدام الإضافي لبيانات المسح من قبل كثير من المتخصصين في علم اللغة الاجتماعي ذوي الميول الأنثربولوجية ، مثل غال (١٩٧٩) ودوريان (١٩٨١) وهوفنز (١٩٨٠) هو دليل غير مباشر على صحة ذلك.

وهناك نوع آخر من البحوث الاجتماعية التي تمت حول الإبقاء والتحول اللغويين. وهذا النوع يبحث في العموميات الواقعية والنظرية دون اللجوء المباشر إلى بيانات معينة. وهناك مثالان على ذلك ، وهما المقارنة التي قام بها تابوريت كيلر (١٩٦٨) بين أنماط الإبقاء والتحول اللغويين الأوروبي والإفريقي ، وكذلك تحليل فيردوت (١٩٧٢) لثلاث حالات من التواصل اللغوي بين الألمانية والفرنسية في غرب أوروبا. وفي هذا النوع من الدراسات يكون قد افتُرض ، وبشكلٍ مسبق ، حقائق الحالة ، إضافة إلى أن الباحث يواصل تحليل ما وراءها. وعلى الرغم من أن الدراسات المبنية على البيانات تميل لأن تكون أكثر إقناعا ، إلا أن دراسات "الرجوع خطوة إلى الوراء والتمعن بما حدث" قد تكون ضرورية وجديرة بالاهتمام والمتابعة.

الدوافع نحو التحول اللغوي

هناك توجّه نحو ربط شروط معينة بموضوع التحول اللغوي في العديد من الدراسات التي تمت بخصوص هذه الظاهرة. ولعل الشرط الأساسي الأكبر في هذا التحول هو وجود الثنائية اللغوية في المجتمع. ومن المهم أن نلاحظ أن الثنائية اللغوية ليست شرطا كافيا للتحول اللغوي ، ولكنها ربما تكون شرطا ضروريا. وتحدث كل حالات التحول اللغوي للمجتمع تقريبا من خلال التبديل بين الأجيال (ليبرسون ، ١٩٧٢ ، ١٩٨٠). وبعبارة أخرى ، فإن من النادر أن تتخلى نسبة كبيرة من الأفراد في

المجتمع وبشكلٍ كلي عن استخدام لغة ما، وتستبدلها بلغة أخرى على مدى سني عمرهم. وفي الحالة النموذجية، يكون جيل واحد فقط ثنائي اللغة، ولكنه ينقل إحدى اللغتين للجيل الذي يليه. وحيث إن التحول بين الأجيال يتطلب أن يكون الجيل الأسبق ثنائي اللغة، فإن نسبة السكان ثنائيي اللغة تشكل "تعريضا للخطر" المتمثل في إمكانية فقدان إحدى اللغتين في النهاية (ليبرسون ١٩٧٢ : ٢٤٢). ومن المؤكد فعليا بأنه سيُحتفظ بلغة المجتمع الأحادي اللغة طالما ظلت الأحادية اللغوية باقية. إن العديد من المجتمعات الثنائية اللغة تظل ثنائية اللغة لعقود أو قرون من الزمن، لذا فإن وجود الثنائية اللغوية في المجتمع لا تعني بالضرورة أن التحول اللغوي سيحدث بالفعل. فبالإضافة إلى الثنائية اللغوية، هناك عوامل أخرى يجب أن تكون موجودة أيضا.

وهناك ميل قوي لأن يعزى التحول اللغوي للأسباب نفسها الواردة في دراسات متتالية. ومن بين الأسباب التي تذكر كثيرا ما يلي: أولا، الهجرة: إما بواسطة أفراد مجموعات صغيرة يرتحلون إلى منطقة لن تخدمهم لغتهم الأصلية فيها، أو بواسطة مجموعات كبيرة "يغمرون" السكان المحليين بلغتهم الجديدة (تابوريت كيلر(١٩٦٨، ١٩٧٢)، لويس (١٩٧٢ أ، ١٩٧٨)، دريسلر وفوداك ليودولتر ١٩٧٧، ليبرسون وماكيب ١٩٧٨، غال ١٩٧٩، دوريان ١٩٨٠، وتيم ١٩٨٠).ثانيا، التصنيع والتغيرات الاقتصادية الأخرى: (تابوريت- كيلر١٩٦٨، ١٩٧٢، دريسلر وفوداك ليودولتر ١٩٧٧، غال ١٩٧٩، هوفينز ١٩٨٠، تيم ١٩٨٠، دوريان ١٩٨١). ثالثا، لغة المدرسة والضغوط الحكومية الأخرى (دريسلر وفوداك ليودولتر ١٩٧٧، غال ١٩٧٩، كهاني وكهاني ١٩٧٩، دوريان ١٩٨٠، هوفينز ١٩٨٠، تيم ١٩٨٠). رابعا، التمدن (التحضر) (تابوريت- كيلر١٩٦٨، غال ١٩٧٩، تيم ١٩٨٠، دوريان ١٩٨١). خامسا، المكانة العليا للغة المنتقل إليها

(دينسون ١٩٧٧ ، غال ١٩٧٩ ، كهاني وكهاني ١٩٧٩ ، دوريان ١٩٨١). وسادسا، قلة عدد السكان الذين يتحدثون اللغة المنتقل منها (ليبرسون ومكابي ١٩٧٨ ، كهاني وكهاني ١٩٧٩ ، دوريان ١٩٨٠ ، هوفينز ١٩٨٠). وتماماً كما رأينا في حالة اختيار اللغة حيث ذكر عدد من الباحثين العوامل نفسها بشكل مستقل إلا أنه كان هناك نجاح ضئيل في استخدام أي من هذه العوامل مجتمعة للتنبؤ بالوقت الذي يمكن أن يحدث فيه التحول. وفي الواقع فإن هناك إجماعا كبيرا على أننا لا نعرف كيف نتهكن بحدوث التحول (كلوس ١٩٦٦ : ص ٢٠٩-٢١٢ ، دينيسون ١٩٧٧ : ص ١٦ ، غال ١٩٧٩ : ص٣/ دوريان ١٩٨١ : ص ٤ وهؤلاء فقط بعض ممن قال ذلك). وعلى الرغم من أن العديد من العوامل الاجتماعية التي يرد ذكرها مرارا تكون موجودة عند حدوث تحول لغوي، فمن السهل تماما إيجاد حالات يكون فيها أحد المجتمعات الكلامية معرضا لهذه العوامل بحد ذاتها، ولكنه يبقى محافظا على لغته.

ومعظم المناقشات الخاصة بالتحول اللغوي تتعلق بتحول مجموعات لغوية صغيرة ذات منزلة أدنى إلى لغة مجموعة أكبر ذات منزلة أعلى. ومع ذلك فهناك حالات قليلة مدهشة تكون فيها المجموعات الأكثر قوة قد تماثلت لغويا مع الناس الذين تحت سيطرتهم السياسية. ولعل المثال الأكثر ورودا في هذا الخصوص، هو التحول المطلق للنورمانديين الذين فتحوا إنجلترا في القرن الحادي عشر الميلادي، إلى اللغة الإنجليزية (كهاني وكهاني ١٩٧٩ ، دينيسون ١٩٧٧). والمثال الآخر، هو مثال نعرفه جيدا الآن، وهو انتشار اللغة الغورانية بين سلالة المستعمرين الإسبان في براغوي على الرغم من أن ذلك لم يصل إلى حد اختفاء اللغة الإسبانية كما حدث لفرنسية النورمانديين في إنجلترا. ويجدر بنا أن نبذل الجهد لمحاولة معرفة الأسباب التي جعلت تلك المجموعات المنتصرة تتخلى عن لغاتها الأصلية لصالح لغات السكان الخاضعين تحت سيطرتهم.

حالات التحول والإبقاء اللغويين

الدول النامية

على الرغم من أن فيشمن (١٩٦٤) كان قد لفت الانتباه منذ عشرين سنة تقريبا إلى الإبقاء والتحول اللغويين، كظاهرتين جديرتين بالدراسة، إلا أن هذا الموضوع لم يشجع إلا عددا محدودا نسبيا من الدراسات.(٣) وأول البحوث التي جاءت بحجم الرسالة العلمية والتي توافرت بطريقة واسعة هما البحثان اللذان أجراهما غال (١٩٧٩) و دوريان (١٩٨١) حول التحول اللغوي ضمن مجتمع كلامي ما. وقد ظهرت مؤخرا تقارير أقصر لأبحاث حول الإبقاء والتحول اللغويين، ولكنها اهتمت في الغالب بالحالات الأوروبية والأمريكية الشمالية. وسيكون من المهم جدا إجراء دراسات متعمقة على تلك الظواهر في البلدان النامية، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بالمقارنة مع الحالات في الأمم الغربية. وعلى أساس استعراض موسع للحالات الأوروبية والإفريقية، فقد خلص تابوريت كيلر (١٩٦٨ : ١١٧) إلى أن أوجه الاختلاف أكثرُ من أوجه التشابه، وذلك عند مقارنة حالة أوروبا في الوقت الحاضر مع حالة إفريقيا في الوقت الحاضر أيضا. ولكن النظرة التاريخية ستوضح "أن أوجه التشابه أكثر من أوجه الاختلاف بشرط أن نقارن التحولات الحالية في إفريقيا بالتحولات التي بدأت في أوروبا عند نهاية القرن التاسع عشر". ومن بين الدراسات المتوافرة عن الأمم النامية، هناك استعراض عام للدراسات الخاصة بالإبقاء والتحول اللغويين في الفلبين (اسونسيون - لانديه وباسكسيو ١٩٧٩)، ومجموعة أخرى في سنغافورة (شونغ ١٩٧٧)، كما أن هناك المسح البحثي الذي قام به ليبرسون ومكابي (١٩٧٨) في نيروبي. بالإضافة إلى ذلك، فهناك الكثير مما يمكن تعلمه حول موضوع الإبقاء والتحول اللغويين، وذلك من خلال التقارير المكتوبة عن الأمم النامية والتي ركزت على موضوعات أخرى مثل بحث عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨) عن تنزانيا،

وأعمال كيو (١٩٧٩) وبلات (١٩٧٧) عن ماليزيا، وهي أمثلة قد تعرضنا لها سابقا. وعلى الرغم من ذلك فإنه يجب أن نكتفي مؤقتا بالدراسات المستفيضة المتوافرة عن أوروبا وأمريكا الشمالية.

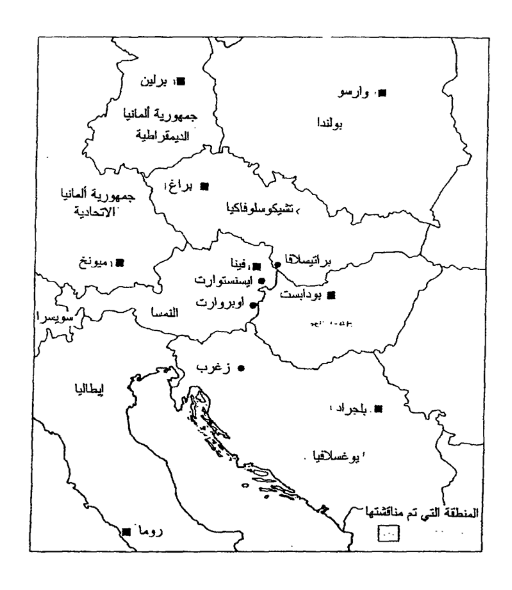
الدول المتطورة

حالات التحول اللغوي –أوبروارت:

لكي نفهم طبيعة التحول اللغوي سوف ننظر في لمحة موجزة إلى حالتين من التحول اللغوي، وحالة عن الإبقاء اللغوي، وإلى مثال واحد عن البيانات التي فيها لبس. لقد عرفنا في السابق البحث الذي قامت به غال (١٩٧٨ ب ، ١٩٧٩) في أبيروارت بالنمسا كدراسة عن الاختيار اللغوي، وستتفحص الآن ذلك البحث كحالة من حالات التحول اللغوي (انظر الخريطة رقم (٨,١)).

تواجدت الثنائية اللغوية "الألمانية -المجرية" في أبيروارت (واسمها فيلسور باللغة المجرية) منذ ما يربو على ١٥٠٠ م تقريبا. وبحلول القرن التاسع عشر كان أغلبية الفلاحين في أبيروارت ثنائيي اللغة. وأثناء ذلك القرن تحولت أبيروارت من قرية زراعية إلى مدينة ذات تنوع اجتماعي وثقافي. وصل المهاجرون أحاديو اللغة الذين كانوا يتحدثون اللغة الألمانية فقط وشكلوا طبقة اجتماعية ذات مكانة عالية من التجار والصناع وموظفي الحكومة. ووجد السكان الأصليون من الفلاحين أنفسهم في أدنى طبقات المجتمع المحلي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. كانوا هم وحدهم ثنائيي اللغة ، وكانوا هم الذين يتحدثون اللغة المجرية. حدث ذلك كله في حين كانت مقاطعة بيرقنلاند التي تقع فيها مدينة أبيروارت لا تزال جزءا من المجر. وأدى تحول بيرقنلاند من المجر إلى النمسا في عام ١٩٢١ إلى زيادة مكانة اللغة الألمانية حيث أصبحت اللغة الوطنية الرسمية. وبالرغم من المكانة العالية للغة الألمانية والوضع الاجتماعي المتدني

لطبقة الفلاحين والثنائية اللغوية الواسعة الانتشار بين أفرادهم، لم يكن هناك أي تحول لغوي. فقد كانت اللغة المجرية رمزا لغويا يحدد هوية مجموعة فلاحي أوبروارت، بينما كانت اللغة الألمانية تستخدم فقط في التعامل مع الدخلاء.



الخريطة رقم (٨,١). موقع المجتمع الكلامي ذي الثنائية اللغوية في أوبروارت بالنمسا.

وكانت الزراعة، وهي مصدر رزق الفلاحين، مجدية من الناحية الاقتصادية، ولكن كان من الضروري في بعض الأحيان إيجاد مصدر إضافي لدخلهم، وذلك بالعمل ساعات إضافية عند التجار والصناع. وعليه كانت اللغة الألمانية ضرورية لهذا الغرض. ولكن هذا النوع من العمل لم يكن مربحا بما فيه الكفاية، ليصبح بديلا عن الزراعة. وكنتيجة لذلك، فإنه لم يكن ممكنا ولا مرغوبا أن يصبح الفرد عضوا في المجتمعات التي تتحدث اللغة الألمانية فقط. كما أن الدين أصبح عامل توحيد وتفريق. فقد كان الفلاحون ثنائيو اللغة من أتباع المذهب الكالفيني البروتستانتي، بينما كان أحاديو اللغة الذين يتحدثون الألمانية لوثريين أو كاثوليك.

بدأ هذا الوضع يتغير بعد الحرب العالمية الثانية، فقد تطور الاقتصاد المحلي الصناعي والتجاري وزاد التوظيف الحكومي المرافق له إلى مستوى أصبح فيه التوظيف غير الزراعي إمكانية مغرية. وللاستفادة من تلك الفرص الجديدة، فقد صار من الضروري أن يصبح المرء نمساويا حقيقيا بدلا من أن يظل فلاحا محليا يتحدث في الأساس اللغة المجرية. وتصادف أنه يعيش في النمسا. وكنتيجة لذلك، فقد أصبحت الهوية الاجتماعية المرتبطة باللغة الألمانية شيئا مرغوبا فيه. وعلى الرغم من بقاء الثنائية اللغوية إلا أن استخدام اللغة الألمانية بدأ ينتشر في المقاطعات المجرية السابقة، وأصبحت اللغة المجرية سمة لطبقة الفلاحين الذين أخذ قدرهم ينحط أكثر فأكثر، وأصبحت علامات التحول اللغوي تظهر أكثر فأكثر.

كانت المجموعتان اللغويتان في أوبروارت قبل الحرب العالمية الثانية متعايشتين مع بعضهما بشكل متكافئ بدلا من أن تكونا متنافستين. فقد كان لكل منهما لغة لها مكانتها الخاصة، وكانت كل مجموعة تعتبر الأخرى دخيلة عليها. أما مؤخرا فقد أصبحت اللغتان رمزين لهويتين عرقيتين متوافرتين كلتاهما للفلاح الأوبروارتي، وبذلك أصبحت الهويتان تتعايشان وتتنافسان مع بعضهما شأنهما شأن اللغتين

الموجودتين. ونتيجة لذلك، فإنه بالقدر الذي أصبح الفرد يرى فيه نفسه عضوا في النظام الاجتماعي والاقتصادي النمساوي، فإنه بالقدر نفسه أصبح استخدام اللغة الألمانية يتزايد على حساب اللغة المجرية بدرجة كبيرة. فالشخص الذي يعتبر نفسه فلاحا سيحافظ على اللغة المجرية إلى حد كبير.

وكما نعلم، فقد وجدت غال أنه يمكن التكهن باستخدام النغتين من قبل أشخاص ثنائيي اللغة على أساس المحاور فقط. كما أنها وجدت أن التحليل الميداني الأكثر تعقيدا غير ضروري. ولقد رأينا كيف أن المقياس التضميني في الجدول رقم (٧.٥) يوضح تسلسل انتشار اللغة الألمانية إلى مواقع كانت تستخدم فيها اللغة المجرية في السابق. ولا يزال كثير من المحافظين في تلك المواقع يستخدمونها حتى الآن. وبإلقاء نظرة عبر الجزء العلوي من الجدول رقم (٧.٥) فيمكننا أن نلاحظ أنه على الرغم من أن المحاورين المحددين هم جماعة غير متجانسة، فهم كما أشارت غال (١٩٧٩ : ١٢٦) "مصنفون بحسب درجة "تمدنهم" أو "نمساويتهم". وبما أن لتلك الصفات المكانة الأعلى، فإن اللغة الألمانية سوف تستخدم في المواقع ذات المكانة العالية أولاً ومن قبل معظم الناس.

أصبح معروفا لدينا الآن التوزيع العمري للمتحدثين بالمقارنة مع القوة النسبية للغة الألمانية واللغة المجرية. وعلى العموم، فإن المتحدثين الأصغر سنا هم الذين يستخدمون الألمانية في معظم الأوضاع، والمتحدثون الأكبر سنا هم الذين يحافظون جيدا على اللغة المجرية. ويوحي هذا النمط بأن اللغة الألمانية كانت تكسب على حساب اللغة المجرية مع مرور الوقت. ولكن كما حذرنا ليبرسون فإنه قد يكون خطرا أن نفسر علاقة العمر، بدون تمييز، على أنها دليل للتغيير. ولقد كانت غال (١٩٧٩ : ١٥٤-٦) مدركة لهذا الشرك، وقد أعدت أدلة تاريخية توضح بأنه في حالة أوبروارت فإن ربط استخدام اللغة بالعمر يجب أن يفسر على أنه دليل على التغيير عبر الزمن.

وكما سنرى بوضوح أكثر عندما نتفحص حالتي التحول الأخريين، فإن الدليل المهم الآخر، بالإضافة إلى علاقة العمر، هو اللغة التي يكتسبها الأطفال. ويظهر أن معظم أطفال أوبروارت من الفلاحين يكبرون وهم ثنائيو اللغة.(٤) وفي الغالب، فإن الأبوين لا ينقلان اللغة ذات المنزلة العليا ويتركان اللغة ذات المنزلة الدنيا. ولكن هناك استثناء واحد لذلك وهو أنه في حالة التزاوج بين أحاديي اللغة الذين يتحدثون الألمانية وثنائيي اللغة الذين يتحدثون الألمانية والمجرية، فإن أطفالهم يكبرون وهم أحاديو اللغة باللغة الألمانية فقط بغض النظر عما إذا كان الأب أو الأم هو الذي يتحدث الألمانية فقط (غال ١٩٧٩ : ١٠٧). وغالبا ما تكون الأم هي التي تتحدث الألمانية فقط؛ لأن النساء الصغيرات ثنائيات اللغة لا يرغبن في الزواج من الرجال الفلاحين كي لا يلزمن أنفسهن بالحياة الصعبة التي يعنيها الزواج من الفلاح. وهذا يجعل الزواج من غير الأقارب، في كثير من الأحيان، هو البديل الوحيد للرجال صغار السن الذين يرغبون في الاستمرار في حياة الفلاحة. وعموما، فإن عائلات الفلاحين هي التي من المحتمل، في غالب الأحيان، أن تحافظ على اللغة المجرية، بشرط أن يتحدث كلا الأبوين هذه اللغة. ولكن أنماط الزواج التي بدأت تظهر حاليا أصبحت فألا سيئا على الاحتفاظ باللغة المجرية.(٥)

ويمكن أن يكون لدعم المؤسسات للغة أثر في الإبقاء أو عدم الإبقاء على اللغة. والمؤسستان الأكثر أهمية في ذلك هما الكنيسة والمدرسة. وفي أوبروارت، فإن اللغة الألمانية هي لغة التعليم في مدارس الدولة، ولكن الحكومة النمساوية تضمن رسميا الحقوق اللغوية للأقليات. وبمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد أنشئت مدرسة للغة المجرية بدعم من الحكومة، ولكنها أغلقت في النهاية بسبب عدم وجود دعم من المجتمع. ويرى الناس حتى ثنائيو اللغة أن الألمانية دون سواها هي اللغة الصحيحة للتعليم. وكانت الطقوس الدينية في الكنيسة تقام تقليديا باللغة المجرية في كنيسة

أوبروارت الكالفينية. ولكن أدخل أحد الطقوس باللغة الألمانية عندما بدأت غال بحثها. ومع ذلك فإن الطقوس الدينية باللغة المجرية هي المفضلة أكثر:

إنهم يفضلون الصلاة وأداء التراتيل باللغة المجرية، كما أنهم يفضلون سماع المواعظ باللغة المجرية على الرغم من أن الذي يقدم تلك المواعظ هو قس مجري المولد. ويفسرون ذلك بأن تلك هي الطريقة التي تعودوا عليها، وأن اللوثريين والكاثوليكيين يؤدونها باللغة الألمانية؛ لذا "فنحن" نؤديها باللغة المجرية، (غال (١٩٧٩ : ١٠٦).

وبالنسبة للمجموعات التي تتحدث المجرية ، فإن الكنيسة هي مؤسسة للمجتمعات الصغيرة، ولن يكون من الملائم استخدام لغة المجتمعات الكبيرة فيها. ولكن يجب أن نلاحظ أن الصنف الأعلى من اللغة الدنيا هو المستخدم في الكنيسة.

وأخيرا، فإن هناك جانبين لغويين آخرين، ربما يكون لهما أثر على التحول اللغوي. أولهما، أنه بالإضافة إلى الاختلافات في المنزلة بين اللغة الألمانية والمجرية، فإن هناك نوعا أفضل من اللغة المجرية. فهناك لغة مجرية "خاصة" مرتبطة بالكتابة وبالمتحدثين المتعلمين القادمين من المجر. ومن الملاحظ أن اللهجة المحلية مختلفة، ويعتقد أنها ليست جيدة مثل هذه اللغة الخاصة.قد يكون من الصعب للمتحدث باللغة المجرية النموذجية أن يفهم المتحدث باللغة المجرية المحكية في أوبروارت.، ولكن المقيمين في أوبروارت والذين يسافرون إلى المجر يقولون: إن بإمكانهم التغلب على هذه المشكلة. وبالمقابل، فإنه إذا حاول متحدث أوبروارتي أن يستخدم الكلام المجري النموذجي في حياته اليومية فسيُنتقد ويُستهجن فورا. ولقد لخصت إحدى معارف غال في أوبروارت هذا الموقف المتناقض نحو أساليب اللغة المجرية حيث "عبرت عن أسفها لعدم استطاعتها الحديث بلغة مجرية أكثر جمالا من هذه، ولكنها أضافت أنها إن فعلت ذلك يوما ما فإن الناس سيضحكون منها" (غال ، ١٩٧٩ : ١٠٦). أما الظاهرة اللغوية الأخرى فهي ظاهرة "الاقتراض". فنادرا ما تستخدم الكلمات المجرية في كلام

شخص يتحدث الألمانية ولكن استخدام الكلمات الألمانية في اللغة المجرية يكون بحرية أكبر.

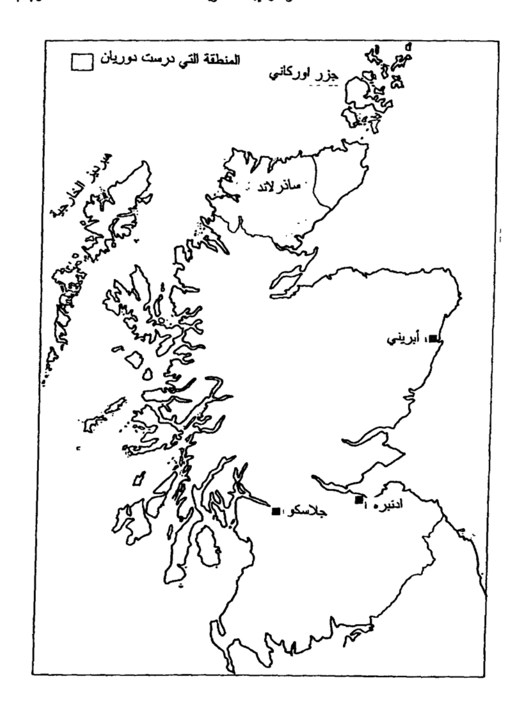
حالات التحول اللغوي شرق ساذرلاند.

هناك حالة أخرى من حالات التحول اللغوي في طور النشوء في منطقة شرق ساذرلاند، وهي إقليم بالمرتفعات الشمالية لأسكتلندا (دوريان ١٩٨١، انظر الخريطة رقم ٨.٢). إن شرق ساذرلاند وبقية المرتفعات الأسكتلندية، شأنها شأن أوبروارت، لها تاريخ طويل من الثنائية اللغوية. وهناك لغتان هما الإنجليزية والغيلية. ومثل اللغة المجرية في أوبروارت، فإن الغيلية اللغة ذات التاريخ الأطول، ولكن منزلتها أدنى. تستخدم المحكمة الأسكتلندية الواقعة في الأراضي المنخفضة اللغة الإنجليزية منذ القرن الرابع عشر. وبمرور السنين، أصبحت اللغة الإنجليزية مرتبطة بسكان المنخفضات "المتحضرين"، بينما صارت الغيلية هي لغة سكان المرتفعات "البدائيين"، وأخضع قانون الاتحاد الصادر عام ١٧٠٧ م، الذي وحد البرلمانيين الإنجليزي والأسكتلندي، مرتفعات الهايلاند تحت حكم يسيِّره متحدثون للغة الإنجليزية. ولكن البعد الجغرافي وقلة الطرق أبقى مرتفعات الهايلاند الأسكتلندية معزولة حتى بداية القرن التاسع عشر. وفي ذلك الوقت انتقلت مجموعة من السكان من الصفوة الذين يتحدثون اللغة الإنجليزية إلى شمالي أسكتلندا، وبدأت اللغة الإنجليزية "تضغط من أعلى الهرم الاجتماعي، وانتشرت بثبات نحو الأسفل"، حتى انتقلت اللغة الغيلية من مرتبة لغة الأغلبية إلى مرتبة لغة الأقلية (دوريان ١٩٨١ : ٥٣).

ومثال آخر مشابه جدا لحالة أوبروارت، فإن المجموعة ما قبل الأخيرة التي احتفظت باللغة الغيلية كانت جماعة "صغار المزارعين" الذين يملكون مساحات صغيرة من الأراضي، ويعيشون على ما تغله لهم الزراعة، فهم يمثلون أقرب مثال مكافىء

لطبقة الفلاحين (دوريان ١٩٨١ : ٦). ووصلت دوريان متأخرة للراسة التحول اللغوي بين صغار المزارعين حيث كان تحولهم إلى اللغة الإنجليزية قد تم فعليا في بداية الستينيات عندما بدأت هي في بحثها. وكانت في شرق سازرلاند مجموعة أخرى لازالت تتحدث الغيلية، وهم مجتمع صيادي الأسماك. ولقد حصل هؤلاء الصيادون على مهنتهم وعلى وضعهم بطريقة مدهشة. ولقد كانت الزراعة في بداية القرن التاسع عشر، حسب الطريقة التي كانت تمارس بها في ذلك الوقت، غير مربحة لكبار ملاك الأراضي. كما نمت في الوقت نفسه صناعة مربحة وهي تربية قطعان الضأن، ولكنها كانت تتطلب قطعا كبيرة من الأراضي. ولأجل فتح الأراضي لرعي الأغنام، فقد كان من اللازم تنظيف المنطقة من المستأجرين الذين يعملون على قطع صغيرة من الأراضي. وبدا لمالكي الأراضي بأن هناك صناعة محتملة لصيد الأسماك لم تتحقق بعد وبإمكانها تقديم العون للمستأجرين المزاحمين. وتبعا لذلك، فقد نُقل المستأجرون على عجل إلى المواقع الساحلية حيث استطاعوا، فيما بعد ودون رغبة منهم وبقدر كاف من المعاناة، أن يتعلموا كيف يعولون أنفسهم من صيد الأسماك.

وأصبحت مجتمعات صيادي الأسماك تلك تنمو بسرعة كمجموعات اجتماعية وثقافية منفصلة (دوريان ١٩٨١ : ٥٤-٥). وسكنوا في مناطقهم السكنية الضيقة، والتي يسميها جيرانهم في بعض الأحيان بـ "مدينة الصيادين". وقد كانوا منبوذين اجتماعيا، ولم يكن أمامهم خيار سوى الزواج من ضمن جماعتهم، ثم أصبحوا معروفين بأنهم الناس الذين يتحدثون الغيلية (على الرغم من أنهم أصبحوا ثنائيي اللغة في النهاية وصاروا يتحدثون الإنجليزية). وبدرجة أكبر مما يحدث في أوبروارت، فإن الوضع الاجتماعي الأدنى لمجتمع صيادي الأسماك بشرق سازرلاند كان مفروضا عليهم بسبب رفض أعضاء المجتمعات الأكبر قبولهم.



الخريطة رقم (٨,٢). أسكتلندا، وتظهر منطقة شرق ساذرلاند.

والمفارقة هي أن التحدث باللغة الغيلية الذي أصبح معروفا على أنه خاصية من خصائص مجتمعات صيادي الأسماك هو في حد ذاته السبب الذي أدى إلى الإبقاء على اللغة، وهو أيضا الذي أدى إلى موتها في النهاية (دوريان ١٩٨١ : ٦٧). فطالما ظل صيادو الأسماك أعضاءً في مجموعة اجتماعية وثقافية متميزة ورمزها اللغوي هو اللغة الغيلية، فإن الناس سيستمرون في تعلم تلك اللغة واستخدامها. ولكن بما أن الآخرين كانوا ينظرون لصيادي الأسماك كما كانوا أيضا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مجموعة من الناس أقل قيمة من الآخرين، فإنه في اللحظة التي يصبح فيها التحرك الاجتماعي ممكنا ستقوم المجموعة بتفكيك نفسها، وسينجم عن ذلك التخلي عن رمزها اللغوي. وقد بدأت هذه العملية في العقود التي تلت الحرب العالمية الأولى عندما دخلت صناعة الأسماك، التي كانت هامشية كعادتها دائما، في انحدار خطير. فاضطر صيادو الأسماك الذين يتحدثون الغيلية إلى البحث عن وظائف أخرى، كما بدأ التحيز الذي يبديه الآخرون ضدهم يضعف، ولكن ببطء مؤلم. وأصبح التزاوج مع الآخرين ممكنا. ومما سارع في عملية قبولهم لدى الآخرين، إلى حد ما، تدفق أشخاص من مناطق أخرى للعيش معهم، حيث لم يكن القادمون الجدد يعرفون أنه ليس من المفترض منهم حبُّ الناس الذين ينتمون إلى مجتمع صيادي الأسماك. وببطء وبالقدر الذي سمحت لهم به الظروف، بدأ الناس يتركون هوية صيادي الأسماك ويتركون معها لغتهم الغيلية .

"وباعتبار أن اللغة الغيلية أصبحت سلوكا يؤدي إلى تسمية الأفراد الذين يتحدثونها بأنهم صيادو أسماك، فقد أصبح هناك ميل للتخلّي عن الغيلية مع أنواع السلوك الأخرى التي تميز صيادي الأسماك. وكما قالت المرأة نفسها: " أنا نفسي أعتقد بأنه عندما يكبر الأطفال من يورورا السفلى سيخجلون من تحدث اللغة الغيلية، وذلك لئلا يصنَّفوا بأنهم من طبقة صيادي الأسماك" (دوريان ١٩٨١ : ٦٧).

يعتمد استخدام اللغة الغيلية واللغة الإنجليزية داخل مجتمع صيادي الأسماك بشرق ساذرلاند على مدى ارتباط الحدث الكلامي بالمجتمع الأصغر. لقد كان البيت والعمل والدين في بداية القرن العشرين ميادين تتطلب أو تفضل استخدام اللغة الغيلية ، بينما كانت المؤسسات المدنية الوطنية (كالمدرسة والأحزاب السياسية والمحاكم والجيش والشرطة) والحياة العامة المحلية والاستخدامات الكتابية ، تتطلب أو تفضل اللغة الإنجليزية (دوريان ١٩٨١ :٧٥) . ويوضح وصف دوريان أنه بالإمكان ترتيب الميادين التي يمكن فيها استخدام اللغة الغيلية والإنجليزية ضمن سلسلة متواصلة ، مثل العناوين العمودية بالجدول رقم (٧.٥) بحيث تكون الميادين في الجانب الأيسر هي التي تستخدم فيها اللغة الغيلية والميادين التي في الجانب الأيمن هي التي تضمن استخدام اللغة الإنجليزية ، أما التي في الوسط فتظهر استخدام اللغتين معا. فعلى سبيل المثال، كانت اللغة الغيلية في ذلك الوقت هي الوحيدة التي تستخدم في البيت ، بينما اللغة الإنجليزية فقط كانت تستخدم في المؤسسات المدنية الوطنية. وفي الميادين الأخرى ، مثل العمل ، فيمكن اختيار كلتا اللغتين اعتمادا على عوامل أخرى. وتذكر دوريان (١٩٨١ : ٧٥-٨) أن الترتيب والشخص المحاور والوظيفة هم بالإضافة إلى المجال (الميدان) عوامل محددة لذلك التوجه. (وعلى خلاف غرينفيلد ١٩٧٢ ، فمن الواضح أنها تعتبر الميدان (المجال) العاملَ الوحيد ، وليس مجموعة من عوامل أخرى). ويبدو أن الشخص الذي يتحدَّث معه ، أي المحاور ، هو أكثر تلك العوامل أهمية. ومن الواضح أنه يتم التحدث مع الأعضاء الذين من خارج المجموعة باللغة الإنجليزية كما لو كانوا ضمن المجموعة ، إذا اعتبر أن الشخص الذي يتحدث الإنجليزية فقط هو جزء من المحادثة.[٦] وحتى داخل المجموعة ، فهناك بعض الأفراد ، وليس الكل ، يخاطبون دائما باللغة الغيلية.[٧]

إن الأنماط المرتبطة بالعمر مشابهة للوضع في أوبروارت ، فكبار المتحدثين

يكونون أكثر ارتياحا مع اللغة الغيلية، بعكس الصغار الذين يفضلون الإنجليزية (دوريان ١٩٨١ : ٤-٥). وإن استخدام اللغتين داخل العائلة يتأثر إلى حد كبير بعمر الشخص المخاطب. إن الأجداد يستخدمون اللغة الغيلية ويتوقعون أن يُتحدث إليهم بها. والآباء يستخدمون الغيلية مع الآخرين من أبناء جيلهم ومع الأجيال التي سبقتهم، ولكنهم يستخدمون الإنجليزية مع أولادهم ويتوقعون بالمقابل أن يسمعوها من أولادهم (دوريان ١٩٨١ : ٧٦). وبالنسبة لهؤلاء الآباء فإن الإنجليزية تتعايش مع الغيلية في مجال المنزل الذي كان في يوم ما يتطلب الغيلية فقط. وفي الوقت الحالي فهذا هو النمط الأكثر شيوعا. يتحدث الأبوان الغيلية فيما بينهما بالمنزل، ولكنهما لا يتحدثان بها إلى أطفالهم. ونتيجة لذلك فإن الأطفال يكبرون وهم قادرون على فهم اللغة الغيلية ولكنهم لا يتحدثونها. وفي مثل هذه العائلات فمن المؤكد أن اللغة الغيلية ستموت عند الجيل التالي عندما يكبر أبناء هؤلاء الآباء السلبيين ثنائيي اللغة، ويصبحون أحاديي اللغة بشكل كامل بحيث لا يتحدثون إلا الإنجليزية.

"إن البيت هو آخر حصن للغة التابعة عندما تكون في منافسة مع لغة رسمية مهيمنة وذات تداول أوسع. والتحول المتوقع قد يحدث فعلا رغم وجود عدد كبير من المتحدثين باللغة الغيلية، وذلك إذا فشل هؤلاء المتحدثون في نقل اللغة إلى أطفالهم بحيث لن يبقى هناك جيل بديل عندما يرحل جيل الآباء" (دوريان ١٩٨١ : ١٠٥) .لقد كانت الإنجليزية لغة التعليم منذ منتصف القرن التاسع عشر. وفي القرن التاسع عشر كان من الممكن أن يضرب الطفل عند استخدامه اللغة الغيلية على مسمع من ناظر المدرسة.(٨) ولقد لطِّفت عبر السنين السياسة التعليمية المضادة للغة الغيلية، وذلك بالتسامح مع اللغة الغيلية ومن ثَمّ تشجيعها. ولكن حدثت هذه التغيرات بخطوات صغيرة جدا بحيث تفصل بينها أحيانا عقود من الزمن، كما أن السياسات الجديدة كانت تنفذ بفتور ودون حماس. وكما يتذكر العديد من الناس الذين يعيشون

في شرق سازرلاند، فقد كانت هناك صلاتان تقامان في الكنائس، إحداهما باللغة الغيلية يحضرها صيادو الأسماك فقط، والأخرى باللغة الإنجليزية... وهي للجميع (دوريان ١٩٨١ : ٦٤). والآن أصبحت اللغة الغيلية لا تستخدم في الطقوس الكنسية. واللغة الغيلية التي كانت مستخدمة كانت اللغة المحافظة وذات المكانة العالية التي لا تستخدم في الحديث اليومي ولا في أغراض أخرى ما عدا الأغراض الدينية (دوريان ١٩٨١: ٩٠).

والحقائق اللغوية حول التنويع داخل لغة المجتمع الأدنى أو الصغير وحول الاقتراض، هي حقائق مشابهة لما كان موجودا في أوبروارت. فمتحدثو اللغة الغيلية في شرق سازرلاند يعتذرون عن "سوء" لغتهم الغيلية المحلية، وغالبا ما يقولون إن متحدثي الغيلية من مناطق أخرى يتحدثون نوعا لغويا أكثر جودة (دوريان ١٩٨١ : ٨٦ - ٩٣). ويبدو أن اللغة الغيلية "الجيدة" تعزى لسكان جزر الهبريديز الخارجية، وهي جزر تبدأ من الشاطئ الشمالي الغربي لأسكتلندا. ولقد بدأ اضمحلال اللغة الغيلية قبل الإنجليزية تقريبا من الجنوب والشرق نحو الشمال والغرب، ولذا فإن جزر الهبريديز هي المنطقة الرئيسية التي تستخدم فيها اللغة الغيلية على نحو واسع (وهي تقريبا مماثلة لوضع المجر بالنسبة لمتحدثي اللغة المجرية في أوبروارت). والناس في شرق سازرلاند يرون أنهم يجدون صعوبة كبيرة في فهم الأشخاص القادمين من مناطق تتحدث لهجات غيلية أخرى، مثل القادمين من جزر الهبريديز. وهناك أيضا نوع من اللغة الغيلية النموذجية المكتوبة، ولكنها لا تماثل تماما أي لهجة من اللهجات المحكية، ومن الواضح أنها تختلف عن لهجة شرق سازرلاند أكثر مما تختلف عن بعض اللهجات الأخرى. كما أنها تتمتع بمكانة أكبر من صيغة اللغة المحكية المحلية. وكما في أوبروارت فإن تحدث اللهجة المحلية هو رمز للولاء للمجموعة، ولا أحد يحاول في الواقع تحدث نوعية "أجود" من اللغة الغيلية. وفي الحقيقة فإنه عند تقديم دروس

مكتوبة باللغة الغيلية، كان المدرس يصر بقوة على طرق اللفظ النموذجية للغة الغيلية ولقد عرف عن المواطنين الأصليين من شرق ساذرلاند أنهم كانوا يخرجون من قاعة الدراسة بدلا من أن يلتزموا بالطريقة التي يتبعها المدرس (دوريان ١٩٨١ : ٨٨-٩) . وأنماط الاقتراض مشابهة لتلك التي كانت في أوبروارت، فالكلمات الغيلية قليلا ما تستخدم عندما يتكلم الناس اللغة الإنجليزية، ولكن الكلمات الإنجليزية تدمج بحرية في اللغة الغيلية حيث تقيَّد بأحكام اللغة الغيلية وذلك فيما يتعلق بصياغة الكلمات والتلفظ.

وتكشف المقارنة بين الوضعين أن هناك أشياء كثيرة مشتركة بينهما، ففي كلتا الحالتين فإن لغة المجتمع الصغير قد تعايشت مع اللغة ذات المكانة الأعلى لحقب من الزمن وبدون حدوث تحول جوهري بعيد عنها. وفي كلتا الحالتين فقد جلبت التغييرات الاجتماعية والاقتصادية عددا أكبر من المتكلمين باللغة المهيمنة إلى تلك المناطق، وزادت من إمكانية الأفراد ورغبتهم في تعريف أنفسهم على أنهم أعضاء في مجموعة الأغلبية الاجتماعية الثقافية. وقد أدى ذلك إلى الزيادة المضطردة في استخدام لغة الأغلبية من قبل المتكلمين من مجتمع الأقلية بطريقتين بحيث يزداد عدد الناس الذين يستخدمونها بشكلٍ ملحوظ ومن ثَمّ ينتشر استخدامها في عدد أكبر فأكبر من مجالات (ميادين) المجتمع الصغير أو ذي المكانة المنخفضة.[٩] وتستخدم اللغة العالية في البداية بتواتر أكثر في المناسبات وبين المتحدثين المرتبطين بثقافة المجتمع الأكبر، وتستخدم اللغة الدنيا في الأوضاع المرتبطة بالمجتمع الأصغر. وفي كلا المجتمعين فإن الأعضاء الأكبر سنا هم الأقوى في استخدام اللغة الدنيا. وفي أوبروارت، حيث ما زالت اللغة الأدنى تنقل إلى الأطفال، فإن "القوة" المذكورة آنفا تشير في الأساس إلى استخدام اللغة المجرية في معظم الحالات. وفي شرق ساذرلاند فإنها تعني أيضا أن عدد كبار السن القادرين على تكلم اللغة الغيلية أكثر من صغار السن، كما أنهم يتكلمونها بطلاقة أكثر. وفي

أوبروارت فإن الأطفال وصغار السن عموما هم من ينتشر بينهم استخدام اللغة الأعلى، أما في شرق ساذرلاند فإن العديد من الأطفال الأصغر سنا هم من لديهم المقدرة على تكلم اللغة الأعلى فقط.

وفي كلا المجتمعين فإن لغة التعليم هي اللغة الأعلى. وفي اسكتلندا فإن فرصة استخدام اللغة الغيلية في المدارس اتسعت، ولكن بدون حماس في أفضل حالاتها. أما في النمسا فقد اتخذت ترتيبات لاستخدام لغة الأقلية في التعليم، ولكن المجتمع الذي يتكلم اللغة المجرية في أوبروات كان قد اختار استخدام اللغة الألمانية لأغراض التعليم. وليس من الواضح ما إذا كان استخدام اللغة الأعلى في مجال التعليم قد كان سببا أو نتيجة للتحول اللغوي. وتعتقد غال (١٩٧٩ : ١٦٢) أنه كان الأمرين معا، وتوافقها دوريان (١٩٨١ : ٢٧) في أن السياسة التعليمية لا تساعد على المحافظة على اللغة الغيلية، ولكنها أشارت إلى أن اللغات يمكن في بعض الأحيان أن تنمو وتبقى حية رغم استبعادها من المدارس، كما في حالة الذين يتكلمون الألمانية في سويسرا. وفي شرق ساذرلاند فإن السياسة المدرسية هي في الأساس أحد مظاهر المنزلة الأدنى للغة الغيلية، وإن كانت تلك ظاهرة مهمة. وفي كلا المجتمعين فإن مجال الدين هو أحد المجالات الأخيرة التي يُحتفظ فيها باللغة الأدنى. وفي كلتا الحالتين فإن الدين مرتبط بالمجتمع الصغير. وفي أوبروارت فإن المجتمع الصغير يتميز بالكالفينية، بينما نجد الآخرين حولهم تقريبا يدينون باللوثرية أو الكاثوليكية. أما في شرق ساذرلاند فإن كلا المجتمعين، الصغير والكبير، يدين إلى حد كبير بالبروتستانتية الحرة، ولكن في مدينة واحدة على الأقل، فإن المجتمعين يحضران صلوات منفصلة تقام بلغتين مختلفتين، ولكن في المبنى نفسه. وعلاوة على ذلك، فإنه من الشائع أن يؤدي صيادو الأسماك صلوات أسرية يومية بالمنزل وباللغة الغيلية (دوريان ١٩٨١ : ٩٠). وتختلف الحالتان في أن اللغة المجرية مازالت لغة الدين في أوبروارت، ولكن اللغة المستخدمة في مجال

الدين في شرق سانرلاند كانت قد تحولّت موخراً من الغيلية إلى الإنجليزية. ويعزى هذا جزئيا بدون شك إلى حقيقة أن كلا المجتمعين في شرق سانرلاند، الكبير والصغير، يدين بالمعتقد نفسه، بينما يختلفان في أوبروارت، ولكنه صحيح أيضا أن تحول اللغة يتم بوجه عام في شرق سانرلاند بشكلٍ أكثر تقدما.(١٠)

وفي كلا المجتمعين يبقى الضرب المحلي من اللغة مصدر حرج ورمزا قويا إلى الولاء العرقي. ويقر المتكلمون فورا بأن مستخدمي اللغة في المجتمعات الأخرى يتكلمونها بطريقة أجود مما يعرفون، وأن الصيغة النموذجية المكتوبة من اللغة تختلف عن اللهجة المحكية المحليّة، وهي أجود منها أيضا. علاوة على ذلك فإن المتكلمين من كلا المجتمعين يلاقون قدرا من الصعوبة في فهم، وفي إفهام، المتكلمين اللهجة ذات المنزلة الأعلى من اللغة الدنيا. ولكن لم تكن هناك في أي من الحالتين محاولة جادة لتعلم وتكلم شكل " أجود " وغير محلي من لغة المجتمع، وعلى النقيض من ذلك فإن ضروب اللغة ذات المنزلة الأعلى تجد في الواقع مقاومة نشيطة. أما بالنسبة للاقتراض فإن استخدام الأشكال الأدنى من اللغة في تكلم اللغة الأعلى هو أقل حدوثا من نقيض ذلك. فالأشكال الأعلى من اللغة تستخدم بسهولة عندما يتكلم الناس اللغة الأدنى. ولكنهم بشكل عام يلتزمون قواعد اللغة الدنيا ونظم التلفظ فيها.

حالة الإبقاء اللغوي – مونتريال.

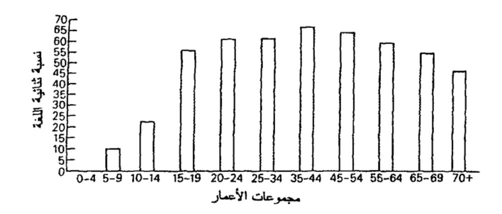
باستثناء حالات مجموعات المهاجرين (مثلا ، دراسات فيشمن ١٩٦٦، وهوفمان وفيشرمان ١٩٧٢)، فإن التحول اللغوي أكثر سحرا بالنسبة للباحثين من الإبقاء اللغوي. وبالتالي فإنه من الصعب العثور على أبحاث تركز على الإبقاء اللغوي في مجتمع مقيم. وعلى الرغم من ذلك، فإننا سننظر في بعض البيانات عن مجتمع ثنائي اللغة له تاريخ في الإبقاء على هاتين اللغتين. ومجتمع آخر هو مثال ممتع لكل من الإبقاء

والتحول اللغويين. والمجتمع الأول هو مجتمع سكان مدينة مونتريال الذين يتكلمون اللغة الفرنسية ، بينما المجتمع الثاني هو مجتمع تيوا للهنود الحمر ، وهي مجموعة تسكن قرى الهنود الحمر في نيو مكسيكو.

درس ستانلي ليبرسون (١٩٧٢) حالة الإبقاء على اللغة الفرنسية في مونتريال على أساس بيانات الإحصاءات السكانية في كندا. وكنتيجة لذلك فإننا لا نعتمد هنا على بيانات ملاحظة المشاركين كما فعلنا في حالات التحول اللغوي وإنما نعتمد على بيانات المسح. والأرقام التي استخدمها ليبرسون مأخوذة من إجابات على أسئلة تتعلق باللغة الأم وأخرى تتعلق باللغة التي يعرفها المجيب من بين اللغتين الرسميتين الموجودتين في كندا ، الإنجليزية أو الفرنسية. وبالمقارنة بالنظرة المعمّقة للثقافة التي يمكن أن يكتسبها عالم الأنثربولوجيا الوصفية عبر شهور أو سنوات من "ملاحظة المشاركين" ، والمقابلات الفردية المتعمقة التي يقوم بها ، فإن مثل تلك البيانات تبدو بالفعل قليلة هنا. ولكن بيانات الإحصاء السكاني لها ميزتان عظيمتان لا تجد لهما مثيلا بسهولة في أبحاث علماء الأنثربولوجيا الوصفية. أولاهما أن تلك البيانات لا تمثل فقط عشرات أو مئات من الناس من قرية صغيرة ، وإنما تمثل مئات الآلاف من الناس في مدينة كبرى. وثانيتهما أن تلك البيانات تغطي فترة ثلاثين سنة. وعندما تصل معطيات من هذا النوع إلى يدي باحث يمتلك مهارة ليبرسون وخبرته فإنها تصبح مصدر إلهام كبير.

ومن النظرة الأولى سيبدو لنا أن أحد المطالب الأساسية للتحول من الفرنسية إلى الإنجليزية موجود وهو الثنائية اللغوية الواسعة الانتشار. كما رأينا في شرق سانرلاند حيث ينقل الوالدان ثنائيا اللغة إلى أبنائهم لغة واحدة فقط ، فإن الثنائية اللغوية يمكن أن تسبق التحول اللغوي. وهذا الشرط المسبق المحتمل كان موجودا في مونتريال عام ١٩٦١م . فبين السكان الذكور ممن تكون اللغة الفرنسية لغتهم الأم ،

هناك ٤٨٪ منهم ثنائيو اللغة. بينما تكون النسبة أدنى، إلى درجة ما، بين السكان من النساء. وعلى النقيض من ذلك، فإن ٢٨٪ من الذكور ممن تكون اللغة الإنجليزية لغتهم الأم كانوا ثنائيي اللغة في التقويم نفسه (ليبرسون ١٩٧٢، ٢٤٠-٢٤١)، انظر الشكل رقم (٨,١).



الشكل رقم (٨,١). العلاقة بين العمر وثنائية اللغة في مونتريال عام ١٩٦١م.
المصدر: بيانات من ليبرسون (١٩٧٢-٢٤٩).

يوضح الشكل رقم (٨,١) بيانات خاصة بالعلاقة بين العمر والثنائية اللغوية لدى المتكلمين الذكور، وذلك بناء على الإحصاء السكاني بمونتريال عام ١٩٦١م. وإذا ما فسرنا معطيات الجدول بطريقة ميكانيكية بأنها تعكس ما يحدث مع مرور الزمن، فإنه يتوجب أن نقول: إن الثنائية اللغوية قد ازدادت من معدلات كبيرة في الأساس إلى معدلات أعلى، ثم انخفضت بحدة خلال الخمسين سنة الأخيرة. وإذا كنا دقيقين أكثر وافترضنا أن العديد من صغار السن تحت سن العشرين ربما يصبحون

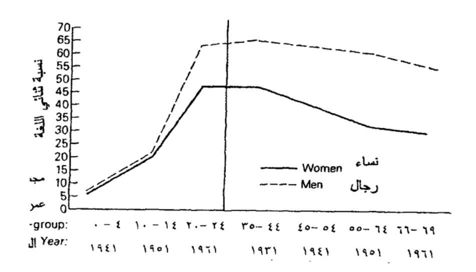
ثنائيي اللغة، فإنه لن يكون من الواجب علينا بالضرورة أن نفسر الشكل رقم (٨,١) بأنه دليل على الانخفاض في السنين الأخيرة. ولكن البيانات من سن البلوغ وحتى سن الشيخوخة تشير إلى زيادة في الثنائية اللغوية، وبالتالي فإنها تشير إلى زيادة محتملة في التعرض لمشكلة التحول اللغوي.[11] وربما نخلص حينئذ إلى أن التحول إلى اللغة الإنجليزية هو في مرحلة التطور. ولكن سيكون هذا الاستنتاج خاطئا تماما.

وكبداية، فإن البيانات عن اللغة الأم للأولاد الصغار تظهر أن اللغة الفرنسية تكتسب قوة. ولقد قارن ليبرسون (١٩٧٢/ ٢٤٣-٢٤٤) البيانات الخاصة باللغة الأم بالنسبة للنساء اللاتي في عمر الإنجاب مع بيانات اللغة الأم بالنسبة للأولاد تحت سن ٥ سنوات، فجاءت نتيجته كما يلي:

نجد أن الدرجة العالية من الثنائية اللغوية الموجودة بين السكان الذين يتحدثون الفرنسية كلغتهم الأم لم تؤد إلى التبديل المطلق إلى اللغة الإنجليزية بين الأولاد. وفي كل الفترات فإن نسبة الأولاد الصغار الذين يتحدثون الفرنسية كلغتهم الأم كانت أكبر من نسبة الأمهات اللاتي في سن الإنجاب. والنتيجة النهائية لتحليلاتنا بين الأجيال تشير إلى أن الفرنسية لا تحتفظ بنفسها فقط، وإنما تكتسب في الواقع بين الأجيال.

ومن الواضح أن النمط الظاهر في الشكل رقم (٨,١) لا يبين أن هناك عملية تحول في مرحلة التطور. وفي الحقيقة يشك أيضا في أنه يظهر زيادة في الثنائية اللغوية الثابتة مع مرور الزمن. فإلى ماذا يشير ذلك إذاً؟ وللإجابة على هذا السؤال فقد أجرى ليبرسون تحليلا "لمجموعات من الأعمار". وفكرة مجموعات الأعمار هي فكرة بسيطة، فهي تفترض أن الناس الذين كان عمرهم ٢٥ سنة في وقت الإحصاء الذي تم عام ١٩٥١م سيبلغون من العمر ٣٥ سنة عند إجراء إحصائية عام ١٩٦١م. وبمقارنة بيانات الثنائية اللغوية لكل مجموعة عمرية مع بيانات المجموعة العمرية نفسها بعد عشر سنوات في الإحصاء التالي فإن الأنماط المسجلة للثنائية اللغوية تظهر بشكلٍ

واضح . ويوضح الشكل رقم (٨,٢) تلك الأنماط المسجلة بطريقة منفصلة للنساء والرجال.



الشكل رقم (٨,٢). النسبة المئوية لسكان ثنائيي اللغة في مونتريال من خلال مجموعات الأعمار والجنس من عام ١٩٤١ حتى ١٩٦١.
المصدر: ليبرسون (١٩٧٢-٢٤٩)

والنزعات التي يوضحها الشكل رقم (٨,٢) هي في غاية التشويق. فنجد هناك زيادة في الثنائية اللغوية من الطفولة المبكرة وحتى سن البلوغ المبكر. ثم نجد زيادة إضافية أخرى إلى منتصف العمر. وابتداء من عمر الأربعينيات فقد سجل الناس انخفاضا متزايدا في الثنائية اللغوية. واستمرت هذه النزعة إلى سن الهرم. وبالإضافة إلى ذلك ، فلم يكن هناك فرق بين المتكلمين من النساء والمتكلمين من الرجال حتى سن البلوغ المبكر حيث يبدأ نمط النساء يسير موازيا نمط الرجال، ولكن بتواتر أدنى في الثنائية اللغوية. ويجب أن نشير هنا إلى أننا لم نكن ننظر إلى الأشخاص أنفسهم طيلة

المسار عبر الرسم البياني للشكل رقم (٨,٢). فالنسب المئوية المسجلة على يسار الخط العمودي في الشكل رقم (٨,٢) هي مجموعات أعمار حقيقية. فالأشخاص الذين كانوا بين عمر الولادة وسن ٤ سنوات عام ١٩٤١م أصبحوا بين ١٠-١٤ سنة في عام ١٩٥١م، وقررت أعمارهم بين ٢٠-٢٤ سنة في عام ١٩٦١م. وبالمثل فإن النسب على الجانب الأيمن من الشكل تمثل مجموعات أعمار حقيقية.[١٢] ولكن المجموعة العمرية بين ٣٥- ٤٤ سنة ليست هي المجموعة العمرية نفسها التي بين ٢٠-٢٤. لذا ، فمن بيانات الشكل رقم (٨,٢) فقط لا يمكننا أن نتأكد أن الأشخاص الذين يمثلون المجموعة العمرية ٢٠-٢٤ سيتبعون النمط نفسه على الجانب الأيمن من الشكل عندما يكبرون. ولكن البيانات الواردة في الشكل رقم (٨,٢) هي فقط عينة للأشكال التي أوردها ليبرسون. فباستخدام النطاق الكامل للمجموعات العمرية المتداخلة يمكننا توضيح أن الزيادة والنقصان والفرق بين الرجال والنساء كانا متسقين بدرجة جيدة على مدى الجدول بأكمله. فمثلا ٦٨,٨٪ بالمائة من الرجال الذين كانوا في عمر ٢٥-٣٤ في عام ١٩٤١م كانوا ثنائيي اللغة. وفي عام ١٩٥١م عندما أصبح عمرهم ٣٥-٤٤ سنة كان هناك انخفاض طفيف حيث صارت النسبة ١, ٦٨٪ ومن ثمّ حدث انخفاض آخر إلى ٦, ٦٣٪ عام ١٩٦١م عندما أصبح عمرهم ٤٥-٥٤ سنة. والأرقام المقابلة بالنسبة للمتكلمات من النساء هي ١, ٤٨٪ و ٢, ٤٥٪، ٦, ٤٢٪ على التوالي (ليبرسون ١٩٧٢ : ٢٤٩ ، الجدول رقم ٤). ولا ضير في اعتماد أنماط الشكل رقم (٨,٢) كممثل للثنائية اللغوية المسجلة ذاتيا عبر مراحل حياة الناس.

والتفسيرات التي يوردها ليبرسون هي تفسيرات شيقة ومقنعة تماما. فإذا بدأنا بحقيقة أن اللغة الإنجليزية هي لغة أعلى في مناطق كندا التي تتكلم اللغة الفرنسية وخاصة ما يتعلق بمجال التوظيف، فإن الأنماط تصبح مفيدة ولها معنى. ومن الواضح أن الأولاد الكنديين الفرنسيين يتعلمون اللغة الفرنسية فقط في المنزل، واللغة

الإنجليزية تدرس لهم كمادة في المدرسة التي تكون اللغة الفرنسية فيها وسيلة التدريس (كما هو الحال في المدارس التي يدخلها كل الأولاد الفرنسيون تقريبا)، ويبدو أن عددا متزايدا من الشباب يكتسبون اللغة الإنجليزية أثناء انتقالهم عبر مراحل المدرسة. وبالطبع فإن تعلم اللغة الثانية لا يتم كله بالمدرسة. ويُكتسب قدر كبير من الكفاءة في اللغة الإنجليزية عندما يجد الشباب أنه من الواجب عليهم المشاركة في المجتمع على نطاقه الواسع. وعلينا أن نتذكر هنا أن المقيمين الذين تكون لغتهم الأم هي اللغة الإنجليزية، والذين يجب عليهم، وبالمثل، تعلم اللغة الفرنسية كمادة في مدارسهم التي تستخدم اللغة الإنجليزية كوسيلة للتعليم يصبحون ثنائيي اللغة بدرجة أقل كثيرا. وعندما ينتقل الناس إلى مسارهم الوظيفي فإن العديد منهم يجدون أن معرفة اللغة الإنجليزية شيء مهم جدا. وبالتالي فإن الأعداد المسجلة عن الثنائية اللغوية تزداد قليلا ثم تصبح ثابتة عبر السنين المتوسطة. وعندما يكبر الناس ويتركون العمل فإن اللغة الإنجليزية تصبح غير ضرورية للعمل. وكنتيجة لذلك فإن الأعداد المسجلة للثنائية اللغوية تقل.[١٣] ويدعم هذا التفسير حقيقة أنه بعد سن الطفولة فإن عدد النساء ثنائيات اللغة يصبح أقل من عدد الرجال. فإذا افترضنا أن أغلبية النساء يمتهن المهن النسوية التقليدية كالعمل المنزلي ورعاية الأطفال بدلا من الانخراط في المؤسسات التوظيفية التي تتطلب اللغة الإنجليزية ، فإن عددا قليلا من النساء سيحتاج للغة الإنجليزية وبالتالي فإنهن لن يتعلمنها.

وإذا ما حاولنا رؤية كل ذلك في ضوء مفهومنا الواسع للازدواجية اللغوية فيمكننا أن نرى أنها تشير إجمالا إلى الإبقاء المستمر على اللغة الفرنسية حتى ولو استمرت الثنائية اللغوية بدرجة كبيرة باللغة الإنجليزية. وعلى الرغم من أنه ليست لدينا بيانات تمكننا من استنتاج التوزيع في المجالات الأخرى، وذلك إذا كان ليبرسون على صواب، فإن اللغة الإنجليزية تستخدم في مجال التوظيف (لبعض الوظائف) -

وهو مجال أعلى. وفي مجال المنزل، وهو أصلا مجال اللغة الدنيا فإن اللغة الفرنسية هي الوحيدة المستخدمة فيه. علاوة على ذلك، فإنه يبدو أن الذين يكتسبون اللغة الإنجليزية هم الذين يحتاجون إليها فعلا ، ولا يكتسبونها قبل احتياجهم إليها. ويتوقف عدد كبير من الناس عن إبداء رغبتهم في إعلان معرفتهم اللغة الإنجليزية، وإذا لم يتوقفوا عن معرفة اللغة نفسها، بأسرع ما يمكن. لذلك يبدو معقولا أن نستنتج أن اللغة الإنجليزية لا تتسرب إلى مجالات اللغة الفرنسية أبدا. وإذا حدث أي شيء على الإطلاق، فإن الزيادة السريعة في النزعة الوطنية بإقليم كويبيك ربما يدفع الفرنسية إلى المجالات التقليدية للغة الإنجليزية.

وقد أشار ليبرسون إلى حقيقة واحدة أخيرة، وهي أنه بما أن أعداد النساء ثنائيات اللغة أقل من أعداد الرجال فإن عددا كبيرا من العائلات سيشتمل على زوج ثنائي اللغة وزوجة أحادية اللغة تتكلم اللغة الفرنسية. وحيث إن الفرنسية هي اللغة الوحيدة المشتركة فإنها ستنقل إلى الأولاد مما يزيد من تقوية عملية الإبقاء على اللغة الفرنسية. وتعمل الظاهرة نفسها ضد اللغة الأدنى في أوبروارت، فنجد هناك العديد من الأسر التي يكون فيها أحد الوالدين ثنائي اللغة ويتكلم المجرية والألمانية ، بينما يكون الوالد الآخر أحادي اللغة لا يتكلم إلا الألمانية، ولكن فعليا لا توجد عائلة في الأماكن التي تكون فيها اللغة المجرية هي اللغة الوحيدة المشتركة . ويرى تابوريت - كيلر (١٩٦٨ : ١١٢) أن النمط نفسه يعمل لصالح انتشار لغة الولوف على اللغات الأخرى في السنغال.

الإبقاء والتحول اللغويان - التيوا.

والمثال الأخير مبني على دراسة صغيرة أجريتها بنفسي على مجتمع التيوا للهنود الحمر في تاوس بنيومكسيكو بواسطة استبيان.[١٤] والتيوا مجموعة يبلغ تعدادها نحو

٢٠٠٠ فرد وتسكن قرى الهنود الحمر. ويسكن معظمهم المساكن القروية التي خلفها لهم أجدادهم. ولقد كانت الثنائية اللغوية حقيقة في حياة التيوا على مدى أجيال عديدة، فقد كانت الإسبانية هي اللغة الثانية، ثم تركت مكانها عبر السنين لصالح اللغة الإنجليزية لتصبح اللغة الثانية. والتيوا قوم رائعون؛ لأنهم احتفظوا بلغتهم الأصلية لقرون، بالرغم من أنهم كانوا أولاً تحت سيطرة المكسيك ومؤخرا أصبحوا تحت سيطرة الولايات المتحدة، ورغم حقيقة أن مجموعتهم كانت صغيرة جدا.

والبيانات التي حصلنا عليها من التيوا لا تفي بكل ما كنا نرغب فيه. فلم تكن هناك فرصة للمراقبة الشاملة، وكنتيجة لذلك فإنه لم يكن من الممكن فحص بيانات استخدام اللغة المسجلة ذاتيا مقابل الملاحظات كما فعلت غال ودوريان. وكانت الاستبيانات التي جمعناها وعددها ٤٨ استبيانا تعتبر عددا صغيرا جدا، بالرغم من أنها تمثل نسبة مئوية كبيرة من السكان فيما إذا قورنت في مجتمع كبير.[١٥] ولم تكن البيانات موزعة توزيعا متساويا بحسب العمر، كما أن المتكلمين من صغار السن قد مثّلوا بدرجة كبيرة. ولكن بالرغم من ذلك، فإن النتائج تقود إلى بعض التفسيرات المتوافقة مع تاريخ المجتمع ومع ما نعرفه عن الإبقاء والتحول اللغويين. وعلى الرغم من أنه إذا ما تم القيام بمجهود بحثي أكثر شمولا، وأجود تصميما، فإنه ربما يقود إلى نتائج مختلفة. إلا أنه يمكن استخدام البيانات التي لدينا لتوضيح النتائج التي سوف نستخلصها، ذلك إذا كانت ممثلة لواقع الحال.

والجانب الأول الذي سنستكشفه من الثنائية اللغوية للتيوا هو الدليل المتمثل في أنهم قد شهدوا تحولا ضخما في اللغة الأعلى بينما احتفظوا بلغتهم التيوا. ولقد سألنا عناصر العينة في الاستبيان عن أي اللغات الثلاث المستخدمة محليا (التيوا والإسبانية والإنجليزية) يتكلمونها بأنفسهم ويفهمونها.[١٦] كما سألناهم عن أي من تلك اللغات يتكلمها آباؤهم وأجدادهم. ولقد قسم السؤال حول لغة الأجداد إلى سؤالين

منفصلين حول الأجداد من ناحية الأم والأجداد من ناحية الأب، بحيث كانت إجابات الجيل الصاعد الثاني أكثر من إجابات الأجيال الأخرى (فلم يكن بمقدور كافة المستجيبين للأسئلة الإجابة على كلا السؤالين الخاصين بالأجداد). وعندما ترتَّب تلك البيانات حسب المجموعات العمرية للمستجيبين يصبح من الواضح تماما أن هناك انخفاضا في اللغة الإسبانية كلغة ثانية وزيادة في اللغة الإنجليزية. وتظهر تلك البيانات في الجدول رقم (٨.١)، حيث قسِّم المستجيبون إلى أربع مجموعات عمرية غير متساوية: ٥٠ -٧٥؛ و٣٠- ٤٥ ؛ و١٦- ٢٥؛ و١١-١٤ (ويبدو أن تلك التقسيمات تظهر كتقسيمات طبيعية في البيانات). وإذا ما أخذنا البيانات التي سجلها المستجيبون عن أنفسهم وعن آبائهم وأجدادهم فستظهر أربعة أنماط عامة للثنائية اللغوية بحسب العمر. ولقد قسِّم الأشخاص إلى "أجيال" على أساس تلك الأنماط الظاهرية ، وكان لتلك الأجيال التركيبة التالية:

الجيل ١ : آباء وأجداد المجموعة العمرية من ٥٠ - ٧٥ سنة، وأجداد المجموعة العمرية من ٣٥ - ٤٠ سنة.

الجيل ٢ : أجداد المجموعة العمرية من ١٦-٢٥ سنة ومن ١١ -١٤ سنة، وآباء المجموعة العمرية من ٣٠-٤٥ سنة.

الجيل ٣ : المجموعة العمرية من ٥٠- ٧٥ سنة، ومن ٣٠-٤٥ سنة، ومن ١٦-٢٥ سنة وآباء المجموعات العمرية من ١٦-٢٥ سنة ومن ١١ - ١٤ سنة.

الجيل ٤ : المجموعة العمرية من ١١- ١٤ سنة.

والنمط السائد في الجيل الأول هو الثنائية اللغوية بلغة التيوا واللغة الإسبانية مع عدد قليل من الناس الذين يسجلون معرفة باللغة الإنجليزية وعدد قليل من الناس أحاديي

اللغة بلغة التيوا فقط. وليس هناك شخص واحد أحادي اللغة باللغة الإنجليزية فقط. وفي الجيل الثاني فإن اللغة الإسبانية قد خسرت أرضية كبيرة لصالح اللغة الإنجليزية. فمعظم الناس الذين يعرفون لغة التيوا واللغة الإسبانية يعرفون أيضا اللغة الإنجليزية. وهناك عدد من الناس ثنائيو اللغة بلغتي التيوا والإنجليزية، وذلك مساو تقريبا عدد أولئك الذين يتكلمون التيوا والإسبانية. وهناك عدد قليل جدا من الذين يتكلمون التيو كلغة أحادية، ولكن ظهر هناك شخص واحد في هذا الجيل يتكلم الإنجليزية كلغة أحادية. وعند الوصول إلى الجيل الثالث نجد أن النمط السائد بقوة هو الثنائية اللغوية بالتيوا والإنجليزية، فكل شخص يعرف اللغة الإسبانية يعرف أيضا اللغة الإنجليزية، وكان هناك شخصان يتكلمان لغة أحادية، أحدهما بالتيوا والآخر بالانجليزية. أما في الجيل الرابع فلا أحد يدعي قط معرفة اللغة الإسبانية، وليس هناك أحاديو اللغة بلغة التيوا ولكن هناك العديد من أحاديي اللغة باللغة الإنجليزية.

وليس من الممكن أن نثبت بدون قدر من الشك أنه يجب أن تفسر بيانات الجدول رقم (٨،١) على أنها تمثل تغييرا طرأ عبر الزمن. ولكن يبدو أنه من غير المحتمل أن نفسر النمط الذي يشمل فقدان اللغة الإسبانية بأي طريقة أخرى. والبديل سيكون افتراض أن تلك البيانات تمثل الاستخدام المتغير للغات والمرتبط بحياة الشخص. وهذا سيتضمن أن أعضاء الأجيال الأصغر سنا سوف ينسون الإنجليزية ويتعلمون الإسبانية عندما يكبرون. وسيكون من المعقول أن نفترض إلى حد ما أن بعض الشباب الذين يسجلون الآن ثنائية لغوية بالتيوا والإنجليزية ربما يدعون بأنهم سيكونون أحاديي اللغة بلغة التيوا فقط عندما يكبرون كما يحدث في ظاهرة الكنديين الفرنسيين في مونتريال. ولكن مع ذلك لا يوجد العديد من الذين يقرون بأنهم أحاديو اللغة بالتيوا حتى في الأجيال الأكبر سنا. ويبدو أن الاحتمال الأغلب هو أن الجدول رقم (٨،١) يمثل الإبقاء على لغة (التيوا) والتحول (من الإسبانية إلى الإنجليزية)

خلال الـ١٢٥ سنة الماضية أو ما يقارب ذلك. وقد وضح التبادل الدراميتيكي هذا للغة الثانية في هيئة رسم بياني في الشكل رقم (٨،٣).

الجدول رقم (٨،١). أنماط الثنائية اللغوية عبر أربعة أجيال من مجتمع التيوا.

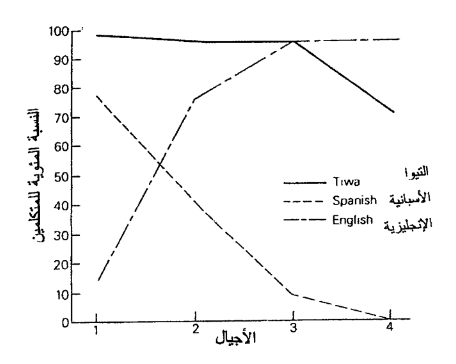
الجيل	اللغات				
	ت س	ت أ س	ت أ	ت	أ
١ -العدد	٢٠	٢	٢	٤	٠
النسبة المئوية	٧١,٤	٧,١	٧,١	١٤,٣	٠
٢ - العدد	٦	٢٧	٢٩	١٠	١
النسبة المئوية	٨,٢	٣٧,٠	٣٩,٧	١٣,٧	١,٤
٣ - العدد	٠	٦	٥١	١	١
النسبة المئوية	٠	١٠,٢	٨٦,٤	١,٧	١,٧
٤ - العدد	٠	٠	١٨	٠	٦
النسبة المئوية	٠	٠	٧٥	٠	٢٥

ت س = التيوا والإسبانية، ت أ س = التيوا والإنجليزية والإسبانية،
ت أ = التيوا والإنجليزية، ت = التيوا فقط، أ = الإنجليزية فقط.

والشكل رقم (٨،٣) يبين أن كل شخص من الأجيال الثلاثة الأولى في ذلك المجتمع قد تعلم في الواقع لغة التيوا عندما كانت الإنجليزية تحل محل الإسبانية تدريجيا. ولكن في المجموعات العمرية الأصغر فقد لوحظ انخفاض مفاجيء في عدد الذين

يعرفون لغة التيوا. وحيث إن هذا الانخفاض في متكلمي التيوا مبني على ٢٤ متكلما فقط، فمن الممكن أن يكون قد حدث ذلك بسبب خطأ في اختيار العينات، أو بسبب خطأ في تقسيم المجموعات العمرية. ولكن هناك، على الأقل، بعض الأدلة على أنه يجب علينا أن نبحث عن علامات تدل على أن اللغة الإنجليزية ربما تزيح لغة التيوا في النهاية. وهذا شيء لم تفعله اللغة الإسبانية أبدا. وكما نعلم الآن فهناك بعض المؤشرات التي تدل على التحول والتي يجب البحث عنها. وأحد هذه المؤشرات هو تقدم إحدى اللغات في المجالات الخاصة باللغة الأخرى.

ولقد رُسم جدول تضميني، كالذي رسمته غال، لاثنين وأربعين شخصا من التيوا الذين أدلوا بإجاباتهم (مع استبعاد ٦ متكلمين أحاديي اللغة، واثنين من المجيبين الذين لم توضع بياناتهم في المكان الصحيح). وتظهر تلك النتائج في الجدول رقم (٨,٢).[١٧] ويبدو أن البيانات تتدرج بدرجة جيدة، فهناك عدد متواضع من الخانات المنحرفة (وضعت عليها علامة نجمة). وفي الحقيقة فإن نسبة التدرج هي ٩١,٧٪ وهو رقم محترم.[١٨] وكما في أوبروارت، فهناك ميل لاختيار لغة المجتمع الأصغر من قبل الأجداد أكثر من الآباء، ومن قبل الآباء أكثر من الإخوة والأخوات. وهذا الانخفاض في استخدام لغة التيوا من قبل المحاورين الأصغر سنا مشابه للنمط الذي حدث في أوبروارت حيث إنه يشير في الظاهر إلى بداية التحول اللغوي. كما يبدو أيضا أن هناك ميلا قليلا لدى المتكلمين الأكبر سنا ليظهروا في الجزء الأعلى من الجدول حيث تقع الأنماط الأكثر محافظة، كما أن هناك ميلا لدى المتكلمين الصغار ليظهروا في الجزء الأسفل من الجدول. ولكن هناك عددا من الشباب يسجلون أنماطا محافظة، كما أن هناك بعض متوسطي العمر الذين يقعون في الجزء الأسفل من الجدول.



الشكل رقم (٨،٣). الإبقاء والتحول اللغويان في مجتمع التيوا في الوقت الراهن.

وهناك ٢٥ متكلما لم تكن لديهم انحرافات تدريجية، وقد اختُبرت تقاريرهم لمعرفة العلاقة بالعمر. (ولقد حُذف المتكلمون ذوو الانحرافات؛ لأنه لم يكن من الواضح تماما في أي مكان يجب وضعهم). والاختبار الذي استخدم هو اختبار سبيرمان للارتباط (ب) بين الرتبة – الترتيب، باستخدام العمر والوظيفة كمتغيرين في الجدول رقم (٨،٢). وكانت النتيجة أن هناك ارتباطا إيجابيا مع قيمة (ب) غير مهمة.[١٩] علاوة على ذلك فقد كان هناك عدد كبير من المتكلمين صغار السن في هذه المجموعة، والمتكلمون في هذه المجموعة قد يغيرون عادات الاستخدام اللغوي عندما يكبرون. لذا فإنه من غير الممكن أن نقول بثقة بأن الشباب صغار السن هم من

يقودون التحول اللغوي إلى الإنجليزية.

وأول شيء نلاحظه عند النظر إلى الترتيب خلال الأعمدة هو أن المقياس يبدو أفضل لمعظم المتحدثين لو وضعت اللغة المستخدمة مع الأصدقاء الهنود في القرية الهندية وفي المدينة (الموضعان ٣، ٤) على يسار تلك المستخدمة مع الإخوة والأخوات (الموضع ٥). ويبدو هذا غريبا بعض الشيء؛ لأن العلاقة بين أفراد العائلة الواحدة تعتبر حميمية ولذا فمن المتوقع أن يتحدثوا إلى بعضهم باللغة الدنيا.[٢٠] وهنا نجد أن عدم الألفة للمجتمع هي عائق خطير. ومن المحتمل أن هناك قيمة توضع لاستخدام لغة التيوا مع أعضاء آخرين في الجماعة علناً، ولكن يعتبر مقبولا استخدام اللغة الإنجليزية أحيانا وفي بعض المواقع الخاصة التي من المحتمل أن يتواجد فيها أفراد من الأسرة.

الجدول رقم (٨،٢). المقياس التضميني للاختيار اللغوي من قبل متكلمي التيوا.

رقم المتكلم	عمر المتكلم	المحاورون						
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
١	٦٥	ت	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ
٢	٤٣	ت	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ
٣	٢٠	ت	ت أ ◆	ت	ت	ت	ت أ	أ
٤	١٨	ت	ت أ ◆	ت	ت	ت	ت أ	أ
٥	٢٥	ت	ت	ت	ت	ت	أ	أ
٦	١٢	ت	ت	ت	ت	ت	أ	أ
٧	٧٥	ت	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ
٨	٦٥	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ	أ
٩	٥٢	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ	أ
١٠	١٤	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ	أ
١١	١٣	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ	أ
١٢	١٣	ت	ت	ت	ت	ت أ	أ	أ
١٣	٢٥	ت	ت	ت	ت	أ	أ	أ
١٤	١٢	ت أ ◆	ت	ت	ت	ت أ	أ	أ

١٥	٣٥	ت	ت أ ◆	ت	ت	ت أ	أ	أ
١٦	٢٠	ت	ت أ ◆	ت	ت	ت أ	أ	أ
١٧	١٩	ت	ت أ ◆	ت	ت	ت أ	أ	أ
١٨	٤١	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	ت أ	أ
١٩	٦٥	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٠	١٦	ت	ت أ ◆	ت	ت أ	ت ◆	ت أ	أ
٢١	٤٣	ت	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ
٢٢	٤٣	ت	ت	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٣	٤٤	ت	ت	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٤	١٧	ت	ت	ت أ	ت أ	ت ◆	أ	أ
٢٥	١٤	ت	ت	أ ◆	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٦	١٤	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٧	١٣	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٨	٢١	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٩	١٧	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت ◆	ت أ	أ
٣٠	١٣	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت ◆	ت أ	أ
٣١	١٢	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت ا	أ
٣٢	١٧	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ
٣٣	١٨	ت أ	ت أ	ت ◆	ت أ	ت أ	ت أ	أ
٣٤	١٤	ت ا	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٣٥	١٤	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٣٦	١٣	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٣٧	١١	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٣٨	١٣	ت أ	ت ◆	ت أ	ت أ	ت أ	ا	أ
٣٩	٣١	ت أ	ت أ	ت ◆	ت أ	ت ◆	أ	أ
٤٠	١٣	ت أ	ت أ	ت ◆	ت ◆	ت أ	أ	–
٤١	١٤	ت أ	ت أ	ت ◆	ت أ	ت ◆	أ	أ
٤٢	١٣	ت أ	ت أ	ت أ	ت ◆	ت أ	ت ◆	أ

المحاورون: ١= الأجداد؛ ٢= الوالدان؛ ٣= الأصدقاء الهنود في القرية؛ ٤= الأصدقاء الهنود في المدينة؛ ٥= الإخوة والأخوات؛ ٦= الأصدقاء الهنود عندما يكون الأصدقاء الإنجليز والشيكانو موجودين؛ ٧= الأصدقاء الإنجليز والشيكانو.

اللغات: (ت) = التيوا؛ (أ) = الإنجليزية.

◆ هذه الخانات ليست وفق التدرج الكامل.

واحتمال آخر هو أن بعض من استجابوا للاستبيان قد فسروا وضع المخاطب (المحاور) في الحالتين ٣ ، ٤ بأنهما حالتان نطلب فيهما أن يحيوا فقط الشخص الآخر، بينما يتطلب الحديث مع الإخوة والأخوات محادثة أطول. ومن المحتمل أن بعض المتحدثين يحيون أصدقائهم بالتيوا فقط، ولكن بعض المحادثات مع الإخوة والأخوات قد تكون بالإنجليزية. وقد يكون هناك احتمالات أخرى أيضا، ولا يبدو من الحكمة التخمين على أساس بيانات الاستبيان فقط. ولا يعطينا وضع الأصدقاء الهنود في ترتيب المتحدث إليهم دلائل حقيقية عن ما إذا كان هناك تحول لغوي أو لا.

وهناك ملاحظتان على وضع الأقارب من الأجيال المرتبة تصاعديا في جانب التيوا من جدول رقم (٨.٢). تذكر أن المتحدثين الأكبر سنا هم في الغالب ممن لا يعرفون الإنجليزية. وأحيانا قد يرجع ببساطة سبب التحدث إلى كبار السن بالتيوا إلى حقيقة أنهم لا يفهمون الإنجليزية. والاحتمال الآخر هو أن لكبار السن التزاما أكبر تجاه قيم المجتمع الصغير، ولذا فهم يتوقعون أن يخاطبوا باستخدام تيوا. وإذا كان الناس يخاطبون كبارهم لأنهم لا يفهمون الإنجليزية، فهذا قد يعني أن الخيار قد وجهته الحاجة المحضة للفهم وقد لا يعني أن للقيم الثقافية دورا هنا. ولكن هناك مؤشرا على أن من الأنسب اجتماعيا مخاطبة كبار السن بالتيوا، فقد أضاف اثنان من المستجيبين على سؤال "الأصدقاء الهنود" ملاحظة بأن ذلك يعتمد على عمر المتحدث إليه. فالتيوا سوف تختار إذا كان الهندي الآخر المتحدث إليه أكبر سنا، وستختار الإنجليزية إذا كان أصغر سنا.

ومن الواضح أن الإنجليزية هي اللغة الوحيدة المستخدمة مع المحاورين من خارج المجوعة. فقد ذكر معظم هنود التيوا، وليس كلهم، أن الإنجليزية قد تستخدم مع صديق هندي آخر إذا كان هناك أصدقاء من أصل أبيض أو مكسيكي بالحوار. ويشير هذا في أوبروارت إلى حد ما في شرق سانزلاند إلى أن المتحدث يرى نفسه

عضوا في مجموعة متحدثي اللغة العليا وكذلك عضوا في المجموعة الأصغر. وتمنح هذه العضوية المشتركة أفراد المجتمع الأكبر أن تستخدم اللغة المشتركة بحضورهم. ولكن، ذكر اثنان ممن قالوا إنهم سيستخدمون تيوا والإنجليزية في هذا الموضع أنهما قد يستخدمان تيوا لمنع الإنجليز أو التشيكانو من فهم ما يقولونه. وحسب شروط غال فإن هذا النوع من السلوك هو تباعد بعض الشيء ومؤكد العضوية في المجموعة الصغيرة التي لا تتضمن أفراد المجتمع الأوسع. وحقيقة أن عددا كبيرا من المتحدثين قد يستخدمون تيوا بحضور الإنجليز أو التشيكانو وذلك بقصد استبعادهم بشكل واضح من فهم المحادثة يجعل البيانات في العمود رقم ٦ غير واضحة فيما يتعلق بكونها مؤشرا على التحول.

وجميع "الانحرافات" التي وضعت عليها علامة نجمة في الجدول رقم (٨.٢) هي استجابات في غير مكانها. ومن المحتمل أن معظمها ليس نتيجة الفشل في الاتفاق مع المتوقع، ولكن دليلا على وجود أنماط تختلف عن النمط الشائع. وأحد الأنماط هو عدد الأفراد المستخدمين كلتا اللغتين مع آبائهم، بينما يستخدمون تيوا فقط مع إخوانهم وأخواتهم. وهذا ما ذكره المتحدثون الذين يحملون الأرقام ٣، ٤ و٢٠ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٩ و ٤١. وتحبذ المتحدثة رقم ٣٨ استخدام كلتا اللغتين مع إخوانها وأخواتها، ولكنها تحبذ استخدام الإنجليزية فقط مع والديها، ويستخدم أيضا خمسة من الثمانية تيوا مع أصدقائهم الهنود في القرية الهندية، وتستخدم المتحدثة رقم ٣٨ كلتا اللغتين مع أصدقائها كما تفعل مع إخوانها وأخواتها. بجانب ذلك، كان خمسة من الثمانية من بين الأقلية التي تستخدم كلا من تيوا والإنجليزية مع أصدقائهم الهنود حتى مع وجود الأجانب.

كانت أعمار خمسة من هؤلاء المتحدثين بين ١٦ و ٣٥ سنة، أما الثلاثة الآخرون فكانوا أصغر سنا بعض الشيء حيث كانت أعمارهم ١٣ و ١٤ عاما. وإذا

قسم المتحدثون إلى ثلاث مجموعات بحسب العمر، وهي: من يزيدون عن ٤٠ والمراهقون الصغار بين ١٢-١٤ عاما، والشباب بين ١٦-٣٥ عاما، يتضح لنا حقيقة مدهشة. فالجماعة الأكبر سنا تتلاءم تماما مع المقياس في جدول رقم (٨,٢)، ولا يوجد هناك أي حالة انحراف عن المتوقع. ولكن جماعة العمر الوسطى تتلاءم تماما مع المقياس في جدول رقم (٨,٣) أفضل من قبل[٢١]. فهناك مجموعة من أربع حالات انحراف أقل، وقل انحراف استجابات ستة من المتحدثين في جدول رقم (٨,٣) مما كانت عليه في الجدول رقم (٨,٢)، بينما ازدادت انحرافات استجابات متحدثين اثنين فقط. وكان في استجابة خمسة من الستة انحراف واحد في الجدول السابق، ولكن هذه الانحرافات اختفت تماما في الجدول رقم (٨,٣) (تلاءمت استجابات المراهقين من الأعمار ١٢-١٤ سنة مع المقياس في الجدولين رقما (٨,٢) و(٨,٣) بالدرجة نفسها).

والفرق بين ترتيب المخاطبين في الجدولين هو أن موقع الآباء قد تحرك إلى اليمين، إلى موقع يسبق موقع الأصدقاء الهنود عند وجود أصدقاء إنجليز أو تشيكانو في الجوار. أي أنه سيخاطَب الآباء في هذه المجموعة العمرية بالإنجليزية أكثر من الحديث مع أي شخص عندما لا يوجد أجانب في الجوار. وبمعنى آخر، تلائم هذه المجموعة العمرية المقياس أفضل لو افترضنا أن لغة تيوا مفضلة عندما تتحدث لشخص من العمر نفسه (سواء أخ أو أخت أو صديق هندي) عما لو كانت تتحدث إلى الآباء. وفي الغالب يخاطب الأجداد بالتيوا، وقد يكون هذا إما بسبب أن كبار السن لا يتكلمون الإنجليزية وإما بسبب قيمة ثقافية كبيرة تتطلب أن يكون من المناسب أكثر التحدث إلى كبار السن باللغة التقليدية للمجتمع.

الجدول رقم (٨،٣). المقياس التضميني للاختيار اللغوي من قبل متكلمي التبوا من المجموعة العمرية ١٦-٣٥سنة.

رقم المتكلم	عمر المتكلم	المحاورون						
		١	٣	٤	٥	٢	٦	٧
٥	٢٥	ت	ت	ت	ت	ت	أ	أ
١٣	٢٥	ت	ت	ت	أ❖	ت	أ	أ
٣	٢٠	ت	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ
٤	١٨	ت	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ
٣٩	٣١	ت أ❖	ت	ت أ❖	ت	ت أ	أ	أ
١٥	٣٥	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ	أ
١٦	٢٠	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ	أ
١٧	١٩	ت	ت	ت	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٠	١٦	ت	ت	ت أ❖	ت	ت أ	ت أ	أ
٢٤	١٧	ت	ت أ	ت أ	ت❖	ت❖	أ	أ
٢٨	٢١	ت	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ	أ
٢٩	١٧	ت	ت أ	ت أ	ت❖	ت أ	ت أ	أ
٣٢	١٧	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ
٣٣	١٨	ت أ	ت ❖	ت أ	ت أ	ت أ	ت أ	أ

المحاورون: ١= الأجداد ؛ ٢= (الوالدان) ؛ ٣= الأصدقاء الهنود في القرية ؛ ٤= الأصدقاء الهنود في المدينة ؛ ٥= الإخوة والأخوات ؛ ٦= الأصدقاء الهنود عندما يكون الأصدقاء الانجليز والشيكانو موجودين ؛ ٧= الأصدقاء الإنجليز والشيكانو.

اللغات: (ت) = التبوا ؛ (أ) = الإنجليزية.

❖ هذه الخانات ليست وفق التدرج الكامل.

لو أخذنا هـذه الحقائق مجموعة مع بعضها لأصبح لدينا دليل على أن هناك مجموعة من الشباب تبتعد عن هوية المجموعة الكبيرة باتجاه تأكيد هويتها كهنود تيوا.

وقد يكون لآبائهم دور في الاتجاه سابقا نحو استخدام الإنجليزية، ولذا يتوقعون مخاطبتهم بالإنجليزية بعض الوقت. ولكن كانت عينة الأفراد من المتحدثين صغيرة، ولا نستطيع وضع ثقة كبيرة بهذا التفسير دون معرفة عميقة بهذا المجتمع.

وعلامة صريحة على التحول هي عندما يقوم الآباء ثنائيو اللغة بنقل لغة واحدة فقط إلى أبناءهم. (وهذا دون شك حدث للأطفال الستة الذين يعرفون لغة واحدة فقط). وكان في العينة اثنا عشر والدا، كانوا صغارا بما يكفي لأن يكون لديهم أولاد في المنزل، أو أنهم رزقوا بهم حديثا. وسأل الاستبيان عن اللغة المحكية مع الزوج أو الزوجة وكذلك اللغة المستخدمة مع الأولاد. وكان ستة من بين الاثني عشر يستخدمون تيوا فقط، أو كلا من تيوا والإنجليزية مع أزواجهم وأيضا مع أولادهم. ومن الواضح أن هؤلاء الستة ليسوا مشتركين في التحول اللغوي بين الأجيال. وقد ذكر ثلاثة من الأزواج أنهم يستخدمون اللغتين مع بعضهما، ولكن يستخدمون الإنجليزية فقط مع أولادهم. وقد يكون هذا دليلا ممكنا على التّحول نحو الإنجليزية. ولكنّ اثنين من الثلاثة الآخرين استخدموا الإنجليزية فقط مع الزوج أو الزوجة بينما استخدموا تيوا والإنجليزية مع الأولاد، وذكر الثالث أنه يستخدم اللغتين مع الزوج أو الزوجة وتيوا فقط مع الأطفال. وقد يخدم نمطهم كدليل على التحول نحو تيوا. ويبين الدليل الضئيل هذا أن هناك تحولا بين الأجيال باتجاه الإنجليزية يقابله نزعة في التّحول باتجاه تيوا.

وقد سُئل جميع أفراد العينة عن اللغات التي يودون أن يعرفها أولادهم. واحد فقط ذكر أنه يريد أولاده أن يعرفوا الإنجليزية فقط. وقال معظمهم: إنهم يريدون أولادهم أن يعرفوا تيوا والإنجليزية معا، وقليل منهم قال: إنهم يريدون أولادهم أن يعرفوا تيوا فقط، أو أن يعرفوا تيوا والإنجليزية والإسبانية معا. ويبين هذان النوعان من الاستجابات الأخيرة أن الإجابة على سؤال من هذا النوع قد لا تكون واقعية

تماما، فمن الصعب اليوم وجود أي متحدث للتيوا فقط، وكذلك ليس هناك منهم من يتعلم الإسبانية الآن.

ومؤشر آخر على التحول هو الشعور بأن اللغة المتحول عنها ليست لغة جيدة جدا. وعندما سئلوا: أي اللغات الثلاث أكثر جمالا؟ قال أكثر من ٨٠٪: إنها تيوا. وقال واحد فقط: إن الإنجليزية هي الأكثر جمالا، أما البقية فقد اختارت إما تيوا والإنجليزية أو تيوا والإسبانية. ويشترك الأولاد أحاديو اللغة بهذا الشعور أيضا، ولم يقل أي من الستة: إنهم يريدون أن يصبح أبناؤهم متحدثين بالإنجليزية فقط. وقال اثنان: إنهم يرغبون في أن يصبح أولادهم ثنائيي لغة، ورغب اثنان في أن يعرف أولادهم الإسبانية بجانب تيوا والإنجليزية، بينما ذكر اثنان تيوا فقط كإجابة على هذا السؤال. وقال أربعة من الستة: إن تيوا هي اللغة الأجمل، بينما اختار الخامس كلا من تيوا والإنجليزية. أما الطفل السادس الذي لا يتحدث إلا لغة واحدة فهو الوحيد الذي ذكر أن الإنجليزية هي اللغة الأجمل. بجانب هذا، قال ثلاثة من الأولاد الستة الذين ذكروا أنهم لا يتحدثون إلا الإنجليزية فقط إنهم يستطيعون فهم تيوا.

وباختصار فإن الدليل من نتائج الاستبيان في الحقيقة غامض جدا. ويشير ما يلي بإمكانية التحول إلى الإنجليزية: (١) حقيقة أن ستة من الأولاد الأربعة والعشرين في أصغر العينات العمرية كانوا لا يتحدثون إلا الإنجليزية فقط، (٢) تظهر الحقيقة التي بينها جدول رقم (٨,٢) أنه يخاطَب على الأرجح المحاورون الأصغر سنا بالإنجليزية أكثر من مخاطبة الأكبر سنا، (٣) التوجه الضئيل لدى المتحدثين الأصغر سنا باستخدام كلتا اللغتين مع الآخرين أكثر مما يفعله الأكبر سنا، و(٤) توجه الأغلبية لاستخدام الإنجليزية فقط مع هنود التيوا الآخرين في حضرة الناس من خارج المجتمع. ومن جهة أخرى، لم يكن الارتباط بين العمر والموقع في الجدول رقم (٨,٢) كبيرا وذا دلالة إحصائيا. بالإضافة إلى ذلك، تتفق على الأقل أنماط معظم المتحدثين ممن

هم في عمر المراحل الأخيرة من المراهقة وبداية الشباب مع فرضية أن هناك توجها بين المتحدثين الأصغر سنا على الأقل لتقوية استخدامهم التيوا على حساب الإنجليزية. ولم يكن هناك أي متحدث للغتين يستخدم الإنجليزية فقط عند التحدث إلى أجنبي أو في وجود أجنبي، باستثناء حالتين قد تكونان خطأ في وضع العلامة على الاستبيان. ولم يكن هناك دليل على توجه عام للآباء نحو نقل الإنجليزية فقط لأبنائهم، بل على العكس قال جميعهم باستثناء واحد فقط: إنهم يريدون أولادهم أن يعرفوا تيوا، والغالبية العظمى منهم قالت: إن التيوا هي اللغة المحلية الأكثر جمالا، والكل باستثناء واحد فقط من البقية يعتقدون أنها على الأقل واحدة من اللغات الأكثر جمالا. وحتى الأولاد أحاديو اللغة ذكروا أنهم يودون أن يتعلم أولادهم التيوا، وجميعهم باستثناء واحد ذكروا بأن تيوا أجمل من الإنجليزية، أو أنها على الأقل مساوية لها في الجمال. وسنكون في وضع أفضل إذا لم نعلق أهمية كبيرة على إجابات السؤالين الأخيرين؛ لأنه ليس من غير الشائع أن يختلف سلوك الناس الحقيقي عن مواقفهم المعلنة. ولكن الدليل غير المباشر أكثر غموضا والبيانات المتوفرة لدينا عن هنود تيوا مثال على صعوبة التنبؤ بالإبقاء على اللغة أو التحول عنها.

ملخص ونتائج

الإبقاء على اللغة والتحول عنها هي نتائج جماعية طويلة المدى لأنماط مستمرة للاختيار اللغوي. ويسمى التحول اللغوي أحيانا بموت اللغة، خاصة إذا تكونت الجماعة المتحولة من الناس الوحيدين في العالم الذين يتحدثون تلك اللغة. ويدرس غالبا الإبقاء على اللغة أو التحول عنها بطرق تتبع علم الإنسان، أو علم الاجتماع. والأسلوب الذي يستخدمه علماء علم الإنسان واللسانيات الإنسانية هو ملاحظة المشارك، وأحيانا يُلحق هذا الأسلوب ببيانات مسح استبيانية. أما علماء الاجتماع

واللسانيات الاجتماعية فمن الغالب أن يستخدموا الإحصاءات السكانية أو بيانات مسح أخرى. ويجب توخي الحذر في تفسير هذا النوع من البيانات الرقمية، وهناك مشكلتان هما الهجرة والتقدم بالعمر.

وهناك إحساس بأن من الممكن الإجابة "بنعم" على سؤال ما إذا كان بالإمكان التنبؤ بالإبقاء أو التحول اللغوي. وسيحدث التحول اللغوي فقط وإلى المدى الذي يود به المجتمع التخلي عن هويته التي تميزه كجماعة اجتماعية ثقافية معروفة لصالح هوية تجعله فردا في مجتمع آخر. وفي الغالب يكون هذا المجتمع هو الجماعة الاجتماعية الأكبر التي تسيطر على المجتمع الذي تشكل فيه المجموعة الأولى أقلية. ولكن هذا لا يساعد كثيرا، لكنه في الواقع يساعد فقط في تأجيل المشكلة. والآن يجب أن نكون قادرين على التنبؤ بالوقت المحتمل الذي يريد المجتمع فيه حدوث هذا النوع من التغيير في الهوية. وهذا التنبؤ في الأرجح مستحيل، على الأقل في الوقت الراهن. فهناك جماعات أبقت على لغتها وهويتها العرقية تحت الظروف الاجتماعية والاقتصادية نفسها التي أغرت جماعة أخرى على التحول عن لغتها وهويتها. وحتى لو استطعنا تعريف تلك المجتمعات التي تمر بمرحلة تغيّر مفهومها عن نفسها، فإن التنبؤ بعيد المدى بالتحول اللغوي لا يزال نوعا من المجازفة بسبب عدم وجود ضمانات بأن إحساسهم بالهوية لن يسير بعد ذلك في اتجاه معاكس (وهذه احتمالية قائمة في مجتمع تيوا).

ولكن نستطيع على الأقل الإشارة إلى عدد من العلامات التي تدل على أن المجتمع يمر بعملية تحول لغوي في وقت معين. وإحدى العلامات التي تدل على أنه ليس هناك تحول في مرحلة التطور هي النزعة السائدة للإبقاء على الفرق "بيننا" و"بينهم"، أي بين من هم داخل المجموعة ومجموعة خارجية معينة. فاللغة في الغالب هي التي تركز على مفهوم "نحن" - "هم". فمثلا، تشير جماعة الأيمش في بنسلفانيا وفي أماكن أخرى، والذين حافظوا لقرون على الألمانية المحكية في بنسلفانيا في

الولايات المتحدة، إلى جيرانهم ممن يتحدثون الإنجليزية فقط بأنهم "الشعب الإنجليزي"، وكتبت مدرسة، في مدرسة أبرشية تابعة لجماعة أيمش، على الاستبيان عن الاستخدام اللغوي بأنها استخدمت الإنجليزية فقط في المدرسة وعندما كانت تتحدث إلى "الشعب الإنجليزي". وذكر هوفينز Huffines (١٩٨٠م، ص ٤٧) استخدام المصطلحات ذاتها. وبالطبع فليس المقصود هنا المواطنين من إنجلترا، وإنما ببساطة الأمريكيون الذين يمكن وصفهم بأنهم يتحدثون الإنجليزية. واستخدام مماثل لتسمية "ألماني" يستخدمها الفلاحون الذين يتكلمون المجرية في أوبروارت (غال ١٩٧٩ : ١٠٧): "غالبا ما يقول الآباء الفلاحون عن أبنائهم الذين توظفوا في مكاتب وأعمال تجارية ويقصدون المقاهي والحوانيت في وسط المدينة إنهم أصبحوا "U ma egiz nimet" أي أصبح هو أو هي ألمانيا تماما". وهذا لا يشير إلى جنسياتهم والتي دائما ما تذكر بأنها نمساوية، أو إلى قدراتهم اللغوية؛ لأنهم ثنائيو لغة وغالبا ما يتحدثون المجرية والهنغارية في المنزل، ولكنها تشير إلى العلاقة الرمزية القريبة بين الوظائف التي يعمل بها أبناؤهم، والمنزلة، واللغة الألمانية."

وثنائية اللغة مطلب سابق تقريبا على التحول اللغوي، ولكن هناك العديد من المجتمعات ثنائية اللغة مستقر تماما. وقد يكون أول علامة للتحول هو بدء استخدام لغة في مواضع كانت في السابق مخصصة للغة الأقدم. وقد يظهر هذا مثلا في مقياس تضميني مشابه للذي عملته غال. وسيتضمن المقياس لمجتمع متحول المحاورين أو المجالات المميزة جدا للمجتمع التقليدي في إحدى النهايات حيث يوجد الاستخدام الأكثر للغة التقليدية ويوجد في النهاية الأخرى المحاورون أو المجالات المرتبطة بالمجتمع الآخر. وسيستخدم المتحدثون الأكبر سنا اللغة التقليدية في معظم الظروف، بينما يدفع المتحدثون الأصغر سنا باللغة الجديدة إلى الاستخدام في معظم المجالات. ويجب تفسير نمط كهذا بحذر شديد. أولا قد يكون هناك أنماط "منحرفة" تشير إلى نقيض

التوجه، وثانيا ، قد لا يكون التوزيع بحسب العمر أحد مظاهر التغير ، ولكن قد يعكس تغيرات في الاستخدام اللغوي من فترة في حياة الإنسان إلى فترة أخرى.

وللمراحل المتأخرة من التحول عدد من المميزات. أولا ، قد تعتبر اللغة المتحول عنها أدنى من اللغة القادمة. ليس هذا فحسب، ولكنها قد تعتبر أيضا أدنى من ضرب أو أكثر من ضروب اللغة نفسها- أما ضرب اللغة النموذجية المكتوبة أو ضروب اللغة المحكية في المجتمعات التي حافظت على اللغة أو كلتيهما معا. وسيكون هناك أيضا اقتراض غير متوازن -تقترض كلمات من اللغة الجديدة بحرية وتَدْخُل اللغة التقليدية، ولكن الاقتراض في الاتجاه المعاكس أقل شيوعا. وإذا كان الدين أحد الأمور التي تختلف فيها المجموعة المتحولة عن المجتمع الآخر، فإن التحول سيكتمل تقريبا عندما تمارس الشعائر الدينية باستخدام اللغة الجديدة. وبالطبع فإن العلامة الواضحة لمراحل التحول الأخيرة هي عندما ينقل الآباء ثنائيو اللغة اللغةَ الجديدة فقط إلى أبنائهم.[٢٢]

وبأخذ المنظور الأوسع، فهناك ظروف معينة كبيرة اجتماعية اقتصادية تشجع التحول، ولكنها لا تضمن حدوثه. فالناس الذين يعيشون في المراكز الحضرية الصناعية أو التجارية إذا كانوا من متحدثي لغة المجموعة الصغيرة هم في الغالب من سيتحولون أكثر من غيرهم إلى اللغة الأكثر تداولا. أما الناس الذين يعيشون في مناطق معزولة جغرافيا أو يعملون في الزراعة ففرصتهم في المحافظة على لغة الأقلية أكبر.[٢٣] ويبدو أن تحسن وسائل النقل والاتصال في مراكز الثقافة المرتبطة باللغة الجديدة سيشجع على التحول، كما يفعل تدفق الناس من المجموعة الأكبر، ولكن هذه العوامل الكبيرة هي شروط فقط يمكن لها أن تتسبب في أن يقوم مجتمع ما بتعريف نفسه كجزء من المجموعة الجديدة أو الأكبر. وأفضل طريقة لاكتشاف ما إذا كان التحول اللغوي في الواقع في طور التطور الآن هو بحث إثنوغرافي يتعامل مع المجتمعات

الكلامية الواحد تلو الآخر.

ودراسة ليبرسون (١٩٧٢) الديموغرافية لثنائية اللغة في الفرنسية والإنجليزية في مونتريال هي حالة واضحة لثنائية اللغة الثابتة. فبالرغم من حقيقة وجود تغيير نمطي في عدد المتحدثين للغتين بحسب العمر، فإن هذه الأنماط ليست دليلا على تحول من خلال الوقت، ولكنها حالة من التقدم بالعمر. فيستخدم متحدثو الفرنسية الكنديون في مونتريال الإنجليزية فقط عندما يتطلب استخدامَها مجالٌ معين، كالتوظيف مثلا، ولكنهم سيتركون استخدامها بالتأكيد حالما ينتهون من العمل ضمن ذلك المجال، مثلا بعد التقاعد. على أية حال، فليس هناك توجه على الإطلاق لنقل اللغة الإنجليزية إلى أبنائهم، ولكن على العكس من ذلك، فالغالبية العظمى من الأولاد، ممن هم في سن أصغر من سن الذهاب إلى المدارس، أحاديون باللغة الفرنسية فقط.

وتشير دراسة هنود تيوا في نيو مكسيكو على أساس بيانات استبيان غير كاملة إلى أن الهنود قد حافظوا على لغة تيوا لمدة تجاوزت القرن الماضي أو ما يقارب ذلك، بينما تحولت اللغة العليا للمجتمع من الإسبانية إلى الإنجليزية. وتقترح البيانات بشكل ما أن التحول من تيوا إلى الإنجليزية ربما قد بدأ، ولكن تقترح مؤشرات أخرى عدم وجود تحول الآن، أو حتى وجود تغير عكسي حاليا من أنماط تحول إلى أنماط محافظة وإبقاء. على كل حال، فمن المستحيل، دون معرفة عميقة بقيم المجتمع المرتبطة باللغة أو على الأقل وجود بيانات مسح جيدة، القول بما إذا كنا نتوقع إبقاءَ على اللغة أو تحولا عنها في المستقبل.

هوامش كمراجع إضافية

بغض النظر عن المراجع التي وردت في هذا الفصل، هناك دراسات حديثة حول الإبقاء والتحول اللغويين، منها: دراسة أدلر (١٩٧٧) وجونز (١٩٧٩)

(بالإضافة إلى لويس ١٩٧٨) على اللغة الويليزية، وأغنيو (١٩٨١) على السويدية والفنلندية، وكتاب وجسون دي كتاب (١٩٧٩) على جماعة الأمريكان الأصليين، وبيريز ألونسو (١٩٧٩) على لغة الكلاتلان في إسبانيا، وو ود (١٩٨٠) على الفلاندريين الفرنسيين. وويكسلر (١٩٨١) هي في جزء منها دراسة عن الإبقاء والتحول في المجموعات السكانية للأقليات اليهودية. وفيشمان (١٩٧٦) وفيشمان وآخرون (١٩٧٧) هما دراستان عن الانتشار العالمي للإنجليزية كحالة من التحول اللغوي. ودراسة كوبر (١٩٨٢) هي مجموعة من المقالات عن انتشار اللغة كظاهرة عالمية.

هوامش

(١) القول بأن تحليل المجال هو "طريقة أخرى لقول الشيء نفسه" كازدواجية اللغة يتضمن أن المجالات دائما تنظم على طول متصل من اللغة الأعلى إلى اللغة الدنيا. ويبدو هذا لي صحيحا، ولكنني لاحظت أن بعض المختصين باللسانيات الاجتماعية قد لا يوافقون على هذا.

(٢) نوقش في الجزء الثاني من هذا الكتاب الاختلاط، وهو نشوء لغات "بسيطة" تحت ظروف لسانية اجتماعية معينة.

(٣) من الدراسات الكلاسيكية في الحقل مجموعة دراسات فيشمن (١٩٦٦) عن الولاء اللغوي بين مجموعات المهاجرين في الولايات المتحدة. فمعظم الدراسات السابقة للتحول والإبقاء اللغويين تعاملت مع المهاجرين.

(٤) بالرغم من أن بعض البالغين الممثلين في الجدول رقم (٧،٥) قد ذكروا أنهم

يستخدمون الألمانية فقط مع "أبنائهم وأبناء جيلهم"، فحتى أصغر فرد في العينة قد ذكر أنه يستخدم الهنغارية فقط على الأقل في الصلوات والترانيم، واستخدام كلتا اللغتين على الأقل مع الأجداد وكبار السن. والشيء نفسه ينطبق على المتحدثين من الرجال في الجدول المشابه (غال ١٩٧٩، ص ١٢٢). وهذا يعني أنهم يعرفون كلا من الهنغارية والألمانية على حد سواء.

(٥) أوصي كثيرا القراء المهتمين باختلافات الاختيار اللغوي المتعلقة بالجنس بالاطلاع على غال (١٩٧٨ أ) كما أوصي به كل من يهوى قراءة عمل إثنوغرافي جيد عن الاتصال. وتقدم غال تحليلا عميقا ومقنعا كليا عن سبب كون النساء في أوبروارت هن اللائي يقدن التحول إلى الألمانية وأسلوب حياة العمل غير الزراعي. بالرغم من أنه من غير الواضح مدى تعميم تحليلها لحالات أخرى، فإنه أكثر تحليل مقنع على الإطلاق للاختلافات اللغوية بسبب الجنس على حد علمي.

(٦) لا يحدث هذا إذا كان متحدث الإنجليزية فقط يستمع للحديث من بعيد. وهذا يتضارب مع ما رأيناه في الفصل السابع عن القاعدة الثقافية في أوبروارت.

(٧) لم تحاول دوريان وصف أي نوع من أعضاء المجتمع الصغير الذي من المحتمل أن يستخدم الغيلية أو يخاطب بها، ولكن من غير المحتمل أن يكونوا هم الأشخاص الذين يعتبرون أكثر الأفراد التزاما بمجتمع الصيد، وهذا يشبه حالة أوبروارت.

(٨) كان النظام المستخدم هو أن يسلم كل ولد قطعة من الخشب تسمى بالقطعة الخشبية الصغيرة إلى ولد آخر عندما يسمعه يتكلم اللغة الغيلية. وفي نهاية اليوم أعيدت القطعة الخشبية بالترتيب نفسه الذي مرت به عندما ضرب بها كل ولد في العملية. ذكر تيم (١٩٨٠م، ص ٣٠) أن هناك نظاما مشابها جدا لهذا

يستخدم في إقليم برتياني شمال غرب فرنسا ضد الأولاد الذين يسمعون وهم يتحدثون لغة بريتون التابعة لإقليم بريناني في المدرسة.

(٩) بمعنى آخر، بدأت ازدواجية اللغة في التسرب. وفي المجتمعات التي تمر بتحول لغوي يزداد التسرب من قطرات إلى سيل.

(١٠) كان الدين هو مجال المجتمع الصغير في بريتاني كما هو الحال في شرق سانرلاند وكانت لغة بريتون وحتى وقت قريب جدا هي اللغة الدنيا المستخدمة (درسلر ودواك ليودلتر ١٩٧٧م، تيم ١٩٨٠م). وكان دين المجتمع الصغير هو الكاثوليكية، وهو دين معظم أفراد المجتمع الفرنسي الأكبر. ولولا ضيق المساحة هنا لكان من السهل إظهار كيف أن التحول من بريتون إلى الفرنسية يوازي حالات شرق سانرلاند وأوبروارت.

(١١) كان هناك العديد من الافتراضات لتفسير البيانات في الشكل رقم (٨.١). فقد افتُرض أن جميع ثنائيي اللغة هم متحدثون للفرنسية كلغة أم، وأن اللغة الثانية هي الإنجليزية فقط. والافتراض الثاني صادق فيما يخص بيانات الإحصاء السكاني، حيث كان السؤال يتعلق فقط بثنائية اللغة في اللغتين الرسميتين. وحتى يمكن حساب متحدث الفرنسية كلغة أم على أنه ثنائي لغة، فلا بد له من معرفة الإنجليزية. والافتراض الأول أبعد ما يكون عن الدقة، ولكن طالما أن متحدثي الفرنسية كلغة أم هم الأغلبية في مونتريال وطالما أن متحدثي الفرنسية كلغة أم هم في الغالب من ثنائيي اللغة أكثر من متحدثي الإنجليزية كلغة أم، فإن أي اتجاه في مجتمع متحدثي الفرنسية سيظهر بالتأكيد في بيانات المدينة ككل.

(١٢) يجب توخي الحذر أيضا عند تفسير ما نسميه "بمجموعة العمر الحقيقي". ماذا يعني حقا أن النسبة المئوية لتلك المجموعة من عمر ٠ - ٤ تمثل المقيمين في

مونتريال في تلك المجموعة العمرية في عام ١٩٤١م، والنسبة المئوية لمجموعة من عمر ١٠- ١٤ تمثل عينة كل من كان في ذلك السن يعيش في مونتريال عام ١٩٥١م. فقد لا يكون الناس هم نفس الناس. ولكن ليس من الواجب أن يكون الأفراد هم أنفسهم طالما أن العينتين قد أخذتا من مجموعات لها الخصائص الديموغرافية نفسها. وكان ليبرسون مقتنعا بعد تحليل دقيق للبيانات بأن التفسير الذي قدمناه عن المجموعات العمرية هو تفسير صادق (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ليبرسون ١٩٧٢م، ص ص ٢٥١-٢٥٢).

(١٣) يعتقد ليبرسون (١٩٧٢، ص٢٥٠) أن ثنائيي اللغة ينسون اللغة الإنجليزية عندما لا تكون قيد الاستخدام، كما ينسى الناس علم الجبر بعد مغادرة المدرسة إذا توقفوا عن استخدامه. ولكن تعلم اللغة يشبه تعلم ركوب الدراجة أكثر من تعلم الجبر، وفي رأيي أن التركيز يجب أن يكون على التوجه نحو التصريح بالثنائية اللغوية بدلا من أن يكون على الفقدان الفعلي للكفاءة باللغتين. الفرد المتقاعد قد يستمر في القدرة على تحدث الإنجليزية ولكن طالما أنه في منزلة لا تتطلب منه تقديم نفسه على أنه يعرف الإنجليزية لذا فلن يصرح بمعرفته بها.

(١٤) أنا ممتن لديفيد وأليس هل David & Alice Hull لتوزيع الاستبيان وجمعه، وكذلك لمساعدتهم القيّمة على إعداده.

(١٥) عملت أيضا غال (١٩٧٩م، ص ص ٢٦، ١٣٤) مقابلات شخصية مع ثمانية وأربعين فردا من مجتمع متحدثي الهنغارية في أوبروارت البالغ عدده نحو ١٥٠٠ فرد. ولكن المقارنة ليست عادلة تماما طالما أنها قد شاهدت عن قرب المجتمع ككل لفترة طويلة من الزمن، كما أنها كانت تعرف أفراد عينتها شخصيا، وكذلك قامت بمقابلات شخصية عميقة معهم بدلا من أن تقوم

ببساطة بتوزيع استيبان فقط.

(١٦) منطقة تاوس الشبيه بمجتمعات متعددة اللغة ناقشها هذا الكتاب أكثر من معظم المناطق في الولايات المتحدة . وبجانب هنود تيوا، هناك مجتمع التشيكانو الذين يستخدمون الإسبانية بكثرة، والإنجليزية هي اللغة الرسمية، وهي لغة التعليم، كما أنها لغة المجتمع الإنجليزي ولغة الاتصال بين الجماعات.

(١٧) حذفت بعض الإشارات القليلة لاستخدام الإسبانية.

(١٨) موازنة النسبة إلى نسبة العناصر في المكان المناسب مقياس غير دقيق لقياس الموازنة، ولكنه القياس الشائع الاستخدام. وقد حسبت موازنة النسبة للجدول رقم (٨,٢) على أساس الأعمدة من ١ إلى ٦ فقط. وبسبب عدم وجود تباين في العمود ٧ لم يكن ممكنا وجود انحراف.

(١٩) أثرت الفراغات بين المجموعات العمرية على مصداقية إحصاء سبيرمان في هذه الحالة. وكنتيجة لذلك فقد عومل الفرق بين متحدث عمره ٤٤ سنة ومتحدثين أعمارهم ٦٥ سنة، وهم في المجموعة العمرية التالية، بالأسلوب نفسه الذي نعالج به الفرق بين متحدثين أعمارهم ١٣ و ١٤ سنة. وقد يعني استخدام اختيار بيرسون أن المواضع في الجدول رقم (٨,٢) قد عوملت على أنها بيانات فاصلة، وسيكون خطأ فادحا التعامل معها على أنها بيانات ترتيبية.

(٢٠) وجدت غال كما يبين جدول رقم (٧,٥) الترتيب نفسه في أوبروارت حيث: إن "الإخوة والأخوات" أقرب إلى نهاية المتصل الألماني منه إلى "الأصدقاء من العمر نفسه والجيران".

(٢١) أنا ممتن لتاكاشي ناقاتا Takashi Nagata لهذه الإعادة المدهشة لجدولة بيانات تيو بحسب العمر.

(٢٢) ذكر تابورات كيلر (١٩٧٢) Tabouret Keller تباينا شيقا لهذا النمط لمنطقة بيزي آوك Pays d' Oc في فرنسا. حيث كان هناك تحول كامل تقريبا من اللغة المحلية باتوا إلى الفرنسية. فالأولاد يتعلمون الفرنسية أولاً ثم يتعلم العديد منهم اللغة المحلية باتوا فيما بعد. وسبب ذلك أن من المعتاد فصل الأولاد عن البالغين في بعض المواضع (مثلا الوجبات العائلية) حتى يبلغوا سن عشر سنوات. ومن الواضح أن البالغين ثنائيي اللغة يتحدثون الفرنسية فقط مع الأولاد الصغار، ولكنهم يستخدمون كلتا اللغتين مع بعضهم. وعندما تبدأ معاملة الأولاد كالبالغين، فتكون لديهم فرصة تعلم اللغة المحلية باتوا، ولكنه حتى هذا التعلم المتأخر نسبيا للغة المجتمع الصغير في طريقه إلى الزوال.

(٢٣) من الواضح أن مقاييس التحضر والمقاييس المشابهة ليست مُنْبئا جيدا عن التباين اللغوي لكل الدولة، كما أشار لذلك ليبرسون ودالتو وهونستون (١٩٧٥) وكما رأينا في الفصل الخامس.

الأهداف

١- أن يستطيع كتابة تعاريف للإبقاء والتحول اللغويين.

٢- أن يستطيع معرفة وجهي الموت اللغوي اللذين اهتم بهما اللغويون.

٣- أن يستطيع التعرف على الفروق في المنهجية لدراسة الإبقاء والتحول اللغويين من قبل المختصين بعلم الإنسان مقارنة مع المختصين بعلم الاجتماع.

٤- أن يستطيع شرح كيف أن التقدم بالعمر قد يعقد تفسير بيانات الإحصاء لمرة واحدة في دراسة الإبقاء والتحول اللغويين.

٥- أن يستطيع ملاحظة النوع الوحيد المسبب للإبقاء والتحول الذي يأتي من تحليل بيانات المسح والتعداد.

٦- أن يستطيع تعريف العلاقة بين ثنائية اللغة والأجيال الإنسانية لإمكانية التحول اللغوي.

٧- أن يستطيع ذكر أي من الأسباب الثلاثة شائعة الذكر للتحول اللغوي التي ذكرت في الدوافع نحو التحول اللغوي.

٨- أن يستطيع القول إلى أي مدى يعتقد المختصون بالتحول اللغوي أنهم قادرون على التنبؤ متى سيحدث التحول من لغة إلى أخرى.

٩- أن يستطيع ذكر ما إذا كانت الثنائية اللغوية للأغلبية في أويروارت قد وجدت قبل أن يبدأ التحول، أو أنها قد وجدت قبل مباشرة التحول بوقت قصير.

١٠- أن يستطيع التعرف على العامل الاجتماعي الاقتصادي السطحي وعامل الهوية الاجتماعية الناتج الذي عمل في التحول اللغوي في أويروارت.

١١- أن يشرح كيف أن هوية الفلاحين وأنماط الزواج قد عملت مع بعضها ضد الإبقاء على الهنغارية.

١٢- أن يعرف اللغة التي أصر أفراد مجتمع الهنغارية في أويروارت على استخدامها كلغة تعليم، واللغة وأشكالها التي يفضلونها في الطقوس الدينية الكنسية.

١٣- أن يستطيع التعرف على العاملين اللغويين اللذين أثرا على التحول المذكور.

١٤- أن يستطيع تسمية آخر جماعة اجتماعية اقتصادية أبقت على اللغة الغيلية في شرق ساذرلاند.

١٥- أن يتعرف على مظاهر حالة التحول اللغوي في شرق سوذرلاند التي تشبه حالة أويروارت وتلك التي تختلف عنها.

١٦- أن يستطيع معرفة مصدر البيانات التي استخدمها ليبرسون في دراسته عن الإبقاء اللغوي في مونتريال.

١٧- أن يتعرف على الميزتين الموجودتين في طريقة ليبرسون بالرغم من أنها ليست مقنعة كدراسات غال ودوريان.

١٨- أن يستطيع تسمية المطلب السابق للتحول إلى الإنجليزية الموجودة في مونتريال.

١٩- أن يستطيع الاستشهاد بالدليل على الإبقاء على الفرنسية استناداً إلى مقارنة اللغة الأصلية للنساء ممن في سن الإنجاب مع الأولاد الأصغر سناً.

٢٠- أن يستطيع ملاحظة وصف نمط ثنائية اللغة بحسب المجموعة العمرية في الشكل رقم (٨،٢).

٢١- أن يستطيع معرفة تفسير ليبرسون لبياناته فيما يخص مجال التوظيف.

٢٢- أن يستطيع ذكر الحقيقة بأن دراسة المجموعة العمرية قد أظهرت تاريخ اللغة العليا في مجتمع تيوا.

٢٣- أن يستطيع معرفة ما يتضمنه عمر المخاطب إليه الذي بينه الجدول رقم (٨،٢) والقول بما إذا كان هذا النمط مشابها لنمط التحول في أوبروارت أم لا.

٢٤- أن يستطيع ذكر نمط الاستخدام اللغوي المبني على عمر المتحدث في مجتمع تيوا باستخدام البيانات في جدول رقم (٨،٢).

٢٥- أن يستطيع إعطاء تفسير ممكن لنمط عمر المخاطب إليه، وإن كان صحيحا سيعني أن ليس لهذا النمط أي تأثير على طبيعته سواء كان يظهر قيمة ثقافية أم لا.

٢٦- أن يستطيع معرفة "الانحرافات" الظاهرة من النمط السائد في الجدول رقم (٨،٢) والتي تشير إلى أنه قد يكون هناك مجموعة من الشباب الهنود في تيوا الذين يعيدون تأكيد لغة التيوا كرمز لهوية المجموعة.

٢٧- أن يستطيع معرفة وصف الدليل على التبديل اللغوي بين الأجيال في مجتمع تيوا.

٢٨- أن يستطيع معرفة خلاصة فاسولد حول ما إذا كان مجتمع تيوا في طريقه للتحول إلى الإنجليزية أو الإبقاء على تيوا.

الفصل التاسع

التخطيط والتقييس اللغويان

هناك حقيقة أساسية تتعلق باللغة، وهي أنها دائما في تغيّر مستمر. هناك طيف كامل من التنوعات اللغوية في العالم يبدأ من التنوعات الأسلوبية المحضة داخل اللهجة الواحدة ليصل إلى اللغات المنفصلة التي لها نظم مختلفة جوهريا للنطق والقواعد. ليس هناك تغير في تركيب اللغة فحسب، ولكن في استخدامها. فكما نعلم لا يستخدم المتحدثون الضروب اللغوية نفسها لجميع الأغراض، فقد يتحولون من استخدام لغة أو لهجة أو أسلوب واحد في مجال خاص إلى استخدام غيرها في مجالات أخرى. وقد يرفض مجتمع كلامي ما نقل لغة من لغات المجتمع التقليدية إلى الأجيال القادمة مما يؤدي إلى زوالها وموتها على الأقل ضمن ذلك المجتمع. وهذا يعني أن لدى المتحدثين دائما بدائل متاحة أمامهم، فهم في حالة اختيار دائم بين الضروب اللغوية المختلفة أو بين البدائل الموجودة ضمن نظام لغوي ما. فوجود البدائل يجعل عملية التخطيط أمرا ممكنا، وعليه ينظر إلى تخطيط اللغة عادة على أنه اختيار واضح بين البدائل. وهذا بدوره يتضمن وجد تقييم للبدائل ووجود تقييم للتي اختيرت على أنها الأفضل (جرنود ١٩٧١، ص ١٧، هوغن ١٩٦٦ب: ص٥٢). تم القيام بمحاولة لتوضيح أن البديل الذي اختير يفوق الاحتمالات الأخرى.

أنواع الاختيارات

على الرغم من المبالغة في التبسيط إلا أنه من الأنسب تقسيم أنواع الاختيارات

إلى صنفين شاملين. وقد سُمِّيَ هذان الصنفان بعدة طرق. على سبيل المثال، يتحدث نيوستوبني (١٩٧٠، ص ٤) عن اتجاه السياسة واتجاه التهذيب (الصقل). يشير اتجاه السياسة، من بين الأشياء الأخرى، إلى اختيار لغة قومية أو انتقاء لهجة لجعلها لغة نموذجية، كما يشير هذا الاتجاه إلى حل المشاكل المتعلقة بعلم الكتابة. يشتمل اتجاه التهذيب على اعتبارات الأسلوب والصوابية. وهناك تمييز مشابه ولكنه ليس متماثلا تماما نادى به جيرنود (١٩٧٣: ١٦-١٧) يتحدث عن تحديد اللغة وارتقائها. يعني تحديد اللغة انتقاء خيارات كبيرة الحجم من اللغات وذلك لاستخدامها لأغراض محددة. فإذا قررت أمة ما أن لغة معينة سوف تُستخدم كلغة رسمية أو ستُستخدم كوسيلة للتعليم في المدارس الابتدائية، فإن هذا مثال على تحديد اللغة. في حين يشير مصطلح ارتقاء اللغة بمفهومه الواسع إلى اختيار والبدائل وترقيتها ضمن لغة ما. فإذا ذكر كتاب قواعد ذو قبول واسع أن زمن المضارع التام في اللغة الإنجليزية يُستخدم بشكل صحيح مع الظروف الزمنية مثل "سابقا" already و"حتى الآن" yet، ولكن الماضي البسيط يختلف عن ذلك، فهذا إذن يعتبر نوعا واحدا من اختيار ارتقاء اللغة. فكما بحثت عن كلمة في قاموس لكي تجد الهجاء الصحيح لها ، فإنك تعود إلى قرار الارتقاء اللغوي لمرجع موثوق. وبشكل تقريبي فإن "تطور اللغة" يعني عند جيرنود شيئا مماثلا لجزء من عنوان هذا الفصل، ألا وهو "التقييس اللغوي". ويتوازى عنده "تحديد اللغة" مع تخطيطها، ولكن فقط بالمعنى الضيق. ولكن من المناسب على مستوى أكثر شمولا تضمين التقييس اللغوي أو تطور اللغة كنوع من أنواع تخطيط اللغة.

تحديد اللغة

من المحتمل أن تكون القضية اللغوية الأكثر أهمية فيما يتعلق بتحديد اللغة في العالم هي اختيار اللغات القومية. وعندما أقول "اللغة القومية" فإنني أشير بذلك إلى

تعريف فيشمن للقومية والذي ناقشناه في الفصل الأول. فاللغة القومية هي أكثر من مجرد لغة الحكومة أو لغة التعليم، بل هي رمز لهوية الناس كمواطنين في تلك الأمة. هناك مشكلة مهمة تتعلق باختيار اللغة القومية وهي التواصل (هوغن ١٩٦٦ب: ٥٥، جيرنود وداس جوبتا ١٩٧١: ٢٠٨). إذا كان كل واحد في الدولة يتكلم فعليا لغة شائعة مشتركة، فإن مسيرة حياة الأمة ستكون بالتأكيد أكثر سهولة. ولكن إذا كان التواصل هو الموضوع الوحيد، فإن أيرلندا لم تكن لتقطع تلك الأشواط البعيدة كما فعلت حقا؛ لكي تعيد اللغة الغيلية الأيرلندية كلغة قومية لها (وهي حالة سوف تناقش بالتفصيل في الفصل العاشر). لم تكن الرغبة في تحسين الاتصال هي التي دفعت إيفار آسن لمحاولة تطوير لغة قومية موثقة في النرويج عندما كان لدى الدولة بالفعل معيار لغوي وحيد في شكل اللغة الدينونرويجية التي تسمى بوكمال (هوغن ١٩٥٩، ١٩٦٦ب). فمن الخطأ أن نفكر في تحديد اللغة القومية فقط وفق شروط التواصل[1].

ومن الخطأ أيضا أن نفكر في تخطيط اللغة للغات القومية فقط بالنظر للدول التي تشكل أمة. ففي جميع أنحاء العالم، هناك قوميات ليس لديها سيطرة سياسية على مناطقها التي تُبذل فيها جهود التخطيط للحفاظ على اللغات التي ترمز إلى قوميتهم. وليس لدى القوميات الفرعية السلطة التي لدى الأمم تحديد أي اللغات ستستخدم في التعليم العام أو في الخدمة المدنية أو العسكرية. ومع ذلك، فإن هذا لا يمنعهم من استخدام الوسائل التي يمتلكونها لمصلحة لغاتهم القومية. يورد جريفن (١٩٨٠) مثالا موثقا على التعقيدات التي يمكن أن تظهر في جهود تخطيط اللغة من خلال القومية الفرعية، وفي هذه الحالة فإنهم يمثلون الويلزيين.

ربما لا تكون اللغة القومية في بعض الحالات كافية لتنفيذ كل الوظائف رفيعة المستوى. تخدم اللغات القومية وظائف التوحيد والانفصال عند جارفن وماثيوت

(١٩٥٦)، ومـع هـذا فـإن بعـض الأنشـطة البشـرية يتطلـب مـا يدعـو إليـه جـارفين (١٩٧٣ : ٣٠-٣١) وهـو وظيفـة المشـاركة. تشـير وظيفـة المشـاركة إلى المشاركة في التطورات الثقافية على مستوى العالم مثل العلوم والتكنولوجيا والتجارة الدوليـة والدبلوماسـية. وحيـث إن وظـائف الانفصـال والمشـاركة تعـارض بعضـها (تشتمل وظيفة الانفصال على شعور بالتميز والتفرقة عن الأمم الأخرى في العالم، في حين تشتمل وظيفة المشاركة على درجة من الوحدة الدولية)، فلن تستطيع كل دولة أن تستخدم اللغة نفسها لكلتا الوظيفتين. أحد الأمثلة على ذلك يمكن أن تكون دولـة تنزانيـا حيـث أن اللغـة السـواحيلية هـي اللغـة القوميـة الناشـئة، ولكـن مـن المحتـم الإبقـاء علـى اللغـة الإنجليزيـة مـن أجـل أغـراض المشـاركة وفقـا لمنظـور جارفين.

تطور اللغة

إذا استخدمنا تشبيها سطحيا وقارنـا بين عملية تحديد اللغة واختيار الشخص لنوع وموديل سيارة جديدة، فإن تطور اللغة هو مثل إجراء التعديلات الجمركية على هذه السيارة الجديدة (أو ربما تكـون سـيارة قديمـة لديـك سـابقا). يـرى فيرجسـون (١٩٦٨) ثلاث فئات لتطور اللغة: (١) الكتابة، (٢) التقييس، (٣) التحديث. تعني الكتابة تبني نظام للكتابة وتأسيس قواعد الهجاء والمبادىء الكتابية الأخرى مثل تكبير الحروف وعلامات الترقيم.[٢] أما التقييس بالنسبة لفيرجسـون (١٩٦٨ : ٣١) فـهو "عملية أن يصبح ضرب لغوي ما مقبولا على نطاق واسع في المجتمع الكلامي الذي يتحدث به باعتباره أكثر اللهجات معيارية و"أفضل" شكل من أشكال اللغة ويأتي في مرتبة أعلى من اللهجات الإقليمية والاجتماعية".[٣] أما بالنسبة للتحديث فيقصد فيرجسـون "أن تصبـح اللغـة مسـاوية للغـات المتطـورة الأخـرى كوسـيلة للتواصـل"

(فيرجسون ١٩٦٨ : ٣٢).

وهذا التعريف للتحديث هو مفهوم يحذر منه العديد من اللغويين ؛ لأنه ببساطة ينص على أن هناك لغات غير متطورة (متخلفة) ولا تساوي اللغات المتطورة كوسيلة للتواصل. فهناك إجماع في الرأي في مجال اللغويات على أن نظم النطق والقواعد الأساسية لأي لغة طبيعية كاف لإتاحة الفرصة لأي متحدث لهذه اللغة لكي يعبر عن أي شيء. بالطبع هناك بعض اللغات التي قد تفتقر إلى بعض المفردات للتعبير عن أشياء محددة، ولكن من السهل إلى حد ما تصحيح هذا الأمر من خلال إضافة مفردات جديدة إليها سواء عن طريق نحتها أو اقتراضها من لغات أخرى. وبالفعل فإن تطور المفردات هو أحد الأمور التي كانت تدور في ذهن فيرجسون فيما يتعلق بعملية التحديث. فلكي تحدُّث اللغة لا بد أن تخضع اللغة المتطورة لتوسع في معجمها. ولكنه أيضا يشير إلى "تطوير أساليب وأشكال جديدة للحديث" (فيرجسون ١٩٦٨ : ٣٢). يستخدم جارفين (١٩٧٣ : ٢٧) مصطلح "العقلانية" والذي يرى أنه "يقابل تقريبا" مصطلح "التحديث" عند فيرجسون. ولمصطلح العقلانية وجهان: وجه معجمي ووجه نحوي (قواعدي). ويمكن وصف مميزات العقلانية القواعدية حسب ما يلي: "في القواعد، تتجسد العقلانية في تطوير أساليب صياغة الكلمات وتطوير الوسائل النحوية بحيث تسمح بتشكيل جمل مركبة محبوكة بشكل جيد ومتقنة بالإضافة إلى التوجه نحو إزالة كافة أشكال الحذف من التعابير عن طريق الطلب بإنشاء تراكيب كاملة". ويشك في وجود لغات يستحيل فيها وجود جمل مركبة على الرغم من أنها قد تأتي في بعض اللغات غير محبوكة بشكل جيد. وفي الواقع يبدو أن كل اللغات لا تحتوي على تراكيب العطف النسقي فحسب وإنما تحتوي أيضا على نظائر اللغة الطبيعية لروابط العطف المنطقية مثل "و"، "أو"، و"إذا" - إذن بالإضافة إلى الأساليب النحوية الأخرى للإتباع أيضا. يتحدث جارفين عن "إزالة" أشكال

الحذف في التعبير، فإذا كان بالإمكان إزالة أشكال الحذف في التعبير فإنه يبدو أن أشكال التعبير الكاملة البديلة المطلوبة من اللغة العقلانية موجودة في اللغة ما قبل العقلانية، ولكنها غير مستخدمة.

الأمثلة التي يقدمها فيرجسون عن "الصيغ الجديدة للحديث" هي التفقير والتعاقب المرتب والانتقال والملخصات والإحالة... وغيرها. من الواضح أن هذه المواضيع هي أمثلة على أساليب استخدام اللغة وليست تراكيب قواعدية يجب إضافتها إلى لغة ما. يبدو لي على الأقل أن التحديث عندما لا يشير إلى المفردات يتعلق باكتساب مهارة في استخدام الموارد اللغوية التي تمتلكها لغة ما بالفعل. ولتقديم تشبيه سطحي آخر، تخيل أن لدي آلة حاسبة قادرة على حساب جيب الزاوية وجيب التمام وظل الزاوية وتحويل القيم العادية إلى درجات ودقائق وثوان وتنفيذ وظائف أخرى لا أحتاج إليها ولا أعرف كيفية تنفيذها. إذا احتجت في أي وقت لاستخدام هذه القدرات، فإنني أحتاج فقط إلى أن أصبح أكثر مهارة في استخدام الآلة التي امتلكها بالفعل، ولا أحتاج إلى تعديلها أو شراء واحدة جديدة. أظن أن المقارنة بتحديث اللغة تنطبق هنا. على الأقل، فإنني لم أر على الإطلاق أي مثال بلغة ما يستدعي تقوية بنائها القواعدي بطريقة ما قبل إمكانية استخدامها للوظائف العالية.[٤]

حينما يتعلق الأمر بالتوسع في المفردات، فإنه لا يهم كثيراً عالم اللغة أن تأتي هذه المفردات الجديدة من لغات أخرى (عن طريق الاقتراض) أو أن تشكَّل من عناصر موجودة سابقا في اللغة.[٥] ومع هذا فإن الاقتراض مقابل النحت غالبا ما يصبح أمرا عاطفيا في الممارسة العملية. وفي الغالب ستحاول واسطة للتخطيط "تنقية اللغة" عن طريق استبدال الكلمات المقترضة من اللغات الأخرى بكلمات منحوتة جديدة. وحيث إن نحت الكلمات لا يتعارض مع ما يمكن لأعضاء المجتمع أن يكونوا مستعدين للقيام به، فمن المتوقع لهذا التوجه أن ينجح بشكل جيد. يذكر هوغن

(١٩٦٦ب: ٦٤) أن نحت كلمات جديدة بالنسبة لظواهر العقلانية تم بشكل ناجح تماما في استونيا ولتوانيا. ويرجع ذلك بالتأكيد إلى أن هذه الكلمات المنحوتة كانت مقبولة بشكل عام لمستخدمي هاتين اللغتين. لكن عندما تكون الكلمات المقترضة هي في الواقع قيد الاستخدام من قبل المتحدثين والكتاب بشكل منتظم، فإن محاولة التخلص منها من المحتمل أن تبوء بالفشل. كان لأتاتورك السيطرة الكاملة على الحكومة التركية ، كما أنه كان يرغب كثيرا في أن يتخلص من الكلمات المقترضة من اللغات العربية والفارسية وأن يزيلها من اللغة التركية ولكنه واجه معارضة شديدة فرضت عليه أن يحصر أهدافه في تخطيط المفردات. يعتبر إحياء اللغة العبرية في إسرائيل إحدى قصص النجاح العظيمة لتخطيط اللغة ، ولكن محاولة تنقية اللغة العبرية من الكلمات المقترضة من اللغات الأوروبية لم تكن لتشكل جزءا من هذا النجاح (موراج ١٩٥٩).

مفهومان من مفاهيم تخطيط اللغة

الطريقة الوسيلية

يتبنى معظم طلاب تخطيط اللغة إحدى وجهتي النظر التاليتين: *الطريقة الوسيلية أو الطريقة الاجتماعية اللغوية*. تنظر الطريقة الوسيلية إلى اللغة كأداة في الأساس (ويعتبر تاولي ١٩٦٨ أكثر المناصرين المعروفين لهذه الطريقة علما أن ري ١٩٦٣ و١٩٦٨ يتبنى الموقف نفسه إلى حد ما). وكما أن العمل سيكون أسهل للعمال الميكانيكيين إذا توافرت لديهم الأدوات الميكانيكية النموذجية ، فإن التواصل يصبح أسهل إذا قيِّست اللغة. فالمعايير الوحيدة التي يجب استخدامها في تقييس الأدوات الميكانيكية تتعلق بإمكانية جعل هذه الأدوات أكثر ملاءمة للمهمة المستخدمة من

أجلها، ومن خلال وجهة النظر هذه فإن الشيء نفسه ينطبق على تقييس اللغة. تعتبر بعض اللغات أفضل من بعضها الآخر في موازنتها بين الجمال والوضوح والمرونة والإيجاز، ويجب اختيار هذه اللغات بدلا من اللغات الأخرى الأقل كفاية كلما أمكن. وعندما يتعذر ذلك، يجب استخدام تخطيط اللغة لتحسين نوعية اللغات التي تفتقر إلى الكفاية. ومن سمات الطريقة الوسيلية أنها تعتبر بعض اللغات أفضل ذاتيا من اللغات الأخرى، كما تضع ثقة عظمى في الجهود الحثيثة لتحسين اللغات التي تفتقر إلى الكفاية. ولكن القيمة الرمزية للغة والمواقف اللغوية ليست من الأشياء التي تدخل في حسبان هذه الطريقة.(٦)

الطريقة الاجتماعية اللغوية

أسمّي هذه الطريقة الثانية بالطريقة الاجتماعية - اللغوية مبينا بوضوح الواصلة بين الكلمتين، وذلك لتأكيد أن هذه الطريقة تبدأ بإدراك المشكلة الاجتماعية المتعلقة باللغة. والعلماء وأصحاب هذا التوجه الفلسفي لا يحاولون تحسين المميزات الجمالية والوظيفية للغات كأدوات وسيلية، بل بدلا من ذلك ينظرون إلى اللغة كمصدر يمكن استخدامه في تحسين الحياة الاجتماعية. تحاول هذه الطريقة في ممارسة تخطيط اللغة تحديد البدائل اللغوية التي من الممكن أن تحسن الحالات الإشكالية. ومن ثَمّ تتَّخذ الخطوات المنظمة التي تحقق أفضل البدائل الكفيلة بإنجاح هذا التوجه. والعلماء أتباع هذا التقليد يشككون في فكرة الطريقة الوسيلية، وذلك من حيث إمكانيتها في تحديد العنصر الأكثر كفاءة في اللغة بالمعنى المطلق والتخطيط لذلك (فيرجسون ١٩٦٨، جيرنود وداس كوبتا ١٩٧١، وجيرنود ١٩٧٣ : ١٤، وروبن ٤ : ١٩٧٣). وكما يقول جيرنود (١٩٧٣ : ١٤) "إذا كان المجتمع يفتقر إلى وجود لغة مشتركة، فإن الأمر لا يهم كثيرا إذا كانت الجهود الأولى لإغلاق تلك الفجوة جميلة لغويا (بأي معنى

مطلق) أم لا". وأفضل حل هو الذي يعمل بشكل أفضل لتخفيف المشكلة الاجتماعية.

يتبنى العلماء الذين يعملون في هذا الإطار فكرة التخطيط بشكل جدي. يجب عند التعامل مع المشكلة الاجتماعية المتعلقة باللغة، كما في حالة التعامل مع المشاكل الاجتماعية بشكل عام، تنظيم الحقائق ومعرفة البدائل المتاحة وتقييمها وتصميم الخطوات وتنفيذها لتنفيذ الخطة بعناية، وإصدار الأحكام على مدى نجاح الخطة (روبن ١٩٧٩، ١٩٧٣، جيرنود ١٩٧٣، جيرنود وداس كوبتا ١٩٧١). هذه الدرجة من العناية في عملية التخطيط يشار إليها أحيانا باعتبارها فكرة مثالية نادرا ما تتحقق في الواقع الفعلي.

الاعتبارات العملية

من؟ وكيف؟

من:

لقد تعرفنا على شيء يتعلق بتخطيط اللغة وأنواع الاختيارات المتاحة في ذلك التخطيط، والاتجاهين الرئيسين الفلسفيين المتبعين في التخطيط. ويبدو من المنطقي أن ننظر إلى من يقوم بتخطيط اللغة وكيف يتم التنفيذ. إن الإجابة على السؤال "من يقوم بتخطيط اللغة؟" هو أمر مدهش إلى حد ما، حيث يمكن لأي شخص أن يقوم بذلك (هوغن ١٩٦٦ ب، ري ١٩٦٨، جيرنود ١٩٧٣، روبن ١٩٧٣). بالطبع فإن الحكومات تتمتع بوضع يمكنها من تخطيط ذلك على نطاق واسع (ولكن ليس بالضرورة أن تكون الأكثر نجاحا) خاصة فيما يتعلق بالقرارات التي تؤثر على اللغة. كان القرار الذي اتخذته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية منذ نحو عشرين عاما مضت والذي يتعلق بالسماح باستخدام اللغات الدارجة بدلا من اللغة اللاتينية وكذلك أيضا

التعديل الأخير في لغة الطقوس الدينية في كنيسة إنجلترا هي كلها أمثلة على تخطيط اللغة في المجال الديني. توجد في بعض الدول أكاديميات للغات، حيث يصدر الخبراء القرارات عن الاستخدام الصحيح للغاتهم. أما بالنسبة للعالم الذي يتحدث اللغة الإنجليزية فقد كان هناك مواطنان عاديان قاما بتأليف القواميس وكان لهما تأثير عميق على تقييس المعاني وهجاء الكلمات، وهما صامويل جونسون في إنجلترا ونوح وبستر في الولايات المتحدة الأمريكية .

في بدايات استعمال الطباعة، كان الأفراد الذين قرروا كيفية استخدام اللغة في الإصدارات الأولى هم السباقون إلى وضع الأسس التي أثرت إلى حد كبير على تحديد ما هو صحيح في اللغة المكتوبة ولفترات طويلة تالية. فإن ترجمة لوثر للإنجيل إلى اللغة الألمانية كانت واحدة من الأعمال الأولى التي صدرت على نطاق واسع وكان لها التأثير القوي على تقييس اللغة الألمانية. أما في النصف الآخر من القرن الخامس عشر، أحضر ويليام كاكستون واحدة من المطابع الأولى إلى إنجلترا من أوروبا واستخدمها لنشر مخطوطات متعددة. ومن خلال هذه العملية عمل كمحرر لكل شيء قام بنشره، وحاول اتخاذ قرارات متلازمة حول الأشكال المختلفة للقواعد والهجاء في المخطوطات التي استلمها. وبهذه الطريقة كان له تأثير قوي على عملية تقييس اللغة الإنجليزية أكثر مما كان يمكن أن يكون لغيره ممن عاشوا في فترة مختلفة (شاكلي ١٩٨٠ :٤٨). أما في هذا القرن الذي نعيشه وحتى هذا اليوم فإن الإرساليات التي تنفذ برامج محو الأمية في اللغات السابقة غير المكتوبة هم غالبا أناس قرروا كيفية كتابة هذه اللغات وقرروا اللهجات التي تُستخدم لأغراض الكتابة.(٧)

قدم جيرنود (١٩٧٣ : ١٨-١٩) القائمة المختصرة التالية لعوامل تخطيط اللغة إضافة إلى الحكومات:

١ - الوكالات الوطنية غير الحكومية على سبيل المثال، غرفة التجارة في

سنغافورة التي أعدت وأصدرت اختبارات لغة وكتيبا عن أسلوب اللغة للمراسلات التجارية بلغة المالاي.

٢ - الوكالات غير الوطنية وغير الحكومية، مثل شركة شل التي تقدم مجموعة المصطلحات الخاصة بالبترول في ماليزيا بلغة الملاي - وتؤثر على تطور اللغة في خطط التدريب وإعداد الموظفين.

٣ - وظيفة تنقيح ومراجعة الصحف اليومية.

٤ - المؤلف المستقل، أو كاتب الرسائل، أو حتى الخطيب المتحدث .

ويذهب جيرنود للتأمل فيما إذا كان من الملائم التحدث عن تخطيط اللغة في حين يحدد مدير مكتب ما الكلمات التي يمكن استخدامها وأي الكلمات التي لا يمكن استخدامها في المراسلات في مكتبه، أو عندما تتجادل مجموعة من طلبة الجامعة حول النطق الصحيح لبعض الكلمات. يوضح ري (١٩٦٨ : ٧٦٤) أن جهود هيئات التأسيس تعتمد في نجاحها على ما قررت أن تفعله "الهيئات الأقل مستوى" من النوع الذي يتحدث عنه جيرنود.

"بمعنى آخر، فإن أي إجراء رسمي ينظَّم من قبل هيئة معترف بها مثل الدولة أو الكنيسة أو جمعية أو مؤلف، يمكن أن يكون ناجحا في مقصده لتشجيع أو عدم تشجيع عادات لغوية فقط إذا كان ذلك الإجراء يتعلق إلى حد كبير بالإجراء غير الرسمي وغير المنظم من جانب الهيئات المحلية المتعددة."(٨)

كيف:

إن السؤال كيف تخطَّط اللغة؟ يتعلق بمراحل التخطيط والتنفيذ لعملية تخطيط أكبر. يوجز روبين (١٩٧١ : ٢١٨-٢٠) الخطوات الأربع الخاصة بهذه العملية على النحو التالي :

١ - تقصي الحقائق: يجب أن تتوافر هناك كمية كبيرة من المعلومات عن خلفية الموضوع قبل أن يتخذ أي قرار تخطيطي بشأن ذلك.

٢ - التخطيط: هنا تتَّخذ القرارات الفعلية، "يحدد المخطط الأهداف، ويختار الوسائل (الاستراتيجيات) ويتنبأ بالمحصلة" (روبن ١٩٧١: ٢١٩).

٣ - التنفيذ: تنفَّذ قرارات التخطيط.

٤ - ردود الفعل: في هذه المرحلة، يكتشف المخطط مدى نجاح تنفيذ الخطة.

إن النظام التعليمي هو الأداة الرئيسية التي تستخدمها الحكومات في تنفيذ قرارات تخطيط اللغة. إذا اختيرت لغة ما لتكون اللغة القومية، فيمكن للحكومة أن تأمر بتعليمها كمادة دراسية لكل الطلاب في المدرسة، أو أن تأمر بأن تكون وسيلة تعليم لتدريس مواد أخرى. وإذا كان هناك قائمة رسمية بالكلمات المبتكرة الجديدة، يمكن تدريسها أيضا في المدارس كما هو الحال بالنسبة للتعديلات الإملائية والهجاء القياسي. يمكن، في الحالات القصوى، منع طلبة المدارس من تحدث اللغات غير المعتمدة في المدارس. لقد مررنا عبر بعض الحالات التي يتحدث فيها الأطفال اللغة الجوارنية في مدارس باراجوي واللغة الغيلية في المدارس الأسكتلندية، حيث يعاقَب الأطفال جسديا في حالة تحدثهم لغات غير معتمدة في المدارس. وعندما يخبر المدرس الطلبة الصغار بالا ينطقوا كلمة معينة مثل "ain't"، فإن هذا مثال ثانوي على استخدام النظام المدرسي في تنفيذ تخطيط اللغة أو على الأقل معاملة اللغة.[٩]

يمكن للحكومات أيضا طلب الكفاءة في لغة معينة كشرط أساسي للعمل في مجال وظائف الخدمة المدنية. وهذا يشكل عاملا مؤثرا في الدول التي يكون فيها مجال الخدمة المدنية والعمل المدني هو إحدى الطرق القليلة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي للفرد. إن اللغة التي تستخدمها الحكومات في الحوارات التشريعية واللغة التي تكتب بها نصوص القانون والوثائق الحكومية تصدر أيضا كوسائل يمكن استخدامها لتشجيع

لغة ما مختارة أو ضرب لغوي ما. ويكون للغة التي تُستخدم في المجال العسكري تأثير عميق وخاصة في دولة تتميز بالتجنيد الالزامي العسكري. إذا كانت الحكومة تتمتع بالسيطرة الكافية، فيمكنها تنظيم اللغة التي تختارها لتكون المستخدمة في الوسائل المطبوعة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، كما يمكنها تحديد اللغة التي تنشر بها الكتب. يمكن للحكومات التي لا تمتلك السيطرة الكافية أن تحاول التأثير على استخدام اللغة في وسائل الإعلام وكذلك في الوسائل المطبوعة من خلال تقديم إعانات أو إعفاءات ضريبية عند استخدام اللغة التي تفضلها. يقدم راي (١٩٦٨ : ٧٦١) قائمة بوسائل محددة يمكن للحكومة أن تستخدمها للتأثير على كيفية استخدام اللغة في أعمال النشر.

لا تمتلك وكالات تخطيط اللغة غير الحكومية وسائل كثيرة تحت تصرفها. فالجمعيات المهنية تستطيع أن تصدر قوائم بالمصطلحات الرسمية ككتيبات إرشادية لأعضائها. ولمؤلفي الكتب الإرشادية في القواعد والاستخدام تأثير على استخدام اللغة إلى حد أنه يُرجع إلى أعمالهم للبحث عن الجوانب الصحيحة في استخدام اللغة. وكما أشار جيرنود فإن الأعمال والمنظمات التجارية لها تأثيرها على اللغة من خلال تدريب الأفراد والموظفين، وخاصة الدول التي تحاول تحديث لغة قومية جديدة. لدى الهيئات التي تحاول المحافظة على اللغات القومية للقوميات الفرعية خيارات مثل تقديم دورات مسائية، وعروض مسرحية، وأنشطة ثقافية باللغة التي تود معاملتها. وسياسيا، بإمكانهم الضغط على حكومة البلد التي يعيشون فيها لكي تدعم استخدام لغتهم.(١٠) وللأفراد تأثير أيضا على استخدام اللغة. فالروائي الموهوب والشاعر والكاتب المسرحي وصانع الأفلام السينمائية ذو السمعة الجيدة، إذا قاموا بإصدار أعمال بلغة ما، فإنهم يجبرون الجمهور المتلقي على تعليم تلك اللغة، خاصة إذا رغبوا في معرفة هذه الأعمال. وسيكون هذا الأسلوب أكثر فاعلية إذا قامت مجموعة

من الفنانين الموهوبين باتباع هذا النوع من الممارسة.

حتى الأفراد المتحدثون للغة ما يمكنهم اتخاذ خطوات في صالح لغة محددة. ولقد قام بذلك فعلا بعض ثنائيي اللغة البارزين من المتحدثين الأصليين للغة الفرنسية في سويسرا عندما رفضوا استخدام اللغة الألمانية مع المتحدثين الأصليين لها من السويسريين على أساس أن السويسريين الفرنسيين كانوا دائما هم الذين يجب عليهم التماثل لغوياً للتكيف مع مواطنيهم من السويسريين الألمان. ويذكر غايلز وبورهيس وتيلور (١٩٧٧) مثالا متطرفا جدا لرجل ويلزي كان قد رفض أن يتحدث بأي لغة أخرى سوى لغة ويلز خارج نطاق عمله. فإذا كان من يتحدث معه يعرف القليل عن لغة ويلز ، فإن هذا الرجل يتحدث إليه ببطء ، ولكنه يتطلب من الشخص الآخر أن يعتمد على المقدرة اللغوية التي يمتلكها عن لغة ويلز. وإذا كان الشخص الآخر يتحدث باللغة الإنجليزية فقط ، فإن هذا الرجل الويلزي يتحدث إليه بلغة ويلز فقط ، ولكنه يترجمها إلى اللغة الإنجليزية جملة جملة.

قيود التخطيط اللغوي

تحليل الكلفة والفائدة

يرتبط أحد العوامل المقيدة للتخطيط اللغوي بدراسة التكاليف والفوائد ، وحتى لو تسنى إحداث تغيير جدير بالتحقق فإن التخطيط الجيد يعني أن الفوائد التي يخلص مجتمع ما إلى كسبها سوف تُقارن بالتكلفة. إن تحليل الكلفة والفائدة أسلوب يستخدمه الاقتصاديون أحيانا ، وسبق أن تطرق ثوربيرن (١٩٧١) وجيرنود (١٩٧١) لمناقشة كيفية تطبيقه على تخطيط اللغة. وقد عرف ثوربيرن (١٩٧١ : ٢٥٦) تحليل التكلفة - والفائدة في تخطيط اللغة على النحو التالي: " تحليل التكلفة - الفائدة في

تخطيط اللغة هو في الأساس محاولة لتبيان الفرق في النتائج بين بديلين محددين في تخطيط اللغة." إن استخدام هذا الأسلوب في العمل التجاري أبسط بكثير مما هو في تخطيط اللغة. والتطبيق النموذجي في التصنيع سوف يكون بحساب تكلفة الأجور والمواد، وبالتالي مقارنة النتيجة بالأسعار التي يباع بها المنتج. إن تطبيق الأسلوب نفسه على مشكلة الإدارة العامة كما هي الحال في تخطيط اللغة من قبل الحكومة، لن يكون دقيقا ومستقيما وذلك لعدة أسباب: أولا، لا يدفَع مبلغ محدد عن نتائج القرارات في وقت محدد. بل في الواقع إن مجمل التكاليف وغالبية نتائج تخطيط اللغة لا علاقة لها بالنقود إلا بشكل يسير جدا. ثانيا، قد لا تكون نتائج قرارات التخطيط في الإدارة العامة واضحة تماما لزمن طويل، إذ كلما وصل التخطيط مستقبلا لأبعد مدى كلما كانت النتائج غير محددة. ومع ذلك فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار موضوع التكييف مع هذا الأسلوب وفق الخطوط العريضة التالية:

المطلب الأول لتحليل التكلفة - الفائدة هو الحصول على الأقل على خطتين بديلتين واضحتين ووضعهما تحت التحليل. إن تحليل التكلفة - الفائدة هو تحليل مقارن، فعلينا أن نعرف أي أسلوب عمل من الأساليب الموجودة هو الذي سيحقق أقصى الفوائد بأقل تكلفة. فبمجرد وضع البدائل ، فلا بد من ثلاث خطوات تتبعها : (١) تحديد نتائج اختيار أحد أساليب العمل دون غيره، (٢) تحديد القياس، و(٣) تقييم تلك النتائج (ثوربيرن ١٩٧١ : ٢٥٧). والتقييم ضمن هذا السياق بالنسبة لثوربيرن يعني التقييم النقدي، وهنا تنشأ معضلتان أساسيتان، فيمكن أن تحّدد النتائج بشكل أكثر من قياسها وأخرى يمكن قياسها أكثر من تحديدها، ولكن لا يمكن تقييمها نقديا. مثلا، لنفترض أن جزءا من الخطة يدعو إلى إصدار ديوان شعر بلغة قومية جديدة. وإنها لمسألة بسيطة منطقيا حساب تكلفة دفع عمولة الشاعر ونشر المجلد وتوزيعه. وقد يكون من الممكن أيضا تقييم عدد الناس الذين سيقرؤون الديوان، وإلى

أي حد يمكن استعراضه في الصحف الأدبية ودراسته في المناهج الدراسية الجامعية. وهذه المقادير دون شك يمكن أن تكون مقياسا للزيادة في وضع اللغة القومية الجديدة باعتبارها أداة للأدب الجاد. تحظى المكانة الأدبية للغة القومية بقيمة معتبرة عند أي أمة من الأمم، ولكن من الصعوبة بمكان ترجمة هذه القيمة إلى معنى نقدي مالي.

هناك نتائج أخرى من المحتمل أن يتعذر حتى قياسها. فإذا كان بالإمكان تأسيس لغة أهلية كلغة قومية تقوم بعملها فعلا، فإن مثل هذا العمل سوف تكون له أهمية كبيرة لوحدة الأمة واستقرارها. ولكن من الصعوبة بمكان أن يتخيل المرء كيف يمكن التعبير عن مثل هذه المزايا، كالوحدة والاستقرار، بشكل رقمي، فما بالك بشكل نقدي. فهناك بعض النتائج يمكن من حيث المبدأ قياسها وتقييمها معا، ولكن مع قدر كبير من عدم التأكد واليقين. فعلى سبيل المثال، يمكن للمرء أن يجادل بأنه يمكن لخطة تدعو إلى ترويج لغة عالمية مثل الإنجليزية أو الروسية في مجال الأعمال التجارية العالمية أن تزيد من مردود التجارة الخارجية للدولة. وإذ ما قورنت هذه الخطة مع خطة بديلة تدعو إلى استخدام لغة أهلية - وهي لغة لا يتكلم بها أحد خارج القطر- فإنه من المحتمل أن تقدَّر وتقارن القيمة النقدية المالية لحجم التجارة الخارجية بموجب هاتين الخطتين. والمشكلة هنا أن تقديرات من هذا النوع لن تكون دقيقة.

أعتقد أنه من الواضح أن تحليل "التكلفة - والفائدة "ليست صيغة سحرية يمكن أن يتمخض عنها أرقام مرتبطة بالبدائل لدرجة أن ما يجب على المحلل أن يفعله يكمن فقط في التقاط الرقم الذي يشير إلى الفوائد القصوى بأقل تكلفة. وكما يقول ثوربيرن (١٩٧١ : ٢٥٧) : "حساب الكلفة - الفائدة يمكن أن يكون أكثر ملاءمة كتحليل مساند بدلا من أن يكون أساسا كافيا للقرار النهائي." ومع ذلك، فإن إنجاز تخطيط اللغة مع تحليل توضيحي للتكلفة - والفائدة يجبر المخطط على: أولا، توضيح البدائل. ثانيا، يقود المحلل إلى محاولة تحديد كافة النتائج الممكنة للخطة. وأخيرا ،

سوف يقاد المخطط إلى التفكير بلغة التكاليف بالإضافة إلى الفوائد والعلاقة بينهما. قد يكون من الممكن إلغاء خطة ذات فوائد كبيرة بسبب تكلفتها العالية علما بأن مثل هذه التكاليف قد لا تكون مقصورة فقط على المال.

خذ بعض طرق التخطيط اللغوي المذكورة آنفا، وافترض على سبيل المثال أن الحكومة قررت أن لغة أهلية يجب استخدامها في الإدارة الحكومية بعد تاريخ معين. فستجد، حتى ولو أن اللغة الجديدة لديها مفردات كافية أو زوِّدت بمفردات خلال تخطيط اللغة، أن منسوبي الحكومة الذين اعتادوا على العمل بلغة أخرى (مثلا لغة استعمارية سابقة) قد يستغرقون زمنا طويلا في البحث عن التعابير الجديدة في البيانات المجهزة لهم أو في مسارد الكلمات. قد يتوجب على المنسوبين الآخرين فعل الشيء نفسه عند محاولة قراءة المراسلات المكتوبة وفهمها باللغة المكتوبة. وهذا سيبطئ، الفاعلية، على الأقل، لفترة ما ويعوق النشاط المحلي اليومي. وقد يكون هذا مكلفا ليس فقط من واقع أن الحكومة عليها أن تدفع للعاملين عن الساعات الإضافية لإنجاز حجم العمل نفسه، ولكن قد تتسبب في عدم رضا وعدم اقتناع المواطنين إذا كانت خدمات الحكومة متأخرة أو لم تصلهم.

الأمر الأكثر خطورة هو أن القرار نفسه قد يتسبب في مشاكل سياسية خطيرة خاصة إذا كانت اللغة الرسمية التي وقع عليها الاختيار هي لغة أصلية فقط لجزء من عامة السكان. وقد يشعر متحدثو اللغات الأخرى بأن قدرهم منتقص، على نحو غير عادل، إذا كان يجب على أعضائه أن يتعلموا اللغة القومية الجديدة للتعامل مع أو للعمل لدى الحكومة بينما لا ينطبق ذلك على متحدثي اللغة الأصلية. وعند استخدام اللغة الاستعمارية فإنهم قد يحتجون بأن كل فرد يتعرض للمستوى نفسه من الانتقاص في القدر والضرر. وهذه المشكلة بالطبع هي السبب الرئيس في التأخر اللانهائي في تأسيس اللغة الهندية كلغة خاصة بالحكومة الهندية. كل واحدة من

الطرق الموضحة في الجزء السابق تحمل معها "تكاليف" مماثلة. أما في الفصل الحادي عشر فسوف نبحث التكاليف والفوائد الخاصة المرتبطة بالبدائل في اختيار لغة التعليم.

يبدو أن تحليل التكلفة - والفائدة له مزايا على الرغم من قيوده وتحديداته، ومع ذلك لم يكن هناك الكثير من التقارير المطبوعة حول تطبيقه على مشاكل تخطيط اللغة. وأحد العلماء الذين استخدموا هذا الأسلوب، وهو تاداجو (١٩٧٧)، قام بدراسة التكاليف والفوائد في اختيار لغة التعليم في منطقة دون الصحراء بإفريقيا. واستخدم ماكي (١٩٧٨) تحليل الكلفة - الفائدة في حيز ضيق ومحدود أكثر، ألا وهو مجال أساليب تدريس اللغة. هناك اختلاف مفيد على تحليل التكلفة - والفوائد قام بتطبيقه ماكي (١٩٨٠) في تقييم اقتراح بودين (١٩٧٥) بأنهم يستخدمون المفرد من كلمة "هم" بدلا من صيغ التذكير للضمير النوعي. يقارن ماكي "التكاليف والفوائد" ليس بلغة المال أو القيمة العامة للمجتمع، بل بلغة ما إذا كان بديل تخطيط اللغة سوف يجعل التواصل أكثر أو أقل فاعلية.

القبول

معيار القبول:

اقترح هوجن (١٩٦٦ب : ٦١ -٣) ثلاثة معايير لتخطيط اللغة. ومن بين هذه المعايير معياران يتعاملان ظاهريا مع حالة اللغة ذاتها، وهما *الفعالية* أو سهولة التعلم والاستخدام، *والكفاية* أي مقدرة صيغ التراكيب اللغوية على نقل المعلومة بالدقة المطلوبة. أما المعيار الثالث فيرتبط بالوضع الاجتماعي للغة، والذي يسميه هوجن *القبول*. إن اللغة أو أي ضرب لغوي سواء أكان قائمة من المفردات الموافق عليها أم أي نوع من الممارسة اللغوية الخاضعة لعملية التخطيط يجب أن يقبلها أعضاء المجتمع

الذي يخطَّط فيه. على وجه الخصوص، يعتقد هوجن متبعا راي (١٩٦٣) أن هناك قطاعا مهما من المجتمع يسمى " القيادة"، وهم الذين يستحقون التقليد والذين من المرجح جدا أن تنتشر استخداماتهم. إن النجاح في تخطيط اللغة في هذه الحالة - يتطلب التعاون الضمني للقيادة . يبدو لي من بين المعايير الثلاثة أن القبول هو الأكثر أهمية. سوف يكون من الصعب استخدام وتعلم اللغة التي يمقتها الناس ، وذلك بغض النظر عن مدى كون قواعدها وتصريفها ونطقها مستقيما ومباشرا بالمعنى المطلق. ترتبط الكفاية على نحو واضح بغرض معين ، إن اللغة التي تحقق شرط الكفاية لحوار العائلة على المائدة قد لا تكون محققة للكفاية في محاضرة في الكيمياء. نتيجة لذلك، ليس هناك سبب يدعو الناس لقبول ممارسة لغة جديدة في الوقت الذي تكون فيه اللغات الحالية ذات الكفاية ملائمة لأي غرض يتوقعونه. حتى لو كان بإمكان المخططين تخيل ضرورة وجود درجة عالية من التحديث من أجل التطور الوطني المستقبلي فإن ذلك لن يعني الكثير إذا لم يشعر الناس بالحاجة ذاتها.

إن مسألة تنفيذ بديل لتخطيط اللغة بنجاح أمر أبعد ما يكون عن الأتوماتيكية حتى ولو كانت فوائده تبرر تكاليفه. وكما يقول راي (١٩٦٨ : ٧٦٢) "ليست هناك طريقة سريعة لجعل الحصان يشرب الماء إذا لم يرغب في ذلك"، ويضيف هوجن (١٩٦٦ب : ٦٠) : "في أي مجتمع متعلم وخلفه تقاليد معينة فإن هناك مجموعة من القناعات والعقلنة تتعلق بالكلام والكتابة وقد يجد المخطط نفسه تجاهها لا حول له ولا قوة، ولا يجب قصر هذه المقولة على المجتمعات المتعلمة فقط. وكالة التخطيط يمكنها فقط أن تسهل وتزيد من جاذبية عملية متابعة الممارسات اللغوية التي اختيرت، أو قد تجعل العملية صعبة وغير جذابة. إن استخدام اللغة هو في الأساس عبارة عن مسألة شخصية لا يمكن فيها التغيير الحقيقي إلا بموافقة مستخدم اللغة ذاته.

المنحى الطبيعي.

بما أن هدف تخطيط اللغة هو تحديد اتجاه التغيير اللغوي على نحو ما ، فإن نقطة الانطلاق المنطقية هي دراسة الأشياء التي تؤدي إلى حدوث التغيير اللغوي الطبيعي ، أي التغيير الذي يحدث دون تخطيط لغوي مدرك. إن ما يمكن أن يسمى المنحى/ الاتجاه الطبيعي يؤيد تسخير القوى الطبيعية للحصول على نتيجة مختارة بشكل مدرك. تكمن الخطوة الأولى في الاتجاه الطبيعي لتخطيط اللغة في تحديد المجال أو المجالات المعدة لتطبيق الخطة عليها وما هو حجم واتساع قطاع المجتمع الذي يفترض أن يستخدم البديل المخطط ، فمثلا ، قد تكون المسألة بسيطة نسبيا بالنسبة لجمعية كيميائيين مهنيين يسعون لتقييس المصطلحات التي سيستخدمها أعضاؤها في تقارير أبحاثهم. مثل هذه الخطة تنطبق فقط على مفردات اللغة ، وعلى الكتابة في مجال موضوع معين ، وفقط على مجموعة صغيرة نسبيا من المستخدمين. إن محاولة إقناع سكان بلد بأكمله بالتحول إلى استخدام لغة قومية مؤسسة حديثا في كافة الأغراض المحكية والمكتوبة سيكون مثالا للنموذج المعاكس. فهنا ستُشرك كافة المجالات ويفترض من كل سكان البلد أن يتبعوا الخطة. ولا داعي للقول هنا أن الخطة الثانية سوف تكون أصعب في التطبيق.

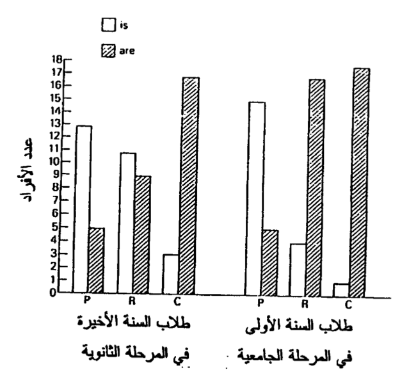
وتعتبر حقيقة اجتماعية لغوية أساسية أن تؤدي بعض استخدامات اللغة إلى جعل الناس يتنبهون إلى كيفية إيصال ما ينوون قوله للآخرين وما هي الرسائل التي يودون إيصالها.(١١) في مواقف أخرى يضع الناس تقريبا كل تركيزهم على مضمون رسالتهم تاركين شكلها إذا صح التعبير على الدليل الذاتي. إن الاستخدامات العالية للغة هي التي يتركّز فيها بشكل ملحوظ على شكل الرسالة. ونتيجة لذلك فمن المرجح أن يعتبر تخطيط اللغة الذي يهدف إلى الاستخدامات العالية أكثر نجاحا من التخطيط الذي يستهدف الاستخدامات الدنيا. إذا كان مستخدم اللغة يركز انتباهه

بشكل مدرك على شكل الرسالة فإن المخطط سوف يكون لديه مهمة سهلة نسبيا لإقناع مستعملي اللغة أن البديل المختار هو الذي ينبغي استخدامه. بما أن انتباه المستخدم مركز على الشكل اللغوي بالإضافة إلى محتوى الرسالة فمن المرجح أكثر أن يكون استخدامه متطابقا مع ما هو مقتنع به بشكل مدرك تماما. والتأثير على استخدام شخص ما للغة عندما يكون هناك مراقبة طفيفة على الشكل سيكون أصعب بكثير. وفي مثل هذه الحالات، وهي الحالات التي تشكل الكمية الكبرى من الاستخدام اللغوي، يجب على المخطط إيجاد طريقة ما للدخول في "الأدلة الذاتية اللغوية" لشعب ما.

وإحدى الفئات الواضحة للاستخدام اللغوي الذي يلقي أهمية كبيرة على الشكل هي فئة الاستخدام الكتابي للغة. فالكتابة أبطأ من الكلام، ويستغرق الكُتاب وقتا أطول للتفكير في كيفية وضع أفكارهم وتدوينها، وبإمكانهم المراجعة وإعادة الكتابة إذا لم يكونوا راضين عن محاولاتهم الأولى. فتخطيط اللغة، غالبا ما يكون غايته الاستخدام المكتوب بدلا من الكلام، مع الإقرار بأن التحديثات المخططة في الاستخدام المكتوب قد تصب في النهاية في الكلام (هوجن ١٩٦٦ب: ٥٣، فيرجسون ١٩٦٨: ٣٠). وكما أشار هوجن فإن هذا يعكس الطريقة العادية للغوي في نظرته للغة، إذ إن اللغويين، وهم مصيبون في ذلك، ينظرون إلى اللغة المحكية كلغة أساسية أكثر من اللغة المكتوبة.[١٢]

إن حقيقة وجود تميز بين معايير اللغات الرسمية والمعايير اللغوية غير الرسمية التي يطبقها الناس في استخداماتهم المحكية اليومية قد يُلاحظ في كثير من الأحيان (مثال ذلك الدراسات التي قام بها كل من جومبيرز ونيم ١٩٦٠، ستيوارت (١٩٦٨: ٥٣٤ -هامش٥)؛ ويفرام وفاسولد (١٩٧٤: ١٨-٢١)؛ وشميدت ومكريري ١٩٧٧). يقدم شميدت ومكريري دليلا تجريبيا على التناقض بين

الاستخدام المكتوب لأفراد العينة، وذلك عندما لم ينتبهوا إلى الشكل النحوي الخاص وبين الشكل الذي صادقوا عليه بشكل علني على أنه صحيح. كانت إحدى هذه المتغيرات القواعدية تتعلق بالخيار بين "is" و "are" في جمل تسبقها كلمة there (هناك) مع فاعل منطقي جمع. مثلا الفرق بين "يوجد شخصان في السيارة" There are two guys in the car و"هناك شخصان في السيارة" There are two guys in the car. في تجربة "الأداء" قدم لأفراد العينة شفهيا جملة فيها كلمة there مع فاعل مفرد وعبارة اسمية في حالة الجمع طلب منهم وضعها في الجملة الأصلية بحيث تعطي معنى.



الشكل رقم (٩,١). الصيغ المستخدمة في اختبار الأداء (P)، الصيغة الأكثر استخداما في الغالب حسب تقرير أفراد العينة (R)، والموافقة على صحة ذلك (C) من قبل طلاب السنة الأخيرة في المدرسة الثانوية الأمريكية الذين يتكلمون الإنجليزية وطلاب السنة الأولى في الجامعة، في جمل مثل "There (is, are) about five minutes left" "تبقى نحو خمس دقائق"

المصدر: بيانات من شميدت ومكريري (١٩٧٧).

مثلا، بإعطاء جملة "تبقى وقت كاف" والعبارة الاسمية "نحو خمس دقائق "فإنه من الواضح أن العبارة الاسمية الجديدة يفترض أن تحل محل "وقت كاف"، ولكن لم يذكر شكل الفعل "يكون" to be . بعد إكمال هذه المهمة سُئل أفراد العينة عن الأشكال والصيغ التي يستخدمونها، وأي منها يعتبرونه صحيحا، وما إذا كانوا يعتقدون بأنهم استخدموها أم لا. الشكل رقم (٩،١) يوضح الإجابات لمجموعة من طلاب في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية ومجموعة من طلاب اللغة الإنجليزية في السنة الأولى في الكلية.

في كلتا المجموعتين، الشكل الذي اعتبرته غالبية المتحدثين صحيحا هو عكس ذلك الذي استخدمته الغالبية في مهمة الأداء. الكثيرون أفادوا بأنهم يستخدمون الشكل الذي يعتبرونه صحيحا أكثر من الشكل الذي استخدموه فعلا في الاختبار.[١٣] من الواضح أنه من الصعوبة بمكان التأثير على الممارسات اللغوية التي لا يراقبها المتحدثون بإدراك حسي. ولكي يكون لدينا أمل في التأثير على مستقبل اللغة في هذا المستوى علينا أن نلتفت إلى الخلف، وبالتحديد إلى ما تعلمناه حول ما يجعل الناس يغيرون في استخدامهم اللغوي. إن دراسة الاختيار اللغوي والإبقاء على اللغة والتحول يوضح أن قدرا كبيرا من ذلك يعتمد على هوية الشخص. فمتى وكيف تستخدم مواطنة من أوبروارت اللغة الألمانية؟ يعتمد على الدرجة التي تعتقد فيها بأنها عاملة "نمساوية" بدلا من فلاحة من اوبروارت، كما يعتمد على الظروف التي بموجبها ترغب في إعلان كل هوية، بالمثل، فإن استخدام اللغة الغيلية أو الإنجليزية في شرق ساذرلاند تأثر بقوة بما إذا كان الشخص يرغب في تقديم نفسه على أنه أسكتلندي من الهاي لاندز أو صياد سمك. يبدو أنه لكي يغير الناس ممارستهم اللغوية على مستويات أدنى وغير مراقبة فإن على المخططين أن يجعلوا الناس بطريقة ما يتخذون هوية تتماشى مع الأشكال والصيغ اللغوية الجديدة. قاد هذا التوجه إلى

مقولة "تخطيط الهوية" (لامي١٩٧٩). في دراسة تخطيط الهوية تمكن بول (١٩٧٩) من توضيح علاقة مؤكدة بين استخدام اللغة والرغبة في إعلان هوية خاصة باستخدام بيانات مسح أو دراسة. توضح البيانات التي حُصل عليها من دراسات تمت في ويلز وكندا أن الناس الذين يعرفون لغة ويلز والفرنسية على التوالي هم أكثر ترجيحا لرؤية أنفسهم "ويليزيين" بدلا من كونهم بريطانيين، أو "فرنسيين" أكثر من كونهم "إنجليزا". في كندا كانت اللغة المحكية مرتبطة إلى حد كبير بالرغبة في إعلان الهوية العرقية الفرنسية أكثر من الإقامة في كويبك، أو أن يكون المواطنون كاثوليكا، أو حتى ممن يحملون اسم العائلة الفرنسية، أو أن يكونوا من السلالة الفرنسية.

إن نتائج بول أبعد من أن تكون الدليل الأول الذي يربط استخدام اللغة بالهوية الاجتماعية. هنالك العديد من الأمثلة في مجمل الدراسات حول هذا الموضوع تدل على أن المجموعات الاجتماعية تتبع معايير غير رسمية، إما أن يكون لها دعم رسمي ضئيل وإما أن لا تتلقى أي دعم البتة. إن هنود التيوا يمثلون حالة من الحالات التي تطرقنا لها سلفا، كما أن فلاحي أوبروارت ومجتمعات صيد الأسماك في شرق ساذرلاند كانوا أمثلة إلى وقت قريب جدا (بعض فلاحي اوبروارت ما يزالون حتى الآن). هناك دراسة سابقة قدمها لابوف (١٩٧٢ب: ٢٥٥-٩٦) أثبتت كيف أن الشباب السود في هارلم تكيفوا بانسجام مع المعايير اللغوية غير الرسمية للغة الإنجليزية الدارجة للسود إذا كان لديهم إحساس قوي بالاندماج مع المجموعات النظيرة من صغار السن المراهقين. كان المراهقون السود الذين كانوا في العمر نفسه والمقيمون في الحي نفسه ممن لم تكن لديهم مثل هذه الارتباطات هم الأكثر ترجيحا للتحول في اتجاه اللغة الإنجليزية النموذجية الرسمية. وأوضح ولفرام (١٩٧٣) أن الشباب من بورتوريكو الذين لديهم اتصالات مكثفة مع متحدثي اللغة الإنجليزية الدارجة للسود قد اكتسبوا خصائص تلك اللغة الإنجليزية أكثر من اكتسابهم معايير

اللغة الرسمية التي تدرس لهم في المدارس. ووجد بوبلاك (١٩٧٨) الاتجاه المماثل نفسه في مجتمع بورتوريكو في فيلادلفيا رغم وجود عدد قليل جدا من متكلمي اللغة الإنجليزية الدارجة للسود (هناك دليل على أن أولئك المقيمين هناك كانوا يتمتعون بمكانة عالية). بعيدا عن أي تأثير من اللغة الإنجليزية الدارجة للسود فإن حالة صغار بورتوريكو الذين أخضعهم بوبلاك للدراسة تدل على أنهم تعاملوا مع متغيرات نطق فيلادلفيا المحلية وكأنها صيغ ذات مكانة عالية. لكن سكان فيلادلفيا الأصليين كانوا على النقيض من ذلك حيث تحولوا عن المتغيرات المحلية نحو المعايير الأكثر شكلية عندما راقبوا كلامهم. أخيرا لتكرار مثال استخدمناه لإيضاح استخدام الإحصائيات فإن ميلروي قد تمكنت بإقناع من إظهار أن قاطني بلفاست ذوي الارتباطات المحلية القوية كانوا هم المستخدمين للأشكال اللغوية المحلية وغير النموذجية رسميا (ميلروي ١٩٨٠، ميلروي ومارجرين ١٩٨٠).

إن إجراء تخطيط الهوية يبدو كأنه يتضمن استخدام الموارد المتاحة، وذلك لجعل عملية المطابقة مع متحدثي لغة معينة أو ضرب لغوي ما أمرا لافتا للنظر. إلا أن طلاب الإبقاء على اللغة والتحول تقريبا متفقون بالإجماع على أن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية نفسها التي تحدث التحول في مجموعة واحدة لن تزحزح مجموعة أخرى عن عزمها على الإبقاء على لغة تقليدية.[١٤] الخلاصة العامة هي أن طرق تخطيط اللغة العادية ليس من المرجح أن تؤثر على الممارسات اللغوية للمتحدثين في استخدام اللغة غير المراقب، إلا إذا كانت مصممة لدعم الاتجاه الذي تتحرك فيه القوى الاجتماعية الطبيعية على أية حال.

البنية اللغوية وتخطيط اللغة

ما لم يأخذ المرء المنحى الوسيلي لتخطيط اللغة فإنه يبدو أن هناك القدر اليسير جدا من اللغويات التقنية في تخطيط اللغة. إن التوجيهات الاجتماعية اللغوية (الاجتماعية اللغوية والطبيعية) تؤيد تطوير أي شكل لغوي سوف يعمل ويجعل الوضع الاجتماعي أفضل. ويبدو أنه حتى الجوانب اللغوية النحوية المفترضة "للتحديث" أو "العقلنة" وكأنها مسائل تتعلق أكثر بالمهارة في استخدام الموارد الموجودة في لغة ما أكثر مما يتعامل بها علماء النحو. وبمعنى آخر، إن ما يعتبر نموذجيا أو جديرا بالترقية الرسمية يعتمد فقط على الوضع الاجتماعي للناس الذين يستخدمون ذلك الضرب اللغوي. إن إحدى الطرق الهزلية التي تقدم فيها هذه الفكرة أحيانا هي القول بأن اللغة النموذجية هي أي لغة يكون لدى متحدثيها جيش وبحرية.

على الرغم من أن تخطيط اللغة يبدو لي موضوعا اجتماعيا سياسيا أكثر من كونه موضوعا لغويا بحتا، فإنني أعتقد أنه من الممكن الذهاب إلى أقصى حد في تقليل أهمية الجوانب اللغوية لتخطيط اللغة وتقييسها. فإذا كانت القوى الاجتماعية غير حاسمة فإن الاعتبارات اللغوية قد تثبت أحيانا أنها حاسمة في اختيار بديل التخطيط (قارن بايلي ١٩٧٥). أما عن السؤال فيما إذا كان من الممكن أو من غير الممكن تمييز اللغات النموذجية على أسس لغوية (لسانية) فإنه من الحكمة عدم الإجابة وبسرعة بـ "لا". يجادل كروش (١٩٧٨ : ٢٠) بأن اللهجات التي لا مقام لها أو هيبة تتجه من ناحية النطق الواضح لأن تكون أكثر اقتصادية من اللهجة التي لها هيبة ومقام". وهذا يعني أن عمليات نطق اللهجة النموذجية أكثر ترجيحا للقيام بتميزات أكثر مما هو مطلوب للفهم.[١٥] إذا كان كروش صائبا، من المفيد معرفة ما إذا كان هناك اتجاه مواز في علم النحو. إذا كان الأمر كذلك، فإنه يكون اتجاها أو نزعة فقط. إن اللغة الإنجليزية الدارجة للسود على سبيل المثال، هي لهجة ليست عالية المكانة حيث إن

تمييز نظام الفعل فيها يمكن تبيانه بوضوح أكثر من اللغة الإنجليزية الأمريكية النموذجية. ومع ذلك فمن الأفضل أن نعامل مسألة المميزات اللغوية للهجات النموذجية كمسألة مفتوحة.

خلاصة

إن حقيقة أن اللغات تختلف وتتغير ويحافظ عليها أو تهجر، كل ذلك يعني أن البدائل اللغوية متوافرة للمتحدثين بشكل دائم. إن وجود البدائل يفتح إمكانية القول إنه بالإمكان التأثير على المتحدثين لاختيار بعض البدائل بدلا من غيرها. فالمقصود من وراء التخطيط اللغوي والتقييس هو محاولة القيام بمثل هذه التأثيرات المدركة.

ويوجد ضمن تخطيط اللغة قسمان رئيسيان، هما: تحديد اللغة وتطويرها. يشير تحديد اللغة إلى اختيار وحدات لغوية أوسع، أو لغات، أو لهجات لغات لأغراض معينة. أما تطوير اللغة فيشير إلى اختيار متغيرات من ضمن اللغة أو اللهجة. يقوم فيرجسون (١٩٦٨) بعمل تقسيم فرعي لتطور اللغة فيقسمها إلى ثلاثة أقسام: الكتابة، والتقييس، والتحديث. التحديث (أو العقلنة) يمكن تقسيمه فيما بعد إلى مظاهر تطوير المفردات والقواعد (ربما الاستخدام بدقة أكثر). فمن الممكن أن تكون القضية الرئيسية لتحديد اللغة في العالم هي اختيار اللغات القومية.

يأخذ غالبية العلماء المهتمون بتخطيط اللغة المنحى الوسيلي أو المنحى الاجتماعي -اللغوي. يؤكد علماء المنحى الوسيلي وظيفة اللغة كوسيلة للتواصل بطريقة يمكن أن تكون على حساب أهميتها الاجتماعية الرمزية. كنتيجة لذلك، فهم يرون أن تخطيط اللغة يجب أن يكرس لجعل اللغة أكثر فعالية وأكثر متعة جمالياً في دورها التواصلي. أما المنحى الاجتماعي- اللغوي فيأخذ النظرة القائلة: إن اللغة هي مورد اجتماعي. إذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يوجه التخطيط اللغوي إلى استخدام هذا المورد بحكمة للوصول إلى المآرب الاجتماعية حتى ولو كان البديل المخطط له

ليس فعالا أو جميلا بناءً على مغيار مطلق.

إن تخطيط اللغة عادة ما يعتقد بأنه يجري من قبل الحكومات، لكن جهود التأثير على تغيير اللغة يمكن إجراؤها من قبل المنظمات الدينية والمنظمات الداعمة لمصالح الجنسيات القومية الفرعية، ومنظمات الأعمال التجارية وحتى الأفراد. إن المشروع المتعمق والمدروس لتخطيط اللغة سوف يتضمن الخطوات الأربع التي أوضحها روبن (١٩٧٣). هناك وسائل محددة تستخدم في تخطيط اللغة تبدأ من إصدار المفردات اللغوية المجازة، وتنتهي بتحديد ضرب لغوي معين كوسيلة وحيدة للتعليم في المدارس الحكومية للبلد.

هناك قيود معينة واضحة على تخطيط اللغة، وأهم ما يجب أخذه في الاعتبار هو التكلفة. إن استخدام تحليل التكلفة -والفائدة يمكن أن يساعد على تقييم الخطة المقترحة، على الرغم من عدم إمكانية تطبيقه بالمعنى التام على تخطيط اللغة. إن أحد الأسباب التي تجعل تحليل التكلفة -والفائدة ذا وظيفة إضافية تكميلية في تخطيط اللغة، هو أن الكثير من التكاليف والفوائد لا يمكن تقييمها من الناحية النقدية المالية كما أن بعضها لا يمكن حتى قياسه. وسبب آخر هو أن نتائج تخطيط اللغة غالبا ما تتحقق على المدى البعيد مستقبلا حتى أن تنبؤاتها تصبح غير جديرة بالثقة.

أحد القيود الجوهرية يتعلق بالقبول. لن يكون بديلا مختارا ناجحا ما لم يقبله عامة السكان الذين يعد لهم التخطيط؟ قد يعتمد رفع فرص القبول إلى أقصى حد على مدى حسن الخطة في مطابقتها مع القوى الطبيعية العاملة في المجتمع. وهذا صحيح بشكل خاص بالنسبة للتخطيط الذي يحاول التأثير على ما يفعله الناس في استخدام اللغة غير المراقب. يشير البحث إلى أن ممارسات تخطيط اللغة العادية تكون أكثر نجاحا عندما توجه إلى استخدام اللغة المراقب (أي عندما يبدي الناس المزيد من الانتباه ليس فقط لما يقولونه، بل ولكيفية قول ذلك). هذا هو أحد الأسباب التي

تجعل تخطيط اللغة أكثر توجها نحو اللغة المكتوبة بدلا من الشكل المحكي للغة.

من المرجح القول إن الخيارات اللغوية للناس خاصة تلك غير المراقبة ترمز إلى إحساسهم بهوية المجموعة الاجتماعية الثقافية. وقادت هذه الحقيقة إلى مفهوم "تخطيط الهوية". إن الخطوات المتخذة عن إدراك للتأثير على الهوية الذاتية لشخص ما تبدو على الأقل صعبة كصعوبة الخطوات المتعلقة بتخطيط اللغة مباشرة.

عادة ما يتخذ اللغويون موقفا من أن اللغات متساوية بنيويا وأن القوى الاجتماعية وحدها هي التي تحدد ما إذا كان الضرب اللغوي نموذجيا أو ذا مكانة عالية. يناقش كروش (١٩٧٨) اللهجات ذات المقام العالي التي تميل للمحافظة على التميزات الصوتية التحتية أكثر مما تقوم به اللهجات التي ليست من المقام العالي. سواء كان هناك معنى أم لا من وراء محافظة اللهجات ذات المقام العالي على المميزات النحوية والصرفية أكثر من اللهجات التي ليست من المقام العالي فإنه سؤال مطروح للنقاش. من الواضح أن هناك ضروبا لغوية ليست ذات مقام عال ولديها بعض المميزات النحوية التي تفتقر إليها الضروب اللغوية الأخرى المقابلة التي يوافق عليها المجتمع.

هوامش لمراجع إضافية

لقد نشرت مقتطفات عديدة عن التخطيط اللغوي تشمل روبن وجبرنود (١٩٧١)، وروبن وشاي (١٩٧٣)، وفيشمن (١٩٧٤)، وروبن (١٩٧٧)، وروبن وآخرين (١٩٧٧)، وهناك دراسات ميدانية للتخطيط اللغوي إضافة إلى تلك التي ذكرت في هذا الفصل والفصل القادم وتلك المذكورة في المجلدات الآنفة، منها شاخر (١٩٧٨) (عن الإفريقيين وداهالشت (١٩٧٣) (عن اللغة السويدية).

تتضمن بعض الدراسات عن تخطيط علم الإملاء والتهجئة دراسات قام بها

دوفرنسيس (١٩٧٢)، وسيوبيرج (١٩٦٦)، وبيري (١٩٦٨)، وديويس (١٩٧٧) وفيشمان (١٩٧٧). بالنسبة لتقييس المصطلحات انظر المواضيع الواردة لدى ساج (١٩٨٠).

الهوامش

(١) قدم هوجن (١٩٦٦ب) إحدى أكثر المناقشات الأساسية وضوحا وفائدة المتوافرة حول التخطيط اللغوي. ومع ذلك وفي رأيي فإنه وقع في خطأ الإفراط في تأكيد التواصل كحافز وحيد لتخطيط اللغة. فهو يتحدث عن مجتمعات الحديث الأولية مثل أيسلندا حيث إن التنوع اللغوي طفيف جدا إلى درجة أن كل فرد يستطيع فهم الآخر تماما، وهناك مجتمعات الحديث الثانوية مثل إنجلترا، حيث إن التنوع اللغوي ملموس بصورة أكبر وهناك فقط فهم جزئي، وهناك مجتمعات الحديث الثالثة مثل سويسرا على سبيل المثال، حيث قد لا يكون هناك فهم بين المواطنين بدون مترجم. يرى هوجن (١٩٦٦ب : ٥٥) أن مجتمعات الحديث الثانية فقط هي التي تحتاج إلى لغة قومية. وبعبارة "اللغة القومية" فهو قد يعني شيئا مختلفا عن ما قصده فيشمن من هذا التعبير، وبالتحديد النموذج القومي لتوجيه الخيارات من بين المتغيرات في النظام اللغوي نفسه. قيل إن المجتمعات الأولية لا تحتاج إلى تخطيط اللغة على الإطلاق، وتلك الثالثة تحتاج إلى لغة عالمية أو مساعدة؟. أيرلندا هي مثال تقريبي معقول لمجتمع الحديث الأولى، ولكنها لا زالت تخطط من أجل اللغة القومية. إن معظم الأمم المصنّفة كمجتمعات كلامية ثالثة لن تكون راضية بلغة "عالمية أو مساعدة" للتغلب على مشاكل التواصل، أو أن كثيرا من الدول النامية سوف تتبنى لغات المستعمر السابق لذلك الغرض.

(٢) تعتبر مشاكل الكتابة مهمة جدا في تخطيط اللغة، إذ إن هناك كتابات مكثفة حول هذا الموضوع . هناك بعض الأبحاث حول الموضوع مدرجة في الملاحظات

البيبليوغرافية المذكورة آنفا.

(٣) عند هذه النقطة يختلط مفهوم تطور اللغة مع تحديدها ليصبحا غير واضحين. كلما عومل "ضرب لغوي واحد" بشكل كامل كلما كان التخطيط مشابها للتحديد. وكلما عومل الضرب اللغوي النموذجي كمجموعة "صحيحة" من المميزات اختيرت من المتغيرات الحالية ضمن نظام لغوي واحد، كلما بدا التخطيط مثل جهود التطوير.

(٤) تعتبر اللغات الخليط والمزيج في المراحل الأولى لإزالة المزيج أمثلة صالحة هنا.

(٥) توصل راي Ray (١٩٦٨ : ٧٥٦) إلى أن مصطلح "اقتراض" مضلل؛ لأنه لا يلزم بالإعادة، ويفضل بدلا منه "الوراثة". يبدو لي أن "النسخ المعجمي" مصطلح أكثر دقة لوصف ما يحدث فعلا. فعندما "تقترض" لغة ما كلمة من لغة أخرى، فإن اللغة المقرِضة لا تخسر هذه الكلمة، واللغة المقترضة ببساطة تأخذ نسخة من هذه الكلمة لاستخدامها الخاص. ومصطلح "الاقتراض" مع ذلك قد ثبت وترسخ ولا أرى داعيا أبدا لمحاولة تغييره.

(٦) انظر نقد هوجن (١٩٧٠) للمنهج الوسيلي. ويختلف راي Ray عن تولي Tauli في أنه أقل تفاؤلا باحتمالات نجاح التخطيط اللغوي.

(٧) وثق ديويس Dewees (١٩٧٧م) حالة قام فيها نشاط تخطيط لغوي تبشيري فيما بعد بلعب دور في جدل حول تخطيط لغوي قومي.

(٨) في كتابة هذا الكتاب حاولت أن ألعب دور المخطط اللغوي "الأقل جزما" وحاولت استخدام أسلوب أكثر عامية وأقل رسمية من الناحية النحوية مما يستخدم عادة في الكتب المنهجية. كما قد تكون قد لاحظت الإبدال في الاستخدام بين الضمير المذكر والمؤنث عندما يعود ضمير مفرد على أي من الجنسين. وآمل بعملي هذا أن أؤثر على القارئ باتجاه حلي المفضل لمشكلة الجنس في استخدام الضمائر الإنجليزية. ما لم يجد قرائي ما قمت به جديرا بالاتباع في استخدامهم الشخصي، فإن تأثيري على الإنجليزية سيكون ضئيلا.

(٩) فرّق روبن (١٩٧٣م) وجرنود Jernudd (١٩٧٣م) بين العملية المنظمة للتخطيط والجهودات التصادفية للتأثير على اللغة والتي سموها بمصطلح أعم هو "معاملة اللغة".

(١٠) أسهم الضغط السياسي للقوميين الويليزيين في عام ١٩٨٢م في إجبار الحكومة البريطانية على اتخاذ قرار بتمويل برامج تلفزيونية باللغة الويلزية.

(١١) أكد لابوف (١٩٦٦م، ١٩٧٢م) هذا الجانب من الاستخدام اللغوي، كما نوقش في الجزء الثاني.

(١٢) هوجن أيضا محق عندما أشار إلى أن تعليق بلومفيلد (١٩٣٣م، ص٢١) القائل بأن الكتابة هي "فقط طريقة لتسجيل اللغة بواسطة علامات مرئية"، وهي عبارة مبسطة جدا، بالرغم من إمكانية فهم مقصودها في ضوء أهداف بلومفيلد.

(١٣) تختلف بعض النماذج غير الرسمية عن ما يقابلها من النماذج الرسمية؛ لأن التقنيات الرسمية لا يتمسك بها كليا. وبحث شميدت ومكريري (١٩٧٧م) حالة أخرى، وهي استخدام المعقول به للضمائر الشخصية في الإنجليزية، والذي اتضح فيه نشوء نموذج غير رسمي جديد يختلف عن النموذج الرسمي؛ لأن النموذج الرسمي لم يلحق بعد بتغير معايير اللغة غير الرسمية. وحقيقة أن نماذج اللغة تتغير عبر الزمن موثقة في الإنجليزية البريطانية، من قبل شاكلي Shaklee (١٩٨٠م)، أما بالنسبة للإنجليزية الأمريكية فقد وثق ذلك هيث Heath (١٩٨٠م).

(١٤) بالرغم من أن البديل المنطقي هو أن نجعل لغة مختلفة ترمز إلى الهوية التي تمتلكها مجموعة ما حاليا، ولكن عند التفكير في الحالات الواقعية فإن هذا العمل عادة ما يبدو سخيفا، فلا أستطيع تخيل كيف يمكن لشخص أن يجعل الألمانية رمزا لهوية فلاحي أويروارت، أو الإنجليزية رمزا لهوية ساكني كويبك في مونتريال.

(١٥) فمن ناحية فنية، فإن النطق الظاهري للهجة ذات المقام العالي من المحتمل أن يحافظ على الفروق التحتية أكثر من نطق اللهجات التي ليس لها منزلة عالية.

الأهداف

١- أن يكون قادرا عندما يعطى هدفا افتراضيا لتخطيط لغوي أن يقول ما إذا كان هذا مثالا على التحديد أو التهذيب اللغوي.

٢- أن يكون قادرا على القول فيما إذا كان يقتصر استخدام التخطيط اللغوي على تحسين الاتصال أو لا.

٣- أن يكون قادرا على معرفة تعريف قارفن لوظيفة "المشاركة".

٤- أن يكون قادرا على معرفة تفسير مصطلح "التحديث" لفرجسون أو "العقلنة" لقارفن، بالإضافة إلى توسيع المفردات الذي يقره فاسولد. مفتاح للإجابة: هذا التفسير لم يذكر صراحة بإسهاب.

٥- أن يكون قادرا على معرفة موقف عالم اللغة من النحت مقابل الاقتراض كطريقة لزيادة عدد المفردات، وكذلك الموقف المشترك لهيئات التخطيط اللغوي.

٦- أن يكون قادرا على معرفة وصف منهجي التخطيط اللغوي.

٧- أن يكون قادرا على معرفة الإجابات الممكنة للسؤال عن من يقوم بالتخطيط اللغوي.

٨- أن يكون قادرا على القول، وطبقا لراى، أيهما أكثر أهمية لنجاح التخطيط اللغوي هل هو "الإجراء الرسمي المنتظم" أو "الإجراء غير الرسمي وغير المنظم" الذي تقوم به"سلطات عديدة لها قبول أكثر على المستوى المحلي".

٩- أن يكون قادرا على ذكر الخطوات الأربع التي ذكرها روبن لعملية التخطيط اللغوي.

١٠- أن يكون قادرا على تسمية الأداة الرئيسية التي تملكها الحكومات لتنفيذ قرارات التخطيط اللغوي .

١١- أن يكون قادرا على معرفة ما يتطلبه تحليل التكاليف والفوائد المطبق على التخطيط اللغوي وما سيقدمه عادة.

١٢- بالرغم من أن قرارات التخطيط اللغوي لا يمكن اتخاذها بناءً على تحليل التكاليف والفوائد فقط ، فإن محاولة القيام بهذا النوع من التحليل يجبر المخطط على القيام بثلاث مهمات مفيدة. والهدف هنا أن يكون قادرا على ذكر هذه المهمات.

١٣- أن يكون قادرا على ذكر المعايير الثلاث للتخطيط اللغوي التي ذكرها هوجن ، وأن يعرف تعريفاتها ، وأن يذكر أيها الأهم.

١٤- أن يكون قادرا على معرفة السبب الرئيسي جدا لماذا من الغالب أن ينجح التخطيط اللغوي الموجه للاستخدامات العليا.

١٥- أن يكون قادرا على معرفة العدد النسبي لأفراد عينة شميدث ومكريري (١)الذين قالوا إن "are" صحيحة في جمل "there" عندما يكون الفاعل جمعا منطقيا ، (٢) الذين ذكروا أنهم يستخدمون "are" في مثل هذه الجمل ، و(٣)الذين وضعوا "are" في الواقع في مثل هذه الجمل في اختبار الأداء.

١٦- أن يكون قادرا على تسمية العامل الاجتماعي الأعمق الواجب التخطيط له قبل أن يكون ممكنا نجاح التخطيط اللغوي للاستخدام في المجال السفلي.

١٧- أن يكون قادرا على معرفة منظور فاسولد فيما إذا كان من الممكن أو لا وصف الضروب اللغوية النموذجية على أسس لسانية.

الفصل العاشر

حالات التخطيط اللغوي

عرضنا في الفصل الأخير لمحة عامة عن تخطيط اللغة وتقييسها. يبدو الآن من المفيد أن نرى كيف يعمل ذلك التخطيط في الواقع العملي. وكمثال على ذلك سوف نستخدم حالتين يُحاول فيهما تحقيق أصعب هدف في تخطيط اللغة وهو إنشاء لغة قومية، ومن أسباب استخدام حالة اللغة القومية هو أنها تشتمل عادة على أهداف تخطيط للغة أكثر اعتدالا. ويعتبر تحديد اللغة بمثابة المشكلة المركزية في إنشاء لغة قومية جديدة، ويحتاج هذا الأمر أيضا إلى تحديد اللهجة وأنواع مختلفة من تطور اللغة. تشتمل الحالات الخاصة التي سوف نبحثها على أحد أكثر الأمثلة نجاحا في تأسيس اللغة القومية في العالم، وهي اللغة السواحيلية في تنزانيا. والحالة الأخرى التي واجهت صعوبات خلال تاريخها ولم تحقق أهدافها كانت حالة تخطيط اللغة الغيلية في أيرلندا.

تنزانيا

لمحة تاريخية

تتألف جمهورية تنزانيا المتحدة مما كان يدعى في السابق المستعمرة البريطانية، وكانت تسمى تنجانيقا وجزيرة زنزبار، وهي من دول شرق إفريقيا. وتبلغ مساحتها تقريبا ٣٥٠,٠٠٠ ميلا مربعا. وتبلغ حدود شريطها الساحلي على المحيط الهندي ٥٠٠ ميل، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥ مليون نسمة (انظر الخريطة رقم ١٠.١). ويرتكز

نشاطها الرئيسي على الزراعة، وليس لديها خطط كبيرة للتحول نحو الصناعة. ومن الناحية اللغوية، فإنها دولة متشعبة ومتعددة اللغات، ولهذا يذكر بولومي (١٩٨٠أ: ٣) أسباب صعوبة إدراج قائمة باللغات التنزانية بدقة.(١) وهناك سببان من هذه الأسباب معروفان لنا، وهما نقص الأسئلة المتعلقة باللغة في الإحصاءات التي أجريت بعد الاستقلال وصعوبة تمييز "اللغات" المتقاربة عن "اللهجات" المفهومة جزئيا فيما بينها.(٢)



الخريطة رقم (١٠،١). تنزانيا.

في مقالة لاحقة، أوضح بولومي (١٩٨٢ :١٢٧) وجود ١٣٥ وحدة من "الوحدات اللغوية المختلفة والمعروفة كلغات متميزة وفق المتحدثين بها". في عام ١٩٥٧، كان نحو ٩٤٪ من السكان يتحدثون لغة واحدة من عائلة لغات البانتو. ومع تعدد اللغات التي يتحدث بها أعداد قليلة نسبيا من السكان، فإنه توجد لغات قليلة جدا يتحدث بها أعداد كبيرة من الناس. وأكبر مجموعة هي السوكوما، وهي تشكل ١٢.٦٪ فقط من تعداد السكان، أما ثاني أكبر مجموعة فهي مجموعة (نياموزيزي) وهي تشكل ٤.٢٪ فقط من عدد السكان (وايتلي ١٩٧١ أ: ١٤٨).

كان استخدام اللغة السواحيلية في أول الأمر يتركز على طول الساحل، لم يكن يتحدث بها عدد كبير من السكان كلغة أم. وفي مراحلها الأولى، كان يتحدث هذه اللغة العرب والأفارقة من المسلمين وكانت تكتب بحروف عربية. وفي منتصف القرن التاسع عشر، أصبحت اللغة السواحيلية هي اللغة التجارية الرائدة من الساحل وحتى الداخل، وهو ما يسمى الآن بتنزانيا وكينيا وأوغندا وزائير الشرقية. وقد أدى النشاط التجاري إلى تعلم اللغة السواحيلية كلغة ثانية وتحدث بها آنذاك عدد لا بأس به من الناس الذين يعيشون في الداخل بعيدا عن الساحل. وقد استغل الألمان هذه الحقيقة وحكموا كثيرا من أراضي تنزانيا التي كانت تسمى شرق إفريقيا الألمانية، ودام حكمهم لها منذ نحو عام ١٨٩٠ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وكانت السياسة الألمانية تهدف إلى إقرار الحكم الاستعماري على المستعمرة بأقل عدد من الحكام الألمان العسكريين والمدنيين ومن مجموعة من صغار المسئولين الأفارقة. كان الحكام الأفارقة يتحدثون اللغة المحلية واللغة السواحيلية، وكان المستعمرون الألمان يتعلمون السواحيلية فقط. كان الحاكم الألماني يتعلم لغة إفريقية واحدة، وهي السواحيلية، وكانت هي اللغة التي يفهمها علية القوم عبر مساحة واسعة، بدلا من تعلم اللغة المحلية التي ليس لها فائدة أو استخدام في غير مكانها. وعندما استولى البريطانيون على

المستعمرة، وأعادوا تسميتها تنجانيقا، في نهاية الحرب العالمية الأولى، استمروا في اتباع سياسة اللغة التي استخدمها الألمان. وعلى الرغم من اكتساب اللغة الإنجليزية أهمية كبيرة باعتبارها لغة رجال الحكم وطبقة المتعلمين، فإن اللغة السواحيلية كانت تمثل لغة الاتصال القومية بين عامة الشعب، وهذه العوامل القوية أدت إلى حدوث ظاهرة حالة "اللغة الثلاثية"، والتي سبق لعبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨) أن وصفها ونوقشت في الفصل الثاني من هذا الكتاب.[٣]

أوضح وايتلي (١٩٦٩ : ٦٥) أن التانو (وهم الاتحاد الإفريقي القومي - تنجانيقا) قد اختاروا اللغة السواحيلية لغة لهم وذلك في كفاحهم من أجل الاستقلال، كما رفعت القدرة على التحدث باللغة الإنجليزية مكانة رئيس تنزانيا يوليوس نيريري كقائد؛ لأنها مكنته من التفاوض مع البريطانيين. ورغم ذلك فقد كانت اللغة السواحيلي مهمة له مثل اللغة الإنجليزية. وكانت اللغة السواحيلي فعالة جدا باعتبارها لغة الاتصال المنتشرة للدرجة أن نيريري اضطر لأن يستخدم مترجمين فقط في مناسبتين أثناء جولاته العديدة في البلاد قبل الاستقلال. وهذه حقيقة مهمة جدا خاصة وأننا نتحدث عن دولة بها ١٣٥ لغة محلية. وخلال الأعوام القليلة التي تلت الاستقلال الرسمي في عام ١٩٦١، اختارت تنزانيا اللغة السواحيلية كلغة قومية لها، وفي عام ١٩٦٧ اعتبرت اللغة الرسمية للدولة كذلك.

جهود تخطيط اللغة

التحديد.

لم يكن تحديد لغة قومية يمثل مشكلة بالنسبة لتنزانيا بالقدر الكبير كما هو الحال بالنسبة للعديد من الدول النامية.[٤] إن تاريخ اللغة بصفتها لغة التجارة والحكومة لقوتين استعماريتين قد ضمن ضرورة انتشار تلك اللغة في كافة أرجاء البلاد. ولم تكن

هناك بالفعل لغة محلية منافسة. والجماعة الثقافية الاجتماعية ذات العدد الكبير، وهي جماعة السوكوما، لم تكن طموحة من الناحية السياسية، ولم تكن لغتها منافسا خطيرا كلغة قومية. والميزة الأخرى التي تختص بها اللغة السواحيلية باعتبارها واحدة من لغات البانتو هي أنها مشابهة بنيويا للغات الأم لنحو ٩٥٪ من السكان. في الواقع أوضح عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨ : ١٣٢) أن المستجيبين الذين يعرفون كلا من لغة مجموعة البانتو الصغيرة ويعرفون أيضا قليلا من اللغة السواحيلية قبل الذهاب إلى المدرسة "لم يدركوا أنهم كانوا يتحدثون (أو يخلطون) لغتين مختلفتين" إلى أن ذهبوا إلى المدرسة. البديل الحقيقي الوحيد للغة الرسمية، إذا لم يكن اللغة القومية، كان اللغة الإنجليزية. وباعتبار أن اللغة الإنجليزية هي لغة الاستعمار، ويتحدث بها عدد قليل نسبيا من التنزانيين فإن الأمر كان يستلزم تجنب اختيار اللغة الإنجليزية ما أمكن. بعد الاستقلال كانت تنزانيا في وضع يستلزم منها اختيار لغة قومية تتميز بما يلي: (١) محلية، (٢) ألا تكون لغة إحدى الجماعات الثقافية المتعددة التي تتنافس من أجل الحكم، (٣) معروفة بشكل عام بأنها لغة ثانية، (٤) تتعلق من الناحية اللغوية باللغات الأم لمعظم المواطنين، (٥) تستخدم من الناحية التاريخية كلغة للتعليم الابتدائي، وعلى الأقل تمثل المستوى المتوسط لرجال الحكومة.

ومن ناحية أخرى، هناك عدة لهجات للغة السواحيلية ويجب تطوير لغة قومية من إحدى هذه اللهجات.(٥) ربما كان من حسن الحظ أن يُنجز تحديد اللهجة جيدا قبل الاستقلال من قبل السلطات البريطانية .لذلك في عام ١٩٣٠، أنشئت منظمة تعرف باسم لجنة اللغة السواحيلية داخل المناطق، وعرفت فيما بعد باسم لجنة اللغة السواحيلية لشرق إفريقيا، وهي تختص بتحديد شكل اللغة السواحيلية الذي سيستخدم في التعليم. وكان من المفترض أن تجد اللجنة سياسة موحدة لكينيا وأوغندا وكذلك تنجانيقا، وكان المنافسان القويان للهجة التي تشكل الأساس للغة النموذجية

هما كيونجوجا، وهي اللهجة التي يمكن التحدث بها في بلدة زنزبار، ولهجة كمفيتا، وهي لهجة مومباسا وهي مدينة كينية قريبة من الحدود التنزانية الكينية.(٦) وقبل عامين من تأسيس هذه اللهجة، اختار مؤتمر ما بين المناطق لهجة كيونجوجا على الرغم من اعتراضات العديد من الباحثين المجتمعين. وتتمتع كيمفيتا بميزة التراث الأدبي والقومي الذي لا تفتقده لهجة كيونجوجا. وهذا النقص هو الذي دفع وايتلي (١٩٦٩ : ٣٢٩) إلى تسمية اختيار كيونجوجا على أنه "من عدة نواح .. غير موفق". من ناحية أخرى، فإن التراث الأدبي في كيمفيتا كان إسلاميا، وهذه الحقيقة لم تؤثر على المخططين للغة الاستعمارية الذين كانوا ينتمون إلى الغرب في نظرتهم الثقافية، إن لم يكونوا مبشرين مسيحيين في الأساس (هينيبوش ١٩٧٩ : ٢٦٨). ومما يدعم اختيار لهجة كيونجوجا هو حقيقة أن لهجات السواحلية المنطوقة في داخل تنجانيقا كانت شبيهة بها، حيث إن كيونجوجا هي اللغة الأم في بلدة زنزبار، منشأ الرحلات التجارية القديمة. وكانت هذه الميزة سببا مهما في القبول العام والواسع للغة النموذجية في تنزانيا.

التقييس.

كانت اللجنة وأتباعها مسئولين عن تقييس اللغة السواحلية خلال فترة الاستعمار. وكان اهتمام اللجنة ينصب بشكل أساسي على اللغة المكتوبة، وهذه ميزة نموذجية لهيئات التخطيط اللغوي. ولعدة سنوات من المناقشة حول منح أو حجب الموافقة على النشر بها حددت في النهاية إمكانية نشر كتاب أم لا. وهذه القوة كانت مشابهة للتأثير الذي اختص به ويليام كاكستون عندما كانت لديه المطبعة الوحيدة في إنجلترا. وكان تأثير اللجنة طفيفا على الطريقة التي استخدمها الناس في تحدث اللغة السواحلية ولكنها أثرت على كيفية تعلم اللغة في المدارس الحكومية. وفي سنواتها الأولى، كانت اللجنة متشددة في إصرارها على الأشكال التي قررت أنها صحيحة.

وقد سبب هذا الكثير من الضيق والاستياء، وكانت اللغة السواحيلية المكتوبة جامدة وبلا حياة وقد فرضهاالأوروبيون على شرق إفريقيا. وقد خفت السيطرة الشديدة على اللغة المكتوبة. وكان مجهود تقييس اللغة ناجحا في تنزانيا من ناحية أن اللغة النموذجية المكتوبة كانت قريبة من المعايير المنطوقة والمقبولة وفقا للغة كيونجوجا، ومن ناحية أخرى لأن معظم الجدل المرتبط بتقييس اللغة قد انتهى قبل الاستقلال.

وفي آخر الأمر، تحولت لجنة اللغة لتصبح معهد أبحاث اللغة السواحيلية لجامعة دار السلام في تنزانيا. ويعتبر تطور اللغة السواحيلية في تنزانيا هو الشغل الشاغل لوزارة التعليم ووزارة تطوير المجتمع والثقافة القومية، وكان لها مسئول معين يدعى "أخصائي تطوير اللغة السواحيلية". ولم يكن ممكنا تطبيق بعض خطط الوزارة لتطوير اللغة القومية نتيجة لنقص التمويل.

علم الإملاء والمفردات.

كانت اللغة السواحيلية تكتب أصلا بالحروف العربية. ومع هذا، فقد استبدلت الحروف العربية بالحروف الرومانية تحت تأثير الإرساليات المسيحية والذين قدموا معظم التعليم الرسمي وأصدروا تراجم للإنجيل والمواد المطبوعة الأخرى في الأيام الأولى للاتصال بأوروبا. كان هناك جدل طفيف حول استخدام الحروف الرومانية C بدلا من Ch، وهل تُفصل مقاطع كتابية معينة حول جذورها اللغوية المحددة بها. وفي كل الأحوال، فقد فشلت العروض الابتكارية وأصبحت الممارسات القديمة هي النموذجية السائدة الآن.(٧)

حتى قبل بدء الجهود الرسمية لتخطيط اللغة من قبل الحكومة الاستعمارية، كانت هناك قواميس (وقواعد) الإرساليات في شرق إفريقيا، وكانت إحدى المهام الأولى للجنة اللغة بين المناطق هي إنتاج قاموس إنجليزي وقاموس سواحيلي. وفعلا

صدر ذلك في عام ١٩٣٩م. وقد طور قاموس جديد في أواخر الستينيات من قبل معهد أبحاث اللغة السواحيلية، وهي المنشأة التي جاءت خلفا للجنة. وفقا لما ذكره هيل (١٩٨٠ : ٣٨٣) كانت القواميس السواحيلية - الإنجليزية، والإنجليزية- السواحيلية لا تزال تحت الإعداد من عام ١٩٧٩م، ولكن كان هناك قاموس سواحيلية - سواحيلية جديد قيل إنه في "مرحلة التنقيح الأخيرة" وكان له الأولوية والأسبقية أكثر من القواميس ذات اللغتين. وقد أصدرت ملاحق لقاموس عام ١٩٣٩م، وهي قوائم الكلمات التي صدرت بشكل دوري من خلال نشرة لجنة اللغة، وهي الآن صحيفة تسمى "سواحيلية" ويتولى المعهد إصدارها. وكان وايتلي (١٩٦٩ : ٩٢) الذي شارك بنفسه في الإصدار تساوره بعض الشكوك حول تأثير قوائم الكلمات الرسمية هذه. وقد أجرى هينيبوش (١٩٧٩ : ٢٨٧-٢٨٨) دراسة صغيرة للمقارنة بين قوائم الكلمات التي صدرت باللغة السواحيلية وبين المصطلحات المستخدمة بالفعل. وقد وجد أن المصطلح الرسمي يستخدم أحيانا وأحيانا لا يستخدم. وهو يستنتج "أن عامة السكان يستخدمون المفردات الجديدة عندما تدعو حاجة الاتصال إلى ذلك وأحيانا يكون ذلك نابعا من أعلى العشب أو من جذوره" (هينيبوش ١٩٧٩ : ٢٨٨). ولم يكن المعهد هو المصدر الوحيد لقوائم الكلمات الرسمية حيث إن كل منشأة حكومية فردية تعرض قوائم لكلمات في مجالها الخاص. وقد أصدر قاموس في القانون في منتصف الستينيات وأثار موجة من الجدل (هايس ١٩٦٨، اوبار، ١٩٧٦ أ). وكانت الأكثر إثارة للاهتمام على الأقل بالنسبة للغويين الابتكارات في المفردات التي تحدث في اللغة السواحيلية بعيدا عن التخطيط العلني. وقد قدم هينيبوش (١٩٧٩) صورة للعديد من هذه العمليات.[٨]

التعليم.

قبل الاستقلال، اعتادت المدارس التي تديرها الإرساليات التبشيرية على استخدام اللغات المحلية الدارجة في التعليم الابتدائي، واللغة الإنجليزية في المستويات الأعلى. وكانت السياسة الرسمية تحت الحكم البريطاني تتجه نحو استخدام السواحيلية كلغة للتعليم في الدراسة الابتدائية واستخدام اللغة الإنجليزية في المراحل اللاحقة.

صمِّمت السياسة التعليمية في تنزانيا بعد الاستقلال للمساهمة في السياسة الوطنية وللتركيز على الزراعة ودعم مفهوم "الأخوة" (ujamaa) وهو المفهوم الإفريقي للاشتراكية والذي يشكل النظام الاقتصادي والسياسي المحدد للأمة. وأحد أسباب ذلك هو أن التعليم الابتدائي يجب أن يكون مستقلا بذاته وليس مصمما كإعداد مسبق للتعليم الثانوي، والذي لم يلتحق به معظم المواطنين، وكما كتب الرئيس نيريري في "الأخوة": *مقالات عن الاشتراكية* قائلا: "في تنزانيا المبرر الوحيد للتعليم الثانوي هو أن القليلين من أفراد الشعب يحتاجونه لخدمة الكثير منهم" (١٩٦٨م : ٦٢). في الممارسة الفعلية، في عام ١٩٧٨م، كان هناك ٢٠٪ فقط من الطلاب في المستوى السابع (أعلى مستوى في التعليم الابتدائي) ومثله في المستوى الأول، ولكن كان أقل من ١٠٪ في المرحلة الأولى (المستوى الأول من التعليم الثانوي) كما في المستوى السابع (بولومي وهيل ١٩٨٠: ٤٠٧ الملحق ١٤: ب).

في ظل هذه السياسة العامة، لم يكن هناك سبب للإبقاء على اللغة الإنجليزية كوسيلة للتعليم في المدارس الابتدائية، واختيرت السواحيلية كوسيلة للتعليم على الرغم من استمرار اللغة الإنجليزية في شكل مادة دراسية. (في الأعوام الأولى كان الأباء الأثرياء يرسلون أطفالهم إلى المدارس الابتدائية التي تستخدم اللغة الإنجليزية كوسيلة للتعليم، ولكن منذ عام ١٩٦٧، كان مخالفا للقانون أن يدرس مواطن تنزاني

في مدرسة ابتدائية تكون وسيلة التعليم فيها خلاف السواحيلية). وقد ظلت اللغة الإنجليزية وسيلة التعليم لدرجة كبيرة في مستوى المرحلة الثانوية، على الرغم من أن الهدف كان استبدالها باللغة السواحيلية في التعليم الثانوي والمستويات الأعلى. وكان هناك عاملان أعاقا بشدة الجهود الرامية إلى استخدام اللغة السواحيلية في التعليم الثانوي والمستويات الأعلى، وهما: (١) نقص المصطلحات الفنية والمواد المطبوعة، و(٢) الصعوبة التي تواجه المدرسين عندما يتعين عليهم تدريس مادة ما بالسواحيلية في حين أنهم قد درسوها باللغة الإنجليزية.[٩] ومع هذا، فإن وزارة التعليم كانت تطور المناهج والامتحانات التي تتيح استخدام السواحيلية كلغة تعليم حتى على مستوى دخول الجامعة. في عام ١٩٧٩م، بدا واضحا تماما لهيل (١٩٨٠ : ٣٨٦) أن الانتشار الواسع للغة الإنجليزية كلغة تعليم في المرحلة الثانوية لن يستمر في المستقبل المنظور. أما في جامعة دار السلام، يتم التعليم باللغة الإنجليزية، باستثناء عدة دورات لغوية سواحيلية ، وتُستخدم السواحيلية كوسيلة تعليم في كليات تدريب المعلمين، حيث تُدرس اللغة الإنجليزية كمادة دراسية فقط.

الحكومة.

وبما أنه قد أُعلن عن اللغة السواحيلية كلغة رسمية ولغة قومية أيضا فكان لا بد من أن تصبح لغة الحكومة أيضا، وفي الواقع أصبحت لغة المجلس الوطني ولغة المحاكم الدنيا كما أصبحت اللغة الرسمية لكافة الوظائف الرسمية للحزب الوحيد الحاكم في تنزانيا حزب التانو. ويزداد استخدام السواحيلية بدلا من الإنجليزية في الخدمة المدنية رغم وجود كم لا بأس به من تبديل الشفرة بين الإنجليزية والسواحيلية. والعديد من الاستمارات المكتوبة التي تستخدم في الخدمات العامة ما زالت مطبوعة

باللغة الإنجليزية رغم أن اللغة التي يستخدمها الموظفون الحكوميون مع المواطنين الذين يأتون إليهم هي اللغة السواحيلية. وتُستخدم اللغة السواحيلية واللغات الدارجة جميعها في الأنماط المعقدة للمحاكم (كافوكا وبوب ١٩٨٠) وبنسبة أكبر من اللغة الإنجليزية تستخدم في المستويات الأعلى للمحاكم. نظم النظام السياسي التنزاني بشكل هرمي من التشريع القومي إلى مجالس المناطق إلى مجالس القرية إلى خلايا الجوار حيث تُستخدم فيها أحيانا اللهجات الدارجة (جيه أوبار، ١٩٧٦). كانت السياسة المتعلقة بلغة الحكومة في تنزانيا ناجحة جدا وذلك على الرغم من عدم إزاحة اللغة الإنجليزية أو اللغات الدارجة تماما.

بصرف النظر عن الاستخدام الفعلي للغة في الحكومة ، فقد كانت هناك على الأقل سياستان حكوميتان أسهمتا بشكل رئيسي في نشر السواحيلية في تنزانيا (بولومي ١٩٨٢) كانت إحدى السياسات هي نقل العمال المدنيين لفترات محدودة من الزمن إلى أجزاء من الدولة بخلاف منطقتهم الأصلية، بحيث لا يكون أمامهم خيار سوى استخدام اللغة السواحيلية أثناء العمل (وذلك لأنهم لا يعرفون اللغة الدارجة المحلية للمنطقة المحولين إليها). وكانت السياسة الأخرى هي تأسيس القرى الجماعية لتكون بمثابة وحدات زراعية صغيرة يعيش فيها أناس ذوو خلفيات لغوية مختلفة. ويشجع غياب اللغة الدارجة المحلية المشتركة في هذه القرى الجماعية على تقدم اللغة السواحيلية للاستخدام المحلي.

النجاح

المعايير.

قبل أن نقول: إلى أي مدى كانت جهود تخطيط اللغة ناجحة في تنزانيا، نحتاج أن تكون لدينا فكرة عن ما إذا كان ذلك يحسب كنجاح. فأحد المعايير هو أن نقول:

إن النتيجة كانت مرضية إذا أصبحت السواحيلية تشكل في الواقع كلا من اللغة القومية والرسمية. وهذا يعيدنا إلى فكرة فيشمن عن التمييز بين القومية وتسيير أمور الدولة. تعتبر السواحيلية لغة حقيقية تمثل القومية، إذا كانت تعمل كرمز فعال للجنسية التنزانية بالنسبة لأغلبية السكان. وهي لغة حقيقية رسمية (وليس ببساطة كونها معلنة فقط) طالما أنها استخدمت عادة في تنفيذ المهام المتعلقة بتسيير أمور الدولة والتعليم بصورة يومية.(١٠)

أعتقد أنه من العدل أن نذكر أن تنزانيا قد حققت مستوى مؤثرا من النجاح في كلتا الجهتين. لا شك في أن اللغة السواحيلية كانت تمثل القومية التنزانية، كما أن مستوى النجاح الذي أُنجز في مجال تسيير أمور الدولة مؤثر. حقيقة لا تُستخدم اللغة لكل الأغراض الرسمية في كل مستويات الحكومة، وقد ثبت أنه من الصعب توسيع استخدامها إلى مجالات فنية وتعليمية أعلى. ورغم هذا، تم استخدام السواحيلية على نطاق واسع في الحكومة وبشكل حصري في المستوى الابتدائي في التعليم. علاوة على ذلك، حدث كل هذا في دولة فقيرة (وفقا لما ذكره ج. أوبار، ١٩٧٦أ : ٥٠، احتلت تنزانيا المركز ١٢٣ في قائمة مؤلفة من ١٣٥ دولة). والسؤال الذي سوف نناقشه في نهاية هذا الفصل هو إلى أي حد تكون هذه النتائج الجيدة ناتجة بالفعل عن تخطيط اللغة.

المتحدثون باللغة.

فيما إذا كانت اللغة هي اللغة القومية للدولة بالمعنى الكامل فإن هذا يعتمد على عدد من يتحدث بها من المواطنين، إذ لا يكفي أن تُعتبر اللغة مجرد رمز، ولكن يجب استخدامها لأغراض التواصل أيضا. ويعتبر أداء السواحيلية في تنزانيا جيدا من هذه الناحية: إذ يتحدث نحو ٨٠-٩٠٪ من سكان تنزانيا بها، والغالبية العظمى

تتحدثها كلغة ثانية (ج. أوبار ١٩٧٦ ب: ٧٠). يقدم و. أوبار التحليل التالي لسكان قرية أوسانجي الريفية بالنسبة للمقدرة اللغوية، وهي تبدو نموذجية لسكان البلدة (و. أوبار ١٩٧٠، عن دونسون ١٩٧٧: ٦٢):

من يتحدثون لغة واحدة وهي أسو	٥٪
من يتحدثون لغتين أسو سواحيلية	٦٣٪
من يتحدثون ثلاث لغات أسو سواحيلية إنجليزية	٣٢٪

والبيانات التي قدمها بولومي (١٩٨٢: ١٧٧) تظهر نسبة أعلى قليلا من المتحدثين بالسواحيلية والإنجليزية، وعلى الأقل إحدى اللغات الدارجة المحلية:

لغة أو لغات دارجة فقط	٨, ١٪
سواحيلية فقط	٨, ١٪
لغة دارجة محلية سواحيلية فقط	٤١,٢٪
لغة دارجة محلية سواحيلية إنجليزية	٥٢,٢٪

بلغ عدد المتحدثين الذين تقدموا بهذه المعلومات من أهل المدن أو حصلوا على تعليم جيد أو كليهما ٢٧٤ شخصا، وأوضح بولومي (١٩٨٠ب، ١٩٨٢) أن أهل الريف والمزارعين بشكل خاص من المحتمل أن يعرفوا واحدة أو أكثر من اللغات الدارجة المحلية، ربما السواحيلية ولكن ليس اللغة الإنجليزية.(١١)

توجد مجموعات معينة تميل أكثر بشكل ملحوظ إلى التحدث باللغة السواحيلية من غيرها. لقد شاهدنا بالفعل أن السواحيلية أسهل للتعلم بالنسبة للمتحدثين بلغات البانتو أكثر من المتحدثين باللغات الأخرى. يبدو من المعقول أن نتوقع أن نسبة أعلى من متحدثي لغات البانتو الأصليين سوف يعرفون السواحيلية بشكل أوسع أكثر من المجموعات الأخرى، على الرغم من أنني لم أشاهد أرقاما في هذا الشأن. وفقا لما ذكره بولومي (١٩٨٢: ١٧٥)، فإنه من المرجح أكثر أن يتحدث بالسواحيلية على

طول الساحل، وفي الداخل على طول الطرق التجارية، وفي المدن الكبيرة، كما يتحدث بها المتعلمون والذين يعملون في الخدمات المدنية. وقد وجد و. أوبار (١٩٧٦أ: ٤٢-٣) أن من المرجح أكثر أن يتحدث السواحلية: الرجال أكثر من النساء (كل الرجال تقريبا في يوسانجي يتحدثون بها)، والشباب أكثر من كبار السن، والمواطنين المتعلمين أكثر من الأقل في المستوى التعليمي. وحقيقة أن صغار السن والمتعلمين يعرفون تلك اللغة هو بدون شك نتاج السياسة التنزانية إلى حد كبير. ويعزو أوبار الاختلاف حسب الجنس إلى حقيقة أن الرجال يقضون وقتا خارج مناطق سكنهم للعمل في المدن أو الزراعة، أو يخدمون في القوات المسلحة. والسبب الآخر من وجهة نظره هو التعليم، حيث إن اللغة السواحيلية كما نعلم يتحدث بها الرجال أكثر من النساء. كما يشير بولومي (١٩٧٥: ٣٨) إلى التخلف في تعليم البنات وحبسهم في المنازل. إذا كانت سياسات المساواة للحكومة التنزانية تجعل على الأقل التعليم الابتدائي عاما للجميع، وإذا أتيح للنساء الالتحاق به، فقد تنخفض حدة هذه الفروق حسب رأي أوبار.

المواقف.

من الواضح أن النسبة الزائدة والكبيرة من السكان التنزانيين يتحدثون السواحلية. وأن السواحلية ترمز للقومية التنزانية، وتخدم وظائف الوحدة والاستقلال على المستوى القومي بطريقة تبدو مستحيلة للغة الإنجليزية. يظل لدينا اكتشاف كيف يشعر التنزانيون بشأن اللغة السواحيلية مقارنة باللغات الدارجة للمجموعات الصغيرة. فهل القيمة الرمزية للسواحيلية كلغة قومية تنطبق فقط على سكان المدن، "غير المنتمين إلى قبائل" والأفضل تعليما، وهؤلاء المشتركين في الحكومة القومية والسياسة؟ . وما هي قيمة السواحيلية للفرد العادي الذي ينتمي إلى

إحدى الجماعات الثقافية الاجتماعية التي تشكل المجتمع التنزاني؟ يمكن أن نتذكر أن فلاحي أوبروارت كانوا يتحدثون لغتين الألمانية والمجرية لعدة أجيال دون أن تشكل اللغة الألمانية رمزا للهوية. لقد كانت ببساطة أداة للتعامل مع "الأجانب". والأمر نفسه يتكرر مع اللغة الإنجليزية في إقليم كويبك. فهل هذا هو الدور الذي تلعبه السواحيلي بالنسبة لمعظم التنزانيين؟

يتفق الدارسون جميعا، وهم المتخصصون في الحياة في تنزانيا أنه لا يوجد تحويل شامل يحدث من اللغات المحلية إلى السواحيلية (واتيلي ١٩٦٩ : ١١٥، و.أوبار ١٩٦٧أ: ٤٢، سكوتون ١٩٧٨ : ٧٥٥ هامش ٢٤، هينبيوش ١٩٧٩ : ٢٩٢). وحالة ثلاثية اللغة في تنزانيا التي ذكرناها في الفصل الثاني هي حالة ثابتة. وقد وُصف هذا الموقف من قبل واتيلي (١٩٦٩ : ١١٥):

بمعنى آخر، فإن جمهورية تنزانيا الاتحادية مع دول أخرى عديدة في العالم اليوم، هي متعددة اللغات، وكل لغة تؤدي وظائف معينة... وطالما أن الدول الحديثة تشارك في المجموعات الفوقومية، مثل، السوق الأوروبية أو سوق شرق إفريقيا، ومنظمة الاتحاد الإفريقي، والأمم المتحدة ... إلخ، فإن هناك ضرورة للغة الفوقومية. طالما توجد ضرورة ملحة لإرساء هوية قومية لأسباب سياسية أو ثقافية فإن اللغة القومية، وفي هذه الحالة السواحيلية، يكون لها دور مهم عليها أن تؤديه. وحيث تكون الروابط المحلية مهمة، لتعزيز إحساس الارتباط والاستمرار مع الماضي، أو على سبيل المثال لتأكيد قيم مجموعة محلية عندما يبدو أنها تواجه الذوبان في وحدة أكبر، حينئذ تظهر اللغة المحلية في المقدمة.

وكما تعلمنا من دراسة الإبقاء والتحول اللغويين فإن الجزء من المعلومات الذي نبحث عنه هو اللغة أو اللغات التي تنقل للأولاد. يوضح سكوتون (١٩٧٨ : ٧٥٥، هامش ٢٤) الحقيقة التالية من إحدى المجموعات التنزانية وهي تشاجا وهي

حسب ما ذكره واتيلي (١٩٦٩ : ١١٤) تتمتع بولاء كبير للغتها "العديد من تشاجا الذين يعيشون على منحدرات جبل كلمناجارو يستخدمون اللغة السواحيلية في حياتهم اليومية مع الأقارب كالإخوة والأخوات، ولكنهم لا يزالون يستخدمون لغة تشاجا مع *الأولاد* وكبار السن" (الكتابة المائلة لي). من الممكن أن تُستخدم تشاجا مع كبار السن؛ لأنهم لا يعرفون السواحيلية جيدا، وربما لأنهم اكتسبوا كفاءتهم اللغوية قبل ظهور القومية. ورغم هذا، فإن استخدام اللغة المحلية مع الأولاد يعني أن متحدثي تشاجا يريدون من أولادهم أن ينتموا إلى مجموعتهم وألا يكونوا مجرد أولاد تنزانيين فقط. من ناحية أخرى، يوضح بولومي (١٩٨٠ب: ١١٧) أن بعض الأباء الذين يتحدثون اللغة الدارجة نفسها يستخدمونها فيما بينهم، ولكنهم يستخدمون السواحيلية مع أبنائهم. وقد رأينا أن هذا النموذج يعني أن شرق سازرلاند قد وصلت المراحل الأخيرة للتحول من اللغة الغيلية إلى اللغة الإنجليزية. ومع هذا فإن العائلات التنزانية التي تدخل في هذا النموذج من اختيار اللغة يمثلون الأقلية. وقد كشفت المقابلات التي أجريت مع عينات من الطلاب في الأعوام النهائية في كليات تدريب المعلمين في عام ١٩٧٠م أن ٨٠٪ منهم يريدون من أطفالهم تعلم اللغة الدارجة التقليدية إلى جانب السواحيلية، وهناك سببان رئيسيان لذلك: "كان الحافز في الغالب هو الهوية الذاتية، واللغة الدارجة هي الوعاء الحقيقي للتراث، وبالأهمية نفسها أيضا كانت الحاجة لأن يكون الولد قادرا على التواصل بشكل مناسب مع أجداده الذين لا يلمون باللغة السواحيلية إلا قليلا (بولومي ١٩٨٠ب: ١٣١، هامش ٢١).

من السهل تأكيد أن اللغات المحلية هي رمز للانتماء بالنسبة للمجموعات الصغيرة عند معظم التنزانيين، وأن معظمهم أيضا يتحدثون السواحيلية. يبدو أقل وضوحا سواء أكانت السواحيلية تعتبر أداة فقط أم أنها أداة ورمز معا. بمعنى هل من الممكن أن تعرف نفسك مثلا بأنك من التشاجا ومواطن تنزاني معا. يبدو لعبد العزيز

مخيلفي (١٩٨٠ : ١٦١) أن الإجابة على السؤال هي "نعم" : "الموقف من السواحيلية هو موقف إيجابي فهي في الوقت الراهن تمثل لغة الصفوة والهوية القومية... والموقف من اللغة الأم هو نوع من الارتباط العاطفي الطبيعي تجاه لغة "البيت"، وباعتبارها تمثل الهوية الأصلية والثقافة".

هناك على الأقل سبب واحد مهم لكي يبدو هذا الأمر على هذا النحو. لقد تمت حركة الاستقلال في تنزانيا باللغة السواحيلية. وقادة التانو أمثال يوليوس نيريري كانوا يتحدثون إلى الجمهور بالسواحيلية، كما لا يزال القادة السياسيون القوميون يفعلون ذلك. وبهذه الطريقة أصبحت السواحيلية اللغة المرتبطة بوحدة كل المجموعات الثقافية والاجتماعية الصغيرة ضد خصم عام، وهو القوة الاستعمارية. فإذا كان هذا الإحساس الخاص بالهوية المزدوجة إحساسا عاما، فلربما حققت تنزانيا مزيجا يقرب من المثالية للوحدة والاختلاف. وإذا كان الأمر كذلك فقد لعبت السواحيلية دورا مهما في هذا التطور.

الأدب.

أحد العوائق الخطيرة في تقدم اللغة السواحيلية هو نقص الأدب المطبوع بهذه اللغة. معظم الأعمال المنشورة بالسواحيلية بغض النظر عن أدب الدوريات جاءت في شكل مواد مدرسية. ولكي تقرأ الروايات والشعر والمسرح حتى من قبل الكتاب الأفارقة، فمن الضروري تعلم اللغة الإنجليزية. وهذه الحقيقة ليست تضر اللغة السواحيلية فحسب في نظر المتعلمين، بل تعوق تقدم اللغة نحو مستويات أعلى من النظام التعليمي طالما أنه لا يوجد الكثير مما يمكن قراءته على هذا الصعيد. ومن أجل توضيح أن اللغة قادرة تماما على استخدامها في أعمال أدبية ، قام الرئيس نيريري بنفسه بترجمة مسرحية يوليوس قيصر لشكسبير إلى السواحيلية. وهناك اقتصادي

يدعى بيترتيمو اتبع هذا المنهج وأصدر كتابا منهجيا باللغة السواحيلية في مجال تخصصه (و. أوبار ١٩٧٦أ: ٤٧). إن التشجيع على استخدام اللغة في الأدب يعد واحداً من المهام الرئيسة لمن يدعو إلى السواحيلية، وكان هناك بعض التحسن في الأعوام الأخيرة مع نشر روايات شعبية مثل القصص البوليسية والرومانسية. كما كان هناك تراجم للأعمال التي كتبت باللغة الإنجليزية من قبل مؤلفين أفارقة (هينيبوش ١٩٧٩ : ٢٩٢).

المقارنة مع كينيا

من المفيد أن نعطي لمحة مختصرة إلى الدولة الجارة لتنزانيا وهي كينيا، وذلك فيما يتعلق بإصدارات اللغة القومية. وكينيا تشبه تنزانيا في عدة نواح. إذ إنها دولة شرق إفريقية ذات لغات متعددة، وهي مستعمرة بريطانية سابقة، حققت الاستقلال في الوقت نفسه تقريبا، كما أن اللغة السواحيلية منتشرة كلغة للاتصال على نطاق واسع. ورغم هذا، فإن السواحيلية ليست هي اللغة الرسمية لكينيا، بل اللغة الرسمية هي الإنجليزية. وقد دعا الاتحاد القومي الإفريقي الكيني (كانو)، وهو الحزب السياسي الوحيد في كينيا، بأن تصبح السواحيلية اللغة القومية أو على الأقل مساوية للإنجليزية، ولوقت طويل لم ينفذ الكثير بشأن هذه السياسة. في عام ١٩٧٤م، أعلنت السواحيلية لغة البرلمان الكيني. وأثار الإعلان عاصفة من الاحتجاج لدرجة أنه أُغلق البرلمان في اليوم التالي. يشير سكوتون (١٩٧٨ : ٧٣٥) إلى أن الاستخدام الرسمي للسواحيلية في البرلمان سوف يكون له تأثير محدود لو ظلت اللغة الإنجليزية لغة نشاط الحكومة اليومي، ولغة التعليم، ولغة الأعمال الخاصة. والسبب وراء عدم جعل السواحيلية لغة قومية لكينيا هو عدم قبولها.

وهناك عدة أسباب وراء الاختلاف بين خبرات الدولتين. أولا، على الرغم

من أن كلتا الدولتين كانت مستعمرة بريطانية فقد خضعت تنزانيا للحكم الألماني. كما اتبع الاستعمار البريطاني الأسلوب الألماني في تعيين إداريين يتحدثون السواحلية وبشكل متوسط. وفي كينيا كانت السياسة مذبذبة، أحيانا يفضلون السواحلية، وأحيانا اللغة الإنجليزية، وأحيانا اللغات المحلية. وجزء من السبب وراء ذلك هو أن الإرساليات المسيحية كانت أكثر تأثيرا في كينيا منها في تنزانيا وعادة يفضل المبشرون استخدام اللغات المحلية حيث يشعرون أن اللغة الأم للفرد أكثر ملاءمة للتبشير. وهذا يعني أن تأثير الإرساليات التبشيرية سيعمل لصالح اللغات الدارجة في مراحل التعليم الأولى. وسبب آخر يُقدّم أحيانا وهو المطامح السياسية المختلفة التي جاءت بعد الاستقلال في الدولتين (سكوتون ١٩٧٨، ج. أوبار ١٩٦٧). تتبع تنزانيا سياسة قوية من مبدأ "الأخوة" (الاشتراكية الإفريقية) وهي ذات تأثير يتعلق بالمساواة بين البشر. ويقود هذا بالطبع إلى استخدام السواحلية، وهي أكثر اللغات انتشارا. إن النظام السياسي والاقتصادي في كينيا أقل مساواة بالتأكيد. وإن الموجودين في السلطة قد حققوا القوة باستخدام اللغة الإنجليزية ولديهم مصلحة في الوضع الاجتماعي اللغوي الحالي.

أما السببان الثالث والرابع فهما سببان ذوا طبيعة لغوية اجتماعية. وحين نتذكر اللهجتين اللتين تتنافسان لتحديد اللهجة في المنطقة أثناء الفترة الاستعمارية نجد أنهما كانتا كيونجوجا وكيمفيتا. وكانت كيونجوجا اللهجة الأم في زنزبار، والآن هي جزء من جمهورية تنزانيا المتحدة. واللهجات الموجودة في شمال البلاد في كلتا الدولتين مشابهة لكيونجوجا كنتيجة للنشاط التجاري للقرن التاسع عشر. كيمفيتا هي اللهجة السواحلية لمدينة مومباسا وهي في كينيا. وعلى الرغم من أنها لم تختار كلغة نموذجية إقليمية، إلا أنه لا يزال هناك من يخلص لها ويتمسك بها. على الرغم من أن كيونوجا كلغة نموذجية مقبولة في تنزانيا، إلا أنها ليست مقبولة بشكل واسع في الساحل

الجنوبي لكينيا. ومن ناحية أخرى، فإن كيمفيتا هي نوع أدنى مـن السـواحيلية يتحـدث بها أهل الشمال في كينيا. وباختصار، حتى إذا تحقق تحديد اللغـة السـواحيلية في كينيا فإن تحديد اللهجة النموذجية يكون أمرا أكثر صعوبة.

وأخيرا فـإن كينيا بـها مجموعـات عرقية أقـل في العـدد وأكبر في الحجـم. ووفقـا لإحصـاء ١٩٦٢ والـذي ذكره وايتلي (١٩٧١أ : ١٤٧-٨) يوجـد نحـو ٣١ مجموعـة تتحدث اللغة مقابل ١١٤ في تنزانيا (الرقم الذي ذكره بولومـي هـو ١٣٥، مبني على أسـاس بيانـات مسح حديثة). يشـكل أربـع مـن هـذه المجموعـات أكـثر مـن ١٠٪ مـن السكان لكل منها، كيكويو (٨, ١٩٪)، ليو (٨, ١٣٪)، لويـا (١, ١٣٪) والكامبـا (٢, ١١٪). ويتحدث بكل من هذه اللغات الأربع مـا يزيد عـن مليون شـخص. ومـن غير المحتمـل أن تتعلـم المجموعـات الكبيرة السـواحيلية لسببين. مـن منظـور الاتصـال، كلما زاد عدد الناس الذين يشاركون شخصا ما لغته الأم، كلمـا قـل احتمـال احتيـاج هذا الشخص لتعلم لغـة أخرى. فيمـا يتعلـق بالجـانب الرمـزي للغـة، فمـن المحتمـل أن يشعر أعضاء الجماعات الكبيرة أنهم ليسـوا بحاجة لتعلـم لغـة أخرى، كمـا أنـه يجـدر بالآخرين تعلم لغتهم هم. وللغة السواحيلية ميزة، حتى في كينيـا، لا تمتلكهـا اللغـات المقترحة في بلدان أخرى. فعلى عكس اللغـة الهندية في الهنـد فإن السـواحيلية ليسـت اللغـة الأم لإحـدى الجماعـات الثقافيـة الاجتماعيـة الكبيرة. لـذا مـن المفـترض أنـه لـن يكـون صعبـا الحصـول على متحدث مـن إحـدى الجماعـات الأربـع الكبـيرة ليتعلـم السواحيلية لأن الأمر تماما مثل ما يتعلم لغة لإحدى الجماعات الأخرى. ورغم هـذا، فإنـه يوجـد بشـكل عـام علاقـة بين حجـم الجماعـة والعدوانيـة تجـاه اللغـات المشـتركة (سـكوتون ١٩٧٨ : ٧٢٣). إن التوقعـات بالنسـبة للسـواحيلية تبـدو أكـثر تعقيـدا في حقيقة أن عددا أقل من مواطني كينيا يتحدثون لغات البانتو (٦٠-٦٥٪ مقارنة بـ ٩٤٪ في تنزانيـا). وثـاني أكبر مجموعـة في تنزانيـا وهي ليـو، تتحـدث لغـة نيلوتيـك، وهـي

تجعلهم أقل ميلا لقبول السواحيلية ، لغة البانتو. وتعطي المقارنة بين كينيا وتنزانيا انطباعا بأنه إذا كانت الدولة متعددة اللغات بدرجة من متوسطة إلى قصوى، فإنه من الأفضل بالنسبة لتحديد اللغة القومية للدولة أن تكون أكثر وليس أقل اختلافا.

وسواء أكان أي من هذه الأسباب أو جميعها يصلح كتفسير، لم يكن للغة السواحيلية حظ أفضل في كينيا مثل تنزانيا. على الرغم من أنه يمكن أن يقال: إن السواحيلية لم تُقبل؛ لأن تخطيط اللغة لم يكن قويا في كينيا، إلا أن العكس يبدو لي أقرب إلى الحقيقة. لم يكن تخطيط اللغة قويا؛ لأن القيادة القومية كانت محنكة سياسيا بدرجة كافية لإدراك أنه لأسباب تاريخية وإثنوغرافية قوية، لم تُقبل لغة السواحيلي.

أيرلندا

التاريخ

أيرلندا هي ثاني أكبر الجزر البريطانية وتوجد في غرب بريطانيا العظمى. وهي دولة مقسمة سياسيا إلى جمهورية أيرلندا المستقلة وأيرلندا الشمالية التي تتألف من ست مقاطعات شمالية تخضع للحكم البريطاني. تبلغ مساحة جمهورية أيرلندا ٢٧٠٠٠متر مربع. ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة (أوهوالاتشين ١٩٧٠ : ١٨١).

منذ عدة قرون مضت كان الأيرلنديون يتحدثون اللغة الغيلية الأيرلندية (تسمى حاليا "الأيرلندية"). وكان للغة وللشعب الأيرلندي حضارة عظيمة ويرجع تاريخ الأدب الغيلي إلى ما يزيد عن ألف عام في التاريخ. والحكم الإنجليزي الذي كان غاشما في ذلك الوقت تأسس في القرن السابع عشر، وكان هناك تحول تدريجي في اللغة الأيرلندية إلى الإنجليزية واستمر ذلك حتى القرن الحالي. وفي عام ١٩٦١م، أشارت بيانات الإحصاء الأيرلندية إلى أن ما بين ٢ ، ٣٪ من سكان الجمهورية

يتحدث الأيرلندية الأصلية.[١٢] وفي الفترة الزمنية نفسها صرح نحو ٢٠٪ من سكان المنطقة بأنهم يتحدثون اللغة الأيرلندية، ومعظمهم تعلموا الأيرلندية كلغة ثانية.[١٣] يعيش المتحدثون بالأيرلندية باعتبارها اللغة الأم في مناطق بعيدة نسبيا عن الساحل الغربي. وعلى العكس من التنوع الشديد في تنزانيا، فإن أوهوالاتشين (١٩٧٠ : ١٨١) ذاته كان يفضل عودة اللغة الأيرلندية حيث قال: "إن الدولة ككل تتحدث لغة واحدة (الإنجليزية)".

والتناقض الآخر بالمقارنة مع تنزانيا هو حقيقة أن حركة الاستقلال في أيرلندا كانت قد تمت باللغة الإنجليزية، كما أن العاطفة القومية في القرن التاسع عشر في معظمها لم يعبَّر عنها باللغة الأيرلندية. ويشعر ماكنامارا (١٩٧١ : ٦٨) أن النجاح العظيم لحركة الاستقلال قد أضعف من قوة جهود استعادة اللغة. اعتقد الناس أنه إذا كان للغة الأيرلندية سيطرة سياسية على منطقتهم فإن العمل من أجل اللغة لن يكون ضروريا.

جهود التخطيط

التحديد.

لم يكن تحديد اللغة بالطبع أمرا مهما في أيرلندا. إذا كان من الضروري تخطيط اللغة، فيجب أن تخطَّط اللغة من جانب الأيرلنديين. وكانت اللغة الإنجليزية هي اللغة القومية الوحيدة، فلم تتطلب التخطيط.[١٤] ويحدد الدستور الأيرلندي اللغة الأيرلندية كلغة قومية، واللغة الرسمية الأولى ويعتبر اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية الثانية. وكان تحديد اللهجة أمرا أكبر نسبيا. على الرغم من حقيقة قلة عدد المتحدثين الأصليين للغة الأيرلندية، كانت هناك ثلاث لهجات معترف بها، وهي: مونستر، كوناتشت، ودونيجال. يتحدث أوهوالاتشين (١٩٦٢ : ٧٨) في مقالته

السابقة عن "قواعد قياسية تنطبق على جميع اللهجات". كان مدرسو المرحلة الابتدائية يفضلون لهجة مونستر في إحدى المراحل، ولكن حدث منذ فترة قريبة أن كان هناك "انتقال منتشر للهجة كوناتشت" (ماكنامارا (١٩٧١" ٧٢، ٧٤). وتتميز لهجة كوناتنشت بكونها لغة معظم المتحدثين الأصليين باللغة الأيرلندية، وهي وسط بين اللهجتين الأخريين. استُعين بأوهوالاتشين ومجموعة من زملائه من قبل الحكومة لإجراء دراسة عن اللغة الأيرلندية المنطوقة واستخدام النتائج لتطوير مواد التدريس. وقد اكتمل هذا العمل في منتصف الستينيات، واشتمل على أشرطة للمخابر اللغوية ومواد لدورات اللغة الأيرلندية تذاع بالراديو والتلفزيون. كانت لهجة كوناشت هي المفضلة في هذه المواد وفقا لما ذكره ماكنامارا، مما يؤكد تميزها كأساس للغة النموذجية.

التقييس.

قبل عام ١٩٥٠م، كان عدد من القواعد البسيطة متاحا للتدريس. وقد نُشرت القواعد النموذجية الرسمية في عام ١٩٥٣م، وأجري التعديل عليها في عام ١٩٥٨م، وقُبلت بشكل عام. أما المواد التي أنتجها أوهوالاتشين وزملاؤه وتدعى (أسس اللغة الأيرلندية وبداياتها) كان لها دون شك تأثير عظيم على مقاييس تدريس اللغة في المدارس، وذلك على الرغم من أنها لا تشكل قواعد رسمية.

علم الإملاء والمفردات.

ثبت أن تخطيط علم الإملاء أمر سهل إلى حد ما. وكان للقاموس المبكر للأب باتريك دنين تأثير على استقرار علم الإملاء. وقد صدر نظام التهجئة المبسط من قبل الحكومة في عام ١٩٤٥. "وكان مقبولا عالميا تقريبا" (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧٣). وكان التخطيط للمفردات ناجحا بالمثل. استُبدل قاموس الأب دنين من الأيرلندية إلى

الإنجليزية، وكذلك قاموس الأب لامبرت مكينا من الإنجليزية إلى الأيرلندية، بقاموس رسمي صدر في عام ١٩٥٩م. في القاموس الجديد قسم للمصطلحات الفنية وكذلك مداخل للمصطلحات الأكثر ضرورية. وكان القاموس مهماً ليس فقط بالنسبة للمداخل التي يحتوي عليها، ولكن لوضعه مبادىء للتوسع في المفردات. كان الهدف المبدئي هو وضع الكلمات في الاستخدام الحالي أولاً ثم العودة إلى اللغة الأدبية الأقدم أو الألفاظ الجديدة فقط عند الضرورة. وكان هناك ميل لاقتراض المصطلحات الفنية من اللاتينية واليونانية على طريقة معظم اللغات الأوروبية الحديثة. وقد نجح تطوير المفردات إلى حد أنه توجد دورات تدريس باللغة الأيرلندية في جامعة جولوي (Galway) وتشتمل على اللاتيني والتاريخ والاقتصاد والكيمياء والفيزياء الرياضية والتجريبية بالإضافة إلى اللغة الأيرلندية (ماكنامارا ١٩٧١ : ٨٩، هامش ٢٤، أوهوالاتشين ١٩٦٢ : ٧٧). من بين قائمة تضم ٨٠ مصطلحا حديثا طورها أستاذ جامعة يل كاختبار لتحديث اللغة، لم ينقص اللغة الأيرلندية إلا ثلاث كلمات فقط هي "ديموغرافيا"(أي الدراسة الإحصائية للسكان)، و"الاضطراب العصبي"، و"تنظيم صارم" (أو هوالاتشين ١٩٦٢ : ٧٨).

التعليم.

كما هو الحال في تنزانيا، اشتمل معظم تخطيط اللغة في أيرلندا على النظام التعليمي. من أجل الحصول على صورة أوضح لكيفية عمل تخطيط اللغة في النظام التعليمي، من المهم أخذ فكرة عن شكل النظام ونوعيته. هناك ثلاثة مستويات للتعليم "الابتدائي والثانوي والعالي". تخضع المدارس الابتدائية للسيطرة الحكومية. وهناك نوعان من المدارس الثانوية: المهنية والأكاديمية. وجميع المدارس الثانوية في أيرلندا هي

مؤسسات خاصة يعمل معظمها بأوامر دينية. في المستوى الثالث، هناك ثلاثة أنواع من المؤسسات، كليات الجامعة وكليات التقنية المتقدمة وكليات تدريب المعلمين لمدارس المرحلة الابتدائية (أوهوالاتشين ١٩٦٢، ماكنامارا ١٩٧١).

تُستخدم المدارس الابتدائية كأداة لاستعادة اللغة الأيرلندية إلى حد أن أوهوالاتشين (١٩٦٢ : ٨٠) يرى أن المدارس الابتدائية لها "غرض مزدوج" : "تعليم الأطفال ونقل المعرفة إليهم حتى سن الرابعة عشرة وتدريس اللغة الأيرلندية". وبمجرد أن تحقق الاستقلال قررت الحكومة الأيرلندية تدريس اللغة الأيرلندية أو استخدامها كوسيلة للتعليم لمدة ساعة على الأقل يوميا في كل المدارس الابتدائية التي يوجد بها مدرس يمكنه تدريسها بكفاءة. وفي عام ١٩٣٤م، كانت السياسة الرسمية هي أن الأيرلندية لم تكن فقط تدرس كمادة دراسية، ولكنها كانت تستخدم كوسيلة لأداء كل الأعمال في فصول "الأطفال"، وفي الفصول الأعلى لتدريس التاريخ والجغرافيا والغناء واللياقة البدنية إذا كان ذلك ممكنا على الإطلاق. ثم تمت الدعوة فيما بعد إلى استخدام اللغة الأيرلندية ما أمكن كوسيلة للتدريس في كافة الصفوف الدراسية. ومدى إمكانية تطبيق هذه السياسات في مدرسة محددة كان يقرره المسؤولون في تلك المدرسة (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧٠-١). ولإيجاد مدرسين يمكنهم تنفيذ هذه السياسات، طلبت الحكومة من المعلمين تحت عمر ٤٥ اتباع دورات صيفية واشترطوا استقدام مدرسين من المناطق التي تتحدث الأيرلندية. وقد تم هذا عن طريق حجز نصف المنح الدراسية الحكومية المخصصة "للكليات الإعدادية" لمتحدثي الأيرلندية. وقد تابع الطلبة في الكليات الإعدادية في كليات تدريب المعلمين التي كانت تدرس أيضا باللغة الأيرلندية. عندما كان يعمل بهذا النظام بشكل كامل، قدم نحو ثلث معلمي المرحلة الابتدائية، وكانوا ممن يتقنون اللغة الأيرلندية (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧١). وفي عام ١٩٦٢ ذكر أوهوالاتشين (١٩٦٢ : ٨١) أن ٨٠٪ من معلمي المرحلة الابتدائية

حصلوا على شهادات كفاءة للتدريس باللغتين. ولكن في بداية الستينيات توقفت هذه الكليات الإعدادية.(١٥) وفي عام ١٩٧١ "كانت كليات تدريب المعلمين تستخدم فقط قدرا محدودا جدا من التدريس باللغة الأيرلندية". (ماكنامارا، ١٩٧١: ٧٥).

يصف أوهو الاتشين (١٩٧٠/ ١٨١-٢) الحالة في المدارس الابتدائية في ثلاثة نماذج: النموذج الأول الذي ضم ٢٦٩ مدرسة ابتدائية كانت اللغة الأيرلندية فيها هي وسيلة الدراسة الوحيدة؛ على الرغم من أن الكتب الدراسية الإنجليزية تستخدم في بعض المواد في مستوى ما بعد الابتدائية. ومعظم هذه المدارس كانت في المناطق التي تتحدث باللغة الأيرلندية، حيث يكون معظم الطلبة ثنائيي لغة ولكن اللغة الأيرلندية كانت هي المسيطرة. أما في المدارس التي تتبع هذا النموذج والواقعة خارج المناطق التي تتحدث الأيرلندية، فإن بعض الطلبة كانوا أحاديي اللغة باللغة الإنجليزية فقط. وتُدرَّس اللغة الإنجليزية كمادة دراسية.(١٦) ثانيا، في ٤٢٧ مدرسة ابتدائية أخرى تستخدم كلتا اللغتين الأيرلندية والإنجليزية كوسيلة للتعليم، ولكن لا تتوافر معلومات عن كم التعليم بكل لغة. فمعظم الطلبة يأتون إلى المدرسة وهم يتحدثون اللغة الإنجليزية فقط، ولكن البعض منهم قد يتحدث الأيرلندية. وتشكل اللغة الأيرلندية مادة إجبارية في كل الصفوف. أما النموذج الثالث في المدارس المتبقية والتي يبلغ عددها نحو ٣٧٠٠ مدرسة، فإن وسيلة الدراسة الوحيدة هي اللغة الإنجليزية، على الرغم من وجود اللغة الأيرلندية كمادة إجبارية. والقليل فقط من طلبة هذا النموذج من المدارس يتحدثون الأيرلندية في المنازل.

لم تفرض الحكومة بصورة مباشرة اللغة الأيرلندية كوسيلة للتعليم على المدارس الخاصة في المرحلة الثانوية. ورغم هذا، فإن هؤلاء الذين يتلقون دعما حكوميا (أي معظمهم) يجب عليهم تدريس اللغة الأيرلندية كمادة دراسية. وهناك بواعث كثيرة لاستخدام اللغة الأيرلندية كوسيلة للتعليم، فمثلا تحصل المدارس

الثانوية التي تدرس كل المواد باللغة الأيرلندية على أكبر عدد من المنح الحكومية للطلبة. ويخّير الطلبة في المدارس الثانوية أن يقدموا امتحاناتهم إما باللغة الإنجليزية وإما بالأيرلندية. والطلبة الذين يختارون اللغة الأيرلندية يحصلون على علاوات تشجيعية في مراحلهم الدراسية (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧٤-٥). على الرغم من هذه السياسات، فإن استخدام الأيرلندية كوسيلة دراسية في المدارس الثانوية آخذ في هبوط. في عام ١٩٦٢، ذكر أوهولاتشين (١٩٦٢ : ٧٩) أن ٥٦٪ من المدارس الثانوية في أيرلندا لم تدرس أي مادة باللغة الأيرلندية. والبيانات التي قدمها في عام ١٩٧٠ (أوهوالاتشين ١٩٧٠ : ١٨١-٢) تشير إلى أن الرقم قد زاد إلى ٧٥٪ . كما سجلت دراسة (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧٥) بالمثل هبوطاً في عدد المدارس الثانوية الأكاديمية (تسمى المدارس القواعدية) التي تدرس كل المواد (باستثناء اللغة الإنجليزية) باستخدام اللغة الأيرلندية. ويعود السبب في ذلك دون شك إلى نقص الكتب المنهجية باللغة الأيرلندية التي تصلح للتعليم الثانوي.

لقد أشرنا سابقا إلى مجموعة واسعة من المواد الدراسية التي تدرس باللغة الأيرلندية في كلية جامعة جولوي (Galway). وعلى الرغم من أن هذا يشير إلى النجاح في التخطيط لتطوير اللغة الأيرلندية، إلا أن كلية جامعة جولوي التي تعتبر أصغر الكليات الجامعية ليست نموذجا للتعليم العالي في البلد. فقد اشترطت كل من كلية جامعة كورك وكلية جامعة جولوي في عام ١٩٧١ أن يعيَّن في بعض وظائف الكلية من يستطيع تدريس المواد باللغة الأيرلندية (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧٥). ومع ذلك فقد درِّست "بعض المواد" فقط باللغة الأيرلندية. وكان الشيء نفسه قد طبق في كلية القديس باتريك حسب ما جاء في دراسة ماينوث (أوهوالاتشين ١٩٦٢ : ٧٨) . كان استخدام اللغة الأيرلندية كوسيلة للتعليم في مؤسسات التعليم العالي الأخرى بنسبة ضئيلة تكاد لا تذكر، باستثناء "الكم المحدود من التدريس الذي يتم باللغة الأيرلندية"

في كليات تدريب المعلمين، والتي كما رأينا بالفعل تمثل هبوطا حادا عما كان الحال عليه قبل عشر سنوات. يجد أوهولاتشين (١٩٦٢ : ٧٩) سببا جزئيا للكم البسيط المستخدم للغة الأيرلندية في التعليم العالي في "عدد من الإداريين والأكاديميين الذين يشغلون وظائف ذات تأثير عظيم ويقاومون ثنائية اللغة". ويرى ماكنامارا (١٩٧١ : ٧٥-٧٦) المجموعة التالية من الأسباب: "إن الذي يدهش المرء حين يبحث الواقع التعليمي هو انخفاض جهد استعادة اللغة حين ينتقل الشخص من المستوى الابتدائي إلى الثانوي ، ومن الثانوي إلى التعليم العالي. يمكن عزو الفرق بين المستويات من ناحية إلى مبادىء أصول التدريس لهؤلاء الذين خططوا للتعليم منذ عام ١٩٢٢ ، ومن ناحية إلى زيادة الطلبات على وقت الطلبة حين يكبرون، ومن ناحية لأن الحكومة تمارس سيطرة أكثر في الابتدائية منها في الثانوي، وفي الثانوي أكثر مما في التعليم العالي، ومن ناحية إلى نقص الكتب المنهجية باللغة الأيرلندية حيث يتدرج الطالب صاعدا في سلم التعليم. ويؤكد هذا الوضع بوضوح الاعتقاد بأن وقت تدريس لغة ثانية يكون في شكله الأفضل عندما يكون الأطفال صغار السن . ولو تركنا التفسير جانبا، فإن ذلك يشير إلى أن العبء الأكبر في استعادة اللغة الأيرلندية هو مسؤولية العاملين بالمدارس، وهم القسم الأضعف والأقل قدرة على المقاومة. علاوة على ذلك فإن الشرط التعليمي لاستعادة اللغة يستلزم أن نطرح سؤالا حول مدى جدية هذا المجهود بأكمله لاستعادة اللغة الأيرلندية".

الحكومة

تتمثل إحدى المتناقضات الأخرى مع الوضع في تنزانيا، في أن كل أعمال البرلمان في أيرلندا تجري باللغة الإنجليزية، والقانون التشريعي مطبوع باللغتين الإنجليزية والأيرلندية. وعلى عكس تنزانيا، تتمتع أيرلندا بنظام التعددية الحزبية. وقد

ذكر ماكنامارا في عام ١٩٧١ أن الأحزاب الثلاثة الكبرى كانت تساند جهود استعادة اللغة الأيرلندية ، على الرغم من أن أحد هذه الأحزاب كان أقل حماسا من الاثنين الآخرين. (ماكنامارا ١٩٧١ : ٧٧).[١٧] كما يطلب من عمال الخدمة المدنية والضباط في قوة شرطة الحكومة إظهار معرفة باللغة الأيرلندية عند توظيفهم ، ولكن القليل من العمال المدنيين يستخدمون تلك اللغة في عملهم ، والشرطة فقط التي تعمل في مناطق تتحدث الأيرلندية تستخدم الأيرلندية. يدرب جيش أيرلندا الصغير ضباطه في الغالب باللغة الأيرلندية ، ويحتفظ بسرية تتكون من ١٧٥ جنديا يتحدثون الأيرلندية ، ويعطي جميع أوامر التدريب بها. ويجب على المحامين إظهار مقدرتهم باللغة الأيرلندية قبل أن يسمح لهم بممارسة العمل ، ولا تجري في المحاكم الموجودة في المناطق التي تتحدث اللغة الإنجليزية أي أعمال باللغة الأيرلندية. وتنفّذ أنشطة الحكومة المحلية باللغة الإنجليزية في المناطق المحلية التي تتحدث الإنجليزية.

تتقيد وسائل البث الحكومية بتقديم برامج باللغة الأيرلندية. هذه البرامج يستقبلها الناس جيدا ، وقد بيع من الكتيبات التي تصاحب برامج الراديو والتلفزيون التي نجمت عن البحث الذي قام به أوهولاتشين وزملاؤه نحو ٢٠٠,٠٠٠ نسخة (من إجمالي عدد السكان الذي يبلغ ثلاثة ملايين نسمة). وقد أظهر بحث أجري على المشاهدين أن ثلاثة من أربعة أشخاص يشاهدون أخبار التلفزيون باللغة الأيرلندية ، إذا كانوا في وضع يسمح لهم بمشاهدة البرنامج[١٨].

النجاح

المعايير.

كما ذكرنا في تقييمنا عن نجاح تخطيط اللغة في تنزانيا ، فإن درجة النجاح تتوقف على المعايير المستخدمة في حد ذاتها. فإذا قمنا بقياس ما أنجز في مقابل الأهداف

المحددة في وثيقة "ورقة بيضاء" والصادرة في عام ١٩٦٥م، فإننا نستنتج حينئذ أن حركة استعادة اللغة قد فشلت. وفقا لتلك الوثيقة، "الهدف القومي هو استعادة اللغة الأيرلندية كوسيلة اتصال عامة" (أو هوالاتشين ١٩٧٠ : ١٨٠، ماكنامارا ١٩٧١ : ٨٣) وكما سنرى فيما بعد بالتفصيل، أن هذا الهدف بعيد المنال. وفي عام ١٩٦٢، أوضح أوهوالاتشين (١٩٦٢ : ٧٧) "أن ثنائية اللغة هي سمة من سمات المدارس أكثر من كونها سمة من سمات الحياة خارج المدارس." وبعد ثماني سنوات، لا نجد حاجة لتعديل هذه المقولة كما جاء في دراسته (أوهوالاتشين ١٩٧٠ : ١٨٠). إذا كان تأسيس اللغة الأيرلندية كلغة رسمية لتسيير أمور الدولة هو الهدف، فإن تقييمنا سيكون لا أمل فيه كثيرا. على الرغم من إعلان الدستور الأيرلندي اللغة الأيرلندية لغة رسمية رئيسية، إلا أنها مستخدمة بشكل قليل جدا لتنفيذ وظائف الدولة.

على الرغم من هذا يوجد هناك إحساس بأن اللغة الأيرلندية هي بشكل ما اللغة القومية. في تنزانيا، ذكرنا أننا يمكن أن نطلق على اللغة صفة القومية "بالمعنى الكامل للكلمة"، إذا كانت نسبة كبيرة من السكان تتحدث بها. بهذا المعنى الكامل بالطبع، فإن اللغة الأيرلندية ليست قومية. ورغم هذا فإن مناقشتنا للمواقف سوف تظهر أن اللغة الأيرلندية تعمل كلغة رمزية قومية (إن لم تكن تستخدم في الاتصال بين الناس) إلى حد كبير. علاوة على ذلك فقد حقق تخطيط اللغة الأيرلندية الأهداف المتوسطة لتحديد اللهجة وتطور اللغة في مجالات علم الإملاء والتهجئة والتوسع في المفردات والتقييس.

المتحدثون باللغة.

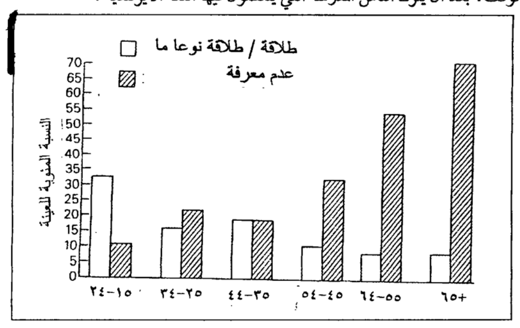
لقد أوضحت سابقا أن ٣٪ من السكان، على الأغلب، يتحدثون اللغة الأيرلندية باعتبارها اللغة الأم، وأن نسبة السكان التي تصرح بأنها تتحدث الأيرلندية

كلغة أولى أو ثانية هي أقل من ٢٥ ٪ (وربما أقرب إلى ١٥٪). من العينة العشوائية البالغة ٩٢٤ متحدثا التي قام أوهوالاتشين (١٩٧٠) بتحليلها، نجد أن ٢٪ فقط ذكروا أنهم يستخدمون اللغة في البيت دائما أو في معظم الوقت. و ٥٣٪ فقط من هؤلاء ذكروا أنهم تحدثوا أو قرأوا اللغة الأيرلندية على الأقل في "بعض المناسبات هذه الأيام"، حيث يعتقدون أن المعرفة باللغة ليس لها أي استخدام عملي لهم. وهؤلاء الذين وجدوها مفيدة عموما قدموا أمثلة على الاستخدامات المتعلقة بشكل مباشر بمقاييس التخطيط الرسمي: مساعدة الأطفال في أداء الواجبات، والمساعدة في الحصول على عمل، وقراءة الاستمارات والمستندات الرسمية (والبعض وجد اللغة مفيدة أيضا في التحدث إلى الناس باللغة الأيرلندية "عند الضرورة").

يعطي التقييم الذاتي الخاص بالكفاءة في اللغة الأيرلندية من خلال العينة صورة غير مشجعة عن تأثير التعليم في استعادة اللغة الأيرلندية. فإن نحو ٥٠٪ من أفراد العينة ذكروا أنهم درسوا اللغة الأيرلندية فقط في المرحلة الابتدائية، واعتبر ٩٪ فقط أنفسهم متقنين اللغة، وذكر نحو ٦٣٪ أن لديهم بعض المعرفة، و٢٧ ٪ قالوا: إنه "ليس لديهم أي معرفة" باللغة الأيرلندية. وهذا الرقم مدهش لسبب بسيط هو أن أكثر من ربع أفراد العينة يرغبون في الاعتراف بأنه ليس "لديه معرفة" لشيء قام بدراسته كل عام دراسي حتى سن الرابعة عشرة، حتى عندما كان لديهم اختيار ذكر "بعض المعرفة". وذكر ثلث هؤلاء الذين ذهبوا لدراسة اللغة الأيرلندية في مستوى ما بعد الابتدائية أنهم يتحدثونها بطلاقة، ومعظم الباقين ذكروا "بعض المعرفة باللغة"، ونحو ٦٪ من الذين تابعوا دراستهم باللغة الأيرلندية ادعوا أنه "ليس لديهم معرفة" باللغة.

في تنزانيا كان هناك علاقة بين الجنس والعمر ومستوى التعليم والمعرفة باللغات القومية. وفي أيرلندا لوحظ زيادة في المعرفة باللغة الأيرلندية تتعلق بالمستويات العليا من التعليم، ولكن فقط إذا دُرست اللغة في هذه المستويات العليا. كما لا يوجد فرق فعلي

حسب الجنس سواء بالنسبة للذكر أو الأنثى[١٩]. ومع هذا فإن هناك نموذجا مهما حسب العمر، وهو الموضح في الشكل رقم(١٠,١). يوجد نموذج منتظم نوعا ما يتكون من تصريح متناقض بالطلاقة بتحدث اللغة، وميول متزايد نحو ذكر عدم المعرفة باللغة مع تقدم العمر. وكما هو الحال مع كل نماذج العمر، علينا أن نكون حريصين في تفسيرنا لتلك الظواهر. إذا كان من الممكن تفسير الشكل رقم (١٠,١) كعرض "للوقت الواضح"، فإنه يبدو مشجعا. يبدو أن المعرفة باللغة الأيرلندية تزداد مع مرور كل عقد من الزمان، فإن كل الدلائل تشير إلى أنه يجب تفسير النموذج كظاهرة تتدرج حسب العمر، وهو مماثل لنموذج ثنائية اللغة في مونتريال في الشكل رقم (٨,١) وللسبب نفسه. وفي دراستهم عن المواقف اللغوية في أيرلندا، يذكر برونلر ووايت (١٩٧٩ : ٦٥) "أن نسبة كبيرة من الناس، وعلى الرغم من التفضيل اللغوي الواضح عندهم للغة الأيرلندية، كانت القدرة الخاصة باللغة الأيرلندية تهبط بمرور الوقت، بعد أن يترك الناس المدرسة التي يتعلمون فيها اللغة الأيرلندية".



الشكل رقم (١٠,١). النسبة المئوية لتقارير عينة من السكان الأيرلنديين حول الطلاقة باللغة، وعدم معرفة اللغة الأيرلندية حسب العمر.

المصدر : بيانات من أوهوالاتشين (١٩٧٠ : ١٩١، جدول ٣)

أما في مونتريال، لم يكن نظام التعليم فقط، ولكن كان أيضا نظام المهن هو الذي دعم اللغة الإنجليزية. ونتيجة لذلك، فإن الانخفاض في مستوى المقدرة باللغة الإنجليزية لم يبدأ حتى نهاية العصر الوسيط. في أيرلندا لا يوجد دعم مهني للغة الأيرلندية وذلك بصرف النظر عن المتطلبات البسيطة المتعلقة بالخدمة المدنية. ونتيجة لذلك، بدأ الانخفاض في قدرة اللغة الأيرلندية قبل ذلك بكثير.

المواقف.

في تنزانيا، لم يكن من الصعب إثبات أن اللغة السواحيلية كانت تخدم وظائف الاتصال الخاص باللغة القومية بشكل فعال تماما، وأنها كانت رمزا لهوية الشخص التنزاني. في أيرلندا، كان من الواضح تماما أن وظيفة الاتصال هذه كانت تتحقق إلى حد بعيد عن طريق اللغة الإنجليزية. نادرا ما يظهر في أيرلندا موضوع الانتماء إلى جماعات قومية صغيرة، ورغم هذا، فإن هناك دليلا كافيا على أنه إذا تحدثنا عن لغة قومية بأنها رمزية دون أن تكون أداة اتصال، فإن الأيرلندية هي تلك اللغة.

في دراسة ذات مقياس كبير عن المواقف اللغوية والاستخدام اللغوي، وجد برونلر ووايت (١٩٧٩) أن المواقف تجاه اللغة الأيرلندية كانت إيجابية بشكل عام ومنتظمة بشكل كبير ومتناسقة داخلياً. ومع هذا، وجدا أن المواقف المذكورة هذه لها تأثير قليل على استخدام الشخص للغة الأيرلندية أو عدم استخدامه لها (وهذا اكتشاف لا يجب أن يدهشنا بعد دراستنا عن المواقف اللغوية). وتشير اختباراتهم الإحصائية (في هذه الحالة، التحليل العاملي وهو أسلوب لم يُدرس في الفصل الرابع) إلى وجود علاقة وثيقة بين المواقف نحو الجنسية الأيرلندية، والمتحدثين الأيرلنديين، واللغة الأيرلندية كرمز عرقي. ويستمر برونلر ووايت (١٩٧٩ : ٦٢-٣) بقولهما إنه على الرغم من أن المواقف نحو اللغة الأيرلندية قد لا تنبئ بالسلوك اللغوي الفردي،

لكن ربما تكون لها قيمة في السلوك السياسي (الدعم السياسي ونماذج التصويت) حيث تعتبر اللغة أمرا مهما.

من الواضح أن هناك دعما كبيرا من أجل الاستمرار في المستوى الحالي من الجهود الرامية إلى استعادة اللغة. على الرغم من أن أوهوالاتشين (١٩٦٢ ، ١٩٧٠) يرى أنه لم يعمَل الكثير من أجل نجاح استعادة اللغة، ويتساءل ماكنمارا (١٩٧١) عن جدية هذه الجهود، إلا أنه لا يوجد دليل كبير أيضا على أن الناس يرغبون في سياسة علنية تهدف إلى تقليل التركيز على اللغة الأيرلندية. يؤكد ماكنمار أنه عندما يثير الحزب السياسي الوحيد الذي يساند استعادة اللغة مسألة إسقاط السياسة التي تتطلب تدريس اللغة الأيرلندية كمادة دراسية في المستوى الثانوي، نجده يفشل في اتخاذ هذا الموضوع بجدية (ماكنمارا ١٩٧١ : ٧٧). ويقدم ماكنمارا أيضا بيانات مسح توضح أن ٧٦ ٪ من المستجيبين يرغبون في أن يروا اللغة الأيرلندية يتحدَّث بها على نطاق واسع كلغة ثانية، و٥٣٪ يعتقدون أن هذا أمر غير واقعي، و٧٦٪ يوافقون على تدريس اللغة الأيرلندية في المدارس الابتدائية (ماكنمارا ١٩٧١ : ٨٣). عندما نقرر النظر إلى الاستخدامات الرمزية واستخدام الاتصال باللغة القومية بشكل منفصل فإنه لا يبدو لنا واضحا جدا أن اللغة الأيرلندية تمثل، ولا في أي ناحية من النواحي، اللغة القومية في أيرلندا.

الأدب.

على العكس تماما من الحالة في تنزانيا، هناك كم لا بأس به من الأدب باللغة الأيرلندية. إذ لا يوجد فقط أعمال أدبية ترجع إلى آلاف السنين، ولكن يوجد أيضا شيء ما من الإحياء الأدبي آخذ في التقدم في هذه الأيام. وعلى العكس تماما من كتاب شرق إفريقيا الذين اختاروا حتى الآن الكتابة باللغة الإنجليزية بدلا من اللغة

السواحيلية فإن عددا من أفضل كتاب الرواية وكّتاب القصة القصيرة والشعراء الأيرلنديين يكتبون كل أعمالهم أو جزءا منها باللغة الأيرلندية حتى لو أدى ذلك إلى خفض الجمهور المتلقي لهذا السبب. وهناك أيضا مطبوعات دورية وناد للكتّاب. "وبشكل عام فإن النتاج الأدبي كان قويا ومؤثرا، والآن أصبح على أي شخص يرغب في فهم أيرلندا الحديثة والمدى الكامل لنشاطها الأدبي عليه أن يتعلم اللغة الأيرلندية" (ماكنمارا ١٩٧١ : ٨٢).

التحليل

تأسيس اللغة القومية

من بين الحالتين اللتين درسناهما، اتضح أنه أسِّست اللغة السواحيلية كلغة قومية في تنزانيا بقدر لا بأس به من النجاح، ولكن لا يمكن ذكر الكلام نفسه عن اللغة الأيرلندية في أيرلندا. من الصعب تجنب الاستنتاج الذي توصلنا إليه من أن الفروق في معدلات النجاح ليس لها علاقة بتخطيط اللغة. ربما يمكن لأيرلندا أن تفعل ما هو أكثر من ذلك، ولكن بالمقارنة مع تنزانيا يتضح إلى حد كبير استخدام التقنيات نفسها. فقد استخدمت كلتا الدولتين اللغة القومية المقترحة في نظام التعليم إلى أقصى حد ممكن. وبلا شك فإن العديد من الأطفال في تنزانيا، وخاصة هؤلاء الذين لغتهم الأم ليست لغة البانتو، يتعرضون لممارسة التمييز ضدهم؛ لأنهم لا يستطيعون فهم لغة المدرسة. ومع هذا ومن أجل تأكيد أن اللغة الأيرلندية هي الوسيلة الوحيدة للتعليم في أيرلندا فإن هذا يشكل صعوبة كبيرة على الأغلبية العظمى ممن يذهبون إلى المدارس. يمكن استخدام اللغة السواحيلية كلغة حكومية؛ لأن العديد من القائمين بالأعمال المدنية يتحدثون بها. ولكي نزيد ونقوي من دور اللغة الأيرلندية في الحكومة يجب أن يكون هناك عدد أكبر من المتحدثين بها. باختصار، فإن تأسيس لغة قومية في

تنزانيا كان ناجحا، ولكن ليس، إلى حد كبير، بسبب أن تخطيط اللغة كان ممتازا، ولكن لأن الأسباب التاريخية والاجتماعية مكنت اللغة السواحيلية في النهاية من أن تصبح اللغة القومية. إن الفشل في جعل اللغة الأيرلندية لغة قومية لأيرلندا بالمعنى الكامل للكلمة لا يمكن أن يعزى للفشل في تخطيط اللغة. إنما السبب الأساسي هو أن القوى الاجتماعية كانت قد أجرت تحولا شاملا نحو اللغة الإنجليزية قبل بدء تخطيط اللغة.

وفي رأيي فإنه يوجد اختلاف هائل بين قوة التغيير الاجتماعي "الطبيعي"، الذي يعتبر الإبقاء على اللغة والتحول إلى لغة أخرى نوعا منه، والضعف النسبي للتخطيط الرسمي للغة. يجب على الحكومات ووكالات التخطيط الأخرى مراعاة الاتجاه الذي تتجه نحوه القوى الاجتماعية وتوجه إليه سلوك اللغة، كما يجب مراعاة اتفاق أهداف تخطيط اللغة مع هذه القوى الاجتماعية. وعلى صعيد التغير الاجتماعي القائم بتأسيس اللغة القومية يمكن القول إن القائمين على تخطيط اللغة مثلهم مثل الذين يقومون بالتجديف في قارب في نهر ذي تيارين سريعين. وإذا قرروا التجديف في اتجاه التيار النازل فإن تقدم القارب سيكون سهلا إذا تمكنوا من توجيهه بعيدا عن الصخور والأماكن الضحلة، وإذا قرروا التجديف عكس اتجاه التيار صعودا فإن النهر يكون سريعا بدرجة تجعل القارب يهبط مع التيار ويضيع الكثير من الجهد المبذول في هذه العملية.

على الرغم من أن مبدأ التجديف باتجاه التيار ينطبق أيضا على أنواع ذات نطاق أضيق لتحديد اللغة وتطويرها، فإن فرص النجاح يمكن أن تكون أفضل كلما صغر هذا النطاق. كانت كل من تنزانيا وأيرلندا ناجحتين بالتساوي في تحديد اللهجة وتقييس القواعد اللغوية وتخطيط علم الإملاء[٢٠]. في التخطيط للمفردات تبدو أيرلندا ناجحة أكثر من تنزانيا، ويمكن أن يكون استخدام اللغة الأيرلندية بدرجة محدودة في

التعليم والحكومة بسبب قلة المتحدثين بها وليس بسبب نقص المفردات. يمكننا حتى أن نؤكد أن أيرلندا كانت، إلى حد ما، أقل نجاحا من تنزانيا في تطوير اللغة القومية الرمزية. تبدو اللغة الأيرلندية، إلى حد كبير، رمزا للهوية القومية في أيرلندا، حتى بالنسبة لهؤلاء الذين لا يتحدثون بها. كما أن الميزة التي تتمتع بها تنزانيا ليست إلا في وظيفة الاتصال في لغتها القومية.

إن تأسيس لغة قومية أمر معقد للغاية، ودائما تكون هناك استثناءات بالنسبة لأي تعميم يعلَن. ورغم هذا فإن هناك كثيرا من التعميمات التي تستحق العرض. أولا، أسهل حالات اللغة القومية هي حالة إعلان قومية اللغة بالنسبة إلى لغة يستخدمها كل فرد تقريبا في المجتمع. اللغة اليابانية في اليابان واللغة البرتغالية في البرتغال هي أمثلة على تلك الحالات "السهلة". الحالة التي تبدو لي الأسهل بعد هذين المثالين ربما تشكل أمرا مدهشا. تلك ستكون حالة أمة مشابهة لتنزانيا يختلط فيها الكثير من التنوعات اللغوية ولا توجد بها مجموعات ثقافية اجتماعية مسيطرة. ففي مثل هذا البلد فإنه بالإمكان نشر اللغة التي لا تعد اللغة الأم لإحدى المجموعات الفرعية الكبيرة كرمز قومي يتجاوز تلك الجماعات القومية الفرعية. وعلى الرغم من أن تلك حالة صعبة للغاية، فإن تأسيس العبرية كلغة قومية في إسرائيل - وهي قصة نجاح أخرى له هذه السمات نفسها. فالمهاجرون إلى إسرائيل جاءوا بمجموعة متنوعة من اللغات الأم، ولم تكن هناك جماعة عرقية لغوية مسيطرة، ولم تكن اللغة العبرية هي اللغة الأم لأي من المجموعات. وهذه السمات ذاتها تنطبق بدرجة أو بأخرى على مثالين آخرين ناجحين نسبيا، هما: تأسيس لغة الباهاسا الماليزية في ماليزيا و الباهاسا الإندونيسية في إندونيسيا.(٢١)

إن الأمر الأكثر صعوبة هو التخطيط للغة قومية في دولة مثل الهند أو الفلبين حيث إن اللغات المحلية المختارة كانت اللغة الأم لجماعات كبيرة. في الفلبين فإن اللغة

القومية المقترحة، وهي اللغة الفلبينية، تعتمد كثيرا على التاجالوج، وهي لغة جماعة عرقية من أكبر ثلاث جماعات عرقية في الدولة، وقد كانت هناك صعوبات حقيقية في نشر استخدامها في البلد ككل. وقد شاهدنا سابقا إلى أي حد كانت المقاومة تواجه انتشار اللغة الهندية في بعض أجزاء من الهند. وعلى الرغم من أن الدول في هذه الفئة تحتاج إلى لغة للاتصال على المستوى القومي، إلا أنه يبدو غالبا أن المواطنين يفضلون أن يواجهوا مشكلات في تواصلهم ببعضهم من أن يتبنوا لغة شخص أخر، خاصة حينما يشعرون أنهم جيدون مثلهم مثل أي شخص آخر. يبدو أنه ليس هناك شيء أصعب من تبني لغة أخرى خاصة عندما تكون اللغة الحالية تفي بكل حاجات الاتصال. وهذا ما تحاول أيرلندا القيام به. في ظل هذه المعوقات التي تواجه تخطيط اللغة في مثل هذا الموقف الذي تمر به أيرلندا يبدو النجاح الذي تحقق أمرا مدهشا.

في الحالات الصعبة، يبدو من الأفضل ألا نحاول أن نجعل اللغة أساسا للهوية القومية. فالايرلنديون لا يعتبرون أنفسهم مطلقا أشخاصا إنجليزيين حتى عندما تحولوا إلى اللغة الإنجليزية. ويبدو الحل نفسه هو البديل الأفضل لبعض الدول مثل الهند. تشير التعليقات التي ذكرها العلماء الهنود في الفصل الأول إلى أن التنوع اللغوي لا يشكل بالضرورة عائقا في طريق القومية في الهند. وليس هناك حاجة ملحة حتى لوجود لغة قومية. يمكن لمتطلبات التواصل أن تتم من خلال إجراء بعض الجمع بين لغة رسمية لا يتظاهر أحد بأنها رمز للغة القومية وثنائية اللغة. في الواقع يبدو أن هذا ما يجري بالفعل في الهند.

توضح الحالتان اللتان نظرنا إليهما أنه يمكن فعل الكثير من خلال تخطيط اللغة. ورغم هذا فإن بعض الأهداف تبدو صعبة المنال بالنسبة للطرق الحالية لتخطيط اللغة.

هوامش لمراجع إضافية

هناك العديد من الكتب والمقالات التي ناقشت حالات التخطيط اللغوي بحيث لا يمكن الاستشهاد بأكثر من عينة منها. وبالإضافة إلى المقالات التي استشهد بها في هذا الفصل، هناك العديد من الحالات التاريخية المدروسة جيدا في روبن جيرنود (١٩٧١) وروبن وشي (١٩٧٣)، وفيشمن (١٩٧٤)، وفيشمن وفيرجسون وداس جوبتا (١٩٦٨)، وحالات أخرى تاريخية عولجت بكتب بأكملها أو أنها متفرقة في المجلات الدورية، وتتضمن دراسات شرق إفريقيا التي لم يستشهد بها في هذا الفصل، منها دراسات لادفوقد وقليك وكريبر Ladfoged, Glick & Cripers (١٩٧٢)، ووايتلي Whiteley (١٩٧١ب، ١٩٧٤)، وهوبكنز Hopkins (١٩٧٧م)، وهاريس Harries (١٩٧٦). أما دراسة بلومي وهيل (١٩٨٠) على الأخص فهي مصدر غني لحالة تنزانيا. وتتضمن دراسات إضافية حول الحالة الأيرلندية وجميعها نشر في أيرلندا دراسة كرونن Cronin (١٩٧٨)، والمقالات في Ocuiv (١٩٦٩) و"مقالة وايت حول استعادة اللغة الأيرلندية White Paper on the Restoration on the Irish Language (١٩٦٥م). وتوجد الحالات التي تخص جنوب شرق آسيا في اليسجهابانا Alisjahbana (١٩٧٢، ١٩٧٦)، ونوس Noss (١٩٧١)، ودي فرنسيس de Frances (١٩٧٧)، وعمر Omar (١٩٧٥)، وكلز kelz (١٩٨١). وكان التخطيط اللغوي في الصين موضوع لي وتومبسون Li & Thomspon (١٩٧٩)، وميلز Mills (١٩٥٦). وعولجت حالات أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي في لنت Lunt (١٩٥٩)، وبيرون Byron (١٩٧٦)، ولويس Lewis (١٩٧٢ ب)، وبرانكو Branko (١٩٨٠) ومن بين القائمة الطويلة للأعمال التي تناولت الحالة المدهشة في إسرائيل ما يلي: كوبر ودانت Cooper & Danet (١٩٨٠)، وفيشمن (١٩٧٥)، وفيشمن وكوبر (١٩٧٦)، وفيشمن وفلمن

(١٩٧٧)، وفيشمن وفيشـمن (١٩٧٨)، وبول (١٩٨٠)، وناكير Nakir (١٩٧٨)، ورابـن (١٩٧٤)، وفلمـن (١٩٧٣)، ومـوراق Morag (١٩٥٩)، وقولـد Gold (١٩٨١)، ونادل وفيشمن وكوبر (١٩٧٧). وورد وصـف آخـر لحـالات التخطيـط اللغوي في اسـتراليا في عمـل نيوسـتوبنى Neustupny (١٩٧٧)، وفي اسـكندنافيا في عمل هوجن Haugen (١٩٦٦ أ ، ١٩٦٨).

هوامش

(١) كان هناك العديد من دراسات التخطيط اللغوي في تنزانيا ومعظم المعلومات متكررة في أكثر من واحد منها، ولهذا السبب سأذكر مصادري هنا وليس في المتن، ما لم يستشهد منها بمعلومة خاصة. ومصادري الرئيسية عن تنزانيا هي (وايتلي ١٩٦٨م، ١٩٦٩، ١٩٧١ أ)، وبلومي (١٩٧٥، ١٩٨٠ أ ، ١٩٨٠ ب، ١٩٨٢)، وج. أوبـار (١٩٧٦ أ، ١٩٧٦ ب)، وعبدالعزيـز مخيلفـي (١٩٧٨، ١٩٨٠)، وسـكوتن (١٩٧٨)، وهينيبـوش (١٩٧٩)، وهيـل (١٩٨٠).

(٢) يتفق غياب السؤال الخاص باللغة في الإحصاءات التنزانية مع السياسة القومية الـتي تؤكـد السـواحيلية كلغـة قوميـة وتقلـل مـن تـأكيد العاميـات المختلفـة للمجموعات الصغيرة.

(٣) كما قد يبـدو واضحـا فإن مثـل نظـام اللغـات الثـلاث الـذي يتكـون مـن اللغـة المحلية لمجموعة صغيرة ولغـة أصليـة للاتصـال الأوسـع ولغـة أوروبيـة هـو نمـط شائع في الدول التي كانت في وقت ما مستعمرات للقوى الأوروبية.

(٤) انظر عبد العزيز مخيلفـي (١٩٨٠) للوقـوف علـى ملخـص بـالغ الإيجـاز ولكنـه كامل لجهود التخطيط اللغوي في تنزانيا أكثر مما أستطيع ذكره هنا.

(٥) انظر هينيبوش (١٩٧٩) لوصف واضح ومقروء لأنواع الاختلافات اللغوية الموجودة بين لهجات السواحيلية بالإضافة إلى مخطط قصير وممتاز للغة بوجه عام.

(٦) تعني السابقة ki في السواحيلية "اللغة" أو "الكلام". وأحيانا تكتب مع جذرها كما عملت هنا، أو بوصلة (ki-mvita)، أو بكتابة الجذر بحروف كبيرة (Ki-Mvita). وتستخدم السابقة ki بكثرة مع كلمة سواحيلي نفسها (Kiswahili) خاصة من قبل الكتاب الأفارقة حتى يؤكدوا أن المقصود من ذلك اللغة وليس متحدثيها. وتستخدم السابقة ki مع كلمات تصف أنواع السواحيلية التي يتحدثها المهاجرون الأوروبيون (kisetita) أو المهاجرون الآسيويون (kihindi). (من الواضح أن kisettle شكل خليط من اللغة) وتستخدم أيضا في كلمات لها أسلوب خاص في اللغة مثل kingua، وهو نوع من الكلام المخادع يستخدم في المجالس التنزانية الريفية (و. أوبار ١٩٧٦ ب) وkigazeti وهو أسلوب سواحيلي موجود في الصحف (هينيبوش ١٩٧٩). والكلمة Kigazeti متأثرة تماما بالإنجليزية لضرورة الترجمة السريعة من وكالات الأنباء المستخدمة للإنجليزية.

(٧) ويشير الاختلاف في طباعة السابقة ki المذكورة في الهامش السابق إلى أن هذا أحد مجالات الممارسة في كتابة الإملاء الذي ما زال يتغير.

(٨) "التوسع" هو إحدى العمليات، وإحدى نتائجها المهمة كلمة "ujamaa" وتعني بالأخص "الأسرية" أو "الأخوة"، وهي مشتقة من jamaa كلمة مقترضة في الأصل من العربية وتعني "عائلة". وتشير الآن إلى نموذج إفريقي معين من الاشتراكية وهي السياسة الرسمية في تنزانيا. وأتت كلمة usoshalisti من الإنجليزية وهي كلمة أعم للاشتراكية.

(٩) هذه المشاكل ليست خاصة بتنزانيا على الإطلاق. وتواجه المشكلة نفسها تقريبا في كل بلد نام يحاول استخدام لغة أصلية في التعليم. وسنواجه هذا الأمر بتفصيل أكثر في الفصل القادم.

(١٠) ذكر وايتلي (١٩٧١ أ، ص١٥١) هذا الفرق على أنه مظهر من مظاهر "الأيديولوجية" مقابل "التقنية" للسياسة اللغوية.

(١١) تغطي هذه الأرقام ٩٧٪ فقط من ٢٧٤ متحدثا. أما بقية المتحدثين فلا تتناسب مع أي من هذه الفئات لأنهم ذكروا أنهم يعرفون العربية.

(١٢) علق معهد ميلز ديلون للدراسات المتقدمة في دبلن على ما ذكره فرجسون (١٩٦٦، ص ٣١٦- ٣١٧) بقوله: "يؤسفني القول بأن تقدير نسبة ٣٪ من المتحدثين الأيرلنديين في رأيي عال جدا، وهي قريبة من ١٪". وأعتقد أيضا وجود متحدثين للأيرلندية في بوسطن يفوق عددهم عدد متحدثيها في دبلن".

(١٣) هناك اختلاف بسيط بين الأرقام التي ذكرها أوهوالاتشين O'Huallachain (١٩٦٢) والأرقام الواردة في تعداد عام ١٩٦١م التي استشهد بها مكنمارا (١٩٧١). وقال: أواهولاتشين: "قد أدلى نصف مليون أنهم متحدثون للأيرلندية، وهي تساوي نسبة ١٧٪ من ٣ ملايين نسمة". واستشهد مكنمارا بالتعداد الذي ذكر أن ٢٧٪ من السكان "قادرون على تحدث الأيرلندية" (مكنمارا ١٩٧١م، ص ٨٧ ، هامش ٤). وفي مقال لاحق ذكر أوهوالاتشين (١٩٧٠) أن ١٥٪ من أفراد عينة عشوائية تكونت من ٩٢٤ مواطنا أيرلنديا قالوا إنهم يتحدثون اللغة "بطلاقة"، "وبطلاقة بعض الشيء".

(١٤) يكمن حل مشكلة اللغة القومية في أيرلندا، والذي دائما ما أراه شخصيا حلا عمليا، في العمل على تقييس الإنجليزية الأيرلندية، أي الإنجليزية المتحدثة في أيرلندا. وسيتطلب هذا جليا الإعلان بأن الطريقة الصحيحة لاستخدام اللغة

هو استخدام سمات أيرلندية مميزة (ويمكن تتبع وجود العديد منها في اللغة الغيلية الأيرلندية). وسيشجع تخطيط المفردات على الاقتراض من الغيلية الأيرلندية مصطلحات لمفاهيم ترتبط بقوة بوجه خاص بالثقافة الأيرلندية، ويبدو هذا الحل غير ممكن في الممارسة العملية؛ لأن (١) هناك تباينا كبيرا داخل الإنجليزية الأيرلندية (أوهوالاتشين ١٩٦٢م، ص ٧٥)، و(٢) يبدو أن بعض المفاهيم الفريدة جدا للغة الأيرلندية في الأيرلندية الإنجليزية موسومة اجتماعيا.

(١٥) اتصل أحد الأسباب بتعلق المنح الدراسية "بخيط" . إذا قام الشخص الذي داوم بكلية إعدادية بموجب بعثة دراسية بترك مهنة التدريس فعليه أن يعيد جميع الأموال التي صرفت عليه. ونتيجة لذلك، حكم هذا القرار على جميع طلاب الكليات الإعدادية تقريبا بالبقاء في مهنة التدريس طوال حياتهم. وكان الضغط الأخلاقي الذي أوقعته هذه السياسة على الناس أحد الأسباب في عدم استمرار الكليات الإعدادية. وكانت الرغبة في اختيار مدرسين من شريحة أوسع من المجتمع السبب الآخر (ماكنمارا ١٩٧١م، ص ٧١).

(١٦) لقد دمجت أرقام أوهوالاتشين للنمط في المناطق التي تتحدث فيها الأيرلندية مع أرقام "لنمطه س"، وأعتقد أن هذا يعطي صورة دقيقة، ولكنها ليست واضحة تماما.

(١٧) لم أعثر على أي شيء يدل على اللغة المستخدمة في الحفلات، ولكن ليس هناك أدنى شك في أنها كانت دائما الإنجليزية.

(١٨) أخذت هذه الحقائق من ماكنمارا (١٩٧١م، ص٧٦- ٧٩). وذكر أوهوالاتشين (١٩٧٠م ، ص ١٨٥) أيضا اهتماما فعليا بما يذاع باللغة الأيرلندية.

(١٩) ذكر نحو ١٦٪ من الرجال و١٣٪ من النساء أنهم يتحدثون الأيرلندية "بطلاقة" أو "بطلاقة نوعا ما" (أو هوالاتشين ١٩٧٠ : ١٩١).

(٢٠) في هذا السياق، ليست الدولتان متطابقتين تماما. فالتخطيط في أي من هذه المناطق قد يكون مثيرا للجدل وصعبا للغاية.

(٢١) كلتا اللغتين مبنية على لغة الملاي التي كانت لغة تجارة في بلدين، كما كانت السواحيلية في شرق إفريقيا.

الأهداف

١- أن تكون قادرا على معرفة العدد التقريبي للغات المحكية في تنزانيا، إذا أعطيت العديد من الأعداد.

٢- أن يكون قادرا على معرفة العامل الرئيسي المساهم في أهمية السواحيلية في شرق إفريقيا قبل الاستعمار.

٣- أن يكون قادرا على معرفة العامل المساهم في النجاح المطلق للسواحيلية في تنزانيا وكيف كانت بداياتها خلال فترة الاستعمار.

٤- أن يكون قادرا على معرفة العامل المساهم في نجاح السواحيلية والذي ارتبط بفترة الاستقلال.

٥- أن يكون قادرا على ذكر ثلاثة من الأسباب الخمسة التي جعلت السواحيلية الاختيار الواضح كلغة قومية في تنزانيا.

٦- أن يكون قادرا على معرفة ميزة واحدة لاختيار Kiunguja كلهجة قد تبنى عليها السواحيلية النموذجية، وميزة أخرى تتمتع بها لهجة منافسة.

٧- أن يكون قادرا على ذكر القوة التي كانت لدى جمعية اللغة السواحيلية لما بين القطاعات قبل فترة الاستقلال والتي ساهمت في نجاحها الجزئي في تقييس اللغة المكتوبة.

٨- أن يكون قادرا على معرفة خلاصة هينيبوش على تأثير قائمة الكلمات المنشورة رسميا على استخدام الكلمات الجديدة في سواحيلية تنزانيا.

٩- أن يكون قادرا على معرفة لغة التعليم الممارسة في المستويات المختلفة في تنزانيا.

١٠- أن يكون قادرا على معرفة وصف لدرجة كون السواحيلية اللغة الفعالة للحكومة في تنزانيا.

١١- أن يكون قادرا على ملاحظة وصف دقيق لتقييم السواحيلية كلغة قومية في تنزانيا بناءً على معلومات عن متحدثيها.

١٢- أن يكون قادرا على معرفة عبارة دقيقة عن مواقف المواطنين التنزانيين تجاه لغاتهم العرقية وتجاه السواحيلية.

١٣- أن يكون قادرا على معرفة ما إذا كان الأدب في السواحيلية قوة أم ضعفا لمنزلتها كلغة قومية.

١٤- أن يكون قادرا على معرفة السبب الخامس والأخير لعدم النجاح النسبي في ترويج السواحيلية في كينيا مقارنة بالجهود في تنزانيا.

١٥- أن يكون قادرا على معرفة عبارة عن مدى صعوبة مشاكل تحديد اللغة وتحديد اللهجة في أيرلندا.

١٦- إن مسائل التقييس وتخطيط علم الإملاء وتطوير المفردات كان لها جميعا الدرجة نفسها تقريبا من النجاح في أيرلندا. أن يكون قادرا على معرفة مدى ذلك النجاح.

١٧- أن يكون قادرا على القول ما إذا كانت المدارس الابتدائية في أيرلندا تستخدم، بشكل كلي أو جزئي أو إلى درجة محدودة فقط، كأداة في التخطيط اللغوي.

١٨- أن يكون قادرا على معرفة الأنماط الثلاثة من استخدام الأيرلندية في المدارس الابتدائية وأيها تبعها أقل عدد من المدارس، وأيها تبعها مدارس أكثر، وأيها

تبعها معظم المدارس.

١٩- أن يكون قادرا على القول ما إذا كانت الأيرلندية مستخدمة كلغة تدريس في أكثر أو أقل من نصف المدارس الثانوية في أيرلندا، وما إذا كان استخدامها يزداد، أو باقيا على حاله، أو أن استخدامها يتناقص.

٢٠- أن يكون قادرا على ذكر أين قال ماكنمار "العبء" الموضوع على استعادة الأيرلندية كنتيجة لتناقص استخدام الأيرلندية كلما ازداد مستوى التعليم.

٢١- أن يكون قادرا على معرفة ما إذا كان من الممكن وصف استخدام الأيرلندية بدقة لأغراض تسيير أمور الدولة في أيرلندا على أنه كبير، ومتوسط، أو قليل.

٢٢- أن يكون قادرا على معرفة المعايير التي يعتبر فيها التخطيط اللغوي للأيرلندية فاشلا والمعايير التي تعتبره ناجحاً.

٢٣- أن يكون قادرا على إعطاء السبب في عدم إمكانية تفسير البيانات في الشكل رقم (١٠,١) على أنها مؤشر على زيادة معرفة الأيرلندية عبر الوقت.

٢٤- أن يكون قادرا على معرفة ما إذا كانت المواقف المذكورة تجاه الأيرلندية هي في العموم إيجابية أو سلبية.

٢٥- أن يكون قادرا على التعرف على عبارة عن القوة النسبية للتغير الاجتماعي الطبيعي والتخطيط اللغوي الحذر الذي يتضمنه "مبدأ السير مع اتجاه التيار".

٢٦- أن يكون قادرا على ترتيب الحالات الأربع التالية حسب سهولة تحديد اللغة القومية: (١) الأمم ذات مجموعات ثقافية اجتماعية قليلة، ولكنها مسيطرة، (٢)الأمم التي يتحدث فيها الغالبية العظمى لغة واحدة، (٣) الأمم ذات التباين الكبير التي لا يوجد فيها مجموعات ثقافية - اجتماعية مسيطرة واضحة، (٤) الأمم التي تحاول إنشاء لغة قومية جديدة عندما تقوم لغة أخرى قائمة حاليا بخدمة أغراض التواصل.

الفصل الحادي عشر

التعليم باللهجات العامية

يعتبر قرار تحديد اللغة التي ستستخدم كوسيلة للتعليم في المدارس من أهم القرارات وأخطرها في دولة ما. في أيرلندا وتنزانيا، كان تحديد لغة التعليم جزءا من تحديد اللغة القومية. وفي كلتا البلدين كان لا بد من إجراء تسوية ما. ففي أيرلندا، لم تستخدم اللغة الأيرلندية كوسيلة للتعليم في المدارس التي لا يتحدث فيها هذه اللغة إلا بضع من الطلبة. أما في تنزانيا كانت لغة السواحيلي منتشرة بدرجة كافية لكي تصبح لغة الدولة ككل في مجال التعليم الابتدائي. وكما أشرنا سابقا يحدث ذلك بالرغم من احتمال وجود أطفال تنزانيين يجدون صعوبات في البداية؛ لأنهم لا يتحدثون السواحيلي عند دخولهم المدارس. ومن جهة أخرى يتناقص استخدام السواحيلي كلغة أو وسيلة للتعليم في المرحلة الثانوية، ونادرا ما تستخدم في التعليم العالي. والسبب الرئيسي هنا هو أن السواحيلي لا تحتوي على المفردات اللازمة كما تفتقر إلى الكتب المنهجية والآداب والمعلمين المدربين في المستويات العليا. وتستخدم اللغة الأيرلندية بصورة أقل من ذلك كوسيلة للتعليم في المستويات العليا، ولكن يرجع السبب الأساسي في قلة استخدامها لقلة عدد الطلاب الذين يتحدثونها. من الواضح أن مفردات اللغة الأيرلندية كافية تماما ليعمل بها كوسيلة للتعليم في المراحل العليا؛ بالرغم من أنها تعاني أيضا من نقص في الكتب والمعلمين.

من خلال هذه المراجعة السريعة للوضع في كل من أيرلندا وتنزانيا يمكننا

استنباط ثلاثة اعتبارات رئيسية في اختيار لغة التعليم: (١) هل الطلاب المستهدفون يعرفون اللغة بدرجة تكفي لتعليمهم بواسطتها، (٢) هل سيكون الاختيار المقترح متمشيا مع الأهداف القومية العامة، (٣) هل اللغة نفسها والمادة المكتوبة فيها، وعدد الأشخاص القادرون على تعليمها كاف لاستخدامها في المستوى المقترح؟ ومن الضروري أن تنشأ نزاعات عندما لا تصب هذه الاعتبارات الثلاثة في الاتجاه نفسه. يمكن أن تكون لغة السواحيلي هي الاختيار المفضل للتعليم العالي في تنزانيا قياسا على الاعتبارين الأولين، ولكنها لا تنجح مع الاعتبار الثالث، ويمكن أن تكون اللغة الأيرلندية وسيلة شاملة للتعليم في المستوى الابتدائي إذا نظرنا إلى الاعتبارين الثاني والثالث ، ولكن لا يمكن استخدامها بشكل شامل نظرا للاعتبار الأول.

تقرير منظمة اليونسكو لعام ١٩٥١

التوصية

في عام ١٩٥١م شكلت منظمة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) لجنة من الخبراء لدراسة مسألة لغة التعليم على المستوى الدولي. وقد كان لتقريرها (اليونسكو ١٩٥٣، ١٩٦٨) أثر عميق على مناقشة القضايا اللغوية التعليمية.[1] وكان الموقف الذي اتخذته اللجنة هو أن الاعتبار الأول من الاعتبارات الثلاثة الرئيسية السالفة الذكر، ألا وهو اللغة التي يمكن أن يستخدمها الأطفال بفعالية، يجب أن يعطى الأولوية في اختيار وسيلة التعليم. وإذا حدث ذلك يصبح من الواضح حينئذ أن الاختيار في كل حالة تقريبا هو اللغة الأم للطفل:

"من البديهي أن أفضل وسيلة لتعليم الطفل هي لغته الأم. ومن الناحية النفسية تعتبر هي نظام الإشارات التي تحمل معنى وتعمل في عقله تلقائيا للتعبير والفهم. ومن الناحية الاجتماعية، هي وسيلة للتمييز والهوية بين أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه

الفرد. ومن الناحية التربوية، فهو يتعلم أسرع من خلال هذه اللغة أكثر من أي وسيلة لغوية أخرى لا يعرفها." (اليونسكو ١٩٥٣ : ١١).

وقد عرفت لجنة اليونسكو اللغة الأم بأنها "اللغة التي يكتسبها الفرد في مراحل عمره الأولى والتي تصبح تلقائيا وسيلته الطبيعية في التفكير والاتصال". وذكرت اللجنة حينئذ أن اللغة الأم "لا يلزم أن تكون اللغة التي يستخدمها والده ولا يلزم أن تكون أول لغة تعلم التحدث بها، حيث إن بعض الظروف الخاصة قد تضطره لهجر لغته بشكل كامل في عمر مبكر" (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٨٩-٩٠) وعرفت اللجنة اصطلاحا آخر وهو اللغة المحلية: "هي اللغة التي تمثل اللغة الأم لمجموعة ما محكومة اجتماعيا أو سياسيا من قبل مجموعة أخرى تتحدث لغة مختلفة، ونحن لا نعتبر لغة الأقلية في دولة ما لغة محلية إذا كانت هي اللغة الرسمية في دولة أخرى" (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٨٩-٦٩٠)[٢]. إن مفهوم "اللغة المحلية" مهم جدا؛ لأن توصية اليونسكو تصبح مثيرة للجدل إذا كانت اللغة الأم هي اللغة المحلية نفسها.

إن تقرير اليونسكو لا يوصي فقط بأن التعليم الأولي يجب أن يعطى من خلال اللغة الأم، حتى ولو كانت هي اللغة المحلية، ولكنه يوصي أيضا بأن "يمتد استخدام اللغة الأم إلى مرحلة متأخرة في التعليم بقدر الإمكان". (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٩١). في الحقيقة فإن اللجنة على استعداد لتقديم بعض الاستثناءات الخاصة بتلك القاعدة العامة.

الردود على الاعتراضات

توقعت لجنة اليونسكو العديد من الاعتراضات على توصياتها. فيبدو أن بعض اللغات لا تحتوي على قواعد أو ألفبائية (الأحرف الأبجدية)، ويجيب التقرير على هذا بأن جميع اللغات فيها قواعد وإلا لتعذر التحدث بها رغم أن بعض اللغات ليس فيها

قواعد مكتوبة. إن قواعد العديد من اللغات المحلية صعبة ومعقدة كما هو الحال في اللغات العالمية الأخرى. وكذلك، فإن اللغة التي ليس لها نظام كتابة يمكن وضع نظام كتابة لها طالما أن جميع اللغات المنطوقة بدون استثناء محتوية على قواعد للنطق (وبالطبع فإن ذلك يمكن أن يكون غير مكتوب أيضا). أما الاعتراض الثاني فهو أنه من غير المجدي تعليم اللغة الأم طالما أن الطفل يعرفها مسبقا. وهناك قسمان للرد على هذا الاعتراض: الأول، يعرف الأطفال لغتهم الأم جيدا بدرجة تخدم أغراضهم، ولكن إمكانية التصرف فيها يجب أن تزيد، والثاني، هو أن المدرسة لا تعلم الطفل اللغة الأم كما تعلمهم المواد الأخرى باستخدام اللغة الأم. ومن المهم عدم غياب النقطة الثانية عن أذهاننا.

الاعتراض الثالث الذي تعاملت معه اللجنة هو أن التعليم باستخدام اللغة الأم سيجعل تعلم لغة ثانية فيما بعد أمرا أكثر صعوبة. ويعتقد الذين أثاروا هذا الاعتراض أنه لكي تتعلم لغة ثانية جيدا، من المهم أن تستخدم هذه اللغة كوسيلة تعليمية منذ البداية. في الحقيقة ، تستخدم بعض المدارس هذه النظرية لتمنع استخدام اللغة الأم في المدرسة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، قد حدث ذلك في إحدى المرات لمتحدثي اللغة "الغيلية" في مرتفعات الهايلاندز الأسكتلندية. والرد على هذا الاعتراض هو "أن التجارب الحالية في أماكن عديدة" تفيد بأن أفضل طريقة لتقديم اللغة الثانية هو أن تُتعلم في البداية كمادة مستقلة، باستخدام اللغة الأم كوسيلة للتعليم (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٩٢). وختاما يبدو لبعض النقاد أن استخدام اللغات المحلية سوف يعوق الوحدة القومية. وبالرغم من أن لجنة اليونسكو تسلم بأنه من الأسهل أن تحكم دولة يتحدث كل من فيها لغة واحدة فإن أعضاء اللجنة يشكون في أن الإصرار على اللغة القومية كوسيلة تعليمية شاملة قد يتمخض بالضرورة عن النتيجة نفسها. على العكس من ذلك، فهم يقترحون أن الإصرار الشديد على اللغة القومية قد يؤدي ببعض

الأقليات إلى الاستياء من حكوماتهم القومية ورفض قبول الهوية القومية. وإنني أعتقد أن ردود اللجنة على الاعتراضات الثلاثة الأولى مقبولة لدى معظم علماء اللغة.[٣] ويعتبر الاعتراض الأخير اعتراضا اجتماعيا سياسيا أكثر من كونه لغويا، ولكنه يبدو وجيها.

وفي القسم الوارد باسم "القيود العملية في استخدام اللغة المحلية في المدرسة" (اليونسكو ١٩٨٦ : ٦٩٣-٧)، يعود التقرير إلى ما يتعلق بمجموعة أخرى من الاعتراضات. وهذه الاعتراضات أكثر جدية من الاعتراضات الأربعة الأولى، وكانت ردود اللجنة عليها أقل نجاحا. إن أربعة من هذه الاعتراضات مرتبطة بمدى استعداد اللغة لاستخدامها في التعليم، وهي (١) نقص الكتب المنهجية والمواد التعليمية الأخرى، (٢) نقص مواد القراءة العامة، (٣) الافتقار إلى المعلمين المدربين، (٤) عدم كفاية المفردات. ويحتوي التقرير على اقتراحين أساسين للرد على الاعتراضات الأربعة مجتمعة: إما التزويد بما هو ناقص، وإما استخدام اللغة المحلية في العملية التعليمية بقدر الإمكان ومن ثم إجراء الانتقال المخطط بعناية إلى لغة ثانية. وقد قدمت التوصية الثانية عن غير رغبة شديدة؛ لأنها تتعارض مع النقطة الأساسية للتقرير. لذلك حثت اللجنة الحكومات على معالجة النواقص في الاستعداد لذلك عن طريق تشجيع طباعة الكتب والمجلات والصحف والإخطارات الرسمية في لغتين، وبتدريب متحدثي اللغة الأم من أهل اللغات المحلية على التعليم بلغاتهم الأصلية، بما في ذلك فرص التعليم العملي باستخدام اللغة المحلية. ويبدو أن التقرير قد تخلى على مضض عن مشكلة اللغات المحلية التي لا يتوافر لها مواد مدرسية (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٩٤):

"تكمن الصعوبة في إيجاد أو تدريب مؤلفين أو مترجمين مؤهلين كما تكمن في الحصول على مؤن من المواد (مثل الأوراق والحروف المطبوعة والآلية) في أيام العجز

العام، وتوزيع المنتجات المنتهية في ظروف بعد المسافات وضعف الاتصالات، والأكثر صعوبة من ذلك هو توفير المال. وهذه المشكلات عملية واقعية، صعبة جدا وفي غاية الأهمية. وإننا لسنا قادرين على تقديم حل لهذه المشكلات ولذا نطلب وبشدة أن تعيد اليونسكو بحث هذه المشكلات".

ومن الغريب أن التقرير لم يوص بالتوسع في المفردات في حالات عدم كفاية المفردات في اللغات المحلية. وبدلا من ذلك، فإنه يقول إن اللغة الثانية يجب أن تقدم في مرحلة مبكرة. وقد صدر هذا الاقتراح بحرص شديد. أولا: يجب أن تدرس اللغة الثانية من خلال اللغة الأولى. ويجب أن يكون الانتقال تدريجيا وليس بالضرورة كاملا. إذا كانت اللغة كافية لدعم الدراسة في بعض المواد الدراسية دون غيرها، عندها يجب الإبقاء على اللغة الأم كوسيلة تعليمية لتلك المواد. وقد قدّم الاقتراح نفسه إذا تعذر معالجة النقص في مواد القراءة التعليمية والعامة.

وهناك مجموعة أخرى من الاعتراضات الواقعية التي تتميز بأنها اجتماعية لغوية في طبيعتها. وتتعلق هذه الاعتراضات بتعدد اللغات في: (١) المحلية، (٢) البلد، (٣) إمكانية استخدام لغات مشتركة، و(٤) الاعتراض الشائع. وإذا كانت المحلية في دولة ما متنوعة جدا لغويا، قد يلزم تعليم بعض الأطفال باستخدام لغة ليست لغتهم الأم. ويجب أن يطبق ذلك فقط بعد بذل جميع الجهود لتنظيم مجموعات تعليمية باللغة الأم، وبالطريقة التي توفر أقل صعوبة لعامة التلاميذ. ويجب أن تتوافر مساعدة خاصة للشباب الذين لا يتكلمون لغة المدرسة. ويقدم الاقتراح نفسه إذا كانت الدولة ككل متنوعة لغويا، ولكن هذا يعتبر حلا مؤقتا. يجب أن تقدم الدولة التعليم بأكثر عدد من لغاتها بالطريقة التي تدعم تلك اللغات، وتعمل باستمرار تجاه التعليم "النموذجي" باللغة الأم للجميع.[٤]

وبالنسبة لموضوع اللغات المشتركة (يذكر التقرير بصراحة لغة السواحيلي في

شرق إفريقيا) فإن اللجنة تبدو متشككة إلى حد ما في استخدامها كوسيلة للتعليم الابتدائي. إن أعضاء اللجنة مستعدون لاعتماد مثل هذا الاستخدام، فقط إذا "كان لدى كل الطلاب تقريبا بعض المعرفة باللغة المشتركة بالإضافة إلى معرفتهم باللغة الأم قبل التحاقهم بالمدرسة". (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٩٦). إذا لم يكن الأطفال على الأقل على دراية باللغة المشتركة، فإن اللجنة لا توصي باستخدامها في المراحل التعليمية الأولى. وحتى في المراحل المتأخرة، فإن استخدام اللغة المشتركة "يجب أن يقاس ويوازن بمطالبات اللغة الدولية" (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٩٧).

وكما يبدو الأمر غريبا، فإن متحدثي بعض اللغات المحلية يعارضون كثيرا استخدام لغاتهم الخاصة في تعليم أطفالهم. وقد يشعرون أن الوسيلة الوحيدة للتطور هي من خلال اعتماد لغة قومية أو عالمية، وأن لغتهم الخاصة ما هي إلا عائق. إذا اعتقدت إحدى المجموعات في هذا الرأي، فإن اللجنة توصي بأن يحاول التربويون كسب ثقة الناس وإقناعهم بمزايا التعليم باللغة الأم. إذا لم يكن البرنامج الكلي في اللغة المحلية مقبولا، ربما يمكن إقناع بعض الآباء قبول برنامج تجريبي، وتعتقد اللجنة أنه سيقنع المتشككين بأن تعليم اللغة المحلية هو سياسة صحيحة. وتقبل اللجنة حق الشعب في دولة ما في اختيار اللغة التي سيعلم بها أطفالهم، ولكن فقط كمحاولة أخيرة" (اليونسكو ١٩٦٨ : ٦٩٦).

والانطباع الذي تركه تقرير اليونسكو هو أنه ينصح الدول بالنظر إلى المدى البعيد لتقديم التعليم باللغة الأم لجميع أطفالها. وبالرغم من عدم كفاية تطور اللغة، ونقص المعلمين والمواد، فإن الاختلاف الشديد والمعارضة الشعبية قد تخلق مشاكلات خطيرة قد يصعب التغلب عليها. وإذا تعذر حل هذه المشكلات فقد يكون من الضروري استخدام لغة ثانية كوسيلة للتعليم، ولكن مع أقل عدد ممكن من الطلاب، وفي مرحلة متأخرة بقدر الإمكان من حياة الطالب التعليمية، وبعد بذل جميع الجهود

لتقليل المصاعب التي يمكن أن يواجهها الطفل.

التقييم

منذ نشر هذه التوصيات من لجنة اليونسكو نجد أنها خضعت للدراسات نقدية عديدة (على سبيل المثال، بول ١٩٥٥، وبيج ١٩٦٤: ١٩-٢٨، وداكين وتيفن، وويدوسون ١٩٦٨: ٢٠-٤٠). بول على وجه الخصوص يتحدى الافتراض الرئيسي بأن المعيار الأساسي يجب أن يكون المنفعة للطفل كفرد (بول ١٩٦٤: ٥٢٨):[٥] "تؤمن اللجنة بوضوح أن ما هو أفضل نفسيا وتعليميا يجب أن يكون النقطة الأولى التي تبدأ منها عملية التخطيط للثقافة الشاملة. ومع ذلك يبدو هذا الافتراض غير واقعي نوعا ما. ما هو أفضل للطفل نفسيا قد لا يكون الأفضل للبالغ اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا، والأكثر أهمية أن ما هو أفضل لكل من الطفل والبالغ قد لا يكون الأفضل أو حتى ممكنا بالنسبة للمجتمع".

ويبدو من المعقول أن نسأل الأسئلة الثلاثة التالية المتعلقة باقتراح اليونسكو، أو بأي اقتراح جديد بخصوص ذلك الموضوع. أولا، هل هذا ممكن؟ إذا تعذر تنفيذ خطة إجرائية، فلا فائدة من مناقشة المنافع والمشكلات التي يمكن أن تتواجد خاصة إذا كان بالإمكان تنفيذها. ثانيا، إذا كان الإجراء المقترح ممكنا فهل يكون ذلك ذا فائدة؟ بمعنى، هل سنحصل بالفعل على المزايا التي صمِّم الاقتراح أو العرض لتوفيرها؟ وأخيرا، إذا كان ممكنا ونافعا، فهل يستحق العمل بشأنه؟ إذا أمكن وضع الاقتراح موضع التنفيذ وأعطى النتائج المأمولة، فإن ذلك يبقى مجرد فكرة غير طيبة إذا كان له آثار جانبية أسوأ من عدم تحصيل فوائد على الإطلاق، أو إذا كانت التكلفة والصعوبة في تنفيذ الفكرة لا تتناسب مع النتائج.

هل هذا ممكن؟

إذا كان السؤال هو: "هل من الممكن أن يتلقى كل طفل في العالم تعليمه

الأولي بلغته الأم؟" فستكون الإجابة بصراحة "لا". بعض الدول لديها تعددية لغوية شديدة لدرجة أن تنفيذ اقتراح اليونسكو سيتضمن فعليا تطوير المواد وتدريب المعلمين على مئات اللغات. ومثال ذلك في دولة مثل الهند التي يوجد بها نحو ٢٠٠ لغة أو ما يقارب ذلك. ولن يكون الوضع أفضل في تنزانيا ذات الـ ١٣٥ لغة. وهناك العديد من الدول الأخرى ستواجه مشكلات مشابهة. ولسوء الحظ فإن الحقيقة التي لا مفر منها هي أن الدول ذات التعددية اللغوية هي في غالبيتها من الدول الفقيرة. ومن تعليقات بول (١٩٦٤: ٥٢٩)[٦]:

"من الواضح أن المشاريع العملاقة اللازمة لغرض توفير تعليم حديث وإبقاء وضع متطور تبقى مشاريع صعبة التنفيذ في مجتمعات متعددة اللغات. المكسيك، على سبيل المثال، التي لا تملك نظاما مدرسيا ذا كفاءة حتى لسكانها متحدثي اللغة الإسبانية، لا يمكنها دعم ٤٩ مشروعا آخر على غرار تجربة تاراسكان".

وبغض النظر عن الجهود المذهلة التي تحتاجها عملية تأسيس مرافق التعليم الابتدائي لمئات اللغات، فهناك مشكلة تطوير اللغة ذاتها. يتفق معظم علماء اللغة على أنه لا يوجد مبرر لئلا تقوم قواعد وصوتيات أي لغة في العالم بدعم مناقشة أي موضوع كان سواء يتعلق بالبذور أم باستكشاف الفضاء. لا يمكننا أن نتجنب حقيقة أن مفردات العديد من المفاهيم الحديثة والأجهزة الحديثة توجد فقط في حفنة من اللغات "العالمية"، ولكن في اللغة المحلية فإنه يجب نحت المفردات أو اقتراضها. وعملية تطوير المفردات حسب مشاريع تخطيط اللغة ليست من الأمور الصعبة جدا، ولكنها في الوقت نفسه ليست أمرا بتلك السهولة. علاوة على ذلك، فإن الآداب أو الكتب المنهجية في كثير من المواد لا توجد إلا في بعض اللغات ولا بد من ابتداعها أو ترجمتها إلى جميع اللغات الأخرى قبل أن تصبح ذات جدوى لاستخدامها فيما بعد الأشهر الأولى من التعليم الابتدائي. وقد قامت تنزانيا بخطوات واسعة لتطوير السواحلية

كلغة للتعليم وذلك بفضل العلم الدؤوب والتفاني في ذلك بالإضافة إلى الحظ الجيد. ولا يمكن تصور أن تقوم الدولة بتكرار هذا الإنجاز ١٣٥ مرة.

ومع ذلك، فإن القول بأنه لا يمكن تقديم تعليم باللغة المحلية في كل لغة على حدة في العالم لا يعني بالضرورة أن لا قيمة للجهود التي ستبذل في هذا الاتجاه. بالنسبة للهند التي يوجد بها نحو ٢٠٠ لغة، فإن ١٤ لغة منها، والمذكورة في الجدول الثامن من الدستور، تمثل نحو ٩٠٪ من السكان (تعتبر ١٣ لغة فقط إذا استبعدنا القلة من المتحدثين الأصليين باللغة السنسكريتية، و١٢ فقط إذا اعتبرنا فعليا اللغتين الهندية والأوردو لغة واحدة). وهذا نموذج مثالي للدول متعددة اللغات، بالرغم من احتمال وجود عدد كبير من اللغات ، فإن قسما صغيرا منها تمثل اللغة الأم للأغلبية العظمى من السكان. إن استخدام هذه اللغات المحلية في التعليم قد يكون من الممكن تحقيقه. ومع ذلك إذا لم نستطع تحقيق تقرير اليونسكو فإن تحقيق نصفه أفضل من لا شيء.

هل يكون ذلك مفيدا؟

قالت لجنة اليونسكو: إنه من "البديهي" أن أفضل لغة يتلقى بها الطفل تعليمه هي لغته الأم. ويبدو مما لا شك فيه ظاهرياً أن الطفل سيجد التعلم أسهل إذا فهم تماما اللغة التي يتحدثها معلّمه واللغة الموجودة في الكتب التي عليه تعلم قراءتها. من الصعب أن نختلف مع شهادة سبولسكي (١٩٧٧ب: ٢٠) الذي قال فيها: " يجب أن يكون من الواضح للجميع أن التعليم غير المفهوم هو تعليم لا أخلاقي، بمعنى أنه لا يمكن تبرير أن الأطفال سيكتسبون لغة المدرسة من تلقاء أنفسهم، ولا يوجد تبرير لعدم تطوير بعض البرامج التي تجعل تحقيق ذلك ممكنا للأطفال ليتعلموا اللغة النموذجية ويستمروا في تعلمهم طوال الوقت." وبتعبير آخر فإن كلمة "بديهي" لا تبدو وكأنها مبالغة فيها.

يجب أن تأخذ في اعتبارك أن اجتماع لجنة اليونسكو كان في عام ١٩٥١، أي قبل نحو ثلاثين عاما. ويمكنك أن تتوقع أنه خلال هذه الفترة الزمنية خضعت مزايا تعليم اللغة المحلية للاختبار مرات عديدة وأثبتت دون شك قيمتها للأطفال. في الحقيقة خضعت الفكرة للعديد من التجارب والأبحاث. ويتعذر في هذه المقدمة مراجعة جميع هذه التجارب بالتفصيل، ولكننا سوف نبحث نتائج أربعة أبحاث، قام من خلالها كل باحث بمراجعة عدد من هذه التجارب. وفيما يلي نتائج هذه الأبحاث:

- نظرا لعدم وجود أدلة مقنعة، فإن أفضل نصيحة يمكن اتباعها في الوقت الحاضر هي أن نقول: إن الآثار اللغوية للتعليم بلغة ثانية غير معلومة. (مكنامارا ١٩٦٦: ١٣٣، بعد مراجعة خمس دراسات، بما فيها دراسة مكنامارا نفسه).

- إن دليل وجود مشكلات لاستخدام وسيلة تعليم أجنبية في مراحل المدرسة يبدو غير مؤكد. كما لم تظهر أولوية اللغة الأم في كل مكان... (داكين، تيفين وويدوسون ١٩٦٨: ٢٧ بعد مراجعة أربع دراسات).

- لقد تنوعت الدراسات أو التقارير الأربع والعشرون التي قمت بتلخيصها بكل الطرق، ومعظمها لم يقدم دليلا مؤكدا على أفضل الطرق. (انجل ١٩٧٥: ٢٦، مراجعة ٢٤ دراسة).

- حصل ولسنوات عديدة أن قَبَل رجال التربية بديهية الفكرة القائلة بأن أفضل وسيلة لتعليم الأطفال هي لغتهم الأم. لكن هل توجد بيانات تجريبية مؤكدة تدعم هذا الموقف بشكل مطلق؟ والإجابة تبدو واضحة بـ "لا". هل يعني ذلك أن هذا الموقف أو الاتجاه غير مقبول؟ مرة أخرى ستكون الإجابة بـ "لا". (توكر ١٩٧٧: ٣٧-٣٨، بعد مراجعة ثلاث دراسات).

فبعد مرور ثلاثين عاما حدث خلالها العديد من الدراسات، ومنذ صدور تقرير اليونسكو يمكن القول إن إجماع الآراء يشير إلى أن: لا أحد يعرف إذا كان

استخدام اللغة الأم كوسيلة للتعليم أفضل من استخدام لغة ثانية أم لا. إن هذه نتيجة مذهلة لفكرة "بديهية". ولكي نفهم مدى تأثير هذه الفكرة البديهية، تخيلوا معنا حقيقة بديهية أصلية مثل بديهية إقليدس: "إذا أضفت أعدادا متساوية إلى أعداد متساوية أخرى فإن النتيجة هي عدد متساو". من هذه البديهية يتبع ما يلي إذا كان س= ص فإن س + ع سوف تساوي ص + ع. إن هذا القانون صحيح بكل وضوح بحيث يبدو من غير الضروري أبدا "محاولة تأكيده". وبالطبع لو اختبرنا هذا القانون بتبديل أرقام مختلفة لـ س، و ص، و ع فالنتيجة ستكون صحيحة في كل مرة إلا إذا كان هناك خطأ في الحساب. تخيل لو أن علماء الرياضيات قد حاولوا لثلاثين عاما إثبات أن قانون إقليدس البديهي قد يكون قانونا صحيحا من خلال تجربته على أعداد مختلفة، ثم استنتجوا في النهاية أنهم لا يعرفون ما إذا كان هذا القانون صحيحا أم لا! إن مثل هذا السيناريو لا يمكن حتى التفكير به. فطالما أن استخدام لجنة اليونسكو لمصطلح "بديهي" يبدو نوعا من الاستعارة أو المجاز، وحتى لو كان كذلك وكان هذا المجاز مناسبا على الإطلاق لكان من الممكن إثبات تفوق التعليم باللغة بعد مرور كل هذا الوقت.

من الواضح أن هناك خطأ ما. ولاكتشاف كنه هذا الخطأ، يلزم أن نعرف أنواع التجارب التي أجريت لاختبار توصيات لجنة اليونسكو. هذه التجارب تنقسم أساسا إلى نوعين: نوع يختبر استخدام اللغة الأم كوسيلة للتعليم، وهذه الطريقة يسميها إيجل (١٩٧٥) طريقة "اللغة الأصلية". والنوع الآخر من التجارب يختبر استخدام اللغة التي ليست اللغة الأم للطلاب، ويسميها إيجل "الطريقة المباشرة". ولإجراء تجربة ذات تصميم جيد لاختبار الطريقة المباشرة يحتاج ذلك إلى مجموعة "تجريبية" أو أكثر - تلك المجموعة التي سيتعلم أفرادها من خلال وسيلة اللغة التي لا يتحدثونها. وكذلك سيكون هناك مجموعات "الضبط"، وهم الطلاب الذين سيتعلمون باستخدام وسائل أخرى. عادة، تستخدم مجموعة ضبط واحدة تتكون من طلاب يتحدثون اللغة الأم

نفسها كمجموعة تجريبية، ويُعلَّمون بهذه اللغة. أما المجموعة الأخرى فتتكون من طلاب يتحدثون اللغة الأم التي تستخدمها المجموعة التجريبية كوسيلة للتعليم، ولكنهم يستخدمون لغتهم الخاصة كوسيلة للتعليم. وبعد البدء في البرنامج لفترة من الزمن، تختَبر المجموعة التجريبية ومجموعة الضبط للإنجازات التعليمية في القراءة والمهارات اللغوية في كلتا اللغتين وفي ما أحرزوه من تعليم عام. وهناك مثال معروف جيدا على هذا النوع من الأبحاث، وهو تجربة سانت لامبرت (انظر توكر، همايان، وجينيس ١٩٧٦ والمراجع المذكورة عندهم). وفي هذه التجربة وضع المتحدثون الأصليون للغة الإنجليزية في برنامج تطوعي تعلموا فيه الفرنسية من بداية حياتهم التعليمية. وقد قورنت إنجازاتهم مع إنجازات كل من المتحدثين الأصليين للغة الفرنسية والإنجليزية الذين تعلموا بلغاتهم الخاصة.

أجريت اختبارات عديدة على الأطفال في مشروع سانت لامبرت ومشاريع مشابهة في كندا. كانت النتيجة العامة هي أن المجموعات التجريبية يمكن أن تعمل باللغة الإنجليزية ويشمل ذلك القراءة والكتابة، وكذلك الطلاب الكنديين الذين يتحدثون الإنجليزية، والذين تعلموا باللغة الإنجليزية، وأدوا الاختبارات مثلهم في ذلك مثل الطلاب المتعلمين اللغة الإنجليزية في المواد الدراسية والاختبارات المعرفية. وكانوا أكثر تفوقا في قدرات اللغة الفرنسية من الطلاب الكنديين الذين يتحدثون الإنجليزية، لكنهم درسوا اللغة الفرنسية في برامج الدراسة كلغة ثانية. ومع ذلك فلم يكونوا بالكفاءة نفسها في اللغة الفرنسية مثل مجموعات الضبط المتحدثة بالفرنسية.

وعادة ما تضم التجارب التي تجرى على اللغة الأم مجموعات ضابطة تعلَّم أو يُدرَّس لها باستخدام الطريقة المباشرة. وبعبارة أخرى فإن معظم الدراسات التي تتناول اللغة الأم تقارنها بالطريقة المباشرة. وعادة ما تُختار مجموعتان من الطلاب تتحدثان اللغة الأم نفسها ليقارن فيما بينها. وتتعلم إحدى المجموعتين باستخدام لغتها

الأم، بينما تتعلم المجموعة الأخرى باستخدام اللغة القومية أو أي لغة تكون هي أداة التعليم بالمنطقة. وتختَبر المجموعتان في نهاية التجربة من أجل تحديد قدرتيهما في كلتا اللغتين وفي موضوعات أخرى.

وثمة مثال يستشهد به دائما عن مثل هذا النوع من التجارب، وهو مشروع أوليلو في الفلبين (راموس وآخرون ١٩٦٧، إنجل ١٩٧٥). كانت المجموعة التجريبية تتعلم باستخدام لغتها الأم الهيلاغينونية طوال الصفين الأولين من الدراسة، ثم تحولت المجموعة إلى استخدام اللغة الإنجليزية كأداة للتعليم بعد ذلك. وأما المجموعة الضابطة فكانت تتعلم باستخدام اللغة الإنجليزية طوال السنوات الست وبالطريقة التقليدية. وفي ختام السنوات الست أعطيت المجموعتان مجموعة متماثلة من الاختبارات في اللغة الإنجليزية. ووجد أن المجموعة التجريبية قد سجلت درجات أعلى بشكل ملحوظ في تحصيل الدراسات الاجتماعية عما هو الحال لدى المجموعة الضابطة. ولم تكن هناك أي نتائج اختبارات تحصيل أخرى ذات أهمية بالرغم من أن المجموعة التجريبية سجلت درجات أعلى قليلا في الحساب والقراءة في حين سجلت المجموعة الضابطة درجات بشكل ملحوظ في اللغة. كما سجلت المجموعة التجريبية درجات أعلى بشكل ملحوظ في أجزاء معينة من "بيانات الشخصية".

فمن الواضح أنه لكي نجري بحوثا على أي من المجموعتين، فلا بد من قيام أو وجود برنامجين تعليميين على الأقل، برنامج تجريبي وبرنامج ضابط. ومن غير المرجح إعداد هذه البرامج لتفي بمتطلبات أبحاث العلوم الاجتماعية. ونتيجة لذلك يستحيل في معظم الأحوال ضبط كافة المتغيرات. ونتذكر هنا أنه في مناقشتنا الإحصاءات استخدمنا مثالا يتعلق بزرع الطماطم باستخدام نوعين من السماد. ومن خلال الطريقة التي أعدت بها هذه التجربة الافتراضية أمكن لنا أن نستنتج أن أحد نوعي السماد كان أفضل من الآخر، هذا لو نمت طماطم أكبر حجما عند استخدام ذلك

النوع مقارنة بالنوع الآخر. بيد أن هـذه النتيجة لا تكون صحيحة إلا *إذا كان السماد هو الفارق الوحيد بين المزرعتين*. إن المثال الذي قدمناه عن هذا الشرط في حالة انتهاكه كان صحيحا لو أن المزارع قد زرع أيضا نوعا مختلفا من الطماطم بالإضافة إلى استخدام سماد آخر. فإذا كانت ثمار الطماطم بإحدى المزرعتين أكبر من الأخرى فإننا في هذه الحالة لا نعلم ما إذا كان ذلك يرجع إلى اختلاف نوع الطماطم أو نوع السماد أو كليهما معا.

إن في بحوث التدريس باستخدام اللغة الأم قد تختلف جوانب أخرى لها علاقة بخبرة المجموعة التجريبية وبالمجموعة الضابطة فضلا عن الاختلاف في لغة التدريس. ومن المتغيرات التي لا يمكن السيطرة عليها التي أدت إلى عدم توصل الدراسات في هذه القضية إلى نتائج حاسمة نجد متغيرات مثل الطبقة الاجتماعية للأطفال ونوعية المدرسين وموقع المدارس سواء كان في الريف أو الحضر، وإضافة إلى "تأثير هوثورن". أما تأثير هوثورن فهو عامل يعمل لصالح أي طريقة تجريبية أيا كانت مزاياها الداخلية. ومثال ذلك أنني لو استطعت إقناع نظام مدرسي بأن الأطفال سيتعلمون القراءة على نحو أفضل إذا وضعوا في فصول دراسية ذات جدران خضراء وسمح لهم بخلع النعال، خاصة إذا كان المدرسون الذين يدرسون بهذه الفصول الخضراء يؤمنون حقا بالبرنامج واعتبر الأطفال أن لهم منزلة خاصة، فإنهم على الأرجح سيتعلمون القراءة على نحو أفضل بشكل ملحوظ. وليس هناك بالطبع مبرر للاعتقاد بأن خلع النعال والجلوس في فصول ذات جدران خضراء أثناء حصة القراءة لهما علاقة بعملية تدريس القراءة وتعلمها، ولذلك فإن المكاسب من وراء هذا النوع يكون مصدرها الهالة المثيرة المرتبطة بالتجربة. وأفضل طريقة للتغلب على تأثير هوثورن هو اختبار نتائج التجربة بعد تطبيقها عدة سنوات. وفي ذلك الحين تكون "الخصوصية" قد انقشعت وتكون أية مكاسب تظهرها المجموعة التجريبية هي على الأرجح نتيجة

للظروف التجريبية. إن كثيرا من بحوث اللغة الأم يختبر بعد عام واحد فقط. وقد يؤدي ذلك إلى تحقيق هدفين، هما: أن أثر هوثورن قد يتسبب في تضخيم الفوائد لدى المجموعة التجريبية، أو أن طول الفترة قد يكون قصيرا على نحو لا يؤدي إلى ظهور الفوائد في حينها المتوقع.

وهناك متغير غير مضبوط شائع الانتشار وهو نوعية المدرس. لقد كانت نوعية التدريس التي تلقتها المجموعة الضابطة في أحد الاختبارات الشهيرة الخاصة ببحوث اللغة الأم سيئة جدا على نحو أدى بأنجل إلى الاستنتاج بأن الدراسة "أيدت بوضوح استخدام اللغة الأم للتغلب على ضعف التدريس (وهي ليست الطريقة المباشرة حسب الوصف المذكور بها)" (أنجل ١٩٧٥ : ١٤). وفي دراسة أخرى وصفها أنجل (١٩٧٥ : ١١) لم يتبين وجود فروق في تحصيل الطلاب الأوغنديين الذين بدأوا تعليمهم بلغاتهم الأم مقارنة بالذين بدأوا باللغة الإنجليزية. غير أن متغيرات المدرس دلت على نسبة ٨٣٪ من التباين في درجات اختبار أفراد العينة وذلك عند إجراء تحليل انكفائي لها.

يبدو أن النجاح الذي يثبت الطريقة المباشرة إلا في تجارب الانغماس الكندية، لا يمكن مع ذلك أخذه كدليل قاطع على أفضلية هذه الطريقة.(٧) إن كل هذه الحالات تتضمن متحدثين باللغة السائدة قوميا (الإنجليزية) ويتعلمون باستخدام لغة قومية أخرى ذات سيادة محلية (اللغة الفرنسية). إضافة إلى ذلك نجد أن الطلاب الذين يشاركون في هذه التجارب هم في الغالب من أبناء الطبقة الوسطى، وهم يدخلون البرنامج طوعا ويكدح آباؤهم من أجل إنجاح البرنامج. ولا يمكن الافتراض بأن التجربة نفسها يمكن أن تنجح في بلد يكون فيه متحدثو اللغة الدارجة المنتشرة بين فئة ريفية صغيرة "مغمسين" في لغة قومية أو عالمية.

إن جزءا من سبب عدم إثبات اقتراح اليونسكو "البديهي" بصورة متلازمة

ومقنعة يرجع إلى صعوبة ضبط المتغيرات الأخرى واستبعاد عوامل غير منطقية مثل أثر هوثورن. ولعل سلسلة من ثلاث أو أربع تجارب محكمة في مناطق مختلفة بالعالم ستظهر بالتأكيد أفضلية التعليم والتدريس باللغة الأم. ويصعب من جانب آخر تجنب الإحساس بأنه قد ظهر بعد ثلاثين عاما اتجاه واضح يؤيد استخدام اللغة الأم في التعليم رغم المخططات البحثية التي لا تصل إلى حد الكمال. غير أن هذا الاتجاه غير واضح.

ولعله من الضروري أن ننظر إلى الاحتمالية بأن التعليم باللغة الأم ربما لا يكون بالأهمية ذاتها التي يشير إليها "الرأي العام البديهي". ولا تنسى حقيقة أن أغلب باحثي هذه المسألة من أمريكا الشمالية أو أوروبا الغربية. والكثير منهم لم يكن لديهم أدنى تجربة بالتنوع اللغوي الهائل الذي يعد من حقائق الحياة اليومية لدى كثير من سكان العالم. ومن الشائع في أماكن التنوع اللغوي أن يتكلم الناس لغتين أو أكثر دون تعليم رسمي. وحتى إذا سلمنا بأن اكتساب لغة ثانية أو ثالثة قد لا يحدث في سن مبكرة لدى الأطفال، إلا أن الصغير يتوقع أن يتعلم لغة جديدة كجزء من عملية النمو. ولا شك في أن الطفل الأمريكي أو الألماني سيصاب بصدمة إذا وجد نفسه تحت سلطة شخص بالغ ليس بإمكانه حتى أن يفهمه عندما يدخل إلى الدراسة إذا كان عمليا كل من التقى به من قبل لا يتحدث إلا الإنجليزية أو الألمانية. غير أن الشيء نفسه لا ينطبق بالضرورة على الأطفال الهنود أو التنزانيين الذين يعتبرون أن من علامات النضج والرشد وجودهم في موقف يخاطبهم الآخرون فيه بلغة لم يتعلموها بعد. ومن المؤكد أن ذلك لا يساعدهم على الفهم بشكل أفضل ولكنه يحدث اختلافا كبيرا من الناحية النفسية.

ومن ناحية أخرى قد يتعلم الطفل لغة ثانية في سن مبكرة. ويبدو أن ذلك ينطبق على هنود التيوا الذين ذكرناهم في الباب الثامن. وعندما سئل هؤلاء عن رأيهم

في لغة التدريس أيدوا بقوة التدريس بلغتين، وقالوا بوجوب أن يشرح المدرسون بلغتين، غير أنهم لم يؤيدوا كثيراً التدريس بلغة التيوا، ولو حتى في المدرسة الابتدائية. ومن أولئك الذين سُئلوا: "هل تريد أن يكون التدريس لك أو لأطفالك من قبل مدرسين يتحدثون بلغة التيوا فقط على الأقل في المدرسة الابتدائية، أو من قبل مدرسين يتكلمون كلا من التيوا والإنجليزية؟" أجاب ٩١,٧٪ بأنهم يختارون التيوا والإنجليزية، و٨,٣٪ فقط أجابوا بأنهم يختارون التيوا فقط. إن أفراد جماعة الأيمش البدائية يتعلمون اللغة الألمانية بلهجة بنسلفانيا في بيوتهم، ولكنهم يكتسبون الإنجليزية في سن مبكرة. ويدرس أطفال هذه الجماعة في مدارس كنسية تحت رقابة تلك الجماعة، بيد أن لغة التعليم كانت دائما هي اللغة الإنجليزية. وأكثر من ذلك أن هذه الحقيقة فيما يبدو ليس لها آثار ضارة أو سلبية على مستويات التحصيل (هوفنز ١٩٨٠). وتوجد حالات كثيرة كهذه في العديد من دول العالم. وفي هذه الحالات لا يتمتع التدريس باللغة الأم بوضع مميز على الإطلاق.(٨)

وثمة عامل آخر هو مسألة القرابة اللغوية. إذ نجد في كثير من أنحاء العالم، على سبيل المثال، التشاكو في براغوي وشمال الهند، أن ضروب اللغة قد تكون متشابهة أو مختلفة إلى حد ما بحيث يصبح من العسير فعليا القول بأنها لغتان منفصلتان، أم أن من الأفضل وصفها كلهجتين للغة نفسها. وفي شرق إفريقيا نجد أن لغات البانتو متشابهة في التركيب العام على نحو يسهل الانتقال من القدرة الخاصة باللغة الأم في أي منها إلى التعليم والتدريس باللغة السواحيلية، رغم أن هذه اللغات ليست بوضوح لهجات للغة السواحيلية. إن التشابه اللغوي العام قد يجعل التدريس بلغة ثانية أقل كراهية مما لو كان هناك اختلاف لغوي عام، ونلاحظ ذلك في الحالات التي تكون فيها لغة التعليم هي اللغة الأصلية حتى ولو لم تكن اللغة الأم.

أما الإجابة على السؤال: هل تنجح اللغة الثانية في ذلك؟ فهي غامضة

غموض الاقتباسات التي وردت في بداية هذا الجزء. ورغم أن نتائج التجارب قد لا تكون حاسمة إلا أن التجارب لم تكن مضبوطة فعليا بدرجة كافية. ومن ناحية أخرى من المحتمل أن لا يكون التدريس باللغة الأم ميزة أساسية في الحياة الواقعية عند الأطفال. وهناك كثير من المواقع في العالم حيث لا تكون اللغة الأم ذات ميزة في التدريس.

هل اللغة الأم جديرة بذلك؟

من الصحيح - كما يقول توكر (١٩٧٧) - أننا لا نستطيع أن نبرهن بشكل لا لبس فيه على أن التعليم باللغة الأم هو الأفضل، إلا أننا أيضا لا نعلم على نحو متيقن أنه ليس الأفضل. أي بعبارة أخرى من الممكن أن نستنتج أنه ناجح بالفعل. وهنا ينبغي لنا أن نتساءل عن جدارة اللغة الأم وذلك بافتراض أنه من الممكن استخدام قدر معين من التعليم باللغة الأم حتى ولو كانت "عامية" إضافة إلى افتراض أنها مفيدة. ولا بد هنا أن ندخل حسابات التكلفة والمنفعة كما هو الحال في قرارات التخطيط اللغوي الأخرى حتى ولو لم يجرى تحليل رسمي للتكلفة والمنفعة.(٩) وهنا من المفيد التفكير في تعليق بول بخصوص مصلحة المجتمع مقارنة بمصلحة الفرد الطفل، وهنا يبدو واضحا احتمال تعارض المصلحتين. وأعتقد أن تحديد المصلحة ذات الأولوية يعتمد على نظام القيمة المحدد الخاص بالأمة وكذلك مواردها. كما أنه من الواضح أن تحديد لغة عامية لكي تستخدم كوسيط تعليمي هي عملية مكلفة، ولا بد أن تكون الفوائد الكبيرة على نحو يبرر التكلفة.

اللغات العالمية والقومية ولغات المجموعات الصغيرة.

تعد فكرة تقسيم اللغات إلى ثلاث طبقات مفهوما دائم الظهور في الدراسات

الميدانية في البلدان النامية. ويبدو أن للغات ثلاثة مستويات وظيفية كما هي الحال في العديد من دول العالم، رغم أن المثالين المشهورين الوحيدين هما الهند وتنزانيا. وفي أحد طرفي المتصل نجد لغات تخدم حاجات التفاعل بين مجموعات محلية صغيرة من المتحدثين باللغة الأم . ونجد أن هذه اللغات في الهند هي اللغات القبلية إضافة إلى اللغات الأخرى غير المذكورة في الجدول الثامن بالدستور. أما في تنزانيا فقد ذكرنا في الفصل الماضي أنها نحو١٣٥ لغة.(١٠) وهي في معظمها لغات لا تتمتع بقدر كبير من التقييس في أفضل الأحوال، وربما كان لها أبجدية ومعجم صغير وبعض المبادىء الأساسية. ويسمى كلوس (١٩٦٨) هذه اللغات بلغات "قبكتابية" (أي ما قبل الكتابة) أو "غير نموذجية" أو لغات "أبجدية"، رغم أن بعضها قد يكون في فئة "النموذجية المستحدثة" عنده. وبعض الدول تحتوي على بضع لغات ضمن هذه الفئة التي تعد لغات كاملة النموذجية وقد يكون لها تراث أدبي كبير، ولكن ليس لديها إلا عدد قليل من المتحدثين بحيث لا تتوافر لديها فرصة للعمل على المستوى القومي أو الدولي. وتتكون هذه الفئة الفرعية الأخيرة من لغات يسميها كلوس "اللغات النموذجية للمجموعات الصغيرة".

ونجد في المستوى التالي لغات أسمّيها اللغات القومية، وهي في أحد معانيها تختلف إلى حد ما عن المعنى الذي أعطي لهذا المصطلح حتى الآن. في هذا السياق الحالي تقوم اللغة "القومية" بوظيفة قومية ليس فقط للدول ولكن أيضا للجنسيات الراسخة تحت القومية الأكبر، وذلك حسبما يراه فشمان. وقد يكون لهذه اللغات دور اللغة القومية في بعض البلدان كاللغة السواحيلية أو قوارني. وقد تكون هذه اللغات معلنة رسميا كلغات قومية مثل اللغة الهندية في الهند أو الفلبينية (التاغالوج) في الفلبين، ولكنها لا تقوم في الواقع بدور الوظيفة القومية لكافة أنحاء البلاد بالمعنى الكامل. كما قد تكون هذه اللغات إحدى اللغات الأصلية المتعددة، وتعتبر لغات

منافسة فعليا لوضع اللغة القومية كما هو الحال مع لغة كيكويو في كينيا أو لغة إغبو في نيجيريا. وأخيرا قد تكون لغات يتكلمها عدد كبير من الناس ومتطورة تطورا لا بأس به، ولكنها لا تجد فرصة حقيقية لإعلانها لغة قومية في بلادها مثل لغة تيلينو في الهند. ولو كان التاريخ السياسي الطبيعي قد اتخذ مناحي مختلفة لربما كانت بعض لغات هذه المجموعة الأخيرة هي اللغات القومية ببعض الدول التي لا توجد، ولكن ربما كان من الممكن وجودها. وينطبق على معظم هذه اللغات وصف كلوس لفئة لغات "النموذجية المستحدثة" رغم أن بعضها يدخل بصعوبة فيما يبدو في فئة اللغات "النموذجية للمجموعات الصغيرة".

أما اللغات العالمية فقد أصبحت بمرور الزمن، ولسبب أو لآخر، وسيلة لمعظم تقنيات العالم وتجارته وعلاقاته الدبلوماسية، وجزءا كبيرا من أدبه المعترف به دوليا. ولم تتأهل لذلك إلا حفنة من لغات العالم. ويستشهد ستيرن (١٩٦٣، ص١٣) برأي العالم البريطاني ج. ل. ويليامز بأن هناك خمس لغات فقط (لم يسم ستيرن هذه اللغات الخمس) تأهلت إلى هذا المستوى. ورغم أن اللغات العالمية غالبا ما تكون لغات استعمارية، إلا أن وضعها يجعل من المستحيل على الدول المستقلة حديثا استبعادها من المجالات الرسمية والتعليمية ذلك على الرغم من ارتباط هذه اللغات بالقوة الاستعمارية التي رحلت عن البلاد. بيد أن هناك دولاً لم تطأها قدم الاستعمار، ولكنها ترى أنه من المفيد أن يعرف مواطنوها لغة عالمية ومثال ذلك انتشار اللغة الإنجليزية في تايلاند.

الواقع أن مسألة وسيلة التعليم غالبا ما تطرح على أنها اختيار بين اللغة الموجودة فعليا في المكان، وهي عادة ما تكون لغة عالمية، ولغة أو أكثر من اللغات الدراجة للمجموعات الصغيرة. وربما يكون هدف الوصول إلى حل وسط معقول هو إعطاء أفضلية خاصة للغات القومية على اللغات العالمية الدارجة للمجموعات

الصغيرة، وذلك كوسيلة للتعليم، حيث تكون الحاجة ماسة إلى بديل عن لغة عالمية. للغات القومية بالمعني الذي استخدمه هنا عدة مزايا كبرى تميزها عن اللغات الدارجة للمجموعات الصغيرة. وأول هذه المزايا أنه تتكلمها كلغة أم مجموعات كبيرة جدا من السكان أكثر مما هو الحال مع اللغات الدارجة المحلية للمجموعات الصغيرة (ويستثنى من ذلك لغة السواحيلية في تنزانيا). وثانيا أنها لا تكون عادة متخلفة جدا (بالنسبة لأغراض التعليم) كما هو الحال مع اللغات الدارجة المحلية للمجموعات الصغيرة. وأخيرا تكون اللغات القومية في حالات كثيرة قد تُعلِّمت كلغة ثانية من قبل طلاب المدارس، أو سيتم تعلمها في غمار أحداث الحياة الطبيعية ولو لم يذهب الأطفال أبدا إلى المدرسة.

إن كثيرا من زعماء الدول النامية متعددة اللغات يؤيدون مسار العمل هذا. وفيما يلي مقطع من خطاب ألقاه راجندرا براسات الذي كان رئيسا للهند في عام ١٩٦١(داكين، تيفين، و ويدوسون ١٩٦٨ : ٣٤):

"إن سياسة اللغة الأم لا تكون مجدية إلا إذا كانت الفئة اللغوية ذات حجم معقول وتشكل منطقة متماسكة. ولا يمكن أن يطلبها بمعقولية فئة صغيرة العدد جدا متناثرة في أجزاء متفرقة بالمناطق اللغوية الأخرى، ومن السهل إدراك المضامين المالية وغيرها المتعلقة بقبول مثل هذا الطلب".

ويقترح بوكامبا وتلو (١٩٧٧، صفحة ٤٧) السياسة اللغوية التالية كسياسة ممكنة التطبيق في إفريقيا:

"نقترح أن تختار كل دولة في جنوب الصحراء الإفريقية لغة قومية من وعاء لغاتها المشتركة، وذلك على أساس مسح لغوي إحصائي متعلق بالمواقف اللغوية، كما نقترح أن تستخدم الدولة هذه اللغة في التعليم."

من الواضح أن بوكامبا وتلولا يدافعان عن التعليم باللغة الأم، ولكنهما

يسعيان إلى إحلال لغة إفريقية واحدة في كل بلد محل اللغة الاستعمارية. ورغم أنهما أفرطا فيما يبدو في التفاؤل بإمكانية اختيار لغة أصلية واحدة لتكون اللغة الوحيدة للتعليم إلا أنه من الضروري ملاحظة أن "اللغات المشتركة"، وهي اللغات القومية بالمعنى الواسع الذي استخدمه في هذا السياق، هي اللغات الوحيدة المرشحة لذلك. ويدافع أنسري (١٩٧٨) عن "استخدام اللغات الأصلية" في التعليم في إفريقيا، إلا أن ذلك فيما يبدو لا يعني بالضرورة التعليم باللغة الأم.

إذ يستشهد أنسري (١٩٧٨ : ٢٩٢) بتنزانيا كأحد مثالين للدول الإفريقية "الملتزمة تماما باستخدام اللغات الأصلية" علما بأننا نعرف أن السواحيلية هي اللغة الأم لأقلية صغيرة من التنزانيين.

بعض المعايير المقترحة.

ببساطة يعتبر استخدام اللغة العامية الأم في التعليم في الغالبية العظمى لبلدان العالم أمرا خارج نطاق الممكن إلا أنه في كثير من المواقع يكون من المرغوب تزايد استخدام اللغات المحلية الأصلية بدلا من اللغات العالمية. ويعني ذلك حتمية اتخاذ قرارات لتحديد اللغات المحلية الأصلية التي ستستخدم وتلك التي لن تستخدم في المدارس. وأقترح المعايير الخمسة التالية اللازمة لاتخاذ هذه القرارات.

(١) الاستخدام كلغة اتصال على نطاق واسع. إذا كانت اللغة هي بالفعل إحدى اللغات المستخدمة كوسيلة للاتصال بين فئات ثانوية غير مشاركة في اللغات الأم، فإن هذه اللغة يجب أن تكون مفضلة على اللغات التي ليس لها هذا الاستخدام. ومن سبل تحديد ذلك ملاحظة عدد الأفراد الذين يتعلمون تلك اللغة كلغة ثانية بالنسبة إلى حجمها. وقد طور واينرايخ (١٩٧٥) صيغة تسمح بقيمة رقمية تخصص لهذا العامل، وسمى هذه الصيغة مقياس الأهمية الوظيفية.

(٢) عدد المتحدثين. ينبغي تفضيل اللغات التي يستعملها عدد كبير من المتحدثين الأصليين على اللغات التي تتكلمها مجموعات صغيرة. وهذا المعيار يتضمن دون جدل التمييز ضد الأطفال الذين تصادف أن ولدوا في فئات عرقية لغوية صغيرة، ولكنه يعني أيضا أن الموارد التي ستستخدم في تثبيت لغة ما في النظام التعليمي ستفيد أعدادا كبيرة من الناس. إن معنى عبارة "أعداد كبيرة من المتحدثين الأصليين "تختلف من بلد إلى بلد، ولكني أعتقد أن اللغة التي يتكلمها ١٠٪ أو أكثر من السكان أو مليون نسمة على الأقل تعتبر لغة مرشحة بقدر معقول لأن تكون لغة للتعليم. وينبغي على الأرجح إهمال اللغات التي يتكلمها أقل من مائة ألف نسمة، اللهم فيما عدا حالات الدول الغنية.

(٣) تطور اللغة. ينبغي تفضيل اللغة المجهزة للقيام بدور لغة المدرسة، دون أن يجري عليها تخطيطات لغوية موسعة، على اللغات التي تحتاج إلى جهود كبيرة لتطويرها. فبالإضافة إلى حجم المفردات وطبيعتها فإن التطوير يعني أن اللغة تمتلك نظاما كتابيا ومدى ملاءمة النظام الكتابي للتقنية أو الطباعة، إضافة إلى درجة نموذجية اللغة فيما وراء كتابتها، ومدى توافر تراث أدبي لهذه اللغة، ومدى وجود مواد تعليمية مكتوبة بها (مثل المواد التي أعدتها البعثات التبشيرية أو المجتمعات المحلية ذاتها) وأخيرا مدى سهولة توظيف المعلمين القادرين وتدريسهم على التدريس بهذه اللغة.

(٤) تفضيل المجموعة. يذكر تقرير اليونسكو احتمال عدم رغبة بعض المجتمعات في استخدام لغتها في التعليم. ولعل أحد أنواع القوى الاجتماعية اللغوية كان قد أحدث اتجاها مؤداه أن اللغة الأم هي الأفضل في البيت والمجتمع، ولكن استخدامها في المدرسة يمكن أن يكون غير ملائم. وتقترح لجنة اليونسكو قيام الحكومات بمحاولة إقناع هذه المجتمعات بمزايا استخدام اللغة الأم في التعليم. ويبدو لي

أن جهود الإقناع، وهي على رأس ما ينبغي فعله لاستخدام لغة ما في النظام التعليمي، ستكون هائلة إلى درجة أن اللغة التي لا يقبلها متحدثوها أنفسهم يجب ألا ينظر فيها على الإطلاق كوسيلة محتملة للتعليم.

(٥) عامل التسرب. من الدلائل المهمة لسوء أداء النظم التعليمية وجود نسبة كبيرة للتسرب في سنوات التعليم الأولى. ولاشك في أن عدد المنسحبين (المتسربين) يعد مشكلة خطيرة في دول كثيرة. وقد رأينا في الباب الأول أن براغوي من بين هذه الدول، وأن استخدام اللغة الإسبانية في التعليم في مناطق لا توجد فيها إلا اللغة القورانية يبدو سببا رئيسيا لارتفاع نسبة التسرب (روبن ١٩٦٨ أ). ويذكر بوكامبا وتلو (١٩٧٧ : ٤٥) أن نسبة ٥٪ فقط من الأولاد المتخرجين من المدرسة الابتدائية في غانا يتابعون دراستهم في المدرسة الثانوية. وفي زائير، ٣٠٪ فقط من الأولاد الذين يدخلون المدرسة الابتدائية يتابعون حتى نهاية المراحل الأربع الأولى. ويعزي الكتاب ذلك إلى "عدم القدرة على إجادة لغة التعليم." وحيث تتواجد مثل هذه الحالات، يجب الإشارة إلى ضرورة تغيير وسيلة التعليم: "هناك حالات عديدة مع ذلك حيث لا يبقى الأطفال ولسبب من الأسباب في المدرسة بعد المرحلة الثالثة أو الرابعة. وفي مثل هذه الحالات يبدو من المعقول تماما ومن المفضل أن يبدأ الأطفال تعليمهم الرسمي ويتدربوا على تعلم القراءة والكتابة باللغة الأم" (توكر ١٩٧٧ : ٣٩). ومن ناحية أخرى، إذا كان النظام التعليمي يعمل بشكل جيد بحيث يبقى الأولاد في المدرسة حتى ولو اضطروا إلى التعلم بلغة ثانية، فإنه على الأرجح أن لا يكون هناك مبرر تربوي لبذل جهود من أجل التحول إلى اللغة الأم. وفي هذه الحالة ينصح توكر "بضرورة بذل تركيز كبير على التعليم في اللغة المستهدفة يصحبه أنشطة مساندة باللغة الأم." وبعبارة أخرى لا تستخدم علاجا باهظ الثمن إذا لم تكن هناك مشكلة خطيرة.

حالة لغة فريجان

تناولنا حتى الآن مسألة تعليم اللغة العامية باعتبارها صراعا بين المصلحة التعليمية وندرة الموارد. واستنتجنا أنه إذا أثبتت استفادة الأطفال من التعليم باللغة الأم في البلاد وكان بوسع الدولة تحمل التكاليف المترتبة عليها فإنه ينصح باستخدامها في التعليم. ولكن على العكس، إذا تبين عدم استفادة الأطفال أو إذا كانت التكاليف باهظة جدا فإنه ينصح بعدم استخدام اللغة الأم في التعليم. ومع ذلك، فإن الحسنات التعليمية لوسيلة تعليمية ما أو غيرها في الغالب ما تكون اعتبارات ثانوية عند اتخاذ القرارات فعليا. وتتضح هذه النقطة كثيرا في حالة لغة فريجان في هولندا باعتبارها لغة الأقلية.

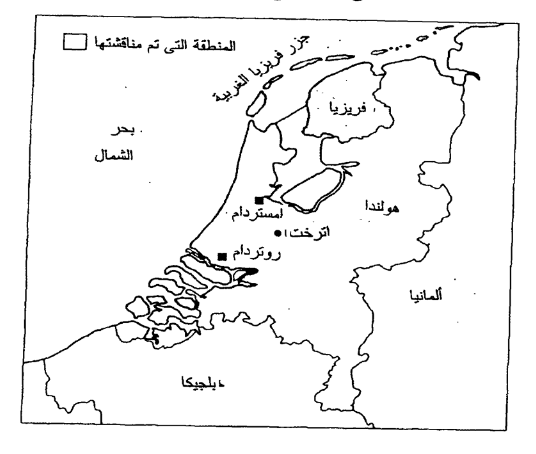
الخلفية

إن لغة فريجان هي لغة جرمانية يتكلمها أساسا أهل فريزلاند، وهي مقاطعة في شمال شرق هولندا، برغم انتشار لهجات أخرى من لغة فريجان في أجزاء أخرى من ألمانيا (انظر الخريطة رقم ١١.١).[١١] ترتبط لغة فريجان باللغة الهولندية ارتباطا بسيطا، واللغتان ليستا مفهومتين بشكل مشترك مع بعضهما. يبلغ تعداد سكان فريزلاند نحو ٥٥٠.٠٠٠ نسمة، أي نحو ٤٪ من سكان هولندا (بيترسن ١٩٧٨ صفحة ٣٥٤)، وهي منطقة ثنائية اللغة تماما إذ يتحدث جميع سكان فريزلاند اللغة الهولندية ويعرف معظمهم لغة فريجان.

ظلت اللغة الهولندية لغة المهام والوظائف اللغوية العليا طوال قرون عديدة بيد أن اللغة أصبحت نقطة خلاف في فريزلاند في القرن التاسع عشر. بدأت في ذلك الوقت حركة نشيطة للغة فريجان. والدليل على مدى قدرة الحركة على الإقناع ومهارتها السياسية يمكن أن تلمسه في حقيقة أنها حققت قائمة لا بأس بها من

الأهداف التي وضعتها لنفسها في هذا القرن. وقد أقيمت أول الطقوس الكنسية بلغة فريجان عام ١٩١٥، كما نشر الإنجيل بلغة فريجان عام ١٩٤٣ (وإبان السبعينيات كانت تعد ترجمة عالمية جديدة له). وأنشأت أكاديمية فريجانية في عام ١٩٣٨، وسمح باستخدام اللغة الفريجانية المحكية (وليس المكتوبة) في المحاكم في فيريزلاند منذ عام ١٩٥٥.

واللغة الهولندية هي لغة التعليم التقليدية في فريزلاند كما هو الحال في كافة أنحاء هولندا. وفي عام ١٩٠٧ سمح بدراسة لغة فريجان، ولكنها كانت اختيارية، وكان لا بد من دراستها خارج نطاق المناهج العادية.



الخريطة رقم (١١.١). خريطة هولندا تظهر فريزلاند.

وفي عام ١٩٣٧ أدرجت مادة في قانون المدارس الابتدائية الهولندية أصبح بموجبها من الممكن إدخال لغة فريجان كمادة دراسية. وحسب ويجنسترا (١٩٧٨) فإنه في غضون عام واحد بدأت ١٠٠ مدرسة في دراسات بلغة فريجان. وأقيمت تجربة عام ١٩٥٠ عن استخدام لغة فريجان كلغة تعليم في الصفين الأولين في تسع مدارس.

وكانت النتائج مرضية لأنه أُصدر قانون عام ١٩٥٥ الذي يسمح شرعيا باستخدام اللغات الإقليمية مثل لغة فريجان كوسيط للتعليم في الصفوف الثلاثة الأولى. وتزايد عدد المدارس التي اختارت استخدام لغة فريجان كلغة للتعليم حتى وصلت عام ١٩٦٨ إلى ٨٤ مدرسة رغم أنها تناقصت منذ ذلك الحين إلى حد ما (ويجنسترا ١٩٧٨). وفي عام ١٩٧٢ أُصدر قانون يجعل لغة فريجان مادة دراسية إجبارية في فريزلاند ابتداءً من عام ١٩٨٠.[١٢]

وتشير البيانات التي جُمعت عن طريق مسح قامت برعايته الأكاديمية الفريجانية عام ١٩٦٩ إلى أن لغة فريجان هي لغة راسخة الجذور في المقاطعة. كما أوضحت البيانات أن ٨٣٪ من سكان فريزلاند يتكلمون لغة فريجان، وأن ٩٧٪ منهم يفهمونها "بشكل جيد" على الأقل. وتبين الإجابات على أسئلة المسح وجود نمط تقليدي نوعا ما من الازدواجية اللغوية بين الهولندية ولغة فريجان. ويبين الجدول رقم (١١.١) المأخوذ عن جدول ٢ عند بيترسن (١٩٧٨ : ٣٦٥) التوزيع حسب الفئات المهنية وحسب المجال الأعلى والمجال الأدنى.[١٣] وقد ذكرت كافة الفئات أنها تستخدم لغة فريجان في المجالات الدنيا وتستخدم اللغة الهولندية في المجالات العليا. ومن الصحيح أيضا بصفة عامة أن الأفراد ذوي المهن العليا يستخدمون اللغة الهولندية بشكل كامل أكثر من الأفراد ذوي المهن الدنيا. ويبدو أن استخدام لغة فريجان كبير على نحو خاص في المهن الزراعية مما يبين احتمال انتشارها في الريف، وهذا انطباع دقيق جدا. يذكر ٨١٪ من أفراد العينة الذين يعيشون في الريف واستجابوا إلى المسح أنهم يستخدمون

لغة فريجان في البيوت، بينما يستخدمها في البيوت ٤٩٪ فقط من قاطني المدن. إن لغة فريجان هي لغة مكتوبة وهناك كتب منشورة بها، غير أنها تستخدم في الغالب في أغراض التخاطب إذ ذكر ٨٣٪ من العينة أنهم يتكلمون لغة فريجان، في حين أن ٦٩٪ فقط ذكروا أنهم يستطيعون قراءتها "بشكل جيد" نوعا ما، وذكر ١١٪ فقط أنهم يستطيعون الكتابة بها على نحو كاف للتعبير عما يريدون (بيترسون ١٩٧٨).

جدول رقم (١١.١). النسب المئوية لاستخدام لغة فريجان واللغة الهولندية في فريزلاند عام ١٩٦٩م من قبل أصحاب المهن الوضيعة والوجهاء.

المجموعات المهنية	اللغة المستخدمة في المنازل		لغة المهن الرفيعة	
	الهولندية	فريجان	الهولندية	فريجان
الزعماء/ الأثرياء	٦٤	٢٨	٨١	١٩
الطبقات الوسطى العاملة	٢٧	٥١	٧٤	٢١
صغار التجار	٧	٦٨	٥٢	٣٩
العمال	٧	٧٧	٥٢	٤٤
العمال المزارعون	صفر	٨٤	٣٦	٥٦
الفلاحون	١	٩٦	٣٣	٦٦

❖ الوجهاء: هم أصحاب المهن ذات المستوى الاجتماعي الرفيع كالأطباء والوزراء.

المصدر: البيانات من بيترسن (١٩٧٨ : ٣٦٥)

ولا يبدو أن من يتكلمون لغة فريجان هم في مرحلة من التحول إلى اللغة الهولندية. ورغم أن بيترسن (١٩٧٨ : ٣٨٥) يذكر أن "كبار السن يرتبطون أكثر من الصغار بأيدلوجية اللغة"، إلا أن مسحا جديدا أشرفت عليه أكاديمية فريجان وصحيفة يومية عام ١٩٧٩م يظهر أن الأرقام الإجمالية نفسها كانت قد وردت عام ١٩٦٩ (كما جاء في جريدة أخبار فريجان Frisian News Items ، المجلد ٣٥، العدد ٢ لسنة ١٩٧٩م).[١٤] ويستطيع ٩٦٪ تحديدا (مقارنة بـ ٩٧٪ عام ١٩٦٩) أن يفهموا لغة

فريجان، كما يتكلمها ٧٧٪ (مقارنة بـ ٨٣٪). كما نعلم إن فترة عشر سنوات هي فترة قصيرة جدا لكي يبدأ تحّول بين جيلين في الظهور. ومع ذلك فإن المسح الجديد يبين أن لا فرق في معرفة لغة فريجان بين الكبار والصغار. إن المواقف المذكورة نحو لغة فريجان كانت إيجابية للغاية حيث قيِّمت لغة فريجان على مستوى أعلى من اللغة الهولندية في مقياس "اللطف". وعندما طُلب من أفراد العينة تقييم وضع لغة فريجان واللغة الهولندية ولهجتين هولنديتين أخريين (هما لهجة أهل ليمبورغ ولهجة أهل جروننغ)، وثلاث لغات عالمية (الإنجليزية والألمانية والفرنسية) باعتبارها لغات من المتوقع بقاؤها، حصلت اللغة الهولندية على تقدير أعلى من لغة فريجان بيد أن لغة فريجان تفوقت على اللغات العالمية، وكذلك على اللهجتين الهولنديتين (بيترس ١٩٧٨ : ٣٧٦).

آثار استخدام فريجان لغةً للتعليم

في بداية السبعينيات كان هناك مشروع بحث كان قد بدأه ويجنستر (١٩٧٨) لاختبار الحسنات التعليمية للمدارس ثنائية اللغة بلغتي فريجان والهولندية. وركزت الدراسة على ثلاث مجموعات من المدارس الفريجانية ومجموعة ضابطة من متكلمي الهولندية فقط من الذين ينحدرون من منطقة ريفية قرب "أوترخت". وكانت مجموعات المدارس الفريجانية الثلاث في مناطق تجمعات كبرى للأسر التي تتكلم اللغة الفريجانية (بلغت أكثر من ٩٠٪ طبقا لأرقام عام ١٩٥٦م). وقد اختلفت المجموعات الثلاث في الجوانب التالية:

المجموعة ١ : اللغة السائدة في رياض الأطفال هي لغة فريجان. أما المراحل الثلاث الأولى من التعليم فكانت تدرس بكلتا اللغتين فريجان والهولندية.

المجموعة ٢ : اللغة السائدة في رياض الأطفال هي لغة فريجان، بينما تدرس

المراحل الثلاث الأولى باللغة الهولندية فقط.

المجموعة ٣: اللغة السائدة في رياض الأطفال هي الهولندية، وتدرس المراحل الثلاث الأولى باللغة الهولندية.

كانت المجموعة الأولى هي الأقرب إلى النموذج الذي وضعته اليونسكو للتعليم المبكر باللغة الأم، ولذلك فإن النتائج التي حققتها الدراسة كانت مثيرة للاهتمام بشكل خاص. أما مجموعة أوترخت، مثل المجموعة الثالثة، فاستخدمت جميعها اللغة الهولندية.

كانت المجموعات الأربع متقاربة عند مقارنة مقاييس الذكاء قبل بدء الدراسة، ولم يطرأ تغيير على هذه العلاقة. في نهاية كل عام، اختُبرت المواد في المفردات والقواعد الهولندية والكفاءة الشفهية في اللغة الهولندية.وسرعة القراءة ومدى الفهم والاستيعاب في اللغة الهولندية واستخدام اللغة والإنشاء (أيضا باللغة الهولندية) والحساب. حلّلت النتائج إحصائيا عن طريق تحليل المتغيرات، واعتبرت درجات الاختبار كمتغير تابع، كما اعتبرت العضوية في إحدى المجموعات الأربع كمتغير مستقل. في اختبارات الجوانب العديدة من قواعد ومفردات اللغة الهولندية التي أجريت في نهاية مرحلة الروضة والصف الأول، كانت درجات المجموعة الأولى هي الأقل بشكل متكرر. وفي الاختبارات المتعددة كانت درجاتهم أقل بشكل ملحوظ من درجات أي مجموعة أخرى. إن هذا الأمر ليس مستغربا جدا؛ لأن تعرضهم الرسمي للغة الهولندية كان الأقل بالمقارنة مع أي مجموعة أخرى. وبحلول نهاية الصف الثاني، نقص معدل الضعف في الاختبارات التي حققوا فيها من قبل أقل الدرجات، وبنهاية الصف الثالث لم تكن درجات المجموعة الأولى أقل بشكل ملحوظ من درجات أي من المجموعات الأخرى. وفي اختبارين من الاختبارات التي قدم عنهما ويجنسترا بيانات تفصيلية (أحدهما في الكفاءة الشفهية في اللغة الهولندية، والآخر في استخدام

اللغة) فقد حقق طلاب المجموعة الأولى في الصف الثالث درجات أعلى من أي من مجموعات لغة فريجان الأخرى، وفي المرة الثانية حققوا درجات أعلى من مجموعة أوترخت (الضابطة أيضا)، لكن لم تكن الدرجات أعلى بشكل كبير. وفي الواقع، وبنهاية الصف الثالث، لم تكن هناك أية فروق بارزة بين المجموعات على الإطلاق.[١٥] فلم يرد أي فرق بارز على الإطلاق بين المجموعة الأولى ومجموعتي لغة فريجان الأخريين.

في التحليل النهائي يبدو أن التعليم باللغة الأم لأطفال الفريجان يبطىء من كفاءتهم في الاستخدامات المدرسية للغة الهولندية لفترة قصيرة، ولكن نجد أنه بحلول نهاية الصف الثالث لا يعتبر عيبا أو حسنة. ويرجع جزء كبير من أسباب ذلك إلى أن أطفال الفريجان ثنائيو اللغة باللغة الهولندية على أية حال، كما لا توجد هناك إلا فروق ثقافية قليلة بينهم وبين بقية السكان الهولنديين. إذا كان التأثير التعليمي هو الاعتبار الوحيد، فإن التعليم بلغة الفريجان لا يستحق هذا العناء. إنه يتطلب تخطيطا خاصا وتدريبا ومواد ويبدو أنه لا يعطي أية فوائد تعليمية ذات قيمة.

المنافع السياسية

ومع ذلك لم تكن المنافع التعليمية هي الاعتبار الوحيد مطلقا كما أنها لا تشكل أهم الاعتبارات. تذكر أنه كان هناك حركة ذات نفوذ مؤثر في جزر فريزلاند في صالح الحفاظ على لغة فريجان. ويرى كثير من أهل فريزلاند أنفسهم "كشعب قديم محب للحرية"، وهم في انشغال دائم "لانتزاع فريد من التنازلات من الحكومة المركزية العليا وخاصته الأجنبية" (جريدة أخبار فريجان المجلد ٣٥، العدد ١ عام ١٩٧٩). ويرون أن الإنفاق على الاختيار المحلي للتعليم باللغة الأم (أو التعليم الازدواجي اللغة) أثبت أنه ثمن سياسي رخيص يدفع لمنع المزيد من عزلة شعب الفريجان. وهناك

إشارة إلى ما كان عليه المناخ السياسي قد وردت في مقالات جريدة "فريزيان نيوز أيتمز" (٣٥، ٢ ، ١٩٧٩م) وتناولت مشروع قانون صدر من البرلمان الهولندي في أكتوبر ١٩٧٩. وتضمن مشروع القانون إضافة لغة فريجان على المنهاج المعد لكليات تدريب المعلمين في فريزلاند. وحسب المقال فقد وافق على هذا القانون الأغلبية العظمى. إضافة إلى ذلك ألقى عدد قليل من أعضاء البرلمان من غير الفريجان، بمن فيهم وزير التعليم، كلمات بلغة الفريجان في صالح مشروع القانون. ويبدو أن تبني موقف معتدل ومتوافق مع مؤيدي لغة الفريجان كان من أفضل المواقف. لأسباب اجتماعية وسياسية، فإن سياسة لغة الفريجان الأم مبررة تماما، خاصة عندما ندرك ما يلي:

١- بالرغم من أن استخدام الفريجان كوسيلة للتعليم لا تثمر منافع تعليمية مباشرة فهو لا يضر أيضا.

٢- إن لغة الفريجان هي لغة "نموذجية للمجموعة الصغيرة"، وهي متطورة إلى حد ما.

إن الحالة الخاصة بلغة الفريجان ليست الوحيدة في هذا الجانب. ففي الفلبين ما زالت كلتا اللغتين الإنجليزية والفلبينية لغة رسمية في التعليم، ذلك على الرغم من الأبحاث التي فشلت في إظهار الفوائد التعليمية لتفضيل التعليم باللغة الفلبينية على الإنجليزية (توكر ١٩٧٧: ٣٤). إن قرار تنزانيا باستخدام اللغة السواحلية في نظامها التعليمي لا يحظى بدعم المبادىء التى أقرتها لجنة اليونسكو. كما أن سياسة التعليم باللغة الأيرلندية في أيرلندا هي أقل علاقة بنمط التفكير السائد في تقرير اليونسكو.

الخلاصة

يعد استخدام اللغة كوسيلة للتعليم أحد أهم قرارات تخطيط اللغة التي يمكن اتخاذها. عبرت لجنة خبراء اليونسكو في اجتماعها عام ١٩٥١م عن وجهة النظر القائلة بأن مصلحة الأطفال الصغار هي الاعتبار الأهم الذي يجب النظر إليه عند اتخاذ مثل هذا القرار. وقد أدى هذا بهم إلى التوصية بأنه يجب استخدام اللغات الأم للمتعلمين كوسيلة للتعليم في بداية الدراسة كما أوصوا باستمرار استخدامها إلى أقصى حد ممكن. وقد توقعت اللجنة أربعة اعتراضات أولية على هذه التوصية وتعاملت معها بطريقة معقولة. والاعتراضات الأخرى، والتي يسميها التقرير (القيود العملية)، كانت أكثر صعوبة في التعامل معها على الرغم من أن التقرير له وجهة نظر معينة تجاه هذه الاعتراضات.

بقيت منذ ذلك الحين توصيات اليونسكو مثارا للجدل. ومن أجل تقييم اقترحته اللجنة، يبدو من المعقول أن نسأل ما إذا كان من الممكن متابعة تنفيذ هذا الاقتراح، وما إذا كان هذا التنفيذ الخاص بالتوصيات سوف ينجح، وهل تستحق الفوائد التي سنجنيها كل هذا العناء. يبدو أنه من غير الممكن تنفيذ هذه التوصيات على كل جماعة لغوية عرقية في العالم؛ إذ إنه يمكن تطبيق هذا المثال الخاص باليونسكو فقط في معظم حالات الدول ذات اللغات المتعددة. وعلى الرغم من حقيقة أن الرأي العام البديهي يشير إلى أن الأطفال يتعلمون بصورة أفضل إذا درِّس لهم بلغتهم الأم، إلا أن البحث الذي نفِّذ في الثلاثين عاما الأخيرة لم يكن حاسما بشكل يدعو للدهشة. ويعود جزء كبير من هذا السبب إلى الصعوبات التي تنطوي عليها الأبحاث العلمية للمجتمعات الكبرى مما يجعل إمكانية السيطرة على كافة المتغيرات المتداخلة والداحضة أمرا أشبه بالمستحيل، وغالبا ما تترك كل مشروعات الأبحاث متغيرات مهمة لا يمكن السيطرة عليها. ومع ذلك فإنه يمكن توقع اتجاه معتدل على الأقل

لصالح تعليم اللغة الأم حتى في مجال البحث المنفذ بشكل غير تام. ومع هذا يبدو أنه في مقابل كل بحث يشير إلى أن التعليم باللغة الأم هو أمر فعال، هناك بحث آخر يشير إلى النقيض. وإجماع الآراء حول السؤال عن مدى جدوى هذا الأمر ونجاحه هو "نحن لا نعلم وحسب".

إذا استنتجت إحدى وكالات تخطيط اللغة أن توصية اليونسكو يمكن أن تنجح في بيئة ما، فإنه لا يزال أمامنا السؤال الخاص، وهو ما إذا كانت المنافع المكتسبة تستحق كل هذا العناء. يعطينا التصنيف اللغوي الاجتماعي الثلاثي للغات العالم أساسا لمحاولة الإجابة على هذا السؤال. والأقسام الثلاثة هي: (١) لغات الجماعات الصغيرة، (٢) اللغات القومية (بمعنى تعريفي خاص) و(٣) اللغات العالمية. غالبا ما يُعرض هذا القرار كاختيار بين لغة الجماعة الصغيرة واللغة العالمية. هناك حلول وسط معقولة في بعض البيئات التي تستخدم اللغة القومية في التعليم كبديل للغة العالمية وكبديل لمحاولة استخدام لغات محلية متعددة. يدل الواقع على أن القادة السياسيين والعلماء في عديد من الدول ذات اللغات المتعددة يدافعون عن هذا الحل المطروح. هناك خمسة معايير يمكن استخدامها للمساعدة في اتخاذ القرار الخاص باللغة أو باللغات التي يجب استخدامها في التعليم، وهي: (١) الاستخدام كوسيلة للتواصل الأوسع، (٢) عدد المتحدثين بها، (٣) تطور اللغة، (٤) أفضلية الجماعة، و(٥)عامل التسرب. وتطبيق هذه المعايير يشير بقوة إلى اللغات "القومية".

في الواقع العملي نجد أن الفائدة التعليمية لأطفال المدارس ليست العامل الرئيسي الذي يؤثر على القرار الخاص باستخدام لغة أو أخرى في التعليم. والدليل على هذه الحقيقة هو التاريخ الحديث الخاص بإدخال لغة الفريجان، وهي لغة إقليمية في هولندا، إلى المدارس الإقليمية في فريزلاند. لقد استخدمت خلال العقود القليلة الماضية لغة الفريجان كوسيلة تعليم في برنامج ثنائي اللغة في بعض مدارس منطقة

الفريزلاند. وتشير نتائج البحث إلى أن استخدام لغة الفريجان في التعليم الأولي لم يساعد، كما أنه لم يعق، الطلبة على التحصيل العلمي المدرسي. إذا كانت نتائج البحث التعليمي هي الوحيدة التي تستحوذ على الاهتمام، يبدو لنا أن اللغة الهولندية يمكن أيضا أن تخدم كلغة تعليم وحيدة كما هو الحال في باقي أرجاء الدولة. ورغم هذا فقد استمر استخدام لغة الفريجان في مدارس منطقة الفريزلاند حتى أنه توسع في عام ١٩٨٠م. وتعود أسباب هذا الإجراء في الواقع إلى أسباب سياسية واجتماعية أكثر من كونها أسبابا تعليمية، ولكن تلك هي السياسة الصحيحة على ما يبدو. وفي هذا الخصوص يتضح أن حالة لغة الفريجان هي حالة نموذجية لتخطيط اللغة التعليمي.

هوامش لمراجع إضافية

تتضمن الأعمال التي ناقشت بشكل عام التعليم بلغتين، والتي ناقش معظمها إلى حد ما سؤال اللغة المستخدمة في التدريس، ما كتبه فيشمن (١٩٧٧م)، وسبولسكي (١٩٧٢م)، وكلوس (١٩٧٧)، ولويس (١٩٧٧م). وفي توسي (١٩٧٩م) مراجعة الدراسات حول تعليم المهاجرين باللغة الأم وفي الكتاب مراجع مفيدة جدا. وتشمل أعمال حديثة للدراسات ميدانية عمل سبولسكي وكوبر (١٩٧٨م) (مجموعة من المقالات)، وكوهين (١٩٧٥م) (ردودسيتي في كاليفورنيا)، وماكي وبيبي (١٩٧٧م) (المهاجرون الكوبيون في ميامي: فلوريدا)، وسيبيسان (١٩٧٨م) (الفلبين)، وبيري (١٩٧٦م) (حالات تضمنت لغات هجين)، وسبولسكي (١٩٧٧ ب) وروزير وفارلي (١٩٧٦م) (وكلتا الدراستين حول الهنود الأمريكيين)، ويمقابوس (١٩٧٦م) (غرب إفريقيا). وتتضمن القائمة الطويلة عن دراسات برامج الانغماس باللغة الفرنسية في كندا دراسة ماكدوغال وبروك

(١٩٧٨)، وسترن (١٩٧٨م)، وبتس (١٩٧٨م)، وسواين (١٩٧٨م)، وجنيسي وآخرين (١٩٧٨)، وبروك ولامبرت وتوكر (١٩٧٧م) (انظر أيضا إلى توكر وهامايان وجنيسي (١٩٧٦م) والمراجع التي وردت فيها).

هوامش

(١) الاستشهاد بما ورد في تقرير اليونسكو سيكون من المقاطع الأسهل تداولاً في فيشمن (١٩٦٨ج) وليس من المطبوعة الأصلية.

(٢) لاحظ أن تعريف اليونسكو يختلف عن التعريف الذي استخدمه فرجسون (١٩٦٦م) في نقاشه حول الصيغ الجانبية. استخدم فرجسون التقييس كمعيار أساسي، واللغات العامية غير قياسية رغم وجود متحدثين أصليين لها. وقد أحلت اليونسكو منزلة الرسمية مكان التقييس في بعض بلدان العالم. وفي رأيي فإن معيار فرجسون أرقى. خذ على سبيل المثال، اللغات المذكورة في الفقرة الثامنة من الدستور الهندي. فمعظم هذه اللغات قياسية بالدرجة نفسها تقريبا. ولكن لن تعتبر الهندي مثلا لغة عامية طبقا لتعريف اليونسكو بسبب منزلتها كلغة رسمية في الهند، وكذلك لن تعتبر الأردو عامية؛ لأنها اللغة الرسمية في باكستان. وستعتبر التاميل لغة عامية؛ لأنها ليست اللغة الرسمية لأي دولة (لها صبغة رسمية في بعض الأقاليم لسيرلانكا). ولكن التاميل على الدرجة نفسها تقريبا من تطور الهندي أو الأردو. ويعترف تقرير اليونسكو (١٩٦٨م، ص ٦٨٩) في أحد الهوامش أن تعريفها قد لا يكون قابلا للتطبيق عالمياً. وعلى أية حال، سيعطي كلا التعريفين اللغات نفسها في معظم الحالات.

(٣) فيما يتعلق بمعارضة استخدام اللغة الأم والقول بأنه يمنع التعلم المتأخر للغة

الثانية لا يتفق جميع اللغويين على أن تدريس اللغة الثانية من خلال اللغة الأولى هو بالضرورة أفضل طريقة. وسنرى أن هناك دليلا لا بأس به على أن استخدام اللغة كوسيلة للتعليم قد يكون أسلوبا فعالا في بعض الظروف في نقل تلك اللغة. ولكن أشك في أن أي لغوي سوف يود القول إن استخدام اللغة الأم كوسيلة تعليم يمنع اكتساب لغة أخرى.

(٤) وعند هذه النقطة بالذات يصعب قليلا تتبع التقرير. فقد يقود التنوع المحلي للتدريس بلغة ليست اللغة الأم لبعض الأطفال، ويبدو أن اللجنة تقبل هذا على مضض كحل دائم. وقدم الحل نفسه على المستوى القومي كحل مؤقت، وينقص قليلا عن كونه مثاليا. وبالطبع فالدول مكونة من مجتمعات محلية. وقد تكون الفكرة المبطنة هي أن مجموعات اللغة الأم الصغيرة قد لا تحصل على تعليم باللغة العامية، ولكن يجب على الدول أن لا تتوقف عن محاولة استخدام لغات المجموعات الكبيرة والمتوسطة في التعليم.

(٥) أخذت المتقبسات عن مقال بول من المقال المعاد طباعته في هايمز (١٩٦٤م).

(٦) تجربة تراسكان التي أشار إليها بول هي مشروع تعليم باللغة العامية استشهد به وأثنى عليه في تقرير اليونسكو.

(٧) تسمى الطريقة المستخدمة في هذه التجارب "بالانغماس"؛ لأن الطلاب "ينغمسون" باللغة الفرنسية من خلال اليوم المدرسي.

(٨) ناقش لي بيج (١٩٦٤م، ص ص ٢١ - ٢٨) و داكين وتيفن ودوسون (١٩٦٨م، ص ص٣٣-٣٥) ما يتضمنه انتشار ثنائية اللغة بالنسبة للتعليم باستخدام اللغة الأم كوسيلة تعليمية.

(٩) قاده تحليل تاداجيو (١٩٧٧) والفوائد إلى استنتاج أن التعليم باللغة الدارجة يستحق في جوهره العناء من أجله في العديد من الدول الإفريقية.

(١٠) سوكوما، وهي لغة تنزانية لها أكبر عدد من المتحدثين بها كلغة أم، هي لغة قومية هامشية طبقا للتعريف الذي أنا في طريقي لوضعه.

(١١) يعتمد وصفي الحالة لغة فريجان أساسا على بيترسون (١٩٧٨م).

(١٢) إن هدف عام ١٩٨٠م كان ما يزال ساري المفعول حتى يناير من عام ١٩٧٩م Frisian New Items جريدة أخبار فريجان المجلد ٣٥، العدد ١، عام ١٩٧٩م.

(١٣) لا يصل مجموع النسبة المئوية إلى ١٠٠٪ لأن بعض من أجابوا ذكروا، بالإضافة إلى اللغة الهولندية والفريجانية، أنهم يتحدثون "لهجة" من لغة فريجان أو لغة فريجان في المدينة، وهي شكل لغوي يعتمد كثيرا على الهولندية في مفرداته ويستخدم قواعد لغة فريجان وطريقة نطقها (بيترسن ١٩٧٨ : ٣٥٧).

(١٤) أنا ممتن لفلورنس كويبرز Florence Kuipers لتوفير نسختين من إصدارين لجريدة أخبار فريجان Frisian New Items بالإضافة إلى نسخة من ويجنسترا (١٩٧٨). إن جريدة أخبار فريجان هي نشرة يصدرها مكتب معلومات فريجان في كراند رابيلز في ميشيجان.

(١٥) إحدى النتائج التي وجدها ويجنسترا محيرة، وهي أن مجموعة أوترخت قد حصلت على درجات أعلى بشكل ملحوظ من المجموعات الثلاث الفريجانية في الحساب بالرغم من أنهم لم يظهروا أي مزايا أفضل من الأطفال الفريجان في القراءة والاستيعاب السمعي بالهولندية.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على ذكر المتطلبات الرئيسية الثلاثة لنجاح وسيلة التعليم.

٢- أن يكون قادرا على ذكر الاقتراح الرئيسي للجنة اليونسكو بما يخص التعليم الابتدائي.

٣- أن يكون قادرا على ذكر ردود تقرير اليونسكو على الاعتراضات الأربعة التي توقعتها لمقترحاتها.

٤- أن يكون قادرا على معرفة اقتراح تقرير اليونسكو للتعامل مع "القيود العملية" المتعلقة بمواد التعليم غير المناسبة في بعض اللغات وقلة المعلمين المتوافرين للتدريس بتلك اللغات.

٥- أن يكون قادرا على معرفة اقتراح اليونسكو للتعامل مع الحالات التي تكون فيها مفردات العامية غير مناسبة لاحتياجات المنهج.

٦- أن يكون قادرا على معرفة اقتراحات اليونسكو للتعامل مع تعدد اللغات في المجتمعات المحلية وبلدان بأكملها (تأكد من معرفة الفرق الدقيق بين حالات "المجتمعات المحلية" و"الدول ككل").

٧- أن يكون قادرا على معرفة اقتراح اليونسكو للتعامل مع مشكلة المعارضة الشعبية.

٨- أن يكون قادرا على معرفة فحوى إجابة فاسولد على السؤال "هل هذا ممكن؟".

٩- أن يكون قادرا على معرفة فحوى إجابة فاسولد على السؤال "هل يتحقق هذا؟".

١٠- معظم التجارب التي حاولت الإجابة على التساؤل "هل يحقق هذا الهدف" أخفقت في ضبط جميع المتغيرات. والهدف أن يكون قادرا على معرفة تعريف مصطلح "المتغيرات غير المضبوطة".

١١- أن يكون قادرا على معرفة "متغير شائع مضبوط".

١٢- أن يستطيع تسمية الحالة التي يكون فيها التعليم باللغة الأم" لا يتمتع بمزايا حسنة على الإطلاق".

١٣- أن يستطيع معرفة فحوى إجابة فاسولد على السؤال "هل يستحق كل هذا؟".

١٤- أن يكون قادرا على معرفة تعاريف لغة المجموعة الصغيرة واللغة القومية واللغة العالمية.

١٥- أن يكون قادرا على معرفة الأسباب الثلاثة التي تجعل اللغات القومية بديلا معقولا لكل من لغة المجتمع الصغير واللغة العالمية كلغات تعليم في العديد من الدول النامية.

١٦- أن يكون قادرا على معرفة المعايير الخمسة المقترحة لتقرير أي لغة ستستخدم في المدارس.

١٧- أن يكون قادرا على التعرف على السبب الممكن جدا لتبرير التعليم باستخدام لغة فريجان في فريزلاند.

المراجع

Abdulaziz Mkilifi, M. H. 1978. Triglossia and Swahili-English bilingualism in Tanzania. In Fishman 1978: 129-52.

_____ 1980. The Ecology of Tanzanian national language policy. In Polome and Hill 1980: 139-75

Adler, Max. 1977. *Welsh and Other Dying Languages in Europe: A Sociolinguistic Study*. Hamburg: Helmut Buske Verlag.

Agheyisi, Rebecca and Fishman, Joshua. 1970. Language attitude studies: a brief survey of methodological approaches. *Anthropological Linguistics*. 12(5): 137-57.

Agnew, John. 1981. Language shift and the politics of language: The case of the Celtic languages of the British Isles. *Language Problems and Language Planning*,5(1):1-10.

Aksornkool, Namtip. 1980. EFL Planning in Thailand: a case study in language planning. Unpublished doctoral dissertation, Georgetown University.

Alatis, James (ed.). 1978. *Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics* 1978. Washington, DC: Georgetown University Press.

Alisjahbana, S. Takdir. 1972. Writing normative grammar for Indonesian. *Language Sciences* (February 1972), 11-14.

_____ 1976, *Language Planning for Modernization: The Case of Indonesian and Malaysian*. The Hague: Mouton.

Anshen. Frank. 1978. *Statistics for Linguists*. Rowley, MA: Newbury House.

Ansre. Gilbert. 1978. The use of indigenous languages in education in sub-Saharan Africa: presuppositions. lessons. and prospects. In Alatis 1978:285-301.

Apte. Mahadev. 1976. Multilingualism in India and its sociopolitical implications. In O'Barr and O'Barr 1976:141-64.

_____ 1979. Review of Sharma, P. Gopal and Kumar, Suresh (eds.). Indian Bilingualism: Proceedings of the Symposium Held under the Joint Auspices of Kendriya Hindi Sansthan and Jawaharlal Nehru University, February 1976. *Language*. 55 (4):924-8.

Asuncion-Lande. Nobleza and Emy Pascasio. 1979. Language maintenance and code switching among Filipino bilingual speakers. In Mackey and Ornstein 1979:211-30.

Bailey. Charles-James. 1973. *Variation and Linguistic Theory*. Arlington, VA: Center for Applied Linguistics.

_____ 1975. The new linguistic framework and language planning. *Linguistics*, 158:153-6.

Bamgbose. Ayo (ed.). 1976. *Mother Tongue Education: The West African Experience*. London: Hodder and Stoughton.

Bell. Allan. 1982. This isn't the BBC: colonialism in New Zealand English. *Applied Linguistics 3*.

Bender, M. L., Cooper, R. L., and Ferguson, C. A. 1972. Language in Ethiopia: implications of a survey for sociolinguistic theory and method. *Language in Society*, 1(2):215-33. Also in Ohannessian, Ferguson, and Polome 1975:191-208.

Berry. Jack. 1968. The making of alphabets. In Fishman 1968c:737-53.

_____ (ed.) 1976. Language and Education in the Third World. *International Journal of the Sociology of Language*, 8.

Blom, Jan-Petter and Gumperz, John. 1972. Social meaning in linguistic structure: code-switching in Norway. In Gumperz and Hymes 1972:407-34.

Bloomfield, Leonard. 1933. *Language*. New York: Holt, Rinehart, and Winston.

Bodine, Ann. 1975. Androcentrism in prescriptive grammar: singular 'they', sex-indefinite 'he', and 'he or she'. *Language in Society*, 4:129-46.

Bokamba, Eyamba and Tlou, Josia. 1977. The consequences of the language policies of African states vis-a-vis education. In Kotey and Der-Houssikian 1977:34-53.

Bourhis, Richard and Giles, Howard, 1976. The language of cooperation in Wales: a field study. *Language Sciences*, 42:13-16.

_____ 1977. Children's voices and ethnic categorization in Britain. *Mondo Lingvo Problemo*. 6(17):855-94.

_____ and Lambert, Wallace. 1975. Social consequences of accommodating one's style of speech: a cross-nationalinvestigation. *International Journal of the Sociology of Language*, 6:55-71. (=*Linguistics*, 166)

Branko. Franolic. 1980. Language policy and language planning in Yugoslavia with special reference to Croation and Macedonian. *Lingua*, 51(1):55-72.

Bright. William. 1966. *Sociolinguistics*. The Hague: Mouton.

_____ 1976. *Variation and Change in Language*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Browning, Robert. 1982. Greek diglossia yesterday and today. *International Journal of the Sociology of language*, 35:49-69.

Bruck, Margaret, Lambert, Wallace, and Tucker, G. Richard. 1977. Cognitive consequences of bilingual schooling: the St Lambert project through grade six. *Linguistics*, 187:13-33.

Brudner, Lilyan and White, Douglas. 1979. Language attitudes: behavior and intervening variables. In Mackey and Ornstein 1979:51-98.

Bull, William. 1955. The use of vernacular languages in fundamental education. *International Journal of American Linguistics*, 21:288-94. Also in Hymes 1964:527-33.

Byron, J. L. 1976. *Selection among Alternates in Language Standardization: The Case of Albanian*. The Hague: Mouton.

Carranza, Michael and Ryan, Ellen Bouchard. 1975. Evaluative reactions of bilingual Anglo and Mexican American adolescents towards speakers of English and Spanish. *International Journal of the Sociology of Language*, 6:83-104. (=*Linguistics*, 166)

.Chong Hoi Kong. 1977. A study of language maintenance and shift in Singapore as a multilingual society. *RELC Journal*, 8(2):43-62.

Cohen. Andrew. 1974. Mexican-American evaluation Judgements about language varieties. *International Journal of the Sociology of Language*, 3:33-52. (-*Linguistics*, 136)

_____ 1975. *A Sociolinguistic Approach to Bilingual Education*. Rowley, MA: Newbury House.

Cooper, Robert. 1974. Language Attitudes, 1. *International Journal of the Sociology of Language*, 3. (= *Linguistics* 136).

_____ 1975. Language Attitudes, 2. *International Journal of the Sociology of Language*, 6. (= *Linguistics* 166).

_____ (ed.). 1982. *Language Spread: Studies in Diffusion and Social Change*. Bloomington, IN: Indiana University Press.

_____ and Danet, Brenda. 1980. Language in the melting pot: the sociolinguistic context for language planning in Israel. *Language Problems and Language Planning*, 4(1):1-28.

_____ and Fishman, Joshua. 1974. The study of language attitudes. *International Journal of the Sociology of Language*, 3:5-19. (= *Linguistics* 136).

Coupland, Nikolas. 1980. Style-shifting in a Cardiff work setting. *Language in Society*, 9(1):1-12.

Cronin, Sean. 1978. Nation building and the Irish language revival movement. *Eire-Ireland*, 13:7-14.

Dahlstedt, Karl-Hampus. 1977. Societal ideology and language cultivation: The case of Swedish. *International Journal of the Sociology of Language*, 10:17-50.

Dakin, Julian, Tiffen, Brian, and Widdowson, H. G. 1968. *Language* in *Education*. London: Oxford University Press.

D'Anglejan, Alison and Tucker, G. Richard. 1973. Sociolinguistic correlates of speech style in Quebec. In Shuy and Fasold 1973: 1-27.

Davidson, T. T. L. 1969. Indian bilingualism and the evidence of the census of 1961. *Lingua*, 22:176-96.

DeFrancis, John. 1972. Language and script reform (in China). In Fishman 1972a: 476-510.

_____ 1977. *Colonialism and Language Policy in Vietnam*. The Hague: Mouton.

Denison, Norman. 1977. Language death or language suicide? *International Journal of the Sociology of Language*, 12: 13-22. (= *Linguistics* 191).

Dewees, John. 1977. Orthography and identity: movement toward inertia. In Kotey and Der-Houssikian 1977: 120-34.

Dorian, Nancy. 1978. The dying dialect and the role of the schools: East Sutherland Gaelic and Pennsylvania Dutch. In Alatis 1978: 646-56.

_____ 1980. Language shift in community and individual: the phenomenon of the laggard semi-speaker. *International Journal of the Sociology of Language*, 25:85-94.

_____ 1981. *Language Death: The Life Cycle of a Scottish Gaelic Dialect,* Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Dressler, Wolfgang. 1972. On the phonology of language death. *In Papers from the Eighth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society,* 448-57. Chicago: Chicago Linguistic Society.

_____ and Wodak-Leodolter, Ruth. 1977. Language preservation and language death in Brittany. *International Journal of the Sociology of Language*, 12: 31-44. (= *Linguistics* 191).

El-Dash, Linda and Tucker, G. Richard. 1975. Subjective reactions to various speech styles in Egypt. *International Journal of the Sociology of Language*, 6: 33-54. (= *Linguistics*, 166).

'Element'. *Encyclopedia Americana*, 10: 203-9. 1976.

Emmeneau, Murray. 1956. India as a linguistic area. *Language*, 32(1): 3-16.

Engle, Patricia. 1975. *The Use of Vernacular Languages in Education: Language Medium in Early School Years for Minority Language Groups.* Arlington, VA: Center for Applied Linguistics.

Fasold, Ralph. 1980. The amazing replicability of a sociolinguistic pattern. *Papers in Linguistics*, 13(2-4): 515-28.

Fellman, Jack. 1973. *The Revival of a Classical Tongue: Eliezer Ben Yehuda and the Modern Hebrew Language*. The Hague: Mouton.

_____ 1975. On 'diglossia'. *Language Sciences*, 34: 38-9.

Ferguson, Charles. 1959a. Diglossia. *Word*, 15: 325-40. Also in Giglioli 1972: 232-51 and in Hymes 1964: 429-39.

_____ 1959b. Myths about Arabic. *In Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics* 1959, pp. 75-82. Washington, DC: Georgetown University Press. Also in Fishman 1968c: 375-81.

_____ 1962. The language factor in national development. *Anthropological Linguistics*. 4(1): 23-7. Also in Rice 1962: 8-14.

_____ 1966. National sociolinguistic profile formulas. In Bright 1966: 309-24.

_____ 1968. Language development. In Fishman. Ferguson. and Das Gupta 1968: 27-36.

Fishbein. M. 1965. A consideration of beliefs. attitudes and their relationships. In Steiner and Fishbein (eds.). *Current Studies in Social Psychology*, 107-120. New York: Holt, Rinehart. and Winston.

Fishman. Joshua. 1964. Language maintenance and language shift as fields of inquiry. *Linguistics*. 9: 32-70.

_____ 1965. Who speaks what language to whom and when? *Linguistics*, 2: 67-8.

_____ 1966. *Language Loyalty in the United States*. The Hague: Mouton.

_____ 1967. Bilingualism with and without diglossia; diglossia with and without bilingualism. *Journal of Social Issues*, 32: 29-38.

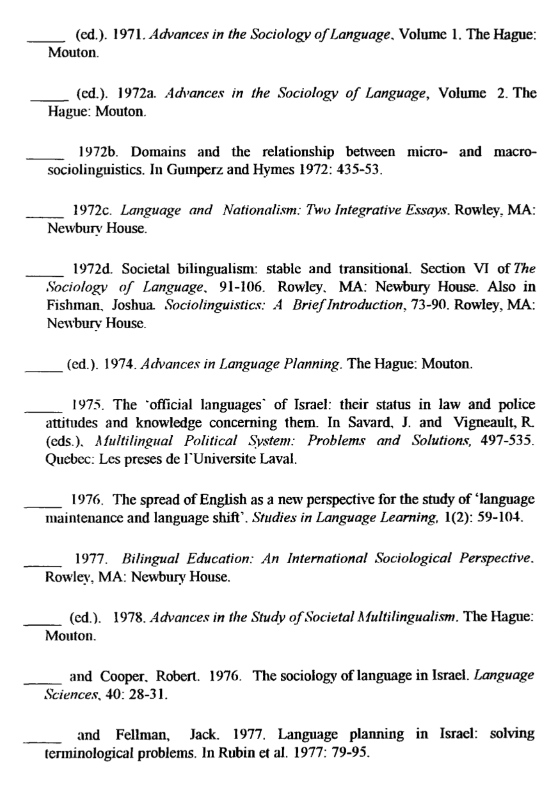
_____ 1968a. Some contrasts between linguistically homogeneous and linguistically heterogeneous polities. In Fishman. Ferguson. and Das Gupta 1968: 53-68. Also in *Sociological Inquiry*. 36(2): 146-58. (1966).

_____ 1968b. Nationality-nationalism and nation-nationism. In Fishman. Ferguson. and Das Gupta 1968: 39-52.

_____ (ed.) 1968c. *Readings in the Sociology of Language*. The Hague: Mouton.

_____ 1968d. Sociolinguistics and the language problems of developing countries. In Fishman. Ferguson. and Das Gupta 1968: 3-16.

_____ 1968e. Sociolinguistic perspective on the study of bilingualism. *Linguistics*, 39: 21-49.



_____ (ed.). 1971. *Advances in the Sociology of Language*, Volume 1. The Hague: Mouton.

_____ (ed.). 1972a. *Advances in the Sociology of Language*, Volume 2. The Hague: Mouton.

_____ 1972b. Domains and the relationship between micro- and macro-sociolinguistics. In Gumperz and Hymes 1972: 435-53.

_____ 1972c. *Language and Nationalism: Two Integrative Essays*. Rowley, MA: Newbury House.

_____ 1972d. Societal bilingualism: stable and transitional. Section VI of *The Sociology of Language*, 91-106. Rowley, MA: Newbury House. Also in Fishman, Joshua. *Sociolinguistics: A Brief Introduction*, 73-90. Rowley, MA: Newbury House.

_____ (ed.). 1974. *Advances in Language Planning*. The Hague: Mouton.

_____ 1975. The 'official languages' of Israel: their status in law and police attitudes and knowledge concerning them. In Savard, J. and Vigneault, R. (eds.), *Multilingual Political System: Problems and Solutions*, 497-535. Quebec: Les preses de l'Universite Laval.

_____ 1976. The spread of English as a new perspective for the study of 'language maintenance and language shift'. *Studies in Language Learning*, 1(2): 59-104.

_____ 1977. *Bilingual Education: An International Sociological Perspective*. Rowley, MA: Newbury House.

_____ (ed.). 1978. *Advances in the Study of Societal Multilingualism*. The Hague: Mouton.

_____ and Cooper, Robert. 1976. The sociology of language in Israel. *Language Sciences*, 40: 28-31.

_____ and Fellman, Jack. 1977. Language planning in Israel: solving terminological problems. In Rubin et al. 1977: 79-95.

_____ and Fishman, David. 1978. Yiddish in Israel: a case study of efforts to revise a monocentric language policy. In Fishman 1978: 185-262.

_____ Cooper, Robert, and Conrad, Andrew, et al. 1977. *The Spread of English*. Rowley, MA: Newbury House.

_____ Ferguson, Charles and Das Gupta, Jyotirindra (eds.) 1968. *Language Problems of Developing Nations*. New York: John Wiley and Sons.

Flint, E. H. 1979. Stable societal diglossia in Norfolk Island. In Mackey and Ornstein 1979: 295-334.

Ford, Jerome. 1974. Sociolinguistic-geographic profiles. *Georgetown University Working Papers on Languages and Linguistics*, no. 8. 99-116. Washington, DC: Georgetown University Press.

Frender, Robert and Lambert, Wallace. 1973. Speech style and scholastic success: the tentative relationships and possible implications for lower social class children. In Shuy 1973: 237-72.

Frisian News Items, 35(1). (January-February 1979). Grand Rapids, MI: Frisian Information Bureau.

Frisian News Items, 35(2). (March 1979). Grand Rapids, MI: Frisian Information Bureau.

Gal, Susan. 1978a. Peasant men can't get wives: language change and sex roles in a bilingual community. *Language in Society*, 7(1): 1-16.

_____ 1978b. Variation and change in patterns of speaking: language shift in Austria. In D. Sankoff (ed.), *Linguistic Variation: Models and Methods*, pp. 227-38. New York: Academic Press.

_____ 1979. *Language Shift: Social Determinants of Linguistic Change in Bilingual Austria*. New York: Academic Press.

Gardner, Robert. 1979. Social psychological aspects of second language acquisition. In Giles and St Clair 1979: 193-220.

Garvin. Paul. 1973. Some comments on language planning. In Rubin and Shuy 1973: 24-33.

_____ and Mathiot, Madeleine. 1956. The urbanization of the Guarani language. In Wallace, A. F. C. (ed.), *Men and Cultures: Selected Papers from the Fifth International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences*, pp. 365-74. Philadelphia: University of Pennsylvania Press. Also in Fishman 1968c: 365-74.

Genesee. Frederick, Lambert, Wallace, and Tucker, G. Richard. 1978. An experiment in trilingual education: Report 4. Language *Learning*, 28(2): 343-65.

Giglioli. Pier Paolo. (ed.). 1972. *Language and Social Context*. Harmondsworth, England: Penguin Books.

Giles. Howard. 1973. Accent mobility: a model and some data. *Anthropological Linguistics*, 15:87-105.

_____ 1977. *Language, Ethnicity and Intergroup Relations*. London: Academic Press.

_____ and Bourhis, Richard. 1976. Methodological issues in dialect perception: some social psychological perspectives. *Anthropological Linguistics*, 187: 294-304.

_____ and Powesland, P. 1975. *Speech Style and Social Evaluation*. London: Academic Press.

_____ and St Clair, Robert. 1979. *Language and Social Psychology*. Oxford: Basil Blackwell Publisher.

_____ Bourhis, Richard, and Taylor, Donald. 1977. Towards a theory of language in ethnic group relations. In Giles 1977: 307-49.

Gold. David. 1981. An introduction to English in Israel. *Language Problems and Language Planning*, 5(1): 11-56.

Gould, Philip. 1977. Indonesian learners' attitudes towards speakers of English. *RELC Journal*, 8(2): 69-84.

Greenberg, Joseph. 1956. The measurement of linguistic diversity. *Language*, 32(2): 109-15.

Greenfield, Lawrence. 1972. Situational measures of normative language views in relation to person, place and topic among Puerto Rican bilinguals. In Fishman 1972a: 17-35. Also in *Anthropos*, 65: 602-18 (1970).

Griffen, Toby. 1980. Nationalism and the emergence of a new standard Welsh. *Language Problems and Language Planning*, 4(3): 187-94.

Grimes, Barbara. (ed.) 1978. *Ethnologue* (9th edn). Huntington Beach, CA: Wycliffe Bible Translators.

Guilford, J. P. 1956. *Fundamental Statistics in Psychology and Education*. New York: McGraw-Hill, Inc.

Gumperz, John. 1962. Types of linguistic communities. *Anthropological Linguistics*, 4(1): 28-40. Also in Fishman 1968c: 460-72 and in Gumperz 1971: 97-13.

_____ 1964. Linguistic and social interaction in two communities. *American Anthropologist*, 66:6 (Part 2) 137-53.

_____ 1971. *Language in Social Groups*. Stanford, CA: Stanford University Press.

_____ 1977. The sociolinguistic significance of conversational code-switching. *RELC Journal*, 8(2): 1-34.

_____ and Hymes, Dell (eds.). 1972. *Directions in Sociolinguistics*. New York: Holt, Rinehart, and Winston.

_____ and Naim, C. M. 1960. Formal and informal standards in Hindi regional language area. *International Journal of American Linguistics*, 26(3): 92-118 (III). Also in Gumperz 1971: 48-76.

Harries, Lyndon. 1968. Swahili in modern East Africa. In Fishman, Ferguson,, and Das Gupta 1968: 415-31.

_____ 1976. The nationalization of Swahili in Kenya. *Language Sciences,* 5(2): 153-64.

Hatch, Evelyn and Farhady, Hossein. 1982. *Research Design and Statistics of Applied Linguistics.* Rowley, MA: Newbury House.

Haugen. Einar. 1959. Planning for a standard language in modern Norway. *Anthropological Linguistics,* 1(3): 8-21.

_____ 1966a. *Language Conflict and Language Planning: The Case of Modern Norwegian.* Cambridge, MA: Harvard University Press.

_____ 1966b. Linguistics and language planning. In Bright 1966: 50-71.

_____ 1968. Language planning in modern Norway. In Fishman 1968c: 673-86.

_____ 1971. Instrumentalism in language planning. In Rubin and Jernudd 1971: 281-92.

Heath, Shirley Brice. 1980. Standard English: biography of a symbol. In Shopen and Williams 1980: 3-32.

Heller, Monica. 1978. Bonjour, hello?: Negotiations of language choice in Montreal. *Papers from the Fourth Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society.* pp. 33-51. Berkeley, CA: Berkeley Linguistics Society.

Helwig, Jane. 1978. *SAS Introductory Guide.* Cary, NC: SAS Institute, Inc.

Herman, Simon. 1968. Explorations in the social psychology of language choice. In Fishman 1968c: 492-511.

Hill, C. P. 1980. Some developments in language and education in Tanazania since 1969. In Polome and Hill 1980: 362-409.

Hill, Jane and Hill, Kenneth. 1980. Metaphorical switching in Modern Nahuatl: change and contradiction. *Papers from the Sixteenth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society*, pp. 121-33. Chicago: Chicago Linguistic Society.

Hinnebusch, Thomas. 1979. Swahili. In Shopen 1979: 209-94.

Hofman, John E. and Fisherman, Haya. 1972. Language shift and language maintenance in Israel. In Fishman 1972a: 342-64. Also in *International Migration Review*, 5: 204-26 (1971).

Hoover, Mary Rhodes. 1978. Community attitudes toward Black English. *Language in Society*, 7(1): 65-87.

Hopkins, Tometro. 1977. The development and implementation of the national language policy in Kenya. In Kotey and Der-Houssikian 1977: 84-96.

Householder, Fred W., Jr. 1963. Greek diglossia. In Woodworth and DiPietro 1963: 109-32.

Huffines, M. Lois. 1980. Pennsylvania German: maintenance and shift. *International Journal of the Sociology of Language*, 25: 42-58.

Hughes, Everett. 1972. The linguistic division of labor in industrial and urban societies. In Fishman 1972a: 296-309.

Hymes, Dell. 1964. *Language in Culture and Society*. New York: Harper and Row.

_____ (ed.). 1971. *Pidginization and Creolization of Languages*. Cambridge: Cambridge University Press.

_____ 1974. *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Jaakkola, Magdalena. 1976. Diglossia and Bilingualism among two minorities in Sweden. *Linguistics*. 183: 67-84.

James, Linda. 1976. Black Children's perceptions of Black English. *Journal of Psycholinguistic Research*, 5(4): 377-87.

Jernudd. Bjorn. 1971. Notes on economic analysis for solving language problems. In Rubin and Jernudd 1971: 263-76.

_____ 1973. Language planning as a type of language treatment. In Rubin and Shuy 1973: 11-23.

_____ and Das Gupta, Jyotirindra. 1971. Towards a theory of language planning. In Rubin and Jernudd 1971: 195-216.

Johnson. Bruce. 1975. More on diglossia. *Language Sciences*, 37: 37-8.

_____ 1977. Language functions in Africa: a typological view. In Kotey and Der-Houssikian 1977: 54-67.

Jones. R. M. 1979. Welsh bilingualism: four documents. In Mackey and Ornstein 1979: 231-46.

Kachru. Braj. 1977. Linguistic schizophrenia and Language census: A note on the Indian situation. *Linguistics*, 186: 17-33.

Kachru. Yamuna and Bhatia, Tej. 1978. The emerging 'dialect' conflict in Hindi: a case of glottopolitics. *International Journal of the Sociology of Language*, 16: 47-58.

Kahane. Henry and Kahane, Renee. 1979. Decline and survival of Western prestige languages. *Language*. 55(1): 183-98.

Kavugha. Douglas and Bobb. Donald. 1980. The use of language in the law courts in Tanzania. In Polome and Hill 1980.

Kaye. Alan. 1970. Modern Standard Arabic and the colloquials. *Lingua*, 24: 374-91.

Kazazis. Kostas. 1968. Sunday Greek. In *Papers from the Fourth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society*, pp. 130-40. Chicago: Chicago Linguistic Society.

_____ 1976. A superficially unusual feature of Greek diglossia. In *Papers from the Twelfth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society*. pp. 369-75. Chicago: Chicago Linguistic Society.

_____ MS. Partial linguistic autobiography of a diglossic person. Unpublished.

Keller. Fred S. 1968. Goodbye teacher ... *Journal of Behavior Analysis* 1: 79-89.

Kelley. Gerald. 1966. The status of Hindi as a lingua franca. In Bright 1966: 299-308.

Kelz. Heinrich. 1981. Sprachplanung auf den Philippinen und die Entwicklung einer philippinischen Nationalsprache. *Language Problems and Language Planning*. 5(2): 115-36.

Khubchandani. Lachman. 1977. Language ideology and language development. *Linguistics*. 193: 33-52.

_____ 1978. Distribution of contact languages in India: a study of the 1961 bilingualism returns. In Fishman 1978: 553-86.

Kimple. J., Jr. 1968. Language shift and the interpretation of conversations. In Fishman 1968c: 598-610. Also in Lingua. 23: 127-34.

Kirk. Dudley. 1946. *Europe's Population in the Interwar Years*. Princeton: Princeton University Press.

Klein. Harriet Manelis and Stark. Louisa. 1977. Indian languages of the Paraguayan Chaco. *Anthropological Linguistics*, 19(8): 378-98.

Kloss. Heinz. 1966. Types of multilingual communities: A discussion of ten variables. *Sociological Inquiry*, 36: 135-45.

_____ 1968. Notes concerning a language-nation typology. In Fishman, Ferguson, and Das Gupta 1968: 69-86.

_____ 1977. *The American Bilingual Tradition*. Rowley. MA: Newbury House.

_____ and McConnell, Grant. 1974. *Linguistic Composition of the Nations of the World,* Vol. 1, Central and Western South Asia. Quebec: Les Preses de l'Universite Laval.

_____ 1977. *The Written Languages of the World: A Survey of the Degree and Modes of Use*. Quebec: Les Preses de l'Universite Laval.

Knab. Tim and Hasson de Knab, Liliane. 1979. Language death in the valley of the Puebla: a socio-geographic approach. *Papers from the Fifth Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society*, pp. 471-83. Berkeley, CA: Berkeley Linguistics Society.

Kola, C. V. 1977. Hybrid conversational Malayalam. *Anthropological Linguistics,* 19(6): 265-73.

Kotey, Paul and Der-Houssikian, Haig. (eds.). 1977. Language and Linguistic Problems in Africa. Columbia, SC: Hornbeam Press.

Kroch. Anthony, 1978. Towards a theory of social dialect variation. *Language in Society*. 7(1): 17-36.

Krysin, Leonid. 1979. Command of various language subsystems as diglossic phenomenon. *International Journal of the Sociology of Language*, 21: 141-52.

Kuo, Eddie C. Y. 1979. Measuring communicativity in multilingual societies: the ccase of Singapore and West Malaysia. *Anthropological Linguistics*, 21(7): 328-40.

Labov, William. 1966. *The Social Stratification of English in New York City*. Washington, DC: Center for Applied Linguistics.

_____ 1971. The notion 'system' in creole languages, in Hymes 1971: 447-72.

_____ 1972a. *Sociolinguistic Patterns. Philadelphia*: University of Pennsylvania Press./Oxford: Basil Blackwell Publisher.

_____ 1972b. *Language in the Inner City*. Philadephia: University of Pennsylvania Press./Oxford: Basil Blackwell Publisher.

Ladefoged, Peter, Glick, R., and Criper, C. 1972. *Language in Uganda*. London: Oxford University Press.

Lambert, Wallace. 1967. A social psychology of bilingualism. *Journal of Social Issues*, 23(2): 91-109.

_____ 1979. Language as a factor in intergroup relations. In Giles and St Clair 1979: 186-92.

_____ Gardner, R., Olton, R., and Tunstall, K. 1968. A study of the roles, attitudes and motivation in second-language learning. In Fishman 1968c: 473-91.

_____ Giles, Howard, and Picard, Omer. 1975. Language attitudes in a French-American community. *International Journal of the Sociology of Language*, 4: 127-52. (= Linguistics 158)

_____ Hodgson, R., Gardner, R., and Fillenbaum, S. 1960. Evaluative reactions to spoken language. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 60: 44-51.

Lamy, Paul (ed.). 1979. Language planning and identity planning. *International Journal of the Sociology of Language*, 20.

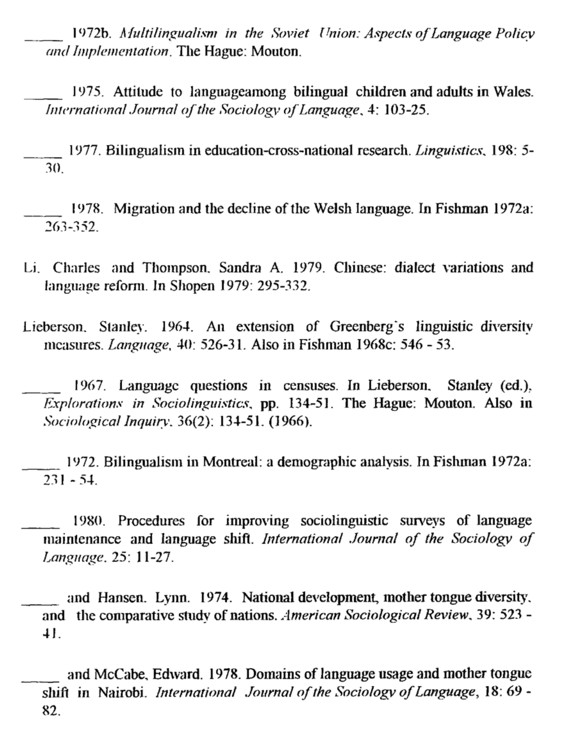
Laosa, Luis. 1975. Bilingualism in three United States Hispanic groups: contextual use of language by children and adults in their families. *Journal of Educational Psychology*, 67(5): 617-27.

Le Page, Robert. 1964. *The National Language Question*. London: Oxford University Press.

_____ 1972. Preliminary report on the sociolinguistic survey of the Cayo District, British Honduras. *Language in Society*, 1(1): 155-72.

_____ Christie, P., Jurdant B., Weekes, A. J., and Tabouret- Keller, Andree. 1974. Further report on the sociolinguistics survey of multilingual communities: survey of Cayo District, British Honduras. *Language in Society*, 3(1): 1 - 32.

Lewis, E. Glyn. 1972a. Migration and language in the USSR. In Fishman 1972a: 310-41.



_____ 1972b. *Multilingualism in the Soviet Union: Aspects of Language Policy and Implementation*. The Hague: Mouton.

_____ 1975. Attitude to languageamong bilingual children and adults in Wales. *International Journal of the Sociology of Language*, 4: 103-25.

_____ 1977. Bilingualism in education-cross-national research. *Linguistics*, 198: 5-30.

_____ 1978. Migration and the decline of the Welsh language. In Fishman 1972a: 263-352.

Li, Charles and Thompson, Sandra A. 1979. Chinese: dialect variations and language reform. In Shopen 1979: 295-332.

Lieberson, Stanley. 1964. An extension of Greenberg's linguistic diversity measures. *Language*, 40: 526-31. Also in Fishman 1968c: 546 - 53.

_____ 1967. Language questions in censuses. In Lieberson, Stanley (ed.), *Explorations in Sociolinguistics*, pp. 134-51. The Hague: Mouton. Also in *Sociological Inquiry*, 36(2): 134-51. (1966).

_____ 1972. Bilingualism in Montreal: a demographic analysis. In Fishman 1972a: 231 - 54.

_____ 1980. Procedures for improving sociolinguistic surveys of language maintenance and language shift. *International Journal of the Sociology of Language*, 25: 11-27.

_____ and Hansen, Lynn. 1974. National development, mother tongue diversity, and the comparative study of nations. *American Sociological Review*, 39: 523 - 41.

_____ and McCabe, Edward. 1978. Domains of language usage and mother tongue shift in Nairobi. *International Journal of the Sociology of Language*, 18: 69 - 82.

_____ Dalto. Guy. and Johnston, Mary Ellen. 1975. The course of mother-tongue diversity in nations. *American Journal of Sociology*, 81(1): 34 - 61.

Lind. E. Allan and O'Barr, William. 1979. The social significance of speech in the courtroom. In Giles and St Clair 1979: 66 -87.

Linn, L. 1965. Verbal attitudes and overt behavior: A study of racial discrimination. *Social Forces* 43: 353 - 64.

Lorwin. Val. 1972. Linguistic pluralism and tension in modern Belgium. In Fishman 1972a: 386 - 412.

Lunt. Horace. 1959. The creation of standard Macedonian: Some facts and attitudes. *Anthropological Linguistics*. 1(5): 19 - 25.

McConnell. Grant. 1979. Constructing language profiles by polity. In Mackey and Ornstein 1979: 23 - 50.

McDougall. A. and Bruck, Margaret. 1978. English reading within the French immersion programme: a comparison of the effects of the introduction of English reading at different grade levels. *Language Learning*, 26(1): 37 - 43.

Mackay. Donald. 1980. On the goals, principles, and procedures for prescriptive grammar: singular they. *Language in Society*, 9(3): 349 -68.

Mackey. William. 1978. Cost-benefit quantification of language-teaching behavior. *Die Neueren Sprachen*. 1(2): 2 - 32.

_____ and Beebe. Von Nieda. 1977. *Bilingual Schools for a Bicultural Community: Miami's Adaptation to the Cuban Refugees*. Rowley. MA: Newbury House.

_____ and Cartwright. Donald. 1979. Geocoding language loss from census data. In Mackey and Ornstein 1979: 69 - 96.

_____ and Ornstein, Jacob. 1979. *Sociolinguistic Studies in Language Contact: Methods and Cases*. The Hague: Mouton.

Macnamara. John. 1966. The effects of instruction in a weaker language. *Journal of Social Issues*, 23(2): 121 - 35.

_____ 1971. Successes and failures in the movement for the restoration of Irish. In Rubin and Jernudd 1971: 65 - 94.

Magner. Thomas. 1978. Diglossia in Split. *Folia Slavica*, 1(3): 400 - 36.

Mecus. Baudewijn. 1979. A diglossic situation: standard vs. dialect. In Mackey and Ornstein 1979: 335 - 46.

Meisel. John. 1978. Values, language, and politics in Canada. In Fishman 1978: 665 - 718.

Mills. Harriet. 1956. Language reform in China: Some recent developments. *Far Eastern Quarterly*. 15: 517 - 40.

Milroy. Lesley. 1980. *Language and Social Networks*. Oxford: Basil Blackwell Publisher.

_____ and Margrain. Sue. 1980. Vernacular language loyalty and social network. *Language and Society*, 9(1): 43 - 70.

Morag. Shelomo. 1959. Planned and unplanned development in Modern Israeli Hebrew. Lingua, 8: 247 - 63.

Moulton, William. 1963. What standard for diglossia? The case of German Switzerland. In Woodworth and DiPietro 1963: 133-48.

Nadel. Elizabeth, Fishman, Joshua, and Cooper, Robert. 1977. English in Israel: A sociolinguistic study. *Anthropological Linguistics*, 19(1): 26 - 53.

Nakir, Moshe. 1978. Normativism and educated speech in Modern Hebrew. *International Journal of the Sociology of Language*, 18: 49 - 68.

Neustupny, Jiri. 1970. Basic types of treatment of language problems. *Linguistic Communications*, 1: 77 - 98.

_____ 1977. Language planning for Australia. *Language Sciences*. 45 : 28 - 31.

Nie, N. H., Hull, C. H. Jenkins, J. G., Steinbrenner, K., and Brenk, D. H. 1975. *Statistical Package for the Social Sciences*, 2nd edn. New York: McGraw-Hill, Inc.

Noss, Richard. 1971. Politics and language policy in Southeast Asia. *Language Sciences* (August 1971), 25 - 32.

Nyerere, Julius. 1968. *Ujamaa* - Essays on Socialism. London: Oxford University Press.

O'Barr, Jean. 1976a. The evolution of Tanzanian political institutions. In O'Barr and O'Barr 1976: 49 - 68.

_____ 1976b. Language and politics in Tanzanian governmental institutions. In o"Barr and O'Barr 1976: 69 - 84.

O'Barr, William. 1976a. Language use and language policy in Tanzania: an overview. In o"Barr and o"Barr 1976: 35 - 48.

_____ 1976b. Language and politics in a rural Tanzanian council. In O'Barr and O'Barr 1976: 117 - 36.

_____ and O'Barr, Jean (eds.). 1976. *Language and Politics*. The Hague: Mouton.

O Cuiv, Brian (ed.). *A View of the Irish Language*. Dublin: Stationery Office.

Ohannessian, Sirarpi, Ferguson, Charles, and Polome, Edgar (eds.). 1975. *Language Surveys in Developing Nations: Papers and Reports on Sociolinguistic Surveys*. Arlington, VA: Center for Applied Linguistics.

OHuallachain, Colman. 1962. Bilingualism in education in Ireland. *Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics* 1962, pp. 75-84. Washington, DC: Georgetown University Press.

_____ 1970. Bilingual education program in Ireland: recent experiences in home and adult support, teacher training, provision of instructional materials.

Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics 1970, pp. 179-93. Washington, DC: Georgetown University Press.

Omar, Asmah. 1975. Supranational standardication of spelling system: the case of Malaysia and Indonesia. *International Journal of the Sociology of Language,* 5: 77 - 92.

Osgood. Charles, Suci. C., and Tannenbaum, Percy. 1957. The *Measurement of Meaning.* Urbana: University of Illinois Press.

Pandit, Prabodh. 1975. The linguistic survey of India - perspectives on language use. In Ohannessian. Ferguson. and Polome 1975: 71 - 86.

Parasher. S. N. 1980. Mother-tongue-English diglossia: a case study of educated Indian bilinguals' language use. *Anthropological Linguistics,* 22(4): 151 - 68.

Perez-Alonso. Jesus. 1979. Catalan - an example of the current language struggle in Spain: sociopolitical and pedagogical implications. *International Journal of the Sociology of Language,* 21 : 109 - 25.

'Periodic Law'. *Encyclopedia Americana,* 21: 587 - 91. 1976.

Pietersen, Liewe. 1978. Issues and trends in Frisian bilingualism. In Fishman 1978: 353 - 400.

Pitts, Ruth Ann. 1978. The effects of exclusively French-language schooling on self-esteem in Quebec. *Canadian Modern Language Review,* 34(3): 372 - 80.

Platt, John. 1977. A model for polyglossia and multilingualism (with special reference to Singapore and Malaysia). *Language in Society,* 6(3): 361 - 78.

Poll, Solomon. 1980. The sacred-secular conflict in the use of Hebrew and Yiddish among ultra-orthodox Jews of Jerusalem. International *Journal of the Sociology of Language,* 24: 109 - 26.

Polome. Edgar. 1975. Problems and techniques of a sociolinguistically oriented language survey: the case of the Tanzania survey. In Ohannessian, Ferguson, and Polome 1975: 31 - 50.

_____ 1980a. The languages of Tanzania. In Polome and Hill 1980: 1- 25.

_____ 1980b. Tanzania: a socio-linguistic perspective. In Polome and Hill 1980: 103 - 38.

_____ 1982. Rural versus urban multilingualism in Tanzania: an outline. *International Journal of the Sociology of Language*. 34: 167 - 81.

_____ and Hill. C. P. 1980. *Language in Tanzania*. Oxford: Oxford University Press for the International African Institute.

Pool. Jonathan. 1972. National development and language diversity. In Fishman 1972a: 213 - 30.

_____ 1979. Language planning and identity planning. *International Journal of the Sociology of Language*, 20: 5 - 21.

Poplack. Shana. 1978. On dialect acquisition and communicative competence: the case of Puerto Rican bilinguals. *Language in Society*, 7(1): 89 - 104.

Rabin. Chaim. 1974. *A Short History of the Hebrew Language*. Jerusalem.

Ramos. M., Aguilar. J. V., and Sibayan. Bonifacio. 1967. The *Determination and Implementation of Language Policy*. Dobbs Ferry, NY: Oceana Publications.

Ray. Punya Sloka. 1963. *Language Standardization*. The Hague: Mouton.

_____ 1968. Language standardization. In Fishman 1968c: 754 - 65.

Rey, Alberto. 1977. Accent and employability. *Language Sciences*, 47: 7 - 12.

Rice, Frank. 1962. *Study of the Role of Second Languages in Asia, Africa and Latin America*. Washington. DC: Center for Applied Linguistics.

Rona, Jose Pedro. 1966. The social and cultural status of Guarani in Paraguay. In Bright 1966: 277 - 98.

Ros, Maria and Giles, Howard. 1979. The Valencian language situation: an accommodation perspective. *ITL*, 44: 3 - 24.

Rosier, Paul and Farella, Merilyn. 1976. Bilingual education at Rock Point - some early results. *TESOL Quarterly*, 10(4): 379 - 88.

Rubin. Joan. 1968a. Language education in Paraguay. In Fishman, Ferguson, and Das Gupta 1968: 477 - 88.

_____ 1968b. Bilingual usage in Paraguay. In Fishman 1968c: 512 - 30.

_____ 1968c. *National Bilingualism in Paraguay*. The Hague: Mouton.

_____ 1971. Evaluation and language planning. In Rubin and Jernudd 1971: 217 - 52. Also in Fishman 1972a: 476 - 510.

_____ 1973. Language planning: discussion of some current issues. In Rubin and Shuy 1973: 1 -10.

_____ (ed.). 1977. Language Planning in the United States. *International Journal of the Sociology of Language*. 11.

_____ 1978. Toward bilingual education for Paraguay. In Alatis 1978: 189 - 201.

_____ and Jernudd, Bjorn (eds.). 1971. *Can Languages be planned*? Honolulu: University Press of Hawaii.

_____ and Shuy, Roger Ieds.). 1973. *Language Planning: Current Issues and Research*. Washington. DC: Georgetown University Press.

_____ Jernudd. Bjorn. Das Gupta, Jyotirindra. Fishman, Joshua, and Ferguson. Charles. 1977. *Language Planning Processes*. The Hague: Mouton.

Rustow. Dankwart. 1968. Language, modernization and nationhood - an attempt at typology. In Fishman. Ferguson. and Das Gupta 1968: 87 - 106.

Ryan, Ellen Bouchard and Carranza. Michael. 1977. Ingroup and outgroup reactions to Mexican American language varieties. In Giles 1977: 59 - 82.

_____ and Giles, Howard (eds.). 1982. *Attitudes Towards Language Variation: Social and Applied Contexts*. London: Edward Arnold.

Ryan, Thomas A., Jr., Joiner, Brian, and Joiner, Barbara. 1976. *Minitab Student Handbook*. North Scituate, MA: Duxbury Press.

Sage, J. C. (ed.). 1980. Standardization of Nomenclature. *International Journal of the Sociology of Language*, 23.

Sankoff, Gillian. 1980. Language use in multilingual societies: some alternate approaches. In G. Sankoff, *The Social Life of Language*, pp. 29 - 45. Philadelphia: University of Pennsylvania Press. Also in Pride and Holmes (eds.), *Sociolinguistics*, pp.33-51. Harmondsworth, England: Penguin Books, 1972.

SAS User's Guide, 1979 edn. 1979. Raleigh, NC: SAS Institute, Inc.

Saville-Troike, Muriel. 1982. *The Ethnography of Communication*. Oxford: Basil Blackwell Publisher.

Scherer, Klaus. 1979. Voice and speech correlates of perceived social influence in simulated juries. In Giles and St clair 1979: 88 - 120.

Schmidt, Richard and McCreary, Carol. 1977. Standard and super-standard English: recognition and use of prescriptive rules by native and non-native speakers. *TESOL* Quarterly, 11(4): 415 - 29.

Scotton, Carol Myers. 1978. Language in East Africa: linguistic patterns and political ideologies. In Fishman 1978: 719 - 60.

_____ and Ury, William. 1977. Bilingual strategies: the social functions of code-switching. *International Journal of the Sociology of Language*, 13: 5 - 20.

Seligman, C., Tucker, G. Richard, and Lambert, Wallace. 1972. The effects of speech style and other attributes on teachers' attitudes towards pupils. *Language in Society*, 1: 131 - 42.

Shaffer, Douglas. 1978. Afrikaans as a case study in vernacular elevation and standardization. *Linguistics*, 213: 51 - 64.

Shaklee, Margaret. 1980. The rise of standard English. In Shopen and Williams 1980: 33 - 62.

Shavelson, Richard. 1981. *Statistical Reasoning for the Behavioral Sciences*. Boston: Allyn and Bacon.

Shopen, Timothy (ed.). 1979. *Languages and their Status*. Cambridge, MA: Winthrop Publishers.

_____ and Williams, Joseph (eds.). 1980. *Standards and Dialects in English*. Cambridge, MA. Winthrop Publishers.

Shukla, Shaligram. 1974. *Phonological change and dialect variation in Middle Indo-Aryan*. In Anderson, J. and Jones, C. (eds.). *Historical Linguistics* II, pp. 391 - 401. Amsterdam: North-Holland Publishing Co.

Shuy, Roger (ed.). 1973. *Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics* 1972. Washington, DC: Georgetown University Press.

_____ 1977. Problems of communication in the cross-cultural medical interview. *ITL: A Review of Applied Linguistics*. 35.

_____ and Fasold, Ralph (eds.). 1973. *Language Attitudes: Current Trends and Prospects*. Washington, DC: Georgetown University Press.

_____ and Williams, Frederick. 1973. Stereotyped attitudes of selected English dialect communities. In Shuy and Fasold 1973: 85 - 96.

_____ Baratz, Joan, and Wolfram, Walter. 1969. *Sociolinguistic factors in speech identification*. Project Report No. MH 1504801. National Institute of Mental Health. Washington, DC: NIMH.

Sibayan, Bonifacio. 1978. Bilingual education in the Philippines: strategy and structure. In Alatis 1978: 302 - 29.

Sjoberg, Andree. 1966. Socio-cultural and linguistic factors in the development of writing systems for preliterate peoples. In Bright 1966: 260 - 76.

Sotiropoulos, Dimitri. 1977. Diglossia and the national language question in modern Greece. *Linguistics*, 197: 5 - 31.

Southworth, Franklin. 1977. Functional aspects of linguistic heterogeneity. In Sharma, P. Gopal and Kumar, Suresh (eds.). *Indian Bilingualism: Proceedings of the Symposium Held under the Joint Auspices of Kendriya Hindi Sansthan and Jawaharlal Nehru University*, February 1976, pp. 210 - 31. Agra: Kendriya Hindi Sansthan.

Spolsky, Bernard. 1972. *The Language Education of Minority Children: Selected Readings*. Rowley, MA: Newbury House.

_____ 1977a. American Indian Bilingual education. *Linguistics*, 198: 57 - 72.

_____ 1977b. The establishment of language education policy in multilingual societies. In Spolsky and Cooper 1977: 1 - 21.

_____ and Cooper, Robert. (eds.). 1977. *Frontiers of Bilingual Education*. Rowley, MA: Newbury House.

_____ (eds.). 1978. *Case Studies in Bilingual Education*. Rowley, MA: Newbury House.

Sreedhar, M. V. 1979. The functions of bilingualism in Nagaland. *International Journal of the Sociology of Language*, 22: 103 - 14.

Sridhar, S. N. 1978. On the functions of code-mixing in Kannada. *International Journal of the Sociology of Language*, 16: 109 - 18.

Stern, H. H. 1963. *Foreign Languages in Primary Education*. Hamburg: Unesco Institute for Education.

_____ 1978. French immersion in Canada: achievements and directions. *Canadian Modern Language Review*, 34(5): 836 - 54.

Stewart, William. 1962. An outline of linguistic typology for describing multilingualism. In Rice 1962: 15 - 25.

_____ 1963. Functional distribution of Creole and French in Haiti. In Woodworth and DiPietro 1963: 149 - 62.

_____ 1968. A sociolinguistic typology for describing national multilingualism. In Fishman 1968c: 531 - 45.

Swain. Merrill. 1978. French immersion: Early, late or partial? *Canadian Modern Language Review*, 34(3): 577 - 85.

Tabouret-Keller, Andre. 1968. Sociological factors of language maintenance and language shift: a methodological approach based on European and African examples In Fishman, Ferguson, and Das Gupta 1968: 107 - 18.

_____ 1972 A contribution to the sociological study of language maintenance and language shift. In Fishman 1972a: 365 - 76.

Tadadjeu, Maurice. 1977. Cost-benefit analysis and language education planning in sub-Saharan Africa. In Kotey and Der-Houssikian 1977: 3 - 34.

Tauli. Walter. 1968. Introduction to a theory of language planning. In *Acta Universitatis Upsaliensis, Studia Philologiae Scandinavicae Upsaliensia*, 6. Uppsala: University of Uppsala.

Taylor, Donald, Meynard, Roch, and Rheault, Elizabeth. 1977. Threat to ethnic identity and second-language learning. In Giles 1977: 99 - 118.

Taylor, Orlando, 1973. Teachers' attitudes toward Black and nonstandard English as measured by the Language Attitude Scale. In Shuy and Fasold 1973: 174 - 201.

Thelander, Mats. 1976. Code-switching or code-mixing? *Linguistics,* 183: 103 - 24.

Thompson, Roger. 1974. Mexican American language loyalty and the validity of the 1970 census. In Fishman 1972a: 213 - 30.

Thorburn. Thomas. 1971. Cost-benefit analysis in language planning. In Rubin and Jernudd 1971: 253 - 62. Also in Fishman 1972a: 511 - 19.

Timm. Lenora. 1980. Bilingualism, diglossia and language shift in Brittany. *International Journal of the Sociology of Language*, 25: 29 - 42.

Tosi. Arturo. 1979. Mother-tongue teaching for the children of migrants. *Language Teaching and Linguistics: Abstracts*, 12(4): 213 - 31.

Trudgill. Peter. 1974. *Sociolinguistics: An Introduction*. Harmondsworth, England: Penguin Books.

_____ and Tzavaras. George. 1977. Why Albanian-Greeks are not Albanians: language shift in Attica and Biotia. In Giles 1977: 171 - 84.

Tucker, G. Richard. 1977. Bilingual Education: Current Perspectives. Vol. 2, *Linguistics*. Arlington, Va: Center for Applied Linguistics.

_____ Hamayan. Else, and Genesee, Fred. 1976. Affective, cognitive and social factors in second-language acquisition. *Canadian Modern Language Review*, 32(3): 214 - 26.

Unesco. 1953. *The Use of Vernacular Languages in Education*. Paris: Unesco. Excerpt in Fishman 1968c: 688 - 716.

Valdman, Albert. 1968. Language standardization in a diglossia situation: Haiti. In Fishman, Ferguson, and Das Gupta 1968: 313 - 26.

_____ 1971. The language situation in Haiti. In Hymes 1971: 61 - 4.

Vallee. Frank and le Vries, John. 1978. Trends in bilingualism in Canada. In Fishman 1978: 761 - 95.

Verdoodt, Albert. 1972. The differential impact of immigrant French speakers on indigenous German speakers: a case study in the light of two theories. In Fishman 1972a: 377 - 85.

Verma, S. K. 1976. Code-switching: Hindi-English. *Lingua*, 38(2): 153 - 65.

Weinreich, Uriel. 1957. Functional aspects of Indian bilingualism. *Word*, 13(2): 203 - 33.

_____ 1968. *Languages in Contact: Findings and Problems*. The Hague: Mouton. Originally published as *Publications of the Linguistic Circle of New York*, no. 1, 1953.

Wexler, Paul. 1981. Jewish interlinguistics. *Language*, 57(1): 99 - 149.

White Paper on the Restoration of the Irish Language. 1965. Dublin: Stationery Office.

Whiteley, Wilfred. 1968. Ideal and reality in national language policy: a case study from Tanzania. In Fishman, Ferguson, and Das Gupta 1968: 327 - 44.

_____ 1969. *Swahili: The Rise of a National Language*. London: Methuen.

_____ 1971a. Some factors influencing language policies in Eastern Africa. In Rubin and Jernudd 1971: 141 - 58.

_____ (ed.). 1971b. *Language and Social Change: Problems of Multilingualism with Special Reference to Eastern Africa*. London: Oxford University Press.

_____ 1973. Sociolinguistic surveys at the national level. In Shuy 1973: 167 - 80.

_____ (ed.). 1974. *Language in Kenya, Ethiopia, Tanzania, Uganda, Zambia, Nairobi:* Oxford University Press.

Wijnstra, Johan. 1978. Education of children with Frisian home language. Paper presented at the 19th International Congress of Applied Psychology, Munich, 1978.

Williams, Frederick. 1968. *Reasoning with Statistics: Simplified Examples in Communications Research*. New York: Holt, Rinehart, and Winston.

_____ 1973. Some research notes on dialect attitudes and stereotypes. In Shuy and Fasold 1973: 113 - 28.

_____ 1974. The identification of linguistic attitudes. *International Journal of the Sociology of Language*, 3:21-32. (= Linguistics 136)

_____ and associates. 1976. *Explorations of the Linguistic Attitudes of Teachers.* Rowley. MA: Newbury House.

_____ Whitehead. J.. and Miller. L. 1971. *Attitudinal Correlates of Children's Speech Characteristics.* OSOE Research Report Project No. 0-0336. Washington, DC: United States Office of Education.

_____ 1972. Relations between language attitudes and teacher expectancy. *American Educational Research Journal*. 9: 263 - 77.

Wolck. Wolfgang. 1973. Attitudes toward Spanish and Quechua in bilingual Peru. In Shuy and Fasold 1973: 129 - 47.

_____ 1976. Community profiles: an alternative approach to linguistic informant selection. *International Journal of the Sociology of Language,* 9: 43 - 7. (= Linguistics 177).

Wolff. Hans. 1959. Intelligibility and inter-ethnic attitudes. *Anthropological Linguistics*. 1(3): 34 - 41. Also in Hymes 1964: 440 - 45.

Wolfram. Walt. 1973. Objective and subjective parameters of language assimilation among second-generation Puerto Ricans in East Harlem. In Shuy and Fasold 1973: 148 - 73.

_____ 1974. *Sociolinguistic Aspects of Assimilation: Puerto Rican English in New York City.* Arlington, VA: Center for Applied Linguistics.

_____ and Fasold, Ralph. 1974. *The Study of Social Dialects in American English.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Wood. Richard. 1980. Language maintenance and external support, the case of the French Flemings. *International Journal of the Sociology of Language,* 25: 107 - 20.

Woodworth, Elisabeth and DiPietro, Robert (eds.). 1963. *Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics 1962*. Washington, DC: Georgetown University Press.

Yuker. Harold. 1958. *A Guide to Statistical Calculations*. New York: G. P. Putnam.

Zughoul. Muhammed. 1980. Diglossia in Arabic:. investigating solutions. *Anthropological Linguistics*, 22(5): 201 - 17.

ثبت المصطلحات

أولاً : عربي - إنجليزي



أسلوب الأداء المقارن	Matched-guise technique
أسلوب الصورة المطابقة	Mirror image technique
أمة ذات جماعات عرقية متعددة	Multiethnic nation
اختبار مربع كاي	Chi square test
ازدواجية اللغة	Diglossia
ازدواجية اللغة المُضعفة المتداخلة	Double overlapping diglossia
ازدواجية اللغة الموسعة	Broad diglossia
ازدواجية اللغة ثنائية التداخل	Double-nested diglossia
اكتساب اللغة	Language acquisition
الإبقاء اللغوي	Language maintenance
الإحصاء الاستدلالي	Inferential statistics
الإحصاء الوصفي	Descriptive statistics
الاستبانة	Questionnaire
الإمبريالية	Imperialism

الأمة	Nation
الأمم النامية	Developing nations
الأمية	Illiteracy
الائتلاف	Federation
الازدواجية اللغوية الثلاثية	Triglossia
إسبراتو	Esperanto
الاقتراض	Borrowing
الترابط	Relatedness
لغات درافيدية	Dravidian languages
اللغة السواحيلية	Swahili
اللغة العبرية	Hebrew
اللغة الغيلية	Gaelic
اللغة الكردية	Kurdish

ت

تأويل	Interpretation
تباين	Diversity
تباين داخلي	Inherent variability
تباين لغوي	Linguistic diversity
تباينة	Contrastive
تبديل سياقي	Situational switching
تبديل الشفرة	Code-switching

تبديل الشفرة الرمزي	Metaphorical switching
تبديل الشفرة بين الأجيال	Intergenerational code-switching
تحديث	Modernization
تحضير	Urbanization
تحليل الانحدار الخطي	Linear regression analysis
تحليل التباين	Analysis of variance
تحليل الجدوى الاقتصادية	Cost-benefit analysis
تحليل العامل	Factor analysis
تحليل المجال	Domain analysis
تحول أسلوبي	Style shifting
تحول لغوي	Language shift
تخالف	Divergence
تسيير أمور الدولة	Nationism
تصنيف الأعمار	Age-grading
تصنيف اللغات	Classification of languages
تضامن	Solidarity
تطور اقتصادي	Economic development
تطور لغوي	Language development
تعداد سكاني	Census
تعددية اللغة الخطية	Linear polyglossia
تعددية لغوية	Multilingualism
تعددية لغوية في المجتمع	Societal multilingualism

تعويض التباين	Diversity compensation
تغيير اجتماعي	Social change
تقييس	Standardization
تلفظ نموذجي	Received Pronunciation (RP)
تماثل	Convergence
تنوع لغوي	Linguistic variation
تواصل عرقي مشترك	Interethnic communication

ث

ثبات	Reliability
ثنائية لغوية	Bilingualism
ثنائية لغوية فوقية	Superposed bilingualism

ج

جماعة عرقية	Ethnic group

ح

حدود جغرافية سياسية	Geopolitical boundaries

د

دولة	State

دولة ذات قوميات متعددة	Multinational state

ذ

ذخيرة لغوية	Verbal repertoire

س

سيولة	Fluidity

ش

شجرة اتخاذ القرار	Decision tree

ص

صدق	Validity
صورة نموذجية مشتركة	Stereotype
صيغة (أ)	Formula A
صيغة اللغات الثلاث	Three language formula

ض

ضم	Annexation

ع

عائلة اللغات الهندية الآرية	Indo-Aryan language family

عقلانية	Intellectualization
علم الإنسان	Anthropology
علم النفس الاجتماعي	Social psychology

ف

فرضيات	Hypotheses
فليمش	Flemish
فونولوجيا	Phonology

ق

قانون	Law
قبول التخطيط اللغوي	Acceptance of language planning
قوة الشبكة	Network-strength
قوميات	Nationalities
قومية	Nationalism

ل

لغات أصلية	Indigenous languages
لغات ألفبائية لا نموذجية	Unstandardized alphabetized languages
لغات البنتو	Bantu languages
لغات الجماعة الصغيرة النموذجية	Small group standard languages
لغات تقليدية قديمة	Classical languages

لغات ما قبل المكتوبة	Preliterate languages
لغات نموذجية مدروسة	Mature standard languages
لغات نموذجية ناشئة	Young standard languages
لغات إقليمية	Regional languages
لغة أم	Mother tongue
لغة اصطناعية	Artificial language
لغة الباهاسا الإندونيسية	Bahasa Indonesia
لغة الباهاسا الماليزية	Bahasa Malaysia
لغة القوارني	Guarani
لغة المالايالم	Malayalam
لغة المستعمر	Colonial language
لغة الملاي السوقية	Bazar Malay
لغة خليط	Pidgin
لغة دارجة	Colloquial language
لغة رسمية	Official language
لغة عليا وهمية	Dummy diglossia
لغة قومية (وطنية)	National language
لغة محلية (عامية)	Vernacular language
لغة مزيج	Creole
لغة مشتركة	Lingua franca
لغة نموذجية	Standard language
لهجات	Dialects

م

مؤشر ك	K index
مؤشر التعويض	Index of compensation
مؤشر التواصل	Index of communication
مؤشر التواصلية	Index of communicativity (Kuo)
مبدأ التنبؤ	Principle of prediction
مبدأ الطبيعية	Principle of naturalism
مبدأ المتصل	Continuum principle
متوسط حسابي	Mean
مجتمع الازدواجية اللغوية	Diglossic community
مزج الشفرة	Code-mixing
مفردات	Lexicon
مقام	Prestige
مقياس اسمي	Nominal scale
مقياس الالتزام	Commitment measure
مقياس التباين	Diversity measure
مقياس الفارق الدلالي	Semantic differential scale
مقياس ترتيبي	Ordinal scale
مقياس تضميني	Implicational scale
مقياس فئوي	Interval scale
ملاحظة المشارك	Participant observation

مناطق الحدود	Border area
مهاجرون	Immigrants
مواضع متداخلة	Overlapping situation
مواقف لغوية	Language attitudes
موت اللغة	Language death

ن

ناتج محلي كلي	Gross domestic product
نحت	Coinage
نحو	Grammar
نظرية المماثلة	Accommodation theory

هـ

هجرة	Migration
هوية	Self-identification
هوية	Identity
هوية اجتماعية	Social identity

و

وحدة اجتماعية	Social unit
وحدة اجتماعية ثقافية	Sociocultural unit
وحدة سياسية إقليمية	Political-territorial unit

وظائف التوحيد والفصل	Unifying and separatist functions
وظيفة	Function
وظيفة المشارك	Participatory function
وظيفة دولية	International function
وظيفة رسمية	Official function

ثانياً: إنجليزي - عربي

A

Acceptance of language planning	قبول التخطيط اللغوي
Accommodation theory	نظرية المماثلة
Age-grading	تصنيف الأعمار
Analysis of variance	تحليل التباين
Annexation	الضم
Anthropology	علم الإنسان
Artificial language	لغة اصطناعية

B

Bahasa Indonesia	لغة الباهاسا الإندونيسية
Bahasa Malaysia	لغة الباهاسا الماليزية
Bantu languages	لغات البنتو
Bazar Malay	لغة الملاي السوقية
Bilingualism	الثنائية اللغوية
Border area	مناطق الحدود
Borrowing	الاقتراض
Broad diglossia	ازدواجية اللغة الموسعة

C

Census	التعداد السكاني
Chi square test	اختبار مربع كاي
Classical languages	اللغات التقليدية القديمة
Classification of languages	تصنيف اللغات
Code-mixing	مزج الشفرة
Code-switching	تبديل الشفرة
Coinage	النحت
Colonial language	لغة المستعمر
Colloquial language	اللغة الدارجة
Commitment measure	مقياس الالتزام
Continuum principle	مبدأ المتصل
Contrastive	التباينة
Convergence	التماثل
Cost-benefit analysis	تحليل الجدوى الاقتصادية
Creole	لغة مزيج

D

Decision tree	شجرة اتخاذ القرار
Descriptive statistics	الإحصاء الوصفي

Developing nations	الأمم النامية
Dialects	اللّهجات
Diglossia	ازدواجية اللغة
Diglossic community	مجتمع الازدواجية اللغوية
Divergence	التخالف
Diversity	التباين
Diversity compensation	تعويض التباين
Diversity measure	مقياس التباين
Domain analysis	تحليل المجال
Double-nested diglossia	ازدواجية اللغة ثنائية التداخل
Double overlapping diglossia	ازدواجية اللغة المُضعفة المتداخلة
Dravidian languages	اللغات الدرافيدية
Dummy diglossia	اللغة العليا الوهمية

E

Economic development	التطور الاقتصادي
Esperanto	الإسبراتو
Ethnic group	الجماعة العرقية

F

Factor analysis	تحليل العامل
Federation	الائتلاف

Flemish	الفليمش
Fluidity	السيولة
Formula A	الصيغة (أ)
Function	الوظيفة

G

Gaelic	اللغة الغيلية
Geopolitical boundaries	الحدود الجغرافية السياسية
Grammar	النحو
Gross domestic product	الناتج المحلي الكلي
Guarani	لغة القوارني

H

Hebrew	اللغة العبرية
Hypotheses	الفرضيات

I

Identity	هوية
Illiteracy	الأمية
Immigrants	المهاجرون
Imperialism	الإمبريالية
Implicational scale	المقياس التضميني
Index of communication	مؤشر التواصل

Index of communicativity (Kuo)	مؤشر التواصلية
Index of compensation	مؤشر التعويض
Indigenous languages	لغات أصلية
Indo-Aryan language family	عائلة اللغات الهندية الآرية
Inferential statistics	الإحصاء الاستدلالي
Inherent variability	التباين الداخلي
Intellectualization	العقلانية
Interethnic communication	تواصل عرقي مشترك
Intergenerational code-switching	تبديل الشفرة بين الأجيال
International function	الوظيفة الدولية
Interpretation	تأويل
Interval scale	مقياس فئوي

K

K index	مؤشر
Kurdish	اللغة الكردية

L

Language acquisition	اكتساب اللغة
Language attitudes	المواقف اللغوية
Language death	موت اللغة
Language development	التطور اللغوي
Language maintenance	الإبقاء اللغوي

Language shift	التحول اللغوي
Law	قانون
Lexicon	مفردات
Linear polyglossia	تعددية اللغة الخطية
Linear regression analysis	تحليل الانحدار الخطي
Lingua franca	اللغة المشتركة
Linguistic diversity	التباين اللغوي

M

Malayalam	لغة المالايالم
Matched-guise technique	أسلوب الأداء المقارن
Mean	المتوسط الحسابي
Metaphorical switching	تبديل الشفرة الرمزي
Migration	الهجرة
Mirror image technique	أسلوب الصورة المطابقة
Modernization	التحديث
Mother tongue	اللغة الأم
Multiethnic nation	أمة ذات جماعات عرقية متعددة
Multilingualism	التعددية اللغوية
Multinational state	دولة ذات قوميات متعددة

N

Nation	الأمة

National language	اللغة القومية (الوطنية)
Nationalism	القومية
Nationalities	القوميات
Nationism	تسيير أمور الدولة
Network-strength	قوة الشبكة
Nominal scale	المقياس الاسمى

O

Official function	الوظيفة الرسمية
Official language	اللغة الرسمية
Ordinal scale	مقياس ترتيبي
Overlapping situation	المواضع المتداخلة

P

Participant observation	ملاحظة المشارك
Participatory function	وظيفة المشارك
Phonology	الفونولوجيا
Pidgin	لغة خليط
Political-territorial unit	وحدة سياسية إقليمية
Polyglossia	التعددية اللغوية
Prestige	المقام
Principle of naturalism	مبدأ الطبيعية
Principle of prediction	مبدأ التنبؤ

Q

Questionnaire	الاستبانة

R

Received Pronunciation (RP)	التلفظ النموذجي
Regional languages	اللغات الإقليمية
Relatedness	الترابط
Reliability	الثبات



S

Self-identification	الهوية
Semantic differential scale	مقياس الفارق الدلالي
Situational switching	التبديل السياقي
Social change	التغيير الاجتماعي
Social identity	الهوية الاجتماعية
Social psychology	علم النفس الاجتماعي
Social unit	الوحدة الاجتماعية
Societal multilingualism	التعددية اللغوية في المجتمع
Sociocultural unit	وحدة اجتماعية ثقافية
Standard language	لغة نموذجية
Standardization	التقييس
State	الدولة

Stereotype	الصورة النموذجية المشتركة
Style shifting	التحول الأسلوبي
Superposed bilingualism	ثنائية لغوية فوقية
Swahili	اللغة السواحيلية

T

Three language formula	صيغة اللغات الثلاث
Triglossia	الازدواجية اللغوية الثلاثية

U

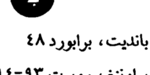
Unifying and separatist functions	وظائف التوحيد والفصل
Urbanization	التحضير

V

Validity	الصدق
Verbal repertoire	ذخيرة لغوية
Vernacular language	لغة محلية (عامية)

كشاف الموضوعات











ك

ل

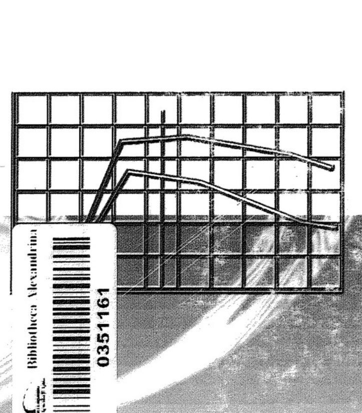
م



نبذة عن المترجم

الدكتور إبراهيم بن صالح بن محمد الفلاي

- ولد في عنيزة سنة ١٣٨٣هـ، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بها، ثم التحق بجامعة الملك سعود حيث حصل على درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية من كلية التربية سنة ١٤٠٧هـ.
- عمل معيداً بمركز اللغة الإنجليزية بمعهد الإدارة العامة بالرياض، وحصل على درجة الماجستير تخصص لغويات نظرية من جامعة نيومكسيكو (البكركي) في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٤١٢هـ، كما حصل على درجة الدكتوراه في اللغويات التطبيقية من نفس الجامعة سنة ١٤١٤هـ.
- عين أستاذاً مساعداً في عام ١٤١٤هـ، ورقي أستاذاً مشاركاً في عام ١٤١٩هـ بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب.
- تولى رئاسة قسم اللغويات الأوروبية والترجمة بكلية اللغات والترجمة ما بين عامي ١٤١٨هـ و١٤٢٠هـ.
- عمل عدة أبحاث في مجال التقييم اللغوي، وله مؤلف بعنوان: "ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق".
- ساهم في الإشراف على رسائل ماجستير ودكتوراه في اللغويات التطبيقية ومناقشتها، كما عمل عضواً في هيئة تحرير مجلة جامعة الملك سعود (فرع اللغات والترجمة) ما بين عامي ١٤١٩هـ و١٤٢١هـ.
- يُدرس عدة مقررات في اللغويات وعلم اللغة الاجتماعي لمرحلة البكالوريوس في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب.



ردمك :٣-١٧٤-٣٧- ٩٩٦٠

ISBN:9960-37-174-3